

ك  
د ق

89278  
I79JA  
1909

# الدُّرَرُ

وهي

منتخبات الطيب الذكر الخالد الأثر

الكاتب والشاعر والخطيب

المرحوم

## أويب اسحق

جمعها من آثاره المطبوعة والمخطوطة

شقيقه

عوني اسحق



تحتوي على ترجمة حاله واقوال الجرائد فيه ومراثي الشعراء  
ومنتخبات خطبه ورسائله وقصائده ورواياته ومقالاته  
السياسية والادبية مما طبع من قبل ومما لم يتيسر  
طبعه الا بعد اعلان الدستور

طبع في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٩٠٩

# مقدمة

أما بعد حمد من يجب حمده ، ويسترشد بهديه ويستمدد رفده . فاني  
 كنت قد اطلت منذ بضع سنوات على السنة الصحف المحلية واعدت نخبة الادباء  
 والالباء ، وصفوة الكتاب والشعراء ، لان اضيف الى الدرر التي التقطها البعض  
 من ماثور يراع شقيقي المرحوم اديب ومنطقه من المقالات المعبرة على اختلاف  
 مواضيعها ، والخطب الفصيحة التي القاها في مواقف متعددة درراً كانت لم  
 تزل في الدفائن ، وغرراً من الرسائل والقصائد احرزت في الخزائن ، فلبثت  
 ابحت البحث المتواصل ، وانشر ما كان قد طوي من القصائد والرسائل . بين  
 بطون الدفاتر والسجلات ، وعلى صفحات ما درست معالمه من الصحف والمجلات ،  
 حتى جمعت طائفة كبيرة من فصيح المقالات ، وفيها من لطيف الكنايات ، وبديع  
 الاستعارات ، ومن مستلح السجع ومحكم النسيج والوضع ، ما يفعل بالالباب فعل  
 السلاف ويسهل وروده على الطبع . ولا يخفى ما عانيت في تأليف هذه  
 الشوارد من المشقة ، لبعد الشقة بيني وبين احباء الفقيه - وكثير ما هم - ممن  
 حفظوا شيئاً منها فبوتها ونسقتها تنسيقاً جديداً فجاءت في حجم يكاد يعادل  
 المجموع قديماً منها فضلاً عما سامني من الوقت تمحيص المطبوع من الخطأ  
 الذي وقع في بعض المقالات بطريق النسخ وضبط بعضه بالشكل حتى لا  
 يبقى فيه ما يشوب صفاءه فيكون الكتاب خزانة للتأدين وموردًا سائغاً  
 للطالين . (وقد راعيت في فصولها زمان صدورها عن الفقيه وادوار حياته

اي منذ الحادية عشرة وهو العمر الذي تعشق فيه الادب حتى التاسعة والعشرين  
 وهي السنة التي تجرّه فيها الى ربه . فان الفقيه رحمت الله عليه قال الشعر  
 فتياً، وسحر ببيانته وهو بعد صبياً . وكان مع احتياجه الى السعي في سبيل  
 الرزق لا يدع فرصة تمر الا شغلها باعمال الفكرة في مقالة يجربها ، او قصيدة  
 يطيرها ، إذ لم يكن له من هيام الا محاضرة الادباء ، ومفاكحة الندماء . فبرزت  
 تلك الدرر خالصة من مغاص ذلك البحر المتدفق ، ومنتظمة عن ثنايا ذلك  
 المنطق الذي طبق صيته الخافقين ، ولم يزل ذكره من ابناء وطنه وغيرهم  
 بين الأذن والعين . وجاء الكتاب ذخراً للكاتب ، وسفراً تزدان به صدور  
 المكاتب ، جمع بين مرسل آتق من النور في الاكام ، وجمع اطرب من بجمع  
 الحمام ، ونظم احسن من الدر في النظام ، ناهيك بالفاظ هي الزلال او ارق  
 ومعان هي السحر او ادق ، ومن يجهل مقام اديب بين الكتاب والخطباء ،  
 وبلغاء المنشئين ، وامائل الشعراء ، فاقد كان واسطة العقد ، ولا يزال كذلك  
 الى هذا العهد . وحسبك انك لانقرأ عبارة من كلامه الا رأيتها بعيدة عن  
 الابتذال ، منسوجة على ابداع منوال ، ولا غرو فان كلامه مما يرتفع له حجاب السمع ،  
 ويوطأ له مهاد الطبع ، ويدخل الاذان بلا استئذان ، كأنه ممر الصبا على عذبات  
 الاغصان ، كيف لا وهو هو رحمة الله الذي نهج في سورية ومصر للصحافة  
 طريقة غراء ، وجرى بها على اسلوب لم يجز فيهما احد قبله من النوابع في  
 الانشاء . وقد تحررت في كل ما انشأه ونظمه ما يحسن ان يكون خيراً مثال  
 يمتدني به طلاب الادب ، ولا سيما اولئك الذين لم يزالوا على مقاعد الطلب ،  
 وهم كذا اكون قد وفيتهم حقوق الوفاء ، وقت حق القيام بواجب الوطنية والاخاء  
 لان ما اقدمه الى الشبان المتأدبين من ابناء وطني خصوصاً وادباء العثمانيين  
 عموماً امثلة لم تدرج في كتاب متداول في ايدي الطلبة من كتب الانشاء

او البيان، ولا بعد عهد مصدرها عن الخواطر والاذهان، بل تضمنت مواضع  
 قريبة العهد سهلة التناول مع فصاحة تعبير، وجزالة الفاظ، وبلاغة معني، في  
 اسلوب يحاكي اسلوب الهمذاني رقة ورشاقة وعين في طبعها بحرف جلي  
 على ورق صقيل في المطبعة الادبية المشهورة لصاحبها الفاضل خليل افندي  
 سر كيس وعلى نفقته ايضا كافاه الله على خدمة المعارف خيرا  
 فالأمول، ان يحل هذا المجموع محل القبول، فتكون درره قلادة لصاغة  
 الكلام، وحملة الاقلام، وافانينه مجني طيب المغارس، للمتأدين وطلاب المدارس،  
 ورحم الله صاحب هذا الاثر، عداد ما له من الدرر، عوفي اسحق



مَكْتَبَةٌ  
 لِسَانِ الْعَرَبِ

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

## ترجمة الفقيه

صاحب الترجمة ركنٌ عظيمٌ من أركان النهضة الأدبية الأخيرة وقد كان منشئاً بليداً،  
وشاعراً مجيداً، وخطيباً مفوهاً، وسياسياً حاذقاً خبيراً. ولد في دمشق الشام في الحادي  
والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٨٥٦ فلم ينقطع أباً ظهرت عليه مخايل النجابة  
ودلائل النباهة والدكاء. ولما تعرض ادخله والده مدرسة الآباء العازار بين فتلقن فيها  
من العربية والفرنسية مبادئ. كان يزداد بها في أوقات الامتحان تقدماً وتفوقاً على أقرانه  
الطلبة. وكان استاذهُ في العربية يقول لايه في ذلك الحين «ان ابنك سيكون قوفاً الا»  
اي شاعراً لان أكثر كلامه كان يرد مسجماً موزوناً وهو لا يعرف وقتئذ شيئاً من قواعد  
اللغة. وما بلغ العاشرة حتى اخذ ينظم الشعر كلفاً به في حين لم يطالع في العروض كتاباً،  
ولا خاض من بحوره عباباً. وانفق ان أسرته اصبحت في ذلك العهد بعطلة اعمال فُعر من  
نفسه بالحاجة الى اعانتها، والتفاني في خدمتها، فزاول المدرسة وهو في اوائل الحادية عشرة  
من العمر، وتولى الكتابة في الكرك براتب مثني قرش، ودرس حينئذ مبادئ اللغة التركية  
فحصل منها في مدى بضعة اشهر ما لا يدركه غيره في بضعة اعوام حتى اصبحت مقتدرراً على  
التكلم والانشاء فيها والترجمة منها واليها يشهد لذلك تعريبه لتقصيدة المرحوم كمال بك  
في مقتل ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان ملتزماً فيها الروي والتافية والبحر واللفظ  
التركي بعينه. فاما الاصل التركي فهو

دين ودولت خائني بر قاج ملاعين يزيد ايلالم حضرت عبد العزيز خاني شهيد

واما التعريب فهو

خانة للدين والدولة من قوم يزيد قتلوا عبد العزيز المرتضى فهو شهيد

وتعريب القصيدة بجملتها وارد في سياق هذه المنتخبات.

وقد كان ما اظهره من النجابة والحذق على صغر سنه في تعلم هذه اللغة بزمن قصير  
وفي ما عهد اليه من الاعمال وسيلة الى زيادة راتبه وتدرجه في الوظائف مكافأة له على  
اجتهاده، وبعجاباً بد كانه على ان ذلك كله لم يكن مما يشغله عن شأنه الذي خلق له، بل كان  
في ساعات الفراغ والراحة ينظم التصانيد والموشحات، ويقرأ الكتب الانشائية في اللغات  
العربية والفرنسية والتركية، ويراسل اهل الفضل والمجلات الادبية وله في السنوات  
الاولى من مجلة الجنان عدة كتابات والغاز ادرجناها في هذه الطبعة الرابعة الموعول عليها

دون سواها مع كثير من كتاباته ومنظوماته بما لم ينشر في الطبقات السابقة  
وما أتم الثانية عشرة من سنه، حتى كان له ديوان من الشعر تزيد آياته على الألف  
منها القسم الكبير في الغزل والنسيب، والقسم الآخر في المدح والتمتاع والثناء، وسائر ضروب  
النظم، عثت بكثرة تصريف الدهر مما استعود إلى ذكره فلم يبق إلا قسم منه ظهر  
بعضه في نسخة الدرر الأولى وأوردنا بعضه الآخر في هذه النسخة. ومن نظمه في أوائل  
صباه وقد اقترحت عليه بعضهم أن يصفها وصديقه لها قوله مبدعاً

وإذا القريض أرذت وصف كما به لم يدر أيكما بحسن تفضل  
ما فيكما عيب يشين وإنما كل باعين عاشقها أجمل

وفي السنة الخامسة عشرة من عمره، استقدمته والده إلى بيروت بإوانه في خدمة البريد،  
فاستعرف فيها إلى جملة من الأدباء والشعراء الأفاضل كالشيخ فضل القصار ومصباح  
افندي رمضان و بولس افندي زين وله معهم مطارحات أدبية، ومراسلات شعرية، أكثرها  
في الدرر وهي تدل على ما كان عليه رحمه الله من البهامة وسرعة الخاطر وتوقد الذهن  
وجودة القريحة وثبت له السليمة الشعرية

ثم اضطرت له الحال مكرهاً إلى أن يعود إلى مهنة الكتابة في كرك بيروت ولكن ما  
لبث أن زایلها إلى المقام الذي عمل به المهتم، وتغلو النجم حيث نزعته به نازعة العلى إلى  
الاشتغال بفن الكتابة، والانتصاب على الإنشاء، فتولى تحرير جريدة التقدم بعيد نشأتها  
الأولى زمناً غير قصير، وقد ظهرت يومئذ بمظهر جديد من طلاوة العبارة وكان له فيها  
فصول انشائية، ومقالات سياسية وأدبية، دلت على أن هلاله سيصير بعد ذلك الحين بديراً  
كاملاً. وفي خلال قيامه بإنشاء الجريدة وهو في السابعة عشرة من العمر، ترجم قسمًا من معجم  
المعاصرين (Les Contemporains) باقتراح صاحب التقدم الآن وسائله المادة منعت  
من اظهار هذا الاثر إلى عالم الوجود. وألف كتاباً سماه (نزفة الاحداق في مصارع  
الشاق) طبعه وقدمه إلى احد وجهاء بيروت. وترجم لصاحب التقدم أيضاً عن الفرنسية  
كتاباً في الاخلاق والامارات، وكتباً بصحياً طبعا يومئذ وكلاهما غفل من توقيعه وانتسابهما  
اليه. وله عدة قصائد ومقاطع في ديوان صاحبه المسمى (انيس الجليس) ثم دخل جمعية  
زهرة الآداب واقام فيها عضواً، ثم رئيساً يلقي على مسامع اقرانه واخوانه الخطب البليغة،  
والمباحثات الادبية المفيدة وينظم القصائد الرنانة، وتشارك بعض الاعضاء في تأليف  
رواية للجمعية دعوها «الحادثة الصينية». وفي أوائل سنة ١٨٧٥ انتدبه جناب الفاضل  
سليم افندي شحاده لمشاركته مع رصيفه المرحوم سليم الخوري في انشاء آثار الادهار

فأبى الطلب واشتغل في تأليفه عاماً وبضمة أشهر وكان عامته في التاسعة عشرة من العمر .  
وله في ثلاثة أجزاء منه فصول تدل على طول باعه ، وسعة اطلاعه ، وغزارة مادته ، وبلاغة  
عبارته . وفي خلال ذلك عرّب رواية اندروماك عن راسين الشاعر الفرنسي المشهور  
اجابة لطلب قنصل فرنسا قترجمها ، ونظم اشعارها ، ورتب الخاتمة ، وعلم ادوارها في مدى  
ثلاثين ليلة ، ورفعها الى حضرة القنصل فمثلت إرفاداً للبنات اليتامى ثلاث مرات فتأتى من  
رابعها خمسة وثلاثون الف قرش . ثم شارك صديقه المرحوم سليم النقاش في تأليف  
وتعريب بعض الروايات التي مثلت في القنصلين السوري والمصري . ولم يلبث ان يمّم  
الاسكندرية باشارة صديقه المشار اليه ، وفيها اصلىح رواية اندروماك وحلأها بايات جديدة  
من الشعر الرائق ، وعرّب رواية شارلمان ، وألف رواية ثالثة سماها غرائب الاتفاق سُرقت في  
جملة ما سرق من كتاباته من منزله في الحدث . وقد مثلت هذه الروايات في الاسكندرية  
عدة مرات فحصل لها وقع عظيم ، ونالت من استحسان القوم حظاً وافراً . ثم نزع الى ما هو  
اعلى من فن التمثيل وارقى ، وهو المقام الذي اعدته له الاقدار ، فقصده المحروسة حضرة البلاد  
المصرية ولازم فيها حيناً من الزمن العلامة الفيلسوف الطائر الشهيرة المرحوم السيد جمال  
الدين الافغاني ، فكان يحضر حلقته ، يأخذ عنه دروساً في الفلسفة الادبية والفلسفة العقلية  
والمنطق وغير ذلك من الفنون والعلوم العليا . وفي اثناء ملازمته لجمال الدين رغب في  
انشاء جريدة عربية في مصر باسم « مصر » فنال امتيازها ، وهياً موادها في يوم واحد ولم  
يكن في يده اكثر من عشرين فرنكاً . وفي اليوم الثاني برزت تجلى سيفه ابهى مطرف من  
مطارف البلاغة في مقالاتها الانشائية .

ولما رأى من اقبال الناس على جر يده ما يشد الازر ، تقل ادارتها الى الاسكندرية  
شاركاً في تحريرها المرحوم سليم النقاش فلقبت نجاحاً عظيماً ، وطارت شهرتها في الافاق  
لانها كانت مسطع نور البلاغة ، واسطة عقد الانشاء . اتيقة العبارة ، واضحة الاشارة ، مخرصة  
للدولة والامة ، خدمت البلاد المصرية خدمة تذكّر بما كانت تنشره من المقالات الاخلاقية ،  
والفصول الضافية في تعريف الوطنية ، والدعوة الى الاعتدال في الحرية ، كما انها خدمت  
اللغة خدمة توثرت عنها بما كانت تأتي به من الكلمات العربية ، للمصطلحات الافرنجية . ثم  
انشأ كلاماً جريداً « التجارة » فاصدرها يومية وابقيا مصر اسبوعية ، فراجت بهما  
سوق الآداب ، وبضاعة الانشاء ، وكانت من اقوى دعائم النهضة الادبية ، اذ سلك على طريقهما  
اكثر الكتاب ، واتبع طريقتهما اهل الفضل ، ونسج على منوالها طلاب الانشاء ، واختلفت  
بسببهما ام الرب التحرير عمماً كانت عليه قبل ذلك العهد من التقييد والتقييد . واخذ

الصحافيون بناتقون في كتابتهم، وبالغون في تنقيتها من ادران الركافة واللحن ولا سيما في  
 التعريب، لانهما كانتا نثقيان كتابات الصحف، وتهديانها في انتقاء الالفاظ سواء السبيل .  
 وطراً على مصر من الحوادث ما الجأه الى الارتحال منها فساغر الى باريس وهناك  
 انشأ جريدة سماها القاهرة، وقد صدرها بهذه العبارة « ما تغرت الحقيقة بتغير الرسم ولا  
 تغيرت الصحيفة بتغير الاسم بل هي مصر خادمة مصر » ثم ما لبث ان عدل الى اسمها  
 الاول، فاصدرها باسم «مصر» كتب فيها فصولاً متناهية في البلاغة اضربنا عن نشر اكثرها  
 لما فيها من آثار حدة المزاج في توجيه الخطاب الى بعض المقامات العالية وهو ما اشترنا اليه  
 في مقدمة الطبعة الاولى حيث اعتذرنا عن ايرادها بقولنا اننا توخينا نشر آثاره متخبة  
 من فصوله ومقالاته واشعاره ورواياته ورسائله ومصنفاته مجردة مع ذلك من كل ما جاء  
 ناشئاً عن الحدة، او حاملاً عليه نزع الشباب .

ومن حين الى حين كان يكتب مقالات عن الشرق في بعض الصحف الفرنسية،  
 والف كتاباً سماه « تراجم مصر في هذا العصر » فقد في جملة ما فقد من آثاره . وقد  
 حصلت له في باريس حظوة موصوفة باقلام بعض كتاب الجرائد الباريسية ، وصاحب  
 جريدة «مشورة» التركية التي كانت منشأة في تلك العاصمة . وتعرف فيها ببعض الكبراء من  
 رجال الدولة الفرنسية، وبعض العلماء والادباء، وحضر في مجلس النواب جلسات كثيرة،  
 فزادته خطب البلغاء منهم اقداما على الخطابة . ودخل مكتبة الامة فيها فطالع عدة مؤلفات  
 من المخطوطات العربية القديمة ونسخ منها نثقا كثيرة .

وكانت صحته في الاسكندرية قد تعرضت للمؤثرات بسبب عصبية مزاجه وما كان  
 عليه رحمه الله من قوة التصور، وبداحة الخاطر، وحدة الذهن، واباء النفس، وعلو المطمح  
 وما كان يحول في طريق مبادئ الحرية، وقواعد الصحیحة من العقبات التي عززتها ثقلبات  
 الزمان، وايدها ابناه الدهر . فلما ذهب الى باريس اتفق ان يردها كان قارسا في منتهى الشدة،  
 حتى هبط ميزان الحرارة الى درجة الثلاثين تحت الصفر ولم يكن على اهتمام بصحته التي  
 جعلها وفقا في سبيل الخدمة العمومية، فأصيب هناك بعللة الصدر، وتألم منها مدة الشتاء .  
 ثم عاد الى بيروت مصدورا فعهد اليه صاحب التقدم في تحرير جريدته فتولّى كتابتها للمرة  
 الثانية، وكان له فيها فصول رائقة، ومقالات شائعة، تشهد بمكانه من صناعة الانشاء . حرية  
 بان يمتدني على مثالها الكاتب، ويسج على متوالها المنشى . واقام على ذلك نحواً من سنة فلما  
 حصل التنوير والتبديل في الوزارة المصرية او اخر سنة ١٨٨١ عاد الى مصر مدعوا اليها  
 فودعه اصحابه وخلانه بنفوس آسفة على فراقه فلم يكن يمت قلب غير مائل الى استصحابه

وكان في جملة من ودعه من الوجوه الادباء سعادة حسن افندي بيهم قائلاً له ساعة الوداع  
انا نودع روحنا وفؤادنا ومع الاديب نودع الادابا

فاجابه بقوله «ليس يقاينك وداع للاداب» ثم اتى القاهرة فعين ناظر القلم الانشاء  
والترجمة بنظر المعارف، ورخصت له الحكومة في العود الى نشر جريدة «مصر» فاصدرها  
اولاً في شكل كراسة، ثم اعادها الى مظهرها الاول باربع صفحات، وعين علاوة على وظيفته  
الاولى كاتب اسرار لمجلس النواب. وفي خلال ذلك نال الرتبة الثالثة واستلم برآئتها يد اييد  
من ساكن الجنة الخديوي السابق ثم احل امتياز الجريدة الى المترجم تفرغاً لمهام وظيفته.  
الا انه كان بالرغم عن قيده بالخدمة، وعمماً كان عليه من الاعتلال، يكتب القسم الاكبر  
منها. ومما اتفق له رحمه الله انه لما التمت له الرتبة المشار اليها سعى احداهم في ابغار  
صدر الخديوي عليه فيحول بذلك دون صدور البراءة، فاتصل نياً السعاية بصاحب الترجمة  
وكان مريضاً ملازماً فراشه، فهب على الفور متأثراً منفصلاً يغالب المرض والضعف وجاء  
ادارة المطبعة التي كانت تطبع فيها جريدة مصر وهي في عهدة محرر هذه السطور، فرأى  
الجريدة تحت الطابع نامتوقف طبعها، وكتب يبضع دقائق مقالة عنوانها (الجاوسية)  
يستحيل على غيره ان يكتبها في بضع ساعات، وصف فيها الرجل الذي سمى وتم عليه وصفاً  
تصوره برباً ببلانة تزري بالدرر النوال، وبيان هو السحر اخلال. وقد كان لها رنة في مصر  
ووقع عظيم، حتى بيع من العدد الذي نشرت فيه ما يزيد على التي نسخة في القاهرة وحدها  
ولما طرأت الحوادث العسكرية، وكان من اصحاب الدعوة الى الاعتدال، عاد الى بيروت  
في جملة المهاجرين الى القطر السوري وبعد ان حل الانكليزي في الاسكندرية وساد  
الامن على ربوعها، جاءها مرة اخرى في الناس شأنه الاول فلم يحصل عليه، فأبعد الى بيروت  
بعد ان اودع السجن بضع ساعات نظم في خلالها ابياتاً ذبل بها تصيدة في مدح المنفور له  
سلطان باشا منها قوله

أمولاي هذا نظم حز وتلوه	كلام سجين اوثقت المائر
اتوه بنكر هو للعرف مرجح	وجازوه بالخذلان وهو مناصر
أبعد ذو فضل ويذني منافق	ويُسجين واف حين يعلق غادر
ويكرم جاسوس عن الصدق حائد	ويظلم هام على الحق سائر
ويرفع نمام عن الرب كاشف	ويخفض كتام على اليب سائر
(بذا قضت الايام ما بين اهلبا)	معايب قوم عند قوم مفخر
على انني والشين تاباه شيمتي	لراض بعقبى ما رفيت وصابر

١٨١٦  
١١٤  
ص ١٠

فان لم تفدني للوفاء اوائل<sup>١</sup> عقدت رجائي ان تفيد الاوخر<sup>٢</sup>  
وما ارتجيت فيه من الناس نائلاً<sup>٣</sup> ولكنني للبر والعرف ذاكراً<sup>٤</sup>  
ولما عاد الى بيروت، تولى فيها تحرير جريدة التقدم للمرة الثالثة وخلال ذلك طبع رواية  
الباريسية الحسنة التي كان قد عرّبها في اوائل صباه فجاءت في البلاغة آية من آياته  
البيّنات. وقد روي عنه رحمه الله انه زار العلامة الشهير المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي  
ويده نسخة من الباريسية هدية اليه فوقع نظره وهو في بيت العلامة المشار اليه على  
بيتين كان قد نظمهما وكتبهما على رسم له<sup>٥</sup> ليقدّمه هدية الى احد اخوانه وهما  
رسم بلوح به سقمي بحكم<sup>٦</sup> وفي الاضالع وجد ليس برسم<sup>٧</sup>  
الروح في يدكم والله ما برحت منذ القديم وذنبا الجسم فاسلموا  
واتفق ان صاحب الترجمة كان قادماً من محل مصور اخذ رسمه بالفوتوغراف وسلمه المرسوم،  
فاستأذن الشيخ باقتباس معنى بيتيه ونظم بيتين به، وكتابتهما على احد تلك الرسوم، فأذن  
له في ذلك فكتب من فور وعلى الرسم هذين البيتين

يا من اذا غاب عني اقول يا روح روحي

اهديك رسمي كاني اتبعت جسمي بروحي

فتلطف العلامة المشار اليه قائلاً له « من سرق واسترق فقد استحق »

ثم اشتدّت عليه علّة الصدر، فاشار عليه الاطباء بالذهاب الى مصر مستفيداً من  
ملازمة هوائها لصحتهم، فالتمس الاذن في الرجوع اليها بواسطة المفقور له سلطان باشا، ناجيت  
الحكومة المصرية ملتمة، فاناجيا واحداً اهلها محلة من التجارة والاكرام. فاقام في مصر اياماً قليلة  
ثم عاد الى الاسكندرية فصرف بضعة ايام في محطة الرمل التماساً للعافية، ولكن ضاقت عليه  
سعة العمر، فلما لم يرج الاطباء له شفاء اقتنعه بالعود الى اهله في ثغر بيروت فعاد اليها وذهب  
تواً الى مصيفه في الحدث في جبل لبنان. ولم يمض على عودته ثلاثون يوماً، حتى توفاه الله  
غير متجاوز من العمر تسعة وعشرين ربيعاً. <sup>٨</sup> <sup>٩</sup> <sup>١٠</sup> <sup>١١</sup> <sup>١٢</sup> <sup>١٣</sup> <sup>١٤</sup> <sup>١٥</sup> <sup>١٦</sup> <sup>١٧</sup> <sup>١٨</sup> <sup>١٩</sup> <sup>٢٠</sup> <sup>٢١</sup> <sup>٢٢</sup> <sup>٢٣</sup> <sup>٢٤</sup> <sup>٢٥</sup> <sup>٢٦</sup> <sup>٢٧</sup> <sup>٢٨</sup> <sup>٢٩</sup> <sup>٣٠</sup> <sup>٣١</sup> <sup>٣٢</sup> <sup>٣٣</sup> <sup>٣٤</sup> <sup>٣٥</sup> <sup>٣٦</sup> <sup>٣٧</sup> <sup>٣٨</sup> <sup>٣٩</sup> <sup>٤٠</sup> <sup>٤١</sup> <sup>٤٢</sup> <sup>٤٣</sup> <sup>٤٤</sup> <sup>٤٥</sup> <sup>٤٦</sup> <sup>٤٧</sup> <sup>٤٨</sup> <sup>٤٩</sup> <sup>٥٠</sup> <sup>٥١</sup> <sup>٥٢</sup> <sup>٥٣</sup> <sup>٥٤</sup> <sup>٥٥</sup> <sup>٥٦</sup> <sup>٥٧</sup> <sup>٥٨</sup> <sup>٥٩</sup> <sup>٦٠</sup> <sup>٦١</sup> <sup>٦٢</sup> <sup>٦٣</sup> <sup>٦٤</sup> <sup>٦٥</sup> <sup>٦٦</sup> <sup>٦٧</sup> <sup>٦٨</sup> <sup>٦٩</sup> <sup>٧٠</sup> <sup>٧١</sup> <sup>٧٢</sup> <sup>٧٣</sup> <sup>٧٤</sup> <sup>٧٥</sup> <sup>٧٦</sup> <sup>٧٧</sup> <sup>٧٨</sup> <sup>٧٩</sup> <sup>٨٠</sup> <sup>٨١</sup> <sup>٨٢</sup> <sup>٨٣</sup> <sup>٨٤</sup> <sup>٨٥</sup> <sup>٨٦</sup> <sup>٨٧</sup> <sup>٨٨</sup> <sup>٨٩</sup> <sup>٩٠</sup> <sup>٩١</sup> <sup>٩٢</sup> <sup>٩٣</sup> <sup>٩٤</sup> <sup>٩٥</sup> <sup>٩٦</sup> <sup>٩٧</sup> <sup>٩٨</sup> <sup>٩٩</sup> <sup>١٠٠</sup>  
وقد وقع يوم وفاته حادث من بتايا العصور المظلمة كاد يترتب عليه اثر سيئ فان  
الكاهن الذي انتدبه اهله للضلاة عليه، والقيام بواجباته الدينية، امتنع عن مرافقة الجثة  
وادخلها البيمة، ما لم يكتب له والدنا كتاباً يخلفه وتحت توقيمه، مؤكداً فيه ان ولده  
كان كاثوليكياً وانه مات كاثوليكياً لان بعض زملائه ممن اصلاهم في حياته ناراً حامية  
كانت صدورهم موعرة عليه حقداً فانتهزوا فرصة جهل الكاهن واغروه بان يفعل ما  
فعل تشفياً وانتقاماً من جثته الباردة، لم يراعوا حرمة الميت، ولا اخذتهم عاطفة الخنان على

والديه الشاكين، بل دفعتهم القسوة الى تلك المعاملة التي كادت تجعل فئنة بين اصحاب  
الفقيد وبعض اعوانهم الجهلة. وعلى اثر هذه الجلبة والاهتمام بتلافي ما هو حاصل اجتناباً  
لما يمكن ان يحصل تمكن بعض الخونة من اخفاء كثير من آثاره وكتاباتهِ وخطبه وتآليفهِ  
السابق ذكرها مما كان عازماً رحمه الله على اعادة النظر فيه وطبعه.

وكان رحمه الله طويل القامة والعنق مع انحناء قليل، ابيض اللون، براق العينين،  
عريض الجبهة بارزها، جهوري الصوت، طلق اللسان، ثبت الجنان، لطيف الحديث، ذكياً  
نبيهاً مقداماً حادّ الذهن، ابي النفس، سليم القلب، حسن الطوية وكان كما وصفه صديقه  
الوفى الكاتب الفاضل الشيخ اسكندر العازار «راية في علم اللسان، وآية في صناعة البيان»  
وغاية في حب الانسان، وكان فتى لا كالفثيان، جريئاً في الحق ما اخذته فيه لومة لائم  
وما رهب فيه وعيداً، بل ما كان له شعاراً في مثل هذه الحال او مثلها من الاحوال،  
الأقول من قال

واذا لم يكن من الموت بدٌ فمن العجز ان تموت جباناً  
عاش حرّ الضمير فكراً وقولاً وعملاً، ومات حرّ الضمير فكراً وقولاً وعملاً. نشأ وطنياً  
خالصاً صحيحاً وعاش جندياً لاشرف الاصول واسمى الغايات. وانفق في خدمتها من روحه  
ما كان ينفخ في القلم من الروح، وجاهد جهاداً جندياً بنفسه كبيرة اعيت بدنه وقوت  
اركانه فصح فيه

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام  
كان زهرة الادب في الشام، وريحانة العرب في مصر، وكان للوطنية نصيراً، وبالانسانية  
بشيراً، ولا عدائها نديراً»

او كما وصفه صديقه ورفيق حياته المرحوم سليم نقاش «واسطة عقد الخطباء فصيحاً  
بليغاً قوي التصور، حادّ الذهن، حاضر الفكر، سريع الخاطر، متميز الحجة، صحيح البرهان ثابت  
الجنان. وكان واسع المعارف طويل الباع في السياسة والمباحث العلمية والمنافشات اللغوية  
والمساجلات الادبية، والمدح والهجاء والتأبين والثناء، وحسن الرواية، واحكام طرق الاخبار  
والحكائية، والتفنن في اساليب الجد والمزلة والهجاء والرجاء واللوم والعتاب، والتنصل منها  
بما صحه الخلاق والاحباب، والمنازلة والمداعبة والحزن والطرب وسائر فنون الادب. وكان  
شاعراً بليغاً مبتكراً مجيداً مؤثراً مرتصاً مطرباً محزنّاً مبكياً يلعب بالعقول بين الرقة  
والانسجام، ويأخذ بالالباب على ابداع نظام في نظم الكلام. وكان موصوفاً بركة الجانب  
ولطف المحاضرة ولين الطباع وحسن الوفاء سريع التأثر والانفعال طيب القلب سليم النية

عبري الصيت مسكي - السمعة مستقيم الشأن رضي الخلق لا يتولاه الحسد ولا يمتلكه  
 الطبع، ملتهباً غيرة على أبناء جنسه عزيز النفس ايها، طاهر السريرة، انوفاً من غير كبريا،  
 مقداماً صبوراً بلا عجب ولا خيلاء، حكيماً ذكياً سمح اليدين سخياً محسوداً على ما كان  
 فيه من انجابه والنباهة مشكوراً على ما كان مفطوراً عليه من النزاهة « اه  
 وقد اشتهر رحمه الله خصوصاً بالخطابة والانشاء فكان اذا خطب افسح وابدع، لا  
 يترك لاحد مقالاً، ولا يبتغي لنا قدر بجالاً، يهتز له المنبر، وتنقاد له المعاني والالفاظ آخذاً  
 بعضها برفاق بعض .

وكان قدوة المذثئين، وعمدة الكتاب، ونابغة من نوابغ القرن التاسع عشر. ولو فسح  
 الله في عمره لخدم الاوطان خدماً قل ان يستطيع سواه مثلاً وبالجملة فهو آية من آيات  
 القدرة، ومهجرة من معجزات الحكمة

ومن محاسن نظمه وفيه سلامة الاختراع بضعة آيات ارسلها الى احد الكبراء بمصر وهي

مدحتك لا املاً بالنوال وان كنت ممن ينيل الامل  
 ولكن رأيتك فذاً بارض همي كلُّ فضلٍ بهما للهمل  
 تقول وتفعل ما قلته وما كل من قال قولاً فعل  
 وشمّت القريض كثير الكذاب ونجم الحقيقة عنه اقل  
 فجت بمدحك اصدق فيه ارادة اصلاح هذا الخلل  
 وله من قصيدة نظمها في أيام صباه

ايها الظبي الى ما ذا التجاني وعلى ما  
 قد سلبت البدر والغصن محياً وقواما  
 وتخذت الراح والبرق رضاباً وابتساما  
 وجعلت الفرق والفرع صباحاً وظلاما  
 فلذا تهدي وتفوي بمانيك الاناما

ومنها يا كثير الفضل قد ذلت للشعر الكلاما

فراينا لك شعراً علم السجع الحماما

ومنها يا صديقي واليالي تلبس الرأس الثغاما

كيف ترجو النظم ممن زود العشق سلاما

وتامى عهد ظبي سلب الرشد الاناما

سدل الشعر فقالوا التحف البدر الغاما

وغدا يبسمُ حتى كشف البدرُ الظلاما  
ومنها قد مضى عهدُ غرامٍ كان في القلب خراما  
وهجرتُ الشعرُ لما احتضم العمرَ احتضاما  
وعجيبُ شأنُ طفلٍ رام في المهدي الفطاما

وله قصيدة طويلة نظمها بعد حوادث سنة ١٨٨٢ في وصف تلك الحوادث ثم رفعها الى  
المرحوم شريف باشا رئيس الوزارة المصرية اذ ذلك وهي من غرر النصائذ قال في مطلعها

عج بي على تلك الطلولِ ونادر  
هل صادم شرك الردي فبادم  
ما غادروا الاوطارَ في اوطانهم  
مد حاذروا غدرَ الزمان العادي

ومنها يا وارد الاسكندرية طامعا  
اقصورا خفيت عن الانظار ام  
ما عمزت ام دار ذي الاوتاد  
والخوف منها مبعث القصار

ومنها كانت ملاذ الخائفين فاصبحت  
كانت مراتع نعمة فعدت وما  
فابادها جهلٌ خفي ما بدا  
جهل الذي رام الالمانى وهي في  
وعدا وما لقي الثعالب عمره  
وسعى الى السورى ولكن خالما

وقوله شتيت بزله الجوع وطالما  
وتلاه في سبل القواية معشر  
غرسوا الجنابة في الجنون فما جنوا  
خلعوا الشعار المستعار من الحيا

ومنها فانا هم رعد المدافع مبرقا  
وسطوا على المستأمنين خيانة  
ورموا بنارهم الديار وبددوا  
نكر عرفنا منه ان لبعضهم  
ونقيصة يسى بها ابناؤهم

فتبواعن الابرقي والارعاد  
لم تشف منهم غلة الاحقاد  
ما استجمعت من طارف وتلاد  
بز اللصوص وبزة الاجناد  
لمقابر الآباء والاجداد

الى ان يقول

يا هولاء من ساعة مرت بما  
كم حامل خرجت بها محمولة  
ومصونة نفسا نقول لصحبها  
ومباهاك يدميه لمس حريره  
ومعمر لم يبق في الدنيا له  
ونشروا عراة واجفين فيومهم  
والنار موقدة سرت من خلفهم  
والجند شردهم قتال تدوم  
ونضوا على اهل السبيل بواترا  
فهم اللصوص وانهم قداوهموا  
وبلادهم قد نالوا من عارهم

ومنها

ومنها في التخلص

عبت فلولا السابقون ومجدهم  
ومؤيد ملك امير عادل  
وعصابة كانت فلاندهم فضلهم  
لم تلتقي في مصر وعزيرة

وبقاءه من ولدوا من الاجساد  
اربي بمفرده على الاعداد  
ابهي من الاطواق في الاجياد  
من قائل هذي البلاد بلادي

ومن رسائله الدالة على حسن بيان رسالة بعث بها الى صديقه سعادة عبدالسلام باشا الموليحي  
بمصر وهي

لولا دلالة القلب على صفاء الوفاء، وهداية النفس الى بقاء الاخاء، لغالبت الشوق في  
استطلاع اخبارك منك، ووقفت القلم على شكوى هجرتك اليك، مخافة املاك بما انت غني  
عنه، وكراهة اعنائك بما انت زاهد فيه، ولكني عهدت بين جنبيك قلبا لا يحوله تغير  
الاحوال، ولا يبدله كرور الايام والليال، فانا مخاطبه بما يمليه الشوق على رضيت ام غضبت،  
وسكت ام اجبت

اي قلب من نجت ونكرم، ونجلى ونعظم، لقد اتصلنا منك باسباب مودة، واعتلقتنا فيك  
باحداق صداقة، فهل انت ذاكر معاهدنا بذات الوفاء ليالي هجرنا الرقاد اليك، وقصرنا الوداد  
عليك، ورضيتك من الدنيا نصيبا، واخترناك من العالمين حبيبيا، كيف لا وقد لازمك الصفاء،  
وصافاك الوفاء. فصفت على كدورات الايام ووفيت على خيانة الانام، فان عدلت وما عدلت

فيلي الدنيا السلام . اه

وله جواب على كتاب ارسله اليه صديقه الفاضل اديب افندي نطسي من دمشق وهو  
يا سيدي بل يا اخي فالأخاء واجب عرفناه . والسيادة حكم ما اعترفناه . والادب  
رحم تنظيها الكلفة . والكلفة لبسة تمنعها الالفة . والالفة بيننا معقودة اسبابها بالصفاء  
عالقة اهداهاها بالوفاء

فيا الف اخي خطاباً لا امل لفظه . ولا اعمل حفظه . لقد سمعتني بكتابك ما لا اطيق .  
واستعبدتني بحرف كلامك الرقيق . فمن لي بالرفة التي حوت . والمزية التي ملكت . والفضل  
الذي اصبت . والكمال الذي ادركت . لا خاطبك بلسانك . واكاتبك بمثل بيانك . ولكن ما  
لا يدرك جلّه لا يترك كانه ولكل درجات مما عملوا

فما تجود بدّ الأسماء وجدت . ولا تكلف نفس غير ما وسعت  
ولست اعتذر اليك فيما كان ظهوره منك ولكن الود بجملك . من حكم علمك . واعوذ  
بفضلك . من مهم عدلك .

أما الصديق (فلان) فقد جعلت صحيفته البيضاء ميثاقاً عليه انه اتخذ محبة صديقاً  
ورضي به خليلاً لا يملّه ولا يروم عنه عدولاً . ثم سجلته في محكمة الوفاء تسجيلاً واشهدت  
عليه من اهل العهد شهوداً عدولاً . (١) وأما الصديق (فلان) فقد عدت سكوتة  
خطاباً، يكون لكتابي السابق جواباً، لا يواخذني فيه على ان وحدت ثلوثكم وما افردت  
لاقتومه كتاباً، بل يعد ما صدر عن واحد منبثقاً عن الكل بالاتفاق، وإن لم يكن من  
القائلين بكليّة الانبثاق (٢)

فتفضلوا جميعاً ببول سلام يمتزج به القلب وتحد به النفس شوقاً اليكم يا احب الناس  
الينا ويا اكرم المخلوق علينا . اه

وقد اجتزأنا بقليل من رسائله البليغة دلالة على سائر ما وعلى ما اوتيه من بلاغة العبارة  
ورشاقة الاسلوب وحسن البيان فتبارك الله الكريم الوهاب، يمنع من يشاء ويعطي من يشاء  
بغير حساب .

الاسيف

عوفي اسحق

(١) المكنى عنه بفلان في هذه الفترة هو نعيان افندي الشراي وسر الصحيفة البيضاء  
المشار اليها في الكلام عنه انه بعث اليه بكتاب لا يتضمن سوى اسمه في مكان التوقيع .  
(٢) المقصود بهذه الاسطر هو جبران افندي لوبس والنكتة فيها ان الفقيه ارسل  
اليه والى نعيان افندي واديب افندي كتاباً مشتركاً فاجابه الاخيران وامسك هو عن الجواب

## ترجمة حياة الفقيه الاويب

عن الطبعة الاولى

بقلم حضرة الكاتب الفاضل والمنشي البليغ

جرجس افندي مخائيل نحاس

## هو الطي الباني

اي متنتني هذه الصفحات أبارك الله من لطفه المحزون على فراق العزيز الهاجر ، هجر ساعة  
الصفاء في اليوم الغابر . وحماك الله من لوعة الكئيب الصابر ، صبر الضيف على حكم القدر  
السائر . ووقيت غدر الزمان ، وصرف الحدثنان ، ونوازل الايام ، وما رأيت من عبر الدهر  
بالانام . وعفيت من كلمة المتوجع ، ووقفه المتفجع ، وغصة البكاء وترديد الرثاء . ثم لا اراك  
الله مصاباً تجده فيه بالثلث مثلي ، ولا اذاقك كما سأ تنشد بمد تجرعه قولي

جمد الماء رهبة وارتياعا	وجري الصخر أنه والتياغا
وضياه الهنا استحال ظلاما	والى المحو مطلقا قد تداعى
مذ هوى من مشارف المجد طود	راسخ جاوز السماء ارتقاغا
يوم هول بكاهنا اشتد فيه	فملانا من الدموع البقاغا
فيه خلنا من الاسى كل طفل	ناثقا قبل ان يتم الرضاغا
لفراق الاديب من كان يرعى	محض ود وقد غذا لا يرعى
بجلول القضاء بالموت بالرز	ء الالم بما ابتلانا وراعا
يا ترى هل ترى ودودا صفيبا	ليس من بعد الخطب يشكو الصداغا
ايها الراحل العزيز المفدى	قف قليلا لتستزيد الوداغا
من بنان يعنو اليراع لديه	من لسان به ملكت السماغا
من بيان استغفر الله هو السحر	له تسجد العقول انصياغا
كيف تنأى وقد تركت نفوسا	لتمنى نزعا وبعد انزعاغا
لا وحق الولا لم يبق منا	من يرجي من الحياقر انثفاغا

بعد خطب اقل ما فيه زوي كل نفس اليك طارت شعاعا  
 بعد رزه بكت عليك المعالي فيه والياس قد تولي البراعا  
 اي عين تكفكف الدمع والحجر طويل رغبت فيه انقطاعا  
 اي قلب لم يجرح اليوم والصدء بعيد لومت فيه امتناعا  
 آه لو كنت تنظر النوم خلف السعش يرجون بالفقيد اجتاعا  
 بك يا من اضاعه العلم مأسو فآ عليه واي ذوق اضاعا  
 كم رأينا يراعك الحر في كل مجال جرى بروم اتساعا  
 وسمعنا على المنابر من فيك الخطاب البليغ يشفي الصداعا  
 ورأيناك في الجدل إماما ومن الترت فيه اطول باعا  
 وعرفتاك في السياسة بالأو طاب تخشى على الحقوق الضياعا  
 ما ذكرناك حق ذكرك في الاقوال فضل الاديب ذاع وشاعا  
 ان رأينا سفينة في بحار الجسد تجري حسبت انت الشراعا  
 أو بسوق الاداب رمت اتجارا كمت في القوم من شري ثم باعا  
 يا حبيباً صفاله الوقت في عم ر نصير ولاترقي استطاعا  
 لكن الدهر لم يدع من سبيل فيه تزداد عزة وأرتفاعا  
 هكذا الناس بين حر وحر قبل ذا قد مضوا تباعا مراعا  
 وكذلك الباقون يمضون طرأ بعد ذا للثرى ثلاثاً رباعا  
 فنصبر يا قلب فالموت عبد منفذ لاله امراً مطاعا

كفي وما كنت لامسك في الرثاء عن الزيادة لولا ان بمض السادة الفضلاء قد  
 وفوا الفقيد حقه من الوصف في صدق البيان كما يرى القاري اللبيب في باب اقوال  
 الجرائد وقسم مرآي الشعراء الذين اولونا من فضلهم غنى عن بقية الرثاء بما شهدت شهرة  
 آدابهم لادينا المفقود مما لا يسع هذا المقام له ذكراً

واقدم كان في النية على عهد الصديق الخالدة له في الفواد آثار الاسف المبرح  
 عزيرنا المرحوم سليم الدناش ان نجتمع شتات ما ترك الفقيد من آثار علمه وادبه منجبة  
 من فصوله ومقالاته ورسائله ورواياته واشعاره ومصنفاته وسائر ما خطبه باللسان وخطه  
 بالبنان مجرداً مع ذلك من كل ما نشأ عن الحدة التي عرفتها بنزق الشباب في احدى  
 ملاحظاتي الواردة في هذا الكتاب ساعين الى هذا القصد من طريق حفظ تلك الآثار  
 التي لم تطبع في كتاب مخصوص ضناً بها ان تبقى متفرقة منشورة لا تجتمعها صفحات جامعة،

ولا ترعاها بعد فتند الحبيب آذان سامعة، وقد كانت للبلاغة مثالا، وللبراعة عنوانا، وعلى الذكاء والنباهة برهاننا، وكانت ولا مرأى خلافة نهى بدقة المعاني، وسلافة رقة في كوس الالفاظ فتتفيدا لهذا المشروع تحصل لنا بعض ما جل من اقواله المنشورة، وفصوله المنشورة في بعض صحف بيروت ولا سيما صحيفة التقدم التي تولى تحريرها في ازمته مختلفة فاضفناها الى ما جمعناه من منشوراته الادبية والسياسية الآخذة باسباب الاعتدال، المتجافية عن مواطن الخفاء مما هو مثبت في جرائد مصر والعصر الجديد والمحرسة والى المحفوظ من بقية ثره وشعره مما لم ينشر في الجرائد ولم تسمح له فسخة الاجل بطبعه.

ولكن حالت دون المرام اذ ذلك فاجمة السلم فبقي المشروع في طي الخفاء الى ان سحت الفرصة لهذا العاجز فانتزتها مأذونا من صاحب الحق في طبع هذه المنتخبات حضرة الصديق الوفي الاروع عوفي افندي اسحق شتيق الفتيد بعد استشارة حضرة والده الجليل معتمدا في تحقيق الامل بتعميم فوائدنا على التيهاب ارباب الذوق شوقا اليها ورغبة في اقتنائها مستندا في جمعها بكتاب مخصوص من جر يدة المحروسة حيث طبعت اقسامها على فضل حكومتنا السنية وعناية رجالها العظام وموظفيها الكرام بنشر المعارف والآداب وترويج بضاعة الانشاء لطلاب القلم العربي في ظل اميرنا الوارف سيدنا السند صاحب النوائل والعارف ايد الله سموه وعلاءه ورفع على هام الانام لواءه وكنا قد عولنا على افتتاح المجموعة بترجمة حال الفقيده مأخوذا بعضها عما نعلم العلم الشخصي وبعضها الآخر عن لسان شقيقه البارع المذكورا بصحة الرواية وقد تم لنا ذلك فلبث محفوظا في الذهن الى ان ظفر المشروع بالزمن المطلوب فاثبتنا الترجمة في مكانها من هذه المقدمة كما سيحي.

وتراكت علينا مرآتي الشعراء والادباء في ذلك الحين فكان منها ما يحكي السحر الخلال ومنها ما يزرى بالدرر العوال فاخترت من مجموعها ما ورد في قسم المراثي دلالة على مكانة الفقيده من البراعة والاجتهاد وحفظت منها لهذا المقام رثاء بليغا لحضرة صديقنا الكاتب اللوذعي اسكندر افندي العازار لعلاقته بترجمة الاديب ووصف شأنه فجملته تمهيدا للترجمة وتوطئة لها هو آت في ايراد الحقائق، من الكلام الصادق

قال:

ما طلعت على ادبنا شمس الخميس، وما عرف في صباحه وجه انيس. استحكمت منه علة الصدر فما دفع الاطباء عنه مقدورا، وما محبا الاحياء ما كان مسطورا، وما راقب الموت فيه اهلا ولا عشيرا. فتلاشي نفسا في نفس وقبضت روحه عند الغلس. فمات وعيناه

البرقيتان منفتحتان ترسلان نوراً كأنهما محدقتان الى فضاء الابدية

قضى في سفتح لبنان حيث التمس العافية من الهواء والماء، ومن ابن للداء الياء دواء .  
فاتصل نعي وفاته بيروت الآسفة فلا تسبل القلوب عما تمزق، ولا الصدور عما توقد، ولا  
العيون عما جرى، انك تكاد لا تجد الا رأساً قلنا، وصبراً مفترقاً، ودمعاً مسبقاً، وقلباً  
محترقاً، فيا لله ما هذه الولاية **الارواح** **الغرف**

كان رايتنا في علم اللسان، ورايتنا في صناعة البيان، ورايتنا في حب الانسان . كان  
والله فتى ولا كالفثيان جريماً في الحق ما اخذته فيه لومته، وما رهب فيه وعيداً بل ما  
كان له شعاراً في هذه الحال، او مثلها من الاحوال، الا قول من قال

**المسجد** واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تموت جباناً

فعاش حر الضمير فكراً وقولاً وفعللاً ومات حر الضمير فكراً وقولاً وفعللاً . يكيه  
ضمير الاحرار، وتندبه الحريرة، نشأ وطنيا خالصاً صحيحاً وعاش جندياً لأشرف الاصول  
واسمي الغايات، وانفق في خدمتها من روحه ما كان ينفخ في القلم من الروح، وجاهد  
جهاداً جنسياً بنفسه كبيرة اعيت بدنه وقوضت اركانه فصيح فيه

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

فمات شهيداً حميداً فقيداً وحق لاسمه ان يخلد الى الذرية

كان زهرة الادب في الشام وريحانة العرب في مصر فلا عجب اذا الفيت بنسيانه  
احشاء الشام شحاحاً، او لفقدانه امتلات نواحي ارض مصر نواحي اي والانسانية كان  
للانسانية نصيراً، ولاعدائها نذيراً، وبالانسانية بشيراً، فلتبكم الانسانية

ويا اخوان اديب المنتشرين في الارض مات اديب وأدرج في كفته، واصابت الديدان  
مقيلاً في بدنه، واخرسه الموت في ترابه، وحيل بيننا وبين خطابه، فابكوا ما وجدتم في  
العيون دموعاً، ولا تسألوا قبلة الوداع فقد قبلته عنكم جميعاً وقد

ودعه وودعي لو يودعني طيب الحياة واني لا اودعه

دفناه وتركناه ولو اقمنا ما تقنناه وهو من قبل قد نزع اليكم روحه شوقاً فلو صافي  
بالبقاء التحية

وانت يا شقيق الروح يا من اوحشت الدار ومن فيها . وآنت القبور وساكنيها .  
يامومين الامراء وراثي العلماء . وهاكي الادياب والكبراء . والفقهاء . يا ايها الراقده بالاحراك . بولا  
يحدر بتأبينك مواك . بيكك القلم يا اميرة . والحق يا اسيره . بيكك الاهل والاعجاب .  
فقد كنت ودوداً حبيباً . وبيكك الشعراء والكتاب والخطباء فقد كنت شاعراً و كاتباً

وخطيباً . تبكيك المجالس باخبر جليس . وتبكيك محاضرات الانس باخبر انيس . تبكيك صحف  
بهياتها . وترثيك صحف بهياتها . ولا تدل عمّن استرهن الامور باوقاتها . فترجمة حالك  
مستفصح ما كان مستوراً . تبكيك افاضل الكهنوت الحق انك كنت للافاضل عضداً  
كريمياً . تبكيك الجمعيات الادبية . تبكيك بكاء اندرومك امك زهرة الاداب ياغصنا  
نضيراً وتدقيق الذكري في كل عشية

واما الكتيب الكاسف البال رقيق صباح واعمالك واخوك في جهادك فاجثو  
بالذلة والاكثاب . عند ذلك انتراب . واستمطر دمع الدين لهما . واستوقد نار الصدر  
اسفاه . وابكيك وارثيك ما بقي لي من الحياة بقية

واقسم بوحشتك آنسها الله ، وبزبتك رحمها الله ، افي مقيم علي ولائك ، محب  
لاحبابك ، عدو لاعدائك ، لاعزاء قلبي الاسوان الا التآمي بان تجمعني واياك ظلعة ابدية  
فحسي شجوا ان اري الدار بلقعا خلاء واشلاء الحبيب ترابا (انتهى)  
وهذه ترجمة الفقيد طاب ثراه :

ولد واآسفاه عليه في دمشق الشام عام ١٨٥٦ اقلم ينظم عن الرضاع حتى ظهرت عليه  
مخائل النجاة طفلاً تخترق ذهنه مؤثرات التربية لادقها اشارة واقبلها ظهوراً ولما ترعرع  
ادخله والده مدرسة الابهاء الازريين فلتقى فيها مبادئ العربية والفرنسوية بما كان  
يزيده في اوقات الامتحان تدمماً علي اقرانه وكان استاذة في العربية يقول لايه « ان  
ابنك سيكون قوياً » اي شاعراً لان اكثر كلامه كان يرد مسجعاً عفواً القريحة وهو  
لا يعرف اذ ذاك شيئاً من قواعد اللغة ولما بلغ الماشرة اخذ ينظم الشعر كلقاً به وبغ  
الحادية عشرة دخل في خدمة الكمر كبراتب يسير واخذ يعول عائلته اذ اصابها في ذلك العهد  
سوء حال وعطلة اعمال وما اتم الثانية عشرة من سنه الزاهرة حتى كان له مدة قصائد  
وموشحات ثم عرض لوالده ان يسافر الى بيروت ودخل في خدمة البوسطة العثمانية فاستدعاه  
اليه من دمشق ليكون مديناً له في خدمته وهو في الخامسة عشرة فجاءها وتعرف ببعض  
ادباء بيروت وله مع اكثرهم كصباح افندي رمضان والشيخ فضل التمار وبولس افندي  
زين مطارحات ومراسلات شعرية وفي السابعة عشرة نال وظيفة في ادارة كمر بيروت  
ففضى فيها مدة يسيرة ثم تزعت به نازعة الهلى الى الاشتغال بفض الكتاب والانصباب علي  
الانشاء فتولى تحرير جريدة التقدم بعيد نشأتها الاولى زمناً طويلاً وله فيها فصول شائقة  
كحاله قصائد كثيرة في ديوان يوسف افندي الشلفون وكان يعرف اوقات فراغه في  
المطالعة ونظم الشعر فالف كتاباً سماه ( نزهة الاحداق في مصارع العشاق ) لم نظفر

بنسخة منه ثم دخل جمعية زهرة الاداب وقام فيها عضواً معها يلقي على مسامع اقرانه الخطب  
 البليغة والقصائد الرائقة وباحثهم في المواضيع الادبية وبعد ذلك كلفه حضرة صديقتنا  
 الفاضل سليم افندي شحاده بمشاركته مع زميله المرحوم سليم الخوري في تحرير آثار  
 الادهار عام ١٨٧٥ وهو كتاب نفيس فاشتهل فيه مدة وكان منه دون العشرين وله  
 في ثلاثة اجزاء منه فصول تدل على سعة المطلاع وغزارة مادته ولبث على هذه الحال الى  
 ان جاء الاسكندرية باشارة فقيدها السليم فساعدته في تمثيل الروايات العربية وكان قد عرب  
 في بيروت عن راسين الشاعر الفرنسي المشهور رواية اندروماك وهو في التاسعة عشرة  
 من العمر اجابة لطلب قنصل فرنسا لترجمتها ونظم اشعارها وعلم ادوارها في مدى  
 ثلثين يوماً ودفعها الى حضرة القنصل فثقت اسعافاً للبنات اليتامى ثلاث مرات فجمعت  
 خمسة وثلثين الف غرض فلما حضر الى الاسكندرية قلبها بطناً لظهور ونظم فيها ابياتاً  
 جديدة من الشعر الرائق فحصل لها وقع عظيم وهي مثبتة في هذه المجموعة مع رواية شارلمان  
 التي ترجمها في الاسكندرية ونالت من استحسان القوم حظاً وفيراً

ثم قصد المحروسة عاصمة البلاد المصرية ولزم العلامة جمال الدين افندي الافندي  
 فقرأ عليه شيئاً من الفلسفة الادبية والفلسفة العقلية والمطلق ورغب في اثناء ذلك في  
 انشاء جريدة عربية فدان له الوطر بذلك فانشأها باسم مصر عام ١٨٧٧ وليس في جيبه  
 اكثر من عشرين فرنكاً ولما رأى من اقبال الناس عليها ما يشد الازر نقل ادارة الجريدة  
 الى الاسكندرية بإشراكه في ادارتها وتحريرها فقيدها الاخر ( وكفانا الأ نسيمه )  
 فلتيا نجاحاً ليس باليسير ثم انشأ كلاهما جريدة التجارة فاصدارها يومية وابتيا «مصر»  
 اسبوعية فحصل لها جميعاً اقبال عظيم ثم انيت الجريدتان لمقتضيات دعت الى الغائهما  
 فابتعد الاديب عن مصر عام ١٨٨٠ مهاجراً الى باريس حيث انشأ جريدة «القاهرة»  
 وكتب فيها فصولاً متناهية في البلاغة لا يهاب اكثرها الايمان كان فيها من آثار الحدة وكني  
 وحصلت له في باريس حظوة موصوفة باقلام بعض كتاب الجرائد الباريسية وجريدة  
 تركية مذناة في تلك العاصمة وتعرف ببعض المتقدمين من رجال الدولة الفرنسية وحضر  
 في مجلس النواب جلسات كثيرة فزادته خطاب البلغاء منهم اقدماً على الخطابة ودخل  
 المكتبة الاهلية فطالع فيها عدة مؤلفات من المخاطيط العربية القديمة ونسخ عنها نفقاً كثيرة  
 وكانت صحته في الاسكندرية قد تعرضت للمؤثرات فلما ذهب الى باريس اتفق  
 ان يردها كان في منتهى الشدة فاصيب بعللة الصدر وتالم منها مدة الشتاء ثم عاد الى  
 بيروت مصدوراً بعد ان قضى في باريس تسعة اشهر فعهد اليه صاحب «التقدم» بشعر ير

مؤلفها

مؤلفها  
 كمال الدين افندي  
 كمال الدين افندي  
 كمال الدين افندي

جر بدته فتولّى تحريرها للمرة الثانية وقد اثرنا عنها مقالات كثيرة في هذا الكتاب  
واقام على ذلك نحواً من سنة فلما حصل انقلاب الوزارة المصرية اواخر عام ١٨٨١ عاد  
الى مصر مدعواً اليها فودعه اصحابه وخالائه بنفوس الاسفين على فرائه وكنت في جملة  
من اتحدت لوداعه الى رصيف البحر فما رأيت قلباً غير مائل الى اصطحابه واني لذا كرما  
سمعت من احد وجهاء بيروت عزتلوه حين افندي بيهم قائلاً له سادة الوداع

انا نودع روحنا وفؤادنا ومع الاديب نودع الادابا

فاجابه بتوله « ليس ببقاءك وداع للاداب » ثم سار واثى القاهرة فعين ناظراً القلم الانشاء  
والترجمة بديوان المعارف ورخصت له الحكومة في استئناف نشر جريدة مصر فاصدرها  
اولاً في شكل كراس ثم اعادها الى مظهرها الاول باربع صفحات دنال خلال ذلك  
الرتبة الثالثة وعين كاتباً ثانياً لمجلس النواب ولما طرأت الحوادث العسكرية عاد الى بيروت  
فيمن هاجر الى النظار السوري وبمدان حل الانكليز في الاسكندرية جاءها مرة  
اخرى في الناس شأنه الاول فلم يحصل عليه فابعد الى بيروت حيث اقام متولياً تحرير  
جريدة التقدم للمرة الثالثة الى ان اشتد عليه الداء فانتار عليه الاطباء بالذهاب الى مصر  
مستفيداً من ملاءمة هوائها لصحته فالتمس الرخصة في العودة اليها بواسطة المغفور له  
سلطان باشا فاجابت الحكومة السنية التماسه كرمًا واحساناً فانادى ساعياً الى الغولدى  
من لقي من شمائله عفو الكرم وأهل به من عرفوا قدر اديه فاقام في مصر اياماً قليلة  
ثم عاد الى الاسكندرية فصرف بضعة ايام في محلة الرمل التماس الهافية ولكن ضاقت به  
سعة العمر فلم يرجو الاطباء له شفاء فانتعوه بالعود الى اهلهم في ثغر بيروت فعاد اليها  
ولم يمض على عودته ثلثون يوماً حتى جاءنا خبر وفاته وكنت اذ ذلك مساعداً لفقيدها  
السليم في تحرير جر بدته المحروسة وكتاب «مصر للمصريين» فهالنا الخبر فبكينا الاديب  
بمقل المنام وكان قد ملأ اسماعنا قبل رحيله من الاسكندرية بكلمات آمال وابتاس  
فاذكرتني بهد ورود الخبر قول النائل

هم اودعوا مسمي يوم النوى درراً فردها الدمع من عيني يواقيتنا

## اقوال البحرايد

قالت المحروسة بلسان قعيدنا المرحوم سليم النقاش بعنوان

( اديب )

كذا فليجلى الخطب وليفدح الامر وليس لعين لم يفيض ماؤها نذر  
امن حد الاقلام ان تجري بعد فقد الاديب من المحابر . امن واجب الدموع ان  
تبقى بعد هذا المصاب مصونة في المحاجر . امن العدل ان نواف اليوم من اثواب الخداد .  
امن الغرابة ان نفقد بهذه الفاجعة الهدى والرشاد . لا والاسف وحر نار اللفظ فقد ثل  
عرش الفضل ودك طود الذكاء والتبل وغاض معين البراعة وشوه وجه البراعة وبدد  
شمل البلاغة واختل نظام الانشاء وكان لا يأخذ بحاسنه العذر والاحصاء وانتقضت الصدور  
واضطربت القلوب وانذهلت البصائر وشخصت الابصار فعمت الاحزان واستولت الاكدار  
وحارت الافكار

وغاضت بناييع المسرة وانتقضت ليالٍ بها كم كان للانس اوقات

واصبحت الآداب تندب حظها تقول مضي سعدي واهلي قدمائنا

كيف لا

والدهر قد فوق نحو الالي سهماً وهذا السهم كان المصيب

تمساً لهذا الدهر من خائن لم ينبج منه فاضل او اديب

اجل لقد ارسلت المنية رسلها فاخطفت زهرة الفضل الزاهرة وفغرت الدادية الدهماء

فاها فابتلعت درة الادب الباهرة

والموت تقاد على كفه جواهر يختار منها الغوال

ومن ذا الذي يسمع بانول بدر المعارف وغروب شمس اللطائف

ولم يسأل من عينه ادماً تساجل السحب وفيض البحار

ولم تروّع قلبه حسرة تلون الوجه بلبس البهار

مضى الاديب الذي كان للعلم حرزاً وللبلاغة كنزاً وللنصاحة ركناً وللسماحة حصناً

هيات ان يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله ليخيل

رضى فكان الهول حولاً صير بياض العيش سواداً ورحل فكان الخطب خطباً جعل نور

## الحياة ظلاماً

واني لا بكية واني لصادق عليه وبعض القائلين كذوب  
 مضيت واي مقلة ايها الاديب لا تذرف الدمع عليك صيباً واي امرى من  
 مفتون في ادبك لا يتجمع عليك بكاء ونحيباً فارتقنا ونأيت وما اصعب نأيتك وفراقك ورحلت  
 عنا ومضيت فجمعت برحيلك احبابك وعشاقك وقد اطمعتهم يوم وداعك بامل اللقاء  
 ووطدت رجاء الاجتماع يوم لثموك في السفينة لثمة اخاء فما كان العهد بهجرتك ان يكون  
 اليوم مزبل الصفاء مذهب الهناء لا صبر بعده ولا عزاء  
 ولو قسم الحزن على فقدك اعشاراً لاصاب عشر منها والديك وآلك وعشر اصدقاك  
 وخلانك والادباء الذين عرفوا قدرك وشانك وعشر كل من سمع بك ورآك او علم  
 برفعة مقامك واصابني انا السبعة الاعشار وما ارضاها قسمة ضئري اكون بها اقل من  
 الجميع حزناً عليك لا سيما انك غبت عن العين ولم التمك لثمة الوداع قبل ان تمنعض والسفاه  
 عينيك

ولو جمعت في رثاءك ما قيل في الدنيا من رثاء لما جاء وافياً بجزء من الواجب  
 وهيئات ان يوفيك حقه منه الا من هبطت عليه اسرار بلاغتك واعطي منحة  
 براعتك وكان لك في البراعة قريباً وفي سرعة الخاطر نداءً وشيلاً  
 ولقد شهدناك في ابان شبابك تأخذ بنصر المبادئ الحرة وتؤيد شان القواعد  
 الصحيحة فدلنا ذلك على انك لست من ابناء هذا الجيل وليس اهل اقرانك بل انك  
 سابق بمئات من السنين في الوجود اوانك وانه سيأتي على الاعصار القادمة زمن يذكر  
 اهلها بما نشأت عليه في زمانك فينادونك في ايها الاديب هذا عصرك الخلق بك فقد  
 وجد فيه رجالك وهم بك حريون ثم وانشر فيهم مبادئك وتعاليمك الديمقراطية فهم لك  
 مصفون ولشانك معظمون

فقدناك يا فتى النبهاء بالغا مبلغ الكهول من الحكمة ولم تبلغ الثلاثين من عمرك ولكنك  
 ابقيت لك ذكراً يوبد دوراً واثراً يخلد من بعدك اجيالاً فعلم بهما الفضلاء كيف  
 يحيا الذكر ويبقى الاثر  
 وبم تذكرك تذكراً كبيراً بادبك، ابطلاقة لسانك وقد كنت واسطة عقد الخطباء ام  
 بتوقد جنانك وقد كنت خيرة الالباء ونخبة الاذكياء

فكم رأيناك على المنابر تجيل عينيك ملتفتاً نحو ملتقطي دررك بومة وشمالاً فصيحاً  
 بليغاً قوي التصور حاد الذهن حاضر الفكر سريع الخاطر مثين الحججة صحيح البرهان

## ثابت الجنان

وكم عرفناك في مكاتب الصحف متقلبا بين فنون البراعة بما هو بادي الاثار في  
جرائدنا شاهداً على سعة معارفك وطول باعك في السياسة والمباحث العلمية والمناقشات  
اللغوية والمناقشات الادبية والمدح والهجاء والتأبين والرثاء وحسن الرواية واحكام طرق  
الاخبار والحكاية والتفنن في اساليب الجد والمزلة والمداعبة والحزن والطرب وسائر فنون الادب  
وكليات الامور وجزئياتها على اختلاف احوالها وصفاتها

وهم نستوفي ذكر محاسنك ونستجمع بقية اوصافك واحاسنك أبفن القريرض وقد  
كنت ابن بجدته وقائد نجلته متنبساً مبتكراً مجيداً مؤثراً مرقصاً مطرباً محزوناً مبكياً  
تلعب بالعتول بين الرقة والانسجام وتاخذ بالابواب على ابداع نظام في نظم الكلام ام  
برقة جانبك في المعاشرة ولطف محاضرتك في المصاحبة ام بحسن وفالك وجميل بلالك  
وبشاشة وجهك وكرم طبك

وهم نمثلك لدى المين في سجايك ومناقبك ومزايك أبا لاداب وقد كنت صحيحها  
من غير تصنع ولا رياء ام باخلاقك وطباعك وقد كنت حاد الطبع سريع التأثر والانفعال  
غير حقود او جحود طيب القلب سليم النية عنبري الصيت مسكي السمعة مستقيم الشأن  
رضي الخلق لا يتولاك الحسد ولا يتملكك الطمع ملتبهاً غيره على ابناء جنسك عزيز  
النفس ابيها ظاهر السريرة نقيها . انوقاً من غير كبرياء مقداماً جسوراً لا ياخذك العجب  
آن الفوز والخيلاء حكيماً ذكياً منبسط اليدين سخياً محسوداً على ما كان فيك من النباهة  
مشكوراً على ما كنت عليه من النزاهة

وهم نتخذ بعد ذلك من اثار حياتك سبباً للهلوان وموجباً للعزيزاء أخطبك واقوالك  
التي ذكرنا او صفات كالك التي عددنا . نعم هذه آثارك في الازمار تشهد على سعة  
علمك بغير بيان وهذه باريسيتك الحسناء تنطق بحسن بيانك بغير لسان وهذه رواية  
اندروماك التي لو علم واضعها بما لبنتك عليها من فضل التعريب لانبعث مظانماً في  
موقف الاجلال لمقام الكاتب الاديب وهذه جرائد مصر والتجارة والمصر الجديد  
والمحروسة والتقدم وغيرها مما جاء مطوقاً بقلائد فصاحتك السجانية محلى بفرائد حكمتك  
اللقمانية وجاء معلناً انك لم تكن فيما اجدت به وابدعت الا ايامي الذكاء اخطلي الادب  
وهذه المؤلفات العديدة والمنشورات المفيدة التي شاركت اربابها في التأليف والتصنيف  
فكانت دليلاً على اجتهادك وسعيك في نفع بلادك . وهذه سوربة تفشخر بكونها مقط

راسك ومطلع شمك وهذه مصر تنافس بك الامصار وتفتخر بكونها مظهر فضلك ومجلى افكارك

وكيف يسلك احلها وقد كتبت الي منذ سنة في احدى رسائلك نقول . آه لو ارى مصر نظرة اخرى في حياتي : وقد نلت ار بك وبلغت منك فجتتها ورايتها فاكرم امرؤها وفادتك مؤهلين بك مرحبين ثم نابت عنها على امل العود اليها بعد الشفاء فخال واحسرتاه بينها وبينك الداء فكانوا عليك اسفين وبما ذكرناك به ذاكرين وكيف اسلوك يارفيق الشباب وكنت ان نمت رايتك في منامي وناجيتك في احلامي وان صحوت رايتك الى جانبي وامامي وان تكلمت كنت موضوع كلامي وان كتبت سبقتني الى ذكرك اقلامي

فمن اين لي بعد ذلك ان اصبر على عظم هذه المصيبة فيك ومن اين لي ان ارى بعدك مثل الدرر التي كانت تنتثر من فيك فوا اسفاه على اوقات تقضت بقربك وواحسرتاه على زمن كان به قضاء نجبك الزمن الذي كان يتوقع فيه ابناة بلادك زيادة النفع باقدامك واجتهادك نشق وانت تحت الثرى اناديك حيا بذكرك اني لا اسأل بعد هذا الخطب صبورا قليلا كان او جزيلا فقد رأيتك بين الحقيقة امرامستحيلا ولكني اسأله لو الذيك واخويك والك وسائر محبيك وخلانك

وكفى لتميزي ان لا اجد على فقدك من

بظن ان فؤادي غير ملتهب وان دمع جفوني غير منسكب

### ✽ ووروفي جريدة الاهرام الغراء ✽

بمزيد الاسف والشجن نعت لنا اخبار بيروت فقد الشاب الاديب اديب افندي اسحق توفاه الله يوم ١٢ الجاري في قرية الحدث من اعمال لبنان قرب بيروت اثر داء عياء الم به من مدة طويلة فعالجته الاطباء بما وصل اليه جهدهم حتى تماضى عليهم فمضى الفقيه في شرح صباه مفادرا الاهل والخلان يرددون عليه زفرات النحيب والاسف ولا غرو فقد كان رحمه الله شابا نبيا حاد الذهن وكاتباً بليغا تشهد له نشات اقلامه التي اودعها الطروس وحفظتها الصحف دالة على ما كان له من الباع الاطول في فنون الادب وانها تحفظ له الذكر الجميل يردده العالمون بفضل اولي الفضل وبماودون الاسف على فقدته قبل ان استوفى حق عمره لانه توفي عن ٢٩ عاما صرف جلها في الانكباب على المطالعة والاهتمام بالكتابة واندماج في سلك الخدمة المصرية ونال من لدنها الرتبة الثالثة

ثم تجرد في بيروت لكتابة صحيفة التقدم ولما انهكه الداء انقطع عنها الى المعالجة حتى قبض  
فسال الله ان يسقي ضرباً يحو غيث الرحمة ويلهم امله وخلانه صبراً جميلاً ويكتب لهم  
بذلك اجراً جزيلاً

✽ وجاء في الطيب بقلم العلامة النفوي الشهير ✽

✽ الشيخ ابراهيم اليازجي ✽

✽ رزقاً وطنياً ✽

نعني الى الوطن وآله والفضل وزجاله خطب يوم جفت فيه المحابر وسالت المهاجر  
وقامت نوادب الفصاحة ترثي موثي حبرها وانبرت خطباء البلاغة توأمن خطيب منبرها  
نعني به الكاتب البارع التحرير والخطيب المفوه الشهير اديب بك اسحق صاحب النيل  
المعروف والدكاه الموصوف الذي غاضت مناهل الادب لنبيض بحاره . وراح ولسان الحال  
يشد في آثاره

استشعر الكتاب فقدك سالفاً وقضت بصحة ذلك الايام

فلذاك سوأت الصحائف وجهها حزناً عليك وشقت الاقلام

وقد استأثرت به رحمة الله تعالى في صباح يوم الخميس الثاني عشر من هذا الشهر  
في مصيفه بحدث بيروت على اثر داء في الصدر اعيا الاطباء علاجه . وقد رمد على ذوي  
البصائر منهاجه . ودفن بها رطب الشباب غض الاهداب غير متجاوز تسعاً وعشرين سنة  
ملاً فيها الامماع والقلوب . وطار ذكره في الآفاق بما لا تحو اثره الخطوب . وكان دفنه  
بمشهد سواد من اوليائه واحبائه بعد ان قضوه سنة الوداع والتأبين بما يقتضي حق آدابه  
رحمة الله رحمة واسعة وافرح عليه سبحانه رضوانه وثوابه

✽ وقال لسان الحال ✽

مات الاديب : قضى من كان في قومه للذكاء او قد ستملة وللولاء اخاص طينة  
وللوطينة امضى بنيتها عزيمة والتحرير والتجوير امداً باناً ولا داب الجليل اوسع اطلاقاً  
الرصيف وفقدنا الزميل . فيا للنازلة لا تدفع وبالحظ لا يراد . اضعنا اديب بك  
اسحاق عند غلس الخميس في الحدث احد ارباض المدينة . ثم نبي للبلد بلسان الرسل

وما انتشرت مناعيه مسطورة الأبيد عصارى النهار لما اصاب آله الفضلاء وخلافه من روع الخطب تنولام الخيرة بين ان يواروه سفع لبنان اجابة لدعوة اهل المسكان الذي قضى فيه وبين ان يسيروا به الى المدينة امثالاً الى راي صحبه وسائر من قدر فضله . ثم غلب الرأي الاول فدفن في مقبرة الحدث والعيون بالدمع شكرى والصدور بالاسف ملاى . واهل الادب بالنعش يحفون وذوو المسكان يروون . واما من اصاب السنتهم عجمة الخطب وعتدة المصاب فقد كانوا بالدموع يتكلمون وبشبه الجوانح وعطفات الجوارح يرثون . وكان ارقاً من خطب ( وانما برخيم صوت الكئيب ولوعة الشاكي ودمعة الباكي ) جناب البارع الذكي الفواد اسكندر افندي العازار ثم تلاه جناب الامعي الاديب ابراهيم افندي الحوراني . وكان في جملة من خطب واجاد الذكيان خليل افندي الحياط وسامي افندي قصيري . على انه لما كانت الشمس توشك ان تغيب امسك كثيرون من الخطباء عن التأبين ثم تفرق الحشد . الحديثون الى منازلهم والبيروتيون الى بلدنهم ( ويلى ذلك ترجمة حال الفقيد فاضر بنا عن نشرها لورودها في مقدمة الكتاب )

### ✽ وقال الجثمان ✽

اختنفت المنون حلية شبان العصر الخطيب الفصحى الفاضل المرحوم اديب بك اسحق من كان لعين البلاغة قرّة وللوطن فرحة ومسرّة . قضى وهو يانع الشباب غيسان لا يعوزه الا الصحة ولا يلزمه الا الشفاء اغتالته المنية وانثبت فيه اظفارها بعد ان طال به المرض وتمكن من جسمه فايبسه غصناً رطيباً في التاسعة والعشرين من العمر ولما سرى نية في الاقارب والاصدقاء تفتّرت منهم القلوب وشقوا الجيوب وبكوا الاديب بكاء لا يزيد بكاء . وحزنوا على فقدته حزناً ولا حزن الخنساء فمن نادى سوء حظ الوالدين والاخ والشقيقة ومن نأى على الاديب احاً حرم لذيذ خطابه ونافع الفاظه الفصيحة واعرابه . ومن ذاكر للفقيد اقوالاً وحسن معنى وسحر سبك حباه به رشداً وهداية . ونحن في مقدمة الذين ينحبون خسارة الفقيد النجيب نتقاسم الجميع حزنهم واسفهم وتابينهم ولو اردنا اظهار ما حاق بالقوم من الكآبة والالم لملانا الصفحات والسطور ولم نأت بجزء مما يختلج في الصدور قلنا ولما انتشر الخبر وذاع تسابقت كثرائب القوم الى قرية الحدث حيث اقام الفقيد في هذه الايام بوادون واجب التعزية للوالد وحزنه اشبه بحزن يعقوب والوالدة الشكلى الحزينة حتى اذا استكمل عدد الاصدقاء والاقارب صلى احد الاباء الاجلاء على الفقيد وبعد ان فرغ رفع النعش على الاكف وسير به الى المدفن وهناك استأنف حضرة

الاب الجليل الصلاة عن نفس الفقيد

ثم ابنه جناب خليل افندي خياط معدداً محامده وحسناته ثم خطب من بعده جناب  
اسكندر افندي العازار مؤبنا الفقيد بخطبة مؤثرة فان علاقته معه ومحبتة له لا شهر من  
ان تذكر ثم ابنه جناب المعلم ابراهيم الحوراني ناجاد واحسن ومن بعده لفظ جناب الدكتور  
بشاره افندي زلزل تأييداً جميلاً اعرب فيه عن احساسات الجمهور ذاكراً خدام الفقيد  
المتنالية واعماله الكثيرة الى ان تكلم جناب سامي افندي قصيري بعبارة رقيقة اثرت  
في القلوب عظيم تأثير ثم هالوا التراب على الفقيد وارضوا القوم كل يكفكف دموعه  
ويشكو ما به من الم الحزن ولسان حالهم يقول

لا تارفن على ميت له اثر ما مات والله من ابقى له اثر

الطوبى الي

وجاء في مجلة الانسان لصاحبها الفاضل حسن بك حسني

بعد قصيدة الرثاء التي ادرجناها في قسم المراثي

ورد اليها الرقيم الاليم بتاريخ ٣٠ حزيران يعني الي الصديق الحميم بل الخليل القديم  
ريحانة الادباء وغرفة الالباء وكانت وفاته في صبيحة يوم الخميس « ولا كانت » الموافق  
١٢ حزيران في قرية الحدث في جبل لبنان وانني لاجعل وحرمة الادب ان البس  
الصحيفة عليه ثياب الحداد . كلاً مما يلبس الحداد الا على من مات امماً اديب فلم يمت  
ذكراً وان مات جسماً ولم يفقد اثرأ وان فقد عيناً احسن الله عزاء المعارف والاداب  
واجزل الصبر على اهلها والاصحاب . رابقي لنا شقيقه السالك طريقه الخائز صفات اخيه .  
بما يضمن آمال المعالي فيه .

وقد ثابتنا الصحف العربية فاطبة ناعية نادبة شاكية باكية لفقدته وجل تلام على بكاء  
رب البراعة وصاحب البراعة غرفة جبين زمانه والحسنة الماثورة من اوانه اديب بك اسحق  
فلا غرو ان تدمع على اثره العيون وتعيج الشجون وتنوح النوائح على مثله فلقد كان فاضلاً  
كاملاً واديباً اريباً ظهرت براعته وقهرت براعته فكم تطمرت حدائق الصحف بطيب  
نشره ونقلدت اجياد المعارف بلاليه نظمه وشذوره . كان فخرير الثرير ان كتب  
مقرر الثرير ان اعتمد فخطب مع كمال الفتن وجمال الحسن كان بدر الباب فاجتته هالة  
الاجل . وكان كوكب آداب ما اشرق حتى افل

❖ ونشرت مجلة الهلال الفراء في الجزء الثالث ❖

❖ والعشرين لسنة الثانية ❖

اديب بك اسحق

( ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٨٨٥ م )

كتب الينا جماعة من حضرات الفراء ان ننشر رسم المرحوم اديب بك اسحق لان اقواله وكتابه لا يزال صداها يرن في الآذان في نواحي مصر والشام وهو من اركان النهضة اللغوية الاخيرة فعملاً باشارتهم وقياماً بواجب الخدمة العمومية قد صدرنا هذا العدد برسمة وهاك ملخص ترجمة حياته :

هو المنشئ البليغ والخطيب المصقع المرحوم اديب بك اسحق ولد في دمشق الشام سنة ١٨٥٦ م وظهرت على مجيئه ملامح الذكاء والنباهة منذ نعومة اظفاره وقرأ مبادئ اللغتين العربية والفرنسية في مدرسة الابهاء الازريبين وكان استاذة يقول لايه « ان ولدك سيكون قوياً » اي شاعراً لان السجع كان يرد في كلامه عفواً مع انه بدأ ينظم الشعر في العاشرة من عمره واتفق ان عائلته اصبحت بضيق فدخل في خدمة الكرك ثم دخل والده في خدمة البوسطة الثمانية ببيروت فبعث الى ولده ليكون عوناً له وهو في الخامسة عشرة نجاه وتمرف بجماعة من ادياء المدينة وكان مهمل المعاشرة محبوباً فاجبه اصدقائه وخالصوا له واعجبوا بذكائه وحمته وكانوا يناشدونه الاشعار ويطارحونه المناظرات ويراسلونه نظماً وثرأ

وفي السابعة عشرة من عمره دخل في خدمة كرك بيروت . ولكنه ما لبث ان مال الى الكتابة وعكف على الانشاء فتولى تحرير جريدة التقدم بعيد نشاتها الاولى وكان لرغبته في العلم يقضي ساعات الفراغ في نظم الشعر والمطالعة فالف كتاباً سماه « زهرة الاحداق في مصارع العشاق » ثم انتظم في حمية زهرة الاداب وما لبث ان نبغ بين اعضائها واصبح زهرة في ما بينهم واحبوه حباً شديداً واكثروا من التحدث في ذكائه ونباهته ثم اتدب للمساعدة في تأليف كتاب آثار الادهار سنة ١٨٧٥ وهو دون العشرين من العمر وعرب في اثناء ذلك رواية اندروماك اجابة لطلب قنصل فرنسا ونظم اشعارها وعلم ادوارها في مدة ثلاثين يوماً ودفعها الى القنصل فمالت ثلاث مرات جمع دخلها للفقراء ثم اشار عليه المرحوم سليم افندي نقاش بالذهاب الى الاسكندرية نجاه واشتغل معه في التمثيل العربي ونصح رواية اندروماك وزاد فيها

ثم جاء القاهرة وكان فيها العلامة جمال الدين افندي الافناني يلقي دروساً في الفلسفة  
الادبية والفلسفة العقلية والمنطق فلازمه مدة واخذ عنه شيئاً كثيراً وكانت مصر اذ  
ذاك زاوية بنخبة من شبانها النبهاء كانوا يترددون الى جمال الدين افندي للمطارحة  
والمذاكرة وسماع اقواله وشروحه فبث فيهم روحاً عصرية فخرجوا ينشرون تعاليمه  
ويقولون بقوله وفي جملتهم جماعة من المنشئين والخطباء والكتّاب

وفي سنة ١٨٧٧ انشأ جريدة « مصر » فلاقت اقبالاً عظيماً ثم نقلها الى  
الاسكندرية فعاونها بادارتها وتحريرها المرحوم سليم افندي النقاش ثم انشأ جريدة  
« التجارة » يومية وبقيت مصر اسبوعية ثم اقتضت الحال انهاء الجريدتين ومهاجرة صاحب  
الترجمة الى باريس فانشأ فيها جريدة « القاهرة » وكان قبل سفره قد احس بضعف  
نمائه ذهب الى باريس اصيب بعلّة الصدر فعاد الى بيروت مصدوراً فسأله صاحب التقدم  
تحرير جريدته فتولاه للمرة الثانية سنة حتى انقلبت الوزارة المصرية سنة ١٨٨١ فعاد  
الى مصر وتولّى فيها رئاسة قلم الانشاء والترجمة بديوان المعارف واعاد نشر جريدة مصر  
ونال الرتبة الثالثة ثم عين كاتباً في مجلس النواب

ولما طرأت الحوادث العرابية عاد الى بيروت فتولّى تحرير التقدم ثالثة الى ان  
اشد عليه الداء فاشار عليه الاطباء بالذهاب الى مصر لملازمة هوائها فقفى فيها مدة ثم  
عاد الى الشام وقد ضاقت به سعة العمر وبعد وصوله اليها بثلاثين يوماً توفاه الله في ١٢  
يونيو سنة ١٨٨٥ وهو لم يبلغ الثلاثين من عمره وشيعت جنازته وبكاه الاصدقاء وابنه  
الكتّاب وراثته الشعراء وقد جمعت منتخبات اقواله في كتاب سموه « الدرر كله درر »  
وكان رحمه الله طويل القامة والعنق مع انحناء قليل عظيم الانف عريض الجبهة  
بارزها جهوري الصوت لطيف الحديث ذكياً نبهاً حاد الذهن واشتهر خصوصاً بالخطابة  
والانشاء فكان اذا خطب افصح واعرب واذا كتب سحر الالباب بحسن البيان مع السلاسة  
والبلاغة وكان قدوة المنشئين وعمدة الكتّاب . وانما يؤخذ عليه رحمه الله تساهله في  
طرق معاشرته واطلاق هوى النفس فيما تسوق اليه الشيبية حتى اثر ذلك في مزاجه  
وعجل منيته فقصف غصنارطيباً لم يبلغ الثلاثين ربيعاً ولا ريب عندنا انه لو عمل بالقانون  
واصنى لتصيحة الشيخ الرئيس لعمر طويلًا وخدم الاوطان خدمات قل ان يستطيع  
الناس مثلها والله في عبادته حكمة لا تدركها العقول

## المراتب

\* قال جناب الشاعر البليغ المرحوم الشيخ خليل اليازجي \*

<p>عن جهد نفسك او يموت عليلا حتى تمنى للفراق سبيلا ومنسأباً ومحاجراً وطولوا نوحاً عليك من الاسى وعويلا اصواتها التفريد والترسيلا قُضِباً وكان صريرُهن صليلا وهو الذي للسيف كان مثيلا لكن يكون له المضاء فلولا يتلوثناً لك في الانام جميلا حتى نرى لك منك عنك بديلا صوغُ القوافي في ثنك طويلا تصرت فئات العرض منها الطولا فتليل مثلك لا بعدُ قليلا وقصائدآ ورسائلآ ونصولآ لم تألُ فيه تغرباً ورحيلا وعزيمةً مثل الحسام صقيلا نقادةً تشوضح الجهبولا معه قلوبُ لا ترومُ قفولا اوحشت باريسا وشقت التيلا سالت فكانت ضفتاهُ ميلا اسمُ عليك نراهُ قدام دليلا فيسيل من سُحب الدموع سيولا</p>	<p>أخلقُ بحسبك ان بيت كليلا نهكتهُ نفسك في المطالب والعلى مد يا راحلا ابكى عليه محابراً ترثيك افلامُ بكون صريرها نتذكر الكف التي كانت بها وهي التي قد كن بين بنانها كفُ يضاهيها لسانك خاطباً فوق المنابر لا يفلُ غرارهُ تحتاج منك الى خطيب مصقع ولعل مثلك ليس يوجد عندنا يروى مآثرُ عنك بقصرُ دونها وبعد ما احصيتهُ في مدة ان كان قل مدى حياتك عندنا فلقد ملأت به السماع جرائداً ما بين شرق في البلاد ومغرب مستصحباً لك هممة نفاذة وقريحة وقادة وبصيرة لا يبعدنك الله من ناء مضت ان كنت قد اوحشت بيروتاً فقد فعلى ضفاف النيل منك مآثرُ انت الاديب كما سميت وحبذا لك عندنا ذكرُ يهب نسيمه</p>
--	--

فاذا تذكرنا شبابك ذاويًا      رطبًا ذكرنا للغصون ذبولًا  
 واذا تذكرنا خلائقك التي      لطفت تذكرنا التسميم بليلا  
 واذا تذكرنا حديثك فالطلا      تسبي قلوبًا للملا وعقولا  
 واذا تذكرنا محاسنك التي      غربت ذكرنا للبدور افولا  
 فمليك من لدن المعين رحمة      تسقي ضريحك بكرة واصيلا

✽ وقال جناب الشيخ سليمان الحداد شيخ طائفة ✽

الروم الكاثوليك في الاسكندرية

✽ بكيت للبين بعد البين ازمانا      فأحدث الدمع في الاجفان اجفانا  
 ✽ قد كنت أبخل في دمعي فامسكه      واليوم ابذله درًا ومرجانا  
 - على اديب به ايامه غدرت      فغادر اليوم في الاكباد احزاننا  
 على اديب اتى حسن آونه      محائب الدمع تبكي منه سبحانا  
 ✽ على اديب له في كل جارحة      عين ترى دمعا في الحمي هتانا  
 ✽ على اديب به ايامنا فقدت      كنزًا من الفضل والآداب ملانا  
 على اديب له ادايه شهدت      في كل فن فلا يحتاج تبياننا  
 - على اديب اسال الدمع من مقل      لم يسأل القلب بعد البين سلوانا  
 نقول اجداث قوم اذ يجاورها      لله من حدث يسقى فاسقاننا  
 ✽ يا حداث البين قدواريت في حدث      من سفح لبنان بين الترب لبنانا  
 ✽ رمس حوى طود علم في جوانبه      قد صار للفضل والآداب اوطانا  
 يا ايها الرمس هل تدري مكانته      وفضله كان بين الناس كيوانا  
 ✽ الفاظه الخيل في مضمار خطبته      غر المعاني عليها كن فرسانا  
 ما غالت القوم في مضمار من سلفوا      اذ كان فضلك للباقيين برهاننا  
 هدمت هيكل جسم زانه ادب      فيما به رمت للآداب عمراننا  
 غمدت كالنصل في ارض بيت لها      فخرًا وحزنك فيها قصر غمداننا  
 } قد كنت للعرب قسًا في منابرها      وللصاحه فيما قلت حساننا  
 توقد الدهن فيه كان آفته      اذ كان افراطه للنفس عدواننا  
 قلنا به الصدق والايام كاذبه      وليس ما اتبع الغاوون اغواننا

ما زال يجني الوري من لفظه عسلاً  
 قد كان سامعه في قوله ثملاً  
 قد لازم الحد والاقدار قادرة  
 يا شاربا من كووس البين نهلمته  
 اعداك داء عدو الفضل نحسبه  
 آيات حق لنا كانت رسائله  
 تبكي البصائر والابصار آسفة  
 يدعي ادباً وهذا الوصف منتشر  
 حتى ارتدى قدمه العسال اكفانا  
 واليوم اضحى بخمر الحزن نشوانا  
 على شجاع وان لم يرص اقرانا  
 ابقيت كلاً الى لقياك عطشانا  
 فليت فضلك قبل البين اعدانا  
 فكما قلته ما كان بهشانا  
 من كان منه لعين الفضل انسانا  
 فكل من ذكر الاداب ابكانا

✽ وقال جناب الاملي وديع افندي الخوري ✽

شبت عليك قلوبها الاخوان  
 وبكشك اقلام الرثاء بكفها  
 دمع يسود طرمها بمداه  
 تحشى الطروس لهيبه فكانه  
 مدد الدجى ليلاً على ليل الاسى  
 قد سرت من دار الغرور الى بها  
 فهاك لا غدر ولا شر ولا  
 يبدو هناك الامن ثم الخير ثم  
 لو كانت الاصحاب تكتم ما بها  
 او كان صرف الدهر يترك فاضلاً  
 ولي الذي لم تبد درة نطقه  
 اني لا عجب كيف خر من الذكا  
 يا قبر اكرم وفد ضيف قد اتى  
 اني اعزتي والدا بنحيبه  
 قصفت يد الحدثنان غصن حياته  
 واخ ووالدة وصحب قدرتي  
 صحب اذا بغت العزاء قلوبهم  
 ما بعدها ستر العزاء يسان  
 فجرى لفقده دمعا المتان  
 كالكل تجلو حسنه الاجفان  
 نار المصاب تثيرها الاشجان  
 ودجا فأيهما له الرجحان  
 دار يفاض بها لك الاحسان  
 ضر ولا كدر ولا احزان  
 البشر ثم اللطف والرضوان  
 من حرقه لاذاعه الكمان  
 جزع الغرور اليه والبهتان  
 الاغدت تنزاع الازهان  
 جبل احل بقلبه لبسان  
 فبكل قطر تكرم الضيفان  
 يشجو الفضا ويحييه الاخذان  
 بغياً فلا صبر ولا سلوان  
 شعرت لخر مصابهم وبنان  
 لعبت بها من ذكرك النيران

ثارت على الايام حرب امسى لقد  
 مات الذي احيا البلاغة بعدما  
 لطف الملاك بشغره لكن مذ  
 ويراعه مثل وما بمداه  
 عهدي بصحاب اديب اسنا كلهم  
 حصر المصاب يانهم فخرت لهم  
 ذكر للطفك في صميم قلوبهم  
 ضربات بأس في ضلوعهم لقد  
 بكت النعي جزع الحبي قلبي الذكا  
 شقت جيوباً للمصاب واتبع  
 لودام قلب لم يشق رابته  
 عز والمخابر والمنابر قد مضى  
 نفثات صدرك مذبت تهدي السني  
 تدي لنا ثمر الحبي كرمنا وما  
 حفظت لك الاداب ذكر ازهره  
 شمت الزمان وقد عرفت شوونه  
 بهوي به من كان مله طباعه  
 يبكي عليك الصحب لكن كلهم  
 فهم نعاج والحياة حظيرة

جاءت بها الاقلام وهي عوان  
 مررت عليها للفنا ازمان  
 وئي علمنا انه انسان  
 راح وما بسطوره ريجان  
 وهنا نظرتهم وهم خرسان  
 للفصح عنه مقله وجنان  
 حي فليس يميته نسيان  
 وقرت بها الاسماع والآذان  
 شكت الرفاق وناحت الخلائن  
 تلك الجيوب بشقها الاخوان  
 دمعا عليك تسيله الاجفان  
 قس الزمان وقد مضى سبحان  
 شامت بها عقد البهاء حسان  
 ظهرت لنا بطرومها اغصان  
 يبدو وانت لعامها نديان  
 اعمى يحل بكفه الميزان  
 فضل ويولو من به نقصان  
 بك لاحقون متى يحين اوان  
 والموت ذنب خاطف غرثان

وقال جناب الكاتب البارع ميخائيل افندي جورج عورا  
 في جريدة البيان

وفدت علينا صحف بيروت ناعية لنا فقد الكاتب النحرير رب البراعة والنحرير، وقدوة  
 اهل التعبير. اديب بك اسحق. فلما شاع الخبر في القاهرة ثارت لواعج الاحزان. وتولت  
 القلوب الاشجان وملكت الرعدة الخواار. وفاض الدمع في المحاجر وشامت الوجوه وخشعت  
 الابصار. وحارت الافكار. فيا رحمة الله على رجل الادب وطود العلم ونجم الفضل الآفل -

ورفيق المجد الراحل . وكوكب الاوطان . وتاج هذا الزمان

بربك ما هذا الذي دكدك القوى      تنزل رضوى او ممت اديب

اديب وما ادري الوري بقدره هو بديع زمانه . وسحبان دهره . قضى الادب بمماته  
نحبه . واسال السكون على مشرق ذكائه غربه . أجل فقد ذهبت الحكمة والوقار . وشجبت  
الدراية والاختبار . وتفككت اوصال اللطائف . وانهمرت ذوارف الممارف . فيا راحلا عنا  
وقد سجد على القلوب بالاسى . وضيق على النفوس رحب الزمان حتى لا تجد الصباح  
امثل من المسا . باي امان نوفي حقوق رثاك . وكيف يجمل التصبر على طول نواك

الصبر ليس على فراقك يحسن	ولمثل هذا الخطب تبكي الاعين
يا من تحركت النفوس تأسفا	لفراقه هيبات بعدك نسكن
فلئن تمكن منك سلطان الردى	لنفوسنا فيها الاسى متمكن
يا عين جودي بالبكا وتكلمي	بمدامع ان المدامع السن
هل ثم عين لم تجد بدموعها	لحقا عليك ومقللة لا تحزن
او ثم قلب لم يمزقه الاسى	او هل هنالك قوة لا توهر
تالله ما الدنيا بدار يتغنى	فيها الثوا ويطيب فيها المسكن
كلا ولا للدهر عهد يرتجى	منه الوثوق وليس منه ما أمن
والارض يورثها الاله عباده	وهو مسمى نفسه او محسن
كأس المات على البرية شربه	حتم ومنه ليس ينجو ممكن
كيف النجاة من المات وهذه	جند المنية بالاسنة تطعن
ام كيف بطمع في الصفاء فتى له	بالطين والماء المهين تكون
والمرء مرمى الموت فهو اذا نجا	منه النهار في غد لا يمكن
لا ينفع الاسف النفوس ولا الاسى	الكف اولى والتصبر احسن

وقد وردت الينا المراثي الكثيرة في تأبين الفتيد رحمه الله . وغفر له في دنياه  
وأخراه . فنحن ندرجها عند سنوح الفرص واولها رسالة لخصرة البارع عزيز افندي الزند  
من منوف نتتضب منها شيئا من شرها الصادع ولفظها الرائع ومطلعها

ردد النوح صباحا ومسا وتجد لتباريح الاسى

وابك بكاء الخساء . وارسل زفرة البأسا والفساء . واذرف الدمع . واخشع لهذا الفجع .

فقد اغتالت المنية اديب الدهر . وسحبان هذا العصر

الى ان قال متوجعا اها اها عليك ووا حسرتاه كيف تركت ايها الاديب اخوانا لك

يصلون نار جهنمك . بعد ان برّح بهم امي فرقتك . ان الصحائف لتبيكيك . وان الاقلام  
لترثيك . ولتندبك العلوم والمعارف . واللطائف والعارف . انا لله وانا اليه راجعون

وقال حضرة الفاضل عزتو حسن بك حسني

صاحب مجلة الانسان

اعوني اليوم جدد لي نحبي  
اعوني كيف لا تجري شؤون  
مهد اعوني دمت خبرتي لماذا  
امن حدث الى حدث تولي  
ام الشمس المنيرة قد توارت  
— ام الفصن الرطيب ذوى وكانت  
اسفت نعم اسفت على صديقي  
X فقل للدهر غاب البدر فابكي  
وعزّ اليوم ابكار العاني  
وشوه وجنة الاوراق حزناً  
ونار القول والتحرير جمعاً  
وسل عنه القلوب علام شقت  
X وكيف يموت من احيا الليالي  
X فنى قد كان للاوطان عبداً  
فنى افنى الشباب نهى وفكرا  
به ازدهت البراعة واستنارت  
فيالهنى على خل وفي  
وياولهي على ثاوي وحيد  
بكيّت فقالت الاداب ارتخ

وقم نبي على ذلك الخبيب  
على شأن قضى نحب القلوب  
تبدلت المسرة بالخطوب  
اديب العصر ذو الخلق الاريب  
ولم يك ثم من وقت المغيب  
حدائقه رياحين اللبيب  
بكيّت نعم بكيّت على اديب  
وقل للارض فزت به فطبي  
نقد نجمت بمنطيق خطيب  
لتبدي وجهه مذلول كتيب  
لتنذب فوق قوال كتوب  
على اثر السرائر والجيوب  
وكيف يصاب ذو الرأي المصيب  
له من شأنها اوفى نصيب  
وادرك حلم ذي الرأس الخضيب  
براعة روضها الزاهي الخضيب  
عليه خان دهري بالكروب  
بعيد الوصل في فصل قريب  
اقتت وفا على مشوى اديب

سنة ١٣٠١

## خطبه

( مأخوذة عن مجموعة بخط يده رحمه الله )

«لمع من كلام لي في محاوره جرت في جمعية زهرة الآداب بيروت \*  
«على نابليون الاول هل كان خيره اكثر من شره وكنت»  
( في المحاوره سالباً قلت )

لقد سبق لساني الخاطر وخاطري الفكر في الرضى بهاته المباحثة .  
تذكرني بالرجل الذي ما رأيت فيه كبيراً غير ذنبه ، ولا عظيماً غير استبداده ،  
ولا مميّزاً غير شره وقسوته . فتقوى بهائلة على حرف الضعف ، وتضعف  
صحة على طرف القوة . فانه يمتنع على اي قلب لم يصف من دم الرحمة ، ويتعذر  
على اي نفس لم تغل من روح الانسانية ، ويستحيل على اي فكر لم يصفد من  
معنى الرشاد ان يذكر ما اجترم الظلام ، وما ارتكب المفسد ، وما افتات العادي ،  
ثم لا يناله عذاب التأثر ، ولا يمسه ألم الانفعال

واي اجترام اعظم مما سابسط ، واي ارتكاب افظع مما سأروي ، واي  
افتات اضر مما سابين في اعمال الآفة الحاصدة للارواح ، والبلية النازلة بالابدان ،  
والصاعقة المنقضة على عموم الانسان ، وصفت نابليون الاول وهذا الوصف لا  
يصل الى معناه . وسميته واين من الاسم مسماة .

ولست في موقف الخطيب لا مثل سيئات هذا الرجل ومنكرات اعماله  
تقدراً للناس من التهلك على امثاله من التهلكات ، واغراء لهم بمجانبة الوهم  
الباعث على تأييد الظالمين ، واجتناب سبق الحكم الداعي لتقوية الظالمين . واطراح  
الغرة الحاملة على رفع اقدارهم الساقلة . ونبد الفتنة الحادية لاجلال نفوسهم البائنة

ولست في مقام المؤرخ لاجي، بتفصيل اعماله، ومحصل اقواله خصوصاً  
بعد انتهاء الملك اليه فاعرضها في مجلس الحق فيصدر حكم الانسانية عليه ان  
يهبط من جنة التعظيم الى حميم الخزي والتحقير

وانما انا مناظر في موضوعه التزمت ان انفي عنه ما لم يكن فيه البتة من  
الخير. واثبت له ما كان راسخاً فيه من الشر. وما التزمت الا بيان البين، وتحصيل  
الحاصل. بل لا ارى للقول في الوجه الاول مجالاً. فقد كان ممتنعاً على  
فطرة هذا الرجل ان يصدر منه شيء من الخير بالارادة والاختيار فان نتج  
من افعاله شيء مفيد فوجه النفع غير مقصود فيه وانما حصل عنه كما ينفع  
القاتل ورتة المقتول، والهادم عطل الفعلة، والكاسر معمل الزجاج، لا  
يقصدون النفع فيما يعملون وانما ينشأ ذلك عن طبيعة تلك الاعمال وقد  
يكون في بعض الشر خير من بعض الوجوه.

واما وجه شرية هذا الرجل فهو ظاهر في اعماله، واضح في اقواله، نطقت  
به افواه المؤرخين الصادقين، ورسمته على صفحات القلوب دموع النساء  
والاطفال، ودماء خمسة مليونات من الرجال، فلم يخفه بهرج انتصاراته في ساحات  
القتال. واني ناظر فيه من ثلاثة وجوه الاول حالته الادارية. والثاني  
حالته السياسية. والثالث حالته الذاتية الخصوصية. مبيناً ما ألحق بالناس عموماً  
وبالبلاد التي وليها خصوصاً من جسيم الاضرار في كل حالة من تلك الحالات  
معيناً في الاخيرة ما كان عليه من فساد الخلق، وسفالة الفطرة، وخسة النفس  
ليعلم انه لا يعقل صدور شيء من الخير المقصود عن تجمعت فيه تلك النقائص  
لا ترجح الاصلاح من فاسد فالشاهد لا يجني من الحنظل

«ثم ابنت شرية نابوليون في الحالتين الاولين بذكر استبداده وغدره  
بالجمهورية التي كان من رؤسائها وتعامله على اعدائه من ذويه وميله مع الهوى

في حروبه التي انتزفت اموال الفرنسيين ودماهم عبثاً وهدراً وسعيه في  
استئصال جرائم الحرية التي تظاهر من قبل بنصرتها خداعاً وايدت ذلك  
بالامثلة الواقعة والادلة القاطعة من التاريخ « ثم قلت :

وقد كنت في غنى عن بيان تينك الحالتين بما اذكر من الحالة الثالثة  
الدالة على لو لم طبع الرجل وبعده نفسه عن النفع والخير فما يصدر الخير العظيم ،  
الا عن الطبع القويم وكل من خلا عن الفضائل ، فهو ذنيء سافل . قال  
( شاتوبريان ) في وصف نابوليون الاول ما معناه :

ولد بونايرت ايفسد في الارض فهو يحمل الشرين يديه كما تحمل الموضع  
طفلها بفرح وافتخار ويكره سعادة الناس كراهة الارمد للنور فقد قال ذات  
يوم « لا يزال في فرانس اناس سعداء من بعض ذوي البيوتات المقيمين بالضواحي  
والارباض فهو لاء يعيشون من دخل لهم يكون بين ثلاثين الفاً واربعين الفاً  
فرنكاً ولا يعرفونني ولكنني سالم بهم لا محال . وكان ينفر من كل مزية لغيره ،  
ومن كل شهرة لسواه ، ويحسد اهل الذكاء والفضل والنباهة بل ربما كره  
شهرة الجريمة ان لم تكن صادرة عنه » ١٠ هـ

فان قيل كان شاتوبريان على فضله وثبوت صدقه من اعداء نابوليون  
ولا عبرة بشهادة العدو اوردنا لتأييد كلامه قول مدام ( دي رموزا ) فهي  
عالمة باحوال نابوليون واقفة على حركاته وسكناته وقد كانت من نساء  
قصره المقربات وتوفيت عام ١٨٢١ قالت : لم ار اسفل والام من نفس هذا  
الرجل فانها خالية من آثار الكرم والشرف ولم اره البتة مستحسناً شيئاً حسناً  
بل كان يخفي اندهاشه بحجاب الاستخفاف ، ولا يعتقد الصفوة في احدي من  
الناس حتى انه كان يقول ان الذي يميز بعض الناس عن بعض انما هو  
الدقة في اختلاف الكذب . ومما انقل من لفظه قوله : ان مترنيخ ( الوزير

الالماني المشهور) يقرب ان يكون رجلاً سياسياً فإنه مليح الكذب  
 وقالت هاته الخاتون ايضاً . كانت خدمة هذا الرجل من اعسر الامور فقد  
 كان يعاملُ خدامه بالعنف ، ولا يريهم سوى الغلظة . حتى انه قال وهو على  
 حالة من الحالات التي يغلب فيها اليقين على اللبس ، فينطلق اللسان بما في النفس .  
 لا شك ان الرجل السعيد من اختبأ مني في طرف احدى الولايات ولا ريب  
 ان العالم يتنفسون الصعداء يوم اموت . اه  
 قال احد الشارحين لهذه الكلمات : ما اكنفي العالم بتنفس الصعداء  
 يوم مات ذلك الظلام ولكنه بكى فرحاً واشتكى تذكاراً ثم ضمد الجروح  
 ورم الخراب وما كان ذلك مما يتم في مدة ايام ، ولا في عدة اعوام . اه  
 وقالت مدام دي ستايل وكانت من مشاهير نسائهم : كان نابوليون  
 الاول يعد الانسان الحي بمنزلة الجماد ولم يكن يحب ولم يكن يكره بل كان  
 لا يرى بذاته غير ذاته ولا يعد سائر الناس غير ارقام اعداد . وكانت  
 قوة ارادته ، قائمة بمقصد اثرته كأنما هو شطرنجي بارع يحسب الارض رقعة  
 والناس يادقها فلا الشفقة ؛ ولا الذمة ، ولا الشرف ، ولا التعلق بشيء ما يحوله  
 عن الوجهة المقصودة . فهو بالنظر الى مطعمه كالعادل بالنظر الى الفضيلة . اه  
 وختم المقال فيه ما اورده المسيو دي بيري من تقرير له على خواطر  
 الخاتون دي رموزا في جريدة الفلسفة الوضعية قال : لقد ترىنا الطبيعة في  
 احوال الخلق البدنية عجائب من ذوي العاهات كالصم والبكم والبله  
 وامثالهم وفي احوال الطبائع الخلقية غرائب من ذوي العاهات النفسية من  
 مثل « ترويمان » و « ابادي » و « المر كيزدي ساد » و « لسانير » - اشرار معروفون  
 فيهم - وغيرهم من انواع المجانين الذين خلوا عن كل ما يجعل الانسان اليقياً  
 او كان ذلك فيهم شديد الضعف . ولا ريب انه لو كان اكثر الناس على

هذا الخلق لكان الاجتماع الانساني محالاً . فانه من لوازمه ان يكون في كل واحد من الناس شيء من عواطف الانسانية والعدل المعبر عنهما بحب الغير . ولقد كان بونابرت خالياً عن ذلك رأساً كما يشهد ملازموه والمتقربون اليه والذين استطاعوا هتك سجوف الكذب عن حقيقة احواله . فخذ هذا الرجل انه لا يحب غير ذاته ويزدري بسائر الناس فيستخدمهم لمقاصده وينتزف منافعهم لمطامعه ، ويضحى بهم غير راحم على مذابح ذاتيته سالكاً لمقصده مسلك الكذب والشدة والخداع . اه

## الحرية

« خطبة القيتها شفاهاً في جمعية زهرة الاداب »

### ✽ الحرية ✽

موضوعي الخاصة التي مدحت بما لم تدح بمثله فضيلة . وذممت بما لم تدم بمثله رذيلة . والتي هي عند بعض الناس هناء . وعند بعضهم شقاء . وفي اعين فريق عناء . ولدى قوم حياة ولدى قوم فناء . والتي مرت عليها الايام ، وكرت الاعوام ، في صحبة هذا الموجود الانساني منذ شق عنه حجاب الخفاء . وما برحت موضع اختلاف بين الباحثين والمعرفين . موضوعي الحرية وانا على يقين من اني لا اجد في هذه الوجوه الزاهرة انكاشاً ، ولا أحدث في هذه النفوس الطاهرة انقباضاً من ذكر هاته الخاصة التي انقذتها رجال الانسانية ، من اسار الجهل والعبودية ، وفدتها بدم كريم لا يباع ولا يشترى فلم يبق الا ان اعد النفس واهي الخاطر ، واخفض من جناح الخضوع ، وارتدى لباس الرهبة والخشوع ، لادخل مقدس هذا الموضوع .

فالحرية نالوث موحد الذات، متلازم الصفات، يكون بمظهر الوجود فيقال له الحرية الطبيعية. وبمظهر الاجتماع فيعرف بالحرية المدنية. وبمظهر العلاقات الجامعة فيسمى بالحرية السياسية.

وقد حدّها (منتين) بقوله هي المقدرة على فعل كل ما يتعلق بذاتي. وبمثل ذلك حدّها الحكيم سنيك من قبل. وعرف (منتسكيو) الحرية المدنية بان لا يجبر المرء على ما لا توجهه القوانين وعرف السياسة بان يفعل كل ما تجيزه القوانين. ومرجع هذين الحدّين الى وهم واحد وهو الذهول عن ماهية القوانين. فان الظاهر من قول هذا الحكيم الفرنسي ان الحرية موجودة في واشنطن وجودها في طهران. حاصلة في لندرا حصولها في بكين. وليس الامر كذلك بل الحرية الحقيقية غريبة في كل مكان، لسوء حظ الانسان.

وقد اتفق الكثير من الناقدين على تعريف الحرية بكونها مقدرة المرء على فعل ما لا يضرّ بغيره من الناس. وهو عين الحدّ المنصوص عليه في القانون الروماني وفيه نقص من وجهين. الاول ان حدّ الاضرار منوط بالاحكام الموضوعة على ما بها من الخلل. والثاني ان قيد الاضرار بالغير يخرج عنه الاضرار بالذات وهو مخالف لمقتضى الناموس الطبيعي الحقيقي بالاتباع اما حدود المداجين وتعريف المنافقين للحرية فلا محل لايرادها، ولا موضع لانتقادها في مثل هذا المقام. فغاية القول فيها ان اهل السلطة الاستبدادية حيث كانوا، ومن حيث كانوا، يفترون على الحرية كذباً في تعريفها بالطاعة العمياء، والتسليم المطلق لمقال زيد، مروياً عن حكاية عمرو، مسنداً الى رواية بكر، مؤيداً بنام خالد، فهي بموجب هذا الحد فناء الذهن، وموت القوة الحاكمة، وخروج الانسان عن مقام الانسان.

الآن اختلاف المعرفين، وخطأ كثير من الناقدين، وابطيل ذوي  
 الاغراض الذاتية، ومفاسد الهيئة الاجتماعية، كل ذلك لم يمنع من ظهور نور  
 الحرية من خلال الفاف الاقوال فهي فيما ترشد اليه البداة خاصة طبيعية  
 وجدت لينحي بها الانسان قواه البدنية والعقلية متدرجاً في مراتب كالات  
 الوجود ثم كان من سوء بخته ان مظاهر السطوة اتت على ضدها من كل  
 وجه وفي كل زمان حتى كأنما اول ما سعت فيه الجمعية البشرية الا يكون  
 الانسان انساناً. فقد المّت هاته الجمعية بالحرية الطبيعية في كل مكان. او ما  
 ترى كل اناس يرومون ان يكون الولد على شاكلة اباؤهم. فالصيني يخنق رجل  
 الطفلة بالنعل الحديد لتشب على خلق جدتها والاوربي يضعف يسار الطفل  
 لتكون يمينه اقوى. والشرقي يخنق الطفل بجملته في اللقافة والتماط  
 ثم ان البلهوان يعود صغيرة الحجل على احدى القائمتين ويلين اعصابه  
 بقوة والكل يعارضون قواه الطبيعية ليشبه سائر القوم. فهذه العادات القاضية  
 على الوجود الانساني بان لا يكون كما وجد ولكن كما يريد الناس ان يكون  
 ذاهبة بحريته الطبيعية رأساً. فلقد رأينا الاقوام يربون الولد كما يضربون  
 الدراهم فهم يرومون ان تكون جميع القطع متماثلة متشاكلّة ولا يقبلون منها  
 ما كان مختلف النقش عن الجملة وكذلك الانسان الذي يخالف سائر قومه في  
 الخلق والخلق يفقد فيهم نصف قيمته لا اقل. ومن ذلك ينشأ فينا خفة  
 الإعجاب، وبله الاستغراب، وجنون الدهشة من رؤية كل شيء غريب الا  
 الرذيلة فانها حيثما تكن تصادف اهلاً وذلك لان هيئة الاجتماع التي تقتل  
 حريتنا باحكام التربية لا تعنى بنضائل النفوس عنايتها بالصور الخارجية.  
 واما الحرية المعنوية فقد كان المام الهيئة الاجتماعية بها اشد وانكى فانه  
 لا يكاد الطفل يخرج الى عالم الوجود حتى يغمس في ماء الكنج، او يرسم بما لا

يعلم ثم يوجه فكره الى من يجهل من المعبودات التي لا حقيقة لها ولا اله الا الله  
 ثم تأخذ الوالدة او الظئر في تعليمه الفاظاً لا يفقه لها معنى ، وتخيالات لا يدرك لها  
 سرّاً ، ثم يلقي بايدي المربين من اللامات والموبذانات . فيتولون ذهنه الظاهر  
 البسيط ، ويعر كونه كالشمع ليرسموا عليه طوابع تعليمهم ، ثم يعثونه عنوة لا على  
 الخير ولكن على ما يظنونه خيراً ، ويمنعونه لا من الشر ولكن مما يحسبونه شراً ،  
 ملقن به بين الرهبة مما لا يعلم ، والرغبة فيما لا يتوهم ، حتى ترسخ في ذهنه  
 ارواؤهم ، وتستحكم في نفسه صبغتهم ، فيعيش من القمط الى الكفن كما ارادوه  
 لا كما اوجده الله

قال ( جان جاك روسو ) : ان عنف الامهات في شد ولدهم بالفائت  
 والاقطة يضعف منهم الاعصاب فهن على ذلك ملومات . واين هذا العنف  
 مما يرتكب الذين يشدون العقول بلفائف الاوهام ، حتى تضعف بل تلتف  
 اعصاب الازهان والافهام . نعم ومن اجل هذا رسخت عداوة الحكماء ، في  
 قلوب المتسلطين الاقوياء . وما يبغضون الفلاسفة انفسهم ولا يباليون بسقراط  
 ولا غيلايوس ولا دسقراط وامثالهم من حيث كانوا وانما يخافون منهم الجرأة  
 على الرجوع الى العقل ، واتخاذ الفهم الطبيعي دليلاً في سبيل الانسانية وهذا  
 لا سواه ما كانوا يحاولون قتله بالسيف والحبل والنار .

ثم ان تعليم الانسان يتم استعباده وقتل الحرية فيه فان سادته لا يسعون  
 في توسيع نباهته ولكنهم يشربونه فهماً جديداً حتى صار التهذيب عبارة عن  
 افساد الذهن ، وتضليل القوة الحاكمة . فالاستاذ لا يعرض تعليمه ليؤخذ اختياراً  
 ولكنه يوجهه ليحمل اضطراراً . وبذلك تأيدت الاغلاط ، واستحكمت الاوهام ،  
 واستمرت الجهالة على مرور الاعوام . ثم تعزز التعليم بالقانون ، ثم تأيد بالعادة ،  
 فاثبتت الجهالة قضايا مسلمة لا ترد فكان الناس الى ما قبيل هذا العهد يمشون

القهرى ويهبطون من معالي فصاحة المخترعين، الى سفاسف اقوال المستظهرين،  
ومن محاسن اقوال الابداع والتصورات، الى مساويء الاوهام والتخريفات  
وهلم جراً. وكيف لا وقد كان التعليم امتيازاً لفرق من الناس معلومين  
لا يلقون منه في الابواب الا ما لا يخرجها عن دائرة الملائم لاغراضهم، والموافق  
لما يضررون. فكانوا يقتلون اوقات المتعلمين بما تقوى به الحافظة ولا تستفيد  
منه القوة الحاكمة شيئاً، ويضعون لهم على نوع ما ذلك العلم الذي يتلقون فكما  
خالف وضعهم وخرج عن رأيهم عدوه من آثار الثورة وتجليات الخطاء وان  
كان صواباً. تشهد بذلك معاملتهم للحكام واحرار الافكار وتنطق به  
السجون والنطوع في كل زمان ومكان

وما كان ذلك ليفيد اهل السطوة نفعاً فيما يحاولون من تقييد النفوس  
ولكنه يزيد اهل الحرية استمساكاً بها حتى يبلغوا حد التعصب فيه. فالتشديد  
من جانب الدين يضعف الايمان، والعنف من جهة السلطة يجلب العصيان،  
والغلظة من الطرفين لا تزيد على اقتياد الفكر لما يمكن الوصول اليه بدلالة العقل  
ان كان خيراً. او رده عما يمكن النجاة منه بقوة الرشاد ان كان شراً. ولكن  
احكام الهيئة الاجتماعية مبينة لمبدأ السهولة فهي تقضي (بالمغايرة) او (الجنحة)  
او (الجناية) او (الجريمة) في كل ما يخالفها والغرامة والسجن او السيف من  
وراء تلك الاحكام لتأييدها على رغم المخالفين. حرية المرء واقعة تحت  
احكام استبداد مستمر

ولا يؤخذ من هذا القول انا نروم الاطلاق المحض في الحرية بمعنى  
اخراجها عن كل حد وتعريف وقانون فذلك فيما نعتقد يردّها الى العتيدية  
بحكم ان الطرفين يتلاقيان. وانما المراد اظهار آثار القوانين الموضوعية، والعادات  
المألوفة، في حرية الانسان. فالقانون الحق لا ينقص من الحرية ولا يزيل

الاستقلال . ولكنه يقيم لها حدوداً تقيهما الضعف والاضمحلال . وشيروط  
 الحقيقة في القانون ان يكون موضوعه الحرص على حقوق الكل ، والحفظ لحق  
 الفرد ، ما لم يمس تلك الحقوق بالحكم يكون قانونياً لامن حيث انه يذهب بحرية  
 فرد من القوم ولكن من وجه انه يحفظ حرية الكل . فلا ينبغي للقوانين ان  
 تمس غير الذين المواجهون غيرهم من الناس . ولا يسوغ ان تؤثر في شأن  
 الوطن الا بمقدار ما يصيب من حق الجميع فهي من هذا القبيل معدلة للحرية  
 لا ناسخة ولا مبدلة

ولا شك ان هذا الضرب من القوانين قد عدل وأصلح في اكثر البقاع  
 حتى كاد يبلغ في بعض الاقطار حد الكمال . وحتى صار في المأمول وصوله  
 الى ذلك الحد في سائر الامصار . فقد نسخت آيات العدالة احكام الامتياز  
 الفاضح القاضي لبعض الناس بالراحة كل الراحة . وعلى بعضهم بالعناء كل العناء .  
 وابطلت احكام التبعة مراسيم الاستبداد الرافعة لبعض الناس الى مقام الالهية ،  
 والمهابة بسائرهم الى منزلة العجاوات . فلا يؤخذ اليوم الوفاء من الناس  
 لمخالفتهم رأيه واحد من يساكنون ، ولا يسجن الافراد ويقتلون صبراً بسلا  
 محاكمة ولا قانون الا عند الذين لا تزال شمس الحقائق محجوبة عنهم بغيوم  
 الاوهام فهم لا يبصرون +

وليس الامر كذلك في القوانين السياسية فهي عند الاكثرين استبدادية  
 اصلاً وفرعاً تحتجب فيها الحرية بالوان الحكومات ، وتضعف بشهوات الامراء ،  
 وتعوه او تشوه بثورات الشعوب . فمقتضى ماهية الحكومة ان لا حرية الا  
 فيما بنيت احكامها عليه ، وموجب شهوة الحاكم ان الحرية قائمة بما مالت نفسه  
 اليه ، وغلظة الشعب في ثورته محسنة لذلك الفساد من وجهيه .  
 ولقد رأينا دعاة الحرية يحاولون الوصول الى غايتها الموهومة ، واهل الاستبداد

من ورائهم يزاولون اعدام جرثومتها الطبيعية وما يفلح الفريقان فيما يعالجان .  
 ربما اخطأ اولئك من حيث يتوهمون الصواب ، وضعف هولاء من حيث  
 يلتمسون القوة . فقد بالغ ( جان جاك روسو ) في مقاومة الاستبداد ، وتأيد  
 حرية الافراد ، ولكنه قيد هذه الحرية بارادة الجمع فوقع فيما حاذر من العبودية .  
 وظنَّ غيره من الباحثين ان الوطني يبادل ما يفقد من حريته الذاتية بما يحصل  
 له من الامن بالاحكام المدنية . وهي نزعة مستكفة تُحصر بها القوة في الحكم  
 فيملك ما يريد اخذه من الحرية وما يروم اعطاءه من الامن فيفرض به  
 الامر الى ترك الحرية بلا ضمانه ، والوطني بلا استقلال ، لا يصحُّ بالنظر  
 الى الحق ان يخرج الوطني عن ان يكون حراً . فانه لا يعد الهيئة بوثيقة  
 الاجتماع الا باعانة مماثليه ، وحفظ الوطن الذي نبذ احكامه فيه ، فهو في جمعية  
 ضمانته متساوية في الجانبين فاذا ساعد فيها الكل لم يخسر من استقلاله شيئاً الا  
 عوض منه ولم يحصل له من الكسب شيء الا كان مضموناً

وكما ان الحكام يريدون تأييد الحرية بما يتصورون من الاحكام . كذلك  
 حاول بعض الناس اعدام الحكم والحكومة بما يتخيلون من الاوهام . فالسلطة  
 والحرية متماثلتان في الحدة يفرضي بهما الخلاف الى الغضب وتؤدي فيهما الصعوبة  
 الى العداوة . ومن اجل ذلك رأينا ذوي الامر ميالين الى الاستبداد . والشعوب  
 الى الاطلاق . ومن اجله كان ارباب الخطط الذين هم مظاهر السلطة بغضاً  
 عند سائر القوم ومن اجله كانت الرعية بمنزلة الاعداء عند المستبدين  
 ومن المقرر المتفق عليه بين النقدة الاحرار ان الحرية والمساواة متلازمتان  
 فلا حرية مع الامتياز ولكن هنالك درجات عبودية من الامير الى احقر الرعية  
 تُتصل دنياها بالرق ولا تصل عليها الى الحرية . ولا خفاء في ذلك لخذ الامتياز  
 ان يعمل احد الناس ما لا يجوز لسائرهم وان يحظر على الجميع ما يجوز لبعض

الافراد بحيث لا يتمتع الممتاز بزيتيه ما لم يمس حرية سائر القوم ولا ينال هؤلاء  
حريتهم الا بانعدام تلك المزية فالامتياز والحرية متخالفان

على ان الامتياز مناف للقدرة الحاكمة ايضاً بما فيه من اخراج بعض الناس  
عن دائرة الحكم الكلي وتخويلهم من ذلك حقاً غير طبيعي يكون حكماً على  
الحكم فهو عدو الحرية والحكومة معاً يظهر المستبدين على الشعوب، وهوء لاء  
على المستبدين، ثم لا يتحد باحد الفريقين في حال

ولكن ليست المساواة مبدأ الحرية وانما هي نتيجة الطبيعية فان لم توجد  
فلا تكون تلك حقيقة بل اذا ظهرت الحرية بمظهرها الحق بين الذين تولاهم  
الامتياز خالوا انها بدعة منكورة وما هي في شيء من ذلك ولكن بدعة الامتياز  
اخفت عنهم الحق وهم لا يشعرون

فما تقدم يعلم ان الحرية السياسية بعيدة المنال، عسيرة الكمال، بل يكاد  
يتمتع تكاملها في فريق من الناس بما تؤثر فيها عوامل العادات والقوانين  
والاحوال والاخلاق الاجتماعية وانما تحصل منها ضروب متنوعة تشبه ان تكون  
ضروباً من الامتياز ثم تكثر وتمتد حتى يحصل منها لكل واحد من القوم نصيب  
فتعمم انواع الامتياز كأنهم جميعاً نبلاء ولو حصلت لهم الحرية الحقيقية  
لكانوا جميعاً متساوين

اقول هذا ولست اجعل ان الشرط او القليل او التمني لا يفيد شيئاً فقد  
مرت الوف الاعوام على جماهير الانام، والحرية عند اكثرهم مجهولة المكان، فما  
ابعدك من الكمال ايها الانسان

<sup>الاعتدال</sup>
<sup>الذهب</sup>  
 \* التعصب والتساهل \* ✓

« وهي خطبة القيّتها في جمعية زهرة الآداب »

لقد جرى لفظ التعصب على السنة اهل الانشاء العربي بمعنى الغلو في الدين والرأي الى حد التعامل على من خالفها بشيء فيما يدين وما يرى . واجريتُها هنا لفظ التساهل بمعنى الاعتدال في المذهب والمعتقد على ضد ذلك الغلو متابعةً للافراج في لفظهم المعبر عن هذا القصد ( توليرانس ) ولا اجهلُ ان هذين الحرفين - لفظ التعصب ولفظ التساهل - غير وافيين بالمراد منهما اصطلاحاً وان في ايلاء الاول معنى الغلو في الدين والرأي توسعاً عظيماً . وفي إشراب الثاني ضد ذلك المعنى خروجاً عن الحد اللغوي . ولكن للاصطلاح حكماً نافذاً يسوق الالفاظ الى المعنى الغريب فتنقاد . فاذا مرت عليها الأيام . وصقلتها الالسنه والاقلام . جاءت منطبقه عليه بلا إبهام ولا إيهام .

وحدّ التعصب عند اهل الحكمة العصريه غلو المرء في اعتقاد الصحة بما يراه . واغراقه في استنكار ما يكون على ضد ذلك الرأي حتى يجمله الاغراق والغلو على اقتياد الناس لرأيه بقوة ومنعهم من اظهار ما يعتقدون ذهباً مع الهوى في ادعاء الكمال لنفسه واثبات النقص لمخالفيه من سائر الخلق وحدّ التساهل عندهم رضی المرء برأيه اعتقاد الصحة فيه واحترامه لرأي الغير كائناً ما كان رجوعاً الى معاملته الناس بما يريد ان يعاملوه فهو على اثباته الصواب لما يراه . لا يقطع بلزوم الخطاء في رأي سواه . وعلى رغبته في تطرق رأيه للاذهان . لا يمنع الناس من اظهار ما يعتقدون

فمن تبين هذين الحدين بصيراً سليماً العقل طليقَ الذهن من إسهار الوهم  
 حارلاً شكاً في كثرة من يراه من اهل التعصب على قلة من يمر به من  
 المتساهلين . وعجب وحق له العجب من بني نوعه كيف يداخلهم التعصب فيما  
 يعتقدون وما يرون . وقد عجزت افهامهم عن ادراك الكثير من اسرار هذا  
 الوجود وقام لهم في كل حركة وكل سكنة من افكارهم دليل على امتناع  
 الكمال على الانسان وكان لهم في تعصب الاولين عبرة لو كانوا يعتبرون  
 الم يروا كيف تعاقبت المذاهب . وتوالت الآراء . وتتابعت قضايا  
 العلوم الانسانية . معدودة في عصورها من الحقائق . وفيما يلي تلك العصور  
 من الاوهام . ولا اذكر العقائد الدينية متسلسلة من بوذا الى زرودشت الى  
 كونفوشيوس الى سائر دعاة الدين كراهة ان يتوهم في قصدها بالذات . بل  
 حسي الاشارة الى تعاقب الوهم والحقيقة والخطأ والصواب في قضايا العلم  
 عبرة للمتعصبين

الم يكن القول بسكون هاته الارض قضية مسلمة ، وبدوران الشمس  
 من حولها حقيقة معلومة ، وبانقسام البسيطة سبعة اقاليم علماً يقيناً . او لم يكن  
 طب ابقراط الهاماً ، وفلسفة ارسطو طاليس كشفاً ، وتعبير ابن سيرين حقاً ، فماذا  
 نقول رم الذين تعصبوا لهاته الاوهام على من كان في ريب منها فالزموه  
 الصمت والخسف . وعاملوه بالشدّة والعنف . حرصاً على ما يتوهمون  
 من الحق والحق بري منهم لو يعلمون

ولقد رجعت الى المحفوظ من اخبار الامم حتى بلغت الحد الذي يدخل  
 التاريخ منه في ظلمات الريب والخطأ ، فما مر بي جيل من الناس ، ولا حقبة  
 من الزمان ، الا رأيت من آثار التعصب في الدين والرأي ما ينقبض له الصدر  
 استنكافاً ، وتثور منه النفس استنكاراً . ثم عدت الى الفطرة الانسانية ، لاستكشاف

الاستنكاف والظلم  
 في التعصب

العلوم الانسانية

صحة العقائد الدينية  
 من بوذا الى زرودشت الى  
 كونفوشيوس الى سائر دعاة الدين

الاستنكاف والظلم  
 في التعصب

العواطف الطبيعية فرأيت فيها من السذاجة والسلامة ما ينطبق على حكم التساهل من كل الوجوه . فعملت ان التعصب على قدم وجوده حادث طارئ على الانسان . تولد عن مفسد الرئاسة في الجماعات . وتواصل بالعادة والتقليد حتى صار في النفوس من الملكات . يظهر ذلك لمن تدبر قدم التعصب في جنب خروجه عن الطباع . ويعلمه من تأمل احوال الرئاسة في صدور هيئات الاجتماع .

ولعلي اوجزت واجملت والامر يحتاج الى الايضاح والتفصيل فاقول :  
 قد اجتمعت آراء المتفكرين على ان الرئاسة قد حصلت بدأة بدء للتمولين او الاقوياء وفي الحالين لم يأمن الروساء على سطوتهم ان تزول بفقد الثروة او انحطاط القوة . فالتمس النبهاء منهم تأييدها بما لا تؤثر فيه النوازل ولا يضعفه كروز الأيام فوضعوا للجماعات احكاماً كل رئيس وما توهم فيه المصلحة او ما رأى ميل قومه اليه فرضي كل اناس مشربهم وقالوا هذا هو الحق الذي لا ريب فيه . وقال غيرهم من الاقوام بل الحق ما نحن عليه فانتم في ضلال مبين . فوقعت يديهم الاحن . وشبت اعقابهم على العداوات . حتى قويت روابط الاوهام ، فتقطعت صلات الارحام . فصارت من الفضيلة ان يقتل الانسان اخاه ان خالفه فيما يراه . وامتلات رؤوس الخلق عناداً . فملاوا الارض فساداً . فعُدت المظالم عدلاً وسميت المذابح جهاداً .

ولا احاول استيعاب المفسد والنوائب التي نشأت عن التعصب في الدين والرأي . فذلك تأريخ الحروب والفتن والغارات والمهاجرات من صدر الاجتماع الانساني الى المائة السالفة في بلاد الغرب والى هذه الأيام في بلاد الشرق . بل الغرب على انتشار العلوم فيه وحصول الحرية لاكثر ساكنيه لم يخجل الى الآن من آثار ذلك الداء العياء

نعم الا نرى فيه الان افراداً وجماعاتٍ من الناس يذوقون الوان العذاب  
 ثم يقتلون صبراً شهداء ما يعبدون كما وقع لاهل النصرانية في دولة الرومان .  
 ولا نجد الوفاً من السكان المستأمنين يخرجون من ارضهم بالقوة او تهدر  
 دماؤهم لاستمساكهم بما كان يعبد اباؤهم كما جرى لليهود في اسبانيا . ولا  
 نصر ديوان عقاب وبقعة يحكم بالتشهير والحد والتعذيب والموت على من  
 اتهم بالشك في رواية المجازيب عن بعض النساء عن بعض الاطفال كما كان  
 ديوان التفتيش في كثير من ممالك الافرنج . ولا نلني مئات الوف من  
 نبهاء الخلق الامناء الصادقين بيتون في منازلهم ويؤخذون بالسيف نقتيلاً  
 لجرد انهم يفهمون من آي الكتاب خلاف ما يفهم غيرهم من الناس كما حل  
 بالبروتستنت عام ١٥٧٢ في بلاد الفرنسيس . ولا نجد ايضاً جماعاتٍ من الخلق  
 لا يستطيعون النطق بما يعتقدون ولا الظهور بما يعبدون . ولا افراداً من  
 الجماعة يعاقبون بالسجن او التباعد لانهم يأكلون البان حيوانهم . في زوايا  
 اكواخهم . يوم يأكل ساداتهم الوان الاسماك الشهية . ويشربون معتقة  
 الخمر في غرف القصور .

نعم لا نرى كل ذلك في الغرب الآن ولا نكاد نبصره في الكثير  
 من اقطاره ماخوذاً بما اوضح من رأيه وما اشاع من مذهبه وان خالف رأيه  
 الاكثرين . ولكن هذا التساهل في الهيئات ، ارسخ منه في الافراد الا الذين  
 تطهروا من ادران التقليد وسلموا من عال الاوهام ، وغالبوا الملكات الحاصلة  
 عن العادات ، وترفعوا الى مقام السذاجة الاعلى وقليل ما هم .  
 والا فما هذا الذي نراه من التحامل على بقايا آل اسرائيل في بلاد الروس  
 والامان . وما ذلك الذي مر بنا من مظاهر الإحن بين الكاثوليك وغيرهم  
 في تلك البلاد . وماذا الذي نسمع به الآن من الخلاف والشقاق بين الشيع

المتبانية في فرنسا وإيطاليا وبلجيكا وغيرها من اعرق البلاد في التساهل  
والحرية .

ألا أقص عليكم اخواني شيئاً مما تبين من محاكمة المتهمين بالفتنة التي جرت  
منذ شهرين في بلد (منسوليمين) بوطن الفرنسيين :  
تبين من تلك المحاكمة ان اصحاب المعدن في ذلك البلد ( والبلد عبارة  
عن المعدن والعاملين فيه ) كانوا اذا رأوا من احد الفعلة فتوراً في العبادة .  
او ضعفاً في العقيدة التي يعتقدون . ضربوا عليه الغرامة اجرة يوم ويومين  
وما فوق . واذا ظهر عليه انحلال العقيدة طردوه من المعمل رأساً اي حكموا  
عليه بالفاقة وعلى عياله بالجوع واذا مات ذلك المنحل العقيدة فشيعة صاحب  
له من رفقاء اتعابه الى القبر . عاقبوا المشيع بمثل ذلك العقاب وهم هم في البلد  
الذي افتدى اهله بدمائهم حرية السعي . وحرية الرأي وحرية القول . فما  
الظن بغيرهم من اهل سائر الاقطار وما الظن بنا نحن الذين كان من نعم  
الله علينا ان وجدت بلادنا المقدسة مهبطاً للوحي ومقاماً للعقائد الدينية من  
عهد موسى صلوات الله عليه الى هذه الايام .

بل ما الظن بنا ونحن احرص الناس على تعاليم السلف الكرام فيما لا  
يس جانب النفع الادبي ولا يتصل بطرف الفائدة الحسية حتى ان معارف  
علمائنا في هذه الحقبة لتساكل بالحرف معارف آباءهم من ثلاثمائة عام وتنحط  
بالضعف عما كانت عليه معارفهم من الف عام . وما الظن بنا ومثلي متكلماً بهذا  
الموضوع في مثل هاته الجمعية الزاهرة . يخاف معاذ الله ان لا يجد لديكم  
استحساناً . لا جرم انا اسعد خلق الله في اسعد بلاد الله فالحمد لله ثم الحمد لله  
وقد سبق القول في حد التساهل انه رضى المرء برأيه اعتقاد الصحة  
فيه مع احترامه لراي سواه . وهذا وان كان من الواجبات البديهية . والقضايا

المسئلة عند ذوي العرفان . الا انه لسوء الحظ كثيره من سائر الواجبات ترشد  
 الحكمة اليه ، ولكن تغلب الشهوة عليه ، حتى لا يكاد يوجد في الانسان الا  
 عند العجز عن مجاوزة حده ، لمجاورة ضده ، فهو كالخريه يشتاها الانسان رؤساً  
 وينكرها رئيساً . وكالزهادة يقبلها سقيماً . وينبذها معافى سليماً . فلا يثبت  
 على تغير الاحوال الا عند ذوي النفوس الكريمة والطباع القويمة وما هم بكثير  
 فلم رأينا من فئة مستضعفين يطلبون التساهل ويدعون اليه بكل لسان ،  
 ويثبتون له الوجوب من كل الوجوه . فلما ان قامت دولتهم ، وقويت  
 شوكتهم ، وصار اليهم الامر والقوة ، كانوا من الغلاة المتعصبين . وهذه تواريخ  
 العقائد الدينية والمذاهب الفلسفية والطرائق السياسية فيما تعاقب عليها من القوة  
 والضعف والقبول والرفض شاهدة بصحة ما اقول . لا يقف النظر على  
 صفحة منها الا رأى المتساهل في ضعفه ، متعصباً يوم قوته ، والمتلاين في  
 حال خسفه ، متشدداً في دولته . ولذلك لم يرض الحكماء من التساهل بان  
 يكون صادراً من اللسان مراعاة لاحكام الضرورة او من عاطفة القلب ميلاً  
 الى المعاملة بالاحسان بل اوجبوا فيه الاعتقاد بتحمته على الانسان علماً منهم  
 بانه يكون في الحالة الاولى متعلق الوجود ببقاء تلك الضرورة والضرورات  
 قابلة الزوال . وفي الحالة الثانية متوقف البقاء على وجود تلك العاطفة والعواطف  
 لا تستقر على حال . ومثل هذا الواجب الادبي الحق لا ينبغي ان ينسأط  
 بهاته الاسباب الواهية وتلك العرى القربية الانحلال . وانما اللازم فيه تقييده  
 بمبدأ متين من الحق . وتأبيده بعماد مكين من اليقين . بحيث يعلم مع  
 مخالفته فيما يظهرون من ارائهم . وما يعلنون من مذاهبهم . انه لا يفعل ذلك  
 رهبة منهم ان كانوا اقوياء . ولا شفقة عليهم ان كانوا ضعفاء . ولكن قياماً  
 بواجب من العدل والحق

نفس الفلسفية  
 من سائر الواجبات  
 ترشد الحكمة اليه  
 في الانسان الا  
 عند العجز عن  
 مجاوزة حده  
 فهو كالخريه  
 يشتاها الانسان  
 رؤساً وينكرها  
 رئيساً .  
 وكالزهادة  
 يقبلها سقيماً  
 وينبذها معافى  
 سليماً .  
 فلا يثبت  
 على تغير الاحوال  
 الا عند ذوي  
 النفوس الكريمة  
 والطباع القويمة  
 وما هم بكثير  
 فلم رأينا  
 من فئة مستضعفين  
 يطلبون التساهل  
 ويدعون اليه  
 بكل لسان ،  
 ويثبتون له  
 الوجوب من كل  
 الوجوه .  
 فلما ان قامت  
 دولتهم ،  
 وقويت شوكتهم ،  
 وصار اليهم  
 الامر والقوة ،  
 كانوا من الغلاة  
 المتعصبين .  
 وهذه تواريخ  
 العقائد الدينية  
 والمذاهب الفلسفية  
 والطرائق السياسية  
 فيما تعاقب عليها  
 من القوة والضعف  
 والقبول والرفض  
 شاهدة بصحة ما  
 اقول . لا يقف  
 النظر على صفحة  
 منها الا رأى  
 المتساهل في  
 ضعفه ، متعصباً  
 يوم قوته ،  
 والمتلاين في  
 حال خسفه ،  
 متشدداً في  
 دولته .  
 ولذلك لم يرض  
 الحكماء من  
 التساهل بان  
 يكون صادراً  
 من اللسان  
 مراعاة لاحكام  
 الضرورة او من  
 عاطفة القلب  
 ميلاً الى  
 المعاملة بالاحسان  
 بل اوجبوا فيه  
 الاعتقاد بتحمته  
 على الانسان علماً  
 منهم بانه  
 يكون في  
 الحالة الاولى  
 متعلق الوجود  
 ببقاء تلك  
 الضرورة  
 والضرورات  
 قابلة الزوال .  
 وفي الحالة  
 الثانية متوقف  
 البقاء على  
 وجود تلك  
 العاطفة  
 والعواطف  
 لا تستقر  
 على حال .  
 ومثل هذا  
 الواجب  
 الادبي الحق  
 لا ينبغي ان  
 ينسأط بهاته  
 الاسباب  
 الواهية  
 وتلك العرى  
 القربية  
 الانحلال .  
 وانما اللازم  
 فيه تقييده  
 بمبدأ متين  
 من الحق .  
 وتأبيده  
 بعماد مكين  
 من اليقين .  
 بحيث يعلم  
 مع مخالفته  
 فيما يظهرون  
 من ارائهم .  
 وما يعلنون  
 من مذاهبهم .  
 انه لا يفعل  
 ذلك رهبة  
 منهم ان  
 كانوا اقوياء .  
 ولا شفقة  
 عليهم ان  
 كانوا  
 ضعفاء .  
 ولكن قياماً  
 بواجب من  
 العدل والحق

قال احد كتاب الفرنسيين في هذا الموضوع ما معناه :  
 « وجب التساهل على الانسان من ثلاث جهات من جهة نفسه ، ومن  
 جهة ابناء جنسه ، ومن جهة الحقيقة ، والحقيقة هي الله »  
 فاما من جهة النفس فلانه من واجباتنا الادبية التماس العلم والحكمة في  
 اي وعاء خرجا . واصلاح ما عسانا ان نكون عليه من الخطاء . وكيف يحصل  
 لنا ذلك ان سدنا افواه الناطقين ظلماً واستبداداً . ولم نسمع ما يقولون لننظر  
 في اقوالهم . فنتم آراءنا بآرائهم .  
 قال فيكتور هيگو :

كل انسان كتاب يكتب الله سطورَه

ويقول العاجز

وكذا البحث زناد قادم للحق نوره  
 كيف لا وفي اقوال احقر الناس وآراء اصغر الخلق عبرة وفائدة وعلم جديد  
 للمتأملين .

واما وجوب التساهل على الانسان من جهة حق الناس عليه فلان العدل  
 الموجب للتكافؤ يلزمه بقبول ما يريد ان يقبله الناس منه سواء . ولما كان  
 اول واجباتنا الادبية التماس الحق والصواب . وثانيها ايضاح ذلك الحق  
 بالاقوال والاعمال . كان من الظلم القبيح ان يمنع غيره من ابداء ما يظنه ذلك  
 الغير صحيحاً . ومن العسف المنكر ان يشوش عليه ما ياتمس من الحق  
 بالاعتصاب او الارهاب المانع من التفكير .

واما وجوب التساهل من الجهة الثالثة جهة الحقيقة الخالصة فقد اثبتته  
 العقل ولم تنفخه نصوص الاديان بل ايده في مواضع لا تعد . قال ترتليانوس  
 الكلامي ليس من البر ولا التقوى ان تُسب حرية الناس في امور الدين

دعوة اليه  
 دست خذ  
 سنة ١٩٢٢  
 محسن

مصر  
 الكورني  
 والديان

فإن الله سبحانه وتعالى منزّهٌ عن أن يريد أن يعبد اضطراراً  
 وقال يوستينيانوس القديس: اشد ما يخالف الدين نكراً أن يحمل الناس  
 عليه قهراً . وفي: لكم دينكم ولي دين . وفي: لا تجادلوهم إلا بالتي هي أحسن  
 بلاغ المتبصرين

فالذين يلتزمون الزلفى إلى الله بالوعيد والتحويل . والذين لا يريدون  
 أن يعبدوا إلا كما يريدون . والذين يحاولون رسم آرائهم في القلوب واللباه  
 بالحديد والنار . كل هؤلاء يغيظون الله ويكفرون بالحق ولا يشعرون . فإن  
 الحقيقة ليست باجبية ولا بعدوية لتلقى على كاهل المرء الزاماً . وإنما نحن  
 ضيوفها بالطبع فهي تقبل علينا وتقف لدينا لتطلبها عن رضى راغبين  
 وقال شيشرون خطيب الرومان: إنما نكون عبيد القانون لنصير  
 بالقانون احراراً

وفي الحديث المأثور كُنْ للحق عبداً فعبدُ الحقِ حرٌّ . وقول ذلك  
 الخطيب الروماني ينطبق مقلوباً على ما نحن بصددده . فيقال فيه  
 يجب أن نكون احراراً لنخدم الحق كما يجب والحق هو الله  
 وهذا دعاء المتساهلين نجعله للمقال ختاماً: يا بديع الصفات . اله جميع  
 الموجودات . ما عرفناك حق معرفتك . ولا اهتدينا بضيائك لحكمتك .  
 ألهمنا في امورنا رشداً . واسلك بنا سبيل الهدى . لتعاون على احتمال  
 النوائب الكثيرة . في هاته الحياة القصيرة . ونعلم ان الخلاف الذي بين وقاء اجسامنا  
 الضعيفة . وبين لغاتنا القاصرة . وبين عاداتنا السخيفة . وبين احكامنا الناقصة .  
 وبين احوالنا المتباينة . فيما نراه على استوائها لديك . ان جميع هاته المميزات . بين  
 هاته الذرات . لا تكون من اسباب الاحن والعداوات . فستوي عبادتك برطانه  
 من لسان قديم مهجور . وبغيرها من لسان جديد مشهور . ولا يميز بين

مَنْ يوقدُ الشمعَ نهاراً لدعائك . ومن يكتفي فيه بضياء سمالك . وبين من  
 يلبسُ لذلك الذهب والحريز . ومن يستقبلُ سماءك باطارِ الفقير . ويكونُ  
 الذين ملكت ايمانهم قطعاً مدورةً من بعض المعادن متمتعين بلا تيه بما يسمونه  
 نعيماً . والذين استولوا على نتفةٍ حقيرةٍ من بقعةٍ صغيرةٍ منتفعين بلا كبير  
 بما يحسبونه ملكاً مقيماً . ويكون سائرُ الناسِ راضين بالموجود . غير حاسدين  
 على المفقود . ويذكرُ ابناء الانسان انهم في الانسانية اخوانٌ فلا يمزق بعضهم  
 بعضاً عناداً . ولا يملأون الارض فساداً . تجليلاً لك عما يقولُ الجاهلون .  
 وتزيباً لك عما يزعمُ المتعصبون . انك اعظم من أن تغضب . واعز من أن  
 ترضى . واكرم من أن تغفو . واكبر من أن تسر . واجل من أن تساء .  
 تماثلتُ لديك الذوات وتساوت عندك الاشياء . وانت في الكل وللكل  
 سواء . وقينا العثرة مع المتعصبين واحشرنا في زمرة المتساهلين . امين . اه

### ✽ اليونان والرومان ✽

وهي أوّل خطبة القيتها في جمعية زهرة الاداب

لو عدل تاريخ اليونان والرومان بتواريخ سائر الامم في جميع الازمنة  
 لكان اوسع منها مجالاً . واوفر مادةً واكثر انتشاراً . ولا بدع في ذلك  
 فان هاتين الامتين معدودتان بمنزلة الاصل الاول او الوسيلة المعروفة في  
 وصول التمدن والعلوم الى الغرب حتى ان العلم بلسانيهما القديمين كان من  
 لوازم العالمية في جميع البلاد الاوروبية ولا يزال كذلك في الكثير منها  
 الى الآن

ومن اجل هذا اقبلت على جمع شيء من تاريخيهما بقصد المقابلة بين ما

نشأ عن كلٍ منهما من الآثار النافعة . والموازنة بينهما في الفضل والمقام  
المدني . لا أقصدُ بذلك غرضاً في النفس . ولا أخرجُ فيه عن قسطاسِ  
التأريخ . على ان المقامَ ضنكٌ فيما تعلمون وما هي الا تجربة مبتدئية  
يعرضها لآخوانه ويستترها عن غيرهم من الناقدين

ولا بدّ قبل الشروع في تأريخ الامتين من الاشارة الى جغرافية المملكتين  
لما بين التأريخ والجغرافية من التلازم في كثيرٍ من الاحوال .  
فمملكة اليونان لم يحددها القدماء تحديداً شافياً جلياً . وانما قسموها  
ثلاثة اقسام . البلوبونيزية . جنوباً . واليونان . خاصةً في الوسط . وتساليا .  
شمالاً . ثم اضافوا اليها . ايايرية الجنوبية . ومكدونية . وثرافة . والجزائر اليونانية .  
هذا حد ما بلغ تقسيمها الاصلي على انه كان لدولها املاكٌ كثيرةٌ في سائر  
اقسام الارض بما فتحت من الامصار . وما اكتشف رجالها من الاقطار .  
وما استعمرت نزالاتها من الديار .

وقد اختلف تقسيمها عن ذلك عقيب موت بلويس . وفي خلال حرب  
تروادة . وحرب البلوبونيزية . الى ان دخلت في ولاية الرومان عام ١٤٦  
للميلاد فصارت ايالة او قنصلية رومانية وسميت اخائية . ثم صارت في  
زمن اغسطس ولاية سنائية اي لاحقة بمجلس السنوات  
ولما قسمت السلطنة الرومانية في زمن قسطنطين دخت مملكة اليونان  
في سلطنة الشرق وما برح اسمها مع ذلك اخائية . ثم صارت مع مكدونية  
في النصف الثاني من القرن الرابع مملكة برأسها الى ان استولى الصليبيون  
على القسطنطينية فجعلوها امارات متعددة لغير واحدٍ من رؤساء جنود  
البندقية وجنوى . ولما فتح العثمانيون القسطنطينية استولوا على معظم تلك  
البلاد . ثم تم لهم امتلاكها جملةً فجعلوها ولايات اربعا . ولاية تسالونيكية .

وولاية يانينة . وولاية ليوادية . وولاية المورة او ثريبو ليزرة . فبقيت على هذه الحال بلا تغيير يذكر الى ان كانت سنة ١٨٢١ فنشط اليونان اطلب الاستقلال فتسنى لهم ذلك بمساعدة بعض الدول العظام فصارت بلادهم مملكة مستقلة تمتد من الغرب الى الشرق من جون ارتا الى جون فولو . ويحدها من الشمال بلاد الدولة العثمانية في اوروبا . ومن الشرق والشمال الشرقي الجزائر المعروفة بالارخيل . ومن الجنوب البحر المتوسط . ومن الغرب بحر اليونان . وطولها ٢٥٠ كيلومتراً وعرضها مئتان .

اما مملكة الرومان او ايطاليا القديمة فقد كانت منذ القرن الرابع قبل الميلاد مقسومة ثلاثة اقسام . غالية . اوغولة السسابية في الشمال . وايطاليا خاصة في الوسط . واليونان الكبرى في الجنوب . فكان يحدها شمالاً مسكرا وابنين واوتيس . وغرباً البحر المعروف بالداخلي . وجنوباً سيرانوس وفرنتو . وشرقاً بحر الادرياتيك . ثم قسمت في زمن الجمهورية سبع ولايات وفي زمن الامبراطورية احدى عشرة . ثم غير ادريانوس هذا التقسيم فجعل المملكة ولايتين اثنتين ولما مات قسطنطين وقسمت المملكة من بعده اطلق على ولايتين من سلطنة الغرب اسم ايطاليا ولم يكن كل ما فيهما من البلاد منها . وبعد اضمحلال سلطنة الغرب قسمت ايطاليا بين يوستينيانوس الثاني امبراطور الشرق والمباردين

هذا حد ايطاليا القديمة اي نفس بلاد الرومان اما الاقطار التي آلت اليهم بالفتح والاستعمار فلما لا يكاد يدخل الحصر لتشعبه وكثرتِه وتعاقب انواع التقسم فيه .

ونعند الى اليونان لذكر شيء من تاريخهم فنقول سمي اليونان اولاً انتسين اي اهل تربة واحدة وهم في الاصل قبائل وبطون من البلاسجيين

من  
اليونان  
التي  
تسمى  
اليونان

ولا يعرف اصلهم في ما وراء ذلك ولكن الاكثرين على أنهم جالية من  
آسية الصغرى

وقد كانوا قبل عام ٢٠٠٠ قبل المسيح في حالة البداوة والحشونة ولم  
يذكر التاريخ لهم من مدينة قبل (سيديون) التي اختطها اجبالة في القرن  
التاسع عشر قبل الميلاد ثم اتتهم اقوام من مصر وفيذيقية باسباب الحضارة  
والمدينة فاخطت ايناكوس وابنه فوروني منهم مدينة ار كوس وشرع اسبرتون  
في بناء مدينة اسبرته عام ١٨٨ ولم تتم على عهده وانما كمل بناؤها على  
يد ليلبكس عام ١٧٤٢ وبعد ذلك ظهر الهيلانيون الذين يطلق اسمهم على  
امة اليونان الى هذه الايام فاستولى رجل منهم يقال له سيرويس على اثينا  
سنة ١٦٤٣ وآخر يقال له دكايون على تسالينوكية عام ١٦٣٥ وحكم  
كوموس في ثيبه عام ١٠٨٠ ودانوس في ار كوس عام ١٥٧٢ ومينوس في  
كريت عام ١٥٠٠ وهذه العصور معروفة فيهم بايام الابطال لما حصل فيها  
لبلاذ اليونان من المجد والسوء دد والفلاح في الزراعة والصناعات وفيها  
أدخلت بتلك البلاد مذاهب المصريين والفينيقيين وسنت لاهلها القوانين  
والشرايع وظهرت فيهم سطوة الهراقلة فاستولوا على البلوبونيزه فاتاها  
الهيلانيون الذين كانوا اصحاب تسالية واقاموا بها في ولاء الهراقلة الى ان  
امتلكوها على يد اولاد بلويس عام ١٣٠٧ ثم كانت حروب تروادة التي بالغ  
شعراء ثم في وصفها وذكر شجاعة المقاتلين فيها حتى امتزج في تاريخها الصدق  
بالخرافات وانتهت عام ١١١٠ ثم حصل الوفاق بين الهراقلة والهيلانيين  
فاستولوا ثانية على البلوبونيزه واخرجوا سكانها بقوة وكان ذلك ابتداء عصر  
اليونان المعروف بالوسط وهو الذي وقفت فيه حركة نجاحهم المدني الى ان  
عادتهم الغيرة فبعثوا بملاحيهم الى سواحل آسية الصغرى وايطاليا والغولة

وهسبانية وسارت ركبانهم باشعار هوميروس العجيبة التي ترفع الذهن بقوة  
التصور الى ما فوق رتبة الانسان فاتسع فيهم نطاق الادب . وجدّ بهم  
الحرص على العلوم والعقائد . حتى صار لكلّ بلدٍ من اقطارهم معبودٌ مخصوص  
بذلك البلد . ووضع لهم ليكرغوس القوانين في اسبرته عام ٨٩٨ . وقامت الجمهوريات  
في مدنهم لاقامة امور العدل فالغي الملك في اثينا عام ١١٣٢ وفي اركوس  
عام ٨٢٠ وفي اليدة عام ٧٨٠ وفي قرنتية سنة ٧٤٧ وفي ارقادية ومسينة  
عام ٦٦٨ ولم يبقَ محفوظاً الا في اسبرته

ثم ادخلت الى اثينا شريعة دراكونوس عام ٦٢٤ وشريعة صولون سنة  
٥٩٠ ووقعت الحروب المادية عام ٤٩٠ فبلغ ابطال اليونان فيها مقاماً تنخفض  
لمثله روؤوس ابطال .

وفي خلال ذلك نبغ فيهم العلماء وظهر منهم الحكماء الذين فتح عليهم  
بما كان مغلقاً على سائر الناس . فاخرجوا الازهان من ظلمات الجهالة . ومهدوا  
سبل الخروج من دياجر الضلالة . فاشتهر اشيل وسفقليس واورديبس بنف  
التراجيدية البديع . وظهر ارستوفانوس بنف الكوميديّة البهي . ونبغ هيرودوتوس  
وتوقيديدس في صناعة التاريخ . وبدأت آثار الحكمة والفلسفة من تاليس  
وذيموقريطس اللذين ينسب اليهم قرايطون اليهما ومن فيثاغوروس  
وبرميدس وهرقليدس وانكساغورس فانشئت على يدهم مدارس الحكمة  
الخالدة الآثار . وابدع ابقراط في الطب وهو واضع اصوله واول كاتب  
فيه بلغ من العلم به الى حد ان عدّ علمه وحياً . وبقي من بعده ستائة عام  
لم يزد واحدٌ عليه حرفاً . الى ان ظهر جالينوس فاخذ ما كتبه ابقراط وهذبهُ  
وزاد فيه

وظهر سقراط وافلاطون وارسطاطاليس حكماء الارض غير معارضين

واشتهر فيدياس مصلح الهندسة العظيم وبرقايس الخطيب البليغ الذي ولي  
الامر في اثينا ثلاثين عاماً وغيرهم كثير من العلماء والحكام الذين ابقوا لبلاد  
اليونان مجداً ثابتاً على مرور الزمان .

ثم اختلفت امور اليونان الداخلية بما نالهم من النشوة بالنصر في الحروب  
الخارجية ف وقعت حرب البلوبونيزة ودامت فيهم سبعا وعشرين سنة . ثم  
اجلت عن حصول الامتياز لاسبيرتة على سائر البلاد اليونانية . ثم وقع الاتفاق  
بين تلك البلاد على ضد لقدمونية وعظم شأن اثينا باعمال كولون وافقراط  
ولكن انتالسيدياس واثق الفرس ميثاقاً دنيئاً عائباً عام ٣٨٧ فكان ذلك سبباً  
في قيام اليونان على اسبرتة .

ثم جرت الحرب المعروفة بالمقدسة على ضد الفوقيين الذين احرقوا  
هيكلاً ذلقة عام ٣٥٥ فكانت وسيلة لتدخل فيليب صاحب مكدونيا في  
امور اليونان فانتهازها فرصة لادخالهم في طاعته فقاومه دموسنين اشد المقاومة  
وذاده اليونان عن انفسهم ما استطاعوا . ثم دانوا له بعد يوم شيروني عام  
٣٣٨ واستمرت فيهم الحروب الاهلية بعد ذلك حتي وهنت قواهم وعظم  
اختلال احوالهم وضعفت مستعمراتهم من قلة المدد فباغتتهم الرومان على هذه  
الحال من الوهن واستولوا على ايليرية عام ٢٢٩ . ثم نزلوا مكدونية عام ١٢٨  
وامتلكوها عام ١٤٧ وصارت بلاد اليونان ولاية رومانية عام ١٤٦ ومذ  
حينئذ لم يبق لتاريخ اليونان شأن يذكر لما انه دخل في تاريخ الرومان  
ثم لما سطرت السلطنة الرومانية في القرن الرابع للميلاد . ادخلت بلاد  
اليونان في سلطنة الشرق واخذت هاته السلطنة في التلاشي من توالي هجمات  
البرابرة من الوسقوط والوندال والاستروكوت والبلغار وغيرهم . ثم زحفت  
العرب اليها في القرن التاسع وتلاهم البلغار في العاشر فلم يفوزوا منها بطائل

التي  
التي  
التي

ثم نازلها فادكسكار بالنور مندين عام ١٠٨٠ ثم قامت بها الدولة اللاتينية  
 فجعلتها عدة اقسام لامراء من الصايبية يتولونها في حماية صاحب القسطنطينية  
 الى ان تم الفتح الكبير للسلطان محمد الثاني عام ١٤٥٣ فاستولى القائد عمر باشا  
 على اثينا عام ١٤٥٦ ودافع اسكندر بك المشهور عن استقلال ابيرة الى ان  
 مات فوقعت بيد العثمانيين عام ١٤٦٧ ثم دانت لهم المورة سنة ١٤٦٠ وبقي  
 اليونان في ولاية الدولة العثمانية قرنين اقليلاً . وفي ولاية الاجنبي من  
 قبلها خمسة عشر قرناً صابرين ذاكرين مجدهم السابق مترقبين الفرص لاعادة  
 الاستقلال . حتى ان الوقت فنشطوا من العقال . وشقوا عصا الطاعة  
 واعانتهم بعض الدول الاوروبية فتم لهم الاستقلال وصار لهم مملكة معروفة  
 بهم عام ١٨٣٠

اما سلطنة الرومان فمخالصة تاريخها ان ايطاليا كانت معروفة منذ  
 القديم باسم سارنية . تم حل بها قوم من الاركادين تحت لواء ( انوتروس )  
 قبل حرب تروادة باربعائة سنة فسميت ( انوترية ) تم استولت عليها قبيلة  
 غير تلك من الاركادين تحت قيادة ( افندر ) الذي خرج من البلوبونيزية مطروداً  
 وكان سكانها الاول من البلاسجيين والابوريجيين والبرنيين . تم اتاها  
 الهيلانيون من اليونان وجاء بعدهم اقوام من الغاليين فكانت لهم مستقراً  
 مكيماً الى ان اتاها بلوفير في القرن السادس قبل الميلاد فضعفت شوكتهم  
 ومالت سطوتهم الى الهبوط .

وكانت رومية عامرة منذ اختطها قوم ( اتي ) عام ٧٥٣ قبل الميلاد فلما  
 ضعف امر الغاليين عدا اهلها عليهم فدانوا لدولتها خاضعين ثم سار اهل  
 رومية على الملك « تركين » الملقب بالكبير عام ٥٠٩ قبل المسيح فخلعوه واقاموا  
 لانفسهم حكماً جمهورياً فكانت هذه الثورة سبباً في تأخير ظهور آثارهم مائة

وستين عاماً على انهم جدوا بعد ذلك في سبيل المجد حتى بلغوا منه غاية لا تدرك .

وكان في تلك البلاد على ذلك العهد ثلاث قوى عظيمة الشأن قوة الغالين في الشمال . وقوة السمنتيين في الجنوب . وقوة الرومان اي اهل رومية . فتمت هذه القوة الاخيرة بعد استحكام جمهوريتها وانتظام جنديتها فقامت الحرب على ساقها من سنة ٣٩٥ الى سنة ٣٥٠ ومن سنة ٣٤٣ الى سنة ٢٦٧ قبل الميلاد . فخضع لها السمنيتون واستولت على بلاد الوسط والجنوب من ايطاليا ثم انصرفت الى محاربة الغالين على ارضهم المسماة بغالة السيسلمية . فصبروا لها من سنة ٢٢١ الى سنة ٣٧٣ ثم وهنت قواهم فاستولى الرومان على بلادهم الا نواحي قليلة منها . وصارت جمهوريتهم اعظم قوة في ذلك الاقليم بل اعظم قوة في الارض على الاطلاق بما حصل فيها من حب الشرف وحب الوطن ، وحفظ النظام العسكري . فداخلها الطمع في غير ما ملكت من البلاد فانصرفت قوتها الى الفتوح . واستولت على سردينيا وغولة اي بلاد الغوليين التي هي الان بلاد الفرنسيس . وعلى قرطجة . وكانت بينها وبين انيبال قائد قرطجة الكبير حرب ليست كالحروب اوشكت ان تكسر شوكتها ، وتبيد سطوتها ، وتجعلها على شفا الاضمحلال . ولكن ساعدتها التقادير فنجت من ذلك القائد وغلبت عليه . فبلغت معارفها الحربية وقتئذ نهاية الكمال

ثم اخذت هذه المزية في الضعف بعد سنة ١٢٥ . وضعف معها سائر معارف الرومان . وشببت بينهم الفتن الداخلية فادت الى تغيير الحكم فصار ملكياً ووسد بارادة مجلس الشيوخ الى اوكتاف فدعي اوغسطس ، ومعناه الامير . وامبراطور ، ومعناه القائد الاعظم . فابتدأ اغسطس ملكه باعادة الراحة والامن فتم له ذلك . واجتنب الحرب الا فيما اقتضاه تأمين حدود

الملك الى أن مات عنه كاملاً محفوظاً فتولاه خلفاؤه من بعده الى أن مات  
 تيودوروس عام ٣٩٥ بعد الميلاد . فقسم شطرين امبراطورية الشرق  
 و امبراطورية الغرب . فاما امبراطورية الغرب فكانت منقسمة خمسة اقسام .  
 بريطانيا . وغاليا . واسبانيا . وايطاليا . وافريقيا . ثم قُسمت هذه الاقسام  
 اقساماً واندفعت عليها قبائل البرابرة من كل صوب فتلاشت بعد وجودها  
 بمائة عام .

واما امبراطورية الشرق فتاريخها يتبدى بموت تيودوروس وينتهي  
 باستيلاء العثمانيين على القسطنطينية عام ١٥٤٣ وفيه خمسة فصول . الاول  
 من سنة ٣٩٥ الى سنة ٥٦٥ وفيه أخذت ارمينية وسقطت امبراطورية  
 الغرب .

والثاني من سنة ٥٦٥ الى سنة ٧١٧ وفيه توالى عليهم النواب  
 والمصائب . فتمكن المبرديون من ايطاليا . واستقر البلغار والصرب في جنوب  
 الطونة . واستولت العرب على سوريا ومصر وافريقيا وقبرص .

والثالث من سنة ٧١٧ الى سنة ٨٦٧ وفيه ظهرت دولة ايزوريان  
 ففقدت ما بقي للسلطنة من الملك في ايطاليا . وأدخل اليها اكرام الصور على يد  
 سبعة من امراء تلك الدولة . وتم انقسام الكنيستين الشرقية والغربية عام  
 ثمانمائة وثمانية وخمسين فكانت رومية مركز هذه ، والقسطنطينية مركز تلك  
 كما هو اليوم . وأخذت جزيرة كريد وصقلية وغيرها ووقعت الحروب  
 البلغارية التي اضرت بسلطنة الشرق كثيراً

والقسم الرابع من سنة ٨٦٧ الى سنة ١٠٥٦ وفيه ظهرت عليها علامت  
 السقوط اذ هاجمها البلغار والروس والبشناق . على انها استعادت بلاد البلغار  
 والصرب وقبرص مرتين .

والخامس من سنة ١٠٥٦ الى سنة ١٢٦٠ وفيه استولى السلاجقة على  
 ثلثي آسيا الصغرى . ومرّ الصليبيون بها وكانوا من الساعين في تدميرها .  
 ووقعت حرب النور مندبين فاستولوا على صقلية . ثم مات كنيغوس الاخير  
 فازدادت المملكة ضعفاً فاستقل عنها الصرب والبلغار . وعادت الصليبية  
 الرابعة من القدس الى القسطنطينية فامتلكتها . فصارت عاصمة مملكة لاتينية  
 ثم نازلها الامبراطور ميخائيل باليلوغوس فاستردّها لنفسه . وبذل الجهود في  
 اعادة المجد لهذا الملك . وتلاه ولداؤه من بعده ولكن تعذر عليهم الامر اذ تأيد  
 استقلال الباغار والصرب والبشناق . واستولى الترك على سائر بلاد المملكة .  
 فاخذ امبراطور القسطنطينية في استنجد ملوك الغرب ووعدهم بالعدول عن  
 المذهب الشرقي فلم يجذوه . وعظم هذا الامر على رؤساء الدين في المدينة  
 فكانوا اشرافاً للعثمانيين على الامبراطور . ثم فتح الترك بلاد الباغار وقاتلوا  
 الصرب . وتمّ لم فتح القسطنطينية «فروق» على يد السلطان محمد الثاني وهي الى  
 الآن عاصمة دولتهم واسمها اسلامبول او الاستانة او دار السعادة

### ✽ المقابلة ✽

ليس بالامر اليسير محاولة المقابلة بين هاتين الامتين العظيمتين فقد  
 امتلأت باخبارهما صحف التاريخ وحارت في آثارهما افهام الناقلين .  
 واختلفت احوالهما وعاداتهما . كما اختلفت آثارهما والمنافع الناشئة عنها .  
 حتى كادت الموازنة بينهما تمتنع لولا ان يكون الغرض منها محدوداً قاصراً على  
 ما نشأ عن كل من الامتين من النفع الانساني . فاذا تبين هذا وعلينا ان  
 اليونان خرجوا من الحالة الممجبة الى حالة العرفان والتمدن من عام ١٩٠٠  
 ق م . وان الرومان لم يخرجوا الى هذه الحالة الا بعد ذلك بالف ومائتي عام قلنا

واكن بكت قلبي فبيح لي البكا  
 بكاها وان الفضل للمتقدم  
 وعلمنا ان اولئك جدوا باكتشاف البلاد المجهولة . واستعمار الاماكن  
 المهجورة . وتوسيع نطاق الاسفار في البحار . ونشر آثار التمدن بين المتوحشين  
 وفي جملتهم اصحاب دولة الرومان . وان هؤلاء لم يزيدوا على اقامة  
 الحروب . واضرام الفتن . وفتح البلاد . واذلال الشعوب . طمعا ورغبة  
 في الملك . قلنا

من اصلح الامر هو السيد لا يستوي المصلح والمفسد  
 وان اولئك هم الذين ضربت بحكمتهم وعلومهم امثال المتقدمين  
 والمتأخرين . وبقيت آثار علمائهم على كرور الايام والاعصار فائدة  
 للتبصرين . وهم اهل الفلسفة غير معارضين . ومنشئو الطب غير منازعين .  
 ومخترعون الروايات غير مسابقين . وموجدو صناعة التاريج غير مسبوقين  
 ومنهم رجال الاهوال . وعظماء الابطال . واكابر الخطباء . واعاظم الحكماء .  
 وفحول الشعراء . وهم الذين رفعوا في الارض الوية التمدن . ونكسوا فيه  
 اعلام الجهل . وان هؤلاء وإن ظهر فيهم الخطباء والعلماء . وكثر منهم الامراء  
 والشعراء . وبلغوا من التمدن غاية قاصية . ووصلوا من العلوم مكانة عالية . الا  
 انهم في معظم ذلك مقلدون . وفي كثير منه لاهواء النفوس تابعون . قلنا  
 بين المقلد والمقلد نسبة تحكي التي بين التكحل والكحل  
 نعم ان الرومان قد نشروا انوار العرفان في كثير من جهات الارض .  
 وهذبوا الفنون ، والصناعات ، والشعر ، والخطابة احسن تهذيب . وان منهم فرجيل  
 المداني لهوميروس . وشيشرون ، المضارع للمستين . وغيرهما ممن تضمن بشائهم  
 الايام . ولكنهم مع ذلك لاحقون لليونان . غير سابقين في شي من تلك المحاسن .  
 فالفضل الاكبر لاساندهم على كل حال

الارسل  
 والمد

الارسل  
 والمد

أما أساليب الحرب ، واحكام العسكرية المعدودة من بدائع الحرب ، فلم يكن اليونان من قبلهم ذاهلين عنها على تقدير ان تكون من المنافع الانسانية كيف وفي اليونان امثال القائد ابامينداس الكبير

وجملة القول ان اليونان والرومان من بعدهم امتان تجارتا في مضمار الجِدِّ والسوؤدد . وتبارتا في مجال العزِّ والنجاح . وكانت كلُّ منهما مظهرآ للفنون البنيَّة والعلوم السميَّة . والتمدُّن الانساني . حتى امتلأت صحف التواريخ باخبارهما . وتزيت بقاع الارض المعروفة بأثارهما . وما برحت علماؤهما اساتذة العالم . وحكماؤهما دلاء الانسانية اعواما تليها اعوام . وهم في المنزلة الاولى من الفضل الى هذه الايام . غير ان الامة الاولى كانت الى غايات الفضل أسبق . وفي نسب المدنية والمعارف أعرق . فالقول الحق انها بالتقديم أحق . والله اعلم

### ✽ حاضر الخاطر ✽

( وهي خطبة القاها عام ١٨٨٠ في جمعية زهرة الاداب قال )

كان في خلدي منذ وصلت الي نوبة الخطابة اتمام ما بدأت في موقف السالف من بيان انفعالات الشرق في بلاد الغرب . ولكن عرض لي من المقادير ، معاذير ، فصرفت بقية العزيمة الى امر سكن البال ، فلم يبق معه من حاجة للاستعداد ، والفت الخاطر فصار من حضره المتبادر . على انه مما صدف عنه اذهان حكما الانسان . وحات فيه الباب رضاء الآداب . وانحطت عنه خواطر اهل البوادر . منذ اثرت اقلام الكتاب في رياض البيان . وانطقت السنة الخطاب في مجال المقال .

من الادب  
سواء انساني  
الذي هو من  
الادب

لا يحاول بلوغ ما لم يلجوا، ولفظ ما لم ينطقوا، او اصابة ما لم يرزقوا، ولكني  
 اظهر حيرتهم . وابين اختلافهم . ليعلم ان الحقيقة الادبية المطلقة من وراء  
 حجاب . وان العلم بها نسبي يكثر صحيحاً ولا يكون على كون الحقيقة  
 حقيقة لا محال .

فقد رأيت لاهل هذا النطق على اختلاف حكايات الاصوات ،  
 كلمات يتفقون منها على مادة التركيب ، مختلفين فيما يشربونها من المعاني  
 بحسب اختلاف الاوقات ، وتباين المشارب ، وتغاير الآراء . حتى يمنع ادراك  
 حقيقتها على الباحث في اقوالهم الا من تجردوا عن التقليد ، وترفعوا عن  
 الاقتداء ، بما ارتفعوا الى ذروة العقل الكلي ، والفتح المطلق ، وابتعدوا عن  
 مثل هذا العاجز الضعيف ، بل اين منه عقول العقلاء . وعلوم العلماء

فالحق كلمة لا خلاف في الحاء ولا في القاف المضعف منها بين  
 الناطقين بالضاد . كما انه لا خلاف فيما تتركب منه في سائر اللغات . انه ربما  
 وقع الاتفاق في الصورة التي تحصل منها في الاذنان بين اهل الخطة الواحدة  
 من كل جماعة من الناس ولكنه ممتنع بين ذوي خطتين متغايرتين .  
 او ما ترى الحق العمومي يدعيه كل احد من الناس على تباعد مقاصدهم  
 فهو عند الامير قائم بمقدس نبأته . وعند الغني بحرم ثروته . وعند الرئيس  
 بمظهر الهامة . وعند الحكيم بفاد حكمته . وعند القوي بحفظ مزيتة . وعند  
 الضعيف ، الفقير ، التابع ، المعدم ، الخادم ، المأمور ، الفاعل ، المجهود ، بانصراف الميزة  
 اليه ان كان ما تهب الدماغ . وبقاء جلده عليه ان كان حامل الدهن .  
 وحصول ما ينبغي عليه له من وجه المدل ان كان من المعتدلين ( والبقية  
 مفقودة ) هذا ما عثرت عليه من الخطب وتليها الرسائل

## منتخبات رسائله

✽ كتب الى صديقه عبد الله افندي كحيل في ذيل قصيدة ارسلها ✽

« اليه عام ١٨٧٦ »

سيدي

وردت الي رسالتكم وهي بهنائة فتانة فوقت عندي وقع القطر في  
البلد المهل . وفعلت بلي فعل العجوز لما ادعت وهي ترح بلفاق<sup>(١)</sup> صباها  
القشيب . وجعل فكري متهيئا لقصد الجواب فبسمت وحمدت ثم عاقني عنه  
شغل شغل شاغل الي اليوم . فكتبت اليكم بما اكاد احسبه شعرا على فرض ارتضاء  
الشعراء به . ولم اقصد به المباراة وهي فوق ما استطيع ، وانما اثرت تأثركم وان  
لم يكن ثمة تكافؤ استنادا الي عفوكم انه كان كبيرا

ان حديث غرامكم هاج من ناري ما كان خامدا ، على اني لا اخاف  
عودا الي محبس تملصت منه ، ولا اخشى منازلة العيون ، فقد لذت بحصن  
السلوان المنيع . ولا تحسبني مع ذلك راهبا او ناسكا فاني اصبو الي معنى  
الحسن البديع ، وارتاح الي العشق العذري ، غير اني لاقيت منه ما لا يحمله  
بشر فيجتمل ، وبلغ مني غدر الغايات فاخترت الاعراض عنهن ، وتم لي  
الانفلات ، وكنت في الحب اسيرا

المنافاة مستمرة بين الروس والانكليز وقيل ان لطائفه من هؤلاء  
ضلعاً مع اولئك وانهم توعدوا حكومتهم ان ابت الامناصبتهم الشر . وان  
طائفة من الفرنساويين حذوا حذوهم والحرب في ما يقال بمجال . الا ان

(١) اللفاق ثوبان يلقى احدهما بالآخر

اخبار الاستانة تنبي، بانتصار الجنود المظفرة، ولا مندوحة عن الاعتماد عليها.  
ومن الاخبار ما يخالف ذلك على خط مستقيم ولا ينبغي ان نركن اليه.  
وخلاصة ما استطاع تحريره اني مرسل اليك جريدة تحفل بهذه الاخبار  
ولا انقاس عن ذلك كي لا يقال ما كذب ان كذب. اما حالنا فنعم الحال،  
والراحة مستتبه ببلدنا، وقد بات شوقنا اليكم لا يُطاق، فان تأتوا يكن العيش  
عندنا رقيق الحواشي نضيراً

لا اعلم شيئاً عن جمعيتكم بدمشق الا ما افادني صديقي اسكندر افندي  
نحاس من انه حضر في مدرستكم جمعية يحسبها فرعاً من جمعية شمس البر  
الدينية واعلمها تعزى الى هذه الجمعية. ولا تصرف اهتمامها الى ابحاث الدين  
حيث كانت خلافية. بيد ان لها مئين من الطلبة والعملة فاخصنا اياها  
بالاجتهاد مع تهافتهم عليها لا يجدي الناس نفعاً. الا وانها تهضم العمر، وتمنع من  
اصابة الفائدة، ولا اقول ذلك ايقاعاً بالدين وترغيباً عنه، معاذ الله فانه لدي  
جيل رفيع. ولكنني ارى ان لكل في دنياه شأنًا، واحسبني مصيباً ان قلت  
ان شأن من كان مثلكم صقيل الفكر، صرف العناية الى استطلاع حقائق  
الطبيعة وتدبرها، فانها الجمال والكمال تبرز للناس اسرارها فتفيد من  
كان بصيراً

✽ نص كتاب بعث به على لسان جمعية مصر الفتاة الى الامير ✽

« عبد القادر الجزائري عام ١٨٧٩ »

كتابتنا ايده الله الامير الاعز ونحن عصبته تذكر. ليس منا من لم يرحم  
صغيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر

رأينا ما الم بهذه الاقطار، من الاضرار، ناشئة عن تخالف القلوب. وتنافر

الافكار . حتى صار الودُّ مداجاةً ، والحبُّ عدواناً ، فقلنا يا قوم لا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخواناً . ورأينا بوادرَ البلاء ، وطلائعَ الشقاء ، فحفنا المصاب الاعظم ينقلبُ به الخيرُ الى الضير . والمغرم الى المعرم . ويزول بهاءُ الامة ثم تعصب الارضُ التي سقاها السلفُ الكرام بالدم ، فهضنا نرومُ حفظَ الباقياتِ الصالحاتِ بوسائلِ السلم ، والسلمِ اسلم . وذكرنا خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يَأثم

ورأينا فقيرنا يعثرُ باذيالِ فاقته . وعظيمنا لا يأمن على راحته . او على ما في راحته . ومثل ذلك سائر اخوان الوطن الذي ولدنا فيه . او نزلنا بساحته . فنزعتُ انفسنا الى اعانتهم ، ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته .

ورأينا انوارَ فضل الامير على طور تجلي الحكمة . توقظ الراقد وتنبه الغافل من هاتيه الامة . فتكشف عنها كل ملة . فعلينا ان لا بدَّ من التماس مساعدته في هذه المهمة . فرفعنا اليه الصحيفة التي هي لسان حالنا . لتتوبَ لديه عن لسان مقالنا . امل الحصول على القبول شأن الامير في معاملة من امه ، ورجاء ورود الجواب بما يراه في امر هذه الخدمة . وله في تشریفنا بذلك رأيه العالي مسدداً . وامره الكريم مؤيداً . ان شاء الله

﴿ ولما أُنغيتْ جريدةُ مصر والتجارة عام ١٨٧٩ وُعدَ بنيلِ الرخصة ﴾

« في انشاء جريدتين غيرهما باسم العصر الجديد والحروسية ثم »

« طالَ المطالُ في ذلك فكتبَ الى سعادة علي باشا مبارك »

« ناظر الاشغال يومئذٍ يتقاضاهُ وعدَ الحكومة »

« وهذا نصُّ الكتاب : »

اتجراً على فضلِ الوزير غير جاهلٍ ان وقتهُ اثنان من ان يضاع في مثل

موضوعي الحقير . ولكن جرت عادة امثالي بقصد اولي الفضل وما اولو الفضل

في الدنيا بكثير . ففساهُ ان يكون لضعفي نصيراً ، فقول نعم المولى ونعم النصير

ولقد صارَ العصرُ الجديد قديماً بما مرَّ عليه من مؤثرات الانتظار .

واصبحت الحروسيةُ على قدم اليأس تستجيرُ بالاولياء والانصار . وتتلو وهي

في عالم القوة بين المخاوف والاختطار . اذا ما الفكرُ حاز . واذا ما الزمان جار .

أتدسى مصر مزية البر بالجار . ام لا يُسمع بين براياها صدى نداء

المستجير .

بل اعيدُ مصرَ ان تخني بها الايام على البررة الصادقين . وان لا يلبي

موعودها تالياً آتاً بما تعدنا انك من الصادقين . اقولُ هذا وما كنتُ معرّضاً

بسوءٍ وما كنتُ من المعترضين . ولكني اسألُ النجدة احساناً ولا سبيل

على الحسين . والله له ملك السماوات والارض وهو على كل شيء قدير

فلا ينسَ مولاي امر الجريدة موعوداً ، فقد اجتاز الخادم في هذه

العطلة عقبه كورودا ، وعالج الصبر جهده ثم عادَ عنه مجهوداً . افيلوذ بالياس

وقد امَّ قوماً جووداً . ام ترد اليه اشارة الفوز وروداً عتيداً . فتسرّواً حفيماً

وتسوء عدواً عتيداً . اجل ترد فيشكر الخادمُ صدوراً كما شكر وروداً . ثم

يحمدُ الله الى المولى الوزير .

✽ وكتب الى جمعية الخواتين البيروتيات المسماة بزهرة الاحسان ✽  
 « جواباً على كتاب ذكرٍ وشكرٍ وتهنئة ورد منهنّ اليه »  
 سيداتي . حمل النسيم الي تهنئة زهرتكن الزهراء . فكانت هي عين الهناء .  
 فمن لي بنفحة من طيبها نشرها اليكن شكراً ، ومن لي بلحمة من حسنها اجلوها  
 لديكن حمداً ، ولكن وسع النفس دون الامنية . ومقدرة البيان اقل مما في  
 النية . وسيداتي موضع العفو ، وسيداتي زهرة الاحسان . فليقبلن مشكورات  
 غير ما مورات تحية خادم لا يمنعهُ البعد من اداء الفرض والخدمة ، وما كانت  
 خدمته الا الدعاء . وما كان فرضه الا الثناء

✽ وكتب توطئة رسالته في مدح احد الصادقين من عمال الدولة ✽  
 اذا انالتم امدح على الخير اهله ولم اذم الوغد اللئيم المذمماً  
 فقيم عرفتم الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامح والنما  
 اجل فما تحركت بنان . ولا جرى قلم ولا نطق لسان . باحسن من الثناء  
 الحق . على نصراء الحق . فهو سبيل الوفاء . ومنهج الاقتداء . تجزي به النفس  
 الطاهرة بما كسبت من الخير . فيحسن اجتهادها ، ويدوم في الفضل ارتيادها ،  
 ثم تكون قدوة في الحسنات يسلك الناس مما تهج صراطاً مستقيماً ، فيحصل  
 النفع كاملاً عمياً  
 وقد تأثرت المحسنين كشفاً واستعلاماً ، وما آلت المجتهدين عناية  
 بشأنهم واهتماماً ، فلم ار فيمن رأيت احق بالشكر واولى بالثناء ، واخلق بالحمد  
 واجدر بالاطراء . من مصلح في زمان فساد ، ومسدد في مقام اختلال .

اشارة على  
 نصراء الله  
 في كل مصلح  
 في كل حال  
 في كل وقت  
 في كل مكان

ومقورم في حالة اعوجاج ، ومن تدوم عفته اليوسفية بين اسباب المفسد ،  
وتثبت نزاهة نفسه الاية بين انواع المكائد ، تراوده الدنيا عن نفسه فيدرا  
شيطانها ، ويقطع بسيف العنافة اشطانها . ومن تعرض له الدنيا فيعرض  
عن بهارجها ، ويتنكب عن مناهجها ، فانه لافضل في العفة لمن يعف اضطرارا ،  
وانما الفاضل من استطاع الرغبة ثم عافها اختيارا .

فكيف لا ينطق اللسان ، وكيف لا ينطلق البنان ، بمدح من استكمل  
تلك الصفات ، واستجمع هاتيك الحسنات ، فاستحوذ على البابنا حبا ، وامتلكنا  
قالبا وقلبا . الا وهو الخبير بشؤون السياسة ، البصير بامور الرئاسة ، النبيه  
الذي عرف صاحب الامر قدره فاعزه واعلاه ، وتبين فضله فقربه وادناه ،  
فلان ايده الله . فقد ولي هذا الامر فاصلح ، وقام بالحكم فعدل ، وسار في  
مسلك الحكمة فهدى ، حتى صار البلد به كمدينة الحكماء ، متآلف السكان  
على العلم والعدل والاخاء . ثم صان فيه النعمة ، ودرأ عنه النقمة ، واجتلب  
اليه النافعات ، واجتنب فيه الشبهات ، وكان حكيما عدلا لا يلين حتى يطمع  
المسيء ، ولا يخشن حتى يجزع البريء ، فتألفت القلوب على ولائه ، واجتمعت  
الالسنه على ثنائه ، والسنة الخلق ، اقلام الحق . اه

✽ وكتب مقدمة لرسالة انشأها في رحلته الى اوروبا عام ١٨٧٩ ✽

« وكان في العزم طبعها بعد ذلك »

جرت عادة المؤلفين في كل عصر ومصر . انهم اذا فرغوا من تأليف  
الكتاب وتحريره جعلوا في صدره مطلباً موخراً الوضع يسمونه بالمقدمة .  
وهذه مقدمتي لهذا الكتاب ، الا انها منسوجة على غير ذلك المنوال . فقد  
انشأتها قبل تسويد شيء منه . ونزهتها عن كلفة السجع ، وبرأتها من اعذار

قد تكون اقبح من الذنوب

فأما تقديمي لانشائها خلافاً لما جرت به عادةُ المصنِّفين . فلا نبي علمتُ  
من النفس أنها لا تكون بعد الفراغ اعلم منها من قبل . ولا نبي اكرهُ دخولَ  
البيوتِ من غير ابوابها . وأما صيانتها عن السجِّع . فالباعثُ عليه قِمةُ الخاطر ،  
وغثاءُ النفس ، من هذه الفقر التي مصغها الاقدمون . وتلَّظُّ بها المولدون . ولا  
تزال تكررهما الاقلام ، إلى هذه الايام . ثمَّ العلم بعجزني عن الجيد الجديد .  
واما تبرئتها من الاعذار ، فلا نهالاً تغني عن المؤلف شيئاً . فقد علمتُ من نفسي  
اني ما قرأتُ اعتذار مصنِّفٍ بما شاء مما عساه ان يكون في سفره من الخطأ  
الأقلتُ اما ان يكون هذا الرجل معتقداً بنفسه الاجادة ويقول ذلك تمدحاً  
فهو متكبرٌ مغرور . وأما ان يكون مصدقاً ما يقوى في جانب ضعفه ثمَّ ألف  
واستهدف فهو احمقٌ مختلٌ الشعور .

فهذا الكتاب قد ألفتُه في اعوام . واصلحتُه في اعصار . وضمنتُه كلَّ ما  
علمتُ في بابه ، وهو خلاصة اخبار . وزبدة خواطر . وحكاية احوال . مما  
رأيتُ وسمعتُ في بلاد الافرنج . ففيه كلامٌ في المدن وما هو في الجغرافية .  
وعن الامم وما هو في التاريخ . وعن الدول وما هو في السياسة . وعن  
الجماعات وما هو في الاقتصاد . بل هو في كلِّ ذلك . وليس في شيء من ذلك .  
فان احسنتُ فيه فإلى الاحسانِ قصدتُ . وان اسأتُ فذلك غير ما اردتُ .  
والسلام

✽ قال في كتاب ارسله من بيروت الى حضرة الصديق يوسف ✽  
« افندي جباره بالاسكندرية »

سنة ٧٩

جاءني كتابك مذكراً منبهاً لحفظ ودك، فما اذكر ناسياً، ولا نبه غافلاً .  
ولا زادني شوقاً لامتناع المزيد . ولكنه اتاني من انفسك بما نفس الكربة .  
ومن آثارك ما تمثلت به العين . فله انت من صديق في القرب، والبعده، والصفوة،  
والكدر، والسرء، والضرء

وبعد فاني مرسل اليك رسمي تذكرة وداد . وتقدمة فواد . يتمني لو  
كان حقيقة في ذلك الرسم على انه لديك من قبله ومن بعده .  
ثم اسألك يا خليل الوفاء، ووفي الاخلاء، تقديم شواعر سلامي، وواجبات  
اكرامي، لآلك جميعاً صفوة الكرام . وان تقبل مني مثل ذلك جعلني الله  
فداك، ولا زلت خادمك واخاك

✽ وكتب من بيروت الى حضرة صديقنا اديب افندي نظمي بدمشق ✽  
« بعد عودته من تلك المدينة »

سنة ٨٠

اشكو اليك سعة فضلك، عن ان يحيط به بياني . وعظم منتك، عن ان  
يلم بشكرها قلبي او لساني . فاجعل رقتك، شفيعي لديك . وعفوك، وكيلي في  
الثناء عليك .

وبعد فقد وصلنا بيروت لاهجين بذكر محامدك . هازجين بحديث  
محاسنك . فلم تنلنا مشقة . ولم نشعر بطول الشقة . ثم لقينا الاهل والاخوان  
فكانت حفلتنا مجلس انس ندير فيه من احاديث فضلك مداً . وتخذ من

معاني كمالك ندامي . ثم لا نلهو بسكرها ، عن شكرها ، ولا نذهل بعدّها ، عن  
حمديها

فاجعل أيّدك الله ضعف الشكر . في جنب قوّة العذر . وتفضل بعرض  
هاته السطور في مجلس سادتي فلان وفلان وفلان تحسب صادرة اليهم بما  
نقصد به جنابك الكريم من الشكر والثناء . فقد اتحدتم حباً . ونألتم قلباً  
وقلباً . حتى امتنع الاختصاص فيما به تخاطبون ، لا زلت عصابة فضل تُقد على  
مدحك الخناصر ، وتختم على حبيكم السرائر ،

✽ وارسل اليه جواباً على كتاب فقال ✽

سنة ٨٠

ياسيدي بل يا اخي فالاخاء واجب عرفناه . والسيادة حكم ما اعترفناه .  
والادب رحم تقطعها الكافة . والكلفة لبسة تمنعها الالفه . والالفه بيننا  
معقودة اسبابها بالصفاء . عالقة اهدابها بالوفاء

فيا الف اخي خطاباً لا امل لفظه . ولا اهمل حفظه . لقد سميتني  
بكتابك ما لا اطيق . واستعبدتني بجر كلامك الرقيق . فمن لي بالرفقة التي  
حويت ، والمزية التي ملكت ، والفضل الذي اصبت ، والكمال الذي ادركت ،  
لا خاطبك بلسانك . واكتبك بمثل بيانك . ولكن ما لا يدرك كله ، لا يترك  
كله ، ولكل درجات مما عملوا

فما تجود يد الأبا وبيدت . ولا تكلف نفس غير ما وسعت .  
ولست اعتذر اليك فيما كان ظهوره منك . ولكن الود بحلمك . من  
حكم عليك . واعوذ بفضلك . من سهم عدلك .  
اما الصديق ، فلان فقد جعلت صحيفته البيضاء ميثاقاً عليه ، انه اتخذ محبة

صديقاً، ورضي به خليلاً، لا يمانه ولا يروم عنه عدولاً. ثم سجلته في محكمة الوفاء  
تسجيلاً. واشهدت عليه من اهل العهد شهوداً عدولاً<sup>(١)</sup>

واما الصديق فلان، فقد عدتُ سكوتهُ خطاباً. يكون لكتابي السابق  
جواباً. لا يؤخذني فيه على ان وحدتُ نالوثكم وما افردت لاقنوميه كتاباً.  
بل يعد ما صدرَ عن واحدٍ منبثقاً عن الكل بالاتفاق. وان لم يكن من  
القائلين بكليّة الانبثاق<sup>(٢)</sup>

فتفضلوا جميعاً بقبول سلامٍ يمتزج به القلب، وتجد به النفس شوقاً  
اليكم يا احب الناس الينا، ويا اكرم الخلق على الله

### ✽ نص كتاب ✽

« بث به الى المنفور له سلطان باشا بعد النبي من مصر »  
« وكان قد ارسل اليه رسولا فآكرم مشواه »  
« ووعده خيراً اعظم ١٨٨٢ »

سيدي وعمادي وسندي وعتادي

كتابي اطال الله بقاء سيدي الاوحد، وانا اذرفُ دمع الامتان والشكر،  
على ما اظهر لرسولي من الانعطاف الي، والشفقة علي، والرغبة في كشف ظلامي.  
والميل الى اعادة كرامتي. حتى لو بذلتُ بقية الشباب في سبيل خدمته.  
ووقفتُ سائر العمر على شكر نعمته. واوتيتُ مع ذلك عزيمة الاقوياء.

(١) المكنى عنه بفلان في هذه الفترة نسان افندي الشرايبي وسرّ الصحيفة البيضاء  
المشار اليه في الكلام عنه انه بعث اليه من دمشق بكتاب لا يتضمن سوى اسمه  
في مكان التوقيع

(٢) المقصود بهذه الفترة جبران افندي لويس والنكته فيها ان الفقيه ارسل له  
ولنسان افندي واديب افندي كتاباً مشتركاً فاجابه الاخيران وامسك هو عن الجواب

ومُتحتُ بلاغة الفصحاء . لما سلتُ في الواجبِ من التقصير . ولا ادركتُ منه  
غير البذر اليسير . على اني القيتُ يابِ مولاي القلب رهن اخلاصٍ وولاء .  
وقليلٌ تحت سماننا قلوب الاصفياء

ولقد بشرني الرسول بكتابٍ من السيد السند يجبر الخاطر . ويقر الناظر .  
ويشرح الصدر . فيصفح عن هفوات الدهر . فاعتلقتُ باسباب الاماني  
والآمال . ورجوتُ لسوء الحال حسن المآل . ثم رددتُ النفس . عن هاوية  
اليأس . فالحمد لله ما خلت الارض من الفضل . والحمد لله ما عفت في مصر  
آثار العدل . ويمين الله ان غاية الامل رضى السيد عن عبده . ونهاية الرجاء  
حسن ظنه بمحافظِ عهده . فان رضى فليغضب الانام . وان احسن الظن  
فما على الدنيا ملام .

وعلمتُ من كتاب رسولي اسباب الابعاد . وما تخلل الامر من دسيسة  
وفساد . فما عجتُ لتصديق التهمة . كما اني لم اندم على صدق الخدمة . او  
ليس ان السيد اعزه الله . يذكرك مني ولا ينسأه . وكفى بهذا جزاء وشكورا .  
وكفى به قبلاً موفوراً . ولا ازيد وان كان المجال فسيحاً . والحق ظاهر اصريحاً .  
فالتائج معقودة بمقدماتها . والامور مرهونة باوقاتها . ولسوف ينكشف  
الغطاء . ويبرح الخفاء . ويعلم الشك من اليقين . ويغلب امر الحق ولو  
بعد حين . والله ولي الصادق الامين

هذا وقد بعثتُ الى مصر من بيع اثاث المنزل بما تيسر واتاني ان السيد  
حفظ الله معاليه قد رسم بتأخير ذلك الى اجل غير معلوم . ولكن الحاجة  
مُلزمة . والضرورة مبرمة . وللخادم على ذلك البيع باعثن . الاول سدة الحاجة بما  
يحصل منه وان قل . والثاني رفع اجرة المنزل عن كاهله المثقل . ومع ذلك  
فالامر للسيد في كل حال . وما على الخادم سوى الامثال

ثم اني مشتغل في هذه العظة بتاريخ المسألة المصرية على ما رأته العين .  
 ووعاهُ الذهن . وسمعتهُ الاذن . وحققهُ الخبر . وايدهُ الاثر . مبيناً احوالها .  
 مفصلاً اجمالها . كاشفاً اسرارها . واصفاً آثارها . ذاكراً كل امرئ بما  
 يستحق . منصرفاً في كل ذلك عما يخالف الحق . ليعلم منه فضل ذوي الشهامة .  
 واهل الكرامة . كما يعلم نقص ارباب السفالة . واهل النذالة . ممن غرهم الجهل  
 فطغوا . ودعاهم الجبن فاطاعوا . ثم اضاعوا البلاد واي نفيس اضاعوا . وساقدم  
 لمولاي ما ابيض من هذا الكتاب . ليرى فيه رأيه الموفق للصواب . ان شاء  
 الله . حفظ الله السيد السند ورعاه . وادام مجده وعلاه . وابق للخادم  
 عنايته ورضاه .

✽ وكتب اليه ايضاً بيتهُ بعيد الاضحى ✽

✽ ونيشان ورد اليه من دولة الانكليز ✽

ما العيد الا ان تكون سعيدا      فيعيدُ مجدك كل يوم عيداً  
 لبيت النفس الكريمة داعياً      لا الوعد رام ولا استهال وعيداً  
 جعلت بعد منى السعادة دانياً      وجعلت قرب اذى الفساد بعيداً  
 حتى اذا صنت المقام من الاذى      ووقفت فيه الطائفين شهوداً  
 اضحى على عرفات عزمك كل من      ضحى لفضلك مبدياً ومعيداً  
 التهنته للاكفاء . ولمن يدني من البعداء . فغاية الخادم اخلاص الدعاء  
 فبذا العيد السعيد سلامة السيد السند . وحبذا النيشان ذو الشان مجده  
 الذي لا يحد . وماثره التي لا تعد . وفضله الذي لا يدانيه احد . واثن ابني  
 الدهر اسعاف العبد في نفسه وقد اسعفه في مولاه . فالحمد لله ثم الحمد لله

✽ وكتب الى احد امراء مصر ✽

جعلتُ وسيلتي الى اعتبار وليّ النعمة وباب السيد السند كتاباً  
رفعتُهُ اثر الحادثة الى حضرة المولى فلان . ثمّ جاءني انّ المولى المشار اليه  
منحرف المزاج فخرتُ بنفسي على باب السيد الامير احمد الله اليه . مؤدياً  
واجب الثناء عليه . ثمّ استمنحه نعمة الجواب عما اذا كنت اصلح لشيء  
من خدمة وليّ النعمة . في اويقات هذه النعمة . فقد رأيتُ السنة الكاذبين  
طائلة بما يقصرهم الصادقين . ولم اجد من مضاء في سيوف من رأيتُ من  
المدافعين . فجزّيتي واجب الخدمة لهزّ صمصامة الذود عن الحق فطرتُ باب  
المولى مستأذناً فيما دعاني الواجب اليه فان رأيتُ له محلاً . ورأيتُ له اهلاً .  
فهو في الامر بذلك رأيه العالي والأفحسي منه انعطافة رضى ، والتفاته  
اهتمام وكلمة تبي بوصول عريضتي اليه . وان تفضل سيدي اعزّه الله بذكر  
الخادم في الحضرة العلية ، داعياً بتأييد الاريكة السنية كان ، ذلك تمام الفضل  
وله الامر ، وعليّ الشكر في كل حال

✽ وكتب الى صديقه سعادتلو عبد السلام باشا المويلحي بعد النبي من ✽

« مصر وقد انقطعت عنه رسائله عام ١٨٨٢ »

لولا دلالة القلب على صفاء الوفاء . وهداية النفس الى بقاء الاخاء  
لغابت الشوق في استطلاع اخبارك منك . ووقفت القلم عن شكوى هجرتك  
اليك . مخافة املاك بما انت غني عنه . وكرهية اعناتك بما انت زاهد فيه .  
ولكنني عهدتُ بين جنبيك قلباً لا يحولُه تغير الاحوال . ولا يبدلهُ كرور  
الايام والاحوال . فاننا مخاطبهُ بما يمليه الشوق عليّ رضيت ام غضبت . وسكتُ

ام اجبت

اي قلب من فحِبّ ونكرم . ونجلّ ونعظم . لقد اتصلنا منك باسباب  
مودّة . واعتلقنا فيك باهداب صداقة . فهل انت ذا كرمٍ معاهدنا بذات الوفاء  
ليالي هجرنا الرقاد اليك . وقصرنا الوداد عليك . ورضيناك من الدنيا نصيبا .  
واخترناك من العالمين حبيبيا . كيف لا وقد لازمك الصفاء . وصافاك الوفاء .  
فصفوت على كدورة الايام . ووفيت على خيانة الانام . فان عدلت وما  
عدلت فعلى الدنيا السلام . اه

✽ وكتب في زواج احد نبلاء اليونان بالمشخصّة الفرنسيّة المشهورة ✽  
« ساره برنار »

خلّ المعارف فالمعازف سوّدتُ      بيض الثنايا الغايات تغنيا  
ودع العوالي فالمعالي وسّدتُ      للسائدات على الغصون تثنيا  
الراقصات الواقصات القانصا      تِ قلوب ارباب الغرام تجنيا  
او ما انباك سمار الملاهي، ورواة احاديث الصبايات، ان المبلغ التياهة  
المشخصّة للابصار، بما تشخص في الملاعب تمثيلا، بهجة التياترو الفرنسي  
وزينة مشخصات الغرب، من لا يزال رأس ويكتور هيكو الابيض يطاطىء  
لقبلة كفها كلما انشدت كلمة من شعره البديع «الفتاة»، المد موازيل عنوانا  
(ساره برنار)

من آل اسرايل فتانة      قد عذبت اهل الهوى تياها  
قد أنزل السلوى على قلبها      وأنزل المن على فيها  
أجل فقد اتصل بها في هذه الايام فتى من نبلاء اليونان وذوي  
الثروة الواسعة منهم فانضم الى فوج تشخيصها يطوف معها البلاد . وينقاد

لاحكامها ايما انقياد . معجباً بفنّها . اكثر من اعجابيه بحسنها . فان ساره (وما  
 نريد بالهيف سوءاً) نحيمةٌ نحيمةٌ بلمحةٍ من الحسن لا تكاد تلح ، ولكن اول  
 الحب التمام . وغايته التزام

والحب اول ما يكون مجانّةً فاذا تحكّم صار شغلاً شاغلاً  
 فصاحبنا ابتداءً باستحسان المشخصة فاتمى بعشق الذات . والمنية  
 واحدةٌ ولكن الوسائل مختلفات . فابدى لها الغرام فسمعت . فطلب الملازمة  
 فما منعت . فرام الاتصال فامتنعت الا ان يكون حايلاً . لاسكناً ولا خليلاً  
 فاجاب وداعيات الوجد . تخفيه من عاديات الصد .

يا قريب الصدود والاعراض انا راض بما به انت راض

✽ وكتب الى المأسوف عليه المرحوم جبرائيل مخلع من الاسكندرية ✽  
 « الى بيروت في ١ ستمبر سنة ١٨٨٢ على اثر استظهار الانكليز »  
 « في حوادث ذلك العام قال : »

نحن في زمان لا يشبه الازمنة . وحال لا تماثل الاحوال . فيومنا مشتبه  
 الخبر . وغدنا مجهول الاثر . ورئيسنا ليس باعلم من المرؤوس بما توءدي اليه .  
 الحوادث . وحاكنا ليس بادري من المحكوم بما ينتهي اليه الامر . ولذلك  
 تلجلجت الالسنه . وترجرت الاقلام . وتهدجت الاصوات . فصار الاعتزال  
 كرامة . والتمول سلامة . خصوصاً ان الرأي في مصير الاحوال مختلف  
 الوجوه ولا كاختلاف ذوي الاراء . فالنزعة في جانب اولي الامر تشعر  
 بالنفرة عن حركة الافكار الوطنية . والريج عند زعماء الانكليز تهب من  
 جانب المساعدة على تأيد مبادئ الحكومة الشوروية . كذا تبين واتضح من  
 مذكرات السرمالت وزير انكلترة المفوض في هذا الجانب كما تبين واتضح

ملاحظات  
 في حوادث  
 سنة ١٨٨٢

من اعمال رجال الحكومة السنية . وقد كتب احدهم بما يظن الرجوع  
الى الاستخفاف بمجلس النواب . فوجب له ذلك من قبل الانكيز شديد العتاب  
ولو كتب غيره ما يكون على رأي هو لاء لما أمن من جانب ذوي الرأى  
النافذ عتاباً وعقاباً . فالخمول هو الراحة لامثالي في هذه الايام ولا سيما اذ لم ار  
معارضة ولم اجد نفوراً ولكني ما رأيت مساعدة ولا اغراء بالظهور فانا على  
حالة الرضى بالرزق الحاصل . والذكر الخامل . حتى تستقر الحال وينجلي  
ليل الاشكال

بالحرم  
عقاباً  
شديداً  
بما يظن  
الرجوع  
الى الاستخفاف  
بمجلس  
النواب

✽ وكتب اليه شاكراً ايأه على تفضله بهدية غراء ✽

ان برّ الكريم برّ كريم ما ابته نفوس اهل الكرام  
ولقد اوليتني يا بحر الفضل برّ الاطيق عنه صمتاً، ولا استطيع له شكراً،  
فتناولته مني يد لا تبسط الى سواه، وقبلته مني نفس من سائر خلق الله تآباه .  
فلا زلت غيثاً يسمو نفعه بوسميانه . وغوثاً نلقاه فنقول صفحاً لهذا الدهر  
عن هفواته

✽ وكان رحمه الله قد توسط لديه في قبول احد الادباء ✽

« بخدمته فكتب اليه يقول : »

ما بلغ مني الرجاء ولا وصل الامل الا ان تراني بفضلك لا نذاً . ولا  
اراك الا بعدلك آخذاً . فزدتني منه الى حد ان رأيتك عافياً . ولم ترني  
بالعفوراضياً . فلك الحمد والشكر . في السر والجهر . ولك المنّة والفضل في  
الاول والآخر . والباطن والظاهر  
وقد وردني كتابك الكريم . مورد اجلال وتكريم وانبات بما تضمنه

صديقي المحسود على آتية . المحمود على ماضيه . فاجاب بالرضى والايجاب .  
يسير الى سيدي على ما اشترط في ذلك الكتاب . بل لا يروم من الشرط  
الانصال . وحسن القبول والاقبال . ان كانت هجرته الى مثل سيدي  
فهجرته الى ادب يجتنيه . وفضل يجتليه . ومحمدية يطلبها . ومأثرة يكسبها

﴿ ثم عرض على الرجل مركزه آخر فكتب الفقيدا الى وجيهنا الفاضل ﴾  
« يستعطفه في اقالة الصديق من الخدمة وهذا »

( بعض ما ورد في كتابه )

عهدي بسيدي اشد الناس رغبة في صلاح ذويه . ونجاح  
مر يديه . فانا مخبره من ذلك بما يجاب له المسرة وان كان في ظاهر الامر موجبا  
للكد - ذلك ان جناب الموسيو . . . . . اخبرني انه عرض على الصديق  
مركزا رفيعا وان الصديق وعده بالجواب بعد التبصر واستئذان السيد  
فاتت صاحب مستطاعا رايه فالفيته مترددا بين الامل في نجاحه الظاهر .  
والخوف من ان يتكدر من سيدي الخاطر . فقلت لا مجال للتردد فيما توجهه  
مصلحة العيال . وضمانه الاستقبال . خصوصا ان المولى حفظه الله لا يقدم على  
نفع المنتمين اليه شيئا فاحب الامور لديه ان تكون خدمته بابا للتقدم  
والنجاح ولا سيما ان وقوف حركة الاشغال . في الوقت الحال . مما يمكن  
معه الاستغناء عن خدمة مثله والاكتفاء بحاضر الوقت من المستخدمين فدعوت  
الصديق لقبول ما عرض عليه وضمنت له من السيد دوام الاقبال علما بانه لا  
يخفى عليه عواطف خادمه وحفظه لواجباته وشدة حرصه على اداء المعروف وقلت  
يا سبحان الله قضي على من كان وسيلة النولج . ان يكون ذريعة الخروج فبقي  
على المولى ان يسعفني في هذا كما اسعفني في ذلك . وله في تعجيل الجواب .

رأيهُ العالی موقفاً للصواب

✽ وكتب اليه من القاهرة الى الاسكندرية ✽

سيدي الهام

شأن فضل سيدي اعجاز من والاهُ . عن شكر نعماهُ . ولكن سرّ حلمه  
اسعاف من يعجز . بتفصيل ما يوجز . فليكن هذا الاسعاف شفيعي لديه .  
ورسولي اليه . ونائب يباني في الثناء عليه .  
وقد وصلتُ المحروسة اعدّ أيام اللقاء كما تُعدّ في اليوم ساعات الامس  
السعيد . واحسبُ اوقات البعد كما تحسبُ أيام الصوم في انتظار العيد .  
ومستولى من سيدي ان يتقبّل غير مأمور واجب احترامي وسلامي  
مرفوعاً اليه والى الآل الكرام . ادامهُ الله فيهم بالنعمة والهناء مدى الايام والاعوام

✽ وكتب اليه من باريس ✽

سنة ٧٩

لا اتكلّف وصف شوقي الى لثم راحتكم ، والوقوف بساحتكم ، فذلك  
امرٌ لا اقوى عليه وقد قيل :

اذا لم تستطع امراً فدعهُ وجاوزهُ الى ما تستطيعُ

وقد وصلتُ باريس بعد سفرٍ اخذ البرد بجانبه . وامسك التعب  
بطرفيه . وشرعتُ في تحرير الصحيفة بعد ان عثرت على المطبعة الملائمة والمركز  
الموافق وكتبتُ للصديق . . . . بتفصيل خبري ولا شك انه يطلع  
سيادتكم على كتابي ولذلك اجتزى بي هذه الاسطر مثبتاً بها امتناني وان كان  
غنياً عن الاثبات . موضعاً بها املي في قرب اللقاء وكل قريب آت

✽ وكتب اليه من بيروت يعرفه بفاضل من اصحاب الوجاهة ✽  
« وارباب البيوتات »

صفحاً لصرف الدهر عن هفواته ان كان هذا اليوم من حسناته  
كيف لا وقد اسعدني فيه الطالع بان اكون وسيط معرفة . واداة  
صلة بين سيدي والهمام المتنازل الى حمل عريضتي اليه الا وهو كاتب  
السياسة غير منازع وصاحب السيادة غير مدافع . . . . . فانه ايده  
الله واياكم رام الرحلة الى مصر وعلم بزلفاي لديكم . وادلاي الخادمي عليكم .  
فرسم لي بان اعقد بينكما صلة عقدها من دوني الادب . وأصل رجماً وصلها  
من قبلي الفضل . ففعلت ولو استطعت مع السيد الراحل سييلاً . لما رضيت  
بالرسالة رسولا .

✽ وكتب من باريس الى يوسف افندي فارس بالاسكندرية ✽

سنة ٧٩

الى الله اشكولظي في الفواد . يسمى اصطلاحاً عذاب البعاد  
وما للبلاد اشتياق الفواد . فعهد الوداد لاهل البلاد  
أجل . ولكن كيف انسى مرابع أنسي . ومراتع نفسي . في مجالس صفوي  
وهنا . بين معاشر فضل ووفاء . ام كيف لا اذكر ايما مرّت بنا كالا حلام .  
فان لم تعد فلا كانت الايام وعلى الدنيا السلام  
✽ فيا رسالة الود ان وقفت بباب الصديق مسلمة عليه . مبينة بعض شوقي  
اليه . فانشدي عني بين يديه

قالوا التباعد يوجب الهجراً كذبوا ومن ذاق النوى ادري  
فالحب ذكره والمحبة اذا عزّ اللقالم يعدم الذكرا

✽ وكتب من بيروت الى صديقه الياس افندي القدسي بدمشق ✽  
 ما ترك القصور للعدو وجهاً ولا ابقى الذنب للغفرة سبيلاً  
 فما لي حيلة الا رجائي وحلمك ان عفوت وحسن ظني  
 ولست بزائد على هاته السطور حرفاً حتى يجيئني من لدنك ما يشعر بالرضي  
 وبالغفوة مضي . فان فعلت عدت ذلك فضلاً . وان آيت كان ابواك  
 عدلاً .

ولك الامر فاقض ما انت قاضٍ فعلي الغرام قد ولاً كما

✽ وكتب من باريس الى الخوجا يهوذا كوهين بالاسكندرية ✽

سنة ٧٩

نعم النسب الادب . ونعم اللقاء التذكار . وان بيننا لنلك النسب لرحماً  
 لا نقطع . وان لنا من هذا اللقاء لشملاً لا يصدع . فاذا استغنتك فقد استغنت  
 نسبياً . واذا ذكرتك فقد لقيت حبيباً . وهذه صحيفتي ارسلها اليك . حاملة  
 نفحات تسليمي عليك .

فهي الرسول الى الصديق وليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلاً  
 تأتي فيقرأوها الوفا ويحلها السعوى ويقطعها رضى وقبولاً

✽ وكتب من باريس الى حضرة الصديق الدكتور مملوك بالاسكندرية ✽

سنة ٧٩

الالفة . قد نفت الكلفة . والوداد . جعل الحديث الفواد . فجرده عن  
 زخارف الكلام . وأبعده من سفاسف الاحتشام . ودغ ميم الكرامة ونون  
 العظمة يستبقان . الى حيث سار القارطان . وتلق من اخيك كتاب ووداده

منضمات خطاب فواده .

سار يسعي اليك سعي رسولٍ  
اخترته عوائقُ الايامِ  
واجفأ بين رهبةٍ اورجاءٍ  
فهو بين الاحجامِ والاقدامِ  
فتبسّم له دليل قبولٍ  
وتقبل منه جزيل سلامي

✽ وكتب من بيروت الى بطرس افندي منصور تيان بيروت ✽

«رقد انا من دمشق ونزل بدار شقيقته فلم يستطع زيارته فارسل اليه يقول»

سنة ٨٢

يدعوني الواجب الى ناديك، ويحبسني اللائق عنه، فيا شوقي الى لقاءك  
ويا اسفي على امتناعه . فتقبل غير مأمورٍ فروض التحية القلبية . ممن رضي  
بالمراسة . من المقابلة . رضى العاجز بالتقابل الموجود . من الكثير المفقود

✽ وكتب من بيروت الى الصديق اديب افندي نظمي ✽

« بدمشق قبيل عودته »

علمت بان عتبك، موصولٌ باسباب حلامك، فكنت على يقين من عفوك،  
وذكرت سابق ودك، وموثق عهدك، فاراحني حسن الظن بك، من تكلف  
الاعتذار اليك

فأطأ آيدك الله نقاب العتب عن محيا الرضى، فالعمر اضيق من ان يسمع  
وحشة العتب، وفترة العذر، وتقبل سلام صديقك سفيراً يصلح ما افسده  
القصور . ورسولاً ينهي اليك بقرب وفود المحب عليك بثك مشافهة ما لم  
يستطع بالمراسة فينال لديك من القبول . ما يكون فوق المامول .

✽ وكتب الى المرحوم جبرائيل مخلع ايضاً عام ١٤٤ قبل وفاته ✽

« رحمه الله بزم من يسير وكان متولياً تحرير »

( جريدة التقدم للمرة الثالثة )

سيدي السند

ما قعدتُ عن مراسلة سيدي هذه المرة اهمالاً لحقه عليّ ولكن المّ بي منذ انقضاء الصيف المّ عصبيّ تجاوز الحدّ في حدّته . وتخطى الخطّ في شدّته . وعاودني معه شيء من الداء القديم فاستحكمت العلة . وعظم الخطب . وكنتُ مع ذلك اتحاملُ على النفس بتحرير الجريدة امثالاً لحكم الضرورة حتى امتنع الاحتمال ، واوجب عليّ الاطباء العزلة . فاعتزلتُ والتزمتُ المنزلَ أمرضُ وأعالج واعاني انواع العناء . وقد مرّ على هذه الحالة المرة ثلاثة اشهر من دونها ثلاثة اعوام . وكان بعض الاصدقاء قد رغبوا اليّ اوائل الصيف الماضي ان اترجم قصة صغيرة من قصص الافرنج تكون تسلية لي ولهم ففعلتُ فلما حصلت العطلة دعوني الي طبعها « واظنهم املوا لها الرواج بما يعلمون من رغبة السواد الاعظم منا في هذه الاحاديث الملققة » فطبعتها تلبية لدعوتهم وان لم اكن شريكهم في الامل . ولما تيسر الفراغ من طبعها ترددت في تقديمها الي باب فضلكم علماً مني برفعة منزلته عن مثاها ثم ذكرتُ ان نفس الحكيم لا تأبى الفكاهة في بعض الحالات والاوقات فبعثتُ بها متوسلاً بذلك الي طلب المغفرة عن قصوري السابق راجياً ان افوز من الجواب بما يفيد حسن القبول . والله اسأل ان يطيل بقاء سيدي متمتعاً بالعافية والسعادة . بالغاً من الدنيا مراده . والسلام من الخادم اديب

## مختارات أقواله

من جريدة مصر التي انشأها في المحروسة عام ١٨٧٧ <sup>المنعرة</sup>

ثم نقلت ادارتها الى الاسكندرية

كتب رحمه الله اثناء الحرب التي شبت نارها بين العثمانيين والروس فقال بعنوان

### الملك والرعية

\* الملكُ اما استبدادي او شوروي، والشورى اما جمهورية او ملكية  
وهذه مراتبُ الملكِ منذ كان القانون ووجب حفظه، وخرج عن هذه  
المراتب، الحكومة الفوضى، ان صحت تسمية الفوضى بحكومة

وما كل ملكٍ بلائمٍ لكل قطر. وما كل قطرٍ بصالحٍ لكل ملك.  
فالجمهورية لا تصلح للصين كما لا تصلح الملكية الاستبدادية لانكثرة فان تلك  
وهي حكومة الشعب بالشعب لا يحسن ان تكون في قومٍ تولاهم الجهل، وهذه  
وهي حكومة الشعب بواحدٍ منه لا تصلح ان تكون في قوم بلغوا من التمدن  
والمعرفة غاية نبيلة، وان كانت فلا تلبث ان تنقلب شر منقلب كما جرى لحكومة  
لويس السادس عشر، وشارل العاشر، ونابوليون الثالث في فرنسا، فان حكومات  
هؤلاء الملوك وان وسمت بالشوروية ظاهراً، فقد كانت استبدادية باطناً، وذلك  
مادعا الى نقضها وثل عروشها

ومعلوم ان مصلحة الملك متعلقة بمصلحة المملكة فلا بد للملك الحرص  
على مصلحة نفسه ان يحرص على مصلحة بلاده لان عمرانها يقضي برفعة شأنه  
وتوطيد ملكه، والعكس بالعكس. وعمران البلاد ينشأ عن حسن قانونها، والعدل

في انفاذه، وهذا وذاك متعلقان بالحكومة فهي التي اذا ارادت عمران بلادها، جعلت لها قانوناً يلائمها، واقامت على انفاذه قوماً لا تأخذهم في الحق لومة لائم، ومن الحكومات من تراعي ذلك فتجربه اثاراً المصلحة بلادها، وحرصاً عليها، ومنها من تمتنع عنه فتكرهه عليه ومثال هذه حكومة انكلترة وفرنسا واسبانيا، ومثال تلك حكومة الدولة العلية والحكومة الخديوية، فانهما ايدها الله قد جعلتا حكومتها شوروية ولا حامل لها على ذلك الا الرغبة في عمران البلاد، واحياء العباد، شأن الحكومة الحكيمة من قبلها ومن بعدها وليس الشورى في الحكومة او الحكومة بالشورى بدعة جديدة فان شواهد النقل، مؤيدة بدلائل العقل، تثبت قدمها. فمن ذلك التواريخ على علاقتها وقوانين الامم على اختلاف عاداتهم ومشاربهم، وكتب الشرائع، واقوال الشارحين العظام، وفي (وشاور عم بالامر) نعم الدليل

ولقد عرف الناس الان شرور الاستبداد، وترفعت نفوسهم بالعلم عن الرضى به، وصار الامر شورى عند جميع الدول المتقدمة الا الروسية وذلك ان صحت تسمية الدولة المستبدة مطلقاً بدولة متمدنة

ولم يكف الروسية بقاءها مستبدة على حين تحول سائر الدول الى الشورى حتى كانت سبباً في توقيف غيرها عن ذلك القصد النبيل. فانها قد منعت الدولة العثمانية حيناً عن انجاز ما شرعت فيه من اصلاح داخلتها، وتنظيم شوراها بهذه الحرب العنيفة التي دعا اليها الغرور على ان الدولة العثمانية لم تكن ليمنعها من ذلك مانع فانها لم تهمل ذلك الشأن مع اهتمامها بالدفاع عن وطنها، ولم تغفل ساعة مع انها كها في نازلتها المهمة وحسبنا على ذلك دليلاً ما رأينا في مخاطبة مولانا السلطان الاعظم للعساكر المحافظة التي عرضت عليه حيث قال ( لقد ملأ قلبي سروراً ما رأيت من اهتمامكم وانتظامكم وارجو ان يكون لكم مثل ذلك بعد

حرف ج  
مفرد  
المتن  
البلاد

شورى  
العلم  
المتن  
البلاد

العلم  
المتن  
البلاد

حرف ج  
مفرد  
المتن  
البلاد

الحرب حين اجراء الاصلاح ) واصرح من هذا ما حكاه مكاتبه ( للدالي  
تلعراف ) حظي بمقابلة مولانا حفظه الله فلاطفه بكلام شف عن حسن النية  
ودل على نبالة القصد . وقد رأينا ان نعرب كلام هذا المكاتب مشرفين هذه  
المقالة بتعريب ذلك النطق اثره . قال المكاتب ما مفاده

تمكنت من اجتياز خطوط الروس الى صوفيا ومنها قصدت الاستانة  
فبلغتها واستأذنت في الدخول على السلطان الاعظم فأذن لي فرفعت اليه ما  
عائته من شجاعة العساكر العثمانية ورئيسهم في بليغنافسر بذلك وانسني كثيرا  
ولاطفني بالمحادثة ثلاث ساعات متواليات فاذهاني ما رأيت من الدعة في  
سلطان امة عظيمة منتصرة وادهشني قوله كما ادى الكلام الى ذكر الانتصار  
«ما النصر الا من عند الله وما توفيقي الا بالله» وقد خلا كلامه بجملة عن كل  
ما يشف عن الكبرياء او ما يدل على الحق . واني ناقل منه ما يأتي قال  
مولانا . جاءني اللورد سالسبوري قبل الحرب بلائحة تتضمن صنوف  
الاهوال التي تتعرض لها الدولة العثمانية برفضها قرار المؤتمر فاجبته انك يا عزيزي  
لم تجعل لله مقاما في لا تحتك ولم تفكر في انتقامه للعثمانيين على حين بؤسهم  
ولقد كان لساني حينئذ يترجم عن قلبي فاني كنت على يقين من حسن ظني  
بالله ونوكلي عليه

وقد جاءت الحوادث بما اثبت لي الاصابة على اني مع التوكل على الله  
كثير العناية بامري شديد الاهتمام به ولا اغفل عنه ساعة  
واول ما في نيتي اجراؤه بعد إبرام الصلح تنظيم المسالية لوفاء الدين  
واصلاح حال الزراعة وغيرها من اسباب العمران وغاية ما ارجوه ان ارى  
حكومة الدولة العثمانية حكيمة شروية والله اسأل ان يوهلني لصنع الخير في  
قومي ويجمع على محبتي قلوبهم ويعينني على ان اقيم في بلادهم بعد هذه الحرب

اشارة لصفحة  
السلطانة العثمانية  
والله اعلم  
بما في القلوب والارواح

الظليّة حكومة جيّدة تضمّن لها مستقبلاً حسناً

فكيف لا تجتمع قلوب الرعية على ولائه، ولا ينظمون تحت لوائه، وهو  
يعدّهم بما لا تعدّهم به الاماني من جعل حكومتهم شوروية حكيمة لا تأخذ بالوجوه  
وتصرف عنايتها الى اصلاح شأنهم باستخراج المعادن من ارضهم المهملة، وصيانة  
اراضيهم الصالحة للازدراع من افساد المعتدين، وجلب الصناعات ونشر العلوم،  
وكيف لا تحب سلطانها امة كالعثمانيين رأّت في الكثير من سلاطينها المتقدمين  
كبرا وانفرادا . حين ترى فيه من الدعة ولين الجانب ما ادّهش الاوروبيين  
فضلاً عن الشرقيين ودعاهم الى الثناء عليه

فهذه الصفات مضمومة الى ما تقدم ذكره من حسن النية ، ونبالة القصد،  
ايدت ثقة الامة بسلطانها، وجددت قديم هممتها، وسابق فتوتها، واحيت في  
قلوبها حب الوطن بعد موته فبادرت الى بذل النفوس وكل نفيس لتدراعه  
من رامة بشر ولقد وهم من حسب هذه الغيرة محض تعصب للدين فان  
العثمانيين جميعاً على اختلاف مذاهبهم ومآربهم قد جادوا بالارواح والاموال  
للدفاع عن وطنهم ولو صح ما قيل من انهم فعلوا ذلك تعصباً للدين وحده لما  
قام به غير فيئة منهم فان قيل ان الجائدين بالارواح مكرهون على ذلك بالقرعة  
العسكرية، والجائدين بالاموال مكرهون عليه بالفرض المحتوم، قلنا واين المتطوعة  
الذين تسارعوا الى الانتظام تحت اللواء العثماني قادمين من جهات شتى واين  
الاعانات المرسلّة من كل ناحية ليستعان بها على نفقات الحرب بل اين جمعية  
الصليب الاحمر في ضمن الهلال الاحمر التي انشئت في ازبيرا لجمع المتطوعة  
والاعانات، تجتمع فيها من اولئك عددٌ غفيرٌ، ومن هذه شيٌ كثيرٌ، بل اين  
متطوعة الارمن والروم وغيرهم من العثمانيين اكان تطوعهم في الجندية العثمانية  
تعصباً للدين ام اكرهوا عليه، لعمرى انهم لم يكرهوا وما كانوا بمتعصبين وانما

هي غيرةٌ وطنيةٌ تجددت فيهم بما رأوه من حسن مقاصد حكومتهم على انسا  
لا ننكر ما حاجته هذه الحرب من عواصف التعصب في افكار بعض الناس  
ولا سيما الجاهلين غير ان جاهلنا قد تعود الانقياد للعاقل بخلاف جاهل  
بعض الاجيال فانه مع جهله شديد التمسك برأيه ولذلك لا يتعذر على العاقلين  
من ان يزيلوا آثار التعصب من افكار الجاهلين فنكون جميعاً امةً واحدة لا  
تعصب الا لوطنها، ولا تطلب الا صيانتها وتنقش على صفحات قلوبها  
( فلتحي الأمة ) ( فلتحي الوطن )

✱ وكتب رحمه الله في الحرب وجرحاها واعانتهم فقال

✕ الحرب

عرف الانسان مزار الحرب ولم يتجنبها فهل تلك طبيعة وجدت في  
كياته الحيوانية ام عادة تمكنت فيه بالاستمرار فصارت ملكة يتعذر التخلص  
منها، وهي مسألة تؤدي الى النظر في هل طبع على الخير او الشر، او كان من  
عجائبه ان اجتمع فيه النقيضان

يجني على نفسه الحرب وهي بلية حتى اذا بلغت منه مبلغها بادر الى تخفيف  
مضارها منه الداء والدواء، والسم والدرياق، وهو بالجملة ابو العجب. اما تراه  
قد فتح في القرن التاسع عشر سوق حرب راجت فيها النفوس، ولم يكن سببها  
السباق ولا البسوس، وانما هي ثمرة الهوى، ونتيجة الغرور، فلما انشبت فيه اظفارها  
وأضرمت في حماه نارها، طلب الماء لاطفاء اللهب فهو الهادم والباقي،  
والزارع والجاني.

يحمل على ابن نوعه مقاتلاً، ثم يدعو الى اعانتة، فهو يجلب الداء، ويطلب

الدواء، ويخرج باليمن ويضمد باليسار، او ما تراه في جنوبي البلقان، وفي اسيا  
 الصغرى، مضرماً نيران البلاء، وفي سائر الارض طالبا اخمادها  
 فلورأيته وهو في ساحة القتال يطلب قرناً يصاوله، وخصماً يطاوله،  
 وفارساً ينازله، وبطلاً يقاتله، لانكرته وهو في ديار السلم يطلب ذا مروءة  
 يساعد من جرحه، وينهض من طرحه، فهو في جهة ينادي الإنسانية الانسانية،  
 وما ادراك ما هيه . صفة تقوم بمن ضعف فيه الميل الحيواني . فقوي الميل  
 الانساني . وهو الترفع عن الحاجات الحيوانية الى المطالب العقابية وتجريد النفس  
 عن دنيء شهواتها . لرفعها الى سامي غاياتها، وفي جهة ينادي الحرب الحرب  
 وما ادراك ما الحرب . هي باعث الهول والكرب . اولها شكوى . واوسطها  
 نجوى . واخرها بلوى . او هي كما قيل فيها

الحرب اول ما تكون فتية      تسمى بزيتها لكل جهول  
 حتى اذا حمت وشب شرارها      عادت عجوز اغبر ذات حليل  
 شمطاء جزت رأسها وتكرت      مكروهة للشيم والتقبيل

### × جرحي الحرب

في معترك او مضت فيه بروق المرهفات، ولعلمت رعود المدافع فقلتها  
 غيوث الكرات، وسكرت السيوف بخمر من الدم فعربدت في الرؤوس،  
 وعقد العثير لملك الموت مرادق مطنبة بالقنا والخيل ساغبة تقبل ثقلاً، وتعود  
 خفافاً، وكأنها وقد اعياها الفارس حياً قد غضبت على الانسان فداست  
 هامة انتقاماً، وقد استحيت الشمس من خشونة الانسان فاحتجبت بحجاب  
 الضباب، وتعلمت الارض من اعماله فزلزلت زلاها، وكادت تخرج اثقالها،  
 فارتعد الرعديد، وثبت الصنديد، ونادى منادي الحرب من فر من الموت

ووقع ، ومن كان ينوي اهله فلا رجوع ، طريق على الارض جريح ذو كبد  
 حرى ، يستجير باحدى يديه وفوق الكبد الاخرى ، يذكر خلية او حلية  
 اله فراقها مع أمل الرجوع ، فما الظن به وقد اختفى نور ذلك الامل . ووالدة  
 تاملت به جنيناً ، وارضعته طفلاً ، وربته يافعاً ، وسهرت عليه حالماً ، ووالداً  
 واساه في كآبته ، وسلاه في حزنه ، وتوجع له في مصابه ، ثم تنجلي له  
 الدنيا بزخرفها وزينتها فيرى مرير عذابها حلواً ، وكدر مشاربها صفواً ، فهذا  
 هو الانسان الجريح بسلاح الانسان ، المطلوبة مساعدته من الانسان .

### X اعانة الجرحى

من يسير ما تنفقه على الملاذ في المطاعم والمشارب ، ومن قايل ما تصرفه في  
 الملابس الفاخرة ، جد على ابن جنسك الساقط في ساحة البلاء حيث ينكر  
 الاخ اخاه ، والابن اباه ، ايها المعطر اردانه ، المفاخر اخوانه ، المعجب بلباسه ،  
 الجائر على ناسه ، الراكب العربية يقودها زوج من الخيل العتاق ، الساكن  
 القصر المشيد ، اللابس الحرير ، الآكل الفاوذج ، الشارب انواع الراح ، ومن  
 قليل ما تنفق على باطل الزينة ، وزائل التحسين ، ونزر ما تبذلين في اقتناء الحلوى  
 والحلل ، ايها المفاخرة بزینتها ، المنافسة في حلتها ، جوذي لجريح يجارب  
 عنك ويحمي حماك ، واسطي يدك البيضاء ، بالعطية البيضاء ، واحسني  
 واتي حسناء ، فخير الحسن ما كان مع الاحسان ، وخير الاحسان ما كان  
 في اعانة الانسان .

## الأمة والوطن

الأمة الجليل من كل حي ومن الرجل قومه وفي عرف اهل السياسة الجماعة المتجنسة جنساً واحداً الخاضعة لقانون واحد . وليس المراد بوحدة الجنس التوفيق بين الانساب لتعذر ذلك في كثير منها ، ولما طرأ على انساب الناس ولا سيما الحضرة من المفاصد الكثيرة ناشئة عن تخالط الاقوام مختلفة انسابهم ، وتوالي الحروب والغارات ، وتوطن بعض الفاتحين فتوحهم ، وتزوجهم في اهلها ، الى غير ذلك مما جهلت به الانساب ، وخفيت به الاحساب ، الا ما حفظ بمناعة اهلها عن ان يدانهم فاتح غريب وهو قليل لا يقاس عليه . وانما المراد بوحدة الجنس اتفاق الجماعة على الاعتزاء الى جنس واحد . بتوالدون فيه ، ويسمونه به ، كالجنس الاميركاني لسكان الولايات المتحدة الاميركية سواء كانوا انكليزاً ، او فرنسويين ، او اسبانيين ، او اميركانيين اصلاً ، والعماني لسكان البلاد العثمانية في اوروبا واسيا سواء كانوا تركاً ، او عرباً ، او نترأ اصلاً ، والاوستري لسكان سلطنة اوستريا سواء كانوا الماناً ، او صقالبة ، او ايطاليين اصلاً ، وهلم جرا .

وقد زعم بعض الناس ان من لوازم وحدة الأمة وحدة لغتها وهو وهم لانه اما ان يراد بذلك الاستدلال باللغة على الجنس او لا ؛ فان كان الاول فهو فاسد ، لانه قد يولد الانسان بين قوم وينبت فيهم ، فيتكلم بلغتهم ، وهو بعيد عنهم نسباً . ولان ما ذكرنا من تخالط الاقوام ، واعتزاب الفاتحين ، قد احدث في لغات كثير من جماعات الناس فساداً ، بحيث صارت مزيجاً يعجز ابرع الكيماويين عن تحليله ، كما في لغة اهل مالطة مثلاً . فامتنع بذلك الاستدلال باللغة على الجنس ، وان كان الثاني فهو من قبيل ايجاب ما ليس

بواجب ، ولو اقتصر اهل هذا الرأي على استحسان وحدة اللغة في الامة  
لا حسنوا .

فقد ثبت بما ذكر ان الامة هي الجماعة من الناس تتجنس جنساً  
واحداً ، اي تنسب بسمة واحدة على اختلاف اصولها ولغاتهما ، وتتعرف باسم  
تنسب اليه وتدافع عنه .

اما الوطن فهو المسكن يقيم به الانسان ، وفي عرفهم البلاد يتوطنها سواد  
الامة الاعظم ، ويتوالدون فيها ، ولا يشترط فيه مساحة معلومة بدرجات  
معينة ، واقليم واحد بتخوم معروفة ، وانما تعريفه ما ذكر من توطن معظم  
الامة به ، وقد يضاف الى الوطن بلاد لم تكن منه ، وهي اما ان تكون  
فتوحاً ضمت اليه عنوة ، واما ان تنضم اليه برضا اهلها . فان كان الاول فاما  
ان يكون ضمها قديم العهد ، وتكون معاملة حكومة الوطن لها معاملتها لسائر  
اهل فتبنت الملكية ، واما ان لاتكون هذه ولا ذلك ، فلا تثبت ، وان كان  
فلا مشاحة في صحة الانضمام

وقد اختلف في سبب حب الوطن ، ف قيل ان السبب فيه اللفة ،  
فان الانسان اذا الف شيئاً احبه ، واجيب بأنه قد يخرج الانسان من وطنه  
صغيراً ، فينبت في آخر ، ولا ينسى مع ذلك حب وطنه . وقيل ان حب  
المكان ، يورث حب المكان ، كما قيل

وما حب الديار يهيج وجدي ولكن حب من سكن الديارا  
واجيب بأنه قد ينتقل الانسان عن وطنه ، بمعظم اهل واصدقائه ،  
ولا ينفك مؤثراً وطنه بالحب . وعندنا ان ياء الاضافة في قولي وطني هي  
السبب في حبي لوطني كما ان ياء النسبة في قولنا فرنسوي هي السبب في حب  
الفرنسوي لامته فتأمل . فله من ياءين ياء نسبة ، وياء اضافة ، يدعوان الى

فضيلتين حبّ الأمة، وحبّ الوطن .

ولقائل أنك قد جعلت مصدر حبّ الوطن والأمة الانانية (حب الذات) وهي نقيصة فكيف صحّ في قياسك صدور الفضيلة عن تقيضها ، وجوابه أن الفضيلة هي الدرجة الرفيعة في الفضل ، والفضل ضدّ النقص . أمّا الانانية فهي نسبةٌ لضمير المتكلم على غير قياس . وفي عرفهم ايشار الانسان نفسه بما يراه خيراً سواء جنى بذلك على غيره خيراً ام شراً ، وليس في حبّ الوطن او الأمة شيء من ذلك كما ترى .

أما وجه كونهما فضيلة، اي درجة رفيعة في الفضل ، فهو لأنهما يقضيان على صاحبهما بخدمة الارض التي يفتدي بخيراتها، والانسانية التي جعلته في جماعة من نوعه يعينونه على استحصال حاجاته ، ويدفعون عنه اذى سائر الانواع . ولعلك لا ترضى بهذا تعليلاً فنقول ان خدمة الانسانية والارض لا ينبغي ان تنحصر في جماعة من الانسان ، او في جهة من الارض ، وانما يجب أن تكون عامةً فيهما . والجواب انه لما رأى الانسان من نفسه عجزاً عن القيام بجميع حاجاته الطبيعية ، ودفع اذى سائر الحيوان ، تألف جماعة تفرقت فيها تلك الحاجات، فصار هذا زارعاً ، وهذا حاصداً ، وذلك طاحناً ، وذلك عاجناً ، والآخر خابزاً ، وهلم جرا ، وكلٌ منهم في شأنه ساعٍ . فلما كبرت هذه الجماعة عن أن يسعها قسم واحد من الارض ، تفرقت فيها فصارت جماعات منفصل بعضها عن بعض حسباً ، مع تواصلها بالتنوع . واقبلت كل جماعة منها على العمل في الارض التي اختارتها مقاماً ، استحصالاً لحاجاتها ، واخذ كلٌ من اهلها يعمل في ما ارتضاه لنفسه من الصناعات ، ليعين بمصنوعه رفيقه مستعيناً بما يصنعه ذلك الرفيق ، ولو حاول الانسان الاهتمام في جميع الارضين ، بجميع المهن والمشاعل ، لفني عمره ولم يأت بفائدة تامة ، بخلاف ما اذا

اقتصروا على العمل بمهنته، في جماعته، اذ تيسر له اسباب الاعانة والاستعانة،  
 فتحصل الفائدة التامة في الجماعة وينتهي ذلك الى حضورها في النوع يلاً  
 بين الجماعات من علاقات الانسانية. وهذا وجه الفضيلة في حب الامة،  
 وحب الوطن، فليُر سمن اسمها على صفحات كل قلب، وليلهجن بذكرها  
 لسان كل انسان، فانما المرء باصغره القلب واللسان.

### ✓ حركة الافكار

ارى خلل الرماد وميض نارٍ ويوشك ان يكون لها ضرامٌ  
 بل هي شعلة اصلاح كانت في كمون الدهر، في عالم الضياء والنور فساقتها  
 يد الحكمة، بمعدّات الحركة الى عالم الظهور، وسرّمت في اوربا من جانب  
 الغرب الاقصى، وكنت في ماوراء المانش اياماً واعواماً، متنقلة من صورة الى  
 صورة، ومن كيفية الى كيفية، حتى اعدت لها طريق البروز، فظهر ضرامها  
 بعد الحفاء، وانبعث منها جراثيم الضياء، فغيرت هيئة الارض، وحالة الناس،  
 وظهرت ذلك الجانب من الارجاس: تلك ثورة الفرنسيين: برزت الى عالم  
 الفعل عام ١٧٨٩ وصدمت قوة الاستبداد فزلزلتها، ودفعت سطوة التقليد  
 فضعضتها، ورفعت عن العيون نقابها، وعن النفوس حجابها، فانت من  
 جانبها نور الحرية، وخلعت جلايب الرق والعبودية، واجتمعت على ولائها،  
 وتألّبت تحت لوائها، لتدفع عنها من رام اطفاء نورها، وافساد امورها، فتصدى  
 لها اعوان الرق وانصار العبودية، وما آلوا في قتالها جهداً؛ فلقيتهم وهي ترى  
 الموت في الحرية حياة، والحياة في الرق موتاً، فلم يبلغوا منها قصداً، ورسخت  
 في عالم الوجود قدمها، وكثر الملام من حولها، وادهشت الدنيا بشدة حولها، ثم

مرّت عليها الشهور والاحوال ، ونقلت الامور والاحوال ، ورأى العدو  
 منها غفلة فدهم ، واغتنم من الزمان فرصة ففهم ، وغلب امره وتأيد ، واستقام  
 ملكه وتوطد الى ان ساقته يد القدرة الى التهور في ماجر اليه واليه البلاء  
 الاليم ، فتسنى لها ان تدفع عنها شره ورب شر يجي بالخير العظيم ، ثم عادت  
 الى سابق عزها والعود احمد ، فانفتحت في بلادها : نغني فرنسا : كنوز  
 الثروة ، وتوفرت اسباب القوة والسطوة ، وصفت موارد السعادة والهناء ،  
 وانتفت أسباب المتاع والشقاء ، وهي الان على ما نرى من العز والمناعة ،  
 والتقدم في الزراعة والتجارة والصناعة . ثم سرت تلك الشعلة من الجانب  
 الغربي الى الشمالي وهي فيه كمنة تحت رماد الاستعداد . وانا

نرى خلل الرماد وميض نار ويوشك ان يكون له ضرام

فان النهلست في الروسية ، والسوسياست في المانيا ، طائفتان قد استنفج  
 امرهما وعظم شأنهما ، وحسبك ان فتاة من النهلست يقال لها « ساسولتش »  
 قد تجاسرت وهي في ارض السلطنة تحت سما السطوة ، ان ترمي والي الشرطة  
 بالرصاص عمداً . وانه قام لها بين قومها نصراء ومحامون ، وشفعاء ومدافعون ،  
 وان فتى من الطائفة الثانية يسمى « لمان » قد تجرأ وهو في ارض القوة ،  
 تحت سماء العظمة ، ان يرمي الملك الفاتح الكبير بالرصاص ثلاثاً ، وان هاتيه  
 الطائفة قد اصاب من الفوز والسطوة ، والتقدم والقوة ، ما اوقع في قلب  
 الدولة هيبتها ، وحملها على الامر باستئصال شأفتها ، وتعطيل جرائدها ، واعانت  
 الداعين اليها ، والقائمين بامرها . ولا لوم عليها في ذلك فان تلك الشعلة قد  
 سرت نارها ، وارتفع منارها ، وصار لها من الخاصة نصراء ، وفي الدولة ظهراء ،  
 غير انها لن تستطيع اخماد تلك النار وان منعتها من السير حيناً ما ، فان الاسباب  
 اذا اعدتها الحركة اللانهائية ، وتسنت لها المسببات القابلة ، حصل الوجود

وجوباً .

ثم ذكرت تلك الشعلة ووطنها القديم، فحنت اليه ولا غرو ان يحن الغريب  
 الى وطنه « نعي الشرق » مقرّ جرائم الحركات الدينية والسياسية التي غيرت  
 هيئة الارض ، واحوال الانسان ، فسرت اليه تنبه غافله ، وتفقه جاهله ،  
 وظهرت في بلاد « اهورا مازدا » بين ابناء « زرودشت » تحت سماء التقاليد  
 « نريد بلاد الفرس » فان مذهب البايين نسبة الى السيد علي محمد الملقب  
 « باب المهدي » قد ظهر في تلك البلاد منذ نحو من ثلاثين سنة ، وعلق  
 بقلوب الناس فتمذهب به جمع كثير منهم ، واثاروا الفتنة على الحكومة ، وبرزوا  
 من الجسارة والاقدام ما لم يُسمع بمثله . وبعد مقتل امامهم رمى بعضهم  
 الشاه بالرصاص ، ولم يصب . وقد كان من اعمالهم الاخيرة ان جماعة منهم  
 تشبهوا بالجندي ، وقصدوا الشاه وهو سائر الى مدفن شاه زاده عبد العظيم للزيارة  
 ثالث افريل ( نيسان ) سنة ٧٨ وقالوا له انا من جنديك وقد طال علينا زمن  
 الخدمة ونزوم الانصراف الى منازلنا ، فوعدهم ان ينظر في امرهم بعد الرجوع الى  
 القصر . ثم انهم هجموا على عربته ورموه بالحجارة الكبيرة ، وجرحوا جماعة  
 من رجال حرسه ، وكان على مقربة من مكان الحادثة طائفة من الجندي ، فطير  
 الشاه اليهم الخبر ، فجاءوا مسرعين ، وقبضوا على جماعة من اهل الفتنة وعلم الشاه  
 انهم من البايين . هذا ملخص تلك الحادثة وسنورد تفصيلها في غير هذا  
 المقام مع بيان حال تلك الطائفة ومذهبها ، وكيفية سيره وتقدمه وانقسام  
 امامته بين بجي صبح ازل واخيه البهاء المقيم الان بعكاه منفياً مستمدين جميع  
 ذلك من بحر معارف استاذنا الكبير ، الفيلسوف الشهير ، درة تاج الحكماء ،  
 وواسطة عقد العلماء الفضلاء ، السيد جمال الدين الافغاني نزيل المحروسة .  
 وما افضنا في الكلام على آثار تلك الحركات الفكرية التي سرت من

اورباً من جانب غربها الاقصى الا لانا نحسب الحركة التي ظهرت اخيراً في  
الاستانة ، حلقة من سلسلتها وهي الحركة التي ظهر اثرها الاول في عزل محمود  
نديم باشا اثر فتنة البلغار ، وخلع السلطان عبد العزيز ، وتنصيب السلطان  
مراد . وقد كثرت عدد الداعين اليها في الاستانة ، واجتهدت الدولة في خفض  
منارها ، واهماد نارها ، بابعاد زعمائها ، ونفي رؤسائها مع كثرة الشواغل ، وتواتر  
النوازل . وقد جاءنا بالتلغراف وارداً من الاستانة بتاريخ ٢١ مايو سنة ٧٨  
ان جماعة من العامة قد هجموا على سراي جراغان مقر حضرة السلطان السابق  
محاوّل رجال الحرس صدّهم واعياثم ذلك فاطلقوا عليهم الرصاص ، وقتلوا منهم  
نفرًا ، وجرحوا طائفة ، فاجسنا من ذلك الخبر شراً ، وخفنا ان يكون نتيجة  
ما سبق من المقدمات في عهد ساكن الجنة عبد العزيز . ثم جاءنا في غد  
ذلك اليوم ببيان ازال ذلك الخوف ، وابعاد الایجاس . وهو ان الذين هجموا  
على السراي كانوا من المهاجرين . فترددنا بين تصديق الاول والثاني ورجحنا  
جانب الثاني بدليل ما جاء بعده من ان جماعة من اولئك المهاجرين قد ساروا  
الى الباب العالي يطلبون الاعانة ، وحمّلنا فنتهم على الحاجة والفاقة . ثم ما  
لبشنا ان جاءنا بالتلغراف ما افسد الظن ، واعاد الایجاس من ان علي سعوي  
افندي احد زعماء تركة الجديدة كان في مقدمة المهاجرين على السراي ، وان  
رجال الحرس قد قتلوه فابقنا ان هذه الفتنة هي من آثار تلك الحركة  
المتعلقة بسلسلة الحركات الفكرية التي ستغير لا محال عاجلاً او آجلاً هيئة  
الكرة الارضية ، ونظام الجمعية الانسانية

## وله في الكلام على سنة جر يدة مصر الاولى

سنة مصر

تنطلق الأيام تبعاً، وتسير الأعوام قطاراً، ونحن بين وداع ولقاء، وكدر  
وصفاء . وهذه جريدتنا بين عامها الاول تودعه وهي نقول (يا راحلاً غني  
رحلت مكرماً) وعامها الثاني تلقاه وهي تنشد (يانازلاً عندي نزلت معظماً)  
وفي صفحاتها مما رسم الاول «العدل لا يكون للحقيقة ضدّاً» ومما نقش الثاني  
«الفكر لا يكون للرغبة عبداً»

وقد كان لها في عامها الاول حركة سير بينة، لغاية معينة، اذت بها حق  
الخدمة وفرضها، وقضت الواجبات او بعضها، فانتقلت الى ثغر الاسكندرية  
تنشد بها ضالة الرجاء، وتتبع سمابة النجاح، فشبّت على صغر، وانجلت بابهي  
من الحلي وابهج من الحبر، وعارضها اول العين من المعاذير، ما دفعته عنها  
المقادير، وسلكت من القصد منهجاً، لا تخاف فيه من لام ومن هجا، فاقبل  
عليها من كان معرضاً، وصدفت ما كان معترضاً، فبلغت من النجاح مكانة  
يحسدها القاصر عنها، ومنزلة يمتقنها الطامع فيها، وارتم عليها بحروف من  
الضياء، منتخب الشكر ومنتقى الثناء، لمن اکتسبت منهم جمالاً، واصابت  
احساناً، وكانوا لكسرها جبرائلاً، (فضاءت وجوه سيئت وجوه) ومن  
جزموا بظهور فضلها، وقطعوا بوجوب وصلها (ولا يعرف الفضل الا ذووه)  
غير ان تكامل الشيء لا يكون دفعة فان الطفرة اي الانتقال بغير قطع  
مسافة محال، واسباب الاعمال لا تتوفر الا تدريجاً . وانا لا انجهل ان من  
فروضنا ما لم نقضه، ومن واجباتنا ما لم نأت على بعضه، ولا ننكر والصدق  
منجاة، ان بضاعتنا من العلم مزجاة، ولكن غاية النضل، جهد المقل، ومنتهى  
القصور، نقص القادر على التمام . ومن كان فاعله الارادة، وقابله حسن

عجيب  
العدل  
والشكرالعلم  
توهم  
الاعمال  
والشكر  
والاحسان

النية، حصل فعله كاملاً ان امكن الكمال، وتم له صلاح الحال، وحسن  
 المال. اما الارادة، فلم يتجاوز بنا جانب الجهد، ولم تخرجنا عن السبيل القصد،  
 وهو استكمال ارباب التقدم لماته الصحيحة والاهتمام بشأنها اصلاحاً وتحسيناً.  
 واما حسن النية، فقد اوجب علينا شرب التعامل على كدورته، ولبسه على  
 خشونته، والتزام امور لا تخرج عن حد الفائدة، ولا يتجاوز خط الاعتدال  
 فمنها حسن الاختيار في النقل، وهو من اهم واجبات الجرائد، ومنها  
 تقديم اهم على المهم، وانتقاء الاخبار الموجبة لاجياء المهم، والتعاون والتوازر  
 على استجلاب العزة، ودفع المعرة، وانتخاب الاقوال المؤيدة للحقائق، الناقضة  
 للاوهام، الداعية الى الائتلاف، البعدة عن الشقاق والاختلاف، رجاء تقوية  
 الروابط الانسانية بين اهل هاته اللغة على اختلاف مشاربهم، وتنوع مذاهبهم،  
 مع العلم بان سماء المشرق لا تصفول من يسير هذه السيرة، وان ارضه لا تنبت  
 خيراً لمن تكون له هذه السريرة، ولكن الافكار حركة مستمرة تقطع  
 بها عقبات الاوهام، لتدرك غايتها، وهي الحقيقة، وللنفوس آمال، موزطة  
 بالاستقبال.

ومنها تهذيب العبارة، وتقريب الاشارة، وتنقيح الكلام، وتقريب  
 المعنى في الافهام، واطراح ما يتجافى من اللفظ عن مضاجع الرقة، وما كان  
 منه غريباً تفر منه الخواطر، وتشمئز النفوس. فانه لا عذر لمن يقول عقنقل،  
 وفي اللغة كئيب. وقد موس، وفيها قديم. والشهر المنصرم، وفيها الماضي،  
 والسابق، والغابر، والمنسلخ، والمنعم، وكثير غيرها. وذلك مع تجنبنا مبتذل  
 الكلام وسوقيه، واطراحنا فاسد التركيب وعاميه. فانه دانه اذا سرى في  
 عامه الناس امات اللغة، واغلق على الطلبة معاني كتب العلم. ولا ازيد بها  
 ابقارى، علماً انها كنوز لا توصف نفاسة ولا تعدد كثرة.

على اننا لا ننكر ان لحركة العصر حكماً قاطعاً ، ولا اصطلاح اهل قضاء  
 نافذاً ، وان كاتبنا في هذا الزمان لا يستطيع ان يتلو تلو السابقين من المولدين  
 والمتقدمين ، فان علمهم كان زائداً عن حاجات عصرهم ، اما هو فحاجات  
 عصره تزيد عن علمه . وذلك فضلاً عن الترجمة وتشعب مذاهبها ، فانها الغاية  
 التي يتبارى اليها كتاب هذا العصر ويتسابقون ، ولكن قليلاً ما يدركون .  
 ومنها السعي الى جنّة الحرية مع ثقل سلاسل العادات ، وقيود القوانين ،  
 والاعتلاق باهداب الصدق ، والتشبث باذيال الاعتدال ، والتنزه عن الغرض  
 الموجب للانحراف ، والميل الباعث على الارجاف مع التثبت في القول المنقول ،  
 والتدبر للرأي المعقول ، كراهة ان ننقل من الروايات ما هو مجروح ، ومن الاراء  
 ما هو مجروح ، ملتزمين في جميع ذلك ان لا نتكلم ، بما لا نعلم ، ولا نماري في  
 ما علمنا . محتئين ما كان من الالفاظ موجبا لنفور النفوس ، وانكسار الخواطر .  
 وجملة الامر اننا لم نأل الجريدة خدمة ، والمشركين امانة ، والاعتدال انقياداً .  
 والصدق طاعة . فان لم يكن في جميع ذلك قضاء للواجب ، واداء للفرض ،  
 فلا اقل من امتزاجه بحسن النية ، وسلامة الطوية . وان لم يكن فيه فائدة  
 كاملة ، ومزية ظاهرة . فان اول الغيث القطر ، وما لا يستطاع كلة لا يحتقر  
 جله ، على اننا لولا الحذر من الغرور ، ليمآ رضينا للجريدة بما نرضاه لنا من القصور  
 فانها قد بلغت وهي في سن الطفولية مقام الكهول ، وصار لها من الراغبين في  
 مدة اشهر ما لم يجتمع لغيرها في مدة اعوام . فقوي بهم عضدها ، واشتد  
 عزمها . ولم تنس انس اقبالهم عليها ، وانعظافهم اليها ، فهي تشكر لهم بما تحسن ،  
 وتثني عليهم بما تعلم ، واين ذلك من الولاء ، وواجب الثناء . وتذكر لو كلائها  
 فضلاً ممنوناً ، وتشكر لهم سعياً محموداً .

اما نحن فغاية ما نبديه من شكرهم ، الاعتراف بالقصور عنه فانهم

ما روضةٌ وشعّ الوسمي بردتها يوماً أحسن من آثارِ سعيهم .  
 ومنتهى ما نجليه من وصفهم ، الاقرار بالعجز فيه . فانهم  
 ما العودُ ان فاح نشراً او شدّ اطرباً يوماً باطيب من تفرّيع وصفهم .  
 وقصارى ما نلوه من ثنائهم . انهم  
 ما الدوحُ تفرّيعه بالزهر متسقٌ نظماً باطيب من تفرّيع ذكرهم .  
 ومستولنا ان يتجاوزوا عما يرونه لنا من خطي ادى اليه الوهم ، او قصر عنه الفهم .  
 وان يقابلوا بالعفو ، ما يرون من السهو ، ويديموا ما عودنا من الفضل والمساعدة ،  
 والنجدة والموازرة ، لننهض من الخدمة بما يزلفنا اليهم . فاننا في قضاء  
 واجباتها رغبة ، تدفع الرهبة من تخطئة العائين . وانا على حدّ ما قال (روسو)  
 ننطق عن غيرة وان فاتنا العلم . او على حدّ ما نقول نستخدم اللسان للقلب  
 ولا نعكس . والله وليّ التوفيق وهو الهادي الى سواء الطريق

وكتب بعنوان

اماني وطنية ✓

اذا دهمت الفتن قوماً فاما ان تكون قد اخذتهم على غرّة ، وجأتهم على  
 حين غفلة عن الاستعداد لمقاومة الحوادث فلم يتمكّنوا من دفعها ، ولم يقووا  
 على ردعها ، حتى بلغت منهم مبدناً . واما ان تكون قد اخذتهم على يقظة  
 واستعداد لما يتوقع من الملمات ، فصادموها ما استطاعوا ولكنها علت عليهم  
 فاودت بقوتهم وذهبت باستعدادهم .  
 فهاتان حالتان تساويتا غايةً واختلفتا مبدأً . اما الحالة الاولى فالفتونون  
 بها فريقان فريقٌ يستولي عليه الهم والغم مما حلّ به وبقومه ، وفريقٌ يشارك  
 الفريق الاول في همه وغمه من وجه ، وينفرد عنه بما يعتره من الفرح بنزول

تلك الحوادث علماً منه بان الحوادث من شأنها انها اذا دهمت غافلاً  
 نبيته ، او نائماً ايقظته ، او آمناً اخافته ، او مطمئناً افلقتة ، او ساكناً حرّكتة ،  
 او خلياً شغلته . فهي الباعث على الخير كله ، والداعي الي سبيل الاستقامة  
 بالحكمة والموعظة . وذلك انها اذا نزلت بقوم اعوزتهم الى حوائج شتى ،  
 والحاجة من شأنها ان تقود المحتاج طبعاً الى الحصول على ما مسّت  
 اليه ، كما نرى في اصل الفطرة وكيف قيد كل نوع الى التماس ما فطر  
 محتاجاً اليه في قوامه وكمال النوعي . وهذا الفريق وان امتاز عن الاول بما  
 تقدم من عروض فرجه في عرض الآمه ، ولكن قد يعرض له ما يزيدة  
 كدراً وحزناً بما يراه بمرآة خاطره من نوازل الاستقبال ، وموانع الاصلاح .  
 فان الانسان وان نبيته الحوادث وكشفت له الحجاب عن اسباب نزولها  
 ودعتة الحاجة بعد ذلك الى لم شعته ، وورق ثوبه ، الا انه قد يفقد الاستعداد  
 ويجرم الاسباب والوسائل ، فلا يستطيع الى الاصلاح سبيلاً . ولا سيما اذا  
 خيف من اضمحلال العصبية ، والوقوع في العبودية ، كما جرى على كثير من  
 الامم التي أخذت في احدى تينك الحالتين ، فصارت اثرأ بعد عين .  
 وعلى هذا فنقول ان الامّة العثمانية من أخذ على غرة ، واغتيل على غفلة ،  
 اذ نبذ بعض اوياتها الشرائع والقوانين ظهرياً بل اتخذوها لعبة لآعب ، وآلة  
 عامل ، وصنعة مقامر . فما يمكن تأويله منها اولوه ، وما لا يمكن تأويله نبذوه ،  
 وانتكوا فيه حرمة الحق ، حتى ختم الله على قلوبهم ، وعلى سمعهم ، وجعل على  
 بصرهم غشاوة فلا يفقهون الحق ، ولا يسمعون الصدق ، ولا يبصرون الخير ،  
 ولا يخافون الشر . حتى اذا قيض الله لنا من يهدينا سواء السبيل خذلوه ونفوه ،  
 وعوضونا منه مضلاً يتزلف اليهم بالتلميق والنفاق . فخامرت قلوبنا الامراض ،  
 وبلغت منا الآلام ، فالتسنا الدواء ، بعد الاحساس بالداء . وعالجنا انفسنا

بالاجتهاد في جاب المصالح ، ودرء المفسد ، فلم يقوَ على ذلك لضعف النفوس  
 وقلة الاستعداد . فعمدنا الى التقليد شأن المعترف بعجزه وقصوره ولكن لم  
 نتخذ فيه الطريق القصد ، بل اعتسفنا وضللنا السبيل ونحن نحسب لجهلنا انا  
 على صراط مستقيم ، نترقى في درجات الكمال الى اعلى عليين . ولم نشعر بهبوطنا  
 الى اسفل السافلين الا بعد الوصول الى غيابة الهاوية . فكان مثلنا كمثل معتوه  
 التي بنفسه من على فلم يشعر بالمشقة الا بعد ان صادم ارضاً رخت عظامه  
 رضاً ، فتشخص لنا الداء وعلمنا انا جنينا على انفسنا بما كان من سوء سيرتنا  
 وفساد سريرتنا ، وتفرق كلمتنا ، وتمزق عصيتنا ، واستبداد خاصتنا ، ناشتاً  
 عن الطمع والشره . وضعف نفوس عامتنا صادراً عن الجهل والغفلة . وان  
 بقاءنا على هذه الحال لا يجدي نفعاً فضلاً عن كونه يدلي الى الفناء والاضمحلال  
 فهذا شرح حال تلك الامة الراهنة التي انقبضت بها النفوس ، وانكسرت  
 الخواطر . وقد انبسطت لنا اسبابها وعللها . وذقنا نتائجها وعواقبها ، فتعين علينا  
 مداركتها بالوسائل الحاسمة لاسبابها ، القاطعة لعلائقها . ولكن بقي ان ننظر  
 ما هي هذه الوسائل ؟ وهل يمكن الوصول اليها ، والحصول عليها قبل تمكن  
 الغصة ، وفوات الفرصة ، فنقول لا هادي اهدى من الاحتياج ، وارشد من  
 الافتقار . فالظمان يدعو ظمأه الى التماس الماء . والمريض ببعثه الالم على  
 طلب الدواء . . . وحالتنا هي التي تهدينا الى الوسيلة التي ينبغي ان نعتم  
 بها وما هي الا الطيب النبيه ، والحكيم التزيه ، يداوي علل نفوسنا ،  
 ويعالج مرض قلوبنا ويصلح منا ما فسد ، ويروج ما كسد . نريد رجالاً  
 على قدم صدق في الحكمة ، بصيرين باساليب السياسة ، يقومون بين الرفق  
 والعدل فلا يرهقون ضعيفاً ، ولا يطعمون قوياً . ويستوي لديهم الناس في  
 الحقوق ، فيقرّبون اصحاب المزية ، ويخذلون ذوي النفوس الدنية . لا يخشون

العدل  
المعاد

العدل  
المعاد

بمبدأ آخر

الحق في الناس اولئك هم الذين تمينا بهم النفوس ، ومثلهم لنا مرآة الاماني  
 فنجيا على امل بعثهم فينا . وان يكونوا من انفسنا حريصين علينا رحماء بنا  
 يحدون من آثارنا ما اندرس ، لا اجانب يسرهم ما يسوءنا حرصاً على ضعفنا  
 وطمعاً في حقوقنا حتى ترسخ قدمهم في اوطاننا ، وتنفذ كلمتهم فينا ، فيكونوا  
 علينا اضرّ منا على انفسنا . ولكن اين منا هولاء ، وقد اصبحنا اليهم فقراء .  
 فالعثمانيون والحالة هذه بين امرين احلاهما امر من المرّة . اما الصبر على مضاضة  
 القهر ، وغضاضة الضعف ، حتى يقبض لهم الله من يقوم بامرهم ، وقيم  
 اودهم . واما الابتغاء الى اجانب يسلمون اليهم زمامهم ، ليديروا امورهم ،  
 ويدبروا مصالحهم ، ويقولوا فيفعلوا ، ويأمرؤا فيمثلوا وباحبذا الاول على  
 مرارته فان الثاني متوقف على وجود رجالٍ اشرب في قلوبهم حب  
 الانسانية ، فكل الناس عندهم سواسية لا يفرق بين شرقي وغربي ، ولا  
 يوثرون قريبا على غريب ، بل اذا ولوا امر قوم من ابي جنس ومشرب  
 كان ، حسبوا انفسهم من ذلك الجنس ، ومشربهم ذلك المشرب ، وعملوا  
 بصدق نية ، وحسن طيبة ، على جلب المنافع ، اودرة المضار . ولكن اين  
 الرجال الذين اذا الجأت الضرورة اليهم فتولوا الامور راعوا الانسانية فيها وسلكوا  
 بالناس منهجاً قوياً ، وسراطاً سوياً ، واذا لا سبيل الى الامر الاول فان  
 الصبر على الضعف زمناً يتهيأ فيه من يرجي من الامة لمداواة دائها ربما قضى  
 عليها قبل ظهوره فيها فلا بد لها من الاخذ بالامر الثاني طوعاً او كرهاً  
 ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدواً له من صدائقه بد  
 ولكن بعض الشراةهون من بعض على انه لا شر لو شئنا وكان في اولئك  
 القوم غير انسانية ، وحمية وطنية ، ولهم قلوب تشعر بالام النقص ، وارواح تدرك  
 معنى الكمال ، ونفوس توشع النار على العار ، وترى المنية اهون من الدنيا . فان لهم

مندوحة عما اكرهوا عليه اذ لم يعدموا رجلاً وان كان قليلاً عديدهم كفوة  
للم شعثهم، وسد خللهم، واهلاً للقيام بمصالحهم لو اطلق لهم التصرف قولاً وفعلاً

وكتب رحمه الله في ساكن الجنة خديو مصر توفيق باشا وكان ولي عهد  
الخديوية اذ ذلك فقال بعنوان

✽ توفيق مصر ✽

لابناء الزمان فيه خلّة مألوفة، وخصاصة معروفة، يستخفهم الطرب  
للسنشنة يرونها، ويستفزهم العجب للطنطنة يسمعونها. يعظمون الشرّ ان فاز  
صاحبه، ويحقرّون الخير ان اخفق طالبة، ينعنون بالرجل العظيم، والشهم  
الكبير، من دمر البلاد، واهلك العباد، فيرتفع لديهم قدر الاسكندر، وقيصر،  
واتيلا، وجنكيز، وتيمور، وغيرهم من الصواعق التي تقمصت الابدان، وانقضت  
على هام بني الانسان. وما هم الا اعوان الشرّ، واعداء الخير، نزلوا بالانسانية  
فجعلوا ابناءها بين شريد بادي، وموجع ثكلان. وحاربوهم حتى ملؤا، ونازلوهم  
حتى ذلّوا، بل قاتلوهم حتى قتلوا، فاستبدوا بامورهم واستقلّوا. ونصبوا الحجاب  
على النعمة ورفعوا ستور الصيانة عن الحرمة. ولو فطن من يعرفهم هذا المجد  
الخلبي، والفخر السرابي، لما جنى عليهم اولئك المرّدة لنبتوا ذكرهم نبت  
النواة، وطرحوه طرح القذاة. وعظّموا من لا يخطرون ببالهم خطرة، ولا  
يمرون بفكرهم مرّة من الذين اطاعوا في الارض امر العفة والعدل، والاستقامة  
والفضل.

فمن لنا بذية همة عالية، ونفس ذكية ينصب قسطاس العدل في محكمة  
الانسانية، ليعلم الناس على اختلاف مراتبهم، وتنوع مشاربهم، ان من اصلت  
سيفه، واعان شره، وقاد الرجال، وسلك بهم مسالك الاهوال، لحطام

ينتهزه ، او ثأر يدر كهُ ، او مقت يقرده فجعل رؤوسهم صوامع تصلي عليها  
رهبان الغربان ، واجسامهم مطاعم للعقبان ، لا يقاس بمن اصلح من امر قومه  
مافسد ، وروج من احوالهم ما كسد ورضي من الاجر ، حصول الخير ، ومن  
المغرم ، اندفاع الشر ، وان الاسكندر بمجده اللامع ، وصيته الشائع ، لا يقاس  
بسنسناطوس الاكار الروماني الذي انتخب قنصلاً لجمهورية رومة عام ٤٦٠  
قبل الميلاد فنهض باعباء الخدمة ، وحى اطراف الدولة والامة ولما اتى من ذلك  
على ما في الرغبة والنية عاد الى مهنته يطلب منها رزقه . ثم المت بقومه الاخطار  
فانتخبوه لحكومتهم رئيساً وذلك عام ٤٥٨ قبل الميلاد فدفع الاذية عنهم ،  
ورد الراحة اليهم ، ورجع الى شأنه الاول لسته عشر يوماً من رئاسته . وفي عام  
٤٣٨ أنتخب مرة ثالثة لرئاسة الجمهورية وقد مر من عمره يومئذ ثمانون  
عاماً فنهض باعبائها ، واصلح خللها ، وجدد بها نظام الامن والراحة ثم استقال  
منها لواحد وعشرين يوماً من عهده بها . ومع ظهور فضله ومزيتته في ما جرى  
لم يقبل عنه مكافأة ولا اجرًا

فما اجدر مثل هذا الرجل باثناء والاكرام ، وما اولاه بالاطراء والاعظام .  
بل ما ظهر الشبه بينه وبين ولي العهد توفيق مصر اعزه الله ، في ظل الجناب  
الوالدي الخديوي حفظ الله وجوده وصاله . وذلك في ما حصل له من  
المزية والشان المنيف ، تغلبه عن التالد من المال والطريف ، اقتداء بحضرة ولي النعم ،  
وتمهيداً لاقتداء الانجال اهل الشمم ، والآل ذوي الهمم ، وتفرده بعدم قبول العوض ،  
واستبدال الجوهر بالعرض ، وهي مزية انبات بعلمهمته ، ودلت على طهارة فطرتة ،  
وتناهت فلا نرى لها جزاء غير الاخلاص في شكره ، والاغراق في حمده .

فليحي اهل مصر بما آتاهم الله من فضله العظيم ، وليسعدوا بما افاء عليهم من  
ظلال جوده العميم ، وليشكروه في العشي والابكار ، ويحمدوه اناه الليل واطراف

النهار . وكيف لا يحمده ونه وقد خصهم بمليك  
 ذكر الانام لنا فكان قصيدة وهو البديع الفرد من اياتها  
 وامير

رأيت جميع الناس دون محله فايقنت ان الدهر للناس ناقد  
 وقد علم قرأ، صحفنا ان ليس من شأننا الا طراء استجداء، ولا الوقعة افتراء،  
 وانا ننظر الى الفل لا الى فاعله . والى القول لا الى قائله . فانه ليس وراء الصدق  
 رفعة، وليس بعد الكذب ضعة، والحق ملك لا ينكسر لواؤه، وان قل اولياؤه .  
 فان لم يشرب هذا الماء على صفائه، ولم يلبس هذا الثوب على بهائه، فرب نفيس  
 رومي به من حلق، ورب حسناء طاق .

وهذه صفحة ثناء تنزهت عن الملق، يقال لمن تلاها اصاب وصدق . ذكرنا  
 بها محمدا امير ان ذكر الشرف كان بذروته، او الفضل تمسك بعروته . وما التقصد  
 الا خدمة الحقيقة ورفع منارها، وان تظهر للعيون محاسن آثارها، فتكون باعثة  
 على الثناء، داعية الى الدعاء، وقد جاء في الاثر الكريم من نشر معروفا فقد شكره،  
 ومن ستره فقد كفره .

اذا انا لم اشكر على الفضل اهل  
 ولم اذم الوعد اللئيم المذمما  
 فقيم عرفت الخير والشر باسمه  
 وشق لي الله المسامع والنما

### حالة الدول

وقال عام ٧٨ من كلام سياسي في احد فصوله الافتتاحية :  
 تحديق بالمرء النوائب . وتحف به المخاوف والمصائب . فينسدل على فكره  
 حجاب الوهم وتعرب عن سمائه شمس العزم . ويأفل نجم الفهم . ويلتمس سبيلا  
 الى النجاة مما هو فيه فلا يجد . فيسلك بنيات الطريق وذلك ما كان عليه اهل

السياسة قبل اتمارهم في برلين فانهم لما اشتدت عليهم الازمة، وخافوا تعاضم النعمة،  
 وتلاحم مادة الفتنة، وتضافر اسباب البلاء. رضوا بالمؤتمر منجاةً من تلك  
 المهالك مع العلم بما يكون فيه من تضارب الآراء. وتعاكس الأهواء.  
 وتألفوا على دخل ومداجاة. فطارت الخواطر اليهم على اجنحة الآمال راجيةً  
 ان يرسم في لوح خيالهم صورة المرهوب، ومثال المطلوب، فتحملهم القوة  
 الباعثة على دفع الاول وجلب الثاني باقامة الامور. وتنظيم الاحوال. فكانت  
 كالسائر غرة القمر. والرائد اعجبت خضرة الدمن. فان اعمال المؤتمرين ماثلت  
 ظلمات في بحر لحي، واجلت عن مصابٍ مشتد. وبلاء ممتد. في نتائج لم يرض  
 بها الغالب ولا المغلوب، ولا الطالب ولا المطلوب. ولا يفع ذلك ما يديه اندراسي  
 ويعيده بكون سلفد وغيرها من الخطب الضافية الذبول، المضروبة مثلاً في سلطة  
 الفكر على الفكر. فان الفعل يبطل ما يقولون، والامر الواقع يدفع ما يدعون  
 وهذه الروسية قد كشفت نقاب الكتم، وازالت حجاب الوهم، فظهر من  
 خلال اعمالها انها وافقت على قسم البلغار كرهة وان لها من وراء ذلك مقاصد  
 خفية اذ اعزت الى امورها في الروم ايلي ان يضع لها قانوناً مماثلاً لقانون امارة  
 البلغار لتحصل بينهما الوحدة الادارية الموجبة للانضمام، وبثت الدعوة في ارجائها  
 يذكرون لاهلها عناية الروسية بهم، ويجمعون قلوبهم على ولائها واقربت بينهم  
 عساكرها، وتقلبت في الاحتجاج لذلك بين دعوى الخوف عليهم، والرغبة في  
 صيانتهم، وبران عهدة الصلح النهائية او اثبات ما لم تنسخه عهدة برلين من  
 احكام عهدة سان ستيفانو وما القصد الا ان ترسخ قدمها، ويستفحل امرها في  
 تلك البلاد وان تفرس فيها من الثقة بها والاعتماد عليها ما تجني ثماره بعد حين  
 وهذه اوستريا تكلفت الحلول بيوسنه وهرسك فاهلكت في ذلك مالا  
 كثيرآ، واهرقت دماغزيراً، فضاقت ذات يديها، وفدت عايبها قلوب رعيته

وانكر النواب سياستها فصارت بين خلافٍ داخليّ تخاف سوء مغبته، وفتح خارجي لا تقوى على القيام بنفقتة، وسيبدو لنا ما نجهل من احوال سياستها، بعد ان تعرض على دار ندوتها.

وهذه انكثرة يوم وزيرها انها بلغت الامنية وصارت في مأمن لا تخاف به دركاً ولا تخشى اذ حلت بقبرص، ونشرت لواء سطوتها على الخليجين، وآسيا الصغرى، ومصر، فامنت سبل الهند، وحفظت مصالح امتها، ولكن الحوادث الاخيرة قد كشفت عن احوالها الغطاء، وازالت الحفاء، فابدى بها الصريح عن الرغوة، وظهر من قول نفس وزيرها انها لا تأمن على هندها الا بعد تسوية تخومها. وبديهي ان ذلك يفضي بها الى حرب تحتدم نارها، وترتج لها جبال حماليا، بل ربما ادت الى فتنة صماء تومض فيها بروق المرفقات، وتلعلع رعود المدافع، فتنهمر غيوث الكرات، وتكون بها اواسط آسيا معركة يعقد من عشيرها ملك الموت سرادقات. وقد انبأنا التلغراف وارداً من لندرة ان وزراءها قد اتفقوا على اصدار الاوامر الى عساكرهم بالحملة على افغانستان لانقضاء مهلة الانذار، قبل ورود جواب الامير بالاعتذار.

وهذه الدولة العثمانية قد اكرهت على ما تكره، وتطأمنت لحكم الزمان فتأص ظل مجدها، وأفل نجم سعادها، واصبحت بين الروسية وانكثرة كاسفينة بين عاصفتين، فلجأت الى الانية رجاء ان تشد ازرها، وتؤيد امرها، فكانت كالمستجير من الرمضاء بالنار اذ استوات انكثرة على احسن جزائها، وقبضت على زمام الادارة في بلادها الاسيوية، والقت الوحشة بينها وبين دولة اسلامية مهمة، وجعلتها بين داخلية ممزقة بالفتن، وخارجية مشوّهة بالعداوات والاحن، حتى اذا اضعفت عزمها، ونزفت مادة ثروتها، او عزت اليها ان احفظي الراحة في البلاد، وانفذي ما اروم من الاصلاح، واياك الامهال،

فهو مفسدة للاعمال ، فصحح فيها قول القائل

القاء في اليم مكتوفاً وقال له اياك اياك ان تبثل بالماء

واما اليونان ، والصرب ، والرومانيون ، والبلغار وغيرهم من الطوائف التي تعلق لهيب الفتنة باطرافهم ، فقد كان مثلهم في المؤتمر كمثل من كره ما لديه ، ورام عنه عوضاً فسمح به ، ثم لم يصب العوض ففاته الاول ولم يدرك الثاني فندم ولات حين ندامة . فاما اليونان فقد اطعمهم المؤتمر في امانهم ولم يهد لهم سبل نيلها ولم يجعلهم على بينة من الامر فهم كالمفاجأ بالشر يطلب الى النجاة منه الف سبيل ، ولا يسلك منها سبيلاً . فتارة يجندون العساكر ، ومرّة يثيرون الفتن ، وطوراً يعزلون الوزراء ، وآونة يستغيثون بالدول وقليلاً ما يهتدون . واما الصرب فقد غرهم الامل ، في حسن نيات الدول ، فتهوروا في الحرب رجاء اصابة المغنم . ورأوا وهم في مفازة الأوهام سراب الوعود فظنوه ماء ، حتى اذا اتوه وانقضت الحرب ، لم يجدوه شيئاً فعادوا راضين من الغنيمة بالاياب ، بل حصل لهم استقلالٌ نحسبه مدرجةً للاستعباد وما ذلك الا لانه سيكون وسيلة لتدخل الروسية في امورهم قصد ان يظلم جناحاً نسرهما رحمة بهم انهم من اهل جلدتها ولا ينقم الناس على من يصل الرحم ويقدم العشيبة . واما الرومانيون فقد عدوا نفوساً ، وفقدوا نفوساً ، ولقوا في امرهم نسياساً ، فهوها هذه النوائب بالاستقلال ، وصبروا عليها صبر العاجز على المكروه . وظهروا الرضا بالموجود ، الا انهم لم يستطيعوا اخفاء الاسف على المفقود . واما البلغار فقد ساء لهم انفصال جانب منهم عن امارتهم الجديدة فاطالوا النجوى ، وصرحوا بالشكوى ، وجملة الامران المؤتمر قد ذر على الجرح ملخاً ، ثم لم يحكم الضماد فتواترت من بعده النوازل ، وتوالت المشاكل ، وزادت المخاوف ، وصار السلم على شفا خطر مبين . وهي ظنون قصارى ما نتمنى فسادها فقد كفى

ما أهرىق من الدم هدرآ، وما بذل من المال عبثآ، ولا ريب ان الصلح اصلم  
والسلم اسلم .

والله ما كتب عام ٢٨ في شأن الافرنج بمصر اذ قال .

اماني

من رانا نذكر الافرنج تارة باللوم، وطورا بالنظم، ونطلق اللسان في بيان  
سوء معاملتهم لنا وانهم في بلادهم خراف ترعى الرفق، وتألف العدل، وتنفياً  
ظلال الحرية والمساواة، وفي بلادنا اسودت تقضم لحم الحيوان، وتأوي الى غاب  
القسوة، والجفاء، والزهو، والامتياز، يحسب اننا ممن ينكرون فضلهم، ويبخسونهم  
اشياءهم . ولا والله لسنا من ذلك في شيء، فاننا نعتزف لهم بالمزية والفضل . ولا  
نجد سبقهم في مجال العلوم والفنون، واجتهادهم الجدير بان يقتدى به، وان  
قدومهم بلادنا عاد علينا بالفائدة المعنوية عارضة في خلال اعمالهم المبنية على  
آمالهم . وذلك يقضي بالشكر لهم وان كنا على يقين من انهم لم يجابوا لنا  
الفائدة التماساً لمصلحتنا، بل توسلوا بها الى ادراك الغايات الدينية، والمقاصد  
السياسية . وكيف لا نشكر لهم وقد كنا منغمسين في الضلالة، تائهين في  
مفاوز الجهالة، حتى صارت مدارسنا دارسة، لا دارس بها ولا دارسة، وارض  
افكارنا بالحاء لا تثبت شيئاً . فلما ان وردوا علينا، واقاموا بيننا، صار فينا  
جماعة كثيرة يحسنون ما لم يحسنه نزر من السالف، ونفر سبقوا الى الغايات  
وبلغوا من المعرفة مبلغاً لم تحم عليه افكار آباءهم وأنشئت عندنا صحف  
الاخبار، فاستنارت بها الافكار . واقامت الملاعب التياترية الموجبة لانتظام  
الاحوال الاجتماعية . وتليت في مدارسنا الدروس، بعد العفاء والدروس .  
غير ان ذلك لا يمنعنا من امتياز الافرنج عنا في الحقوق المدنية والسياسية ولا

يردعنا عن التماس المساواة التي يسكنون اليها ، ويحرصون عليها . فان قيل  
 انهم حقيقون بالامتياز لتفضاهم علينا بما علمونا وفي الكلام المأثور من علمني  
 حرفاً كنت له عبداً ، قلنا انهم لم يبادئونا بالاحسان ، ولكن ادوا الامانة ، ووفوا  
 الدين وهم به معترفون . ثم طلبوا مكافأة على ذلك امتيازاً في الحقوق ، وعفوا  
 عن الواجبات ، فاذعن لهم اولياء امرنا رهبة من مقاواتهم ، ورغبة في موالاتهم ،  
 فلما استنارت بصائرنا ، وانفض الختم عن قلوبنا ، رأينا ان لا تكافؤ بين الحالين ،  
 ولا تعادل بين الجارين ، فرفعنا اصواتنا المنخفضة الى مقامات الرؤساء نطلب  
 مالنا المنهوب ، وحقنا المسلوب .

وقد آن والله للامة ان تطلب ، وللدولة ان تجيب . بل آن للاوربويين  
 ان ينكفئوا عن الطمع في الاثرة ، ويعدلوا عن الحرص على الامتياز . فقد ابطلت  
 الحجة التي اثبتوا بها لانفسهم ذلك الحق . وما كانت حجتهم الا الاحكام مسلمة  
 الى من يخافون منه الخيانة ، ولا يعتقدون فيه الامانة . والادارة منوطة بمن  
 لا يرونه اهلاً لا ينزل الامور منازلها ، وترتيبها في مراتبها . وقد ابطل الوجه  
 الاول بما كان من تأليف المجالس الحقانية من اعضاء لا ينكر الافرنج استقامتهم ،  
 ولا يجردون اهليتهم ، فان منهم الاوربوي البحت ، والوطني الذي ارسل  
 الى بلادهم فثبت في مدارسها وربي على عاداتهم ، ثم عاد الينا وهو افرنجي  
 المعرفة ، شرقي الاخلاق ، فلم يبق لهم الا الاحتجاج على الادارة وقولهم ان نسبة  
 القضاء للحكم الاجرائي كنسبة القوة للفعل فان لم يكن بينهم تقارب وتناسب  
 بقي الامر في عالم القوة زماناً يحور وقتها ، ويذهب بفائدته . فصبرنا على ذلك  
 مكرهين ، غير مشكورين ولا مأجورين ، وظلت اعناقنا خاضعة لهم ولو الى حين  
 ثم حصل ما كانوا يطلبون ، وتم التناسب بين القضاء والاجراء . اذ  
 تألفت النظارة او الوزارة من اجانب ووطنيين يتقون بهم جميعاً ، ويعتقدون

هذا الكلام  
 من كلام  
 الامام

صاحب  
 السلام

صاحب  
 السلام

صاحب  
 السلام

(١) اسلمة - استغناء - ز...

فيهم العدل والاستقامة وعلو الهمة والشهامة . فتوجه الحق على حجتهم فدمغها  
 فاذا هي زاهقة ولكنهم في ما نرى يستكبرون عن معادلة من كانوا يفضلون ،  
 ومساواة من كانوا يمتنون . ولا تريب عليهم في ذلك لِمَا فِيهِ مِنَ الْمصلحة لَهُمْ .  
 ولكن يؤخذ عليهم بكون استحصال النفع بمضرة الناس مكروهاً بالاجماع .

ولا ريب في ان امتياز بعض الناس عن بعض في وطن واحد يلحق  
 بذلك الوطن الضرر العظيم حساً ومعنى . ووجه الضرر الاول ان معاملة  
 سفلة الافرنج بما لا يعامل به وجوه الوطنيين من الاكرام لغير علة ، والعمو عن  
 الذنب الواضح ، قد بعثتهم على التمرد فاعتسفوا وافسدوا ما شاؤوا ، بحيث لم يمض  
 علينا يوم ولم نسمع فيه بان فلاناً الايطالي او الماطي ضرب وطنياً بختجر فحمل  
 الجريح الى المستشفى ، والجراح الى دار قنصله ، فأودع فيها غرفة رقيقة يأكل  
 بها عيشه رغداً هنئاً . ثم لم يلبث فيها ان أطلق فازداد بما اكل شرهاً ونهماً  
 وعاد الى مثل حاله السابقة فكانت الثانية شراً من الاولى ، فاذا تكرّر صدور  
 ذلك عنه قذف به الى اطراف بلاده فسار اليها ثم عاد مبدلاً اسمه مغيراً  
 شارته ورسمه ، كأن يكون بلجياً ثم يحفوها ، ويخار له شكلاً هندسياً لم يكن  
 لها وما يخفي ما ترتب وما يترتب على ذلك من الاضرار ، بهذه الاقطار .

واماً وجه الضرر المعنوي فهو ان انحطاط منزلة الوطنيين ، وانخفاض  
 جناح ذئهم بالنسبة الى الاجانب ، يولد فيهم الحسد والكسل ، ويشرب قلوبهم  
 التهميب والخوف ، فلا يحتلمون الرعائب ، في طلب الرغائب ، بل ربما كان  
 الرجل منهم ذا مروية تبعثه على التماس الرفعة والمجد ، ثم لا يجد من يشد ازره  
 فيبقى خافض الذكر ، خامل المنزلة . ولو رأى من الدهر انصافاً لركب العظيم ،  
 وطلب الجسيم ، ومات موت الكريم

ولقد حان لهذه البلاد ان تتعش من عثرتها ، وتغلت من ربقتها ، بعد

ان ضربت عليها الذلّة وتطأ من اهلها للرق صاغرين، مئات بل الوفان من السنين .  
 حتى ضربت الامثال بطاعتهم العمياء ، للامراء والروساء . وكيف لا وهم الذين  
 احتملوا ظلم الفراغنة ، وقسوة الرعاة ، وعسف اليونان ، وجور الحاكم بامرهم  
 الذي لعب بهم لعبة بالكرة والصولجان ، فكان ينهائم اليوم عما امرهم به امس ،  
 وتصرف بامورهم الروحية والبدنية فتارة يلبسهم الابيض ، ومرة يرسم بالاسود ،  
 وحيناً يحملهم على التشيع ، وآونة يأمرهم بالسنة ، وفي جميع ذلك لا يسأل عما  
 يفعل . ثم صبروا بعد ذلك على عتو المالك وجندهم وناهيك به صبراً لا  
 تحمله الجمال ، بل لا نقاه الجبال ، ولا نحمدهم على ذلك

فغاية المفرط في سلمه كغاية المفرط في حربيه

وانا لنجلهم عن ان يكونوا قد الفوا الذل فرضوا به ، او خافوا ان يكون الاكداء  
 مع الكد ، والخيبة مع التلب . فقالوا ان رزقنا سوف يأتينا ، نسعى له فيجهدنا  
 ثم نسكن فيأتي ولا يعيننا . مع انه لا يجوز في الوهم ، ولا يصح في القياس ، ان  
 تجني الثمرة بغير غرس ، ويشمر المال بغير طلب . وقد

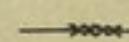
بصرت بالحالة العليا فلم ارها تمال الا على جسر من التعب

بل ليس في الامر عناء او تعب ، فانا لا نلتمس العزيز الذي لا يملك ، او الغاية  
 التي لا تدرك . ولكن قصارى مرامنا ان تحصل لنا المساواة فيكون علينا ما  
 على الاجانب ، وانا ما لهم سنة الانسانية في بنينا ، والحريّة في ذويها .

معلوم ان الوفا من السنين  
 من جهة العدة وهذا حال  
 من جهة التلاقي

من جهة التلاقي  
 من جهة العدة

من جهة المساواة  
 من جهة العدة



﴿ منتخبات جريدة مصر الفتاة المنشأة في الاسكندرية عام ١٨٧٩ ﴾

ليس لنقيدي رحمت الله عليه في هذه الجريدة اقوالٌ جديدة بالانثار فانه لم يكن محرراًها المطلق ، او صاحبها المسئول فافيهما من آثاره انما هو معرب الفصول التي كانت تنشر في القسم الفرنسي منها فلم تؤثر عنها لذلك الا المقالة التاريخية الالية معربة بقلمه عن الاصل الفرنسي وهي

الامة المصرية بازاء التاريخ

لا يستطيع الواقف على التاريخ الا ان يتعجب من سكوت الشعب المصري في خلال القرون والاجيال التي توالى فيها على الامم والممالك ادوار عماره شادت لها قصور المجد في رياض التمدن ، وادوار دثار ذهبت بتلك الآثار .

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر وما بينهما الانسان يسير الهوينا الى الغاية المفروضة له متقلبا بين البداوة والحضارة ، والشدة والرخاء ، فقد كانت هذه البلاد في خلال تلك التغيرات نظير صنم ممنون واقفة صامته ساكنة في وسط الامم السائرة الى النجاح في سبيل التقدم .

فما علة هذا السكوت ، وما سبب هذا السكون

﴿ | ﴾

فلنبحث فان البحث من حقوق كل انسان فإكر وهو شعار هذه الجريدة الجديدة فاذا اتضحت اسباب الداء ، سهل تحصيل الدواء انه بعد الاعصار التي يقصر التاريخ عن بيان احوالها ، والتي تحصر اخبارها في الروايات الخرافية ، والابحاث الاكتشافية . قد كان بزوغ انوار العلم في في بلاد مصر اولاً ، وكان الناس الى ذلك العهد في حالة الخشونة لا صناعة لهم

ولا علم، ولا ادب، فان الآثار القديمة الهائلة التي اكتشفها الباحثون في اواسط  
 بحر الروم لا تدل الا على ما كان للانسان وقتئذ من الغلظة والقسوة. واما  
 الصنائع والعلوم والآداب، فمفشأها في هذه البلاد تنطق به اخبارها، وثبتت  
 آثارها. واذا انتقلنا من الادلة المادية الحسية الى دائرة الافكار المجردة الفلسفية،  
 رأينا ان الطريق التي سلكتها الامة المصرية في ذلك العصر القديم، ليست  
 باقصر ولا اسهل من غيرها. فان الكهنة المصريين كانوا وقتئذ يعتقدون بوجود  
 الله، وخلود النفس، وان الههم الذي كانوا يسمونه بيرومي غير منظور، مستقل،  
 غير متجسد، غير متغير، غير منناه، ازلي، ابدى، وهو كالاله الحق اله  
 اليهود والنصارى والمسلمين، وكانوا يقولون بالنفس الخالدة بدليل ان افلاطون  
 اخذ عنهم حكمتها التي تناقلها الناس عنه، وصارت على نوع ما انجيل التمدن  
 الفلسفي في النصرانية. ويضيق بنا المقام عن جمع سائر الادلة الحسية والمعنوية  
 على قدم التمدن المصري وعن ذكر جميع الفوائد التي اخذها اليونان عنهم، والقوها  
 الى العرب فلقاها هولاء الى اوربا، على اننا في غنى عن جميع ذلك بما تقرّر  
 في التواريخ وثبت في التقاليد من ان منشأ التمدن انما هو مصر وانها مصدر  
 العمل بالصنائع والعلوم.

ولا يتيسر تحديد ذلك الزمن لان الآثار الخالدة المنتشرة في بلاد مصر  
 والتي علمنا بمبوايون ان نقرأ المكتوب عليها بسهولة وان كانت بالغة من  
 العمر ٦٠٠٠ سنة الا انها حديثة بالنظر الى الخمس والسبعين الف سنة التي  
 تكررت فيها الذلتا كما يستفاد من اخبارهم القديمة. على اننا نستغني عن ادلة  
 الاخبار الخرافية، ونكتفي بالنظر الى عظمة الاهرام، وجمال هيكل لقصر لتيقن  
 ان هذه الاعمال هي نتيجة تمدن عظيم، لا نتيجة طاعة ناقصة. ومما يدلنا على  
 تقدم مصر العجيب في العصر القديمة صناعة البناء، وتفنن المصريين في ذلك.

فأنه لما كان وقوع النور على السطوح الصقيلة المتساوية يجعل في منظرها  
تغيراً، جعل المهندسون المصريون سطوح المسلات محدبة، وجعلوا احديداها  
موازيًا لذلك التغير الذي تنوهمه العين بسبب النور وهذا دليل واضح على  
ان العلوم والصنائع كانت وقتئذ متقدمة جداً بين المصريين .

## ❖ ٢ ❖

فتبين من ذلك ان العقل لم ينم اولاً ، ولم يسع ليولد الافكار العظيمة  
ويجمع المعارف المكتسبة ويحفظها ، وينقله الى الخلف ، ويفهم معنى الجمال ،  
ويسير في طريق الكمال ، الا في هذه البلاد .  
ولكن في هذه البلاد ايضاً قد انطفأ فجأة نور ذلك العقل المولد الذي  
بلغ فيما سلف اعلى درجات الكمال . ثم تواردت عليها الامم المختلفة ، والشعوب  
المتنوعة ، فاتاها الرعاة ، ثم الحبشة ، ثم فارس ، ثم العرب ، ثم الاتراك  
فمنهم من اكتسب منها التمدن ، ومنهم من كان من المفسدين . اما المصريون  
الحقيقيون فلم ينهضوا بعد ذلك السقوط فان بلادهم لم تر في جميع تلك القرون  
التي تخللتها تلك الحوادث والحروب ، يوم مجدي ولا يوم سعادة . فما هي  
الاسباب المعنوية او الحسية التي وقفت حركة هذه البلاد تلك المدة المديدة  
الزائدة على الالف اعوامها ، هل جفت موارد ثروتها ، ام نضب ماء نيلها ،  
ام تغيرت عقول سكانها ؟ . . . وهي مسائل لا يفصح لنا التاريخ عنها بل  
غاية ما نعلمه الامر الواقع وهو وقوف حركة التقدم .

ولقد اخذ اليونان اصول التقدم المصري ، وادركوا في الصنائع غاية  
التقدم كما تدل على ذلك آثارهم الجميلة . وبلغوا في العلوم منتهى النجاح  
فنشأ فيهم ارسطو ، وابقراط ، وارخميدس ، وبتاغوروس ، ونالوا في الشعر  
والانشاء اعلى مقام . فنبغ فيهم هوميروس ، وافلاطون ، واصابوا من الحكمة

احسن نصيب ، فظهر فيهم سقراط وامثاله .

ثم قام الرومان من بعدهم فوضعوا القوانين ، ونشروا التمدن في اقصي الارض ، وما برحت الاجيال تتعاقب والايام تتوالى في اعصر الظلمات المسماة بالاعصر المتوسطة ، حتى استرشد الناس بالاطلاع على علوم اليونان والعرب ، واستيقظت الهمم فاكتشفت اميركا . ثم جاء عصر الانتعاش وبعد تفاعل المسائل الفلسفية بقرنين شبت الثورة الفرنسية التي دفعت التمدن الى الحالة الحاضرة .

وفي كل هذه الازمان لم تتغير حالة مصر ، بل تأخرت وتقهقرت متقلبة بين ايدي الفاتحين ، ومطامع الطامعين . وكيف لا نستغرب مع علمنا بان بلاد مصر هي مهد العلم ومصدر التمدن وانها فيما سبق نالت الحظ الاوفر من النجاح المادي والعقلي ، وان الباقي من آثارها لا يزال الى الان موضوع تعجب اهل هذا العصر مع ما هم عليه من سعة الافكار ، والتفنن في الاعمال العظيمة والمفيدة .

ولكن اذا علمنا ان الامة المصرية قد فقدت حرّيتها منذ اعوام واعصار ، وان حكامها كانوا سادتها وانها كانت عرضة لغاياتهم ، وغرضاً لاهوائهم ، مع فقد اسباب الادارة ، ووسائل العمارة ، سهل علينا ادراك سبب تأخرها وفقد قوتها الادبية وبقائها ساكنة كل هذا الزمان الطويل . فيا ايها الحرية يا مصدر كل امر جليل في الارض . لقد علمنا انه لانجاح بدونك ، ولا سعادة مع البعد عنك ، فان الامة الحرّة تكون كفرس غير مقيد يسير رافعاً رأسه ويتشقق ملء صدره الهواء النفسي ، ويسرح في المرعى النضير . واما الشعب المستعبد فهو كفرس يدور حول الرمح مغمض العينين ، يسير السنة بتمامها ولا ينتقل من مكانه .

ويايتها الامة المصرية انهضي من عثرة الغفلة ، وانظري الى الذين نالوا  
السعادة ، فانك اهل لاعظم المواهب ولاسيما بعد ان تولاك اميرك الجديد  
الذي اتخذ الحرية شعاراً ، ورفع للعدل مناراً ، فلا ريب انه يهد لك طرق  
الاصلاح ، ويسلك بك مسالك النجاح

### وكتب عند اعلان الحرب الروسية العثمانية

من لم يذذ عن حوضه يهضم

لقد علم الناس ظالمهم ، وعادلهم ، وعالمهم ، وجاهلهم ، اننا لم نتمد الحرب  
ابتداءً ، ولم نتقصدها ابتداءً ، وما اقبلنا عليها الا لندراً عنا من ناصبنا الشر ،  
وندفع من كان يعلن لنا غير ما اسر . ولقد كنا عن ذلك ، في شغل من اصلاح  
حالتنا ، استحصلاً لاصلاح مالنا ، على اننا لم نستطع الامتناع ، من الدفاع ، ونحن  
بضعة اولئك القوم الذين بلغوا من المعالي قاصيتها ، وملكوا من المفاخر  
ناصيتها ، فنفرنا الى لقاءه خفافاً وثقالاً ، وعرضنا للاخطار والفناء ارواحاً  
واموالاً ، وقابلنا سواد ذلك العدو الازرق ، بيض خضبناها بالدم الاحمر ،  
دفاعاً عن وطن عزيز علينا ان نراه يهان ويحقر ، فابلينا خير بلاء ، قضى  
لنا بالمدح والثناء ، وقاومنا العدو اشهرًا مع كثرة عدده ، وتواصل مددِهِ ،  
ومساعدة اوليائه ، ومعاونة ظهرائه ، حتى عجب العالم بأسره من مقاومة من  
زعموا انه مريض عي ، لعدو ذاع عنه انه عظيم قوي ، ذلك مع اهتمامنا  
باخماد فتن داخلية اضرم العدو نارها ، ومراقبة جماعات متدلسة خالف اعلانها  
اسرارها ، وانت تعلم ان المرض الباطني ، اشد من الظاهري ، وانه اذا وجب  
الحذر من العدو الخارجي مرة ، فيجب حذر الداخلي الف مرة لانه اعرف  
من ذلك بطرق النكاية ، واساليب المضرة .

ولقد ايقن الناس على اختلاف احوالهم بعد هذه الحرب ان عنصر الحياة منتشر في احيائنا ، وان المروءة لا تزال نزيلة ديارنا ، وانا وان كثرة عدونا ، وقل الصديق ، اعز من ان نرضى بالذلة والحرمة تموت ولا تأكل بثديها ، وانا كما جاء في جرائدهم قد علمنا العالم كيف يكون الدفاع عن الوطن .

على اننا لم ننته حين انتصاراتنا خيلاء ، ولم نفخر كبرياء ، وانما قابلنا النصر بمقاولة محب الحبيب تعود زيارته ، ولم يخالف عادته ، فاذا خالفها حيناً لا يزيل الهمة ، ولا يذهب بثبات هذه الامة . وانا لقوم لا يشكون المضرة ، ولا يتيهون في المسرة ، وبمثل ذلك قد ذكرنا المؤرخون ، وفي مثله فليتنافس المتنافسون

ولا ننكر ان عدونا كثير وانا كالكرام قليل وان هذه الحرب قد شهرت علينا سيوفها على حين مقاومتنا بغاة من قومنا جهلاء استجاشهم علينا العدو الالد لتكون فتنتهم توطئة لحرية اورجاء ان تكفيه مؤنة القتال ، وان ابناء الدهر اعداء كرامه من ظرائفه ، وان الحق قد مات معظم اوليائه ، وان الحق تابع القوة ولا يعكس وان الدنيا مع القوي ويعكس ولا نجعل ميل بعض الدول الى عدونا ومواطناتها على الاجحاف بنا على انا لا نجعل ايضاً ان في قلب اظلم الظالمين نصيراً للحق ولذلك لا ريب ان في الدول المصادقات لعدونا الممالت له على عداوتنا بعضاً منهم سينقلبن صفيات لنا بعد اذ ابصرنا ونحن قبضة رجال تقاوم منهم الوفاً وها انت تراهن كبرن فعلنا ويعظم قدرنا ويرددن علينا في افكارهن ماضي مقامنا وزادهن ميلاً اليانا انا اصبنا النصر فلم تنته ثم تأخرنا فلم نجبن .

ولا ينقص عندهن من قدرنا كوننا قد تأخرنا في اسياً تأخرآ لا ننكره ،

ولم نصب في اوروبا من النجاح ما كنا نتظره ، لما ان عدونا مع تأهبه لهذه الحرب منذ اعوام ، قد استفز كثيراً من قومنا علينا واستنصر حكومة الصرب اولاً ثم حكومة رومانيا فحكومة الصرب ثانياً فحكومة اليونان والتجأ الى دولة المانيا فايطاليا فاوستريا دون المجر فان قيل ان الصرب واليونان لم تجاربا وان المانيا وايطاليا لم تنظاهرا بالعدوان قلنا ان تأهب تينك الحكومتين للحرب وتعبثهما الجيوش قد اوجبا علينا اقامة جانب من عساكرنا على تخومهما مع حاجتنا اليه في مدافعة عدونا اما دولتا المانيا وايطاليا فانهما وان لم تجاربا بعداوتنا فقد اظهرتا مظاهرتهم المعنوية للروسية وان سفير احدهما في الاستانة يغتم كل فرصة لازعاج الباب العالي باقتراحاته ذلك ما خلا اصطناع قائدها المشهور دي مولتك رسم حرب للروس يحاصرون بموجبه بلقنا ووجود كثير من رجالهم في معسكرات الروسية قواداً وروساء ، افليس ذلك من ظاهر المظاهرة وجلي المساعدة ، وهل علينا بعد ذلك في التأخر من عار وهب ان جميع ما ذكر من صنوف المساعدة موهوم مع كونه عين اليقين ، فهل تعيرامة لا يجارب منها سوى خمسة عشر مليوناً اذا تأخرت في حرب امه يربو عددها على ثمانين مليوناً وهب ان في العدد تكافؤا ، فان لنا اسوة بفرنسا فكيف وكثرة عدد العدو ظاهرة ، ومساعدة ظهرائه واضحة .

اما والعدل حافلة حريص عليه ان شائنا هو الابر ، وان الواقع فينا في ضلال مبين ، ولا قسم بالانسانية انها غريبة في اعدائنا ، وانهم لم يتعودوا اكرام الغريب ، على اننا وساعد الثبات مساعدنا ، لانعدم في الدهر خليلاً او مصافياً ، وان كانت مصافاته لعله ، وسترى الدول المتهورة في موادة الروسية انها كباحث على حتفه بظلفه ، وجادع بكفه مارن انفه ، وستعلم كيف تكون عاقبة مساعدتها لدولة الشمال اذا تم لها — لا بلقته — انضمام الصقالبة والمتصقلين اليها وبات سوادهم

عقد من العال  
الذي استلزام  
في الايام  
في الظلم  
في الحق  
المعاني  
الاستعداد على  
التركيب

في سنة  
في سنة  
في سنة  
في سنة

الاعظم مع ما عرف من خشونته يتهدد العالم بغارة ويز يفوتية جديدة  
فما للدول المتمدنة لا تنشط لدفع هذا الخطر الملم بها، فهل هي غافلة عنه أم  
تراه ولا تذكر (تجنبك الخطر قبل وقوعه إهون من دفعه بعد الوقوع) أم تترقب  
لذلك فرصة لم تسنح لها بعد

أما الفرصة فسانحة، والزمان مساعد، فتلك الدولة العلية تخدم التمدن بمقاتلة  
عدوه، وجماعة النهي ليست اعداء الدولة في الروسية بنعمون عليها ظلمها استبدادها،  
والحجر يتشوقون الى الايقاع بمن اذلم اذلالاً، وأهل اواسط اسياً يترقبون من الزمان  
فرصة للتخلص من ربة العاتي عليهم بغياً وجوراً، والانكليز يهدون سبيلاً الى  
اقتاذ بلادهم في اسيا ممن يتهددهم بابتلاعها وفي مقدمة هؤلاء المتفقين في  
القصد، المختلفين في الوسائط، ملك التمدن بلباس النور، تحت اعلام الانسانية  
طالباً صد ملك الخشونة عن ارض يرى من حسن طبيعتها، ما يوهلها لان  
تكون له مقاماً

ولا نقول ان ملك التمدن مستقر في ارضنا، وانما نقول انها صالحة لان  
تكون له مستقراً، وكيف ندعي بمثل ذلك والتعصب وهو ابن الخشونة  
متسلط على كثير منّا، وحب الوطن وهو ابن الانسانية ام التمدن بعيد عن  
الكثير، وابن حب الوطن ممن لا يزار عليه غيره المحب على حبيبه، وابن الانسانية  
ممن لا يحزنه شقاء الانسان، اليس منّا من يسر بما يسوء الوطن من انتصار  
عدوه، حتى يسكر بنجر اخباره، فتباع الخمر، موضع السر منه فيسطو عليه  
شعاعها، فيظهر ندمانه على سره الخفي ثم يفخر بسكره افتخاراً، بل يتجاوز فيه  
الحد، غير مبال بما يترتب عليه من الحد، وان منّا من ابتلى بعداوة قومه وهي  
معصية فلم يكتبها وليته يذكر (واذا ابتليتم بالمعصية فاستتروا) ومن انتبهك  
حرمتهم باقوال لم يكن لها من الحسن نصيب، ونشرها مع كونها مما لا يطيب

له نشر، ومنا من از عجب الخواطر باقواله وكدر معين الالفة وهو ممن يجب عليهم  
الدعوة اليها، والحلف لها وان مناً من يلوم على امثالنا من القائمين بخدمة الامة  
والوطن دفاعنا عنهما والقيام بامرهما، على ان هذا الملام لا يسوءنا بل نراه  
طيباً فنترنم بقول سلطان المهيين

أعد ذكر من اهوى ولو بلام فان احاديث الحبيب مداي  
على اننا لم نعدم من قومنا جماعة غير قليلة طبعوا على حب الوطن، ولم  
تأخذهم فيه لومة لائم، ولم يفتنا التفات اولي الامر والنهبا، من وجوهنا الى اقبالنا  
على خدمة الوطن نابذين ملام اعدائه الاغبياء ظهرياً وانا على حكم من قال  
اذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضباناً علي لئامها

### الاستبداد في الحرية

اقل ما في عصرنا من الغرائب الخارقة للعادات، والعجائب البعيدة من  
المعهودات، اجتماع النقيضين، والنقاء المتعاكسين، فانا نرى فيه الرياء في الاخلاص،  
والعسف في الاستقامة، والجور في العدل، واشد من جميع هذا عاينا انا نرى  
الاستبداد في الشورى، والرق في الحرية ومن انكر ذلك وزعم انا نفتري على  
عصر النور واهله بما ندعي فلينظر الى عالم السياسة نظرة محقق مستكته  
ليعلم ان استبداد الملوك من السلف في ازمنا الجهل والخشونة، ليس باعظم من  
استبداد غرثا كوف، ودرني، وبسارك، واندراسي، في بلاد المعرفة تحت سماء  
التمدن في القرن التاسع عشر، ولا فرق بين الفئتين في ذلك الا ان السلف قد  
استبدوا بالبطش والصولة وهو لاه بالداه والخلافة، وكلتا الطرفين يقين توذيان  
الى غاية واحدة وهي الاستبداد اي تصرف واحد من الجماعة بدمائهم، واموالهم،  
ومذاهبهم، بما يوجبه هواه، وما يقضي به رأيه، سواء كان ما يجريه مخالفاً لمصلحتهم

او موافقاً لها

ولقد سوءاً المؤرخون السلف من الملك المسبدين، واسرفوا في نومهم،  
 وافاضوا في مواخذتهم، حتى ان بعضاً منهم فضل زعيم لصوصٍ يقال له (كرتوش)  
 على الاسكندر وقال انه افضأ منه قلباً، واعظم جوراً وعسفاً، فانه قد سار بمائة  
 الف وعشرين الفا من قومه واهلك منهم عدداً كثيراً بعد ان خرب الديار،  
 وقلب الامصار، وافسد في الارض طولاً وعرضاً، فما بالهم لايسوتون الان  
 المسبدين الذين يتصرفون في دماء مئين من الملايين لا الالف، ويحكمون فيهم  
 حكم المسبدين المطلق، يمنعونهم مما يشتهون، ويحملونهم على ما يكرهون، فان  
 قيل ان اولي الامر، في هذا العصر، لايرمون امراً الا بموافقة اهل الندوة  
 والشورى بخلاف السلف فانهم كانوا يقضون بما يظهر لهم اول العين ولم يكن  
 لوزرائهم الا حق المشورة والنصيحة، قلنا انه قد ظهر لنا بدلائل التجارب،  
 وشواهد الحوادث، ان رئيس الحكومة اذا اراد امراً حمل اهل الندوة على  
 الموافقة عليه ولا سيما اذا كان ضلع العامة معه وانت تعلم ان العامة تنظر  
 الى ظاهر السياسة لا الى باطنها، وانه لا يصعب على رئيس حكومتها ان يجمع  
 قلوبها على ولائه، وفي تاريخ نابوليون الثالث، وقيام العامة بامر ما يؤيد  
 ذلك وناهيك ان نابوليون الاول كان يتصرف في دم الفرنسيين واموالهم،  
 ويبدل منها ماشاء بغير حساب، ولم يكن منهم من يسخط لعمله او يرد له امراً،  
 ولا حاجة الى الاستدلال بالتواريخ والاخبار، فان في الاعمال الجارية ما ثبت  
 قولنا وحسبنا ان جرائم اوروبالاتنجل وهي في بلاد الحرية، ان تقول ان الحرب  
 او السلم بيد السياسيين المتقدم ذكرهم وان احدهم يغير هيئة الارض بكلمة  
 واحدة فاذا تدبرت ذلك علمت ان الحرية اسم بلا مسمى عند القوم، وان تكرار  
 ذكرها في محافلهم، ورسمها في مجامعهم، هو من قبيل اللغو الساقط، والتمويه والتطرفة،

المراد بالامر  
 كما في الحديث  
 بالعلم - كسند  
 النوازل

الاول

١٣٣

وايقنت ان في حريتهم استبداداً واستعباداً، وحيث قد تبين لنا ان امر بني الانسان في يد من ذكرنا منهم، فلا مندوحة لنا عن النظر في اعمالهم، رجاء معرفة مقاصدهم، وعسى ان لا يكون في ذلك ما يسوءهم ويخرج عن احكام استبدادهم، وأنا لنبرأ اليهم كما شاءت العبودية من ان يكون في كلامنا رد لامرهم، او مخالفة لحكمهم، او خروج عن حسن الرجا فيهم، والظن بهم

ان محامد هؤلاء السياسيين حمأة الانسانية، واولياء الحرية . وانصار التمدين، اكثر من ان تحصر . ولا نذكر الا واحدة منها وهي انهم لما رأوا تكاثر بني الانسان خافوا ان تضيق بهم الارض، او ان لا يصيبوا منها رزقهم، فجعلوا الحروب متعاقبة متواصلة واهلكوا منهم (حياً بالانسانية) في اقل من ثلاثين عاماً، اكثر من مليونين، وفرقوا اشلاءهم في جهات الارض، فجعلوا جانباً منها في خنادق مليكوف، وقسماً في سادوا، وجانباً في سيدان وباريس، ومقداراً في الاناطول والروملي، ولا نذكر ما اودعوا من ذلك بطون ارض الحبشة، وخبوى، وحقوند، وبخارى، وداغستان، واتشين، ولا نراهم قانعين بجميع ذلك فانهم لا يزالون يجمعون الزخائر، ويجهزون العساكر، ويتجاولون في ميادين السياسة، فمنهم من يجي ثانياً عنانه، ومنهم من يعود ضارباً اصدرية . وقد ظهر لنا اخيراً ان اصوات هذه الخلائق الصغيرة، والموجودات الحقيرة، ارتفعت الى مقاماتهم العالية، وبلغت مسامعهم، فتنفصلوا علينا بوعدي نسأل الله ان يوفقهم الى انجازهم، وهو ان يأتمروا للنظر في امورنا ليمنعونا من تخديش مسامعهم الشريفة بالشكوى . وعسى ان يروا ان الدنيا لم تضق بنا، فيعدلوا عن تعريضنا للمخاطر والمهلك . وان يعلموا ان الجندي القادر على خدمة الطبيعة مستحق لخيراتها، جدير باصابة الرزق منها، لا المتمول، الكسل، الجبان، المنغمس بالترف والنعيم، وان عليهم تبعة ما

يفعلون ، وانهم يجزون بمثل ما يجرون فان اساءوا وظلموا فلهم جزاء الظالمين ،  
 وان احسنوا فلهم عاقبة المحسنين .  
 عاقبة

غرائب وعجائب  
 في الحرب

ان الزمان وهو ابو العجب ، قد ارانا في حوادث هذه الحرب غرائب ،  
 نلوها ، عجائب ، فمن انتصار اثرياس ، وانكسار بعد امل ، ومعاداة من لم  
 تكن معاداته في حساب ، ومداجاة من اعتقد فيه الاخلاص ، ومحض الوداد ،  
 فقد كان في اولها من سوء ادارة قوادتنا وفساد تدييرهم ان عبر الروس الطونة  
 وتغلغلوا ودخلوا مضائق البلقان في البلغار ، فقلنا حلت صرام وبلغ الشر اخره ،  
 ثم ما لبثنا ان رأينا تغير الحال ، وانتصار عساكرنا على العدو في جهتي القتال  
 فاستبدلنا اليأس بالامل ، ورجونا ان تكون ادارتنا متيقظة ساهرة بخافة ان  
 يغتالها العدو الساهر . وقلنا الخيل تجري على مساويها فكان من سوء التصرف  
 ان تولي بعض القيادة رؤساء اختلفت اهواؤهم ، فوهن عزمهم ، وضعف  
 رأيهم ، وكان من عاقبة ذلك ما نعى به التلغراف الينا في هذه المرة من اخذ  
 قرص والله اعلم باية طريقة ، واخذ بليفنا مسبباً عن الاهمال ونقدم العدو  
 منتصراً ثم استيلائه على شبكا ، وعلى نيش ، الى غير ذلك من الاخبار التي  
 نفت السرور ، وضيقت الصدور ، فلا بدع ان بسطنا من بعدها الملام ، وحرصنا  
 بالشكوى فان من ضاق صدره ، اتسع لسانه .

وقد رأى المطالعون في صحيفتنا من اخلاصنا في حب الامة والوطن على  
 رغم من عقه من ابنايه ، ما يخلص هذه الشكوى من شوائب الشبه فما هي  
 والله الا نفثة مصدر .

وليست على منقضى ماضٍ ليقال ندم على الفائت عبثاً ، فان النازلة لا تزال عند شدتها ، وما هو آتٍ ، اعظم مما فات فهي المفاوضات السياسية بل المواضع الخداعية التي ستجري في خلال الهدنة المطلوب عقدها لتعيين شروط الصلح وهي التي ستخرج السياسة من عالم الظلمة الى النور فتنجلي لنا ويحصص الحق و يبين فترى الصديق والعدو و يميز بين المودة والمداجاة ، ولقائل ان المفاوضات ستكون بيننا وبين الروسية فاي مدخل للصديق او للمداجي فيها وجوابه انه من المتفق عليه ان هذه المفاوضات لا تنتهي برضى الفريقين فلزم ان نفضي الى احد امرين وهما العود الى القتال ، او توسط الدول فاما كونها لا تشهي بالرضى فلان الروسية لا يرضيها الا تجزئة دولتنا ، وهضم حقوقها ، واستقلال وجودها لا قدر الله وهو ما لا يمكن لها الرضى به فبقي ان نعم اذا كان يطيب للدول ان تصيب منا الروسية ما تشاء ، وتبلغ ما تريد فتحملنا لنعود الى القتال فنزود عن حوضنا بما بقي لنا من القوة ، واذا كانت انكاثرة تكتفي بالانذار والتحذير فتكون كما قيل

القاء في اليم مكتوفا وقال له اياك اياك ان تبتل بالماء

واذا كانت لا تستطيع قبول هذا او لا يلائم مصالحها بلوغ الروسية جميع مطالبها فتتوسط بيننا بعزم اكيد ، لترجعها عن بعضها ، وتخفف البعض الاخر ، حفظاً لموازنة اوروبا وصيانة لمصالحها من ان ينشب فيها نسر الشمال مخالفة . ولا ريب ان الروسية اضعف من ان تقاوي اوروبا ، واحزم من ان تزعم ذلك فبناء على ما تقدم نرى قرب الصلح وهو اصلح وذنو السلم وهو اسلم عسى اننا اذا اندفعت عنا هذه النوازل والغوائل ، نتكمن من اصلاح حالتنا ولم شعشنا ، وجمع كلمتنا ، لنسد كل ثغرة في بلادنا يمكن للعدو الدخول منها ، وننزله مناصبنا عن كل ذي منظر يسوء مخبره نراه قوآلاً مكثراً وما يدريك

مكتوب  
على اليمين  
بمجلس الدول  
في ١٤٠٤

ما الرجل فانه لا يجنى من الشوك العنب لنستعيد ما فقدناه من قوتنا  
ومعلوم انه لا قوة، الا بالرجال، ولا رجال الا بالمال، ولا مال الا بالعمران  
ولا عمران الا بالعدل

### الحرب والدول

الحرب جارية في ساحة صارت بجرأ من الدم لتلاطم فيه امواج العساكر  
واشلاوهم متبددة فيه كبقايا سفينة عصفت بها الانواء، وعلى قنة جبل  
مشرف على تلك الساحة ثلاثة رجال احدهم مغلول اليدين مطلق النظر،  
والثاني مغمض العينين، مطلق اليدين، والثالث معقول الرجلين، فذاك يرى  
ويتمثل بقولهم العين بصيرة واليد قصيرة، والثاني لا يرى او يتعاضد وقد  
حير العقول سر تعاميه، والثالث يرى ولا يستطيع السعي، فمن لنا بذي  
مروءة يحل رباط الاول وعقال الثالث خدمة للانسانية وضناً بدم ابنائها  
المهراق هدرأ .

ان اوستريا ترى من خلال الحوادث سوء العاقبة ولكنها مغلولة الايدي  
باختلاف قومها رأياً وميلاً، فهي بين مجري، يرون في مظاهرة العثمانيين مصلحة  
او يرغبون فيها تشفياً من الروس فان في قلوبهم منهم حزازات . وصقالية، يجذبهم  
مغناطيس الجنسية الى الروس فيوثرون التشيع لهم على التشيع للعثمانيين وان  
كان ثمة مفسدة لامرهم، ومضرة لبلادهم، والمانيين، ينظرون نظر المستخير  
الى ابناء جنسه ليتبعوهم في اختيارهم

وان المانيا تفضي عما تراه وان كان مما يفضي منه مع المقدرة على اصلاح  
الحال . لا جرأ ان لاغضائها سرأ حير الاباب فهل تروم بذلك اتخاذ  
الروسية حليفة لتأمن شر فرنسا ولكن هذه الحليفة اولى بالخذر من ذلك

العدو وبسارك ارشد من ان يفوته هذا الامر ولذا نرى ان لتغاضبها بل لتظاهرها بالميل الى سلطنة الشمال سرّاً ذهلنا عنه ، وستتم به على رغم كاتميه حوادث الغد ، وان غداً لناظره قريب

وان انكثرة ترى الاخطار محدقة بمصالحها ، ولا تستطيع السعي لدفعها ، فمثلها كمثل مقعد يري النار حول داره ، ولا يستطيع النهوض لاختادها ، او مثل من دخل اللص داره فربط يديه ، وعقل رجله ، ثم طلب متاعه فتأبط هذا ، واحتمل ذلك ، وبعثر غيره ، وهو يرى ولا يستطيع النهوض لمنع السارق او للقبض عليه . ولطالما سمعنا وزرائها يتحاورون ، ويتجاءرون ، رجاء ان يخيفوا بضوضائهم من يرومهم بشرّ واين اصواتهم من لعلعة الكروب فمنهم من يقول ان الحرب آفة وان مصالحنا في أمن فالسلم اسلم ، ومنهم من لا يستطيع ان يعلن غير ما يسر ، فيقول ان الحديد بالحديد يفلح ، فلا صلاح لنا بالسلم وانما الحرب اصلح ، وقصارى الامر ان هذه الدولة تروم التدخل لانتقاذ مصالحها ، وتخاف ان يفضي بها ذلك الى القتال ، ولا قبل لها به منفردة فهي تلتمس حليفاً تشدّ به ازرها ، وظهيراً يضمن لها نصرها ، فان لم تجد رجعت بافوق ناصل ، وربما اقدمت على ضعف بها كما ضنّ الحريص بماله وهو على النار فرمى فيه باوراقه وذلك ماجرى لها اخيراً اذ عرضت على الروسية الوساطة فلم ترض بها . ولقد كان في ذلك ما يكفي لاضرار الفتنة لولا ان الوقت شتاء وبلاد سلطنة البحار في جوار القطب . ولقد اختلفت ظنون الناس في عاقبة هذه الحال ، فزعم بعضهم ان امبراطوريات الشمال الثلاث متفقة على ابرام صلح موقت ارادة حجب الدماء وان هذا الصلح لا يكون بالنظر الى السياسة مقررًا ، وقال اخرون ان هذه الحرب انما هي مقدمة حرب عمومية لتغييرها جغرافية اوروبا . وكيف كانت الحال فلا ينكر ان الامر

عظيم وأن الخطب جليل، فإن انكثرة لا تستطيع البقاء على حالها من الاضطراب والتردد، ولا بد لها من اظهار دليل القوة مخافة ان تحسب عاجزة فتطرح في زوايا الاهمال .

—••••—

وكتب عند انتقاله من مصر الى الاسكندرية بجزيدته واشترائه مع  
المرحوم سليم النقاش في ادارتها . قال :

### بيان

لا تقع في العالم حركة الا بمحرك ومتحرك ولا يكون تقارب ولا تباعد الا بجاذب ودافع ، ولا يحصل شيء الا بفاعل وقابل ، ولما كان الانسان جزءاً من هذا العالم الكبير ، كان بالطبع ما ينشأ في عالمه اي في سيره وحركته تابعاً لتلك الاصول الثابتة في عالم الكل وبناء على ذلك اقول :

قد كثر تحدث قومي بما اصابته مصر من رفعة الشأن ، وما بلغت من التقدم في التمدن والعمران ، فطمعت النفس الى قصد جانبها على رغم كل مانع ، حتى اذا ساعد الزمان على ذلك وجئتها نزيباً ، انست بها من جانب الطور انوار فلاح ونجاح ، فاحمدت سراي ورأيت فيها من ما اثر خديويها ما عاد به عهد عمرائها جيداً ، ورد عنها طرف الحسود كليلاً ، وقد كان حديداً من محاسن آثار اعادت اليها الشباب بعد المشيب ، وكستها رداء الحسن وهو قشيب . واثار محاسن يعيا بوصفها الواصفون كأنها نموذجات من الجنة التي وعد بها المتقون . فنشأ في انفعال وتأثر ترتب عليهما عزم جديد ، وهمة طامحة ، مع انحطاط القوة ، وقصر الباع ، ونزارة المادة ، وقرب العهد من الرجولية ، وحدثني النفس بالاقدام على امرٍ خطير ذي بال لا يستطيع القيام به الا كل من جادت رياض فكره سمح الاداب والحكم ، وابتسمت

فيها تغورُ انوار المعالي والهمم ، وما زلتُ انظر الى ضعف قوتي ، وصعوبة  
المرثقي ، حتى كاد فرط التهيب مرةً ، وعظم الامر تارةً ، يقفان بي عند اول  
فصوله ، ويحملاني على اليأس من حصوله ، وما برحتُ مكابداً فيه الم التردد  
تجذبني اليه جذباتٌ من الامل ، وتدفعني عنه خشية الخيبة والفشل ، حتى  
انعكست انوارُ هذا الخاطر الى صدور بعض ذوي الهمة والفضل ، فسارعوا  
الى الترغيب فيه ، والحث عليه ، والوعد بالمساعدة ، حتى ذللوا لي صعابه  
وفتحوا ابوابه ، فشرعتُ فيه مجبراً ، بصورة مختار . وانشأت هذه الجريدة  
على علي بقلّة اطلاعي ، ووزارة بضاعتي ، واوجبتُ على نفسي فيها اموراً ،  
وتجافيتُ عن الرغبة في امورٍ مراعيّاً على كل حال حقوق الانسانية ، والوطن ،  
واللغة ، معتنياً بجعل سيرتي موافقاً لسير المعارف في هذه الاقطار ، ورأيتُ  
من الواجب عليّ

اولاً ان اصرف العناية والاجتهاد الى تهذيب العبارة ، وتقريب الاشارة  
لتقرير المعنى في الافهام ، من اقرب واعذب وجوه الكلام ، وانتقاء اللفظ  
الرشيق ، للمعنى الرقيق ، متجنباً ما كان من الكلام غريباً وحشياً ، او مبتذلاً  
سوقياً ، فان التهافت على الغريب عجزٌ وفساد التركيب بالخروج عن دائرة  
الانشاء ذاته اذا سرى في القراء والمطالعين ادّى الى فساد عام ، واغلق على  
الطلبة معاني كتب العلم ، والتنازل الى الفاظ العامة يقضي بامانة اللغة واصاعة  
محاسنها ، وان في لغة القوم لدليلاً على حالهم .

وثانياً ان اسير في السياسة سيرة محب لوطنه ، لا تأخذه فيه لومة لائم  
وناقل عدل لا يتجاوز به الميل جانب الانصاف ، ولا يحمل الغرض على  
المارة والارجاف ، وراوٍ ثقة لا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يماري في ما علم ، واذا  
رضي لم يقل غير الصدق ، واذا منخط لم يتجاوز جانب الحق ، وصديق

رفيق باهل دياره ولغته ، يروي لهم الوقائع متجنباً الباسها اللفظ الموجب  
 لنفور النفوس ، وكسر الخواطر ، متجافياً عن نشر الاباطيل والترهات مما يتهافت  
 عليه المبطلون من اهل الاغراض ، ملتزماً احياء المهتم في اهل هذه اللغة ،  
 داعياً الى التعاون والتوازر على خطب الشرف ، واستجلاب العزّة ، ودفع  
 المعرّة ، ملتصقاً بقوة الروابط الوطنية ، مجتهداً في دفع العداوات المبنية على  
 الاوهام ، الموجبة لزوال السعادة ، مقاوماً كل عنيد يسعى في ايقاع الفتن ،  
 واحداث الشقاق ، متمحلاً من كل باغٍ أشرب في قلبه حبّ البخل تحاملاً  
 لو وافقني الطبع على مقابلته بمثله ، لتمنى ان لا يكون شيئاً موجوداً ، صابراً على  
 اذى كل جاهل غويّ همه ابدال الحقّ بالباطل ، وادالة الحسن من القبيح ،  
 وتغيير الصلاح بالفساد ، معرضاً عن كل احمق امّعة ، لم يستضيء بنور العلم  
 ولم يلجأ الى ركنٍ وثيق ، فهو يتبع كل ناعق ، ويميل مع كل ريج ، دافعاً  
 بسلاح الحقّ عن الحقّ قوماً جهلاء تمادوا في غيهم ، واسرفوا في تحاملهم ،  
 حتى ملهم الباطل ، وسئمهم النفاق بعد ان نبذهم الحقّ ، ولفظهم الصدق ،  
 ففاتهم هذا ولم يبلغوا ذلك فلم يرض بهم العالم ، ولا الجاهل ، ولا الظالم ، ولا  
 العادل ، ولو رزقوا ساعة ادراكٍ فنظروا ما قدمت ايديهم لقالوا يا ليتنا كنا تراباً  
 وثالثاً ان افضي واجبات الجرائد بنشر المقالات العلمية ، والادبية ، تنبيهاً  
 للخواطر ، وتدميماً للاخلاق ، وقد اقتصصت هذا الباب بمعظم العناية لانه  
 علمٌ يستفيد منه العالم ، والجاهل ، والكبير ، والصغير وذلك لان العالم غير  
 متناهٍ فانه نتيجة حركة الفكر الناشئة عن الحركة الكلية التي يستحيل انعدامها  
 لتعين انعدام الزمان عليه ، وهو بالبداهة مستحيل خلافاً لكل مغرور يزعم  
 ان من تعلم مسألة من العلم او مسألتين ، صار في غنى عن مطالعة المطالب  
 العلمية وايم الله لو بقي الانسان في سلسلته الكلية الوفاء الوفاء من السنين ،

احياء المهتم

مجتهداً في دفع العداوات

العلمية

الادبية

العلمية

العلمية

مستكشفاً في كل يوم الوف الوف من المسائل ، وفاتحاً في كل اسبوع باباً من ابواب العلم ، لما تجاوز الخطوة الاولى من سيره في هذا المجال الواسع ، وكذلك الاداب فانها مما يفتقر اليه الناس على اختلاف مراتبهم ، لان استقامة الاخلاق غاية في الصعوبة ، واصعب منها الفرق بين حسنها وقيحها . اما ترى ان الانسان اذا نظر بمجر عقل الكل لا يستطيع ان يميز بين الوقار والتكبر ، وبين التواضع والذلة ، وبين الشجاعة والتهور ، وبين الاقتصاد والبخل ، وبين التبذير والسخاء ، وان عاش عمراً طويلاً . وان الانسان ولوع بحب ذاته ، عزوف عن الحكم بقبح ما اتصف به ، كما ترى ذلك في من يعترض علينا في هذا المقال وانه محل للغفلة وهو والحالة هذه محتاج ابدأ الى منبه ، ومذكر ومبين للاخلاق .

ذلك بيان سيرتي في تحرير هذه الجريدة ، واقد وقع هذا السير موقع القبول عند ذوي الطينة الطاهرة ، والعقل الكامل ، والنفس التزينة عن السفاسف وذنبيات الامور ، في مصر والشام وسائر الاقطار العربية واذاعته السنة الجرائد المهمة على انه لا يخفى ان الحكمة قد اقتضت ان يكون في عالم الوجود الكلي ما هو شريف بالطبع وما هو خسيس بالطبع فكان لذلك في عالم الاجتماع الانساني افراد متصفون بالادب والكمالات ، منتزهون عن النقائص والمعائب ، من كل نبيه حميد السعي ، جليل الاثر ، ووجيه طيب السريرة ، جيد السيرة ، واخرون متجردون عن الفضل والعلم ، منتصرون للجهل والغباوة ، من كل غبي ، يجهل ويجهل انه يجهل ، وياغ ، خلق الهمة رثيت المقال ، فلا عجب ان يكون في هذا السير مناقضون ومعارضون ويكون لهم مؤيدون ومصدقون كما ساذكره في ذيل هذه المقالة

ومعلوم انه لا يمكن تكامل الشيء دفعة ، وان الظفرة في عالم الوجود محال

وان البدأة لا تخلو من النقص، وان اسباب الاعمال لا تتوفر الا تدريجاً، ولهذا كان من همي السعي في استكمال اسباب التقدم لهذه الجريدة، واصلاح شأنها وما برحت مهتماً بذلك مشتغلاً به، الى ان فطن لما في خاطري صديقي الابريز الاديب الذكي النفس سليم افندي النقاش منشيء التياترو العربي ومديره حفظه الله فرام ان يجدد لي ما اعرف من مساعدته، وبسط لي يد المودة فاستقبلتها بيد القبول، وتعاقدنا شركة ودادية نكون بها يد واحدة على النهوض بامر الجريدة، والاهتمام بشأنها تحسيفاً واصلاحاً، واخترنا المقام بالاسكندرية لاسباب لا تخرج عن دائرة مصلحة الجريدة، وانشأنا ثمة مطبعة جديدة حسنة الحروف والاشكال، كاملة الآلات، جيدة الادوات تبرز فيها الجريدة بابهي من الخبر، وابهج من الخلي، مع تمام الانتظام، وغزارة المواد، وكثرة الفوائد، وحسن الترتيب والتبويب ان شاء الله، واني وان ترحلت عن محروسة هذه الديار لحافظ لسادتي وخلافي من اهلها ذكراً يعث الوجد فاقله، وشكراً لا امله تدوم به نعمهم علي، وانعطافهم لي.

واذا تقاربت القلوب فبعدنا لا ينقضي بتباعد الاجسام  
ولا ريب عندي ان البعد عن نواظريهم، لا يكون مبعدني عن خواطرهم  
فانه: كلما ابعدهم عن الشمس جتة فيضاً وزادته نوراً

✽ مختارات مصر القاهرة التي انشأها في باريس عام ١٨٨٠ ✽

### السعاوة بعد الشهادة

الحمد لله وحده: هذه صحيفة مصر طواها الاستبداد فماتت شهيدة، ثم احيتها الحرية فعاشت سعيدة، ترسل الى المريردين والاولياء، ونبيهاء القراء، منية اليهم: ان قد اتاني الله نعمة الحرية، ومن أوتي هذه النعمة

فقد أوتي شيئاً كثيراً ، ولسوف ترون مني رواية الصادق ، في رأي الأمل ،  
في عزم الآيس .

حاول احدهم في مصر اطفاء نوري وأبي الله الأ أن يتم نوره وان كره  
الظالمون . امانتي بدعوى الحرص على الخواطر ان أثيرها الى الفتنة ، بل  
خاف ان اكشف الحجاب عن حقيقة احواله فزعم اني ناصبته الشر نفرة منه ،  
وأشيعاً لسواه ، وما انا في شيء من ذلك فاني اعز نفسي ، وانبل قصداً ، من  
ان تستميلني الاشخاص وانما اميل مع المقاصد ، فما كان منها ملائماً للشرب  
الذي احسبه حقاً

فذلك من دون المشارب مشربي وذلك ما بين المذاهب مذهبي

وما كان مغائراً للبدا الذي اراه عدلاً

رमित به من حائق رمي حائق متى يرم لم يخطى وان ينع يدأب

### اوروبا والشرق

قضى على الشرق جهل عامته ، واستبداد خاصته ، وخيانة زعمائه ،  
وتعصب رؤسائه ، أن يهبط بعد الارتفاع ، ويذل بعد الامتناع ، ويكون  
هدفاً لسهام المطامع والمطالب مرتعبت به ايدي الأجانب من كل جانب ، فمنهم  
من يغير عليه بحجة الغيرة على الإنسانية ومنهم من يتطرق إليه بدعوى إقامة  
امر المدينة ، ولم تر منهم من صدق في دعواه ، بل كلهم تابع في ذلك قصده  
وهواه .

فقد استولت إنكثرة على الهند ، والافغان ، وجنوبي افريقية ، وقبرص  
وتدخلت في شؤون تركيا اوروبا ، ومصر ، وسورية ، ومراكش ، وزنجبار ،  
والبرمان ، بحجة الإنسانية ، ودعوى المدينة ، ولم تؤيد في جميع تلك البلاد

غير الخشونة والاستبداد، استبقاء لاهلها على حال يسهل معها اخذ اوطانهم،  
واستخدام ابدانهم، بما فطرت عليه من الاثرة تحملها على كراهية الفضل الا  
لبنها، وبغض السعادة الا لذويها، بل بما تقرّر في اذهان اهلها من ان الخارج  
عن جزائرها الثلاث، منحط عن درجة الانسانية، لم يوجد الا لخدمة الذين  
القهم الطبيعة خشونة طباعهم على صخور منقطعة عن الياسية، محرومة من  
الطيبات محجوبة الشمس والنجوم، مستمرة الضباب والغيوم) في الاربعين  
وفتحت الروسية القريم، وداغستان، وارمينية، وسجستان، وخيوى،  
وخوقند، وتركستان، وسمرقند، واغارت على الدولة العثمانية فانتزعت منها  
معظم بلادها الآسيوية، وفصلت عنها الصرب، والممكتين، والجبل الاسود،  
والبلغار، وجعلت الرومي شركاً لفتنة تثيرها، وأرب تاله ثم أقت على  
جميع ذلك حجاب حسن النية، وموهته بالغيرة الدينية والقيام بأمر الضعيف،  
ورفع منار المدنية. ولو صدقت في شيء مما تدعيه، لرأينا بوادر هذه المآثر  
في بلادها، ولما رأينا ولي عهد دولتها يطلب من ابيه الاصلاح، واهل  
ندوتها يسألونه ففتح ابواب النجاح، وقادة الجند، يدعون لحكومته الشورية،  
وعامة الرعية، يرومون رفع لواء الحرية، واهل الثورة يخرجون عن الطاعة،  
ويشقون عصا الجماعة، والقيصر غير مبال بجميع ذلك، ينفر من الشورى  
حرصاً على الاستبداد، وينبذ الحرية صيانة للاستعباد، حتى قيل انه الى  
التنازل عن الملك اقرب منه الى الرضى برأي ولي العهد. بل جاء بالتعارف  
انه قد استشاط غيظاً من تجرؤ ابنه على التماس الشورى فامر به ان يسجن ولولا  
ان شفعت فيه والدته لكان في جملة اهل الجبوس.

على أن الروسية وإن كانت مستبدة الدولة، مطلقة الاحكام، منحرفة  
عن سبيل المساواة، إلا انها أدنى الى الرحمة والعدل، والرفق والفضل،

من دولة الانكليز التي لا تبق على حياة الخاضعين لها الا للانتفاع بخدمتهم فهي  
 كالجزائر لا يطعم الضائن الا ليدبجه مميناً ، ثم يجعل من جلده سوطاً يسوق  
 به الانعام . على مثل ذلك طبعت حكومة الانكليز وعلى مثله نراها في الهند  
 فقد جعلت امراءها غلماناً ، واتخذت نبيهاً عبداناً ، واستخدمت عامتها قبيلة  
 وبعراناً . وعلى مثل هذا سيرها المصريون ان رضوا بالمستبد . وزيراً يقول  
 ليس في هذا القطر من يفقه الخطاب ، ويحسن الجواب ، او يميز بين الخطاء  
 والصواب ، ويستقدم الاجانب ، لاعظم المناصب ، وينظم الاوامر ، ناطقة  
 بانقضاء الصولة ، واحياء الدولة ، ويشعوذ على الامير ، ويشد على الوطنيين  
 النكير ، ويلغي الجرائد الناطقة بالصدق ، الذائدة عن الحق ، ويقرب اهل  
 الرياء والمرء ، ويقصي ذوي الاستقامة ، والشهامة .

اما سائر الدول فانها اقل من تلك الدولة شراً ، واكثر منها رفقاً وبراً ،  
 تعامل الخاضعين لها بالتي هي احسن حتى يكادون يمدون وفادتها ، ويشكرونها  
 ولايتها ، لولا العلم بان الاستقلال حياة الامم ، فاذا فقدته فقد صار وجودها  
 المعنوي في جانب العدم .

### مخاطبة الربيب

فاذا لم ينقبه الشرقيون من غفلتهم ، ولم يبنوا عنهم التقاليد الموجبة  
 لتفريق كلمتهم ، ولم يغذوا الباب صغارهم بغذاء الحرية ، ولم يرسوا على الواح  
 صدورهم رسم الوطنية ، ولم يعرضوا عن وعيد الخائنين ، ولم يقوموا بامر السراة  
 الصادقين ، ولم يفضوا لوطنهم ان يغضب ، ولما لهم ان ينهب ، ولحقهم ان  
 يسلب ، ولجدهم ان يذهب ، فما يابثون ان يصيروا عبيد اعدائهم ، واسراة نزلاتهم ،  
 لانزى فيهم بعد حين غير البواب يرفع الستارة ، ويسدل الحجاب ، والفراش ،  
 يضع الوسادة ، ويمهد الفراش ، والكناس ، يزيل الغبار والارجاس ، والسائل ،  
 يطلب الصدقة بالدمع السائل ، اما الامراء فيمقرون ، واما الاغنياء فيفتقرون ،

واما النبهاء فيهمجرون

افليس الموت ، خيراً من هذا الفوت ؟ ايليق بذبي الدم الشرقي ان  
يصبر على هذا العسف ؟ ام يحسن بذبي النفس الذكيفة ان يرضى بهذا الحسف ؟  
لم لا يعلم قومنا انه

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

### الاستقلال والتابعة

او الفرق بين الراحة والعناء ، والحاجة والغناء ، والنعمة والشقاء ، والظلمة ،  
والضياء ، فلورأني الغربي محاولاً يباينه نقال مستهزئاً ما عجب هؤلاء القوم نقدة  
وكتاباً ، انهم لم يقطعوا سلاسل الاوهام ، ولم يعدلوا عن تعبير الاحلام ، الا  
لبأخذوا باسباب الهذر في بيان البين ، وتحصيل الحاصل ، وايضاح المعلوم .  
ولكن . . . مهلاً اخا الغرب اعلم لنا عذراً وانت تلوم

حصلت لقومك نعمة الاستقلال مشفوعة بفضيلة المساواة والحرية  
فكبرت نفوسهم عن اللذلي ، فلم ينزل لهم من السماء ماء ، لما وردوه وان  
كانوا ظاة ، ورأيتهم على اتفاق في حفظ الوطنية والاستقلال ، فاذا تعاضت  
ارؤهم ، فانما يختلفون على كيفية حفظ البهاء ، ووسيلة حصول الناء ، فابقت  
ان الوطنية حقيقة طبيعية لا تحتمل وجهين ، ولا يختلف فيها اختلاف اثنين ،

فلورأيتنا ومناً من يقول الاجنبي اعلى واعلم ، وحكمه اقوى واقوم ،  
فالتسلم بالوطنية اسلم ، يتفق رؤساؤنا ولكن . . . على نبذ الوطنية ، ويختلفون  
ولكن . . . على كيفية التابعة ، فاما الهلال معروفاً بالضياء عند فئمة موصوفاً  
بالنقص عند آخرين ، واما الاسد او الصليب مختلفاً رأيهم في لونه او المثلثة  
الايوان . قلت لورأيت ذلك لما رميتنا بسهام الملام ان جرت اقلامنا بايضاح

مساوي التابعية ، ومحاسن الاستقلال ، لا يبين ذلك تعصباً على الاجنبي او اغراء  
 به ، ولا نستنفر القلوب منه الا مخافة ان تشرب اعتقاد الانحطاط الحسني منه ،  
 فتصير الى الخادمية او العبودية وساءت مصيراً

فقل لمن سدل عليه التعصب حجاب الجهول ، فستر عنه مساوي  
 التابعية ، ارايت لو تسنى لك الاستيلاء على ارض اخيك ، وهو رفيق  
 عمرك ، ومحل سرّك ، وموضع أنسك وملهي نفسك اترضى من الملكية  
 بالوسم ، وتنفع بالخيال والوهم ، ام تجمع الربيع ولا تألو في الحصد جهداً ،  
 ثم تجعل بين اخيك وارضه سداً . . بل هبك ممن تأخذهم الشفقة وقليل  
 ما هم فهل تزيد على ان تجعله في ارضه اجيراً . فما ظنك بمن يأخذ ارضك  
 اغتصاباً ، ويملك مالك انتهاياً ، وليس بينكما صلة يرهاها ، او رحيم يصلها ،  
 او نصير يخافه ، او شفيع يشفعه ، الا يسخرك في بناء السد ، وحصد الزرع ،  
 وقطف الثمر ، ثم يجعل لك من الشعير غذاء ، ويوردك من الاجرة ماء ،  
 ويلبسك من الليف كساء ، ثم يتخذ صغارك غلماناً لبأبأة الاطفال ، او  
 لمسح النعال ، ثم يجعل اهلك ملهى مباحاً ، فالطيبات للغنائث والمهجبات للربائث ،  
 وكل ذلك بما يمن عليك من البقاء في الارض التي بنيت على آثار آبائكم ،  
 والغذاء من الزرع الذي سقيتم بدمائكم .

فان قلت ان الاجنبي خير منك حالاً ، واوفر مالا ، واثبت عزماً ،  
 وارسخ علماً ، فلا نكر في ان نلذده ولياً ، وتجعله على مالك وصياً ، فلنا  
 ان جارك ذوالف فلم لا تمهيه المائة التي تملك ، واخاك واسع الملك فلم لا  
 تعطيه الدار التي تسكن ، بل مالنا نراك ساعياً في اصلاح شأنك وتوفير مالك  
 وتثبيت عزمك ، وتنظيم حالك . . ام لا ترى انك لو عنيت بامر قومك  
 عنايتك بالاجنبي تقوم بامرهم ، وتولع بشكرهم ، لما لبثت ان ترى منهم من

يبلغ شأوه وان كان رفيعاً ، ومن يدرك سعيه وان كان سريعاً  
ولكنك لا تروم الا خفض منارهم بما اشرب قلبك من عبادة عجل  
التعصب ، يدعو الى موالاته من سجد وان كان سجوده استهزاء ، فهل  
تجسب ان الاجنبي الفاتح يميز بين عجلك الاحمر ، وعجل اخيك الاصفر ، او  
لا تراه في بلادك لا يفرق بين من وحد ومن ثلث ، ومن آمن ومن لا يؤمن  
بالدين . وانما يحسبهم جميعاً ارقاءً فيأخذ بقول شاعرنا الجدير بالحو ، الحقيق  
بان ينبذ في ظلمات السهو

لا تشتري العبد الا والعصا معه ان العبد لانجاس مناكيد  
فكيف تنكر بعد ذلك مساوي التابعية وهي رق للاحرار ، وفقر  
للاغنياء ، وضعف للاقوياء ، وعار للنزهاء ، ام كيف لاتعترف بمزية الاستقلال  
وهو في الاجتماع النوعي بمنزلة القوة في الوجود تقرب منه النعمة ، وتدرأ  
عنه النعمة ، فان انحرفت كان عرضة لانواع الشقاء ، وضمنوف البلاء ، بل  
كان ذلك الوجود عين الفناء ،

### مجلس المبعوثين

ولا اقول المبعوثان وان كرهت مستعربة الترك او مستركة العرب .  
مجلس لم تنشئه ثورة الخواطر ، ولم تؤيده ارادة الامة ، ولم يولفه الرأي العام  
وانما كان منشأه القصد الداعي ، وعماده الارادة المفردة ، ومصدره آراء  
الزعماء ، فما ظهر حتى اختفى ، وما بُني حتى عفا ،

تألف من قوم مختلفة اجناسهم ، متنوعة لغاتهم ، متبانية آراؤهم ، متغايرة  
اهواؤهم ، فمثل البرج القديم في بابل العثمانيين ، وتلا فيه هانف وحي  
الاستبداد ، لا نطق الا باللسان المستعار الحروف الملقق الالفاظ ، فامتثلوا

للمر  
المر  
المر  
المر

المر  
المر  
المر  
المر

\*  
المر  
المر

وقالوا لا قيد في البيان ولا حجر على الافكار فاستبشروا حتى اذا عدل نهبواؤهم  
 عن طريق المداجاة ، ولم يسجدوا لصنم الخضوع ، اتاهم النذر بالعذاب انهم  
 كانوا غير مخلصين ، ثم أهبطوا من العاصمة مبعدين . ولا يحجد ذكاه النبهاء  
 من اهل تلك الندوة خصوصاً ابناء اللغة العربية ، ولا تمحي من الاذهان  
 مقالات المبعوثين من حلب وسوريا والحجاز ، وانما يلام اولئك الاذكياء على  
 ان رضوا بالبعثة غير صادرة عن الرأي العام ، وغير مؤيدة بمن يفضب لردّها  
 على صورة تنفر منها النفوس . اذ لو كانت المبعوثية العثمانية صادرة عن  
 اراء الأمة ، لما نقضتها الدولة جزافاً بمافة ان يفضب الناس لنوابهم فتقع  
 الفتنة في البلاد تزيد احوالها فساداً ، واعمالها كساداً ، ولكنها صدرت عن  
 رأي واحد او غير واحد من رجال الدولة . او كما يقول احدهم : عن محض  
 القرينة السلطانية الجليلة : فكانت من قبيل الصدقة والاحسان وما على  
 المحسن من سبيل . وما استرداد الهبة ، واستعادة الاحسان ، باعجب من الحاج  
 السائل المردود ، وابرام الملمس المطرود ، فقد رأينا في احدي الصحف مقالة  
 ضافية الذبول يسأل صاحبها سؤال مقرر ماذا جرى على مجلس المبعوثان  
 ثم يسطر تاريخه وما حصل له من الوقع والشأن عند الاجانب فضلاً  
 عن العثمانيين . ويعترف اعتقاداً ، او استرضاءً ، بان الدولة تبرعت بانشاء  
 ذلك المجلس رحمة ومنة واحساناً ، ثم يلتصص اعادته محتملاً ذل الكدية  
 في جنب المصلحة العامة مبارياً في النشد والسؤال قرآء سورة يوسف وان جل  
 عن ذلك مقاماً .

فما لاخواننا السورين يرتضون السؤال مبرمين فيه والعهد بهم ان  
 يأنفوا من الصدقة غير مسؤولة ، وما بالهم — انعم الله بالهم — يعالجون  
 داء عقماً ، ويستمطرون سحاباً جهاماً ، ويعودون الى التجربة بعد سبق الاختبار

ووفرة اسباب الاعتبار .

أيا ملون النفع من مجلسٍ تتصل أسباب حياته بارادة واحده من الناس متعرضي  
كسائر ابناء النوع للصفو والكدر ، والرضا والغضب ، ام يرجون البقاء لهيئة  
لا تثبت الا بمقدار ما تحصر اعمالها في دائرة الخداع ، وتدور اقوالها على محور  
المداجاة ، فان تجاوزت ذلك الحد ، وجب عليها الزجر والحد وكان الفضل  
خاتمة اعمالها ، والنفي جزاء رجالها ، افليس الاجدر بشأنهم ان يعدلوا عن ذلك  
السمي الى تقوية مجالسهم البلدية ، بتوفير الحقوق ، وتنظيم الانتخاب ، لتكون  
مغارس للنواب ، ثم يسعوا الى واليهم الصادق العزم بان يجعل مجلس  
ولايتهم العالي مجلساً نيابياً ينتخب اعضاؤه بالرأي العام للنظر في شؤون  
الولاية تديراً واصلاحاً .

ولا خوف عليهم من الاخفاف في هذا السعي فقد اظهر مدحت باشا  
من مقاصده الشوروية ما يوجب عليه قبول ذلك الطلب الحق وابدئ من  
الرغبة في الاصلاح ، ما يمنعه من رفض وسيلة النجاح ، ونال من اطلاق  
التصرف ما لا يجد من بعده مجالاً للاعتذار .

ذلك رأي وطني يضرب في الارض التماس الحرية ، بيديه لاخوانه  
ومواطنيه فان صادف القبول فتلك رمية من غير رام ، والا فهي مظنة ذي  
غيره فلا تثريب ولا ملام .

#### مجلس النواب المصري

لو ملكت من الوقت فرصة اصرفها في اختراع الكنايات ، ووضع  
الاسماء لغريب المسميات ، اارضيت لهذا المجلس بلفظ يقصر عن معناه ،  
واسم لا ينطبق على حقيقة مسماه .

فقد كان في اول الامر الى الحركة يجمع لما يجهل اعضاؤه ويفض  
 لما لا يعلمون . فاذا صدرت اليهم الاوامر بالالتزام تبادروا الى العاصمة افواجا  
 وفراصة ليقفوا صفوفاً مرتبة في حضرة الامير او نائب الامير فيخطب فيهم  
 بما يظهر له الفضل ، ويثبت الاحسان ، فتتطق اوتار افواههم بما يضع لها الرئيس  
 من تواقع المآرب ، والحن المطامع ، ليثبت ما يعربون عنه باللحن المقصود  
 في سفينة انعام الرياء المعروفة بالوقائع المصرية فيتغنى به الناس في مجالس  
 الراح وينظمون له القدود من امثال

« يا مصر دمت بالافراح »

ثم ياتيهم الامر بالانفضاض مشفوعاً بخطاب لا يفهم لفظه ، ولا يدرك  
 معناه . ويعين عشرة منهم للفوز بشرف المقابلة ، والقيام بواجب الشكر ، اي  
 لمقابلة الامير وشكره - ثم يوم احد العشرة بحفظ الخطاب عن ظهر خاطر  
 فيجهد المحافظة في استظهار تلك الرموز ثم يسير على رأس رفاقه - اي في  
 مقدمتهم لاعلى رؤوسهم - ليقفوا باعتاب الامير متصاغرين متعاقرين . فاذا  
 فرغ زعيمهم من تلاوة درسه المبدوء باظهار الطاعة ، والمختم باثبات العبودية  
 خرجوا من الحضرة متناسفين في سبق الخدمة ، مشاظرين في قدم الرق  
 مفتخرين بكون الامير لحظهم بينيه ، وحرك لمخاطبتهم شفتيه ، واثار عند  
 انصرافهم باحدى يديه .

ثم تنبته الخواطر في مصر بما مر بها من حوادث الايام ، وما اظهرته  
 الجرائد من احوال الامم في خلال الحرب العثمانية ، وبعد انقضائها ، فعلم النبهاء  
 من النواب ان مجلسهم لم يكن محلاً لوكلاء الامة ، بل مجعاً لغلمان الوهم ،  
 ومحفلاً لخدّام الجزع ، ومنتدي لاتباع الوهن ، ومخشداً لعباد التملق ، وادركوا  
 ان لا خير في حالتهم ، ولا معنى لنيابتهم ، وانهم اما ان يكونوا احراراً فيثبت

مجلس  
 الشان  
 ما فعل  
 في الامير

الغرض  
 من هذا  
 الكلام

ثم تنبته  
 الخواطر  
 في مصر  
 بما مر  
 بها من  
 حوادث  
 الايام

والغرض من هذا الكلام هو ان يبين للمتلقي ان مجلسهم لم يكن محلاً لوكلاء الامة بل مجعاً لغلمان الوهم ومحفلاً لخدّام الجزع ومنتدي لاتباع الوهن ومخشداً لعباد التملق وادركوا ان لا خير في حالتهم ولا معنى لنيابتهم وانهم اما ان يكونوا احراراً فيثبت

لهم ما لامثلهم في البلاد الشوروية ، واما ان يكونوا ارقاءً فينصرفوا الى الباب  
 يحفظونه ، والقطيع يرعونهُ ، والزرع يصدونه ، وما برحوا يترقبون الفرصة  
 لقطع سلاسل العبودية حتى تسنت لهم بما وقع من الخلاف بين اميرهم السابق  
 والوزارة الانكليزية فخرجوا من الوهن الى الجرأة ، ومن ذل التقييد الى عز  
 الحرية ، ورهفوا الوزارة الانكليزية بسلاح المواخذة فانقلبت غير مأسوف  
 عليها . ثم رأوا ان هذا التبدل وان كان مهماً الا انه لا يثبت لهم النيابة ،  
 لعدم الاستنابة ، ولا يضمن لمجلسهم البقاء والنماء ، لانحصار الاقدام في نفر  
 من الاعضاء ، فراموا ان يضعوا للا انتخاب نظاماً ، ويعينوا للنيابة حدوداً  
 وتقدموا في ذلك الى رئيس الوزارة يومئذ فاجاب داعيهم حرصاً على ما رآه  
 من المصلحة فيما يطالبون ، ووضع لمجلس النواب قانوناً جديداً فعارضته السطوة  
 الانكليزية وحالت بينه وبين تقرير القانون .

فاتضح من ذلك ان مجلس النواب المصري كان هيكلاً لا روح له فلماً  
 انبعث فيه الحياة امانه الظالم مخالفة ان يكون عقبة في سبيله المصروف او ان  
 يرى فيه من يكشف الججاب عن حقيقة امره ، فيظهر للامة سوء مقصده  
 كما ظهرت خيانة كاتلينا في مجلس شيوخ الرومان بل اخذه انتقاماً من اعضائه ،  
 واعتقاداً بترتب الضرر عليه ،

فاما الانتقام فهو متعلق بما وقع له في مجلس النواب اذ دخله على  
 عهد الوزارة ٠٠٠ ليأمر اعضاءه بالتفرق فانبرى له احدهم معترضاً مواخذاً  
 وقال على اي وجه ننصرف ، وبأي اثر نعود الى الامة ، وماذا نجيح من  
 يسألنا اي مصلحة جلبتم ، واي مفسدة رفعتم ، واي حكم اصدرتم ،  
 واي قانون وضعتم ، انجيحهم بما قلت لاصحاب الجرائد من اننا بهم لانفقه  
 وهمل لا نعقل ؟ ام نقول لهم على لسانك انهم جهلاء متوحشون ليس فيهم

رأى نظام  
 الانتخاب  
 في  
 مصر  
 في  
 سنة  
 ١٨٨١

من يفهم الخطاب ، او يحسن الجواب ؟ فعلت وجه الوزير صفرة الخجل ،  
مشوبة بزرقه الكمد ، وخرج على وجهه مذعوراً لا يلوي على احد  
واماً اعتقاده ، بترتب الضرر على النيابة في حال كونها مصدر النفع فلا  
يلازم فيه وانما اللوم على الكبر الذي تمكن منه فأراه سائر الناس من دونه فلم  
يجد بين قومه من يصلح للنيابة ، وعلى الجهل الذي غشي بصيرته فاضله عن  
الغرض المقصود من مجلس النواب في مصر .

فقد سمعته غير مرة يلغو بضعف المدارك المصرية عن معاني السياسة ،  
ومنافاة هيئتهم المدنية للنظام الشوروي ، وانفق لي ان زرته على عهد الوزارة  
الاجنبية في ديوان الداخلية فقابلته خارجاً من الغرفة فجلسنا على مقعد الباب ،  
ثم اخذنا باطراف الحديث فقال كيف ترون الحال ، قلت رأي الوزير اوسع ،  
قال وما الذي يبلغكم من اخبار الريف ؟ قلت ان الناس قد أملاوا كثيراً ،  
ولم ينالوا شيئاً ، فاشكوا ان يعودوا الى اليأس بعد الرجاء ، والوزير يعلم ان  
النكسة شر من الداء ، فقال بازورار فليرجعوا الى حالة الخسف ، ويعانوا  
عذاب الظلم ، قلت انهم لا يرومون ذلك ، وانما يرجون نيل الحرية وتأيد  
الكلمة الوطنية فقال متهمكماً الا يرجون ذلك من مجلس النواب ؟ قلت لا بدع  
ان يطلب الشيء من معدنه ، فقال اي معدن في مثل هذا المجلس وكيف يرجى  
له البقاء ، ويلتمس منه النفع ، وليس في مصر من يعلم شيئاً من احوال  
السياسة الدولية ليصلح ان يكون نائباً قلت ان صح هذا الرأي فلا يقضي بحرمان  
البلاد من نعمة الشورى ، فان النواب المصريين غير مكلفين بالنظر في الامور  
السياسية لضعف حكومتهم عن ان تؤثر شيئاً في الموازنة الدولية وانما شأنهم  
النظر في امورهم الداخلية ، واحوالهم الزراعية وما يترب عليه نفع البلاد  
ليستجلبوه ، وما ينشأ عنه الضرر ليحتموه ، وهم بذلك احق من غيرهم واحرى ،

فان صاحب البيت بالذي فيه ادري . فهمهم بكلام لا يفهم وانصرفت من  
 مجلسه متوقفاً منه التحامل على مجلس النوّاب ومامرّاً على ذلك غير ايام معدودة  
 حتى وقع له في ذلك ما لا تزول عنه آثاره ، ولا يجي عاره .

نفثة مصدر

✕ الكتاب الاول ✓

وانا تحت سماء الانصاف ، على ارض الراحة ، بين اهل الحرية ، اسمع  
 الحاناً في مجالس العدل ، فاذا ذكر اثنين قومي في مجالس الظلمة ، وتحت سياط  
 الجلاّدين ، فانوح نوح الثاقلات ، وارى علائم النعمة ، في معاهد المساواة ،  
 فاذا ذكر شقاء سربي في ربوع الظلمة ، فاذرف الدمع متمزجاً بسواد القلب ، فاكتب  
 به الهمم

يا قوم . ظلمتم غير معذورين ، وصبرتم غير مأجورين ، وسعيتم غير  
 مشكورين ، فهاكم غير مأسوف عليكم . تصبرون على الظلم حتى يحسبه  
 الناظر عدلاً ، وتبتسمون للقميد حتى يظنه الناقد عالياً ، وتخفزون للظالمين  
 جناح الذل حتى يقول من يراكم ما هولاء بشر ان هم الا آله سنخرت للناس  
 يفلحون بها الارض ويزرعون

يقلب الجائرون عليكم انواع المكائد ، واصناف الحيل ، والوان الخداع ،  
 فيما يختلسون كما تقلب المشعوذة لدى الاطفال اوجه الودعات في استخراج ما  
 يضمرون . فتارة يضربون المغارم ، لتمهيد المسالك ، وانشاء المنافع ، ومرة  
 يفرضون الاتوات ، لاصلاح الشؤون ، واعزاز الدولة ، وحيناً يرسمون بالضرائب  
 لصيانة الحقوق ، وتأيد الاستقلال ، وآونة يجابون المال قرصاً يحفظونه لكم على  
 سبيل الامانة حتى اذا ملئت باموالكم الخزائن ، ولم يبق على ابدانكم ما يباع ،

ولا في دياركم ما يرهن . سلم الظلمة المنافع التي انشأت ، وباعوا المسالك التي مهدت ، واذلوا الدولة التي عززت ، واضاعوا الاستقلال الذي أيدت ، واكلوا الامانة فهي في احشائهم نارٌ يصلون سعيها وهم في جميعها خالدون .  
يفتنون البابكم بأساليب الرياء ، رضعنون قلوبكم بصور المخاوف ، والاهام ، ويقتلون اذهانكم بموم الخداع ، ثم يجربون عنكم الحقائق ، ويطفئون من حولكم الانوار ، حتى اذا رأوكم في ظلمات الجهل لا تبصرون ما بين ايديكم ، ولا تهتدون مسالك النجاة ، تداعوا اليكم ، وتساقطوا عليكم ، ينهبون الاموال ، ويهتكون الحرم ، ويسابون الحقوق ، ثم يمزقون الابدان جلدًا بالسوط ، وضرباً بالهراوة ، وطعنا بالحربة ، وقطعاً بالحسام .

ولقد رأيت من نواب الفرنسيين من يصعد المنبر فيقول لرجال الدولة ترومون وضع هذا القانون ، وابرأ ذلك الحكم ، ونقض هاتيه العادة ، فاعلموا ان هذا القصد مخالف لمصلحة الزارع ، مباين لمنفعة الصانع ، مغاير لحقوق التاجر ، واني اعارضكم فيه وأنكره عليكم . فان كان ما يقول حقاً ايدهُ غالبية الاراء فيعدل اهل الدولة عما عزموا عليه امثالاً لارادة الامة فتذكرت زارعكم بين شيخ يأمره ، وعمدة ينهاه ، ومأمور ينهيه ، ومدير يجلده ، ووزير يتصرف في ماله كيف شاء ، وصانعكم بين شرطي يسرقه ، وضابط يصادره وحاكم ينفيه ، وتاجر كم بين مكاس يظلمه ، وجاب يسرقه ، وناظر لا ينصفه فقلت .

جل من قسم الحظوظ فلا عتب <sup>من كان للعزم في الامر معهد</sup>  
ورأيت فلا حهم في حقله الصغير يتناول الطعام اكلًا مرتبًا ، وينام القيلولة نومًا هنيئًا ، ويأوي الى المبيت فيأكل بين عياله ، ويتلو عليهم صحيفة النهار ثم ينام ملء عينيه لا يحلم بسوط المأمور ، ولا يتصور عصا الشيخ ، ولا يذكر حبس المدير ،

المستور  
المراد  
المراد  
المراد  
المراد

سأله  
فأجاب  
فأجاب  
فأجاب

المراد  
المراد  
المراد

المراد  
المراد  
المراد

فتخيلتكم بين السواقي والانهار ، تشتغلون بحبابة اليوم لتجتمعوا على القصعة  
 السوداء فتلتموها فئات الشعير، وتكبو على التربة فتشربون الماء الكدر ، ثم  
 تعودون الى الارض المريعة تزرعونها ، والغلة الوفيرة تحصدونها ، لتصرفوا الى  
 اكواخ بالية تشبه قبوراً توالى عليها السنون ، فيجتمع من حولكم صغاراً لا  
 تعرف ابدانهم الوقاء ونساء تعوضن الاقدار عن الكساء ، ثم يأتكم المأمور  
 سالباً ، والشيخ غاصباً ، والمدير ناهياً ، فانتم في بلاء مستقر ، وعناء مستمر ،  
 تحصدون البر ولا تأكلون ، وتملكون الارض ولا تسكنون ، فقلت ما علة  
 هذا الفرق بين الطائفتين :

والناس من جهة التمثال اكفاء والاصل فيما يقال الطين والماء  
 فاجابني لسان الحال دع الطين والماء ، في صحف القدماء فهو العلم يعز طلابة ،  
 ويذل اربابه ، والاقدام ترتفع به النفوس ، والوهن تخفض معه الرؤوس :  
 ورأيت دولتهم تكافى بالمال ورفع الشأن من انقذ المستهلك ، واجار  
 الخائف ، ورد المغتال ، فتصورتكم على ضفة النهر تبصرون الغريق في اللجة  
 ثم تصرفون عنه وجوهاً لا تجهل الحياء ، وتعصون فيه قلوباً لا تنكر الرحمة ،  
 مخافة ان تنقذوه فيأ تيكم المأمور سائلاً من الرجل ، وفي غرق ، وكيف لم  
 تخرجه حياً ، ثم لا يسمع من المنقذ جواباً ، ولا يطلق له سبيلاً ، حتى يقرع  
 باب مسمعه برنة الدينار ، ويحل عقدة ظلمه برقية الرشوة ، او تشد رجله بيده ،  
 ويده بعنقه ، وعنقه بالقيد ، وقيدته بوتد السجين . فقلت ما لقومنا يظلمون  
 احياء ، ولا يأمنون العسف امواتاً ، فاجابني لسان الحال : هو الذل امارت انفسكم  
 فصرتم اشباحاً بغير ارواح ، تنطقون ، ولكن بحكم العادة ، وتسعون ، ولكن  
 بحركة الاستمرار ، ذلك بان رضيت بموت الذل حرصاً على البقاء ، ولم تعلموا  
 ان وجود الذليل عين الفناء . فعدت الى الدمع اذرفه واللهفة ارددها ، والزمان

اعتابه ، ثم نظرت الى السماء نظرة آيس يوشك لولا العقيدة ان يقول اي  
 قضاء ظالم قدّر علينا هذا الحسف ، واي حكم قاسط انزل بنا ذلك البلاء ،  
 فغشيني نور الرجاء ، وخاطبني لسان الامل من وراء حجاب الاخلاص ، بما  
 سابديه في كتابي الثاني ان شاء الله

بين عيد وعيد

قد عاد والناس في هم وتكيد  
 عيد حميد بوقت غير محمود  
 فلم تكن فيه عين غير باكية  
 ولم يكن فيه قلب غير مفؤود  
 نجود بالدمع لا بخلا بهمتنا  
 وانما الجود في الدنيا بوجود  
 فالعزم قد مات والاقدام منعدم  
 واشمل ما بين تمزيق وتشريد  
 والظلم منتصر والخوف منتشر  
 نجل عن مثل هذا حالة العيد  
 فقد نزل القضاء ، وعمّ البلاء ، وانتشر لواء الظلم ، وانتثر عقد العدل ، وانخفض  
 منار العلم ، وانقادت نار الجهل ، وذن الشجاع بنفسه ، والكريم بماله ، بعد  
 ان ضاعت الامانة ، ووسد الامر الى غير الله <sup>(١)</sup> فذكرنا بالعيد ماضياً سعيداً  
 ومجداً تليداً

ايام كان النصر موقوفاً على اعلامنا واشمل لا يتصدع  
 ايام كان سراتنا اخبارنا فتخرّموا ولكل جنب مصرع  
 فبكينا والبكاء للاطفال ، - ونحنا - والنوح للنساء لا للرجال ، نندب همّة  
 درجت باكفان الجدود ، وعزيمة لها من الاثار دلائل وشهود ، فنحن في  
 المأتم بلباس الاعياد ، تجمعنا المصائب وتصدعنا الاحقاد ، فتحسبنا جمعاً ونحن

(١) حديث اصله ان اعرابياً جاء النبي (صلم) فقال متى الساعة قال فاذا ضيقت  
 الامانة فانظروا الساعة قال كيف اضاعتمها قال اذا وسد الامر الى غير اهلها

آحاد، وتخالنا جيرة ونحن بعاد

نفثة مصدر

الكتاب الثاني ✓

وانا بين قوم خشان الاصول، حسان الفروع، دفعتم سوء الحاجات، وضيق المعاش، من وعور جرمانية وما وراء نهر الرين الى هذه الارض المريعة فانقضوا عليها غزاة ناهبين، لا يأخذون بشرع، ولا يدينون بدين، وانما يقضون بما تدعو اليه الحاجة الحيوانية ويحكمون بما تبعث عليه خشونة الطباع، متقاتلين على السلب، متسابقين الى الشرية، متنافسين في الموبقات، يتقاضون الى زعيم يجلونه منتصراً ويزلونه مغلوباً، ويطيعونه خشناً، ويعصونه ان كان من الراجحين.

ثم تغلبت عليهم حوادث الايام فجعلت حدتهم غيرة، وتهورهم شجاعة، وخشونتهم حرية، فانتقلوا من السذاجة، الى التأمل، ومن المبادهة، الى التعقل، فنبت فيهم العلماء، ونبع الكتاب والخطباء، فضربوا بسيوف الاقلام، حجاب ظلام الجهل، فانشق عن ضياء صبح العلم، فرأى الناس فظاعة التقايد فبنذوه، وشناعة الاستبداد فنشطوا من عقاله بالثورة التي رمت كبد الظلم، بسهام نور الحق، وخطت بدمه على صفحات الصدور: الحرية والمساواة والاخاء:

اراهم الان في معاهد الصفاء، ومرابع الهدى، ينطقون عن علم، ويصدعون بما يقضي به القول، فلا يعتدي رئيسهم على مرؤوسه، ولا غنيهم على الفقير، وانما هم في الحقوق شرع. جمعهم الوطنية فكان كلهم للواحد، ورفعت بعضهم المزية فكان واحدهم للكل، فهم القوم لا يخاف ضعيفهم، ولا يطغي

هذا الكتاب من  
الاصول  
التي  
العلم  
بها  
العلم  
بها  
العلم  
بها

هذا الكتاب من  
اصول  
العلم  
بها

قوتهم ، ولا ينصب اميرهم حقوق الفقراء ، ولا ينهب سوقيهم اموال الامراء .  
 اراهم في مراتع النعمة ، بعد مضائق النعمة ، وفي مسarach الثروة ، بعد  
 مرازح الفاقة ، فاذا ذكر قوماً في الشرق دعاهم اليه بهاء السماء ، وصفاء الماء ،  
 وحسن الرقعة ، وطيب البقعة ، فاتوه مستعمرين ، فاحيوا الارض بالزرع ،  
 وزانوا القطر ، بالابنية والعمارات ، من كل مدينة واسعة المبنى ، معشوقة السكنى ،  
 كأنها بالربيع قد فرشت وبالوان ازهاره نقشت ، ومن كل اثر حالفته الايام ،  
 وعاهدته الحوادث ، فهو باقى على مرورها ، غير مبالي بكرورها . ثم اتوا في  
 ظلال النصر ، منغمسين في ماء اللذات ، غافلين عن الحقوق والواجبات ،  
 حتى اذا نضبت موارد الرغد ، وغارت عيون الثروة ، ايقظهم الم الحاجة ،  
 ونبتهم صيحة الفاقة ، فهبوا يحسبون تلك النعمة احلاماً ، ويعدون سوابق  
 المجد او هاماً .

اذكرهم على هذه الحال ، من الخسف والاضمحلال ، فاقابل بين حاضرهم  
 وماضي من أرى من الامم الرفيعة الشأن ، فاقول ان الحوادث التي اعدت  
 لهؤلاء القوم اسباب النجاح ، فانتقلوا من الخشونة ، الى التمدن ، ومن الجهل  
 الى العلم ، ومن الفاقة ، الى الثروة ، لا تلبث ان تفتح للامة الشرقية من مسالك  
 الفلاح ما يوذي الى مثل هذه الغاية . فلا وجه لليأس من بعثة الغيرة في  
 هاته الامم وان كانت

بالذل في عشواء مدلّمة وظلمة ما مثلها من ظلمة

ولكن لا بد من اخذ الامر باسبابه ودخول البيت من بابيه ، بايضاح  
 وسائل النجاة ، ومذاهب النجاح ، على ما اينه في الرسالة الثالثة وما بعدها  
 مما يتضمن ان شاء الله خلاصة كافية من تاريخ ثورة الفرنسيين ، فهي التي  
 انارت هذا العصر بلهب نارها ، وهدت انسانه بضياء منارها ، فرأى المنية

سوقهم  
 ينهب سوقيهم  
 والامراء

الارضية  
 عادوك  
 عادوك  
 سبب الثورة  
 نجاحه

اذن لا بد من

وسائل النجاة  
 وسائل النجاة

في الدنية ، والمزية ، في الحرية ، فانشد  
 آليت لا اموت الا حراً وان وجدت الموت طعماً مرّاً

النار والعار

قد رُزمت مدينة اورفا بما يعيد الى الاذهان ذكر سدوم واخواتها ، اذ  
 شبت النار في جانب منها وسرت الى سائر الجوانب غير معارضة ، فدمرت  
 ما لم تأت عليه ايدي الظالمة من الابنية والمنازل فصارت المدينة ربعاً  
 عافياً ، وظللاً بالياً ، لا تجد بها من حجر على حجر ، ولا ترى من عمارتها غير  
 الاثر . كذا جاء في بعض الصحف الباريسية بتاريخ اخر الشهر الماضي فان  
 صحح ولا بدع ان يكون صحيحاً ، ففي الامر واحد من ثلاثة اوجه . اولها ان  
 رجال الشرطة في تلك المدينة كانوا من بقايا قدماء الفرس فاكبروا النار عن  
 ان تمسها الايدي بقصد الاهمال ، فسرت في المدينة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ،  
 وانهم من سلالة رجال الكهف ، رقدوا فلم يسمعوا كلمة النار ، ولا صراخ  
 الرجال ، ولا عويل النساء ، ولا بكاء الاطفال او . . . ان يكون قد صدر  
 الحكم من مجلس القضاء على البلاد الشرقية بالشقاء والدمار ، فان لم يكن ذلك  
 بعسف الاغرار ، او بظلم النجار ، فبالله والنار .

المصحات المبكي

زجاج

اجهده السعي والنداء فلجأ عند الهجيرة الى ظل رواق ، على مصطبة  
 زقاق ، فهو ثم نام ، فرأى في عالم الاحلام ، أن قد باع طبق الزجاج بعشرة  
 دراهم واشترى بها طبقين ، فباعهما بعشرين فاشترى اربعة ، فباعها باربعين ،

ثم ثمانية بثمانين ، حتى كثرت الطباق ، ووفرت الدراهم ، فاستأجر حائوناً كبيراً ، فاصاب فيه مالا كثيراً ، فابتنى داراً ، ما سكن مثلها داراً ، واتخذ هيفاء كريمة ، من بيت كريم ، فولدت له غلاماً ، يشبه قرأ تماماً ، فرباه على الطاعة له ، والرغبة منه ، والبر به ثم رام حبيبه عن ألفاء الزقاق ، واخوان النفاق ، فعق وعصى ، فبادره بالعصا ، فتصدت امه للدافعة عنه فنجسها بعصاه نجساً ، ورفسها برجله رفساً فناداه الطبق ( رك رك ) فاتبه من غفلة الرقاد ، يمسح رجله من دم الخدوش ، فكان من تفسير حلمه انكسار الزجاج . ٥١ .

وعامل

خان وطنه فاهمله ، وغدر بامته فخذلوه ، وتبصبص لبعض الاجانب فناواه سائرهم ، فلجأ الى ظل افراد ، على عتبة استبداد ، فادر كتبه سنة الغفلة ، فرأى في عالم الاوهام ، أن قد سلب من مال الفقراء ما جعلوه في خزينة الدولة قرضاً ، واغتصب من ذوي المزارع مائة وخمسين الف ذهب خراجاً ، وانتهب من دين الامراء الوفا مؤلفة ، فاتخذ الديوان قصراً ، ما سكن مثله كسرى ، وجعل المالية اهلاً ، لا يخاف لها هجراً ، ولا يمل لها وصلاً ، فولدت له غلاماً من الثروة وابنة من الشهرة ، فرباهما على حفظ وصيته ، ورعاية سلطته ، واعزاز سطوته ، ثم رام حبيهما عن ذوي البصائر والابصار ، فتصدت له ضحف الاخبار ، فطعنهما بالنذر فجرح ، وسافها بالتعطيل فبرح ، ورمها بينادق الالغاء فادمى ، فنادته معارضة الدول ( سأساً ) فاتبه من رقاد الغفلة يمسح وجهه من . . . عرق الخجل ، فكان تفسير الحلم ضياع الزمن ، وذهاب حقوق الوطن ، ( طاق طاق )

فان كنت في ريب مما نقول تحسبه من خرافات العجائز او حكايات الاطفال فاضح لحة بصير في اعمال الادارة في مصر ، تعلم صدق الحكاية ، وصحة

الرواية ، ثم جد بدمعك تذرفه معي ، او تضيفه الى ماء مدمعي ، فقد آليت ان  
ابكي الحق في مصر حتى يعود مخضر العود ، فان عاد فلا اسف على البقاء ، وان لم  
يعد فعلى الدنيا العفاء

نفثة مصدر

الكتاب الرابع ✓

✕ قد رأيتهم شهداء طاعة عمياء ، ينحرم خبيثاء النفوس على مذايح الجور ،  
تزلزلاً لطواغيت الفجور . فوقفت بربع العدل منادياً باهل الانس نية ، يا ثنارات  
الضعفاء ١

فاجابني هاتف العصور ، من اغوار القبور ، لقد انتجعت بوراً ، واتبعت  
غروراً ، فانا ملائنا من قبلك الارض نداء وزفيراً ، فلم نجد من الناس نصيراً ،  
فعلمنا انهم لا يسخون بالنجدة لمن ضن بنفسه ، وتوكل على بني جنسه ، فاقحمنا  
الاجال ، في طلب الآمال ، فلم تكن الا جولة ولت الحرب اولادها ، ووصولة  
سلبت السيوف اغمادها ، حتى سقينا غروس الاماني بالدم المهرق ، فتمت باسقة  
الفروع ، مخضرة العود ، يانعة الثمار ، فقلنا في ظلالها آمنين ، تحسبنا امواتاً ، وتخالنا  
رفاتاً ، ونحن في نعيم جنتها خالدون ، فاقتدوا بنا ان رتم النجاح ، وانشطوا  
للسعي بالغدو والرواح .

✓ فانما رجل الدنيا وواحدتها من لا يعول في الدنيا على رجل

فعدت الى بقايا الضحايا احرك في عروقهم دم الغيرة ، واثت في صدورهم روح  
العزم ، وانشر من هممتهم ما طوت الايام ، في قبور الاوهام ، بما اذكر من اخبار  
الامم ، وما اظهر من آثار ذوي الهمم ، لعلمهم يستنجزون موعود الحق بمراغمة  
اعدائهم الذين تمرّدوا وسعوا في الارض مفسدين ولعلمهم يفلحون

طالع  
بالعدل  
للعلم  
الضعفاء

ولقد جعلتُ خبر الثورة ثورة الفرنسيس تمهيداً للخطاب ، وتعييناً للقدوة  
 فاظهرت كيف تسنى لهؤلاء القوم ان يخرجوا من مضائق الظلم ، ومازقوا  
 العبودية ، اذ انفصل نوابهم عن المعتسفين من النبلاء ، واهل الكهنوت ، وجهروا  
 بما كان يخفيه السكوت ، حتى انقطع الجور بجبله البتوت ، وكيف توافقوا  
 على الاتحاد في خدمة الحق ليفوزوا فيشكروا ، او يبيدوا فيذكروا ، واقسموا :  
 اننا لا نفترق وفينا رمق حتى نويد في بلادنا امر الحرية : فاعلق الملك باب  
 مجلسهم فاجتمعوا في ملعب القرية متوازرين ، متألفة فلو بهم يرومون القسم  
 بالسوية والعدل في الرعية ويدعون الى الحق والى طريق مستقيم

فكبر ذلك على عبيد الطمع ، وحلفاء الجرع ، فاغروا الامير بفضح مجلس  
 النواب ، فاصدر الامر بذلك في الثالث والعشرين من شهر حزيران سنة تسع  
 وثمانين فتلقاه النبلاء ، ورؤساء الكهنوت ، بالطاعة والقبول ، اما وكلاء الامة  
 فقالوا لا نطيع الامراء بما نعصي به الحق والعدل وانما

نطيعهم ما اصبح العدل فيهم ولا طاعة للبر والمرد ظالم

فاتام وزير الملك يذكرهم امره ، ويذعوهم لطاعته ، ويحذرهم عاقبة الفتنة ، فاجابه  
 خطيبهم ميرابو : اننا الى مولاك وقلنا اننا مجتمعون في هذا المقام بامر الامة فلا  
 نتفرق الا بقوة النصال

فعاد الوزير بالخيبة والفشل يغالب عامل الغيظ ، ويقاوم فاعل الوجمل ،  
 فعظم هذا الامر ، على رجال القصر وصنائع النبلاء ، وانصار الامتياز ، فحملوا  
 الامير على مقاومة النواب ، واخذهم بالعنف والشدة فعزل من كان مستوزراً  
 من وسط الناس اي من غير الشرفاء ، وبث الجندي في ارجاء العاصمة ، فاهتز  
 لذلك اهلها اضطراباً ، وخرجوا على الدولة ثائرين يرومون وقاية النواب ،  
 ويلتمسون الحرية والمساواة ، واندفعوا كالسيل على قاعة المدينة فاقتلعوها من

الاشياخ  
 السليمان  
 السليمان

تصحيح النواب  
 على سنة  
 الخديوي  
 مستقداً  
 للعدل

السليمان  
 السليمان  
 السليمان

ايدى الجند منشدين :

الا هيا بني الاوطان هيا      فوقتُ نخاركم لكم تهبيا  
تقيموا الراية العليا سويا      وشنوا غارة الهيجا ملبا

عايكم بالصوارم يا اهالي      ونظم صفوفكم مثل الالاي  
فامامت كهل في النزال      فان الارض تنبتة صبيا

منيتم بالمقيم من العناء      فكان وجودكم عين الفناء  
فوتوا ان طمعتم في البقاء      فن اودى شهيدا اعا حيا

فانخلع بذلك قلب الامير جزعا ، ورام الفرار التماس النجاة ، فقبض عليه في قرين وأعيد الى العاصمة اسيرا ، ثم كان من امر محاكمته واهدار دمه ما يخرج بيانه عن حد مطلبنا فانا لم نجعله تأريخا لثورة الفرنسيس وانما اتينا بذكرها مثلا وعبرة لقوم يدكرون . وليعلم الصابرون على العنف ، الطامعون في النجاة من الخسف ، كيف ادرك الناس من قبلهم هذه الغاية ، فانقلوا من الضعف الى القوة ، ومن الذل الى العز ، ومن الرق الى الحرية ، فارتفعت رؤوسهم ، وانبسطت نفوسهم ، وصارت اوطانهم بغية المرتجي ، وعقوة المتلجي ، لا يخاف نزيلها ضيما ، ولا يخشى دركا ، اذ الشرقيون عموما والمصريون خصوصا بين انياب الطامعين ومخالب الظالمين

واني لا اطمع الان للمصريين في مثل هذه الحال وان خاضوا لها غمار  
الاططار واقتمموا اليها الاهوال ، فان الطفرة محال . ولا احثهم على الفتنة ،  
وان كانوا كما تصور المتنبى حيث قال

كفي بك داء ان ترى الموت شافيا      وحسب المنايا ان يكن امانيا  
وانما ابين لهم ان النعمة لا تملك من غير تعب ، وان الغاية لا تدرك من

غير طلب ، وان النجاة وقف على سبيل الهمة وان النجاح معقود بارادة الامة ،  
 لتظهر عليهم علائم القصد ، فتكون طليعة لجيوش العزم . فيعلم المستخفون بهم  
 انهم لا يزالون احياء ، وان كانوا من ظلمهم في ظلمات القبور ، فيقبضوا عنهم  
 ايدي الظلم ، ولا يظلموا في بيع اولادهم من الاجنبي عبيداً يحفرون المعدن ،  
 ويفلحون الارض ، ويطوون الشراع ، ولا يطعمون كراعاً ، ولا يطعمون في باع .  
 اقول قولي هذا واسأل الله ان يرفع من شأن اوطاننا ماوضع السفهاء وان  
 يحفظ من حقوق اهلها ما ضيع الخائنون

### النداء المسموع

سأطرح سادتي واخواني لقد ظهر لكم من قول الصحف الاجنبية ان الدول  
 الاوربوية لا تكره ان تراكم ساعين في التماس حقوقكم ، متداعين الى القيام  
 بواجباتكم ، ناهضين باذارة اعمالكم ، ذائدين عن حريتكم واستقلالكم . فما  
 هي تلك الحقوق وما هي تلك الواجبات ؟

قد حق للانسان ان يكون حراً فيما يقول وفيما يفعل مما لا يخالف  
 قانون العدل والحق المنصوص عليه في : ولا تفعلوا بالناس ما لا تريدون ان  
 يكونوا بكم فاعلين

فهل من حرية القول ان تاعى جرائدكم الداعية للحق ، وان يبعد منكم كل  
 ناطق بالصدق ، ام من حرية الفعل ان يكون زارعكم عبداً للشيخ لا يصدر  
 الا عن امره ، ولا يتحرك الا بارادته ، وشيخكم عبداً للعمدة ، والعمدة للمأمور  
 والمأمور للمدير ، والمدير للوزير ، والوزير والامير للمستتر الاجنبي يقودكم جميعاً  
 بسلسلة مما صنع في بلاد الانكليز ، ليلقي بكم الى النهلكة وانتم تبصرون  
 وحق له ان يكون حراً في ماله لا ينهبه الناهب ، ولا يسلبه السالب

وحرراً في رأيه ، يقول ما يعتقد ، ويعتقد ما يتعقل ، وحرراً في امره يوليه  
من يشاء .

فهل من حرية المال ان يؤخذ منكم تارة بالضرائب تُفرض من غير علة  
ومرة ، بالامانات تؤكل بلا عوض ، وحيناً بالرشي تهضم بدون اثر ، وتجمع  
منكم درهماً بعد درهم ليُدفع دنانير مؤلفة للهـ الرقاص ، والسنور المغني ،  
والموسيو الكاذب . وهل من حرية الرأي ان ينزل فيكم قول المنافقين منزلة  
الوحي والالهام ، يعاقب من يخالفه ويكفر من يأخذ به ، وان تُكرهوا على  
اظهار الطرب والسرور بما تضربون من الطبول ، وما توقدون من الشموع على  
حين يغنيكم عن ذلك الضرب ، ضربان القلب ، وعن تلك الشموع ، نار  
الضلوع ، ام من حرية الامر ان يتولاه فيكم من لا تعترفون كفاءته ، او من  
تعتقدون خيانتة ، او الاجنبي لا يميز بين رأسه والذنب ، او من يرميكم به  
المنافق ليرهقكم بيده الجمالة الحطب ، كل هذه الحقوق المقدسة الطبيعية قد  
حرمت عليكم وهي احل من عقاب خائنكم ، فاصبتم في عالم الانسان بمنزلة  
المجرم الساقط الحق ، على أنكم لم تأتوا من منكر يوجب هذا القصاص الاليم  
بل استغفر الله فقد اتيم منكرآ لا يغفر ، في صبركم على المنكر ، ومن اغضى عن  
النكر على علم به ، ومقدرة على ازالته ، فقد شارك اصحابه ، واستحق عقابه ،  
واهملتكم ما حق عليكم ، فلا غرو ان تحرموا ما حق لكم

اجل . فقد وجب على الانسان ان يصون شأنه ، ويحمي مكانه ، ويخدم  
اوطانه ، ناهضاً في خلال ذلك بما تقضي به الحرية ، وما يستلزمه العدل ، وما  
يوجبه الشرف الذاتي من تأييد حق ، وتفنييد باطل ، وحفظ كرامة .  
فهل من صيانة الشأن ان تخفضوا جناح الذل وتحنوا رقاب الطاعة  
لمن لا شأن له الا فيما يشين ، ولا دأب الا في اضاءة الشرف الثمين .

وهل من حماية المكان ان ينهبه اللص وانتم مستيقظون، ويهدمه العدو  
وانتم مطرقون ، ويبلغ الكلاب في مائه وانتم واردون ، ويهتك الفاسقون  
خدوره وانتم مبصرون .

وهل من خدمة الاوطان ان تروها على شفا الهاوية ولا تراكم منجدين ،  
وتبصروها في مجالس الظلمة ولا تجدكم مفتدين ، تموت ولا تموتون اسفا عليها  
اذن لقد ادعيتم الحب وما انتم في الدعوى بصادقين ، بل رحم الله شاعركم  
حيث قال

فيا نخجلي اذا قالوا محبتي ولم انفعك في خطب دهاكا

تموت ولا اموت عليك حزنا وحق هواك خنتك في هواكا

فلا تعتبروا الزمان فيما ابتلاكم فانتم اعوانه على انفسكم بما تهملون من الواجبات ،  
اذ كيف يحصد البر من لم يكن زارعه ، وكيف يدرك الغاية من لم يكن طالبا ،  
وكيف يطمع بالراحة من لا يسعى اليها ، وكيف تدوم النعمة لمن لا يحرص  
عليها ، ام كيف لا ينخفض شأنكم ، ولا تؤخذ اوطانكم ، وانتم صابرون على  
حكم المنافقين

ومن طلب المنى من غير جد اضاع العمر في طلب الخال

### الحزب الوطني

في مصر

لقد رأينا الامم والملل في كل زمان ومكان فرقا واحزابا تختلف آراؤهم  
في الاحكام المدنية والدينية من حيث التقييد ، والاطلاق ، والتطرف ،  
والاعتدال ، والملك ، والجمهرة وهلم جرا

يختلفون في هاته المسائل على انهم متفقون في الوحدة الوطنية ، فالانكليزي  
 يكون من اهل المحافظة ، او من حزب الحرية ، او من رأي الاطلاق التجاري ،  
 او على مشرب الحماية ، الا انه انكليزي على كل حال ، والفرنساوي يكون  
 امبراطورياً ، او ملكياً ، او من اهل الجمهورية ، او اباحياً ، على انه قبل ذلك  
 فرنسوي لا محال .

رأينا ذلك وسمعناه ولم نر في الناس من امة تختلف آراؤها على نفس  
 وجودها الاجتماعي بحيث يكون التعريف بالوطنية مخصوصاً ببعضها دون  
 بعض .

ولكن مصر ارض المعجزات . فلا بدع ان تكون مظهراً لحوارق العادات .  
 نعم ان الامة المصرية فريقان يعرف احدهما بالوطني والاخر . . بما لا  
 نجد لتعريفه حداً فانه ليس بالغريب فيوصف بالاجنبي ، ولا بالفاتح الدخيل  
 فيعرف بذلك وانما هو مصري وليس بمصري ووطني ونيس بوطني .  
 فوا حيرتاه في تعريفه . .

بل القول فيه ما جاء في ( مصر الفتاه ) على حين صدورها مفوضاً  
 تحرير جانبها العربي الى هذا العاجز وهو تعريف الحزب الوطني بالاستقلاليين  
 والاخر بالتدخليين . فالتدخليون هم الافراد المتهاككون على تدخل الاجنبي  
 في امور بلادهم يتوسلون بذلك للرئاسة والولاية ، ويسترضون الدخيل بما  
 يفضح الحق والوطن ، ويبيعون منه ديارهم بما يظعمون فيه من باطل المقام ،  
 وزائل الحطام .

وهم الان اصحاب الامر ، لهم الملك ، وللاجنبي الحكم ، ولهم القشور  
 والمدخيل الباب ، فهو في محرم الخدور ، وهم الحجاب على الابواب  
 والاستقلاليون هم الفئة المجتمعة والجمع الكثير ، يرومون حفظ الحقوق

الوطنية، وكف يد الاجنبي عن استقلالهم بان يعطى ما استحقق فلا يطمع  
فيما وراء الحق - وبعبارة اجمالية - يريدون ان تكون مصر للمصريين .  
وعم الان حلفاء الصبر، بعد بنهاؤهم ويعنت وجهائهم و يقيمهم اللوماء  
هدفاً لسهام الانتقام

وقد عني التدخليون بتشويه محاسن الفرقة الوطنية بما يذشرون في صحفهم  
وما يستكتبون في صحف الاجنبي من الكلام المفترى متغلبين في ذلك تغلب  
الافعى ، متلونين تلون الحرباء ، فتارة يسمونهم بحزب الترك القدماء ، وطوراً  
بحزب التعصب الديني ، وآونة يرمونهم بالنفرة عن كل نجاح وصلاح ، ومرة  
يتهمونهم بعداوة الاجنبي عن دينهم على اى مشرب كان  
وقد آن أن نضع لهذه الارجيف حداً ، وان نرد كيد اللوماء في نحوهم  
فالحزب الوطني غير متعصب . . الأ في وطنيته . والحزب الوطني غير  
معاد . . الأ للغائبين .

يروم احياء مصر لاهل مصر ، وترومون امانتهم جميعاً يا ايها اللوماء .  
ويريد ان يكون المصري في مقام الانسان مستقلاً بوجوده ، متمتعاً  
باستقلاله ، فائزاً بحقوقه ، ناهضاً بواجباته ، وتريدونه في منزلة الحيوان يساق  
للحرث ، فان عجز فللسلخ ، ثم تجعلون من جلده ربقاً لاخوانه وسياطاً للمقاومين  
ويطلب ان يكون الوطني مساوياً لجاره ، غير معارض في داره ، يحدد  
مماً يزرع للعيال ، لا لاهل الاغتيال ، ويحني مما يفرس للاولاد ، لا لاهل  
الفساد ، وتلمسون ان يكون غريباً في آله ، مصادراً بما له ، يطعم من يبيعه ،  
ويؤمن من يروعه ، ويحفظ من يضيعه ، ويصون من يبيعه ،  
ويقول الحرية حياة الافراد ، والاستقلال حياة الجمع ، فلا بد لافرادنا  
ان يكونوا احراراً ، ولا بد لجمعنا من الاستقلال .

ونقولون الحرية تبطل آمالنا ، والاستقلال يفسد اعمالنا ، فلا بد للافراد  
ان يكون على رقابهم يد من حديد ، ولا بد للجمع من التفريق والتشريد  
وينظر الى مصلحة الوطن واهله ، وتنظرون الى المنصة والدينار ، ويخدم  
الامة حباً بالامة ، وتخدمون الاجنبي حباً بالمال .

فهذا شأن الحزب الوطني وهذا شأنكم يا ايها المنافقون ، فهو الفوز المستقبل ،  
وانتم البهرجة الحاضرة

وهو مصر بما بها من فضل وذكاء ، ونباهة وعزم ، وان كره الخائنون  
وهو ما تعلمون وما تنكرون .

ولسوف تعترفون . . . يوم تكمد الوجوه ، وتضيق الانفاس يوم ترفع  
الامة اصواتها ، وتنشر راياتها ، يوم ينادي منادي الوطن ، يا اهل مصر  
انقذوا مصركم

ان ذلك اليوم ليوم شديد  
ان هذا اليوم ليوم عتيده

فذلك

دع الزمان يصيب المخطئون به      حظ المصيبين والمغرور مغرور  
وازرع صواباً وخذ بالحزم حيطته      فلن يذم لاهل الحزم تدبير  
فان ظفرت مصيباً او هلكت به      فانت عند ذوي الالباب معذور

قرن الوعل

صدر امر العمش ، من مجلس الكمش ، في منشور العمى بان تطفأ الانوار ،  
ويجب الضياء عن الابصار .

فان كرهت الكناية فقل صدر الامر بالحظر على جريدة مصر، ان  
تدخل ارض مصر،

ولا يداخلك العجب، فلا بدع لاهل الظلمات ان يكرهوا الضياء، ولا  
عجب من اللصوص ان يجاولوا اطفاء نور الله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو  
كره الظالمون

ثم قف باطلال الفخار، في تلك الديار، نبك الهمم والعزائم لا الحبيب  
ولا المعالم . . .

اما الصحيفة فلا تخش عليها الحظر، ولا تخف الحجر، فان لها في مصر  
الف باب، ولكل باب الف سبيل، ولظالما رأيت حامي الغاب فلم تخش  
زئيره، فكيف ترهب حامي الباب او تخاف هريره، فقل لموعدها بالقتل  
تبت يداك، وقصرت عن بعض ذلك، فياخب قد عرفناك، ويا جهام قد افناك،  
ويا جاهل قد رحمتك، مذ رأيناك .

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها واوشى قرنه الوعل

### الثورة

تصورتهم فرقا واوزاعا باسماي تشف عن الجلود، يتدافعون في المسالك  
صائحين، يتلقون سيوف الجند بما قطعوا من الاشجار، ويقابلون كرات البنادق،  
بما اقتاعوا من الاحجار، زاحفين مكشوفة رؤوسهم للسائفين، مفتوحة صدورهم  
للمرماة. يتسمون للموت سامة من الحياة، فلا ينشون عن القصد حتى يقف آخرهم  
على رأس اخيه، من ربوة اشلاء ذويه، فيرفع يده اللوآء صائحا: ليفن الظلم:  
او ينزع من صدره النصل مناديا: لتحي الحريية: فقلت ما لهؤلاء الناس يهرقون  
الدماء، ويقتالون الرؤساء، ويفسدون في الارض، قالوا الحجب الدماء، ودفع

الغلبة ، وجلب الصلاح ، قلت ' وكيف تسمون ما يفعلون ، قالوا الثورة قلت  
هي الدواء ، بالتالي كانت هي الدواء .

وتخياتهم من قبل ينسلون جموعاً وأحاد تهش عليهم الذئاب بعصي  
الرعاة سوقاً الى مجازر الجور ، ومسالخ الفجور ، ويمجلون بقيود الرق في سجون  
ذوي الرئاسين ، فتارة يقتادهم ذو الرداء الاسود لارض يزرعونها ، وزرع  
يحصدون . مشغولين في ذلك بياض نهارهم ، وسواد الليل ، يجلبون واسع  
الرزق لقوم عطلي لا يشتغلون ، وحيناً يتلمهم ذو الطيلسان الاحمر لطائفة  
يفزونها ، وثأر يدر كون له فيستमितون في ذلك متناسين شيوخاً واسوم اطفالاً ،  
ونساء علقوهم فتباناً ، وولداً اعانوهم كهولاً ، مستقرين على رغمهم تحت ظلال  
قلاع تحجب الشمس والهواء عنهم لا يحمدون فيها البقاء ، ولا يستطيعون  
الجلاء ، وانما امرهم لسادة ملكوا رقابهم بحجة مثبتة في سجل الوهم . فهم على  
الحالين ، عبيد السطوتين ، يموتون في سبيل الطاعة غير ماجورين وتسلب اموالهم  
غير مشكورين ، فاحياتهم بسلمة ، ولا للمال بياق ، ولا العرض بمصون ، فقلت  
لا تثريب عليكم فيما ارتكبتم بعد ذلك فمن لم يزد عن حوضه يهدم

ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرها

وبعد فما انتم باصحاب الثورة ، وانما اصحابها الذين يوجبونها بما يظلمون

ثم رأيتهم عصابة احراراً كما وجدوا ، وخيراً من ذلك وابقى ، تجمعهم  
الوطنية ، ووحدة الحقوق كما تجتمع الذرات حجراً صلباً . فلا يخافون الرئيس الا  
الآفيا وضعوا له من الاحكام ، ولا يتبعون الزعيم الى غير القصد الذي يطلبون  
ولا يؤثرون عن ما لهم ، الا ما يعينون لتدبير احوالهم ، فهم الآكلون اذا زرعوها ،  
والمالكون اذا صنعوا ، والقاصدون اذا تداعوا للقتال ، تبسط ايديهم فيما يعالجون  
من الاعمال شأن العاملين لانفسهم من قبلهم ومن بعد . فلا تجد في قطرهم

ارضاً مواتاً ، او قرية خراباً ، بل نما في ارضهم الزرع ، ودرّ لهم الضرع ،  
وجاوزت العمارة ما يمكن تمثيله في الخيالة ، حتى صارت ديارهم مدناً ، ومدنهم  
امصاراً ، ومصرهم أم الدنيا ، وهم هم الانسان .

فتأملت بعد ذلك في حالة الشرق فرأيت فيه بقرات سمناً تأكل البقرات  
العجاف ، فقلت تلك رؤيا فرعون الأعداء فقد غيره الزمان ، فمن لنا بذي  
فطنة يوسفية يعبر الرؤيا لاصحابها ، ويتدارك النازلة بما تقتضيه لا بما يلهم ،  
فنحن في فترة غضبت بها السماء على الارض ، فخبست عن الناس الهامها ، فقيل  
كلنا ذلك الرجل . فقلت صدقتم من وجه تعبير الاحلام ، لا من حيث  
العناية والاهتمام .

وعدت الى شأنه القديم ، اسأل ماضيه ، عن آتية ، فرأيت في تأريخه  
الفتن ، والثورات ، والحروب ، والغارات ، ملئت بذكرها الاسفار ودلت عليها  
الآثار ، تتسابق الاقوام اليها زحفاً زحفاً ، ويتبارون فيها ضرباً ضرباً ، حتى  
كأنما غضبت رؤوسهم على الاجسام ، او اشتاقت نفوسهم الى الحمام  
فقلت ما لهؤلاء الناس يفعلون ما فعل الغريبيون وفوق ذلك ، ولا ينالون  
بعض ما نال اولئك ، فقالوا لا يقاثلون عن انفسهم ولا نحسبهم على بينة مما  
يقصدون . وانما يقتادهم الطامعون بسلاسل الوعم فهم في الثورة دُعاة زعيم  
وعصاة زعيم لا ينشطون بها من عقال ، الا ليربطوا بآخر من مثله او اشد .  
فيكونوا كالمستجير من الرمضاء بالنار

فأيت الأأمسك القلم عن تهيه الخواطر لثورة الانفس حتى ارى في  
منبتي ما رأيت في غيره من محاسن آثارها ، والأعدل عن مقاومة الظالمين  
حتى ارى قومي امة نقول ما نعتقد ، ويؤخذ بما نقول الا والآ ابرح متوسلاً  
لنبياء الشرق بحرمة المجد القديم ، ووحدة الذل الجديد ، ان يضرموا في

موت  
المستمر  
الزمن  
القديم

موت  
المستمر  
الزمن  
القديم

موت  
المستمر  
الزمن  
القديم

القلوب نار الغيرة والحمية، حتى أرى الشرق وطناً عزيزاً .

ولا عزاً للوطن إلا بالامة ولا وجدان للامة إلا بالحرية .

### اقامة الحجّة

يا للاقدام ويا للجزاءة

لقد اتى النبهاء في مصر شيئاً اِداً، بكادُ يزلزلُ ربي الحيف ويهدُّ

حصونَ الظلم هدأ .

اقاموا الحجّة على الظالمين مبديةً من امورهم ما خفي فابوق ، وما ظهر فاثق . لم يخافوا عاملهم في ذلك الحق ولم يرهبوا من بث في القطر من اعوانه الطواغيت ، يطمسون على الافكار ، ويضربون الستور على الابصار ، وينصرون الليل على النهار ، ثم يجوسون خلال الديار ، سارقين منتهبين ، لا يتسترون ولا يتهامسون ، كأنما غرهم سكوت الناس فخالوهم نياماً .

ووسعوا الالسنه بما ضاقت به الصدور ، من موبقات الجور ، ومنكرات الفجور ، لم يأخذهم وعيد الظالم ، ولم يرهبوا من اصطنع من اللؤماء اخواناً ، ومن جعل من الادنياء غلماناً ، ومن اتخذ من الاخساء عبداناً ، ينشرهم في البلاد ، كما انتشر الجراد ، يذلون الوجهاء ، ويعتنون النبهاء ، ويصادرون الاغنياء ، ويستعبدون الفقراء ، معاقبين من خالفهم جلدًا بالسياس ، وغلاً بالقيود ، وطعنًا بالانصال ، كأنما اغواهم الصبر صبر الكرام ، فقالوا اموات رفات ومارأينا لجرح بميت ايلاماً . فما حيلة العامل في هولاء القوم .

يصرف الملك - ملكهم - الى الاجنبي هبةً ، وييعا ، واقطاعاً ، ويجمع

المال - ما لهم - في خزائن الامناء . لا يفعل ذلك لغرض في النفس -

تنزيه نفسه عن اعراض الاعراض - وإنما ياتمس الراحة للمصر بين ، فيبعدهم

عن متاعب الحياة الدنيا من تديير الملك ، واقامة المال ، فمن كان منهم بالامس  
غنياً واسع الملك يقلب رأسه على الوسادة ارقاوتفكيراً فيما فعل الزارع ، وما رعت  
الانعام ، وما شاد المعمار ، فهو اليوم اخف من الريشة ، وانقى من الراحة ،  
يتوسد الحجر ثابت الرأس عليه .

يفعل بهم كل ذلك وفوق ذلك ولا يراهم شاكرين فيقضي عليهم بما وضع  
من الحد تاديباً وزجراً لعلمهم بهتدون . فمثله معهم - وهو ارفع من ذلك قدراً -  
عجوزاً اصاب بالشرك بازياً فقصد جناحيه ، واضفاره الطويلة تخفيفاً عنه  
وتنظيفاً ، ثم اتته بالطعام طيبخناً جيداً ، فلم يأكل فأدبته ضرباً بالملعة وهي  
تقول يا عدو نفسه ذق مما كسبت يداك .

فقد انبأنا مراسلنا المصري ايده الله أن جماعة من نهباء الوطن قد بعثوا  
الى ديوان التصفية بتقرير وطني النزعة ينكرون به على الحكومة همضم المقابلة  
انتزاع عليهم وافتئاتاً ، وتميزاً بينهم وبين الاجنبي ، ويذكرون في عرض ذلك  
ما اشتهر من فساد اعمالها ، وما ظهر من اختلال احوالها مصرحين بنفرة الانفس  
منذرين بسوء العاقبة فكبر ذلك على الظالمين ، ولا بدع أن يبتس اللصوص  
من ظهور النور ثم جاء بالتلغراف ان الادارة المختلة قد انشبت مخلب ظالمها  
في زعماء تلك العصابة ، فادعتهم السجن بدعوى ان شكواهم موجبة لفساد القلوب  
واختلال الاحوال .

فاماً اقامة الحججة فهي ما دعونا اليه ، وحشنا عليه ، غير مرّة ، ولكن كان  
بودنا لورفع ذلك التقرير الى الدول الاوربوية معرباً عن مقاصد الوطنيين ،  
هانكاً سيجوف الرياء عن اعمال الخونة الظالمين ، معيناً ما سلبوا من الحقوق ،  
وما انتهكوا من الحرم ، وما اهلوا من الواجبات ، مفصلاً ما ارتكبوا من الفظائع  
والموبقات ، مشعراً بوجود الحياة في القطر المصري .

على اننا نحسب اقامة الحجّة في ديوان التصفية خطوة واسعة في هذا السبيل . . . واول الغيث القطر .

واما انتزاع الادارة على ذوي الحجّة فهو من لوازم وجودها الاستبدادي . . . ولا شك انه لو رفع التقرير الى الدول مبيّنة فيه توابع اصحابه ، لقصرت ايدي الظالمين عن ان تمد اليهم بما يضر . على انهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وانما العاقبة على من رام إخفات اصواتهم بالعقاب فزادها شدة وظهوراً . كذلك يكرر الحق باعدائه مكرراً نبيلاً ، يحجب عنهم انواره فيسلكون سبل الوبال ، متعثرين باذيال الجهل ، لا ينتعشون من عثرة حتى يصابوا باخرى من مثلها او اشد ، ولا يبرحون خابطين في ظلمات الغواية حتى تقوم عليهم قيامة الافكار ، تسير معهم حيث ساروا ، وتصبح معهم حيث اصبحوا ، وتسمي معهم حيث امسوا ، ويقال سحقاً وبعداً للقوم الظالمين .

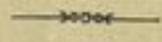
ولسوف يرى سادتنا النبهاء صحة ما نقول اذ ترد اليهم الصحف الاجنبية متفقة الاراء على تسفيه الخونة ، وتسوئة الظالمين ، واذ نسمعهم — ولا نعد وعداً بعيداً — ان نواب الامة في مملكة الانكليز وجمهورية الفرنسيين يسألون دولتهم عما تراه في شأن مصر وينكرون سياستها السابقة ويذكرون في عرض ذلك ما بسطناه غير مرّة من مفسد الادارة

فخنانيك يا مولاي . . . لا تؤاخذ محباً للانسانية لم يبعها منك بخمسة وعشرين او بمائتين وخمسين اشتراكاً في صحيفته

وبعد فما حاجتك يا مولاي بهذا الصوت الضعيف وقد نخت الجواب بين يديك بوقها ، وضربت جرائد مصر في ناديك طبولها وهي — ومن جعلك ولي نعمتها — اعرف من هذا العاجز باستعطاف الخاطر ، واجتذاب الدرهم ، وتمويهه الباطل ، وتشويه الحق .

بل ما حاجتك بالطبول والضاربين ، والبوقات والناخين ، والازجال  
 والمادحين ، والعريية والمستركة تراها في جريدة التملق ، والقبطية المستعربة  
 تقرأها لصاحب التشدق . الست القائل . لا اخاف المصريين انهم قطع  
 من الغنم اهش عليهم بعضا الراعي سوقاً الى حيث اشاء . اولست الزاعم انهم  
 لا يفهمون خطاباً ، ولا يحسنون جواباً ، ولا يعقلون . فان عقلوا ، فلا يقولون  
 وان قالوا ، فلا يفعلون

ام رأيتهم يعقلون نخفت منهم القول ثم سمعتهم قائلين فداخلك الوهن .  
 اجل . . . واسوف تراهم فاعلين . . . فلا تحسبن امهالهم اهمالاً . انهم  
 ينظرونك الى غدٍ وان غداً لناظره قريب . . .



### المقيم المقعد ✓

اخبرنا احد الالباء من الخلان قال حدثني الضرورة الى بهو النقاد فرأيت في  
 المنتدى ، ومن حوله جماعة كالديبا ، في رأسهم شبح بين الصبية والفتى ، وفي ذنبهم  
 شبي مغوى ، اذا ابصرته العين نُقلَى ، وهم يوسعونه مدحاً وثناً ، يقولون ما  
 رأينا لك ندأ في من نرى ، ولا سمعنا بمثلك في من مضى ، فقد بلغت من الفضل  
 المدى ، وادركت الغاية القصوى ، فما يدرك شأوك من سعى ، وان كان من  
 الجراد اسرى ، فلو انصفناك لمثلناك حياً ، وجعلنا لمثلناك مقاماً معلّى ، ينجح  
 اليه ويلبى ، كما كانت الجاهلية تسعى - وقدرك في ذلك اعلى - الى  
 اللات والعزى

ففغر ابا لهب ، فابان عن محشلب ، ومدحالة الخطب ، ان كان منه على  
 سقب ، قال لا تحسبني ذا غهب ، او مصدراً هولاء النخب ، في ثنائهم المنتخب ،  
 ولا يأخذك العجب ، من مدحهم المقتضب ، فانهم لم يذوقوا من قبل الا

السَّعْبُ ، ولم يروا غير التَّعَبِ ، ولم يسكنوا إلاَّ السَّرْبَ ، ثمَّ اعلينا مكانهم ،  
ورفعنا شأنهم ، فاستخفَّهم الطَّرَبُ ، فرأونا بعين الرضى والولاء ، فنطقوا بالمدح  
والثناء ، فسبحان من جعل لكل شيء سبباً .

فرفع المخاطب قُبْعَتَهُ ، وادلى على العنققة شَفْتَهُ ، وقال اني اخاف ان يكونوا  
من الصادقين مقالاً ، فيقيموا لك هيكلاً وتمثالاً ، خزفاً او خشباً او صلصالاً ،  
فيجرد الناس علينا السنة طوالاً ، ويفتحوا للسلب مجالاً ، ثم يستنفروا الى الصنم  
اوشاباً واطفالاً ، يحسبونه خدروفاً او يتخذون جوفهُ فتلاً ، فتصيح العامة ما  
رأينا مثل هذا اوالا ، ونقول الزعماء بدعة لم نجد لها مثلاً ، تعيدنا الى الصنم  
وساء ذلك مآلاً ، فيهبج كل من تعصب في الدين وغالى ، نافرين اليها خفافاً  
وثقالاً ، فنذوق منهم عنتاً ووبالاً .

فالتفت العامل الى القائميين بين يديه ، وحدجهم بعينيه ، ثمَّ قال يا قوم  
اني اعلم منكم الولا ، واعتقد فيكم الصدق قولاً وعملاً ، واني لو قلت 'الست'  
بربكم لقلتم بلى ، ولكن رب سعي يجلب البلا ، فدعوا امر التمثال ، الى ان  
تستقر الاحوال ، فبسطوا الاكف ، وخفضوا الطلى ، وقالوا سمعاً للامير في  
ما تلا ، انا لا نأخذ بهذا الامر الا من قبيل الاستعداد ، ليحلى على وجه السدا ،  
متى حان وقت الجلا .

ثمَّ خرجوا من الندوة يتضحكون استهزاء ، ويتجارتزون هراء وبناء ،  
يقول احدهم نمثل العامل صغيراً ، معتدل القوام نصيراً يحمل كأساً ونقاراً ،  
وعوداً ومزماراً ، فذلك يسر الافرنج فانهم مولعون بالغناء . فيجيبه الاخر لقد  
هذوت ، وهذرت ، واخطأت ، وكفرت ، بل نمثله خارجاً من مجلس النواب ،  
وعليه لوائح الاضطراب ، فذلك يثبت له الصبر على البأساء فيصيح غيره لقد  
خطأتما ، وعفكتما ، وخطأتما ، وافكتما ، بل نمثله حاملاً باليد اليمنى الاوطان ،

فذلك يرضي الانكليز بلا مرآة ،

قال المحدث ولو سئلت لقلت انكم جميعاً مصيبون ، نثلوهُ كيفما تشاؤون ،  
ثم عربوا خطاب شيشرون لكاتلينا وحوّلوا اليه ، فانه منطبق عليه ، وارسموا  
منهُ على قاعدة تمثاله ، بياناً لحقيقة حاله :

اي خائن وطنيه ، وباذل سكتيه ، حتى مَ تمنحن صبرنا بكبريائك ، والى اي  
وقت نكون هزأة لاهوائك ، والى اي حدٍ تنتهي بغلوائك . اما ترهبُ  
الحامية . اما تخاف الزعماء . اما تحذر سيرف الجند . اما تخشى لحظات الساخطين .  
الا تعلم انا كشفنا مقاصدك ، وعرفنا مفاصدك ، ام تحسب ان فينا من يجهل ما  
نويت ، وما كدت ، وفي اي مكان وُجدت ، واي النصراء حشدت ، واي  
الامور قصدت : يا الزمان ويا اللاطان : ان النواب يعلمون ذلك والرئيس  
يرى هذه المهالك وكاتلينا لا يزال حياً . . حياً يجي الديوان ، ويمتن الاعيان .  
حياً يجيل فينا الانظار ، ليعجل لنا البوار . حياً يقيم لنفسه هذا المقام ، ليعبد  
عبادة الاصنام . ونحن رجال ملء نفوسنا الشرف ، وملء قلوبنا الاقدام ،  
إذن لقد فسدت الارض وما عليها فعلى الدنيا السلام .

### المسألة الكلبية في مصر

لقد ضربت العرب الامثال المناعة . فقالوا امنع من عقاب الجو ، وامنع  
من لُهاق اللبث ، وامنع من حى كُايب . ولكن ما كل كلام بصالح لكل  
عصر ، فاناً في الزمن الذي يقال فيه : امنع من كلب الاجنبي في مصر  
حدّثنا الصادق بن الثقة قال اني اقص عليكم اعجب القصص ، ان  
قنصل الالمان في مصر مولع بالصيد والقنص ، ينتهز لها الاوقات والفرص ، وله من  
بني جنسه رفيق يسكن اليه ، ويعول في اختيار المصايد عليه ، وقد خرجا في

اوائل الشهر ، الى ضواحي محروسة مصر ، لتبعها كلاب طوارد معربة عن  
مُضمَر المصايد

من كل كلب عنترى الحملة اذا رأى شخص مهابة عبته  
وان تراءى بقر الوحش اندفع كأنه المرنج في الثور طلع  
قاصرة عن يده عيناه مشروطة برجله أذناه

حتى اذا وصلا بقعة مفتوحة الابواب للاطيار ، تومى ، اليها بالاغصان وتبسط  
لديها الازهار ، خرج اليهما اهل القرية معارضين ، يقولون اختاروا غير هذه  
البقعة من الارضين ، فجرت بينهم مجادلة ، اوشكت ان تفضي الى المجاورة ،  
ومناقشة ، كادت ان توّدي الى المناوشة ، ثم عاد القنصل ورفيقه مغضبين ،  
يتوعدان القرية بعقاب ما سمعت بمثله أذن ، ولا رآته عين . ولما ابعدا عن  
الزمره حانت من القنصل نظرة فرأى الكلاب ناقصة جرواً ، فعاد الى القوم  
عدواً ، فلم يجد للكلب عيناً ولا اثرأ ، فازدادا حنقاً وكدرأ ، وسارا قاصدين  
المدينة ، حاملين ما لا تطيق الجبال من الضغينة . وانطلق القنصل بلباس الصيد  
الى وزير الخارجية ، يطلب رجوع الكلب اليه او يجعل امره مسألة سياسية  
فاهتز الوزير لذلك اضطراباً وعدّ فقد الكلب مصاباً وكتب الى مأمور  
الضبطية يقول :

من الخطوب والمشاكل ، والبلايا والنوازل ، والنقم والمصائب ، والرزايا  
والنواب ، ان كلب رفيق قنصل الالمان ، ( نلتمس العذر عن توالي الاضافات  
فهو كالاهتمام بشأن الكلب من احكام الضرورات ) قد تاه في بعض الاطيان ،  
فابذلوا المهمة في هذه المهمة ، وبثوا العساكر في الضواحي والارباض ، وبين  
البساتين والارياض ، وابعثوا بالوامر والمنشورات ، الى النواحي والمديريات ،  
ان تطلب الكلب في كل براح وصحراء ، وبراز وعراء ، وفضاء وجهراء ، وفي

كل متن ونجد ، وفد فدي وصر د ، وان لا تهمل من البحث حضناً ولا ربدآ ،  
ولا سفحاً ولا سنداً ، فان لم تجده فالعزل اقل جزاء المديرين ، والحبس ايسر  
عقاب المأمورين ، والسلام على من من وجد الكلب واعاده ، فذلك من اهل  
الهناء والسعادة . اه

ثم كتب الى وزير الداخلية منهيماً بالامر اليه ، فاظلمت الدنيا في عينيه ، واستدعى  
رئيس الشرطة ، وحثه على رفع هذه الضغطة ، وما برح الوزيران والمأمور في  
قلقي واضطراب ، وجزع واكتئاب ، حتى وجد الكلب في بعض الارضين ،  
فجني به مع ثمانية من عمدتها يحملونه صاغرين ، ثم أودع العمدة السجن اخذاً  
بشرف الكلب ، وانتفى عن رجال الحكومة الغم والكرب ، ورأى الناس من  
الوزراء بعد هذه العثرة انتعاشاً ، وبعد الانقباض بشاشة وهشاشاً .

### التردد

× اذا كنت ذا رأي فكن فيه مقدماً فان فساد الرأي ان تترددا  
ووال الزمان اذا والاك ، وخذ منه ما اعطاك فهو ملول يألف الصد ،  
وبنجيل لا يألف الرد . وانتز فرص الحوادث فالعمر وان طال ، اقصر من  
ان يسع المطال .  
واعتبر بالذين يقتلون الايام ، بين الاحجام والاقدام . ويؤجلون للغدا  
امكن بالامس الى ان يمتنع الامكان ، بما يحول دونه من مصاعب الزمان كيف  
تلاشت احوالهم ، وساء ما لهم ، فصاروا الى الضعف بعد القوة ، والهرم بعد  
الفتوة ، والحمول بعد النباغة ، والخصيف بعد الوجاهة حتى عاد مجدهم صفاراً ،  
ومسخ فضلهم عاراً .

وانظر الى الذين ينيطون الاقوال ، باطراف الاعمال . ويستلبون

الاقوات ، من مخالب الآفات وينتهزون الفُرص كيف سُمحت ويدخلون  
ابواب السعي متى فُتحت . هل زلت بهم الأقدام ، ام ندموا على الإقدام ، ام  
أسفوا كما يأسف المهملون ، ام خسفوا كما خسف المترددون .

او ما تراغم في ذروة المجد ، وربوة النعمة ، وعقوة الحرية ، لا يبلغ شأوهم  
الساعون ، ولا يمسه الشقاء ، ولا ينالهم الظالمون بسوء . فهم القادرون اذ ارغبوا ،  
والمدركون اذا طلبوا ، والعالمون اذا نطقوا ، والسابقون اذا لحقوا . يتسم  
الحياة لشيوخهم ، كما يتسم الموت لفتياننا ، ويروق الوجود لفقرائهم ، كما يروق  
الغنى لاغنيائنا . حتى كأن الزمان عاهدكم على الراحة ، وواعدكم باستمرار الهناء ،  
كما واثقنا على الجهد واستقرار البلا . ×

فبتنا نعاني صنوف العناء      ولسنا نرى في الانام معينا  
ودارت علينا رحي نكبة      تظل الحجارة فيها طحينا

فيا قوم : لقد مرّت بكم الأيام باسباب النعمة ، والنعمة ، والراحة ، والتعب ،  
والياس ، وازجاء ، فلم تستوفوا الرغائب ، ولم تجتنبوا النوائب . ولكن وقفتم  
بين الجزع والكسل ، والامل والمال ، فقر المرغوب ، وققر المرهوب ، فلم تخيبوا  
خيبة الساعي لتعذروا ، ولم تصيبوا اصابة المثبت لتتكروا ، ولم تدركوا الارب  
اتفاقاً لتذكروا . ×

وتلك حالكم شاهدة بما اقول . فقد بليتكم بما يذيب الشمع ، ويقرض  
اللحم ، وينقي العظم ، وانتم صابرون . ومنيتكم بما وفر القم ، وغير النعم ، واهلك  
النعم ، وانتم صامتون . ورزقتم بما جلب المصاب ، وهتك الحجاب ، وبرز  
الكعاب ، وانتم خاشعون . فما الذي تخافون . بل اي عناء لم تعانوه ، واي  
بلاء لم تقاسوه ، واي فناء تحذرون بعد هذا الوجود ، ام اي وجود ترجون  
مع هذا الفناء .

موسم  
الربيع  
الذي  
هو  
الخير  
والبر

لا جرّم ان مثلكم في الصبر ، على هذا النكر . كمثل بخیل ینفق العمر  
 في التماس المال ، ثمّ یحبسه عن نفسه وعن العیال ، راضياً بأسواء حال .  
 ومن ینفق الساعات في جمع ماله یمخافة فقر فالدی فعل الفقر  
 نقولون لا نرضی بهذا الخسف ، ولا نقوی علی احتمال الذل . فقد صار تاجرنا  
 عاملاً ، ونبیئنا خاملاً ، وعاملنا سائلاً ، فلم یبق فینا غیر الاجیر والتابع ، والشحاذ  
 والزارع ، والجندي منخض الجانب ، والشرطي منقطع الراتب .  
 بل زارعنا الذي یدفن مع الحبة قوّة یمینه ، ویسقي الغرس بماء جینه ،  
 نزیل فی دار ابيه ، وغریب فی ارض ذویه . یحصد مما زرع ولكن لسواء ،  
 ویجنی مما غرس ولا یدوق جناه .  
 وجملۃ الامر ان الشدة . قد بلغت في امرنا حدّ الحدّة . فصار ومن  
 دونه الخوف بعد الامن ، والسقم بعد البرء والیأس بعد الرجاء ، والفقر بعد  
 الغنی حتی لو استزدنا الدهر بلاء لما وجدالی ذلك من سبیل ، وحتى عذب الموت  
 بافواھنا والموت خیر من مقام الذلیل .  
 نقولون هذا وانتم في مراتع الایمال ، ومرابع الآمال . تحرصون علی  
 القناعة حرص البخیل علی درھمیه ، وتضنون بالاقدام ضنّ الجبان بدمیه .  
 وهل ینفع الخطی غیر مثقف یتظھر الا بالصقال الجواهر  
 وكيف ینال المجد والجسم وادع وكيف یجاز الحمد والعزم فاتر  
 بل ما اجدر القائلین من غیر فعل . بان یفعلوا من غیر مقال . أجل ولسوف  
 تفعلون .  
 وكأني بكم عصابة ، من اهل الهمّة والاصابة ترفعون الاصوات في طلب  
 الحقّ المسلوب ، وتمدون الاكف لالتماس المال المنهوب ، وتجعلون الابدان  
 للوطن سوراً ، یردّ عنه العدو مذعوراً .

وانتم الكلمة المتحدة ، والقوة المتجمعة هي اقوى من العدد الكثير  
الا انكم تترددون

× ياخذكم فيما ترومون عدل الخائفين فتنسون ماضي الزمان على رجاء آتية ،  
فيومكم ابداً مستهلك في غده والغد فيما يليه .

فيا حليف الصبر ، ويانضو العناء ، نداء مشاركي في باواك ، وسامع  
لنجواك . دع التردد ان اردت النجاح والنجاة ، وأقدم فرب حياة تكون في  
الموت ورب موت يجي . من طلب الحياة .

ولا تبع عاجلاً منها بأجل ما      ترجو فذلك امر شأنه الطول  
ولا يصدك عن امر هممت به      من العواذل لا قال ولا قيل  
نخير يوميك يوم انت فيه اذا      ميزت والناس محمود ومعدول

وله تحت عنوان

خواطر سياسية

اي : مصر : لا بد من الكلام في السياسية وان كانت حقيقتها وراء  
حجاب الغيب فهي دندنة تفتح لها الاسماع ، وشذشنة تألفها الطباع ، فاقترحي  
باباً للمحاورة ، ومطلباً للمذاكرة ، ووجهاً للبيان ، فانما نحن في موضوع كيفما  
انقلب صح فيه القياس .

او ما ترين كيف اختلفت الجرائد في اوجه المسائل بين السلب  
والايجاب ، والنفي والاثبات ، وهي جميعاً فيما يراه كل فريق ، وما يرهمة كل  
دليل ، على حق فيما نقول ، وعلى هدى فيما ترى . .

فان كان رأيها الحرب فلا ايسر من ايجابها ، ببيان اسبابها . او ليس ان  
الدول مدججة بالسلاح ، قائمة على قدم الكفاح ، اعدت العساكر ، وجمعت

الرسالة التي  
التي  
من الخيال لربط

الذخائر ، ومرّت الجند على حب القتال فظلموا لدم الأبطال ، وقدموا لحم الرجال ، حتى لو أمرهم القائد بالسير تعليماً وتعويداً ثم اشتغل عن أمرهم بالوقوف لاستمرّوا على سيرهم حتى يبلغوا أقرب العواصم إلى بلادهم ، ويلاقوا بعد الناس عن ودادهم . أو ما شكت الخزائن من ائقال النفقات ، واحتاجت المزارع إلى أيدي الجند ، وطال على الناس توقع المكروه ، وانتشبت الفتنة في جميع الممالك ما بني منها على الشورى وما بقي على الاستبداد ، فالعدمية في بلاد الروس والاجتماعية في ديار الألمان ، والاباحية في قطر الفرنسيين ، والناشدون للضالة في مملكة الإيطاليين ، واحزاب ارلنده في جزائر الأنكليز ، والكارلية في اسبانيا وهلمّ جرّاً . أفلا يدل ذلك على وشك وقوع الحرب شفاء لمطامع الرؤساء ، وتوسلاً لاطلاق الجند ، واهماداً للفتن العامة . .

وان كان ما تراه السلم فهو الظاهر للعيان ، الغني عن البرهان ، أو ليس ان ملك الإيطاليين ، ومملكة الأنكليز ، وقائد الألمان ، ووزير النمساويين ، وسائر زعماء الدول بصريحون على المنابر بين الاملاء بحرصهم على السلم ، ونفرتهم من الحرب . وان الأمم قد رأّت مساوية القتال فانكرته ، ومحاسن السلم فآثرتة ، فاذا رأّت من رجال الدولة ميلاً إلى الحرب تصدّت لمعارضتهم فكان الصواب ما نقول . فانما نحن في زمن لا قوة فيه إلا بالامة ، ولا حكم الا لها . اما الفتن في الممالك ، والمنافسات في بلاد الشرقيين ، فما هي الا سخابة صيف عن قليل نقشع

صدق السليون وما كذب الحربيون

فالامر بيد الأمم - في البلاد التي تبينت بها الحقوق ، وتعيّنت الواجبات - والامر كارهة للعرب ، راغبة في السلم . ولكن للامر زعماء يأخذون بالمالينة ، ان لم تنفع المخاشنة ، ولا يعارضون سبل الاراء . غير انهم يقتادونه من جانبيه

فيتبع فان رام هولاء الزعما. حرباً فلا يعجزهم طلابها ، ولا تمتنع عليهم ابوابها ،  
ولكن اكثر الناس من ذكر الحرب حتى قلَّ خوفنا من قرب وقوعها . فانها  
اقرب ما تكون الى القول وابعدها ما نراها عن الفعل . ولا يرد علينا بان السنة  
الحاق ، اقلام الحق ، فلذلك عصر حكمة ، ولكل مجال مقال .

### كتابي الثالث

#### الحريّة

ابدأ مقالي بالثناء على جرائم الضياء التي بعثتها يد العزيمة ، من افق  
الحكمة ، فانشق بها ستر الظلام عن ذات جمال كللها الحسن بتاج الكمال ،  
فجرت على هام الاوهام مطارف ثوب نسجته يد الصبح ، بنزل شعاع الشمس ،  
فانبهرت بها مقل الظلام . وراها نبهاء الناس نوراً على نور فرفعوا لها بينهم  
مناراً ، ووقدوا من حولها ناراً ، تهدي قوماً وتحرق آخرين . وما يحترق بها  
الا المكابرون الذين يقاومون الحق بسيف الباطل وبس ما كانوا يفعلون .  
ثم اسرح طرف المقلة ، في روضة تلك الطاعة ، واجعل تلوا استهلالي ، في رقعة  
اهلالي ، غزلاً ارق من الصبا ، واحن من عود الصبا ، في قدي لا يحاكيه الغصن ،  
وطرف لا يمائه النرجس ، وخذ لا يعادله الورد ، وثر لا يقارنه البرق ،  
وفرقي لا يباريه الصبح ، وفرع لا يباريه الليل . من صورة من تعشقها النفس ،  
ولا يدركها الحس . فهي مفردة بصفاتها ، لا تشبه الا بذاتها . يموت في  
حبها العشاق غيرة عليها ، ثم لا يمنعونها عن المشتاق اليها . فهي المورِدُ يراه  
الظمان ، والمؤمن يجده الخائف ، والسبيل يلقاه التائه ، بل مقصد الساعي يناله  
بعد اليأس ، وكلمة العفو يسمعها من كان على النطع . بل هي فوق ما يصف  
الواصفون ، وينعت العارفون . بل هي : الحريّة . وكفى بذلك وصفاً لقوم

يعقلون .

ثم اشفع ذلك بخبر ما ايدها بعد ما ضعفت ، وجدد ربوع مجدها بعد ان عفت . اريد الثورة التي وضمت احكامها ، ورفعت مقامها ، ونشرت على الناس انلامها .

اراسلكم به يا اهل ودي علي حين لا استطيع مشافهتكم بما حال بيننا من عقبات الظلم على انني اجمع النساء من متفرق الحكمة فانشدكم

اذا غاب وجهي عن حماكم لعلتي	فقلبي لديكم كل يوم يسلم
وما عاقني الا عدو مسلط	يذل ويقصي من يشاء ويرغم
ولم يستطل الا بكم وبجولكم	ولا ينبغي ان يذبح العز مجرم
فكنتموه فاستطال عليكم	وكادت بنا زيرانه تضرم
وجمع خوانا لصوصا اسافلا	ومنائم ان يقتلوكم وينعموا
فصلر له في كل يوم جباية	جباية الاف تعد وتختم
وصار لاهل الشر روح وراحة	به ولاهل الخير صاب وعلقم
وانتم عليه صابرون تتوجروا	ولكن صدم الشر بالشر احزم

ولقد بدت هذه الثورة في بلاد فرنسا سنة تسع وثمانين بعد السبعائة والالف من التاريخ الميلادي على عهد لويس السادس عشر اذ اختلت امور المالية بما كان الرؤساء ينفقونه من غير حساب على حين كانت خواطر الناس منتبهة من رقدة الغفلة بما سمعوا من نداء الخطباء ، وقوال النبهاء . وتقارير العلماء . فكان ذلك الاختلال ، كاشفا عن احوال الظالمين ما بقي عليها من مخوف الخداع والتمويه فهاجت به بحار الافكار ، وخاف اهل الدولة الفرق ، فرأوا ان يجمعوا مجلس الولايات للنظر في امور بيت المال وكان ذلك المجلس ضعيف الكامة ، مغلوب الامر ، الا فيما يلائم الرؤساء لكثرة عددهم ، وغلبة

رأيهم فيه . فقد كان الثلث الاول منه للشرفاء اي الذين تقربوا من الملوك  
 فيما سآف ، او اغتالوا بعض الناس ، واغتصبوا شيئاً من الارض ، فامتازوا  
 بذلك عن سائر القوم . والثلث الثاني لاهل الكهنوت ، اي لرؤساء الدين الذين  
 خالفوا احكامه ، بما تدخلوا فيه من امور الدنيا حتى انشأوا مملكة ، في وسط  
 المملكة . والثلث الباقي لسائر الامة اي لاهل التجارة ، والصناعة ، والزراعة ،  
 ممن تقوم الدولة باموالهم ، ويتأيد الملك بابدانهم ، ويعمر القطر بما يشتغلون .  
 فكانت لذلك غالبية الراء ، في جانب اعوان الدولة من النبلاء والروساء .  
 فدار بين الناس قول يتناقلونه همساً لا نرضى بالمجلس الا ان تحصل فيه  
 المساواة بالعدد بين وكلاء الامة نخافوا عاقبة المخالفة شأن الخائن المريب ، فامروا  
 ان يكون الانتخاب على ما تروم الامة فانتخب من النبلاء مائتان وسبعون ومن  
 اهل الكهنوت ٢٩١ ومن الرعية ٥٨٧ واحتشد جميع هولاء الوكلاء في مدينة  
 فرسايل خامس شهر ايار ( مايو ) من العام السابق الذكر . وفي اليوم الثاني  
 وقع بينهم خلاف على الحدود والحقوق اذ رام وكلاء الامة المساواة وابي النبلاء  
 الا حفظ ما كان لهم من الامتياز ، ثم انفصل هولاء عن الجمع فتألف اولئك  
 وقالوا لا حاجة لنا بهولاء الاغرار انا جماعة كافية بقوة الحق . الا ان الملك  
 عارضهم في ذلك واقفل عنهم باب المجلس ، فاجتمعوا في ملعب المدينة واقسموا  
 يمينا غموساً : انهم لا يفترقون قبل ان يضعوا البلادهم دستوراً : ولذلك سمي  
 مجلسهم بالجمعية الدستورية واني لاسميد - مبعث الحرية - فانه قد احياها  
 بعد وشك الفناء

وله من فصل

في العدمية

زعم البعض ان العدمية قد استجمعوا للمواقف ، وانفردوا بالمنكرات ،  
 فن مذهبهم ، المثبت لفساد مشربهم ، انهم لا يؤمنون . بالله . .  
 نعوذ بالله من هذا الكفر المبين . ولكننا لانحسب العدمية شيعة دينية  
 فان كان اولياؤها على الجحود فلا يكون ذلك من لوازم مشربهم وانما هو فيهم  
 كالنفور من خدمة الدين في احزاب الجمهورية . .  
 ومن ذلك المذهب انهم يقولون بالاشتراك في العرض والاموال ، وهي بدعة  
 جديدة لم يسبقهم اليها احد من الناس . .

عفواً ان العدمية لا يحسبون العرض مشاعاً ، بل العرض لا يشمل  
 الشيوع فهو النفس ، او النسب ، او الشأن ، ولا نعلم له من معنى يصح فيه  
 الاشتراك . فان كان الزاعم يكتفي به عن النساء على وجه جديد من المجاز  
 فالقول منقوض عليه من وجهين الاول ان العدمية لا يجيزون الاشتراك في  
 الزوجات والثاني ان هذه البدعة غير جديدة بين الناس . فالمرمون في اميركا  
 يشتركون في نسائهم ، والكومون في فرنسا يوجبون تقاسم الاموال .  
 اما العدمية فهي الطرف المقابل للاستبداد في الهيئة السياسية . قاله

وكتور هيكو ولعله اعرف بالحقيقة ممن ذهبوا ذلك المذهب .  
 ومشربها مقاومة الشر بمثابة . فالعنف بالشدّة ، والعسف بالغيلة ، والشنق  
 بالطنن ، والنفي الى سيريا بالحبس بين جدران القصور .

ومقصدها اعانت المستبد ، وتبنيه الخواطر ، وتحصيل الحقوق ، ورفع  
 لواء الحرية ، وكسر شوكة الاستعباد . ونعم القصد لولا ان وسيلته آخذة  
 بشيء مما يبعث عليه

## وقال في فصل سياسي

من تأمل احوال الممالك تأمل بصير يقرأ ما بين اضعاف السطور، ولا تشغله الظواهر عن حقائق الامور، علم ان منافسات الدول، ومحاورات اهل السياسة، ومناقشات صحف الاخبار، وتجهيز العساكر، وحصول المحالفات، ووقوع المحالفات، كل ذلك يدور على اربع مسائل مهمات، - الاولى في اواسط اسيا وموضوعها عند الانكليز: حفظ الهند من طوارق حدود الهند: والثانية في السلطنة العثمانية والايالة المصرية وموضوعها عندهم: حفظ الهند من عوارض طريق الهند: والثالثة بين الالمان والفرنسيين وموضوعها: الالزاس واللورين: والرابعة بين اوستريا واطاليا وموضوعها: التيرول وغيره من البلاد الايطالية الباقية في ملكية النمساويين: - وفوق هذه الامور مسألة الجنسية الكبرى الا انها لاتزال في عالم الخيال مع المدينة الفاضلة التي يتصورها الحكماء ولذلك فاننا نترك النظر فيها لشعراء الالمان واللاتين والصقالبة ونورد من خبر المسائل الواقعية لعمامة هذا المقام فنقول

ما توجهت خواطر الانكليز الى اواسط اسيا ولا تهوتت حكومتهم في قتال الافغان لاختضاع قوم صلاب القلوب، كبار النفوس، يرون العز في خلال الصفوف، والمجد بقتال الالوف، والجنة تحت ظلال السيوف، ولكن رأت سطوة الروسية منتشرة فيما وراء تخومها الهندية تسري في تلك البلاد الفيحاء، سري النار في الخلقاء، فرامت ان تجعلها اقساماً يتولاهها الموازرون للانكليز، المنافرون للروس، فتكون عقبات وحصوناً في طريق الروسية وما حرصت دولة الانكليز على الكلمة الغالبة، والسطوة النافذة، في البلاد العثمانية، والايالة المصرية، الا لصيانة بحر الاستانة وخليج السويس. فسانها في السلطنة التركية ان تهدم بقايا الاطلال، وتشيده على آثارها حصوناً

التي هي  
منها  
التي هي  
منها

انكليزية الاساس ، بريطانية القواعد تركيبة الصبغة نقيم عليها من الحمأة  
 والمرابطين من تثق بهم وتعول عليهم ، ودأبها في الامارة الخديوية ان نفصم  
 عروة الاستقلال ، وتطفى نور الوطنية ، وتجعل الامر مطلقاً بيد من يكون  
 اطوع من نعلها واتبع من ظلها ، بمعنى ان تجعل ولايات الدولة وفي جملتها مصر  
 اقساماً سياسية ممثلة للانكليز ، مناوئة للروس . ولهذا كان هم الروسية في  
 المسألة الاولى ان تعارض سعي الانكليز فيما يحاولون من التقسيم او تجعله ملائماً  
 لمصلحتها ، مؤيداً لسلطوتها ، وشأنها في المسألة الثانية ان تجمع تحت لوائها ما  
 انفصل وما سينفصل عن الدولة العثمانية من بلاد الصقالبة لتكون بذلك موازنة  
 لدولة الانكليز غالبية على امرها في تلك الجهات . غير انها لا تأمن في ذلك  
 معارضة الدولة النمساوية لما تعلم من اتجاه سياستها الى الشرق ياساً من السلطة  
 الغربية فهي بين الاحجام والاقدام ، والرغبة والرغبة يحوم نسرهما على ذلك  
 القصد ولا يستطيع الوقوع عليه

كطوف الغربية وسط الحياض تخاف الردي وتريد الجفارا  
 وهذا الذي اوضحناه من احوال هاتين المسألتين انما هو الوجه الشرقي  
 من السياسة العمومية واما الوجه الغربي فهو في مسألة الازناس بين الالمان  
 والفرنساويين ، ومسألة التيرول بين الايطاليين والنمساويين . فاما المسألة  
 الازناسية فان اختلاف مظاهرها بعد الحرب لا يدل على ضعف آثارها في  
 خواطر الفرنسيين فانهم على انفاق في وجوب ادراك الثار وكشف العار  
 واسترجاع الازناس واللورين من يد الالمان . وانما يختلفون على الوقت الملائم  
 لحل هاتيه المسألة فهي من هذا الوجه كالبركان تختلف مظاهر النار فيه بين  
 السكون والاضطراب ، والوميض والانهاب ، والنار في جوفه مستمرة الضرام .  
 واما مسألة التيرول فهي عند الايطاليين كمسألة الازناس عند الفرنسيين

كسجل  
 الردي  
 كسجل  
 الردي  
 كسجل  
 الردي

كسجل  
 الردي  
 كسجل  
 الردي

لا ينتظرون حلها إلا القوة الكافية، والفرصة الملائمة، فالامتان متفقتان في القصد مع اختلاف الموضوع فلا بدع ان يكون حصول المحالفة بين الالمان اعداء الامة الاولى والنمسو بين اعداء الثانية موجبا للتقرب والتظاهر بين جمهورية فرنسا وجمهورية النمسا ودولة الايطاليين كما يشف عن ذلك مسير ولي العهد الالماني الى رومية لتأييد روابط الوداد توجسا من تقرب دولتها الى الفرنسيين وكما يدل عليه ما تنشره الصحف المهمة من سعي الوزارة الفرنسية في تمكين علائق الود بينها وبين الدولة الايطالية

فاذا تقررا بسطناه من احوال هاتيه المسائل علمنا ان لا بد من حسمها على اي وجه كان فلم يبق الا ان نبين كيفية ذلك الحسم وهل نراه عمّا قريب او يكون بعيدا الوقوع مستمدين ما نبديه من اراء ذوي النقد، مستدلين عليه من طبيعة تلك المسائل، ومن احوال الدول في هذه الايام .

فمسألة الحدود الهندية تبعث الروسية ودولة الانكليز على التوغل في اواسط آسيا بحيث يفضي بهما الامر الى التماس والتلاحم فيقدح الزندان نار القتال ومسألة الخليجين توجب استمرار المنافسة الدولية والمناظرة السياسية، في سلطنة الترك، واية مصر حتى يتمكن الضعف من تينك الحكومتين فتختل منهما الاعضاء على صورة تستلزم الفصل والتجزئة فتقع نسور المطامع، وغربان الاهواء على تلك الاشياء قطعاً بالمناسر، وتمزيقاً بالمخالب، فتقوم بينها ثائرة الخلاف والمحايدة فترفع الامر الى مجلس المدفع الاكبر فتقضي كراته بينها ويكون الحق ما نقول . واما مسألة الالزاس ومسألة التيرول فان لها في خواطر الفرنسيين والايتاليين مكان العبادة من قلوب اهل الدين، تظهرها اقلامهم، ولا يسترها كلامهم، ولا تخلو منها احلامهم، فان ضعفت هذه العبادة بما يعظّم اهل الاعتدال، واحباء السلم، فان الجرائد المتطرفة من احزابهم تضمن تهيج الحقد

في صدورهم ، وتحريك الدم في عروقهم .  
 وأما حالة الدول فعلى السلم في ساحة النزاع ، او الحرب من غير قتال ،  
 فانها تزيد عدد العساكر ، ونفقات الزخائر ، ولا تألوا الجند تجهيزاً وتمريناً ،  
 والحدود تمكيناً وتحصيناً ، فقد زادت الروسية مقادير عسكرها مع اختلال  
 ما ليتهما بما انفقته في الحرب الآخيرة وما برحت اوستريا تطلب القرض بعد  
 القرض لنفقات الجندية ولا تزال ايطاليا تنشيء الدوارع العظيمة ، والمدافع  
 الجسيمة . أما فرنسا فقد بلغت نفقات عسكرها تسعمائة مليون من الفرنك  
 ولم تكن من قبل سوى خمسمائة مليون وأما المانيا فقد صارت بما استكثرت  
 من الجند وآلات القتال ، كمدينة احاط العدو بأسوارها واقام على حصارها  
 فهل يصح في قياس العاقل ، بل في وهم الجاهل ، استمرار هذه الحال  
 وهل تصبر أوربا على دوام الحرب من غير قتال ، وانقباض الوف الوف من  
 الايدي عن الاعمال وهي مسألة لا تحتمل الجواب  
 فاذا لاحت البدهة في الامر فان السؤال عنه جواب

وله في مجاعة حلب عام ١٨٨٠

بعض البلاء ينتهي الى بعض

هو الظلم حتى تمطر السماء بلاء ، فتنبت الارض عناء ، فلا تجد على  
 سطحها الأجساماً ضاوية ، في ديار خاوية ، وقلوباً تحترق ، في بلادٍ تحت رق .  
 وهو الجهل حتى تضيق الاخطار ، وتفتنى الاقدار ، وتبطل المهمم ، وتزول  
 القيم ، ويعفو العلم ، ويدرس الفهم ، ويستعلي الخامل ، ويستولي الجاهل ،  
 وتخفض الارؤس ، وتنقبض الانفس ، وحتى ترى  
 بكل ارض في شرقنا أمماً ترعى بعبد كأنها غنم

العلم  
دور

الجهل

يستخشن الحز حين يلمسه وكاد يبرى بظفره القلم  
 فقف بالربوع الدارسة المعاهد، العافية الآثار، وانشد هنالك عزماً اضاعه  
 الامل، ومجداً اخفاه الخمول، الأبقية آثار في المعالم، كبقايا الوشم في المعاصم.  
 وابك العز وبنيه، والفضل وذويه، حتى نبت الآس على القبور، وحتى  
 تسمع اصواتهم من وراء حجب العصور. بل دع النشد والبكاء في هاتيه الخطوب  
 الفادحة، فلا نفع للشكلى بنوح الأثمة، واقصد بنا مرابع النعمة، ومصانع  
 الرحمة، نسأل فيها الاعانة والاحسان لأسد عضها كلب الجوع، وآرام وقعت  
 في حبال الفاقة، واطفال يطلقون دموع المراضع يحسبون الباناً. فقد الف  
 القرب الاحسان، وتعود اعانة الانسان.

وانتل على كرامه ما جاءنا من خبر المجاعة في حلب وما بين النهرين. فقد  
 بلغت الحاجة من اهل الشبهاء ان النساء هتكن الستور، وخرجن من وراء  
 الخدور، وطفن باقلعة صائحات، معولات، مولولات، يلتمسن القوت  
 لرجال اضواهم الجوع فلزموا البيوت فخرج الوالي اليهن بوعود لا تغني عن الجماع  
 ولا تدفع الآمة فرجعن عنه آيسات، وطفن بالاسواق بيعتن الرجال على  
 الفتنة، قنوطاً من زوال المحمة، فانقض هولاء على الافران يلتمعون المنزلا  
 ينتهبونه.

أما ديار بكر وماردين وسائر ما بين النهرين من المدن القديمة الشأن فلم  
 تقف بها الشدة عند هذا الحد بل اتصل الموات باطرافها على مثل ما سمعناه  
 منذ عامين من اخبار المجاعة في بعض الهند واميركا حتى أكلت اطراف الغصون،  
 واصول الاشجار.

فحسى أن يكون لصوتنا الضعيف صدى تردده الصحف الوضاعة في  
 هاتيه الأسممة الزاهرة، فيقبل اهلها على مساعدة المصابين، ولا يضيع الله اجر

المحسنين

« وقد ترجم هذا الفصل عامئذ ليثبت في بعض جرائد باريس على »  
 « رجاء ان تنتج الاكتاب للاعانة على ما تعودته في مثل هذه الحال »

وله ايضا

تأمل

بلادنا احسن البقاع تربة وهواء ، واصفاها سماة وماء ، واوسعها مرتعا  
 وفناء . كانت فيما سلف نقل الملايين من ذوي النعمة والرفاهية ، يستخرجون  
 منها ما يحتاجون اليه ، ويفضل عنهم ما يتجرون به ، وذلك مع توالي الحروب  
 وتواتر الغارات ، واستمرار المنافسة بين الامراء والدول .  
 ونحن ذوو ابدان شهدت بقوتها حوادث الايام ، واهل صبر دل عليه  
 ثباتنا في التائب ، وارباب اقدام اقر به الاعداء ، وحلفاء قناعة اثبتها الجور  
 والفقير . كنا اهل السطوة غير معارضين ، وارباب الثروة غير منافسين . تزين  
 بضائعنا الامصار ، وتعمر صنائعنا الاقطار ، وتثير معارفنا الافكار .  
 فمالك البلاد التي وسعت الوف الانوف تضيق عن المئين ، وكيف  
 صارت قوة اهلها ضعفا ، ومسح مجدهم ذلة وخسفا .  
 هل انقلبت الارض ، ام غضبت عليها السماء ، ام فسدت القلوب ، ام  
 عميت الابصار ، ام هذه سنة الزمان في ابائهم .  
 كلاً . ولا عتب على الزمان فهو النهار تضيء شمسهُ ، والليل يطلع بدره  
 والربيع يزين الارض بازهاره ، والشتاء يروي المزارع بمطاره . ولكن هي  
 البصائر غشياً وهم الكمال في العادات ، ودعوى العصمة في التقاليد ، فاحتجبت  
 عنها حركة الخواطر في بلاد الغرب ، فسار الناس ونحن واقفون وحركتهم

عواملُ الفيرة وضماناً مبذبةً على السكون .

فإن لنا بذني غيرة يهتكُ سجوفِ الاوهام عن البصائر ، ويجلو حقائق  
الامور للابصار ، فزرى نفعنا في اعتقاد الكمال ، وخطانا في ادعاء العصمة ،  
فنبتذ ما جناهُ علينا السلف ، من اسباب التيه والصلف . وتقرّب للنعمة  
بوسائل الاجتهاد ، فان قصر العمر عن الوصول الى غاية النعمة ، ودرجة الهناء  
فلا اقل من يموت الشرقي عن سعي يشكر ، واثري يذكر .

فمن عاش في ذلٍ فذلك ميتٌ ومن مات عن فضلٍ فذلك خالدٌ  
ومن لم يميت بالسيف مات بغيره تنوعت الاسباب والموت واحدٌ

فذلك

قائد الغفلة الأملُ والهوى قائد الزللُ  
قتل الجهلُ اهله ونجا كلُّ من عقلُ  
فعلَى مَ الوقوف في ساحة العجز والكسلُ

وله مطلبٌ مطوّل في

الشرق

قال .

تمهيد

قد التزمتُ لهذا المطلب اسلوبُ التقرير ، وعدلتُ فيه عن منهج الخطابة  
الشعرية لاعتقادي بان الاسلوب الخطابي وان كان اسرع تأثيراً في القلوب ،  
واحسن وقعاً في الاذهان ، الا انه قد يميلُ بالكاتب الى جانب التخيل الوهمي ،  
في مكان التقرير العلمي ، فيرتفع بيانه عن المدارك التي سبقت اليها الملكات

الصناعية الحسية فلم ينبق بها من محل ملكة الخيال المسماة شعراً، فيفوت الغرض المقصود من البيان والبلاغة وهو تقرير المعاني في الافهام، من اقرب وجوه الكلام. وجملته اقساماً متناسبة، وفصولاً متواليه، ارسل فيها الكلام ارسال مقرر مبين، ولا اتكفه تكلف متمق مزين. فان احكام التقرير منافية لهذا التويه الذي يسمونه بديعاً. وانما يؤخذ به عند رسم التخيلات عسى ان يكون منفيًا عن محاسن الحقيقة بل ربما جاء التخيل في غنى عنه بما يزينه من المعاني فكان وقوعه فيه كالصبغة في الوجنة الحمراء، والخضاب في اللمعة السوداء، يعثان على الظنون، ولا يزيدان الوجه حسناً.

القسم الاول

فصل

ما هو الشرق *ما هو الشرق*

ليس من شأني البحث اللغوي لاعرف الشرق بكونه المشرق، ولا البحث الفلكي لاقول هو الجهة التي نخالها مطاعاً للشمس، وانما انظر في هذا المطلب الى التاريخ السياسي في البلاد المسماة شرقاً. فشأني في تعريفه ان ابين حدّها الطبيعي والجغرافي وكيف عمها اسم الشرق مع اختلاف مواقعها، وتباين جهاتها، وتباعد اقاليمها، فاقول

لم ار في شيء مما قرأت من كتب السلف الكرام، ما يشعر بورود هذا اللفظ في كلام العرب بمعناه المعروف في هذه الايام، وانما اطلقوه بعد الاسلام - بصيغة ظرف المكان - على جانب من فتوحهم تمييزاً له عن بلاد البربر والاندلس التي دُعيت مغرباً. الا ان سكان الجانب الغربي من اوربا قد

اطلقوه على البلاد الواقعة في جهة الشرق بالنظر اليهم فعمّ الصين ، واليابان ،  
 والمغول ، والهند ، والعربية ، وايران وفينيقية ، وغيرها من اقطار اسيا . بل  
 اتصل ببعض البلاد الاوربية كالروم ، والبلغار ، والصرب ، ثم توسع فيه من  
 تعلم منهم باللغات الشرقية ، ومن بحث في الاثار القديمة ، فعمّ جزائر المحيط ،  
 وافريقية ، ولكنهم لم يتفقوا فيه على حد معين او تعريف معلوم . قال لاروس  
 اللغوي الفرنسي في مطلب الشرق من قاموسه الكبير ما معناه : لم ار من  
 كلمة اضيق سبيلاً ، واوسع غاية ، واضعف تحديداً ، من هذا الذي يسمونه  
 شرقاً . اه . وقال اصحاب الانسكلوبيديا اي جامعة العلوم في هذا المطلب ما  
 مفاده : قد اختلفت مذاهب الكتاب في تعريف الشرق ، وتوعدت فيه اقوالهم  
 بين التخصيص والتعميم ، حتى تعذر تعيين حده وتعسر تحديده معناه . فمن  
 موارد هذا اللفظ في اقوالهم على وجه التخصيص انهم يسمون دولة ارومان  
 بالقسطنطينية دولة الشرق - كما كانوا يسمون دولة الالمان بدولة الغرب - ويكونون  
 عن مذهب الروم في تلك العاصمة بكنيسة الشرق - كما يسمون بيعة رومية  
 كنيسة الغرب - ويعبرون عن اميركا بالهند الغربية كما يصفون الهند بالشرقية -  
 ومن موارد على وجه التعميم انهم يطلقونه على افريقية ، وبلاد الاوقيانوس ،  
 وغيرها مما ليس بشرق بالنسبة اليهم . اه

وجملة الامر ان تعريف هذا اللفظ عرفي لا ينطبق على حكم علي ، او  
 حد جغرافي . والمشهور فيه انه يطلق على بلاد اسيا من دون القسم الروسي ،  
 وعلى بلاد الروم من اوربا والقطر المصري من افريقية . وربما اناط به الغربيون  
 معنى الخشونة جرياً على سنن القدماء من الرومانيين في حسابان كل من خرج  
 مسكنه عن حدود مقاطعتهم بربرياً . بل هم في ذلك اشد كبراً وازدراء بالناس  
 من ابطال رومية فان هولاء لم يزيدوا على ان وصفوا الاجني بالبربرية اما

اولئك فيحسبون لفظ الشرق متضمناً معناها مع اعتقاد كثير من علماءهم بان  
اصولهم ، ولغاتهم ، ومذاهبهم ، وعلومهم ، انما هي مستمدة من الشرق  
على ان الاوربيين وان اختلفت آراؤهم في تعريف الشرق وتحديدده ، فقد  
اتفقوا على الاعتقاد بانحطاط الشرقيين عنهم في رتبة الوجود وانالفوا على السعي  
في اذلال شأنهم ، وخفض مكانهم ، كما يدل على ذلك ما نسمع من اقوال  
خطبائهم ، وما نقرأ من تصانيف علماءهم ، وما نشهد من اعمال زعمائهم ، فهم  
والحالة هذه عصبه على الشرقي من اي محتدي وعلى اي مشرب كان يصرفون  
عنايتهم الى استخدام واستعباده ، ومحو استقلاله ، وفتح بلاده ، فاذا اختلفوا  
فعلى تقسيم الغنيمه بين الفاتحين ، لا على وجوب الغارة (التمدينه) على القوم  
(المتوحشين) فان كره الشرقي ان يكون مصدقاً لما يزعمون ، ومقرّباً لما يلمسون  
تعيّنت عليه المدافعه عن استقلاله تحت لواء الاتحاد ولا يكون الاستقلال  
جديراً بالصيانة الا ان يكون مقترناً بالحرية ولاحرية الا بالحق المعين ، والواجب  
المبين ، ولا حد للحقوق والواجبات ، الا بالعلم ، ولا علم ، الا بالحقائق ، ولا  
حقيقة ، الا في البحث المطلق ، ولا اطلاق للمقيد بسلاسل الاوهام . فان  
تعذر الاتحاد العمومي بين الشرقيين ، فلا اقل من حصوله بين الشعارين بقرب  
الخطر من بقايا دولة الشرق العظيمة المعروفة بدولة العرب وما ادراك ما دولة  
العرب .

### × دولة العرب

× شعلة سرت من الحجاز فانارت الشام والعراقين ومصر ، والمغرب  
والهند ، واتصلت باطراف الفرنجة فملاؤها نوراً وناراً ، فهي بنورها تستضيء  
ومن نارها تقتبس . ثم هبت عليها عاصفة الفتنة ، ونكباء الخنة ، فلم يبق  
من ذلك النور غير شفق التصوير ، في أفق التذکر : — بل آية رسمتها يد

القدرة في كتاب الأيام ، فتلتها السن العزيمية على محفل الإقدام ، فدفعت  
 جاهلية العرب الى الغارة على من انزفتهم النعمة من ممدنة الارض ، فسارت  
 اسود رجالاتها على طيور خيولها تطوي الصحارى ، وتقطع الغداف ، حتى  
 نطحت بروقي عزمها شرفات الايوان ، ونسرت من الشرق نسر الرومان ،  
 ونشرت على مصر اعلامها ، وضربت في الاندلس خيامها ، فبنا عظمت دولتها  
 واتسعت ثروتها ، تناوحت فيها رياح الخرافات فطفأت نور علمها فصارت ضياؤها  
 ظلاماً ، وانعمت بباء النعيم فخذت نار عرقها ولكن لم تكن برداً وسلاماً :—  
 فمن رأى العرب مئات من الرجال يفتحون مصر الفراغنة ومملك القياصرة  
 وبلاذ القساطلة وسلطنة الاكاسرة ، ينكرهم اذ يراهم الوف الوف يقادون بخيطة  
 مما نسجت العنكبوت . ومن سمعهم يقولون لا ميرهم ان رأينا فيك عوجاقومناه  
 بجد السيوف ، يجب من رضاهم بفساد الاحكام ، وصبرهم على التواء الحكام ،  
 ومن وقف على شروح ابن رشد ، ومطالعات ابن سينا ، وخواطر ابن جبر ،  
 ونقارير الغزالي ، وسمع المعري ينشد

رويدك قد غررت وانت غر  
 بصاحب حيلة يعظ النساء  
 يجرم فيكم الصها صباحاً  
 ويشربها على عمد مساء  
 يقول لكم غدوت بلا كساء  
 وفي حاناتها رهن الكساء  
 وان فعل الفتى ما عنه ينهى  
 فمن جهتين لا جهة أساء

يندهش اذ يلقاهم مقتصرين من العلم على ما لا يجلب خيراً ولا يدفع ضيراً ،  
 يعتقدون مذاهبهم فيه بالاوهام ، او باضغاث الاحلام ، او ينيطون اسبابها  
 بالسماء فيخطئون من حيث يريدون الاصابة ، ويصيبون من حيث لا يعلمون  
 وينذهل اذ يجدهم راضين عن الكساة المتراهبين ، والجهالة المتجاوزين ، يقبلون  
 منهم اكفاً لا تعرف الطهارة ، ويستحلون منهم ابداناً انفت منها الستارة ،

مجالس  
 في  
 القصر  
 الخ

مجلس

حتى صار الكسلُ عندهم من المعاشِ، والخور من المفاخر، والجهل من الملاجئ،  
والذهول من الكرامات، كأن لم يبقَ فيهم من عالمٍ عاملٍ بيددِ الاوهامِ،  
ويدي الحقيقة للافهامِ، وكأن لم يكن بينهم من عابدٍ فاضلٍ يدفع البدعَ  
السنية، ويجلو حقيقة الشريعة، وكأن لم يبقَ فيهم من شجاعٍ نبيهٍ يسعى في  
ضمِّ العصبية ولم الشملِ، وجمع الكلمة، على اقامة امر العدل : - . . .  
كلاً والله ثم كلاً : انهم لا يعدمون عالماً ناصحاً، ولا نزيهاً صادقاً، ولا  
نبيهاً هماماً، وانما اولئك نفرٌ يمنعهم الخوفُ من الاقدامِ، ويردعهم اليأسُ من  
الاهتمامِ : -

ولكن لا خوف يا قوم ولا بأس : - وكيف تخافون ومنكم القائل لا  
يعدُّ من رزقي ولا يقرب من أجل ان يقول المرء حقاً وكيف تياسون وتاريخ  
ابائكم يقرب الآمال . . . الستم في الارض التي اقلتهم، وتحت السماء التي  
أظلمتهم، او ليس ماؤكم هو الذي وردوه، وهو اؤكم هو الذي انتشقوه، فما  
بالكم تعجزون عما استطاعوه (؟) أشاكت الارضُ فصار ما تبث ضيلاً،  
لا يستطيع الى النمو سبيلاً . . . والآن فما للحجاز مجوز الانوار، وما للشام  
مشووم الاحوال، وما لمصر مقرونة الطالع بالعسر، وما للعراق مؤذن العز  
بالفراق، وما لحلب متواليه النوب، وما لليمن فاقد اليمن، وما لتونس عدية  
الأنس، وما للغرب منهمل الغرب : -

لم يكن في كل هذه الاقطار نفرٌ من اولى العزم تبعثهم الغيرة والحمية،  
على جمع الكلمة العربية، فيتلافون احوالها قبل التلاف من متوازيين، متوازيين  
كالبناء المرصوص او كمنخور تلاحمت فصار ركامها جبلاً حصيناً لا تؤثر فيه  
العواصف، ولا تضعضه الزلازل

بل ما ضر زعماء هذه الامة لو سارت بينهم الرسائل بتعيين الوسائل ثم

حشدوا الى مكان يتذاكرون فيه ويتحاورون، ثم ينادون باصوات متففة المقاصد  
 كأنها من فم واحد: لقد جاءت الراجفة، لتبعها الرادفة، وهبت الحاصبة،  
 تليها العاصفة، فذرت حقوقنا فصارت هباءً منشوراً بالأمم وبنات القارعة،  
 ووقعت الواقعة، فصرنا كأن لم نغن بالامس ولم نكن شيئاً مذكوراً. فهل ننشد  
 الضالة ونطلب المنهوب، لا نقوم في ذلك بامر فئة دون فئة، ولا نعصب  
 لمذهب دون مذهب. فنحن في الوطن اخوان تجمعنا جامعة اللسان، فكأننا  
 وان تعددت الافراد انسان...

أيجسبون ان ذلك الصوت لا يكون له من صدى، ام يخافون ان يذهب  
 ذلك الاجتهاد سدى، ام لا يعلمون ان مثل هذا الاجتماع منزهاً عن المقاصد  
 الدينية، منحصراً في العصبية الجنسية، والوطنية، مؤلفاً من اكثر النحل العربية  
 ينزل الدنيا اضطراباً، ويستميل الدول جذباً وارهاباً، فتعود للعرب الضالة  
 التي ينشدون، والحقوق التي يطالبون، ولا خوف على زعمائهم ولا هم يحزنون.

### ان وراء الامة ما وراءها

ان الجرائد العربية المصرية المتعصبة للإدارة العاملة بما فطرت عليه من  
 كراهية الهيئة الوطنية، والصحف المداجية لها (مراعاة لحوال الزمان والمكان).  
 تضرب طول المدح لهاته الإدارة على ما قررت من الفناء بعض الضرائب، فيرقص  
 المغرورون على نعمات تليقها رقصاً يذكر بعضهم بايامه السانفة فينشد بعد احتجاب  
 النهار بسحابة الدجى - اذا نذرت اياماً به سلفت اقول بالله يا ايأنا عودي -  
 فهل خفي عن تلك الصحف ان ليس من شفقة الصياد على الطير القاؤه الحب  
 بين يديها. او لم تعلم ان القائل بهمجية المصريين، المعتقد بانحطاط مداركهم،

المصرح بضعف عزائمهم ، المجاهر بالازدراء بهم ، لا يطعمهم هذه الفتات الا  
 ليسهل على الانكليز هضم قوتهم ، والتهام ثروتهم ٠٠٠ وهل ذهل المصريون  
 مع ذكائهم عن هذه الوسيلة الضعيفة ، والحيلة السخيفة ، ولم يعلموا ان مثلهم في  
 هذا الامر كمثل من كان غنياً ، يسكن قصرًا علياً ، فأخذ ماله ، وساءت حاله ،  
 فسكن بيتاً صغيراً ، او كوخاً حقيراً ، وسره من ذلك ان اجرة هذا الكوخ اقل  
 من اجرة ذلك القصر ٠٠٠ اني اجل عن هذه نهاء مصر : —

كلاً ٠ ان الجرائد المصرية لا تجعل حقيقة الامر ولكنها لا تستطيع  
 التصريح علماً بان الاصم العازم على سرقة الحقوق الوطنية يكره النور . فاذا  
 حاوت الجرائد اظهاره سارع الى اطفائه بتعطيلها والغائها . وان الامة المصرية  
 لا تؤخذ بهذه الوسائل ولا تصاد بتلك الحيايل ، علماً بان نبذها من الخدم  
 والمناصب ، وقطعها عن التجارة ، والزراعة ، والصناعة ، وسلبها الاملاك ،  
 والاطيان ، ومصيرها الى الكناسة ، والفراشة ، والخفارة ، والبوابة ، لا يوازيه  
 رفع الشخصية ولا يعده شيء من الحسنات . فمن كان في ريب من ذلك  
 فاولئك يحصل لهم اليقين اذ تصير وكالات النظارات ، بأيدي الاجانب ، وقر  
 بقية الاطيان ، من ايدي الوطنيين ، وتكون سكة الحديد لشركة انكليزية ،  
 فرنساوية ، كما انبأت بذلك صحيفة الديبا على لسان الموسيو شارل غبريال : —  
 بل الجرائد لم تقوَ على الكتمان فقد قرأنا في اضعاف سطورها ما يدل على  
 اضطراب الحكمة من زوال الراحة وانتفاء الامن ، ووقوع السلب ، والنهب ،  
 والقتل ، في العاصمة فضلاً عن الضواحي والقرى : فدانا ذلك على ان الامة  
 المصرية غير راضية عن عمالها وغير متهيبة من ذوي ادارتها تعلم ان سمن هذه  
 الاعمال ورم ، وان السم في السم ! —

فما العاقبة وما المصير ٠٠٠ يحتمل استمرار هذه الحال (?) أي يمكن بقاء هذا

الاختلال ! ايرضى الرئيس ان تزول من ألقلوب محبته ، وتمحى من الانفس  
 مهابته (؟) الا يعلم ان صبره على العامل الذي كرهته الجهادية لما يعتدون فيه  
 من خيانة الوطن ، وأبغضه روساء الدين لما يعلمون من انحرافه عن الشريعة ،  
 وعاداه سائر الوطنيين لما يعرفون من اجنبية مشربه ، يوجب تغير القلوب عايه ،  
 ونفور النفوس منه ، بل يحمل على الاعتقاد بضعف نفسه عن النهوض باعباء  
 الامور ، وانه راض من الرئاسة بالاسم ومن الحاكمية بالرسم . .

على الدنيا السلام ✓

✓ اذا صار الذنب رأساً ، والظهر صدرأ ، والغوي اماماً ، والبغي رئيساً ،  
 وعلى الحياة العفاء ، اذا نبذ النبهاء ، وساد السفهاء ، واسترجت النساء : -  
 يا اهل مصر افي محدثكم غريباً : اذا كان امرؤكم خیاركم ، واغنياؤكم  
 استخياكم ، واموركم شورى بينكم ، فظهر الارض خير لكم من بطنها . واذا كان  
 امرؤكم شراركم ، واغنياؤكم بخلائكم ، واموركم الى نسائكم ، فبطن الارض  
 خير لكم من ظهرها .

وكتب الى احدى الصحف العربية في اوربا

✓ إي هذا المتمتع بالحريّة تحت سماء الانسانية ان لك في هذا القطر  
 اخواناً يقاسون من العذاب الواناً : -

من عصبه لما توسطتهم ضاقت علي الارض كالحاتم  
 كانوا من سوء افهامهم لم يخرجوا بعد الى العالم  
 فارعنا السمع لنبت النجوى ، ونبسط الشكوى . فانما  
 نحن والله في زمان غشوم لو رأينا في المنام فرعنا

اصبح الناس فيه من سوء حال حق من مات منهم أن يهنا  
 سلب بهاء الملك ، وذهب نماء الأمة ، ونضب ماء الوطن ، فلا ترى إلا  
 جائعاً يلتمهم ، ونهما يهتضم ، ومغيراً يغتنم ، وحقوداً ينتقم — وتأيد امر الاجنبي  
 في السياسة ، والادارة ، والقضاء ، وحدثنا العارفون الثقات ان سياستنا من  
 الاجانب عدد كثير يتولون الادارات ، في المدن والمدبريات ، اما الوطني  
 فقد استعبد : —

عبودية تويس الامين له ان يباع وان يفندى  
 فليس له فرج يرتجيه من الرق غير تمني الردى

وكتب رحمه الله الى احدى الصحف : - والعصر ان الظالم لفي خسر . فاذا  
 الخواطر ثارت واذا الالباب استنارت واذا روائد الاخبار سارت فبشراهل  
 الظلمات بعذاب الانوار انها لتبهر الابصار وتشرّد الافكار : -  
 سميت يا ابن الاجتهاد وجاهدت في الحق خير جهاد وتلوت علينا من  
 آي الحرية ، ما أوحى اليك الانسانية فقلنا ذلك البيان لا ريب فيه . فيه  
 هدى للشرقيين : -

وقد زعم بعض الناس انك تختصر مصر في سعيك ، وما علموا ان شمول  
 البلاء قد عم الشرقيين فما يقال في فريق منهم ينطبق على الآخر من اكثر  
 الوجوه ، فان خصصت فقد حصل التعميم ، وان عممت فان ذلك هو النفع  
 العميم ، ولقد اذبت القلوب السورية اسفاً على حال المصريين حتى كاد ما  
 اظهرت من مصائبهم ، يذهب بذكرى نوابنا لولا ان تكون منقوشة على  
 الصدور ، ولولا ما يهبجها من الامل في انقضاءها بما يهي لها مدحتنا من دواء  
 الاصلاح . ولا بدع فان اليأس يذهب الامل ، فاذا عاد الرجاء عاد كالعضو

لا يكون به من الم اذا خدر ، فاذا اخذ الخدر في الاختفاء ، اخذ الام في  
الظهور

— الحبشة —

لا تزال مسألة الحبشة مظلمة كوجوه اهلها يزعم غوردون باشا ان المالك  
يوحنا لا يقوى على القتال لانه محفوف بالاعداء والمنافسين على انه لا يستنكر  
من وقوع حرب على شرط ان يبدأ بها المصريون . فان تمت للتيمس هذه  
الامنية — لا بلغتها — بشرنا المصريين بان ستختم سلسلة بلايا ثم بمدبر يغلق  
باب حجرتهم على قرابة ومزمار ، ثم يبدي من الشباك رأساً تميله العقار ،  
ويخطب في الحاشدين من حول الدار — ان فحمت — ( اي فهمت ) واتم  
اهب الى — ليطي احب الي ) من كابي ( اي قلبي ) . فيكون لعاملهم من  
مثله نصير ، ولا غرو فالدهر الجنس الملتق موع بمراعاة النظر

وكتب رحمه الله

— سليم افندي نوفل في باريس —

قد جاء باريس في هذه الايام حضرة البليغ الذي لا يجارى ، والفاضل  
الذي لا يسارى ، الابنه الأنبيل ، سليم افندي نوفل وهو طراباسي المحتد  
عثماني الاصل كبرت نفسه عن احتمال العسف ، فضاق ذرعه عن ملاقاته  
العنف ، فسار من بلده مهاجراً ، واتخذ الروسية مستقراً فعرفت دولة الروم  
قدره ، واكرمت وفادته فصار من اوليائها الخاصين . ففسرت الدولة العثمانية  
في مهاجرتهم من وجهين الاول انها فقدت نبياً يستميل القلوب اذا خطب ،  
ويجتذب الافكار اذا كتب ، والثاني ان هذا النبيه الذي كان من ابنائها ،

قد صار من نصرآء اعدائها . فوا رحمتاهُ للملكِ يبحث بظلفه عن حتفه ووا اسفاهُ  
على دولةٍ تأخذ بما يضرُّ وتنبذ ما ينفع . . وينذرها الهبوط بالسقوط ولكن  
ابن من يسمع . . .

### وكتب رحمه الله

القلب ولوعٌ بالامل عزوفٌ عن ضيم اليأس ولكن الفكر يميل الى التعليل  
فينتقل تارةً من المؤثر الى الاثر وطوراً من الاثر الى المؤثر متصرفاً في المعاني  
لادراك المطلوب فاذا استترت عنه بالتلبس والتعسف عاد عنها بالخيبة وهذه  
حال افكارنا في هذه الايام فانها ما برحت تتصرف في معاني اقوال اهل  
السياسة وارااء اصحاب الجرائد لتدرك منها نتيجةً راهنة حتى اشككت عليها  
الامور، والقي على نتائجها حجابٌ مستور . نعدت عنها جازمةً بان السياسة بعيدة  
من مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة وعدنا الى حالنا من التردد نسأل  
هل يكون حربٌ ام سلم فيبدو لنا من اضطراب السياسة وتخالف اهل الرئاسة  
ما يوجب بذاته ان تصدر عنه الفتنة كوجوب صدور الاشرار عن الشمس  
والاحراق عن النار ويفاجئنا من اخبار التلغراف ما يذهب بالراحة ، ويسلب  
القرار . فمن ذلك ما انبأنا به من ان عقد المؤتمر قد صار متعذراً بل غير ممكن  
بعد ان رجونا ان يكون ذريعةً الى نفي الاختلاف ، ووسيلةً الى تقرير الأئتلاف ،  
ومدرجةً لحصول السلم . وما رواه لنا من حدوث الاضطراب في عالم السياسة ،  
وتمكن الوحشة بين الروسية وانكلترة ناشئةً عن خلاف سياسي لا يرجى حسمه .  
وقد افاضت الجرائد الاخيرة في بيان هذا الخلاف واتفقت على حصره في  
ثلاثة امور تطلبها انكلترة وترفضها الروسية وهي  
اولاً ان تُعرض عهدة الصلح بذاتها على المؤتمر

ثانياً ان يكون لليونان في المؤتمر وكلاء يظهرون فيه مقاصد دولتهم  
ومصالح امتهم

ثالثاً ان تصرّح الروسية قبل دخول المؤتمر ان ليس بينها وبين الدولة  
العثمانية مخالفة سرية

أما الامر الاول فحجة الانكليز في طلبه ان الروسية قد واثقت الدول قبل  
وقوع الحرب انها لا تبرم امراً متعلقاً بالمصالح العمومية قبل ان توافقها عليه وان  
عهدة الصلح بجملتها متعلقة بالمصالح المذكورة بدليل كونها مخالفة للعهدة السالفة  
وموجبة لحصول تغيير مهم في عالم السياسة وانه بناء على ذلك لا تعرض  
على المؤتمر الا الامور المتعلقة بتلك المصالح وبامر الخليجين اي الدردنيل  
والبوسفور وغيره

وأما الثاني فدليل الانكليز على وجوبه ان لليونان في المسألة الشرقية  
مصلحة يجب تدارك شأنها وانه لا سبيل الى ذلك الا بان يكون لهم في المؤتمر  
وكلاء يبينون تلك المصلحة ودليل الروسية على وجوب رفضه ان المؤتمر لا  
يعقد الا للنظر في شروط الصلح المتعلقة بالمصالح الاوربية وليس من شأنه  
النظر في امور خصوصية تقتل الزمان بلا طائل

وأما الثالث فبرهان انكثرة على لزومه انها قد رأت من انقلاب سياسة  
الباب العالي ما يدل على حصول المخالفة بينه وبين الروسية وشهدت من  
اعماله وسمعت من اقوال رجاله ما يؤيد تلك الدلالة فمن ذلك منعه الاسطول  
الانكليزي من دخول البوسفور، وقول وزير خارجيته السابق انه اشد روسية  
من الروس انفسهم، وان مصلحة دولته تكون بمخالفتهم احفظ منها بمخالفة غيرهم.  
وحجة الروسية في رفض هذا الامر انها تنكره رأساً، وتنكر على انكثرة حق طلبه  
والتعرض له. وقد رأينا في بعض الجرائد ان البرنس بسمارك قد عني بحسم هذا

الخلاف وتوسط بين الروسية و انكلترة، و رغب اليهما ان تتساهلا في الامر فلم يترتب على وساطته اثر نافع، وجاءنا بالتلغراف و ارداً من باريس بتلريخ امس ان الروسية قد رفضت رسمياً ما طلبته انكلترة من عرض العهدة بذاتها على المؤتمر، وان السياسة في غاية الكدورة والاضطراب فبقي ان نعلم ما عساه ان يكون بعد ذلك، وهل تجتريء انكلترة بالوعيد كما عودتنا ام تثبت القول بالفعل، وهل تصر الروسية على الرفض ام تعدل عنه راضية بالموجود و صابرة على المفقود. لا جرم ان من نظر الى شواهد الاحوال، و مظاهر الاقوال والاعمال، يجزم بان هذا الخلاف سيفضي الى فتنة شديدة فقد افادت اخبار الجرائد الاخيرة ان انكلترة قد زادت اهتماماً بتجهيز العساكر، و جمع الذخائر، و اعداد البوارج. وان الروسية لم تنم على اكليل الغار، ولم تغفل عن صروف الحدثن بل صرفت في هذه الايام معظم اجتهادها، و جل اهتمامها في ارتيادها، الى تحصين مواقعها و جمع ذخائرهما تاهباً للقتال

غير انه قد بدا لنا من تقلب احوال السياسة و تعاكس الاقوال والافعال ما يمنعنا من القطع بامر وان دللت عليه الظواهر، و اشارت اليه الاقوال فانه لا يصدق القول حتى يشهد العمل

وقد زعم بعض اهل السياسة ان انكلترة لا تبأثر الحرب بلا ظهير، ولا قبل لها بمقاومة الروسية و انها تلتبس من دول اوررو باظهيراً يقوى به عضدها، و مساعداً يشتد به ساعدها. وجاء في بعض المطالعات ان سفيرها في فيانا قد عاد الى محاضرة اندراسي بشأن ابرام مخالفة بين حكومته و حكومة اوستريا على الاقدام والدفاع. وورد في بعض الجرائد ان اندراسي يرغب في هذه المخالفة غير ان امبراطوره يؤثر البقاء على المخالفة الثلاثية المبرمة بينه و بين قيصر الروسية و امبراطور المانيا. و عندنا ان الحرب و السلم متعلقان بسياسة اوستريا لانها اما ان تميل الى مخالفة

انكاثرة والاخذ بيدها فيستقيم بذلك امرها ، ويشتد عزمها ، وتجاهر بمقاومة  
 الروسية اذ تكون على يقين من حياض فرنسا والمانيا ، واما ان تجنح الى البقاء على  
 موادة اروسية فتنفرد انكاثرة في مقام المعارضة ، وتعدل عن محاربة الروسية  
 علماً بأنه لا قبل لها بقتالها وهي متحرزة في المواقع المنيعه ، وممسكة عليها مدخل  
 البحر الاسود ، ومؤيدة بمساعدة المانيا واوستريا المعنوية

اما الدولة العثمانية فقد سرحت انها تبقى على الحياد اذا وقعت الحرب وهذه  
 خلاصة ما استغندناه من اخبار التلغراف والجرائد وقد كنا قبل ذلك نرجو  
 ان يصدر عن المؤتمر ما يقرر الآمال ، وبعد المخاوف والاورجال . اما الان وقد  
 انبأنا التلغراف بتعذر انعقاده فقد صارت الامال متعلقة بما يجي به الغد مما  
 هو الان في جانب الغيب وان غداً لناظره قريب

وه مقاله في

— انتخاب النواب بانكاثرة —

عام ١٨٨٢

لا تله فالا انسان مظنة الخطأ ، وموضوع النسيان ، لاعصمة له في المحصور  
 من اعماله ، والمشهور من اموره ، فما الظن به متولياً من امور الناس ما لا  
 تحصى دقائقه ، ولا تدرك حقائقه .

ولكن وجه اللوم على لراضين بالاستبداد ذهولاً عن مزايا الحكم  
 الشوروي فقد رأيت الخطأ في هذا الحكم مشفوعاً بالاصلاح ، متصلاً  
 بطرف الاصابة ، يقع من الوزير ، او الامير ، عن سهو او فساد رأي ، فيصلحه  
 الحكم العمومي بما يتضح له من اوجه السداد . ورأيت في الحكم الاستبدادي  
 راسخاً مستحكماً كاتقضاء المرسل فان الامر المستبد يقضي بما يشاء ، مستأثراً

الانتخاب للنواب  
 بالعلم والسياسة  
 لا بالمال والجاه  
 ولا بالوراثة  
 ولا بالقبيلة

برأيه ، معرضاً عن النصحاء ، يضرُّ على الخطأ ذهولاً عن الصواب ، او يظهر  
له وجه الحق فتأخذه فيه عزّة النفس ، فيقول نزول الارض والسماء وكلامي  
لا يزول . . .

او ليس ان خطأ ملومك الوزير يكون سفلة قد اتصل بطرف الاصلاح اذ رُفِعَ  
لحكمة الرأي العمومي فدفعته بحكم الانتخاب ليوسد الامر الى من يسلك طريق  
الاصابة فلو كان ذلك - وهو كامن لا محالة - في اي البلاد المستبدة  
الحكام لما استطاعت الامة محو خطأ الرئيس الا بدم الرجال يهراق على رجاء  
الصالح ويكاد الا . . .

بلى فقد ظهر الانكليز تيه اسرائيلهم في مفاوز السياسة فكرهوا عبادة  
عجل العناء ، واهتدوا بنور الحكمة والرشاد فقاموا بامر اهل الحرية في انتخاب  
النواب ، فكان ذلك بمنزلة الحكم القاطع بضلال رأي بكونسفلد ، وفساد سياسته .  
وقد بشرتنا روائد الانكليز ، وجرائد الفرنسيين ، بحصول الغلب لحزب  
الحرية في مجال الانتخاب اذ كان مبلغ المنتخبين عند كتابة هذه السطور  
نحواً من اربعمائة . ثلاثم من الاحرار او يزيدون عن ذلك . وافادت تلك  
الجرائد والرسائل ان الباقيات من لوائح الانتخاب ستزيد الاكثرية نوأباً ،  
وتؤيد حزب الحرية على صورة تفوق الرجاء لكون الكثير منها لاهل ارلندا ،  
المروفين بالنفرة عن رجال المحافظة بما وجدوا فيهم من العنف والغلظة فبتنا  
على يقين من انقلاب الوزارة الانكليزية .

غير ان سرورتنا بهذا الانقلاب لا يتجاوز حدّ الامل لتعلقه بامنية نرجو  
الحصول عليها ، ولا نضمن الوصول اليها ، فاننا لانكره وزارة بكونسفلد لشيء  
في النفس من رجالها ، وانما حملنا على ذلك فساد اعمالها ، ولا نتمني الوزارة  
لغلاستون ، او لهرتتون ، او لدربي ، او غيرهم من زعماء حزب الحرية الا

الحرية  
التي  
تسبب  
السياسة

على رجاء عدوهم عن سنن الوزارة السالفة فيما يتعلق بالسياسة الشرقية .

وكتب رحمه الله بعنوان

خاطر ملاحظ

إذا هبت عواصف الفتنة فذرت رماد المناجاة عن جمر ضغائن الدول ،  
وصار الشرق من اطراف الروم الى البحر الاحمر محشراً للعساكر يتنازلون  
فيه ، ويتجاولون على ارض يملكونها ، وغنيمة يصيدونها ، وسطوة يؤيدونها ،  
وقوم يستعبدون .

وإذا انقضت صقالبه الشمال على بقايا الاناضول ، واندمت المان  
الوسط على فضالات البلقان ، ووقعت حيتان بريتانيا على سواحل مصر ،  
وجزائر بحر الروم ، وترامت نسور الفرنسيين على فينيقية ، وبلاد السوربين :  
وتداعى ابناء الرومان على تونس الغرب وما يليها ، ورجعت عساكر الاسبانيين  
الى الغرب الاقصى .

فماذا يحل بالشرقيين وكيف يتقون البلاء وهم على ما نرى من ضعف  
القلوب ، وقوة الخلاف ، وتفرق الكلمة ، واختلال الاحوال ، ضلت نفوسهم  
وانقطعت اسبابهم ، واحتجبت عنهم سبل النجاح فهم في غفلة الساذج ، وخدر  
السكران ، وكسل المهوم ، لا ينتهون بما يملعون ، ولا يسألون عما  
يجعلون .

بل اذا جادت سماء الحكمة بماء السلم ، فاهمدت ذلك الجمر ، وعاد  
الشرق من جهاته الاربع مجتمعاً للتجار ، والصنائع ، من جالية الغرب يتجرون  
فيه ، ويتسابقون الى بقعة يزرعونها ، وثروة يجمعونها ، وسلطة يوطدونها  
ورجال يستخدمون .

واذا انتشرت جالية الالمان ، في شبه جزيرة البلقان ، تحيي الموت ،  
 وتنتحل الصناعات ، وانبث تجار الانكليز ، والفرنسيس ، والايطاليين ، وسائر  
 الأمم الغريبة في بلاد الشرق يتصلون بمن تقدمهم من طلائع جيوش الغزاة ،  
 ويجمعون الثروة بما يتجرون وما يستخرجون من كنوز الارض ، وما يخترعون  
 من الصناعة ، وما يجلبون من المخترعات ، وما يتولون من الامور والادارات .  
 فاي مكان واي شأن يكون للشرقيين في عالم الوجود وهم على ما نشهد  
 من وهن العزم ، وشدة الشهوة ، وضعف الهمة ، وقوة النهمة ، واهمال  
 القادر ، وطمع المهمل ، يتسابقون الى اللهو ، ويصرفون الزمان بين دخان  
 يقتلون به الوقت ، وشراب يمتنون به الافكار ، وطعام يهلكون به الابدان  
 ← وهي مسألة نرفعها الى نهاء الشرق التماس الجواب فانها — فيما نظن —  
 احق بالبحث والنظر من مكان ظرف وظرف مكان ، واجدر بالاهتمام من  
 جناس قلب وقلب جناس ، واولى بالعناية من ديوان نقر يظ ونقر يظ ديوان ،  
 واحرى بالاجتهاد من تعجيل اقطعة ومن اقطعة عجلان .

### وكتب في المسألة الارندية قال

قد ارتتأ دولة الانكليز من عجائب التناقض ما ينبذ به المنطق مشدوداً  
 بالقياس ، وما يحمل به المطبوع على موضوع الانعكاس ، فانها تجمع الصدقات  
 للبايسين ، ولا تبالي بجوع الارلنديين ، وتستعبد الاحرار في كل قطر ، وتلتبس  
 الغاء الزق في الاستانة ومصر ، كما قيل فيها « بالتجارة » شعراً  
 تحرر العبدان من رقهم      وتسترق الجر بالدرهم  
 أمطع اليتام محتاجني      ليتك لم تجن ولم تطعم  
 وقد رأينا في احدي الصحف الباريسية رسماً يدل على حقيقة ما

قدّمناه . فقد مثّلت فيه ارلنده بصورة كهل بالي الثياب ، رث الجلباب ،  
 جعد الاهداب ، قد اضعفه الجوع وانحمله الضعف حتى شفّ جلده عن  
 الادمه ، وادمته عن العظم ، وجيء بانكلترة على صورة بطين ملاً جوفه شحماً ،  
 وافممه مداماً ، فاشبه نحي سمن او زق خمر ، ورأى بين يديه ذلك الصعلوك  
 فتناه عليه تيه الملوک . فقال له الارلندي رحماك يا لورد رحماك ، فقد اشرفنا  
 من الجوع على الهلاك ، فاجابه لا بأس فانّ الناهبين ، يفرغون في دائرة  
 المرحة مكاناً للمقيمين . . .

وجاء بالتلغراف من لندرا ان الفاقة قد انشبت مخالبيها في اهل الجانب  
 الغربي من الناس جوعاً — ذلك بما عمهم من عدل دولة الانكليز يتمتع  
 لورداتها ، وامراؤها ، ورجال دوائها بالملايين ويموت سائر الرعية جوعاً . .  
 يموتون غير مأسوف عليهم فقد ملكهم الوهم حتى منعهم من دفع المسوت  
 ولو بالموت .

وكتب من مدينة نيويورك ان بارنل النائب الارلندي قد خطب  
 في (بوفالو) بما معناه ان ارلنده جديرة بان تنال الاستقلال ، وان من واجبات  
 اهلها ان يبذلوا دمهم في المدافعة عن بلادهم ، ثم قال انه لا يعلم ان كان بالامكان  
 حصول التراضي بالصورة السلمية ولكنه يرى ان لا بد من طرد كبار المورديات  
 على اي الاحوال . وهذا النائب الارلندي من زعماء بلاد المعروفين بالحمية ،  
 والغيرة الوطنية ، هاجر الى اميركا ليستحث الارلنديين المقيمين في تلك البلاد  
 على مساعدة اخوانهم بما ينقذهم من جور الانكليز .

وله من مقال سياسي

في سفير الصين بيتر سبرج

كُنْ كَيْفَ شَاءَ نَكْدُ الطَّالِعِ طَبِيبًا فِي سُوَيْسِرَةِ ، اَوْ قَسِيدًا فِي بَارِيسِ ،  
اَوْ شَحَّاذًا فِي اِيْطَالِيَا ، اَوْ فَلَاحًا فِي مِصْرَ ، فَذَلِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ اَنْ تَكُوْنَ  
سَفِيْرًا لِابْنِ السَّمَاءِ سُلْطَانَ الصِّينِ - خُصُوْصًا فِي بَطْرِ سَبْرَجِ -  
فَقَدْ اُوْحِيَ اِلَى الْجِرَائِدِ مِنْ اَخْبَارِ السُّلْطَنَةِ السَّمَاوِيَّةِ اَنْ ( هُنْكَ تَنْكَ :  
بِالضَّمِّ اَوْ بِالْكَسْرِ اَوْ بِهَمَا جَمِيْعًا عَلَي لُغَةِ الْاِنْكَلِيْزِ ) عَادَ مِنْ سَفَارَتِهِ فِي الرُّوسِيَّةِ  
مَسْرُوْرًا بِمَا تَمَّ عَلَي يَدِهِ مِنَ الْوَفَاقِ ، رَاجِيًّا اَنْ يَرَى نُوْرَ وَجْهِ السُّلْطَانِ ، وَيُنَالِ  
مِنْ اَنْعَامِهِ مَا يَتِيْهُ بِهِ عَلَي النَّاسِ ، فَرَأَى ، وَلَكِنْ وَجْهَ الشَّرْطِيِّ عَلَي بَابِ الْمَدِيْنَةِ  
وَنَالَ ، وَلَكِنْ قَبِدَ السَّبْجَانَ .

ثُمَّ اَمْرُ ابْنِ السَّمَاءِ بِعَقْدِ دِيْوَانِهِ الْكَبِيْرِ لِلْحَكْمِ عَلَي - هُنْكَ تَنْكَ - فَقَالَ اَحَدُ  
الْوَزَرَاءِ يُعَلِّقُ مِنْ رِجْلِهِ بِشَجَرَةٍ عَالِيَةٍ ، وَيَجْعَلُ فِي عُنُقِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ مَا يَزِنُ ثِقْلَ  
الْمَالِ الَّذِي عَاهَدَ الرُّوسَ عَلَيْهِ . وَقَالَ غَيْرُهُ بَلْ نَجْعَلُ فِي مَجْبَسِهِ اِبْرًا ، عَلَي قَدْرِ  
ذَلِكَ الْمَالِ عَدْدًا ، وَنَدْفَعُهُ عَلَيْهَا حَتَّى يَمُوْتَ . وَقَالَ اٰخَرُ بَلْ نُرْبِطُ يَدَيْهِ الْحِجَارَةَ  
وَنَجْعَلُ فِي الطَّرِيْقِ الْاِبْرَ وَنُرْبِطُهُ مِنْ جِلْدِهِ بِرِجْلِ مَهْرٍ جَمُوْحٍ . ثُمَّ رُفِعَتْ  
هَذِهِ الْاِرَاءُ لِلْمَقَامِ السُّلْطَانِيِّ لِيُخْتَارَ مَا يُوَافِقُ رَأْيَهُ الْكَرِيْمَ .

اَمَّا - هُنْكَ تَنْكَ - فَلَا يَزَالُ فِي السَّبْجَنِ مَجْرَدًا مِنْ رَتْبَتِهِ وَوُضُوْفَتِهِ ،  
مُعَلَّقٌ الْحَيَاةَ بِمَا سَيَنْطِقُ بِهِ السُّلْطَانُ .

وَلَكِنْ قَتَلَ السَّفِيْرَ شَنْقًا مَعْكُوْسًا ، اَوْ دَفَعَهُ عَلَي الْاِبْرِ ، اَوْ تَلَا بِرِجْلِهِ  
الْحَيْلَ ، لَا يَنْقُضُ الْعَهْدَةَ الَّتِي اَبْرَمَهَا ، وَلَا يَمْنَعُ الرُّوسِيَّةَ مِنْ مِطَالَبَةِ الصِّينِ  
بِالْخَمْسَةِ الْمَلَايِيْنَ .

وقد تبين ذلك لدولة ابن السماء فرامت مداركة الشر قبل وقوعه ،  
فوجهت فريقاً من الجند الى التخوم الروسية إرهاباً وإنذاراً  
أجل أن السلطنة التي دخل الفرنسيون عاصمتها بيضعة عشر الف مقاتل  
تروم إرهاب القوزاق بذواتب جندها ، وتدوين بلاد الروس باخفافهم  
الصفراء .

وكتب في

✓ اهل الكهنوت

في فرنسا

قضي الامر وجف القلم . فقد صدر الامر من رئاسة الجمهورية  
الفرنسية بنقض رهبانية الجزويت ، وبحظر التعليم على سائر الرهبان الآمن  
كان مرخصاً له في ذلك ، او من التمس الرخصة ونالها في خلال ثلاثة اشهر ،  
وما ادراك مارهبانية الجزويت : طائفة من اهل الكهنوت على مذهب الكاثوليك  
يبلغ عددهم ثمانية الوف اريزيدون ، ومنهم نحو الف وتسعمائة راهب في  
البلاد الفرنسية .

وهم - فيما يقول مريدوهم - اهل العلم ، والسياسة ، والذكاء ، والاجتهاد  
والهمة ، والفضل ، والثبات ، والبأس ، لا يعارضهم في ذلك معارض ولا  
يدرك شأوهم فيه .

ينشئون المدارس ، ويجلبون المنافع ، ويكتشفون الغوامض ، ويستخرجون  
اسرار العلوم منتشرين في اقطار الارض ، واصلين بياض النهار ، بسواد  
الليل سعيًا في تعليم الجهلاء ، وتهذيب المتوحشين ، وتمدين الاقطار ، وجمع  
آثار المعارف .

فمن تدبر مزاياهم الظاهرة ، وآثارهم الباهرة ، لم يتالك من استنكار ما تعاملهم به  
الدول من العنف ، والغلظة ، فقد نفثهم اسبانيا غير مرة ، وابتدعتهم المانيا ،  
واقصتهم فرنسا ، على عهد ملوكها المعروفين بالتعصب في المذهب الكاثوليكي  
وحظرت عليهم الروسية دخول بلادها ، وجافتهم الدولة العثمانية في صدر  
هذه المائة ، ولم يسلموا من مناوأة البابا في بعض الارقات علي كونه رئيس  
مذهبهم .

غير ان اعداءهم يمتجئون على مقاومتهم بما نذكر بعضه على سبيل  
الحكاية متبرئين من تبعته ، وغير قاطعين بصحته . فن ذلك ان هاته الفرقة  
تشبه ان تكون جيشاً منظماً بما ينذر رجالها من الطاعة العمياء لرئيسهم المسمى  
قائداً بحيث تجتمع قواهم المتفرقة في وحدته الرئيسية فهو في كلهم  
وكلهم فيه .

وان لهذا العسكر قصداً لا يتحولون عنه ، ولا يتوجهون لغيره ، وهو  
تأييد السطوة الكنوتية عموماً ، والجزويتية خصوصاً ، وتقييد الخواطر بأرائهم  
بحيث يكون مشربهم بحجة الافكار ، وروسلوهم ائمة الناس .  
وانهم لا يبالون في اي وعاء تخرج الواسطة التي يتخذونها لبلوغ ذلك  
القصد ، بحيث يميزون الكذب ، ويتساحمون في السرقة ، ويحلقون القتل ،  
ويفسدون بين الوالد وولده ، والاخ واخيه ، والزوجة وحاملها ، وبالجملة انهم  
لا يعبأون بشيء من المنكرات ، على شرط ان يمكن توجيه غايته لما يلائم  
ذلك القصد .

وذلك بعض ما يدعيه اعداء الجزويت - وما اعداؤهم بقليل - فان  
فرقة البروتستنت وهي الالف الالف ، وجماعة الماسون واهل حرية الضمير اي  
الذين لا يدينون بدين ، كل هؤلاء لو تمثل لهم الجزويت في الماء لما وردوه

القصد  
الجزويت

والله  
يعلم  
الحق

كذلك  
الذين  
لا يدينون  
بدين

وان كانوا ظاء .

وانا لنبأ من موافقتهم على جميع ذلك او على بعضه ، ولا تبعة علينا في  
الحكاية ، فانما نحن نقله وليس على الناقل من سبيل .  
وكيف كان الامر فقد صدر حكم الجمهورية بفض جمعية الجزويت ،  
وتعطيل مدارسهم وهو بمنزلة النفي لامتناع ان يقيموا بهاته البلاد افراداً  
متفرقين مع فناء وجودهم الذاتي ، في الوجود الاجتماعي على ما تقدم بيانه الا  
ان تؤيدهم القوة القضائية فيما عزموا عليه من اقامة الحجية او ان يقوم ارباب  
العقيدة بنصرتهم ناشرين لواء الثورة كما تنذر به جرائدهم  
غير ان نفوذ امر الدولة ادنى الى الامكان من ذينك الوجهين ، فان  
الوزراء لم يصدروا ذلك الحكم جزافاً ، وانما بنوه على الاحكام السالفة ، والقوانين  
السابقة ، وغير ذلك من الاسانيد التي لا بد للقضاة من تأييدها . اما ثورة  
اهل العقيدة فلعلها لا تتجاوز حد الوعيد اذ الغالب على هؤلاء في البلاد  
الفرنسوية انهم من اهل النعمة وابناء القصور من كل من  
خطرات النسيم تخرج خديبه ولس الحرير يدمي بنانه  
فاذا تبين ذلك علينا ان لا بد للجزويت من الهجرة الى هذه البلاد .  
وعندنا ان الاقطار الشرقية عموماً ، والولاية السورية خصوصاً لا تحرم من  
وفودهم عليها .

#### اقوال متفرقة

«لم تجيء هذه الاقوال مثبتة في الجرائد التي تولي فقيدي تحريرها»  
«وانبثت فيها نثبات براءه البليغ فهي بعض فصول ومقالات متفرقة عثرت»  
«عليها بين آثاره مخطوطة بينانه ومنها ما كتبه في آخر ايامه الزاهرة كترجمة»

«السيد جمال الدين الافغاني وغيرها من منتخبات اقواله المتفرقة وكتاباتهِ المشورة»  
 «التي لم تُجمع في حياته ولم تُطبع»

قال رحمت الله عليه

في جمال الدين الافغاني

هو الحكيم ، الخطيب ، البالغ الحجة النبیه المتوقد الذكاء ، الجريء  
 الذي لا يعرف الخوف النسب السيد جمال الدين الحسيني الافغاني . وُلد  
 بكابل في بيت شرف وعلم وعمره الان نحو ٤٥ عاماً وطلب العلم بالفارسية  
 والعربية على ما جرت به عادة الامراء ، والعلماء في بلاده ، فتبحر في المنقول  
 والمعقول ، وغلبت عليه مذاهب قدماء الحكماء ، فداخله في ذلك بداءة  
 بدء شي من التصوف فانقطع حيناً بمنزله يطلب الخلو لكشف الطريقة ،  
 وادراك الحقيقة ، حتى صار له في القوم كثير من الاتباع والمر يدين . كل  
 ذلك وهو دون العشرين سناً . ثم خرج من خلونه مستقر الرأي على حكم  
 العقل ، واصول الفلاسفة القياسية — ومات عامئذ امير الافغان عن ولدين  
 وهما شير علي خان ومحمد اعظم خان فاقتملا على الولاية ، فانتصر جمال الدين  
 للثاني فقربه وجعله من رؤساء جنده ، فشهد الحروب وحضر الوقائع فازداد  
 جراءة واستخفافاً بالموت ، واقام على ذلك تسعة اعوام لا يرى الراحة ولا  
 يستقر بمكان ، حتى دارت الدائرة على محمد اعظم خان فانصرف الاولياء عنه  
 الا جمال الدين ونفر غيره من الامناء . فسار بهم الى الهند فلم يلبثوا ان  
 اوجست حكومة الانكليز خيفة من صاحب الترجمة فعاد الى افغانستان ، ثم  
 هاجر الى الحجاز على قصد المجاورة ، فلم يلائمه ثم الهوا فقصد الاستانة واقام  
 بها مجهول المكان حتى اهتدى اليه بعض اكابر الوزراء ، فعرف قدره وفضله

فجعله من اعضاء مجلس المعارف العالي . ثم اقترح احد الامراء عليه ان يخاطب  
 في دار الفنون فاجاب وكانت خطبته في الصناعات . فانكر مشايخ العلم اشياء  
 منها وانصل الامر بشيخ الاسلام وكان متغيراً على صاحب الترجمة لواقعة حال  
 جرت له في مجلسه فالتمس من الدولة ابعاده فارساته الى الحجاز . فاقام فيه  
 مضطراً وكان قد عرف بالاستانة رياض باشا احد وزراء مصر واتصل منه  
 باسباب مودة . فقصد وادي النيل عام ١٨٧١ فاجرت له الحكومة الحديوية  
 رزقاً كافياً على ان يكون من المدرسين . فجرت بينه وبين بعض علماء الازهر  
 مناظرة ، انضت الى المنافرة ، فانقطع الى منزله وصار له فيه حلقة تدريس  
 يحضرها كثير من الطلبة بل من المدرسين . ثم صارت حلقة ملتقى للنبهاء ،  
 من رجال الحكومة والوجهاء . فكان يكشف بعضهم بآرائه الحرة ويسلك  
 بسائرهم طريق النجاة من الخرافة والجهل ، على انه بقي مجهول الشأن عند العامة  
 حتى ظهرت آثاره واثار مردييه في جريدة مصر ، فظهرت شأنه وصارت  
 تنشر له بعض المقالات تارة باسمه ، ومرّة تحت حجاب اسم مصنوع مثل  
 مظهر بن وضاح ، فطار صيته ، وعظم نفوذه .  
 وكان السيد جمال الدين كثير التطلع الى السياسة ، شديد الميل الى  
 الحرية ، قوي الرغبة في انقاذ المصريين من النذل . فلما عظم التداخل الاجنبي  
 في مصر واختلفت امورها المالية علم ان لا بد من تنوير احوالها فرام انتهاز تلك  
 الفرصة لجمع الكلمة على مبدأ الحرية ، فدخل المأسونية وتقدم فيها حتى صار  
 من اروساء . ثم انشأ محفلاً وطنياً تابعا للشرق الفرنسي ودعا مردييه من  
 العلماء والوجهاء اليه ، فصار اعضاؤه نحواً من ثلاثمائة عدواً وعظماً اقبال الناس  
 عليه حتى ان توفيق باشا ولي العهد حينئذ طلب الدخول فيه وكان صاحب  
 الترجمة شديد الكراهة لدولة الانكليز جهر بذلك غير مرة ، ونشر في جريدة

حياض  
 ١٨٧١

من مصر  
 الجدة  
 في الشمال  
 لسيدي

هذا  
 المصنف  
 على  
 من

دول  
 في  
 لا  
 في

مصر فصولاً ناطقةً بهِ خصوصاً بعد اعتداء الانكليز على ابناء ابيه ، فهاجوا عليها  
وترجمتها جرائد لوندرة ، واهتموا بها كثيراً حتى ان المستر غلاد ستون تولى  
بنفسه امر الجدل في موضوعها فلما عظم شأن محفله داخل الخوف منه فنصل  
انكارة فوشى به الى الحكومة وبث الرقباء في المحفل ، فسعوا فيه فسائاً .  
وفي خلال ذلك بلغت احوال مصر نهاية الارتباك ، والاختلال ، فظهر  
للسيد جمال الدين ان الخديو اسمعيل مخلوع لا محال ، فكشف الغطاء عن  
مقاصده السياسية واخذ يسعى في انفاذ اغراضه فلقى الموسيو تريكوفنصل  
جنرال فرنسا ومكاتب التمس وكلهما بلسان حزب كبير ، فهال امره بعض  
امراء المصريين فقويت بذلك حجة وشانه ، ونفذت سعاية اعدائه ، فامر  
الخديو الجديد بنفيه اواسط شهر رمضان سنة ١٢٩٦ الموافق لشهر ستمبر سنة  
١٨٧٩ فاخذ غلساً وقبض على من كان في حلقته وارسل هو وخادمه الامين  
« ابو تراب » مخفورين الى السويس ، ومنها الى ابو شهر « فرضة في المعجم »  
وهو الان بجيدر اباد مرفوع المكان ، عالي المقام . وبقيت كتبه واوراقه في  
مصر ، وقيل ان روجرس بك اخذها ثم أعيدت لصاحبها .

عرفت صاحب الترجمة بمصر وكنت من مريديه ، وخاصة محبته طول  
مدة الاقامة بالخرسوة والاسكندرية ، فكلامي في ترجمة حاله عن علم واختبار  
تلي بانني ملتزم فيه جانب الصدق بري من الهوى يعرف هذا كل من عرف  
السيد جمال الدين والله على ما اقول وكيل .

والعهد بهذا الحكيم انه اسمر اللون ، ربعة ، ممتلي قوي البنية ، جذاب  
النظر ، نافذ اللعظ ، خفيف العارضين ، مسترسل الشعر ، مجببة وسراويلات  
سوداء تنطبق على الكاحلين ، وعمامة صغيرة بيضاء على زي علماء الاستانة .  
وانه عزيز عفيف النفس ، قانت كثير القيام ، لا ينام الا الغلس الى

الضحى ، ولا يأكل غير مرة واحدة في اليوم . على أنه يكثر من شرب الشاي والتدخين ، وهو قوي العارضة ميال إلى المعارضة ، طويل الحجة ، واسع المحفوظ نبيه يكاد يكشف حجب الضمائر ، ويهتك أستار السرائر . ولكنه على فضله لا يسلم من حدّة المزاج . ومن عجائب ذكائه أنه تعلم اللغة الفرنسية أو بعضها حتى صار يقدر على الترجمة منها ، ويحفظ من مفرداتها شيئاً كثيراً في أقل من ثلاثة شهور بلا استاذ إلا من علمه حروف هجائها يومين . ومن غرائب فضله أنه كان يتبع حركة المسافر الأوربية ، والمكتشفات العصرية ، ويلم بما وضع أهل العلم وما اخترعوه جديداً ، حتى كأنه قرأ العلوم في بعض مدارس أوربا العالية . ومن مدهشات احواله الدالة على ثبات جأشه ، وعفة نفسه أنه قبض عليه لما لا نعلم من الشر فكان سائراً إلى الخطر سير الشجاع إلى الظنر . وأنه أنزل إلى البحر في السويس منفياً خالي الجيب فاتاه فيما يقال السيد التقادي فنصل إيران بذلك الثغر ومعه نفر من تجار العجم وقدّموا له مقداراً من المال على سبيل الهدية أو القرض الحسن فردّه وقال لهم : احفظوا المال فانتم إليه اخرج ان الليث لا يعدم فريسة حيثما ذهب .

وله مطلب في صناعة الكتابة

قال

حدّ الكتابة واقسامها

الدرس (١)

الكتابة صناعة موضوعها التعبير عن الخاطر برسوم معلومة . وفي اللغة الجمع وهي مصدر قولهم كتب يكتب كتاباً ومنه قيل لجماعة الخيل كتيبة

ووجه المناسبة بين المعنيين ان الكاتب يكتب اي يجمع الحروف والالفاظ  
 لتأدية ما يمر بباله من المعاني ، وما يشعر به من الانفعالات .  
 وقد جعلها المتقدمون اقساماً شتى بقدر مواضعها ، والخطط الدائرة  
 عليها في ايامهم . فقالوا كتابة الحسبة ، وكتابة المال ، وكتابة الانشاء ، وهلم  
 جرأ . وجعلوا تحت كل من هذه الاقسام فروعاً كثيرة يتيه الذهن في  
 حدودها . على انهم توسعوا في معنى الانشاء حتى اطلقه الكثير على مجمل  
 تلك الاقسام ، فقالوا صناعة الانشاء وهم يريدون الكتابة على الاطلاق .  
 والانشاء في اللغة مصدر قولهم انشأ الشيء ينشئه اذا ابتدأه واخترعه .  
 فلعل السبب في اطلاق لفظه على الكتابة ، ان اختراع المعاني هو الشرط  
 الاول في انقان هذه الصناعة كما سيجيء في بابها . وهو اي الانشاء عند  
 كتاب لغتنا الشريفة نوعان مختلفان ، وهما النثر والسجع ، ولكل منهما اصول  
 معلومة ، وقواعد محدودة ، وصفات مميزات تذكر في مواضعها تفصيلاً

### الدرس (٢)

#### النثر والسجع

النثر هو الكلام المطلق المرسل عفو القريحة بلا كلفة وصنعة الا ما  
 يكون من وضع الكلام في مواضعه ، وايشار ما يالفه السمع والطبع منه فهو  
 من هذا الوجه مقدم على سائر انواع الكلام ، بل هو الاصل في الانشاء وما  
 سواه فرع منه فانه طبيعي اصيل ، وما دونه صناعي حادث . والاصل في  
 الطبيعة لا محالة . يدل على ذلك ان هذا الكلام المقفي الذي يسمونه سجعاً ،  
 لا يكاد يوجد في غير اللسان العربي . فلو كان طبيعياً لوجب ان يكون في  
 جميع اللغات او في العديدة منها اصولاً لا اقل .  
 اما السجع فهو الكلام المقفي على حد الارجوزة من الشعر ، الا انه

غير موزون . ولقد سُمِّيَ بذلك استعارة من قولهم سجع الحمام إذا هدر ، وسجعت  
 الناقة إذا مدت حنيتها على جهة واحدة . وهو وإن حسن في بعض الأماكن  
 كصدور الخطب ، ومقاطع الكلام ، بما فيه من تناسب اللفاظ ، وتماثل الفواصل ،  
 التي يحسن وقعها في الاسماع ، إلا أنه في الجملة دون المرسل البليغ بهجة وصفاء  
 وموافقة لمقتضى الحال لتقيّد الكاتب فيه بلفظه لا بد منه أو من أخيه فلا  
 ينبغي استعماله في بيان الحقائق العلمية ، ولا في إيضاح الأصول الأدبية ، ولا في  
 غير ذلك من مواضع النقد والسرد ، إلا إذا جاء عفواً غير مقصود بالذات .

### الدرس (٣)

لاين خلدون فيما نحن بصدده كلامٌ جديرٌ بالنظر والتأمل والاعتبار ،  
 وهو قوله . السجع هو الكلام الذي يوتى به قطعاً ، ويلتزم في كل كلمتين  
 منه قافية واحدة ، والمرسل هو الذي يُطلق الكلام فيه اطلاقاً ، ولا يُقطع  
 اجزاء بل يرسل ارسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها . وقد استعمل  
 المتأخرون اساليب الشعر وموازينه في المنشور من كثرة الاسجاع ، والتزام  
 التقفية ، وتقديم النسيب بين يدي الأغراض ، وصار هذا المنشور إذا تأملته ،  
 من باب الشعر وفنه ، ولم يفترقا إلا في الوزن . واستمرّ المتأخرون من الكتاب  
 على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات السلطانية ، وقصروا الاستعمال في  
 المنشور كله على هذا الفن الذي ارتضوه ، وخلطوا الاساليب فيه وهجروا  
 المرسل وتناسوه وخصوصاً اهل المشرق . وصارت المخاطبات السلطانية لهذا  
 العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الاسلوب الذي اشرنا اليه ، وهو  
 غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال  
 من احوال المخاطب والمخاطب . وهذا الفن المنشور المقفى ادخل المتأخرون فيه  
 اساليب الشعر ، فوجب ان تنزهه المخاطبات السلطانية عنه اذا ساليب الشعر

تتألفها اللوذعية، وخطا الجدّ بالهزل، والاطناب في الاوصاف، وضرب  
الامثال، وكثرة التشبيهات والاستعارات، حيث لا تدعو ضرورة الى ذلك  
في الخطاب. والتزام التقفية ايضاً من اللوذعة والتزيين وجمال الملك والسلطان  
وخطاب الجمهور عن الملوك باثرغيب والترهيب، ينافي ذلك وبيان، والمحمود  
في المخاطبات السلطانية المرسل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع  
الا في الاقل النادر، وحيث ترسله الملكة ارسالا من غير تكلف له، اما  
اجراؤها على هذا النحو التي هو من اساليب الشعر، فمذموم. وما حمل عليه  
اهل العصر الا استيلاء العجمة على السننهم، وقصورهم لذلك عن اعطاء  
الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال، فحجزوا عن الكلام المرسل، واولعوا بهذا  
السمع يلفقون به ما نفعهم من تطبيق الكلام على المقصود، ويجبرونه بذلك  
القدر من التزيين بالاسجاع والالقاء حتى انهم يخلون بالاعراب والتصريف  
في الكلمات اذا دخلت لهم في تجنيس او مطابقة لا يجتمعان مع صحتها ١٠

#### الدرس (٤)

هذه نموذجات من الكلام المرسل والسمع نوردها تذكراً وبيانا. فن  
اطائب ذلك قول ابن خلدون. ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها،  
اسرع اليها الفناء. والسبب في ذلك والله اعلم ما يحصل في النفوس من  
التكاسل اذا ملك امرها عليها، وصارت بالاستعباد آلة لسواها، وعالة عليهم،  
فيقصر الامل، ويضعف التناسل، والاعتماد انما هو عن جدة الامل، وما  
يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية. فاذا ذهب الامل بالتكاسل،  
وذهب ما يدعو اليه من الاحوال، وكانت العصبية ذاهبة باقلب الحاصل عليهم  
تناقص عمرانهم، وتلاشت مكاسبهم ومساعدتهم، وعجزوا عن المدافعة عن انفسهم  
بما خضد الغلب من شوكتهم فاصبحوا مغليبين لكل متغلب طعمة لكل آكل ١٠

وجلُّ كلام ابن خلدون ولا سيما في مقدمة تأريخه على هذا النحو من  
السلاسة ومناعة التركيب . ومن بليغ الكلام المرسل قول علي ابن الرماني  
في وصف البلاغة ( البلاغة ما حظَّ التكلف عنه ، وبني على التبيين ، وكانت  
الفائدة اغلب عليه من القافية ، وجمع سهولة المخرج مع قرب المتناول ، وعذوبة  
اللفظ مع رشاقة المعنى )

ومن مستكمل البلاغة قول الفرزدق لحسين بن علي رضي الله عنهما  
وقد سأله عن الناس في العراق عند المسير اليه فقال : القلوب معك والسيوف  
عليك والنصر في السماء :

ومن جيد السجع مقامات الامام الحريري ، ورسائل بديع الزمان الهمذاني  
وقطع كثيرة للقاضي الفاضل ، وجملة غير يسيرة لكتاب مصر من بعدهم الى  
انقراض الدولة الفاطمية

ولم يدخل هذا السجع كلام القدماء في الجاهلية وصدر الاسلام الا ما  
كان منه عفواً قريحاً فواصل غير مقفأة او ما يعزى الى الكهان والمشعوذين  
مما يراؤ به الايهام والايهام ، فلما استوت العجمة على الاسن ، وضعفت قوة  
الاختراع في الازهان ، سرى دأبه في المكاتب الى هذا العهد فعدل الكتاب  
عن الكلام الفحل ، واللفظ الساذج ، والاسلوب الطبيعي ، الى هذه الامساج  
الملففة البالية يتناقلونها خافاً عن سلف ، ويظيلون بها الكلام بلا طائل ، سترأ  
لتمسورهم في ابتداء السالي ، وايضاح واقع الحال من طريق البلاغة والايجاز ،  
حتى صارت من العادات ، وحصلت بين الملكات ، فدخلت في المراسلات  
الاخوانية ، والمكاتبات عن الملوك والامراء في عظام الامور ، وسقط من ورائها  
الكلام المرسل الى غاية السفالة والركاكة ، فصار ما يكتب منه رطانة يفهمها  
بعض الجهلاء وتمض عن الراستخين في العلم .

قال ابن الاصبغ لا تجعل كلامك كلمة مبنياً على السجع فتظهر عليه الكلفة ،  
ويبين فيه اثر المشقة ، وتكلف لاجل السجع ارتكاب المعنى الساقط ، واللفظ  
النازل ، وربما استدعيت كلمة للقطع ، رغبة في السجع ، فجاءت نافرة من  
اخواتها ، قلقمة في مكانها ، بل اصرف كل النظر الى تجويد الالفاظ ، وصحة  
المعاني ، واجهد في تقويم المباني ، فان جاء الكلام مسجوعاً عنوا من غير قصد ،  
وتشابهت مقاطعه من غير كسب كان ، وان عز ذلك فاتركه وان اختلف  
اسجاعه ، وتباينت في التقفية مقاطعه ، فقد كان المتقدمون لا يحتفلون بسجع  
جملة ولا يتقصده الا ما اتت به الفصاحة في اثناء الكلام واتفق من غير  
قصد ولا اكتساب وانما كانت كلماتهم متوازنة ، والفاظهم متساوية ، ومعانيهم  
لاصقة ، وعباراتهم رائقة ، وفصولهم متقابلة ، وجل كلامهم مماثلة . ٥٠

صفات الكاتب وما يحتاج اليه

### الدرس (٥)

قد اشترط بعض المتقدمين في الكاتب شروطاً كثيرة منها ما يلزم في  
كل انسان على الاطلاق ، وفي كل ذي خدمة عمومية بالجملة . ومنها ما  
يختص بالكاتب ولكن على ذلك العهد . فالضرب الاول خارج عن موضوعنا  
لدخوله في علم الاخلاق ، والثاني من مطالب التاريخ . اما شرطنا على الكاتب  
فهو من جهة الادب الاجتهاد ، والثبات ، والاستقامة ، ورعاية الحقوق ،  
وحفظ الواجبات ، وموادة قول الحكيم الفرنسي الموجه الى كل اناسي  
ذاتك احفظ وتفقه واعتدل واحي للناس ليحيي الناس لك  
ومن جهة الكتابة بالذات ان يعلم اصول اللغة يعصم لسانه عن الخطأ ما  
امكنت العصمة لانسان ، ويحفظ قطعة كافية من العلوم والاداب خصوصاً  
ما يتعلق توارثها بالكتابة ، ليكون على بينة من الامر فيما يقول . اما الكتابة

العالية البالغة حدّ العالمية فلا تنف عند حدّ ولا يحدّها شرطٌ فإنها هي العلم  
الذي يُعرف أوّلُهُ ولا يُعرف آخرُهُ . وليست في شيء مما نحن بصددهِ وإنما  
شأننا بيان صناعة الكتابة وما يُشترط فيها من حيث ادخل المعاني في الافهام،  
من اقرب واصحّ وجوه الكلام . وهذا اوان الشروع في ذلك بعون الله

الدرس (٦)

الكتابة كما تقدّم في التعريف صناعة يُرادُ بها التعبير عن الخواطر  
والمحسوسات ، بوضع صحيح واسلوب صريح ، فهي ذات ثلاثة اركان :  
الخاطر المراد ايضاحهُ وهو الانشاء ، والوضع الذي يبدو به ذلك الايضاح وهو  
البيان ، والكيفية التي يحصل بها ذلك الوضع وهي الاسلوب .

فالانشاء او الاختراع هو الخاطر الذي يجده الكاتب ، ويقف فكرهُ  
عليه فيجعله موضوع كتابته فهو من هذا الوجه قوّة من الفكر بايجاد الخاطر  
والموضوع . والفصاحة هي الحكاية ، او التأثير ، او الاقناع ، ولا بدّ في كلّ  
مكتوبٍ من احدى هذه الثلاث وقد يجتمعن به والحكاية تحصل ببيان  
الواقعيّات والتأثير بالصورة المؤثرة والاقناع بالبراهين

والوضع هو تذييق اقسام الموضوع فانه لا يكفي ان يكون هناك خاطرٌ  
بل لا بدّ من ملاحظة النظام في كيفية ايضاحه ، فانه لا جلاء بلا تنسيق ،  
او يفقد الغرض . وعوضاً من الافادة والاعجاب والتأثير والاقناع يعجب القارىء  
عشياً ، وقبل الكتابة لا بدّ من وضع رسمٍ ولورؤوس اقلامٍ فانه اذا لم يوضع  
الرسم يرتبك الذكي ولا يعرف كيف يتدى . وكذلك يدخل في تفاصيل  
مملة ويضيع المسألة المهمة المقصودة بالذات ، ويصير مظالم كلاً اجتهد في  
الايضاح ومن اين له ان قارئه يصبرون الى ان يعود ليتهدي سبيله . وفي  
الكتابة القصيرة لا يستغنى البتة عن هذا الرسم ولكن العادة تجعله مصدراً

في الذهن على الفور، بحيث ان الكاتب يسلك سبيله المعلوم بلا دليل، وكيف كان ففي التنسيق ثلاثة امورٍ ضرورية: وحدة الموضوع، وتلاحم الاجزاء، واستقلالها التدرجي.

والاسلوب هو العبارة التي توضح بها الفكر ولذلك يقال لكل انسان اسلوباً وعي تعلق بانتقاء اللفظ وكيفية سرده قال فولتير: الاشياء التي نقال تؤثر اقل من كيفية ادائها فان جميع الناس يتقاربون في الافكار التي هي بمدرك كل انسان، والفرق في كيفية التعبير. فانها تجعل الاشياء معتادة غريبة، وثقوي الضعيفة، وتجسم البسيط، وبغير حسن الاسلوب لا يمكن ان يوجد كتاب جيد في اي موضوع.

ويقول غيره: حسن الكتابة فيه حسن الفكر، وحسن الشعور، وحسن التعبير، فيقتضي الذكاء والذوق. والاسلوب يتضمن استعمال القوى العقلية جميعاً ولا يبقى من الكتب الا ما كتب جيداً فان الاختراعات والاكتشافات لا يخلد بها الكتاب ما لم يكن حسن العبارة، مكتوباً بذوق ونبالة والاسلوب وهو النفس هو الدال بالعقل على صفة الكاتب حتى قيل انه مظهر الكاتب لتعلقه بقوى العقل والنفس، وحيث ان لكل انسان صفات مميزة عن غيره فلذلك اختلفت الاساليب والانفاس.

✽ تنبيه ✽

يمرُّ بالقارىء اللبيب فيما هو آتٍ فصول ومقالات حال دون اتمام بعضها في حياة الفقيه موانع واعذار كمقالة «التعليم الالزامي» التي كان قد شرع في طبعها سفرًا قائماً برأسه ودون بعضها الآخر طرؤ أسباب من مرور الوقت الطويل افقدتها البقية كفصل «الاخلاق» وفصل «الهند» وخطبة «حاضر الخاطر» فاضطررنا الى اثباتها على خلوها من البقية قصد حفظها اثرًا من آثار

الفقيد قانعين بما وقع اليها منها قطرات من بحر آدابه الزاخر، ودرراً مما نظمتها  
يد الحكمة في عقد فضله الباهر.

### السؤال

وهو حالة من بيعته الضعف والكسل على التماس الرزق بالذل والمسكنة  
من صدقات الناس . فهو فوت الفضيلة ، وموت الهمة تسفل به الانفس ،  
وتكدح الواجه ، وتزول القيم ، وتغنى الاقدار ، وتلف العقول ، وتذهب  
المروءات . فاما تراه متجر الايبور ، وبضاعة لا تكسد ، وحرفة لا تنسخ ،  
فهناك مظنة الخلل ، وموضع الفساد في هيئة الاجتماع . فان للانسان في  
هاته الهيئة عملاً يصيبه حقاً واجب القضاء ، فهي بمنزلة مامل متفرع المشاغل  
يعمل فيه كل انسان ما استطاع . فمن عمل نال ما استحقه ، ومن كسل  
اضاع حقه

ولا شك ان ملتمس العمل لا يعدم اليه سبيلاً في معظم البلاد ، فما  
ضاق منها بساكنيه من ذوي الحاجة فليس في الغربة عنه كربة ، وليس في  
التقله منه مثله ، وربت حركة ، تجي بالبركة ، وانتقال ، يغني من السؤال .  
فالسائل الصحيح البدن ، القوي على السعي ، مجرم ولا ريب مستوجب  
للعقاب . فانه كيفما دأب جلب المال من هيئة الاجتماع ، وكيفما جال نال  
من رزق الله حراماً .

ولقد رأيت السائلين الوفاً صنوفاً يجوبون كل فج في هاته البلاد بلاد  
الذين انبتت مراكبهم في البحار ، وانتشرت متاجرهم في اقاصي الارض ،  
وكانت مزارعهم في غاية النماء قبل نزالات الرومان ، ومستعمرات اليونان ،  
وعلى حين كان ذوو التجارة في هذه الايام أجلاف بادية ، وانضأ خشونة ،

يتوسدون الاحجار ، ويفتدون بما تثر الاشجار ، فضاقَ بذلك صدري ، واتسع  
الاسنان ، فوقفتُ على ما في من عي وحصر ، داعياً لسدّ هذا الخلل ، سائلاً  
محو هذا الدرّن ، ضناً بالانسانية ان يبذل ماؤها ، وحرصاً على اوطاني ان  
يفسد ابناؤها ، فانّ النفس اذا الفت الذل ، ولم تأنف من الهوان ، هبطت الى  
اسفل دركاتِ البهيمية ، ولم تلبث جديرة بالانتماء الى الانسانية .

ولكن لا بدّ قبل ذلك من التمييز بين السائلين فانه وان تقدم لنا الحكم  
بان ليس للمرء على الهيئة الاجتماعية غير ما يستطيع من العمل ، فاذا رفضه ميلاً  
مع الكسل ، وايقاراً للبطالة ، وارتياحاً الى المغنم البارد ، لزمه الحرمان . الا ان  
في الحياة ادوار ضعف ، واحوال ضرورة من مثل الطفولية والهرم والداء تمنع  
المرء من السعي ، وترفع عنه فريضة العمل ، فيكون ضمان معاشه على هيئة  
الاجتماع فان فاته ذلك بما يطرأ من الفساد على نظام تلك الهيئة ، وقع الاشكال ،  
في مبحث السؤال ، وامتنع الاخذ بما يزيل عن القوم عاره ، ويدفع عن بلادهم  
اضراره ، اذ يحصل الالتباس بين العاجزين والاصحاء من اهل تلك الخطّة .  
فان منعوا جميعاً ، اخذ البري . بذنب البذيء ، وان أعطوا جميعاً اصاب اهل  
الحيلة والنفاق ، ما لا ينبغي لغير ذوي الاستحقاق .

ولا ينبغي التأريخ ان الاقدمين كانوا يميزون بين اهل الكدية على وجه  
يدفع الاشتباه . ولكن جاء في شرائع بعضهم ما يشبه ان يكون حدّاً مقاماً على  
الاصحاء منهم . غير ان ذلك لم يكن قاطعاً لاسباب حرفتهم وانما منع من  
كثرة السائلين في بعض البلاد حرص سكانها على صلة الرحم ، ورعاية  
الذنب ، والبرّ بنووي القربى ، فقد كان يكبر على الروماني مثلاً ان يكون في  
انسابه من يرضى بذل السؤال فيجود على الفقراء منهم بما يجد مما يكون  
سداداً من العوز فلما ضعف صلة الرحم في اهل رومية كما ضعفت سائر

الاشكال  
الان

الاجتماع  
المرء  
السعي

الاصحاء  
منهم  
السائلين

الفضائل المنزلية ، تولى حكاهم امر الفقراء يوزعون فيهم الخنطة ، ويجرون عليهم ارزق ، فلا يبقى بهم من حاجة للسؤال .

وقد اتسع نطاق الكدية في الصور المتوسطة بما كان من انحصار الاموال في ذوي الامارة والرئاسة ، واستئثار ذويهم بالكثير من اوجه الرزق ، وبما تأوّل اهل البطالة من احكام بعض الاديان في اجازة السؤال لكل من رضي به من الناس « ان تلك الاحكام ناطقة برد ما يدعون ففي كتاب اللاهوت تعريب الفاضل الحوري يوحنا حبيب لا الزام بالتصدق على فقير يابى الكد والعمل ، بل لا يجوز ذلك من حيث ان التصديق على فقير كهذا يعود عليه بالضرر اه . وفي الاثر ما لا نورده امثالاً لامر الدولة في ذلك وانما نذكر معناه وهو لا يحل السؤال لفتى ولا لسوي ذي قوة . وفي المأثور عن عمر بن الخطاب (رضه) « يا معشر الفقراء اتمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس اه . » وامثال هذا القول كثيرة لا يحتمل المقام استيعابها حتى صار حرفة كسائر الحرف لا يلزم فيه حياة ، ولا يلحق به عار ، بل كان اوفى مكسباً ، واصفى مشرباً ، من باقي المعاش . بنيت لاهل المضائف ، والمسكن ، في جوار المعابد يعيشون بها رغداً ، ولا يخشون حيفاً ولا نكداً ، حتى تنبه الناس من رقدة الغفلة او كادوا يتذهبون ، فانقلب الكثير من هاتيك المضائف ملاجئ للضعفاء العاجزين ، وما بقي منها على قدمه فهو ولا ريب يوشك أن يتقلب وكيف كان الامر فلا بد من الناية بتدارك اهل السؤال لمنع اصحابهم ، واعانة الضعفاء ، فانهم وان كانوا كلاً على عائق الاجتماع الانساني ، فلا يمكن اخراجهم عنه بل هم فئة كثيرة منه جديدة ولا شك بالاهتمام خصوصاً وان الكثير من الناس يضربون في الارض عراة لا يرون فيها ملاذاً ، ولا يجدون معيناً غير ذراعين اثنتين يلزمهما الضعف الى حين ، ثم تلم بهم الحوادث ، وتكره

السؤال  
الضعفاء  
المحتاجين  
الذين  
لا يجدون  
ملاذاً  
ولا يجدون  
معيناً

السؤال  
الضعفاء  
المحتاجين

السؤال  
الضعفاء  
المحتاجين

عليهم الحاجات ، وتحفهم المكاره فيشبون وهم لقوة الاحتياج ، وضعف الوسيلة ،  
 بين السؤال ، والجريمة ، والموت . فيتداعون الى السؤال احتياجاً ، ثم  
 يستمرون عليه بحكم العادة حتى يصير ملكة في النفس والملكات ، منتهى  
 العادات . فان كان المعدم قوياً الحول ، عظيم البنية ، وسيم الخلق ، بحيث  
 تعزف نفسه عن ضمير السؤال مال عنه الى السرقة يترقى في مراتبها حتى يصير  
 من كبار اللصوص فالواجب على اهل الدرّك ان يراقبوا الذين يرونهم على  
 جرف الهاوية من ذوي الفاقة ، يقبضون ايديهم حال امتدادها للسؤال ،  
 ويشبطون اقدامهم عند سعيها للسرقة ، لكيلا يتأصل فيهم الشر ولا تنقلب  
 العادة ملكة راسخة القدم . فان النفس شديدة الاعتلاق بما تعودت ،  
 ومن شب على الشيء ، شاب عليه

وقد ظهر من تقويم ذوي النقد في محابس الاشداء ، وملاجى الضعفاء ،  
 من السائلين في البلاد الافرنجية ، ان الغالب عليهم ان يكونوا دماماً ، قباح  
 الوجوه من اهل المزاج النفاوي ، وممن وجدوا على خلق بيض ، ومن الفاقدين  
 للعقوب المدنية بما ارتكبوه من الجرائم . فهؤلاء جميعاً يستحقون الرفق ، وارحمة ،  
 والتؤدة ، في المنع من السؤال ، والعقاب عليه ، خصوصاً اهل الجرائم السابقة  
 فان احكام الدول تفصل ما بينهم وبين حياة الاجتماع ، وتجعلهم في الناس  
 كلاجرب بين الاصحاء ، فيبذهم الابعاد ، ويحتجبهم الاقارب متنصلين من  
 ذلك بما تسيغه تلك الاحكام العنيفة . فبييت اولئك المعدمون بين انياب  
 الاحتياج ، ومخالب الفاقة . فاما ان يعودوا الى ارتكاب الموبقات ياساً من  
 النعمة ، وحرصاً على الحياة ، واما ان يذكروا هول العقاب السابق فيلوذوا  
 بجزاب السؤال .

فتبين من هذه الملاحظات ان منع الكدية بوسيلة من العدل ليس بالامر

اليسير فإنه لا بد فيه بداءة بدء من التمييز بين الاصحاء والضعفاء ، وان ينشأ  
 لهؤلاء ملاجئ . نقيهم الحاجة ، وتضمن لهم البُلغة ، ثم ينظر في امر الاقوياء  
 تبين احوالهم ، وتعين اسباب سوءهم ، نيوخذ امرهم بالاحتياط والحكمة ، لا  
 يرهقون مبادهة ولا يلقون في السجون يعيشون فيها عطلاً من الاعمال متعريضين  
 لمفاسد الفراغ فلا تزيدهم الا نفوراً من العمل ، وارتياحاً الى السؤال .  
 ولكن يعنى بشأنهم تهذيباً ، وتربية ، واكراهاً على التماس الرزق من اوجه السعي  
 والاجتهاد حتى يتم شفاؤهم من الداء الملم بهم حساً ومعنى فان عادة  
 السؤال والبطالة المذهبة للخلاق من المزية ، تفسد خلق المرء فتهن قواه وتضعف  
 اعصابه ، وتخبث نفسه ، فتزول همته رأساً فلا يجيا حياة الانسان ، واكمنه  
 ينمو النبات حتى انه ليألف اطاره البالية ، ويحرص على ادراجه البادية ،  
 فلا يبدل الثوب الخلق ، ولا يغسل الدرر الا اذا اكره على ذلك . فلا بد  
 من التأليف بينه وبين المعاش الصناعية تدريجاً يهد له سبيل العمل ثم  
 يؤمر به فان اباه أنزرت بالعقاب ، فان لم يخف النذر حمل على العمل اضطراراً .  
 ولا غبن عليه في ذلك ولا تثر يب على من يلجئه اليه فانه كالمرريض المرسوم  
 ينفر من الطيب ، ويميج الدواء ، فلا بد من مداواته بالحياة او بالرغم لتحصل  
 له العافية ، وتعود اليه الصحة ، فيصير عضواً نافعا في جسم الاجتماع الانساني .  
 هذه اماني آمل يعلم صعوبة نيلها ، ولا يجهل قلة اسبابها على انه لا يقنظ  
 من الرحمة بما يعتقد في الدولة العلية ، من حسن النية ، وبما يأمل في ارباب  
 الرئاسة ، واهل الوجاهة ، وذوي النباهة من ابناء هذا القطر عموماً ، وهذا  
 البلد (بيروت) خصوصاً فاننا لانعدم فيه من يقوى على التمييز بين السائلين ومن  
 يتصدق على ضعفاءهم . فاذا انصرفت الى ذلك القصد هممة الحكام يعزلون  
 الاصحاء عن الضعفاء ، وعناية الرؤساء والوجهاء يجدون لاولئك مشاغل ، ولهؤلاء

انشاء  
 المعاملات  
 الصالحة

انشاء  
 المعاملات  
 الصالحة

انشاء  
 المعاملات  
 الصالحة

رزقاً ، واجتهاد الجمعيات الخيرية تتألف على اختلاف مشاربها لانشاء ملجاء  
 للعاجزين بما يدرُّ به المحسنون من الصدقات - اذا تمَّ ذلك - ولا اراه فوق  
 الامكان حصل به الفضل والمِنَّة للساعين فيه ، واثبت لهم في تاريخ هذا القطر  
 انهم صانوا ماء الوطن ، واحيوا موات الانفس فتكون لهم احدوثه حسنة  
 يذكرون بها فيشكرون  
 وما ابن ادم الا ذكر صالحه او ذكر سيئه يسري بها الكلام

وكتب رحمه الله بلسان المهاجرين المصريين  
 البلديَّة والبيروتيون

كنَّا وايام مصر مواسم ، وثغورها بالهناء بواسم ، فنحن الى ديار الشام  
 اعجاباً بما نسمع من اخبارها ، وايلعاً بما نرى من آثارها ، حتى دعتنا اليها  
 عاديات ، غير عاديات تجسَّمت باستمرار الصفو من قبلها ، وتقدم العهد على  
 مثلها ، فاتينا هذا البلد الكريم آمنين ، فنزلناهُ بسلام آمنين ، - وقدما سمعنا  
 عنه ما طاب نشره . فلما رأينا حقق الخبر الخبر - رأينا مكان القبول رحيباً ،  
 وغصن الاقبال رطيباً ، وهذا الثمر باسماً لنا رحيباً ، وكراماً فيه فوق ما وصفوا  
 واجواداً غير المعروف لم يعرفوا ، ظهرت منهم تجليات الفضل والجود ، بظاهر  
 اكرام الوفود ، على يد رئيس البلديَّة الكريم الجدير بالاجلال والتكريم ، سليل  
 بيت المجد والسيادة ، محيي الدين افندي حماده . فقد كان ايداً الله مجلى الرعاية  
 والعناية ، من مكارم صاحب الدولة والي الولاية ، ومثاله في ذلك اعيان امائل  
 ووجهاء افاضل ، وحكام كرام نزهاء ، ومأمورون ميامين اذ كياء . فان فارقتنا  
 الى بيروت السكن ، فما تعدينا الوطن ، وان تفرَّق منا الشمل ، فما فائنا الاحباء  
 والاهل . ويا حبذا الاغتراب ، لقاء اخوان واحباب . وبعد فما هي الامدة

محدودة ، وأيام معدودة ، نقضي بها فرض الزيارة لهذه الديار ثم نعود عنها  
 باطيب تذكار . نحدثُ بنعمة اهلها بين اخوان الاوطان ، ونذكر افضال سكانها بكل  
 لسان ، حتى نملأ وادي النيل بالثناء ، ونعطر بارج المدح هاتيك الارجاء .  
 وياسادتي اصحاب الجرائد السورية لقد رأينا لكم الفضل الذي عرفناه ،  
 وشهدنا منكم المعروف الذي اعترفناه ، اذ دعوتكم كرام اخوانكم الى اكرام النزلاء ،  
 فاسمعتم منهم اجواداً اكارم ألقاء . فانتم دعاة الفضل والانسانية ، وانتم مظاهر  
 الالفه الوطنية . فاجعلوا تمام احسانكم نشر هذه الحروف ان وجدتم لها محلاً ،  
 لا زلتم للفضل والاحسان اهلاً .

— — — — —  
 X حب الذات

هو علة الفوائد ، والمضار ، والمحاسن ، والقبائح ، والكلمات ، والنقائص ،  
 والسعادة ، والشقاء ، تجتمع الفضائل في الاعتدال فيه اي الوقوف عند حد  
 الكمال ، والردائل في الافراط فيه اي استعماله في تجاوز الحد من جانب الزيادة ،  
 والتفريط ، اي استعماله في تجاوز الحد من جانب القميص .  
 فمن اوجه محاسنه ، وانواع فوائده ، انه علة الاجتماع الانساني وذلك  
 ان الانسان قد وجد على سطح هذه الكرة محتاجاً الى الغذاء والكسوة ، ضعيف  
 الخلب والنايب ، ورأى من نفسه العجز عن اصابة الحاجات ، ومقاومة سائر  
 الحيوان ، مع الحرص على الوجود ، والرغبة في البقاء ، فطلب الاجتماع والتألف  
 لدفع المضار ، وجلب المنافع ، فحصلت الجمعية المعبر عنها بالاجتماع الانساني  
 وكان علتها حب الذات

ولما استفاد بنو الانسان من حوادث الطبيعة ، او متاعب العيش معرفة ،  
 ومن تبادل الافكار رشداً وحكماً صحيحاً ، ائتمروا المذاكرة في شانهم فقالوا

لم تصرف الايام في التماس الغذاء من الارض الضئيلة ، وطلب الصيد في الغابات الخيفة ، فلم يبنوا نجوع الحيوان الضعيف فتحميه من القوي ، ونستفيد من البانء غذاء شهياء ، ومن جلوده لباساً حسناً ، ونزيج انفسنا من طلب رزق اليوم ، والاعتماد برزق غدء . واتفقوا على ذلك فجمعوا الضائفة والماعزة ، والنعم والماشية ، وشعروا بعد ذلك بالراحة وحصلت لهم المسرة وما عاتبا الاحب الذات ولما حصلت لهم الحاجات ، وتفرغوا من الشواغل ، اطلقوا نظرهم العنان فسرح في الارض ، وارتفع الى السماء مستكئها مستطعماً وصرفوا اهتمامهم الى توفير مواد المسرة ، وتكثير اسباب اراحة ، ورأوا في بعض الجهات نباتاً خفيف المؤونة ، كثير الحمل ، فاختروا له في الارض مزارع معينة وبذروه ومنه الارز والشعير والحنطة وغيرها . ثم ظهر لهم انه يحمل في مدة قصيرة ما يكفيهم زمناً طويلاً ، فاختروا الإقامة في مزارعهم ونصبوا فيها الكواخ ، وبنوا المساكن ، فكانت المدن ، والجماعات ، والأمم ، وحصل التمدن الانساني وما علة جميع ذلك الاحب الذات .

اما اوجه قبائحهم ، وانواع مضاره فمنها ان الانسان لم يابث بعد وصوله الى تلك الرتبة الوجودية ان خدعته الحواس فانهمك في الشهوات ، ولم يكفه ما يحصل له من ارضه وصناعاته ، وطلب المزيد فاعياه فحمله حب الذات على الطمع في نصيب غيره فنهض على الضعيف معتدياً ، فاستعان الضعيف عليه بضعيف آخر يخاف القوي ان يعلبه الضعيفان فقال لقوي آخر لم نحن نتعب ونجهد للحصول على حاجتنا وملاذنا وهي بين ايدي هؤلاء الضعفاء . هم بنا نسلهم ما لديهم ونغنم ما يصيدون . وهكذا اجتمع الاقوياء للظلم والسلب ، والضعفاء للدافعة عن انفسهم ، فحصل التعزب والتشيع ، ووقع الخلاف في الجماعة ، فتنافرت القلوب ، وتباينت الخواطر ، فحصل البغض والحقد ، وتأيد

بهما امر الجهل ، وما سبب ذلك الأحب الذات  
ولمّا عظم امر الجهل انتصرت به دولة الشرور ، وذهل الانسان عن واجباته  
وحقوقه فحصل الكبر والذّل وجهل حقوق الجماعة بخار واعتدى وحمل بعضه  
على بعض نعاملاً واعتداءً ، فامتلات الارض قبائح واكداراً ، وفظائع واضراراً  
وتفرقت الكلمة في الاوطان ، وانقسم الناس بين سادة وعبدان ، بعد ان  
كانوا سواسية احراراً ، وحصل الاستبداد بالحكم والاخذ بالقوة والظلم ، وما  
علة جميع ذلك الأحب الذات

فواعجباً لهذا الانسان كيف تجتمع فيه المناقضات فهو هو العادل والجار ،  
والمحسن والمسيء ، والنافع والمضر ، وما كان اجدره بحفظ ذلك القانون الذي  
رسمته يد القدرة على صفحات الافكار وهو ان يفعل لغيره ما يروم ان يفعل  
الغير له وما احراه ان يكون عاملاً بما قاله احد الحكماء ، مما نظامه احد اصدقائنا  
الفضلاء بقوله

ذاتك احفظ وتفقه واعتدل واحي للناس ليحيي الناس لك

### شكر الاحسان

كلمة كتبها بمناسبة الرتبة التي نالها في مصر  
أحدث بنعمة مولانا الخديوي المعظم حفظ الله ملكه وامته وجوده ،  
واولى على الصادقين في خدمته احسانه وجوده ، فقد اولاني من آلائه ما  
يجب له الشكر ، وجهد امثالي فيه الذكر . احسن اليّ زاده الله احساناً ،  
ولا يرح عين الكمال انساناً ، برتبة جلّت فحلت جيد وجودي بطوق الامتنان .  
فانا قائم مقام الشكر لها وان كانت يد ايس لي في مدحها يدان . سيما وقد  
بالغ من عنايته باصغر خدامه ، واقل الجديرين بانعامه ، انه تفضل حرس

الله مجده بتسليمه الرتبة بيده الكريمة تأكيداً لا قبالة عليه وتحقيقاً لتوجهه  
 انعطافه اليه . ثم جاد بالموانسة وزاد في الملاطفة وتكرّم باستحسان الخدمة وأمل  
 العاجز في المزيد حتى عجز عن الشكر لساني ، ولم يف حق الثناء . يأتي  
 وقد انفسح الآن مجال المقال فجئت شاكرًا نعمة الامير على عهد من قال  
 افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

### الجاوسية

كتبها لواقعة حال تعلم من ترجمته رحمت الله عليه .  
 ان للدناءة رجالاً والخسة واللؤم عملاً ، تخذوا من اقفية النعال وجوهاً  
 كالحة يلطمون بها الابواب ، ويمرغونها على تراب الاعتاب ، سعيًا وراء كلمة  
 ساقطة من فم آمن امين ، وتشاؤفاً على حركة صادرة من صادق صديق ،  
 يجعلونها رأس مالهم في تجارة النفاق ، لدى اهل الامر والنهي لعقد ما حلت  
 الحرية وحل ما عقده الاستحقاق ، فهم آناء الليل ، واطراف النهار ، في  
 زوايا المنازل ، او حول جدران الديار ، يتلصصون متصاغرين متحاقرين ، تمثل  
 وجوههم الخاسرة ، وعبونهم الخائرة ، لعنة الله على المنافقين  
 وان الله خلقاً كراماً ، امانة مستأمنين ، اصفياء مصافين ، يرون الوجود  
 بمرآة انفسهم فلا يداخلهم فيمن يعاملون شك ولا يأخذهم بهم ارتياب ، فهم على  
 اختلاف الحالات ، وتنوع الاوقات ، يسمعون في شؤونهم صادقين مناصين  
 في الحق والواجب . تعرفهم ابتسامة الرائي المرئي ، ويخدعهم استحسان الموافق  
 المنافق ، وتنفذ فيهم حيلة المداحي المفاجي ، فيبيتون راضين عن انفسهم بما  
 كسبت من العرف للناس ، وبيت المنافقون مفكرين فيما يفكرون عليهم  
 زوراً وكذباً فيا لعنة الله على الكاذبين

✕ او ما رأيتَ فمِنَ رأيتَ دميماً ، قمأةً ، مسيخاً ، ضائع نور الحياء ،  
 ناضب ماء الوجه ، زائغ انسان العين ، محلول عقدة اللسان ، سريع حركة  
 القدم ، حرباوي لون السحنة ، خلدي الة السمع ، كلبي الطباع فيما عدا الامانة ،  
 خنزيري النفس برى في الساعة الواحدة على عشرة ابواب ، وينطق في  
 اليوم الفرد بمائة لسان ، ساعياً الى زيد بما يقول عمر والى عمر بما يفعل زيد ، والى خالد  
 بما يقول ويفعل الاثنان . متجسساً للكل في الكل على الكل كاذباً ، مداهنأً ،  
 موارباً ، محتالاً ، مخالفاً ، ختالاً ، منافقاً ، مغتالاً اعراض الكل كاسباً ، مستهزئاً  
 سالباً مستهتراً ، غاصباً ، ضاحكاً من الكل . فهذا المسيخ من تنزلات ابليس  
 اخزاه الله بين عباد الله فان رأيتهُ بين اقدمك فارفع اطراف الثوب عنه  
 وان مسه فطهره من رجسه تطهيراً ، ثم ارمه بحجر الاحتقار انه الكلب الاجرب  
 فلا تخش منه هريراً ✕

وقل لمن قرّبه وادناه ، وغرّه منه مسعاه ، من باعك ماء وجهه ،  
 وشرف نفسه ، وحق انسانيته بمقدار ما تنفقه على كلب الصيد . يبيع ذلك من  
 سواك باقل مما ينفقه على كلب السوق عادة ارباب الجاسوسية ، ذوي النفوس  
 السافلة الدنية ، في كل زمان ومكان . فلا يغرك لين ملمسه

ان الإفاعي وإن لانت ملامسها عند الثقلب في انيابها العطب  
 ولا تخدعك حلاوة لسانه فإنه يعطيك من طرف اللسان حلاوة  
 ولا تحسبته نافعك بما يضر الناس فللذي ينقله عنك اضعاف امثال ما  
 ينقله اليك ✕

وان ابا الكرشاء ليس بسارق ولكن متى ما يسرق القوم يأكل  
 او لم تره صديق المتعادين ، وحليف المتحاربين جميعاً ، لا يناله الخسران

بجال، ولا يفوته النصر بقتال . وما ينتصر عليك إلا بك ، وما ينتفع بعدوك  
الأ منك .

لا تقبلن نعمة بلغتها      وتحفظن من الذي انباها  
لا تنقشن برجل غيرك شوكة      فتقي برجلك رجل من قدشاها  
ان الذي انباك عنه نعمة      سيدب عنك بمثلها قد حاها

دخل رجل على الوليد ابن عبد الملك وهو والي دمشق لاييه فقال : عندي  
للامير نصيحة فان لي جاراً عصي وفر قال الوليد اما انت فقد اخبرت انك  
جار سوء على انا نرسل معك فان كنت صادقاً اقصيناك ، وان كنت كاذباً  
عاقبناك . وكان المأمون اذا ذكر عنده السعاة قال ما ظنكم يقوم يلعنهم  
الله على الصدق

فسحقاً لاهل النفاق والمين ، وبعداً لذوي الوجهين ، ( فلا تطع المكذابين  
ودثوا لوتدهن فيدهنون ولا تطع كل حلافٍ مهين همأز مشاء بنميم مناع  
للغير معتد اثم الآية )

### فصل في الاخلاق

الاخلاق مظاهر العواطف ، وتجليات السرائر ، وآثار الطبيعة والتربية  
فهي مختلفة في الناس بحسب اختلاف العوامل المؤثرة في قلوبهم ، وعقولهم ،  
وابدانهم . وهذا بدبي لا حاجة فيه الى البيان  
وقد تنوعت اراء الناقدين في تلك العوامل الموجبة لاختلاف  
الاخلاق ، وانحطاط بعضها الى دركات السفالة ، والرذيلة ، وارتفاع البعض  
الآخر الى مقامات الشرف ، والفضيلة . فرأى بعضهم الخلق الواحد منتشراً  
في الجماعة الكثيرة فحسبوا ذلك ناشئاً عن موقعها من الارض ، او عن الاحكام

الجارية عليها . فعدوا شريعة القوم ، وهواء البلاد ، مصدراً للاخلاق .  
 واستحكم هذا الرأي في اذهانهم حتى توهموا ان المقيم بهاته البقعة من الارض  
 على خلق لا يحصل في المقيم بغيرها مما يخالفها هواء . وان الآخذ بهذا القانون  
 على طبع لا يكون في الآخذ بسواه مما يغيره . وهو غلو وانغراق فان  
 المواقع وان صح تأثيرها في الانفس والابدان ، الا انها لا تغير الحقيقة الانسانية  
 في الانسان ، واذا لم تتغير هذه الحقيقة فحسن الاخلاق ممكن في كل مكان .  
 اما الاحكام فانها اشبه تأثيراً في الطباع من سائر العوامل ولا سيما اذا استحكمت  
 ومررت عليها الايام . وكثير ما اطاعت الاحكام القاسية انوار فضائل كانت  
 لولاها ساطعة تأخذ بالابصار ، واطالما اوقدت الاحكام العادلة مصابيح كمال  
 كانت لولاها مظلمة مجهولة المكان . ولكن الاحكام وان عظم تأثيرها في  
 الاخلاق فهي كاربما تستر الجمر ولا تطفئه ، والغبار يخفي النصل ولا  
 يغير جوهره . فكرم الخلق ممكن الوجود في كل هيكل انساني على الاطلاق .  
 ودليلنا على الاول انه اما ان يراد بالموقع المكان من حيث الارتفاع ،  
 او الانخفاض . واما ان يراد به الهواء من حيث الحرارة ، والبرودة . فان  
 كان الاول فليس اهل الجبال جميعاً على خلق واحد . وليس اهل السهول  
 كذلك وانما فيهم الاخيار ، والاشرار ، والسفلاء ، والفضلاء . وان كان الثاني  
 وقيل البرودة مانعة من قبول العبودية قلت اما ترون صقالبة الشمال . وان  
 قيل الحرارة مانعة من طلب الحرية قلت اما سمعتم ببادية العرب . ثم اترون  
 ان الانكليزي السريع الحركة ، والالماني المتأني ، والصقالي المتغافل ، على خلق  
 واحد وهم في مواقع متشابهة . او ترون الفرنسي المشتغل ، والاسباني  
 الكسول ، والاطالي المتسكع على طبع واحد .  
 ودليلنا على الثاني ان الذين اوجدوا الاحكام العادلة ، كانوا من قبل

تحت احكام الظلم كاهل الثورة الفرنسية الذين خرجوا من تحت احكام الملكية المطلقة ، الى وضع الحكومة المقيدة . وان ذوي الاحكام الظلمة كانوا من قبل تحت احكام عادلة كاصحاب خيانة عام ٥٦ تحت رئاسة نابوليون الثالث فانهم قتلوا الحرية ، وداسوا رجالها ، وارجعوا القطر الى ما كان عليه من قبل ستين عاماً . فكما امكن وجود ذوي الاخلاق الكريمة كاشجاعة ، والنزاهة ، وحب الوطن في الذين كانوا تحت الاحكام الظالمة كذلك امكن وجود الرذيلة كالخيانة ، والغدر ، والاثرة في الذين كانوا تحت الاحكام العادلة .

وكل هذا من باب الامكان فلا يتوهم اننا نزيد القطع بعدم تأثير المواقع والاحكام في الاخلاق . وانما غايتنا بيان ان هذا التأثير اقل مما يبالغون وان التربية قادرة على تعويض كثير مما يفقد الانسان مهذين العاملين .

( والبقية متقدمة . كما المعنا الى ذلك في التنبيه السابق )

### التعليم الالزامي

« وهو سفر غير تام شرع الفقيه في طبعه بيروت عام ١٨٨١ ردأ على مذهب الالباء اليسوعيين في التعليم الالزامي وكان اذ ذلك محرر جريدة التقدم للمرة الثانية . فووقت بينه وبين اهل صحيفه البشير مناظرة في هذا الموضوع افردها هذا السفر . ثم جاء مصر على اثر انقلاب الوزارة في ذلك العام فغادره غير تام . »

قال

« لا تكون السجون فارغة الا اذا امتلأت المدارس ولا تمتلى المدارس »  
 « الا اذا حصل التعليم الزامياً »

## تمهيد

من رام الحقيقة لم ينصرف عن وجهة الحق ، ولم ينحرف عن مسلك العدل ، ولم ينطق عن هواه ، ولم يبل مع ضعف النفس . ان الحقيقة حقيقة لا يمسها الا المطهرون من كل دنية .

ونحن نلتبس الحقيقة فيما نقول لا نشوبها بسفسفة القول ، ولا ننزلي بها على الناس محالاً ، وانما نظهرها كما خلقت نوراً وناراً تضيء ابصاراً ، وتبهر ابصاراً .

وموضوع بحثنا في هذا الجزء الزامية التعليم من الوجه الذي قررت عليه الاكثرية الغالبة في مجلس نواب الفرنسيين ، رابع وعشرين شهر كانون الاول عام ١٨٨٠ بانفاق ٣٥١ رأياً يخالفها ١٥٢

وهو . ان يكون التعليم الابتدائي واجباً على الآباء لولدهم من الذكور والأناث من السادسة الى الثالثة عشرة من سنهم بلقى اليهم في المدارس الابتدائية او الانتصافية سواء كانت هاته المدارس ميريّة عمومية او حرّة خصوصية وفي نفس بيوت الآباء يلقيه الوالد نفسه او من يختاره لذلك الشأن ( البند الثالث من قانون التعليم الازامي )

وان يكون هذا التعليم شاملاً للتهديب الادبي والمدني . والقراءة والكتابة . واللغة ومبادئ البيان الفرنسي ، والجغرافية خصوصاً جغرافية فرنسا . والتاريخ ولا سيما تاريخ فرنسا الى هذه الأيام . وبعض الأصول الضرورية من علم القوانين وفن تدبير المنزل . ومبادئ العلوم الطبيعية والرياضية ، وكيفية استعمال هذه المبادئ في الزراعة ، وحفظ الصحة ، والمهن والاشغال اليدوية ، وادارة الآلات في اهم الصناعات . واصول الرسم والتخطيط والموسيقى . والتمرين البدني . والتمرين العسكري للذكور واشغال

الإبرة للأنث . ( البند الاول من القانون المذكور )  
 فقد رأينا ذلك في جرائدهم فطاب لنا نشره فاذعناه . مستحسنين راجين  
 ان يكون الفرنسيس قدوة لسائر الناس في مآثرة التعليم الالزامي فكبر ذلك  
 على صحيفة البشير لامر يعلمه الله - والراسخون في العلم باحوال صحيفة البشير -  
 فشدت علينا التكبير وسوأتنا وخطأنا كثيراً ان التعليم من وجه الالزام  
 ظلم وكفر وخش وجهالة لا يحق للهيئة الحاكمة ولا يجب على الأمة ولا  
 فائدة فيه لاحد من الناس ، بل هو البلاء العميم يذهب بجرية الوالدين  
 ويفسد الأب الابولاد وينقص من عدد العارفين ، ويزيد في عدد الجهلاء .  
 ( العدد ٥٤٤ من البشير ) فتعين علينا بيان حقيقة الالزام في التعليم ، وايضاح  
 مزيته . فأقبلنا على ذلك في الصحيفة نجلوه من اوضح اوجه البيان ، وثبته بالدليل  
 والبرهان من النص الصادق ، والرقم الذي يكاد ينطق بغير لسان . فامتنع  
 الرد على البشير من هذا الوجه فلاذت بجانب التعريف والتأويل ، وصرفت  
 بحثنا العلمي الى وجهة العقيدة والدين حصراً لا يخفى عن البصير ، وعبأما كنا  
 له من قبل متوقعين ، ثم انبعث علينا نياً بأباه الادب فأتوى الامر ، وانقلب  
 الموضوع ، وصارت المناظرة مناصرة ، والجدال نزالاً فرأينا ان نفرد لهذا  
 البحث الادبي جزءاً برأسه نبث به رأينا فيه مستوعبين آراء ذوي النقد ،  
 وثقاويم اهل الاحصاء على سبيل التقرير العلمي مجردين كل ذلك من  
 سفاسف المجازة ، واعراض المناقشة ، ضناً بجوهر الحقيقة ان يكون عرضة  
 للقول الهراء ، ومضنة في افواه الجهلاء

وهذا اوان الشروع في البحث بحول الله

حقيقة الزام التعليم

الوالد مأمور من قبل طبيعة الوجود ، بحفظ المولود . والانسان

من حيث انه حيوان ذو وجود بدني حسي ، ومن حيث انه ناطق ذو وجود عقلي معنوي فمن دعاه من حيز القوة الى جانب الفعل فقد لزمه حفظه في الحائز .

فكما انه يجب على الوالد ان يطعم الولد ويكسوه ويقه شر العوارض الطبيعية الى ان يشتد منه الساعد ، ويسئني عن المساعد . كذلك يجب عليه ان يغذي عقله بالعلم والادب ، ويصون لبه عن مفسد الجهل ، الى ان تنمو مداركه وبلغ حد العرفان .

فالعلم من حق الوالد والتعليم من واجبات الوالد .

والحكومة هي الهيئة المختارة لنصر الضعيف ، وانصاف المظلوم ، وحماية العاجز ، وحفظ الحقوق ، والدعوة الى الواجبات . وهي مأمورة من قبل وجودها الطبيعي بصيانة الوطن ، واعلاء شأنه ، وتسديد امور الأمة وتنظيم احوالها بتوفير اسباب الراحة وتمهيد طرق السعادة ، وغير ذلك مما لا يتم ولا يحصل الا بانتشار انوار العلم ، وازمحلال ظلمات الجهل . فاذا وجد من لا ينهض بما وجب عليه ، ومن يهمل الشأن الذي لا تكون المدنية ولا تحصل الراحة الا به ، فمن حق الحكومة ان تدعوه اليه ، ومن حقها ان تجبره عليه .

قال الحكيم فرنك النياسوف الفرنسي المشهور في قاموسه الفلسفي ما معناه . ليست واجبات الحكومة بمقصورة على حصر الشر في مكانه ، وعقاب مرتكب الشر . بل يجب على الحكومة ان تسعى في سبيل الخير فتشفي المنافع الوطنية ، وتعني بكل ما يوجب نماء قوة الانسان ، ويضمن له السعادة وعلو الشأن ، وكل ما يؤول الى اعلاء كلمة الانسانية .

فالزام الوالدين بتعليم ولدتهم من حق الحكومة

العلم واجب الاب

العلم واجب الاب

وقد تبين ذلك للحكومات المستنيرة فسكنت اليه ، وحرصت عليه . فتقرر  
 في بروسيه عام ١٧٩٥ . وفي فرنسا على عهد حكومة الموائقة Convention عام  
 ١٧٩٢ . وفي سويسرة وبلجيكا واكثر الولايات الاميركية واسوج وزوج وايطاليا  
 والدولة العلية وامارة باد وانكلترة واوستريا والبرتغال والدميرك واليونان وباريا  
 وسكسونيا وورتمبرج . وأعيد تقريره اواخر العام السالف في بلاد الفرنسيس  
 وكان له حيثما وجد آثاره تذكر وتشكر كما سنبينه فيما يجي .

الا ان اعداء الاصلاح لا ينظرون اليه من وجه الحق والمنفعة العمومية  
 ولكنهم يكرهون النور من حيث يجي ، ويخافون العدل والحق من  
 حيث كان ، ولذلك وجدوا للتعليم الالزامي اعداء الداء يستكرون منه ،  
 ويستنفرون القلوب عنه . يزعمون انه مخالف للحق الطبيعي ومغاير للحرية  
 الشخصية بدعوى ان الوالد حر في امر ولده يتصرف فيه كيف شاء ان  
 علمه كان له الفضل والمنة . وان ابقاه في ليل الجهالة فما عليه من سبيل . وما  
 يعلمون بل يعلمون ويتجاهلون ان الحرية تنتهي عند بداءة الحق العمومي ، وانها  
 عبارة عن حق القيام بالواجبات ليس الا . فكما تعدى ذلك منها فهو  
 عسف واستبداد . فانه ليس من الحرية الشخصية سرقة مال الجار ، واغتصاب  
 ملك الضعيف ، ونقض ميثاق العاجز ، فمن فعل ذلك فقد اعتدى ، وجار ،  
 وخان ، وانتزأ .

قال المسيو جول سيمون في كتابه المسمى بالمدرسة : الحرية نبتت في  
 المدارس ونمت . وبلمدارس تتأيد الحرية وتعم . والحرية والمدنية متلازمتان  
 متضامتان .

وبين الوالد ومولوده ميثاق طبيعي عقد يوم الزواج ، وسجل يوم  
 النتائج . ان الوالد يحفظ الولد في وجوده الحسي والمعنوي فيطعمه ويكسوه

ويؤدبه بالعلم والمعارف ويقيه من العوارض في الحالين حتى يحصل له من القوة ما يغنيه عنه وعن سائر الناس . وان الولد يطبع الوالد صغيراً ، ويحبّه كبيراً ، ويعوله ان كان عاجزاً فقيراً . فاذا نقض احدُهما ذلك الميثاق على ضد حق الآخر ، فقد ظلمه واعتدى عليه لم يأخذ بحقه منه ، ولم يكن مستعملاً حرّيته فيه .

والحكومة منتدبة لمنع كل اعتداء وحفظ كل حق والصغير قاصر عاجز لا يستطيع المطالبة بحقه فضلاً عن ان يناله بالقوة فاذا هضم والده حق وجوده الحسي او المعنوي فلا بد له من شفيع اليه ، ومعين ناصر عليه . والهيئة الحاكمة التي هي خلاصة وجود الأمة ولية كل ضعيف ، ووصية كل قاصر ، فهي مأمورة من قبل تلك الولاية ، وهاته الوصاية بالذود عن الصغير ، وحفظ حقه من كل منتزى عليه . فكما انها تعاقب من يذب الولد ، ومن يذبده ، ومن يقتله ، ومن يسقطه جنيناً كذلك يجب عليها عقاب من يذفنه حياً بما يهمل من تعاليمه المفروض عليه ، ومن يقتل عقله بما يففل من هديه سبيل العرفان . بل قتل العقل اشنع ، وافظع ، واضرر بالهيئة الاجتماعية ، من قتل البدن . ولأن يهلك الرجل ولده خير له من ان يميت عقله بالجهل والخشونة فيكون من المفسدين في الارض . فالزام التعليم واجب على الحكومة

وبعد فقد وجد الولد في الهيئة المدنية ليكون وطنياً في امته ، وجندياً في وطنه ، يزود عنهما جميعاً ويفتديهما بما يستطيع من كل حسي ومعنوي ويجلب اليهما النفع ويدرا عنهما الضرر لاتحادهما في الوجود المدني ، ولقيام الكل بالواحد والواحد بالكل حيثما وجدت أمةً وحيثما كان وطنٌ صحيح . فينبغي من هذا الوجه اعداده لمراتب الانسانية واشرايه الفضائل المدنية

ليكون عضواً نافعاً في جسم الهيئة الاجتماعية، فلا يئى وجدانه المدني فيحصل كاليد الشلاء، كلاً على عائق اخوانه، ولا يظهر بما يلحق بهم الضرر او العار. فربما وزرت الأمة وزر واحد منها وعيرت به مدى الاعصار. فالحكومة الجامعة للكلمة الوطنية، المنتدبة لحفظ الهيئة المدنية، مأمورة بالاشراف على افراد تلك الهيئة. تصون لضعيفهم حقاً كما تصونه للقوي، وتلزم عظيمهم بما يجب عليه كما تلزم به الحقير. فان دعت الوالدين الى وفاء اولادهم حقهم من التعليم لم تكن الا آخذة بحق لما بل قائمة بواجب عليها. وما احسن ما قال في ذلك النائب الفرنسي الموسيو بول برت وهو «متى وجد الامر متعلقاً بمعاملة الاحداث في زوايا المدارس بكلام يثبت في اذهانهم اللبنة صوراً واراها، فللهيئة الحاكمة المندوبة لجلب المصالح ودرء المفسد حق التدخل فيه، والزام ما تقضيه»

### فصل

نظرنا فيما تقدم بيانه الى حقيقة الزام التعليم من الوجه الطبيعي والمدني على صورة عمومية فبقي ان نحصر الكلام في دائرة البحث من حيث هو فننظر في حقيقة الزام الوالدين بتعليم اولادهم في أمة من مثل الفرنسي فان آثار الاحكام والقوانين المدنية تختلف بحسب اختلاف الاحوال والمعدات بحيث يكون اللازم منها في بعض الامكنة غير لازم في بعض، والحاجي في بعضها كالياً في بعض، بل ربما كان الحكم نافعاً مصلحاً في بلده وضاراً مفسداً في غيره من سائر البلاد.

فالامة الفرنسية أمة انتخاب عمومي يشارك افرادها في الحكم الكلي فكل واحد منهم ينتخب النواب، وكل واحد يصلح ان يكون نائباً الا الذين

لما نكاه  
والا  
لها

اضاعوا حقهم المدني بما كانوا محترمين . والنواب هم الذين ينتخبون رئيس  
 الدولة، ومنهم تتألف الوزارة، وبارادتهم يتعين مقدار الدخل والخرج، وبمحكمهم  
 توضع الضرائب، وتفرض الزرائع، وهم هم اهل النهي، والامر، والنقض،  
 والابرار . فالأمة هي الحاكمة في بلاد الفرنسيين فان لم يكن كل فرد منها  
 عارفاً بما يحق له، وما يجب عليه لم يصلح ان يكون رقيباً ناظراً على الحق  
 والواجب العمومي . قال احد ادبائهم في هذا الباب: لا بد من حصول  
 المساواة في الممالك على ما ترى في الجمهوريات بحيث تكون في الروسية كما في  
 سويسرة فيزداد بذلك عدد الذين يشاركون في احكام بلادهم بواسطة  
 الانتخاب - ان لم يكن انتخاب نواب فاعضاء مجالس للادارة، والجزاء،  
 والحقوق، والبلدية، وهلم جرا - وقد حصل الانتخاب عمومياً في كثير من  
 البلاد وهو على قدم الحصول في سائرها وحيث انه لا يمكن رده هذه  
 الحركة ولا وقفها فلا بد من جرها الى جانب الخير والعرفان بحيث لا يدير  
 اعمال الهيئة الا من كان قادراً على ادارة اعماله الذاتية، ولا يتولى مصالح الناس  
 الا من كان على علم بمصالحه الحقيقية . فان الغبي الجاهل لا يصلح ولا يجدر  
 به ان يتولى امور الكل . ومن اعطي حق الانتخاب فكأنما ولي هذا الامر  
 فلا يصح ان يكون جاهلاً . ان حق الانتخاب مع الجهل يجعل الأمة فوضى  
 ويبعدها الى الاستبداد، ومع العلم يؤيد شأنها، ويتم عليها نعمة الحرية . فلا  
 سلامة ولا كرامة لأمة عمومية الانتخاب الا اذا دخل العلم آخر كوخ في  
 آخر مزرعة من بلادها . اه .

وقال الفيلسوف الفرنسي الموسيو كورنيزين في مجلس نبله الفرنسي  
 في ٢١ اذار سنة ١٨٣٣ « ينبغي ان تكون الأمة الراغبة في الحرية مستنيرة  
 بالعلم والا التوت عليها الاماني وانقلبت اضراً لا مكان ان تزيد حقوقها

الامم  
 التي  
 من

الامم  
 التي  
 من

عَلَى مَعَارِفِهَا فَتَسِيءُ التَّصَرُّفُ فِي أَحْقَاقِ تِلْكَ الْحَقُوقِ . اهـ .  
 فَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الَّذِي قَدْ مَنَاهُ تَبَيَّنَ لَهُ وَجْهُ الْحَقِّ فِي الزَّامِيَّةِ التَّعْلِيمِ فِي  
 بِلَادِ الْفَرَنْسِيِّسِ ٨ وَبَعْدُ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مِنْهُ عَمَى الْقَلْبِ إِلَى حَدِّ أَنْ لَا  
 يَرَى أَنْ تَقْدُمَ الْأُمَّةُ عَلَى قَدْرِ انْتِشَارِ الْمَعَارِفِ الْعُمُومِيَّةِ فِيهَا بَعْدَ إِذْ قَامَ  
 عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْعَقْلِ وَالْإِخْبَارِ الْفُ شَاهِدٌ وَدَلِيلٌ . قَالَ أَحَدُ عُلَمَائِهِمْ «حَسْبُنَا  
 فِي بَيَانِ لُزُومِ التَّعْلِيمِ قَوْلُ بَاكُونِ الذَّاهِبِ مِثْلًا « الْعِلْمُ هُوَ الْقُوَّةُ » وَمَا أَصْحَبَهُ  
 مِنْ مَبْدِئٍ وَلَا سِيَمَا مِنْ وَجْهِ الْاِقْتِصَادِ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْقَوَائِمِ الطَّبِيعِيَّةِ هِيَ الَّتِي  
 تَجْعَلُ الْعَمَلَ كَثِيرَ الثَّمَرِ فَالْإِنْسَانُ الْفَطْرِيُّ عَلَى كَوْنِهِ أَصْحَحَ مِنَ الْمَدْنِيِّ حَسَاءً ،  
 وَأَقْوَى بَدَنًا ، وَأَصْبَرَ عَلَى الْمُتَاعِبِ بِحَيَاثَتِيًّا ، وَيَمُوتُ فِي الْغَالِبِ مِنَ الْعَوَزِ . تَغْلِبُ  
 عَلَيْهِ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةُ فَتَقْتَلُهُ بِجَهْلِهِ . أَمَّا الْإِنْسَانُ الْمَدْنِيُّ فَقَدْ كَشَفَ كَثِيرًا مِنْ  
 هَاتِهِ الْقُوَى فَاسْتُخْدِمَهَا فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فَلَمَّا عَلِمَ الْمَادَّةَ وَعَاشَ رَغْدًا نَامَ الْبَالُ «  
 وَمَا بَرِحَ تَأْثِيرُ الْعِلْمِ فِي تَحْصِيلِ الثَّرْوَةِ عَلَى نَمَاءٍ وَاتِّسَاعٍ يَزِيدُ يَوْمًا فَيَوْمًا إِلَى أَنْ يُقَالَ  
 هَاتِهِ الْأُمَّةُ أَعَمَّ مَعَارِفٍ وَأَقَلَّ جَهْلًا مِنْ غَيْرِهَا . فَيَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا أَغْنَى وَأَقْوَى  
 وَكَأَنَّ الْمَعَارِفَ لِأَزْمَةٍ لِتَحْصِيلِ الثَّرْوَةِ ، كَذَلِكَ لَا بَدَّ مِنْهَا لِحِفْظِهَا وَحَسَنَ  
 اسْتِعْمَالِهَا مِنْ وَجْهِ مَا يَنْبَغِي . وَأَنَا لَنَرَى الْفَاعِلَ وَالْمَاهِنَ حَيْثُ مَا كَانَ لَا يَصِيبُ  
 مِنَ الْأَجْرَةِ مَا يَزِي بِأَضْرُورِيٍّ مِنْ حَاجَاتِهِ ، وَنَجِدُهُ مَعَ ذَلِكَ يَنْفَقُ مِنْهَا فِيمَا لَا  
 يَلْزَمُ وَفِيمَا يَضُرُّ . وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ عَقْلَهُ مَمْدُودٌ بِالْحَاضِرِ مِنْ أُمُورِهِ لَا يَنْظُرُ  
 فِي الْعَوَاقِبِ ، وَلَا يَدْرِكُ مَنَافِعَ الْأَدْخَارِ ، فَتَنْمُو فِيهِ وَتَغْلِبُ عَلَيْهِ الشَّهَوَاتُ  
 الْحَسِيَّةُ فَلَا يَجِدُ عَلَى الْغَالِبِ مِنَ لَذَّةِ الْأَيِّ غَيْبُوبَةِ السُّكْرِ ، فَإِنْ زَادَ كَسْبَهُ فَمَا  
 يَزِيدُ إِلَّا أَنْعَافًا عَلَيْهِ . فَمَنْ رَامَ أَنْ تَكُونَ زِيَادَةُ الْأَجْرَةِ مَنجَاةً لِلْفَاعِلِ  
 وَالْمَاهِنِ مِنَ الْحَاجَةِ وَسُوءِ الْحَالِ ، فَلْيَفْتَحْ لَهُ بَابَ الْعِلْمِ لِتَحْصِيلِ فِيهِ قُوَّةِ التَّبَصُّرِ  
 وَمَلَكَةِ اللَّذَّةِ الْفِكْرِيَّةِ . فَالْمَرْءُ لَا يَنْتَجِعُ مِمَّا يَعْمَلُ كَثِيرًا ، وَلَا يَحْسُنُ اسْتِعْمَالَ

استعمل  
 ال  
 ال  
 ال

ما ينتج إلا أن يكون متعلماً . قال المؤرخ مر كولاى : كان الايكوسى ( ساكن  
ايكوسه ) فقيراً جاهلاً فما تقدم في القرن الثامن عشر على الانكليزي في جميع  
الاعمال والخطط إلا لأن اهل الندوة بادبرج وضعوا لايكوسه قانون تعليم  
وطني عمومي : ويقول اصحاب المعامل في الولايات المتحدة الاميركية ما تقوى  
على مناظرة البلاد الاوروبوية بمصنوعاتنا على كوننا نوادي من الضرائب ضعفي  
ما يؤخذ من الاوروبويين إلا لأن فعلتنا اوسع من فعلتهم علماً ، واكثر معارف  
فهم ذلك اسرع منهم عملاً ، واحسن صنعا ، واقدر على اجتناء النفع من الآلات .  
وقال الموسيو فرستر السياسي الانكليزي في عرض بيانه لمزية التعليم  
الازامي ووجوبه في انكلترة ما تعريبه « نعلم ان العلم غير الفضيلة وان التعليم  
وحده لا يوجد القوة الكافية لمقاومة الشهوات الفاسدة ولكن اذا كانت  
المعرفة غير الفضيلة فلا شك ان الجهل ضعف ، والضعف في هذه الحياة  
الدنيا هو الشقاء ، والشقاء مؤدي الى الرذيلة . ومن ذا الذي لا يرى في المدن  
والقرى صفراً يشبون سالكين على الغالب مسالك الجريمة ، وعلى الاغلب  
مسالك الشقاء لرداءة تعاليمهم او لعدم التعاليم فكيف نرى ذلك ونصبر عليه » . اهـ .  
فصل

تبين بادلة من العقل حقيقة الزام التعلم في الهيآت الاجتماعية عموماً ، وفي  
البلاد الفرنسية خصوصاً ، فبقي ان نويد ذلك بشواهد من النقل الصادق ،  
وبراهين من الرقم الناطق ، إتماماً للغالطين وفيها ما  
ففي عام ١٨٦٢ أقيم في لندره عاصمة انكلترة معرض عمومي وأُفرد فيه  
مكان فسيح لمواد المدارس ، وآثار المعارف ، وتقارير التعليم لمعرفة نتائجها في  
جميع الاقطار . وألفت للنظر في ذلك لجنة من عظماء اهل النقد تحت رئاسة  
المركيدي كافور فاجتمع اولئك النقدة في الثالث عشر من شهر حزيران من

العام المذكور للمذاكرة فيما رأوه من تلك الآثار والتقارير ثم أصدروا الحكم الآتي معرّبهُ .

« لقد ظهر اليوم لجميع الامم المتمدنة أنهم اذا راموا وقاية المستقبل  
« وتأيد ونشر المبادئ التي هي اساس الهيئة الجديدة وموضع افتخارهم بها  
« فلا بدّ لهم ان يعدوا تعليم الاحداث بمنزلة مصلحة اجتماعية من الدرجة الاولى  
« وتبين لنا ان بروسيه وغيرها من الممالك الزلفرينية التي حصل فيها  
« التعليم واجبا قارنيا وكذلك الممالك السكندنافية وجمهورية سويسرة هي  
« في المقام الاول بين البلاد الاوربوية بالنظر الى المعارف العمومية .٠٥٠»

وفي عام ١٨٦٧ أقيم معرض عمومي آخر في باريس على عهد الموسيو  
دوروي المؤرخ المشهور في نظارة المعارف الفرنسوية وكان القسم العاشر منه  
معينا لآثار العلوم ، وتقارير التعليم ، وله لجنة نقدية وحكم مؤلفة من رؤساء  
العلماء فكان مما ورد في تقرير تلك اللجنة ما تعرّبهُ :

« اول ما يتوجه الخاطر اليه عند رؤية هاته الآثار وتصفح تقارير  
« التعليم في هذا القسم من المعرض انه ينبغي تعليم كل ساكن بلدي يدعي له  
« المدنية مبادئ القراءة والكتابة والحساب في مدارس النهار والليل وان  
« هاته المزية السنوية قد حصلت على وجه العموم في البلاد التي تقرّر فيها  
« الزام التعليم اما في سائر البلاد الا البادر الذي لا يقاس عليه نتائج التعليم  
« لا تعادل مقادير النفقات « ٠٥٠ — عن لائحة اللجنة المذكورة في الصفحة العشرة  
من الجزء الثالث عشر —

وفي عرض ذلك المعرض أنتدب الموسيو مفراس كاتب السر في بعض  
السفارات للنظر في احوال المكاتب وبيانها من وجه الواقع فكان مما كتب في  
ذلك ما تعرّبهُ

« لا بُدَّ لنا في هذا المسلك ان نعترف وان ساءنا هذا الاعتراف ان »  
 « فرنسا متأخرة في المعارف عن المانيا واميركا وانكلترة وغيرها وان نجاح »  
 « هاتيه الدول وان كان بعضه ناشئاً عن همم الافراد وعواطف الانفس الا »  
 « ان موجبه الاول في البلاد الالمانية انما هو القانون الذي يجعل التعليم اجبارياً »  
 اهـ - عن اللائحة المذكورة في الصحيفة ٧٤٥ من الجزء ١٣ ايضاً -

وفي سنة ١٨٧٣ اقيم معرض وينا العمومي فاجتمع فيه وجوه جمعيات  
 الفعالة على اختلاف الانساب والاطان ، وقدّموا لديوانه تقريراً يقولون فيه  
 ما ترجمته « لا كفاء ولا غناء في كون المدارس مفتوحة الابواب لكل طالب  
 بل لا بُدَّ من أن يكون دخولها لازماً واجباً على الكل ثم ينبغي ان تكون  
 عالمية محضاً وقاية لحرية العقائد »

ولما ولي الموسيو دوروي السابق الذكر وزارة المعارف الفرنسية عام  
 ١٨٦٣ صرف اجتهاده في بيان احوالها ورفع الى الامبراطور تقريراً اجمالياً  
 يقول فيه ان الاميين من البالغين عمر الدراسة ينيفون على ٦٠٠٠٠٠٠ عددًا  
 فكان هذا التقرير مناقضاً لما كان يطليه وكلاء الدولة من محالهم على مجلس  
 النواب والشيوخ على كونه دون الحقيقة بمراحل كما يتبين من التقرير المرفوع  
 الى الامبراطور المشور في صحيفة المونيتور الرسمية ( وقتئذ ) سادس شهر اذار  
 عام ١٨٦٥ فقد ورد فيه ان مائتي الف من جاوزوا الحادية عشرة عراة عن  
 كل معرفة وان ثمانمائة الف ممن هم بين الثامنة والحادية عشرة لا يانون  
 المدارس ولذلك قال الموسيو جول سيمون من خطبته في الهيئة المشترعة  
 Corps législatif سادس عشر اذار عام ١٨٦٤ ان عدد الاميين من البالغين  
 عمر الدراسة في البلاد الفرنسية ١٢٣٠٣٠٣ لا ٦٠٠٠٠٠٠ كما ورد في تقرير  
 دوروي

من المراسم  
 كصلا التملك  
 في سنة ١٨٧٣  
 في سنة ١٨٧٣

بل لا نحسب 'كثرة' عدد الجهلاء هي الموجب الفرد لالزام التعليم فلو لم يكن في الأمة غير معشار المعشار من الجاهلين للزم الهيئة الحاكمة تعليمهم. قال الموسيو بر دو وزير المعارف الفرنسية الاسبق من خطبة فاه بها في مجلس نواب فرنسا في السادس عشر من شهر كانون الاول الماضي ما تعريبه «لئن لم يكن في فرنسا غير عشرة الاف الفين او الفين لا يأتون المدارس فمن الواجب اقتيادهم اليها. وعندى ان الدول التي قضت بالزام التعليم لم تمس عقيدة الولد ولا حرية الوالد ولا ارى الذين يتقاعدون عن المدارس الا ثلاثة خاملًا سائلًا ، وفاسدًا سارقًا ، وفقيرًا عاملاً . فالفريقان الاولان ليس في الزامية تعليمهما موضع للخلاف واما الفريق الثالث فيمكن في امره التوفيق بين الشغل والدرس كما نصر عليه في تقرير لجنة الالزام . ولا ريب ان لفرنسا على كل احد منا ديناره ودمه ورأيه وان لنا على فرنسا التعليم . اه .

الا ان المداجين المداهين الذين كانوا يضربون من دون الحقائق حجباً مستورة ، ويموتون مشوهات الاحوال تزلفاً الى الامبراطورية ومخافة ان تبدو معائبهم للأمة فنقول بعداً لكم وسحقاً ان هؤلاء المنافقين قد اعترضوا على تقرير دوروي ، وزو قوا الامر الممزق بالباطيل ، وانكروا الزام التعليم من وجه مخالفته للحرية على كونهم اعداءها الالقاء مستهزئين بالالمان من هذا الوجه ، ضاحكين منه كثيراً الى ان جاءوا بهم الى عاصمة بلادهم فاتحين فابكوا الفرنسيين بكاءً غزيراً وتبين حينئذ لم جميعاً صدق الوزير بسمارك حيث قال . ما بلغت بروسية هذه المنزلة العلية الا بشيئين الزام الجنديّة والزام التعليم اه . عن مقالة للمسيو اوجين رندو مفتش التعليم الابتدائي نشرت في جريدة

كنستيتوتسيونل في شهر حزيران عام ١٨٧٠ .

وكان اهل ستراسبرج قد شرعوا قبيل تهوّر الامبراطورية في حرب

الامان يجمع الآراء على تقرير يطلبون فيه التعليم الالزامي فاجتمع لهم ٣٥٠٠٠٠ توقيع ، ثم كانت الحرب فانفصلوا عن الوطن الذي افتدوه بارواحهم فنشطت عصبية التعليم الباريسية لاكمال مشروعهم فتلقنه الأمة بالقبول والاقبال حتى اجتمع في ذلك التقرير ١٢٦٧٢٢٧ توقيعاً ، وعرض لدار الندوة فأعرضت عنه بما كان في رجالها من كراهية الحرية ، وخوف انوار المعلوم . ولكن علم الالباء ان لا بد بعد ذلك من حصول التعليم الزامياً في بلاد الفرنسيس فان صوت الأمة صوت الحق والأمة اذا قدرت ان تقول ، قدرت ان تفعل .

### مجانبة التعليم

ثبت للحكومة حق الزام التعليم من وجه ان الهيئة الحاكمة المشرفة على امر الجمهور منتدبة لجلب المصلحة كما هي مأمورة بدفع المفسدة فكما انه يجب عليها ازالة الضرر ، ونفي الاذى ، ورد الشقاء ، وكف العدوان ، ومنع الظلم . كذلك من واجباتها تحصيل النفع ، واثبات السلامة ، واعادة الهناء ، وتأيد السلم ، ورفع منار العدل والانسانية — بالفضيلة التي لا تماثلها فضيلة ، والمزية التي لا تعادلها مزية ، فضيلة المعرفة ، ومزية العلم

والعلم يجي قلوب المتين كما تحيا البلاد اذا ما مسها المطر

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلي سواد الظلمة القمر

ولكن ليس في الوجود الطبيعي ولا المدني من واجب الأ بحق مماثله . وليس فيه من حق الأ بواجب يقابله ، فاذا وجب على الوالد للهيئة المدنية تعليم ولده فقد حق له اماكن ذلك التعليم على قدر الكفاء . واذا حق للهيئة الحاكمة اجباره عليه ، فقد لزمها توفير اسبابه ، وتمهيد سبيله على قدر الامكان . فان كان الوالد من الذين اصابهم النظام المدني باختلاله ، او الذين الم بهم من

من عوارض الوجود ما لا يستطيعون له دفعاً ، فهو فقيرٌ معدم ، او ضعيفٌ عاجزٌ لا يقوى على تعليم ولده بقدر ما يحتاج اليه ، وما توجهه احوال الزمان عليه . فالهيئة الحاكمة مأمورة من قبل حقيقة الالزام بان تيسر له ما لا يستطيع فجعل التعليم بلا قبيل . قال ساي الاقتصادي الشهير : ان مركز المحترف العامل يذني مقدار دخله الى حد انه لا يكاد يفي بحاجته الا بشق النفس فاذا استطاع تربية الولد وتعليمهم حرفته فهو لا شك عاجزٌ عن ان ينيلهم من العلم القدر الذي يقتضيه حسن الحال في الهيئة المدنية . فان رامت هذه الهيئة التمتع بنفائع هذا القدر من العلم في الفئة المحترفة العاملة وجب عليها ان تبثه فيهم على نفقتها باانشاء المدارس المجانية ( الاقتصاد الكتاب ٣ الفصل ٦ )

فالمجانبة في التعليم واجبٌ مترتبٌ على حقيقة الالزام .

الا ان لزوم المجانبة مستلزمٌ للعسر ، او الضعف ، او العجز في جانب الوالد . فاذا سقط المزم بطل الالزام قياساً . بمعنى ان المجانبة غير متعينة على الالزام الا لمن ثبت عجزه عن التعليم فان كان قوياً عليه فقد لزمه لزوماً لا ريب فيه كالتبين في ابواب الحقيقة ولم تكن المجانبة واجبة له على الهيئة الحاكمة .

فالمجانبة المطلقة غير ملازمة لالزام التعليم

الا ان الكثير من علماء تدبير المنزل ، وحلفاء الحرية والعدل ، ونصراء المساواة والاخاء ، والذين لا يميزون بين ابناء الانسان الا بمزية العقل وفضيلة النفس ، كل هولاء قد كرهوا حصر مجانبة التعليم في اولاد الفقراء ولم يرضوا بوجود الامتياز بهذه الهيئة على مقاعد المدارس علماً منهم بما ينشأ عن ذلك من الإحن والعداوات ، وما يترتب عليه من فساد النفوس ، وتنافر القلوب ، اذ ينقسم الصغار فرقا ودرجات متفاصلة متباعدة فاذا شبوا كان بعضهم عدواً لبعض ، يتربصون بهم ريب المنون كما كانت الحال في اعصر الظلمات المسماة

بالمتوسطة . وما احدٌ يجهل تلك الحال وما احدٌ لا يعلم ما اذيت اليه . قال  
الموسيو غلتزناب بريغ في مجمع فرنكفرت « من الواجب الضروري اجتناب  
كل ما يحمل الصغير المعوز على الاعتناء بوجوده حتى فاصل بين الغني والفقير  
ولا يكون ذلك الا اذا جلس المعوز منذ الحداثة على مقعد المدرسة بمثل الحق .  
وفي نفس الدرجة التي لابن الغني » . (الصفحة ١٦ من مفاوضات مجمع  
فرنكفرت)

وقال العاليم سوف جول سيمون في كتاب المدرسة ما معناه . يحسن ان  
يعيش ابن الغني وابن الفقير على مقعد واحد ويجب ان يعلما انهما شرع  
يان ينزع اولاً من مخيلة الفقير وهم الفقر لا كما هي الحال في كثير من مدارس  
الاناث حيث لا تعلم المدرسة الا بنات الاغنياء واما الفقيرات فيقرأن على  
عريفةٍ منهن . اه .

فمن عجائب ما ينشأ عن الاهواء ، ومن غرائب ما ينتج من الآراب  
الفسانية ، ان يرى للمجانبة اعداء ينكرونها اصلاً وفرعاً ، ويحسبونها البدعة  
الشنعاء ، وان يكون اولئك الاعداء هم الذين اوجبوا على انفسهم فتح المدارس ،  
لكل دارس . والذين كانت مدارسهم الخارجية مجانية محضاً . فهل نسوا انهم  
يتناسون ما ورد في تاريخ فرنسا القديم عن منع المدرسين غير مرتبة من اخذ  
رواتب الدراسة من الطالبين ( تومنين المجلد ٢ الصفحة ٦٢٢ ) ام لا يذكرون  
ان المجانية ما برحت ناموساً مقدساً عند اخوة المدارس المسيحية .

ولكننا نضرب عن المقابلة بين ما يفعلون وما يقولون ، والموازنة بين ما  
يعتقدون وما يوهمون ، فلسنا في مقام الحكم عليهم وليس من قوة الحججة  
وحسن الدليل ان يقال فعلت من قبل غير ما تقول الان فانت انت حجتنا  
عليك . وانما الحججة الدامغة ان يجرّد القول من علاقة مصدره ، ومن الحامل عليه ،

فيردُ بالنظر اليه من حيث هو - هو ردًا معتقلاً باهداب النزاهة، آخذاً باطراف  
 الوضوح . فمخنٌ لذلك نمرٌ على الانظارِ اعتراضاتهم على بانية التعليم واحداً بعد  
 واحدٍ ثم نكشف عنها الحجاب ، ليتبين الخطأ من الصواب، ان شاء الله  
 وقد انحصر اعتراضهم على المجانية في اربعة لا يرُ قسمنا بالحق ان كنا  
 ندري ايها الخفي حقيقة ، واطهر فساداً ، وادنى من الخطأ ، وابتعد عن الصواب  
 من البقية وهي: اولاً ان المجانية المطلقة موجبة لمزيد النفقة فهي من هذا الوجه  
 ضريبة فادحة تزيد تكاليف الامة اثقالاً . وثانياً انها بدعة مستحدثة لم تَدُ  
 خيراً ولم يأخذ بها الا القليل من الدول وثالثاً انها من آثار الاباحية من حيث  
 انها تتعلق بالاشراك في الاموال . ورابعاً انها انما وضعت لاعانة الفقير وهي  
 حيفٌ عليه فقد كان يحصل العلم من قبل مجاناً فاذا طلقت المجانية لزمته الوزيرة  
 فيلتوي الامرُ عليه . اهـ . وانا لنردّ بحول الله وقوة الحق كل اعتراض من  
 هذه الاغاليط فتزهق جميعاً كأن لم يكن بها عهدٌ ولم تكن شيئاً مذكوراً .

—••••—  
 باب ✓

يقولون المجانية المطلقة موجبة لمزيد النفقة فهي ضريبة فادحة الامة  
 ومثلهم في هذا القول كمثل من يأبى الدواء الشافي ، وينكر اسباب الراحة ،  
 ويحمل وسائل الوقاية بما تقتضيه من النفقة . ومثل من يترك الارض بوراً فراراً  
 من كلفة الزرع ومن كان ذلك حدة ما تصل اليه مداركه فهو بالشفقة والرحمة  
 اجدر منه باللام

X قال جوليمون: يجب ان يُنفق على التعليم الابتدائي كل الملاوين التي

المجانة  
 التعليم  
 فساداً

يقتضيها غير مأسوفٍ عليها. ثم فصل (في كتاب المدرسة) ما يترتب من  
 النفقة على تقرير الالتزامية والمجانبة من كل الوجوه مائلاً في كل ذلك الى جانب  
 الزيادة فقال: ان ثمانية عشر مليوناً فرنكاً تكون كافيةً للمجانبة فاذا اردنا انشاء  
 مدارس جديدة وزيادة اجور المدرسين فضعف بذلك هذا المخرج فغاية ما يكون  
 مع نفقة المدارس الاصولية المعدة لترشيح الاستاذية خمسين مليوناً فرنكاً اهـ .  
 فاذا علم ان ولاية نيويورك باميركا تنفق على التعليم ٢٢ مليوناً ريبالاً  
 في حالة كون سكانها لا يزيدون على ٣,٨٥١,٥٦٣ نفساً عدداً وان ولاية  
 ماساشوتس وعدد سكانها ١,٢٣١,٠٦٦ تنفق خمسة عشر مليوناً وخمسمائة الف  
 تبين ان فرنسا وإن انفقت مائة مليون فرنكاً بل مائتين لا تكون في الدرجة  
 الاولى بين الممالك ولا في الثانية .

فعلى تقدير ان تكون النفقة المتعينة على مجانية التعليم اربعة امثال ما حسب  
 الفيلسوف المدقق جول سيمون فكيف يأسف الفرنسي على انفاق مائتي مليون  
 في سبيل التلاميذ الابتدائي على كونهم ينفقون نحو الف مليون في سبيل الجنديّة،  
 وكيف يضمنون بالمال فيما يضيء الابواب وما ليس للعقول من لذّة الأب به وهم  
 هم الذين انشأوا ملهى غنائهم بستة وعشرين مليوناً، والذين نرى في برنامج  
 دولتهم في كل عام مليوناً ونصف مليون للتياتر، واربعة وعشرين مليوناً  
 للسجون وهم جراً . قال سيمون: كيف لا نموت خجلاً ونسبة برنامج التعليم  
 عندنا الى برنامج الحرب نسبة ١١ : ٢٩٥

✓ فان قيل ان الامة تنفق الالوف الموثقة في سبيل الجنديّة لوقاية شأنها،  
 واعلاء مكانها، وردّ العدو، وصيانة ماء الوطن . وايس في التعليم شيء من  
 ذلك فالذي يلزم في الجنديّة لا يلزم فيه . قلنا اي شأن اجدر من الفضل باوقاية،  
 وائي ماء اولى من الدهن بالصيانة، وائي مكان احق من العلم بالاعلاء، وائي

عدو أعدى من الجهل . .

أليس هو المضعف للقوة ، الذاهب بالراحة ، المنحني على السعادة ، الداعي الى المفسدة ، المذني من البلاء ، المبعد عن الكمال ، المساوي بين انسية الانسان ، ووحشية الحيوان .

او ليس هو الذي ينسف ، معاقل المجد ، ويدك اطواد العز ، ويقلع قلاع السطوة ، ويمحق آثار الفخار ، ويجعل البلاد عرضة لكل طامع ، او غرضاً لكل هادف ، وعرضاً لكل سائم

بلى . فكيف تنفق الأمة اموالها ، وتبذل الارواح لرد طارق خارجي ، ثم ينكر عليها صرف معشار تلك الاموال لدرء هذا العدو الداخلي المقيم . لا جرم ان الذين يحاولون صرف خواطر الأمة عن هذا الواجب المدني انما هم نصراء العدو عليها . لا برومون رفع الواجب رحمة بها ان تحمل نفسها ما لا تسع ولكن ليستأثروا بالحق المتعين عليه . او هم احباؤها ولكنهم يجهلون حقيقة المنفعة ، والعدو العاقل يسر ضراً واصغر شراً من الصديق الجاهل . فنفقة التعليم واجبة على الأمة وجوب نفقة الجنديّة ونفقة الضبط والخفارة عليهم . بل هي اوجب من حيث انها اساس قوة الجنديّة ، وعماد عدل القضاء ، ودعامة حسن الضبط . قال تاليران في تقريره على مجانية التعليم الابتدائي في بلاد فرنسايس عام ١٧٩١ - يجب على الأمة ان تقوم بادىء بدء بما يلزم للدفاع والحكم فان واجبه الاوّل انما هو العناية بحفظ وجودها الذاتي من كل عارض ، ثم النهوض بما تصون به الحرية والملك لتدراً عن مجموعها النوازل التي لا يمكن انقائها في حالة الانفراد فتحصل لهم المنافع الوطنية الناشئة عن حسن الاجتماع . بل ما وجدت الأمة الا لهذه الناية فان لم تدركها فقد اهملت حكمة الوجود . ولما كان التعليم بلا ريب خير تلك المنافع اثراً ، وجب على الأمة ايماً وجوباً

ما زال  
العدو عدو  
من الجهل

لا بد ان يعرف  
هذا هو العدو  
الذي عليه

شبه  
العدو

١٧٩١

بذل كل ما ينبغي لتيسيره لاعضاءها كلهم اجمعين . ٥١ .

\* \*

\*

المجانية بدعة مستحدثة لم تفد خيراً ولم يأخذ بها الا قليل من الناس . -  
وهو من بداهة الفساد ، وظهور الضعف بحيث يقف القلم عن رده استخفافاً  
وازدراءً . ولكن سائر ما يدعيه اعداء الازامية والمجانية والعالمية في التعليم لا  
يخرج عن هذا الحد . فلو صح الاقتصار على رد القوي منه لما وجد المناظر مناً  
للقال مقاماً فنحن لذلك نتنازل معهم الى تبين البين ، وتحصيل الحاصل ، ليزول  
اللبس عن افهام العوام .

فليست المجانية من البدع وانما هي سنة الفضلاء والروساء ، وارباب  
السياسة ، وخدمة الدين ، واهل التدريس الزهاء في هذه الايام ومن قبل . التزامها  
في فرنسا اخوان المدارس المسيحية ، وكانت الى هذا العهد منخر الاباء اليسوعيين  
في مدارسهم الخارجية ، وطلبت في بلاد الفرنسيين منذ القديم كما روينا عن  
تومانين فيما تقدم ، ونقررت في تلك البلاد عام ١٧٩١ مبنية على تقرير تاليران  
السابق الذكر ، وفرضت من بعد ذلك في البند ٢٤ من القانون المسنون خامس  
عشر اذار عام ١٨٥٠ ومفاد ذلك البند « التعليم الابتدائي مجاني لكل الاولاد  
الذين لا يسع ابواهم اداء نفقته » . ولا يسمع ان احداً من علماء الاسلام نقاضى  
القارئين عليه والاحدين عنه اجرة . وهذه آثار مدارسهم في العراق والشام  
والحجاز ومصر والاندلس وسائر المغرب ناطقة بذلك . بل هذه مدرسة الازهر  
بالقاهرة والزيتونة بتونس وغيرها بسائر البلاد الاسلامية تثبت بلسان الوفي  
من طلبة العلم .

وليس اولياء المجانية عدداً قليلاً فهي مقررة في جميع الولايات المتحدة

الامير كية ولازيد البصير بهذه الولايات علماً انها احسن البلاد حالاً، واسرعها  
 نماء، واشدها حرصاً على الحرية، وحفظاً لحقوق الانسان .  
 وهي مأثورة في هوندة والدينيرك وايطاليا وشيلي والبرتغال . وقد ظهر  
 ارتياح سائر الامم اليها في هذه الاعوام الاخيرة حتى اتصلت باسبانيا والمانيا  
 على ما بهما من عجب المال فابطلتا رواتب التعليم في المدارس الابتدائية . - تلك  
 بحكم قانونها المسنون عام ١٨٦٩ وهذه بمقتضى البند الرابع والعشرين من دستورهما  
 الحاضر . - وما كانت هذه الدول والامم على ضلال ، ولكنها فتحت قلوبها  
 للحق فصدقت ( لاف ) حيث قال . ان البلاد التي يبطل فيها امتداد  
 المعارف والتي تكون الازامة فيها حديثة عهد لا بد لاهلها من جمع المجانية  
 الى الازام . اه : وخفضت رؤوسها للحقيقة فاخذت بحسكهم به جلة العلماء ،  
 واعاظم الفضلاء ، واكابر الاساتذة في مجمع فرنكفرت عام ١٨٤٨ حيث قالوا  
 في المطلب الرابع من تقرير ذلك المجمع الشهير ما ترجمته « يمنع اخذ اي راتب  
 في المدارس الابتدائية وما دونها من المدارس المعدة للحرف والصناعات وتكون  
 المدارس المخصوصة بالفقراء ملغاة رأساً » اه .  
 وقد عمّت المجانية المطلقة في الولايات الاميركية كما قد مناه فارنقت بها  
 ذروة الكمال المدني ، وصارت آية العصر بالقوة والثروة ، ومعجزة الايام بانتظام  
 الاحكام ، واعجوبة الدنيا بنماء السكان . لم يكن سكانها عام ١٨٦٢ سوى  
 ٢٩٩٠٢٠٠٠ نفس وهم الان خمسون مليوناً او يزيدون . وهذا برنامج التعليم  
 الابتدائي فيها عام ١٨٧٥

دولار  
 دخل التعليم من خزينة الدولة واوقاف المدارس واموال المجالس  
 البلدية بحسب الدولار الذي هو عبارة عن ٥ فرنكات و ٣٠ سنتيمياً  
 ٨٢١٥٨٩٠٥

## النفقات

١٥٠٤٥٩٠٨	للارضين الموقوفة والابنية والاثاث
٠٠٩٢٤٧٧٣	رواتب المفتشين
٤٦٧٠٢٢٩٥	رواتب المدرسين
١١٧٠٣٠٩٥	نفقات شتى
٧٤٣٧٦٠٧١	

جملة ما ينفق على التعليم الابتدائي في اميركا اربعة وسبعون مليوناً  
وثلاثمائة الف دولار وكسور اي نحو ثلاثمائة مليون وثلاثة وتسعين مليوناً  
فرنكاً فلو بذلت فرنسا فيه ما تطلبه الدولة مضعفاً عشرين مثلاً لما فضلت  
به ولايات العالم الجديد.

ولا نجد بنا بعد هذا البيان من حاجة الي الاستدلال على رفعة شأن  
المعارف العمومية في الولايات المتحدة وسائر الاقطار المتمدنة . وان الدول والامم  
البصيرة بعواقب الامور لا تبالى بالالوف المولفة تبذلها في سبيل اضاءة البصائر  
بانوار العلوم . على اننا نورد الجلاء الآتي قطعاً للحجة وحسماً لاسباب المغالطة  
فهو بيان واضح يضمن المقابلة بين نفقات المعارف وسائر المصارف العمومية في  
سبع من الولايات المتحدة نموذجاً نأخذه عن تقرير الناظر الرئيس ( جون ليتون )  
على عام ١٨٧٠ وهو

الولاية	نفقة المدارس	النفقات العمومية
مين	٠٨٠٥٣٦٩	٠٤٠٣٦٠١
بنسلفانيا	٥١٦٠٧٥٠	٣٨٥٣٣٣٦
أهيو	٤٨١٦٤٩٥	٢٩٧٨٩٩٥
كاليفورنيا	١١٧٨٣٤٨	٠٤٧٥٩٧٨

٠٤٧٢٨١٥	١٣١٣٣٥٨	نيوجرسي
٠٩٤٦٥١٩	١٧٧٤٤٧٣	وسكنسين
١٠٦٣٥٢٥	٦٤٣٠٨٨١	النوا

ثم ان ولاية نيويورك التي كان سكانها عامئذ ٦٤٨٢٧٥٩ قد كانت  
تتفقُ المعارف الاولى فيها ١٠٨٧٤٩١٠ من الدولار اي ثلاثة اضعاف ما  
تحتاج اليه الدولة الفرنسية لتقرير المجانية المطلقة في التعليم الابتدائي ٠ ٥١٠  
عن الاصلاح الاقتصادي Réforme économique المجلد ٨ الصفحة ٢٥٦

\*\*

\*

وصلنا موقع دندنة اللفظ الذي يصيب 'الاذان ولا يس القلوب، وطنطنة  
الكلام الذي يخرج من الشفاه ولا اثر له في النفوس. وصلنا موضع ذكر الاباحية  
ونفي الملكية، وشروع الاموال دليلاً على فساد المجانية. يقوم ولكن عند الذين  
يبهجون ارتكاب الخطأ على قصد صواب يتوهمون، ويصح ولكن عند الذين  
ينفون العدل فيما يثبتون. فما مجانية التعليم الابتدائي في شيء من الاباحية الا  
ان تعدد ورائع اثاره الممدون، وضرائب طرق العربات، ومغارم توزيع المياه،  
وعوائد انشاء المراحيض، وجبايات سائر المنافع العمومية من هذا القبيل. ليس  
ان بعض الناس يستفيدون من المصاييح اكثر من بعض، او ليس ان العجلات  
لبعضهم دون بعض، وهل تتساوى حاجة الناس الى الماء، ام يستوي صاحب  
السفينة ومن لا يملك رأس سارية فيما يحصل من نفع المراحيض. فما بال النفقة  
تكون واجبة مشروعة ممدوحة الموضوع، مشكورة المحمول في كل ذلك وتعد  
اباحية منكرة ذميمة الوضع والحمل، فيما هو اعم من ذلك نفماً، واوجب عرفاً  
وشرعاً. في استنقاذ الابواب من محابس الجهالة. في اخراجها من ظلمات  
الضلالة. في اعلاء شأن الاوطان، في احياء قلوب السكان، في التعليم الابتدائي

العمومي . أرايت لو قال احد من الناس لا ادفع مغرم الانارة فاني ابيت مع  
 الدجاج ، واسري مع النعاج فمالي باضاءة الشوارع من حاجة . ألا يحسب ذلك  
 القول سرساماً او لا يقال لصاحبه ان لم يكن بك من حاجة للنور تأمن به  
 عشرة المدالج فهو يقيم شر السارق يأخذ ما ترضى به على منفعة العموم ، فان اصر  
 على جهله أما يقال له اعتزل الناس ان رمت بخلفة جميع الناس  
 يقول المخالفون ان الغني وان حصلت له المجانية فلا يعلم ولده الأبدنار  
 يجذب اليهم بمغناطيسه عناية الاستاذ فالمجانية لا تفيده خيراً ، ولا تكفيه نفقة ،  
 فان ضربت عليه وزيعتها فذلك ظلم من وجه انه يلزمه النفقة فيما لا عوض  
 فيه . واباحة من حيث انه يشرك سائر الناس فيما ملك . ونقول لا يحظر  
 على الغني تعليم ولده في المدارس المجانية ابتداءً فان اباه صلفاً وتكبراً فليكن ما  
 ينفق من المال مزيداً ثمن الكبرياء . وليس في ذلك شيء من الاباحة فان الذي  
 تستفيدة عامة الناس من المجانية يعود على سائر الامة بالنفع العظيم بما ينشأ عنه  
 من حصول المصلحة الكلية ، وزوال المفسد ، واستقرار الراحة والامن ، ونماء  
 الثروة العمومية . فالامة كالاسرة الواحدة يسعى كل نسمة منها وسعه ويكون  
 مرجع الكل اليها . بل الغني احوج الناس الى انتشار المعارف ، وازمحلل  
 الجهل . فتلك تلين القلوب ، وتطهر النفوس ، وتدتمث الاخلاق ، وتوسع موارد  
 الرزق ، فيقل معها الطامعون في اموال الاغنياء . ويندر المعتدون على ابناء العرض ،  
 فتصان بذلك الحقوق ، وتحفظ الملكيات ، وتطمئن نفوس المتمولين ، وهذا يجعل  
 القلوب فضة ، والنفوس دنيئة ، والاخلاق جافية ، والارزاق ناضبة الموارد  
 فتكثر به الاطماع ، وتحمل الفاقة على الكبار ، فلا يأمن المالك على المالك اغتصاباً ،  
 ولا المتمول على المال استلاباً وانتهاباً . وكما ان الغني يبذل المال لنفقة الشرطة ،  
 والبذل العسكري للجنود ، او يتجنّد بنفسه حيث لا يقبل منه البذل لوقاية ما يملك

من العدو الخارجي كذلك يلزمه من وجه مصلحته الذاتية فضلاً عن الواجب المدني ان يبذل ما يفرض عليه من نفقة التعليم الابتدائي لصيانة ذاته ومملكته من العدو الداخلي المسمى جهلاً . بل هذه النفقة اوجب عليه وانفع له من وزيرة الشرطة ، وضرورة الجندية . فان قوة الحامية لا تزيد على ان تدرأ الشر عنه

( تنبيه )

« الى هنا انتهى قلم الفقيه في تحرير هذا السفر الناطق بصحة مذهبه في التعليم الالزامي ولا حاجة للقول ان المعارضين عليه لم يكن لهم في هذا المجال نزاع وانه لو لم يقض عليه في ذلك العهد بالاساك عن العمل مضطراً اليه بالارتحال والانتقال وبما كان يحول دون مشاغله من موانع الاعتلال لما ترك هذا المقال خلواً من البقية »

## الهند

وهي مقالة انشأها عام ١٨٧٥

(الهند تهذب العالم بانتمها وعاداتها وشرائنها واساطيرها)

ان الشاخص من اوربا الى الهند حاملاً تذكارات المدن من بلادهم ، يندهل من اول وهلة ويخال انه يحمل الى هذا الشعب انقى معرفة ، واطهر ادب . فيتكلف ذكر كلمات تبجي ، بما رآه من تعصب وخشونة حيث لا يرى سوى بعض عادات ومواسم لا يدرك كنهها ، وتماثيل اصنام تزوعه ، فيعود الى وطنه هازاً كتفيه وقد قل من رغب من السياح البحث في شأن الهند ، وندر من تنازل منهم الى النظر في ما فيها . وانهم لم يروا سوى الظاهر منها ، فهم لذلك

لا يعلمون من بعده شيئاً . وزادوا على ذلك زعمهم انه ليس بها غير ما علموا ،  
وايدوا ذلك ببرهان غير مستقيم مضافة ان يحكم عليهم بالجهل . قال جاكسون :  
ماذا ينفع السنسكريت ( لغة الهند المقدسة ) : واقتخر بهذا الوهم فانشأ تأريخاً  
جديداً للشرق تناقله الناس من بعده ، واستقبلته خزائن الكتب وهو اليوم  
ينبوع الخلل الذي يؤلف ثلاثة الارباع مما يعلم اهل اوربا عن هذه البلاد  
ولا يزال ثمة كنوز مخفية من فصاحة وتأريخ واداب وحكمة . على انه يكاد  
يكون مستحيلاً ادراك الغاية من معرفة حال هذه البلاد بدون اتخاذها مقاماً .  
والتمكن من معرفة السنسكريت لغة البلاد القديمة ، والتامل اللغة العميقة فانهما  
الواسطة الوحيدة لمعرفة حقيقة الحال . ولا بد لي من ملامة بعض المترجمين  
والكتاب على ثقة بوفرة علمهم حيث كانوا لا يبحثون في معنى الاشعار والمقالات  
الدينية الهندية على ما يقتضيه الترتي فهم لذلك يخطئون بقصد الاصابة . ولا  
ينكر ان في تعلم السنسكريت صعوبة وانه يقتضي لادراك معانيها استجلاءها  
من التوجيهات والاستطرادات والتصورات الشعرية المعارضة في صدر تلك  
الكتابة . وزد على ذلك ان للسنسكريت اصطلاحات وتصاريف ليس ما  
يقابلها في اللغات الحديثة ولا يدرك كنهها الا بالاستملاح والتقريب ، وذلك  
يقتضي الدرس الطويل الذي لا يتيسر اجراؤه الا في تلك العادات والشرائع  
والتقاليد وكل ما وصل اليه الاوربيون من معرفة حال الهند ليس من العلم  
بشيء ، والوصول الى الغاية من ذلك يقتضي استئناف الاستطلاع واعادته من  
اوله فاذا تم ذلك نرى ان الهند ام الجنس البشري ومهد تقاليد وازنه لا يكاد  
العمري يكفي لتلاوة ما ابقته لنا الهند القديمة من كتب في الآداب ، والشعر ، والفلسفة ،  
والمذهب ، والشتي من العلوم والطب . على ان ذلك سيتم بالصبر فان جماعة من  
العلماء تألفوا في بنغال ابتغاء جمع كتب الويدا وترجمتها الى ان قال تعريباً

منه  
على  
الهند  
الهند  
الهند

سلام يا ارض الهند الازلية يا مهد الانسان . سلام ايها الامم التي لم  
 يستطع كروور الدهور وغارات الايام ان تقيمك في حيز النسيان . سلام  
 يا وطن الايمان، والمحبة، والشعر، والعلم . الله كم اتمنى ان يكون ماضيك مستقبلاً  
 لقد عشت في غور غاباتك العجيبة معالجاً ادراك اسرارك، فوحي الي نسيم  
 الليل وهو يزف عليها هذه الكلمات الرمزية الثلاث زيوس . جيوفافا . برها .  
 فسالت البرهيمين والكهان تحت الهياكل والآثار شرح ذلك ، فكان جوابهم  
 الحياة هي الفكر ، والفكر هو معرفة الله انه كل شيء ، وفي كل شيء .  
 واستنطقت طائفة العلماء فقالوا الحيوة هي المعرفة ، والمعرفة هي استطلاع صفات  
 الخال الحسنى . فقصدت حكامك قايلاً مالي اراكم منتصبين هنا من ستة  
 الاف سنة وما هو هذا الكتاب الذي تقرأون صحفه فتبسموا وقالوا الحيوة  
 هي نفع النفس والناس ، وحيوة المرء حسنة ونحن نتعلم ما يجعلنا ذوي نفع  
 وحسنات من هذا الكتاب كتاب ويذا وهو كلمة الحكمة الازلية علة كل علة ،  
 المنزل على ابائنا . وسمعت الشعراء ينشدون ، والحب والزهور والحسن تجعل اليهم  
 وحيماً الهياً . رأيت الفقراء يبسمون في الالم على فراش من ضرام ، وكان الالم  
 يروي الله عن الله . ثم صعدت الى ينابيع الكنج وهناك الوف من الهنود  
 يمشون للشمس المنتشرة على ضفتي النهر المقدس وقد حمل الي النسيم هذه  
 الكلمات « الارز قد اخضرت وريقاته في المرج والنارجيل اثقلته اثماره فلنشكر  
 لمن وهب » . على اني مع صدق هذه الامانة وسمو تعليم علمائك ، وحكامك ،  
 وبرهيميك ، وشعرائك ، قد رأيت بنيك ايها الامم المسكينة ضعفاء ، خاملين  
 منغمسين بالجهل ، مستسلمين بلا شكوى لما يسلب دمك ، وثروتك ، وافكارك ،  
 وحريةك . فكم ممت ائناً محزوناً في الليل في زوايا الغابات ، وصفات الانهار  
 والاجام . فهل كان ذلك صوت ازمنة غابرة ترجع النواح على التمدن

المنقوض ، والعظمة الفقيدة ، ام هو انين جنودك السباهيين السيبائين ، وهم  
 في المعترك مع نسائهم واولادهم خداة الفتنة ، يلومون انفسهم على ما تولاهم من  
 الجزع ام هو صوت الرضعا يشتكون الجوع وقد سابههم الموت والذاتهم . فله  
 من قوم يسمون واليد بالحديد تعلو رؤوسهم ، ويتكلمون بالزهو والمجاعة بتلعمهم  
 ليموتوا بفتة كابطل الرومان . ويحتفرون بايديهم اجداث مجدهم التقديم واثارهم  
 واستقلالهم . فماذا عساه ان يكون سبب هذا الانقلاب . فهل هو فعل القرن  
 فقط ، وهل قدر على الشعوب ما قدر على الاحاد من الفناء كيف هذا ولا ازال  
 اسمع البرهمي ، والعالم ، والحكيم ، والشاعر ، يذكرون فضائل الاجتماع ، وخلود  
 النفس ، والايان بالله . وارى الشعب شاكر المن وهبه ارضاً كثيرة الخصب ،  
 وسماة كثيرة النور . الا اني ادركت غاية ما يفهم ، فرأيت ان الشعب قد  
 عرض طهارة ايمانه للتعصب الوخيم ، وحرية واستقلاله للرق الاليم . فاردت  
 ان اكشف الستر عن الماضي باحثاً في اصل هذا الشعب الذي بات بلا قوة  
 في الموادة ، والمباغضة ، غير مائل الى الفضيلة ، ولا الى الرذيلة كمن يمثل نعمة  
 دوره لدى اشباح وهكذا استنطقت التقليد في الهياكل ، والآثار في الخرائب .  
 وتصفت كتب الويدا التي كتبت من الوف من السنين قبل ان تخطط ثيبة  
 ذات المئة باب وبابل العظمى ، فسمعت شكوى الاشعار القديمة التي كانت  
 تنشد تحت اقدام برهما قبل وجود رعاة مصر العليا واليهودية . فبرزت لي الهند  
 حينئذ بسطوتها الاصلية ، فتأثرت تقدمها مستنيراً بما لفته من الاضواء على العالم .  
 فرأيتها وقد علمت ادابها ، وعاداتها ، وشرائعها ، ودينها . لمصر وفارس ، واليونان ،  
 والرومان . ثم شهدت سقوطها حين اوهنت الشيخوخة شعبها الذي ارسل اشعة  
 نوره الى العالم . ووسم الامم بسمة لاتفحى حتى ان الدهر الذي محاذ ذكر بابل  
 ونيوى وايننا ، ورومية ، لم يستطع ان يعو ذكرها .

## منتخبات جريدة التقرم

( للمرة الثانية التي تولي فيها الفقيه تحريرها )

قال في مقدمة العدد الاول

تعدّد مظاهر الوجود ، في الكائن الموجود ، فيتدرّج في مراتب الكمال  
بما له من معدّات الكون والبقاء ، والحركة والنماء .

( فلا تأسف على الحبة مدفونة في الارض شتاء انها ستنبت في الصيف  
نامية نتوجاً ، ولا تبك الشجرة مجردة في الخريف انها ستبدو في الربيع  
خضراء ناضرة تسر الناظرين .

ولقد اتى على هذه الصحيفة حين من الدهر دُفنت حبة قصدها وجرّد  
غصن نفعها بما طرأ عليها من حوادث الايام ، وعاديات الحدثان ، ثم انجلت  
بهذا المظهر لم تنشأ من العدم البحت ، ولم تبد بعد المحو المطلق ولكن تقمّصت  
من الحياة ثوباً جديداً .

فهي الان رسول رجائنا الى الذين عرفنا والذين عرفنا من احباء الادب ،  
تصدر اليهم يوم الاثنين ويوم الخميس من كل اسبوع مشتملة على المهم من  
اخبار السياسة ، والراجح من اراء ذوي النقد ، والنافع من شذور الآداب ،  
والمأثور من خطرات الالباب

نجمع فيها السياسيات تحصيلاً ، ونبسّط الادبيات تفصيلاً ، لانسود منها  
بالرياء وجهاً ، ولا نغلا لها بسفاسف القول وطاباً ، ان سطرأ مما يولف بين  
القلوب لخير من فصل مما تختلف عليه الاراء ، وان كلمة مما تدعو اليه الحكمة ،  
لا نفع من كتاب مما تبعث عليه الاهواء .

وقد اخترنا لها ما يرى في هذا المثال من الترتيب ، والتبويب ، معولين فيه  
على عذوبة المورد ، وسهولة المقصد ، وجودة الايضاح ، لا نتكلفُ لجميع ذلك  
الاّ الافهام ، ولا نعتدُ غير تقرير المعاني في الافهام ، من اقرب وجوه الكلام .  
وما ندعي في هذا الاسلوب كمالاً ، ولا احساناً ، إنّ هو الاّ جهد مقلٍ  
ينطقُ عن غيرة وان فاته العلم — ولو فعل كل امرء ما يستطيع من منفعة لما  
رأينا على سطح الارض شقياً .

فاذا بلغنا المأمول ، من القبول ، فتلك يدُ عندنا لذوي الفضل والحلم ،  
من اهل العدل والعلم ، والاّ فحسبنا من العذر بذل الجهد ، ومن التأساء حسن  
القصد — نرحم مقضياً علينا بالعجز ، ولا نرجمُ محكوماً علينا بسوء النية . نعرفُ  
بالضعف في جملة كثير من الانام ، ولا نرمى بنقص القادرين على التمام .  
على اننا في ايام ليست كالايام ، وموقفُ ضنك المقام . نعم ان دولتنا  
العلية حقق الله بها آمالنا ، واصلح بعنايتها احوالنا ، قد وضعت للمطبوعات  
قانوناً لينافي غير ضعف ، ووازعاً في غير عنف يو من المستعصم بعروة الحق  
والصدق . ولكننا بين امور عظام ، ومشاكل جسام ، لا يغني في مباحثها  
حسن النية ، ولا تكفي سلامة القصد ، فربما انجس عنا القول من حيث لا  
نعدم مقالاً ، وربما ضاق علينا المجال من حيث نرى مجالاً  
بل لا ينجس القول ، ولا يضيق المجال ، ان للتقدم انصاراً من اهل  
الغيرة العلمية ، واولياء من اهل النجدة الادبية ، لا يضمنون عليه بما يجدون من  
فرائد فوائدهم ، وفواضل افضالهم ، وليس ما يجدون من ذلك قليلاً .

وله رحمة الله مطلب  
في  
الحقوق والواجبات  
تمهيد

اقدمتُ على البحث في هذا المطلب والساذج الفطري مقدم .  
اعلم من نفسي العجز ، ومن ذهني الضعف ، ولا اجهل صعوبة البحث ،  
واختلاف الطرق ، وتووع المذاهب فيه الا انني اجد من النفس ارتياحاً اليه ،  
ومن الفكر انبعاثاً عليه ، واخال ولعلني من المصيبين ان على كل من الناس  
واجباً من النظر والبحث في كل ما يتعلق بذاتية الانسان ، والهئية الاجتماعية  
بما يأمل منه حصول النفع لها جميعاً . وان وجوب هذا الامر مستلزم لحق  
القيام به .

فانا فيما احاول اخطأت فيه او كنت مصيباً ذوا واجب ينهض بماوجب  
عليه ، وذو حق يأخذ بماحق له .

ولا التمس لنفسي عذراً فيما عساه ان يوخذ علي من ضعف حجة ، او  
فساد بيان ، او ضيق معرفة ، او التواء معنى ، اني اعرض لاخواني في الانسانية  
ما علمت وما علمت وليس الذي علمت وعلمت كثيراً ، فان اصابوا بين السقط  
الذي يلفظ ، شيئاً يحفظ ، فلا اسف على الجهد والافلست اول مخطئ في  
الناس ، ان اولهم اول ناس .

## المبحث الاول

## في تلازم الحقوق والواجبات

البقاء من لوازم الوجود . فالانسان من حيث انه موجود مكلف بحفظ ذاته ترشده البداهة الى معرفة نوااميس الطبيعة الضامنة لذلك الحفظ .  
والحيوان الناطق داجن مؤالف بالطبع . فالانسان من وجهه انه مدني مكلف بحفظ نوعه تهديه القوة العاقلة الى الاحكام الادبية الكافلة لذلك الحفظ .  
فذلك هو الواجب الذاتي وهذا هو الواجب النوعي ، وهما طبيعيان لازم وجودهما في الناس لزوم العلة المبقية ، للعلّة الموجودة .

فاذا تبين ذلك علم انه لا بد للانسان من الحرية الطبيعية في القيام بذينك الواجبين ، فثبت له بذلك حق واضح وهو حق اجراء ما وجب عليه .  
فالحق والواجب من حيث الطبيعة متلازمان لا يقوم ولا يكون احدهما بدون الآخر ، فمن استلب ذلك الحق نريد الحرية الطبيعية ، فقد منع الانسان من قضاء الواجبات ، واهلن النوع البشري ، وخالف ارادة الخالق الحافظ سبحانه وتعالى ، اذ كيف يستطيع المرء حفظ ذاته اذا منع مما لا بد منه للبقاء . وكيف يحفظ نوعه اذا قطع عما لا ندحة عنه في الاستبقاء .

وهذا الحكم وان كان ظاهره مقصوراً على الواجب والحق الطبيعيين في حفظ الوجود الانساني ذاتاً ونوعاً ، الا انه يتناول لا ريب الواجبات والحقوق في الحالة المدنية ، فان احتياج الانسان الى هاته الحالة في حفظ الذات والنوع ، قد اوجب عليه صيانتها بقانون ادبي على مثال الناموس الطبيعي ، فكانت احكام ذلك القانون كما قال منتسكيو حكيم الفرنسيس بياناً للصلوات الضرورية الناتجة من طبائع الاشياء ، فلزم من ذلك ان يكون على المرء في مدنيته

واجبٌ يقضيه بحقٍ يعينه على القضاء .  
 فأنضح من هذا الذي بسطناه ان الواجب غاية واسطتها الحق ، فمن اوجب  
 الاول ، لزمه اعطاء الثاني . ان الله تبارك وتعالى لم يمنح الانسان حقاً الا من  
 حيث انه فرض عليه واجباً  
 فالحق ملازم بالواجب ، والواجب مستلزم للحق .

### المبحث الثاني

#### في اقسام الواجب والحق

تبين مما سلف ان الحق والواجب متلازمان لا يكون احدهما بدون  
 الآخر في حال من الاحوال ، فكل ما نعينه من واجب يتناول حقاً وكل ما نعينه  
 من حقٍ يشمل واجباً .

ومعلوم ان كل موجود عاقل كلف بذاته ، حريص على حفظها ، فان  
 اول ما يظهر من عاطف النفس الشاعرة بالوجود ، انما هو حب الذات ومن  
 احب شيئاً حرص عليه .

وان حفظ النوع من احكام الطبيعة . فطر الانسان على الرغبة فيه كما  
 هدت البداهة سائر الحيوان اليه . فهذا الحكم الطبيعي منتج بالضرورة للحالة  
 الزوجية التي يتقاد الانسان اليها بالفطرة الحيوانية ، ثم يراها من حيث انه عاقل  
 فرضاً واجب القضاء ، فتثبت في قلبه ميلاً جديداً يتحد بحب الذات فينشأ عنه  
 في النفس لذة لا تنال ، ولا تدرك في العزلة نريد الحب الجامع بين الجنسين ،  
 الواصل بين الزوجين ، الذي تنوعت مظاهره في عالم الوجود ، والم على اختلاف  
 تجلياته بكل موجود . فهو في الزوج عشق ، وفي الوالد حنو ، وفي الولد بر ، وفي  
 الاخ و داد ، وهو هو في كل حال يفعل في النفس الطاهرة ، ويؤثر في القلب

السليم الى حدّ ان يلتبس امره على الانسان فلا يدري أكان قائماً بواجب من الطبيعة ، ومتولياً من ذلك الواجب حقاً ، ام كان مائلاً مع الشهوة ، ساكناً الى اللذة ، آخذاً بما يجلب له الرضى والسعادة .

فهذا الحفظ النوعي وذلك الحفظ الذاتي يتعلقان بالانسان من حيث هو اي من حيث انه من النوع البشري . فهما منشأ الحق والواجب الطبيعيين وهذا هو القسم الاول من الحقوق والواجبات

وظاهر ان للانسان في الحالة الاجتماعية شأنًا جديدًا ينتقل فيه من الزواج الى الاسرة وهي العائلة ، ومن الاسرة الى الامة ، ومن الامة الى الانسانية ، فله من هذه الوجوه حقوق معينة وعليه منها واجبات معلومة . فما يختص بالعائلة من هذه الحقوق والواجبات من وجه المعاملة الشخصية . والحدود الملكية . وما يمس الامة من حيث اقامة الامور ، وصيانة الاستقلال ، ووجود المساواة . وما يتعلق منها بالانسانية من حيث تقرب الصلات ، وتأمين الوفود ، وتيسير التجارات ، وتمكين السلم ، وحفظ المصالح العمومية . كل ذلك يعرف بالواجبات والحقوق السياسية .

وما كان من هذه الحقوق والواجبات متعلقاً بالمعاملة بين الافراد من وجه كف الظلم ، ومنع الاعتداء ، وحفظ الحق ، وصيانة الضعيف من القوي ، ووقاية الفقير من الغني ، ورد المال المسلوب ، ومعاقبة الظالم ، وارضاء المظلوم ، واجراء سائر انواع المعاملة على محور الاستقامة والعدل . كل هذا يسمى بالحقوق والواجبات المدنية .

ولهذه الاقسام الكافية فروع كثيرة نذكرها في عرض ما يجي تفصيلاً او تحصيلاً .

## المبحث الثالث

## في الحقوق والواجبات الطبيعية

وهي احكام الشرائع الطبيعية النافذة في النوع الانساني مستقلة ومنفصلة  
عن كل شريعة دينية، وكل سياسة مدنية .

وقد وجد لهذه الاحكام في كل زمان ومكان اعداء الذآ من اهل  
القوة الحسية، والقوة المعنوية ممن يتسلطون بايديهم على الابدان ، وممن يشولون  
بالسنتهم على الاذهان . اولئك لم يعترفوا بغير الاحكام التي هم اربابها ، وهؤلاء  
لم يأخذوا بغير القوازين التي هم اصحابها . وما بين الفريقين معظم النوع الانساني  
حاشية يتبعون ، او عبيد يطيعون ، حتى استنارت الافهام ، ونشطت من ربق  
الاوهام ، فصارت او كاذب يصير لكل من الناس حد لا يتعداه ، وخط لا يتخطاه .  
ومن المعلوم ان الخالق الحكيم ، القادر العليم ، منزّه عما يخالف الحكمة ،  
ويغايير القدرة ، وينافض العلم الحق . فالاحكام الطبيعية الناشئة عن عنايته  
الازلية ، ان هي الا كتمته الحق المعروفة من ازل ، الباقية الى ما لا يزال ، الكافلة لحفظ  
الوجود ، بوقاية كل موجود . ولذلك عرفت في كل زمان ومكان . وما اختلف  
فيها اثنان . فقد بدت لارسطو ، كما ظهرت لبسكال ، ورآها افلاطون ، كما  
شهدها نيوتن ، وتبينت لشيشرون ، كما علمها فولني ، وانجالت لسائر المتبصرين  
فائقة على القدرة الانسانية ، غير متغيرة في حال من الاحوال ، حية في قلب  
كل انسان ، منقوشة على الواح الصدور ، واحدة في كل الازمنة والامكنة  
والاشخاص ، بقدرة الذي اوجد الازمنة والامكنة والاشخاص

فهذه الاحكام الطبيعية المقدسة تصل الانسان بذاته صلة قوية ينشأ  
عنها واجب الحفظ الذاتي ، فتصدر عنه العاطفة المسماة بحب الذات . وتصل بين

جنسيه فينشأ عن هاته الصلة واجب حفظ الجنس ، فتصدر منه العاطفة التي  
 اذا كان موضوعها الزوجين سميت حباً ، وان كان موضوعها المولود سميت حنواً  
 او حباً والدياً ، وان كان موضوعها الوالدين سميت برّاً او حباً ولدياً . وتصل بينه  
 وبين ابناء نوعه فينشأ عن هذه الصلة واجب حفظ النوع ، فتحصل منه  
 العاطفة المسمّاة حبّ الانسانية )

فما اعظم حكم خالقه وما اعمّ العناية الرحمانية . ان الله سبحانه وتعالى  
 ما فرض علينا الواجب الاّ من حيث تميل النفس ، وتتعطف الارادة ، ويسكن  
 الطبع ، فقد كانت شرائعه الطبيعية عواطف نفوس ، وشهوات قلوب ، قبل ان  
 تكون احكام فكر وعقل ، فهي الحب الجاذب الواصل الحافظ الذي ذكره  
 الشارع الثاني في (وليجب بعضكم بعضاً فهذه هي الشريعة وهذه هي النبوات)  
 ولا ريب انه جدّد النواميس القديمة جملة بهذه الكلمات .

وايضاً فقد وصلت الاحكام الطبيعية بين الانسان والاشياء ، فكان المرء  
 حراً في استعمال ما يحتاج اليه في واجبات الحفظ فهو في حالة الطبيعة مالك  
 للعالم باسره ، الاّ ان هذا الحق غير مخصوص بواحد من النوع وانما الناس فيه  
 سواء ، لكلّ منهم ما للاّخر بلا فرق ولا استثناء . فالعالم من حيث انه  
 لكلّ لا يكون لواحد منهم بالذات وانما يتمتعون به على حدّ سوى . ولكن  
 لما كان موضوع هذا التمتع الحفظ ، كان من حقّ الانسان استعمال كلّ شيء  
 فيه ولم يكن من حقه الافراط في شيء .

هذه اصول الاحكام الطبيعية متضمنة لما يختصّ بهامن الحقوق والواجبات  
 اوردها بمجمل كما رأيت ، وسنفصلها في المباحث الآتية كما ستري .

المبحث الرابع  
في الحقوق والواجبات الذاتية

فصل

تبين في المبحث السابق ان حفظ الذات ، رأس الحقوق والواجبات الطبيعية فثبت بذلك ان الانتحار اي قتل المرء لنفسه مخالف للحكم الاول من القانون الطبيعي . الا ان هذه القضية وان كانت مسلمة لانطباق نيتها الصريحة على المقدمة الصحيحة ، فلم تسلم من اعتراض الفلاسفة المغالطين . فقد رأينا منهم جماعة يميزون الانتحار وبيرون مرتكبيه بادلته مما يلائم ضعف الفطرة البشرية ، فتألف الازهان ما يقولون وان كان مخالفاً للحق . فلولا ان تكون هذه المباحث مقصورة على المبادئ ، الاولية ، والاصول الكافية من الحقوق والواجبات ، لاوردنا الكثير من ادلتهم مشفوعة بما يظهر ضعفها من اقوال الناقدين . على اننا نذكر من ذلك ما لا يخرج بنا عن حد الاجمال والاختصار ، مستوعبين فيه اهم ما استدل به على جواز الانتحار .

يقول نصره هذه الجريمة ان الحق الطبيعي قائم بالتماس الخير ، ودفع الشر ، فيما لا يضر باحد من الناس . فاذا صار الانسان الى الحال التي تكون فيها الحياة شراً عليه ولا تكون خيراً لسواه ، حق له الانتحار بل كان واجباً عليه ونقول ان في هذا الدليل فرض محال لامتناع تجريد الانسان من خيرية الوجود ، في حال من الاحوال . على ان هذا المستحيل بتقدير امكانه لا يميز الانتحار للواقع فيما يحسبه شراً مطلقاً بما كان فيه من ضعف النفس ، وما طرأ عليه من اليأس . فان الشقاء حادث عارض على المرء بما كسبت يده الاجنح ولا تبتغيه فيه على وجوده الطبيعي ، فليس من الحق ان يؤخذ ذلك الوجود

بما لم يصدر عنه وان تكون الطبيعة مسؤولة عما ليست منه في شيء .  
 فان قيل كيف لا يجوز الانتحار للمرأة على خطر العار ، والرجل على خوف  
 الاهانة ، والوطني على اليأس من سلامة الوطن ، وكيف يُخطأ من مات جليلاً  
 كراهة ان يعيش ذليلاً ، او ايس ان كاتون الروماني العظيم الشأن قد اتحرف فراراً  
 من الذل وحرصاً على الشرف الذاتي ، فهل منع ذلك من ان يعد من عظماء الرجال ؟  
 قلنا ليس الشرف الطبيعي الا كرامة الذات فهو من هذا الوجه فرع  
 من الحفظ الذاتي لا يمسه شيء من العوارض المعنوية ، ولا يحق التصرف فيه  
 لغير الارادة الطبيعية ، فاذا نصبت للمرء حبات من الحوادث ، او طرات عليه  
 عادات من الظلم ، او امت به عوارض من الفساد المدني فالتحرر بسبب من  
 هاته الاسباب ، فاما ان يكون ذلك منه عن خوف من المصاب والضعف عن  
 احتمال الالم ، فهو جبان يخرج من ساحة الحرب قبل انحسام القتال . واما ان  
 يكون عن قوة الفساد الحادث فيه فهو ضحية للشرف المدني ، والرأي  
 العمومي فما نجس كاتون وان كان رفيع الشأن ، علي المكاتب ، الا مجرمات  
 مذكوراً ، ومخطئاً مشهوراً . ولا نراه وان عد شديد الوطنية ، عظيم الهمة  
 الا محباً للسطوة ، حريصاً على السلطة ، لم يمت كراهة للحياة بعد حرية رومة  
 وانما مات اسفاً على زوال السطوة عن مجلس الشيوخ .

وجملة القول ان استبقاء الذات من الواجبات الطبيعية ترشد اليه البدهة ،  
 وتبعث عليه العواطف النفسية ، مما يخالفه الانسان الا اذا طرأ عليه من الفساد  
 ما ينسيه كل حق ، ويشغله عن كل واجب .

وكما ان وقاية الذات من الهلاك واجبة على كل موجود من الانسان ،  
 كذلك يجب عليه صيانة تلك الذات عن كل ما يجلب لها الالم ، او الضعف ،  
 او النقص ، او الشوه كائناً ما كان وفي اي سبيل كان ، مما يخرج عن حد

الساعة  
 العارفة

افتداء الكل بالجزء كما سنبينه في الفصل الآتي .

### فصل

نقرّ ر فيما سلف وجوب حفظ الذات ، وحرمة قتل النفس . ومن  
المعلوم ان ذلك الوجوب قاض بصيانة الذات عن كل ما يجلب اليها الضعف ،  
والخطئة ، والفساد ، وان هاته الحرمة ملزمة بوقاية النفس من كل ما يعود  
عليها بالضرر والهلاك . فان حفظ الوجود يتناول لاشك معني استبقائه صحيحاً  
كاملاً سليماً كما وجد ، وحرمة القتل تشمل لا ريب حرمان الافراط والتفريط  
في حاجات الوجود ، من وجه انهما متلفتان للوجود .

فكل ما يؤلم البدن او يضعفه ، او ينقص منه شيئاً لازماً فهو مخالف  
لحكم الطبيعة ، مبين لحكمة الخالق . لان الهيكل الجسماني الناهض بالواجبات  
الطبيعية ، اما ان يكون ( على رأي اهل المادة ) قائماً بذاته ، حياً بتركيبه ، غنياً  
عن كل مدد روحي فاضاعفه او ايلامه او اذلاله مغاير لمبدأ الحفظ الواجب  
طبعاً ، واما ان يكون ( على رأي الروحانيين ) بمنزلة الآلة لقوة روحانية تجار  
فيها الافكار ، ولا تدركها الابصار . فافساده على هذا الوجه مضر بالنفس  
مناقض لحالتها الكمالية ، مبين لمبدأ الحفظ المفروض شرعاً . وهذا الهيكل  
الحيوي على الوجهين سواء كان قائماً بذاته او بما فيه لا يكون انساناً ما لم يقم  
بالواجبات الطبيعية الانسانية ، ولا يستطيع ذلك ما لم تحصل له الحرية فكل  
ما يذهب بالحرية الطبيعية تقييداً او اضعافاً او محو كلياً ، فهو اختلاس او جهل  
بماهية الوجود ، لان العبودية اما ان تكون اجبارية فهي من جانب المستعبدة سرقة  
واتلاف لا قدس حقوق الوجود ، واما ان تكون اختيارية فهي من جانب  
العبد جهل ، وعمى قلب ، يخرج بهما عن ان يكون انساناً

فمن عرض نفسه لعاديات الطبيعة من الحر، والبرد، والجوع، بما يوسوس فيه الجهل مختاراً في ذلك غير مضطراً له ولا ملتس منه نفعاً قريباً معلوماً، ومن عدا على البدن بما يؤلمه من ضرب، وجلد، وتمزيق، وإهمال، بما يزين له الوهم راعياً في ذلك غير مكره عليه، ولا مستفيد منه له شيئاً، ومن شوه الجسم، أو اسقط منه عضواً لازماً سعيداً كائناً ما كان ذلك العضو بما يموه له الطمع أو الخيال الفاسد عامداً في ذلك، غير مجبر ولا مفتدي سائر البدن بذلك الجزء، كمن يقطع اليد المتغفرة وقاية لبقية الجسم، ومن انتزاعاً على حرته الذاتية بالحر، أو الانقاص، أو الاضعاف، بما يبعث عليه الكسل، أو الغباوة، أو دناءة النفس، راغباً في ذلك غير مقسور عليه. كل هؤلاء مخالفون لاحكام الطبيعة، مناقضون للحكمة الالهية الازلية التي هي عين الجمال، ومظهر الكمال، ومصدر الوجود، وعلّة البقاء. فسبحانك اللهم ما خلقت فينا شيئاً عبثاً ولكن نحن بانفسنا عابثون. ولا رضيت لنا شوهاً، ولا عذاباً، ولا امساکاً عما لا يضر، ولا قيداً، ولا ذلاً، ولا عنتاً، ولكن اكثرنا لا يعلمون.

(عود على برد. — اما الافراط الذي هو استعمال الشيء من وجه الزيادة فيه، والتفريط الذي هو استعماله من جانب الانقاص منه. فهما تابعان لحرمة قتل النفس بما يجلبان عليهما من اسباب التلف. فكل ما يضر بالوجود الانساني من الاطلاق، والامساک، والبسط، والقبض، والاباحة، والمنع، والافعام، والافراغ، مماثل لقتل الذات حرمة ونكراً. فمن ترك الوسط العدل فيما يحتاج اليه للبقاء والنماء، واخذ منه بجانب الزيادة والنقص، فلا فرق بينه وبين المنتحر الا ان هذا يهلك النفس دفعة، وذلك يقتلها تدريجاً.)

## المبحث الخامس

## في الحقوق والواجبات النوعية

## فصل

تبين في المبحث الثالث من هذه المطالب وجوب حفظ النوع الانساني من وجه ملازمته لبقاء الذات . فهذا الواجب ملزم بالتثام الجنسين على صورة يحصل منها البيت او العائلة . وله في ذلك مظهران اثنان مظهر الزواج وفيه الواجبات والحقوق الزوجية ، ومظهر النتاج وله طائفتان الحالة الوالدية ، والحالة الولدية ، وفي كل منهما حقوق وواجبات .

فالعائلة والمراد بها في هذا المقام جماعة الزوجين وما يلدان ، هي الاساس الاول والركن الفرد في بقاء النوع ، وبقاء الانسان ، وهنأ الحياة ، وكال الوجود بل هي في العالم البشري بمنزلة مركز نور تنبعث منه اشعة الحياة فتسير القلوب ، وتسرى النفوس ، وتحيى الابدان ، وترشد المرء الى المقام الرفيع المعد له في عالم الحيوان فهي من هذا الوجه جرثومة الكمال الطبيعية ، وارومة الحسن المدنية ، ومعدن الفضائل الاهلية ، لا تحصل بدونها في النفس عزة ، ولا تنشأ غيرة ، ولا توجد رحمة ، ولا يكون اجتهاد ، ولا يكمل شيء من السجاياء الانسانية والمزايا الاجتماعية . بل لا يكاد الانسان يلتمس من خبايا الارض ، وكنوز الطبيعة ، وثمرات العمل ، ما يفضل عن حاجته الذاتية الا ان يكون ذا عيال من ضعيفات محبات صابرات ، وصبية صغار عاجزين آملين جميعاً فيه ، متوكئين عليه ، يخاف عليهم ان يسهم ضيم ويسره ان يراهم راضين عنه معجبين به ، داعين له بالبركات .

نعم ان حب الانسانية على وجه الاطلاق او المجد الخيالي على حكم التصور

قد يكون هو الباعث الاول لبعض الانفس الزكية ، والعقول السميّة على اقتحام  
 المصاعب ، واحتمال المتاعب ، في القيام بما يترتب عليه الاثر النافع العميم .  
 الا ان ذلك فضلاً عن كونه حادثاً طارئاً على الجمعية الانسانية ، غير اصيل في  
 الخلق الطبيعي ، فهو مقصور على دون القليل من الناس . اما السواد الاعظم فلا  
 يعانون متاعب المعاش ، ولا يصبرون على شقاء الحياة ، الا يباعث انفي الى  
 الحسّ واقرب من الطبيعة ، واظهر لعين الفطرة الساذجة . وبعبارة اوضح لا  
 بدّ للانسان في الحالة المعاشية من عيال يشعر بحبهم له ، وحاجتهم اليه ،  
 واعتمادهم عليه من دون سائر الناس ، فيخرج باجتهاد في تحصيل المنفعة ،  
 ودرء المضرة عن حدّ ما يحتاج اليه مع ذلك ، الاجتهاد ، منحصراً على نوع ما  
 في الحاجة الذاتية من وجه ان الولد قطعة من ذات الوالد ، بل هو عين تلك  
 الذات تقمصت رونق الشباب ، وأعيدت خلقاً جديداً ، فهي تقوى به مادام  
 لها البقاء ، وتحمي فيه بعد اذ يدركها الفناء .

فاتضح ممّا تقدم ان الزواج واجب طبيعي لازم في بقاء النوع ، ملازم  
 لحفظ الوجود . ولعلّ هذا هو الاصل في جميع الاحكام القديمة المانعة من  
 التبتل وطول العزبة ، من وجه ان الذين هم على حالة من تبتك الحالتين يكونون  
 في مثل العزلة عن سائر النوع ، فنمو فيهم العواطف الانوية التي لا تخرج عن  
 حدّ قولنا « انا » فينشأ فيهم عن ذلك خلق الاثرة الموجب للوحشية ، المعروف  
 بـ جبّ الذات

فاذا تقرّر ذلك لزمنا بيان حدّ الزواج ، وماهيّة ما يجب فيه ، وما يحقّ  
 للزجين وايضاح ما يترتب عليه من الحالة الدنيّة والولديّة وما يلزم في الحالتين  
 من الواجبات والحقوق .

## فصل

ظهر مما سلف ان حفظ النوع ملزم بالتثام الجنسيين على الصورة المسماة  
زواجاً ، فذلك الائتام لا يكون الا بالارادة ، ولا يتم الا بالاتحاد . فاذا  
حصل كاملاً تعين فيه على الزوجين ان يسعيا فيما يعود بالفائدة عليهما جميعاً .  
فان اتحادهما بالارادة يشبه ان يكون ميثاقاً على الاشتراك في المذة والالم ،  
والصفو والكدر ، والسراء والضراء .

غير ان حفظ النوع وان كان من الواجبات الطبيعية فلا يلزم الا حيثما  
لا يضر بالذوات شيئاً ، ولذلك وضعت للزواج حدود مبينة ، واوقات معينة  
في بعض القوانين . وكان في الحالم الصغير ، والماجز الكبير ، مكروهاً على الاطلاق .  
ولما كان حفظ النوع هو الاية الطبيعية في التثام الجنس لزم ان يكون  
هو المقصود بالذات فيه ، فاذا جرد القران عنه عمداً كان بمقتضى الناموس  
الطبيعي جرماً ، ولذلك جاءت الشرائع الدينية بالنهي عن الزناء ، وقامت على  
مرتكبيه حداً من عقاب هذه الحياة علاوة على ما توعدهم من عقاب الآخرة .  
اما التوازن المدنية فقد اتت بمثل ذلك على حين كانت قرينة العهد من الطبيعة .  
فلما ان تقدم الناس فيما نسميه الفة وتمدناً ، رفع ذلك الحد من قوانينهم فتاب  
الادب عنه في ذوي النفوس الزكية ، والاخلاق الكريمة والعلم الصادق .

فاتضح من هذا الذي قدمناه ان الزواج ميثاق اشتراك واتحاد مبرم  
بين الجنسيين قضاء لواجب حفظ النوع فهو من هذا الوجه ، وعلى هذه الصورة  
واجب لازم بالذات كما يؤخذ من مال الحديث الشريف « زواجهم فان لا  
تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد عريض »

فاذا نقرر ان الزواج ميثاق مبرم بالارادة لزم من ذلك ان تعد مخالفة

شرطه من قبيل الخيانة . فهذه الخيانة تكون في جانب المرأة افطع منها في جانب الرجل من حيث انها (١) نقضي عليه بان يعول الولد (٢) في حالة كونه ليس منهم في شيء، فهي لذلك من موجبات نقض الميثاق في كل شريعة مأثورة . الا ان ذلك النقض يكون في بعض الشرائع طلاقاً ، وفي البعض فصلاً وابعاداً ليس غير .

فالطلاق حكمٌ يعيدُ لكلٍ من الزوجين حرّيته الذاتية بحيث يحقُّ له موائمة من شاء بمثل الميثاق الاول . والفصل قضاء يفرق بين الزوجين حساً مع بقاء الصلة المعنوية بحيث يكون الزواج محظوراً عليهما جميعاً .

وليس من شأننا بيان حدود الطلاق وشروط الفصل على ما وضعت في الشرائع والقوانين المرعية فذلك يخرج بنا عما التزمناه من الاجاز في هاتيه المباحث . ولكننا ننظر الى ميثاق الزواج من وجه الحقوق والواجبات الطبيعية مجرداً عن كل عقيدة دينية تميزاً في موضوع البحث وحدود المطلب .

فالزواج من هذه الحثية عقدٌ معلوم الشرط ، والعقد المشروط فيه لا يلزم الا ما دام شرطه محفوظاً فان ضيعة احد المتعاقدين ، او ابطاله او اهمله عمداً ، كان الاخر في حل من العقد وهو الطلاق على اختلاف انواعه تجيزه بعض القوانين المدنية بعد ظهور موجبه ووضوح وجه الضرورة فيه ، وتأمين الولد من سوء عقباة . وتحمله بعض الشرائع المطهرة صادراً من جانب الرجل ليعب معين ، ومصلحة ظاهرة بعد وفاء النقد على انه ابغض الحلال الى الله . وثقف به بعض سائر الشرائع والقوانين عند حد الفصل على ما ذكرناه اعتقاداً انه مما عقد الله على لسان رجال الله ، ولن يحل لانسان حل ما عقد الله ، او مخافة ان يتقوض به ركن البيت ، ويفسد الولد باقتراف الوالدين ، ولكل ادلة من

النقل والعقل فيما يختلفون عليه .

فصل

بالزواج يحصل 'النتاج' فتنشأ عنه السلطة والواجبات الوالدية وهي وسيلة استمرار النوع . فالنتاج مؤدى الطبيعة البشرية ، واستتباع المولود متعين على الولادة فهو واجب تفرضه طبيعة الاشياء فلا مفر للوالد منه ، ولا عذر له في القعود عنه .

ولقد وُضع الحد في بعض القوانين على الذين يبنذون ولداهم . ولا شك ان اهمال شأن الولد بعد الولادة يكون من ذلك القبيل ، فان دعوة الموجود في عالم القوة ، الى الوجود في عالم الفعل ، لهي الميثاق على حفظه بتيسير ما يحتاج اليه ، وانماء قواه البدنية والعقلية الى ان يشتد ساعده فيصير كفوءا لذاته ، فمن اهمل ذلك بلا موجب من الطبيعة ، ومن اقدم على تلك الدعوة مع تحقق العجز عن المترتب عليها ، فقد ارتكب ذنبا يشبه في بعض احواله القتل . فاذا تبين استتباع الولد من احكام الضرورة الطبيعية ، ثبت انه لا يوجب السلطة في جانب الولد الا بمقدار وجود تلك الضرورة ، ولذلك فالواجبات الوالدية تنتهي من الوجه الطبيعي ببلوغ الولد سن القوة والرشد ، فلا يبقى بينهما من بعد ذلك الا رابط الهيئة الاجتماعية ، والالفة البيئية كما سنبينه في مكانه . ومما تقدم يعلم ان استتباع الولد بانماء قواه البدنية والعقلية من الاحكام اللازمة في حفظه ، فالوالد كائنا من يكون ، وفي اية حالة يكون ، مأمور من قبل طبيعة الوجود بحفظ مولوده ، وتوجيه العناية اليه ، وسد حاجته الطبيعية بالغذاء والوقاء ، وانماء قوته العقلية بما يلزم من العلم ، والجاه الى قبول ذلك منه ان اباه ولذلك وُضع الحد على مسقط الجنين عمدا ، وفرض العقاب على قاتل مولوده .

وحكم بالتقصص على النابذ ، وتقررت في الكثير من هيئات الاجتماع الزامية  
التعليم .

على ان هاته الواجبات وان كانت كثيرة الفروع ، ثقيلة الحمل ، عظيمة  
التبعة ، فلا ينبغي ان تعدل بغير اهل الثروة عن الزواج والنتاج . فانه لم  
يفرض على كل والد ان يجعل مولوده من ذوي المقامات السامية ، وارباب  
الثراء الوافر ، واهل العلم الواسع . وانما يلزمه القيام بالضروري من حاجاته الحيوية ،  
واصلاح شأنه ، واعداد حسن المال له بما تصل اليه يد الامكان . قال منتسكيو  
حكيم الفرنسي : على الوالد ان يطعم الولد ويحميه ويحسن تربيته وليس عليه  
ان يجعله ذا ميراث . اه .

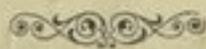
ولرب ما هن فقير ، وفاعل لا يملك شروى فقير ، يث في قلب ولده  
روح الشهامة والاستقامة ، ويعني به ما استطاع انما واصلاحاً ، فيكون في  
ذلك افضل واحسن سعياً من غني يهتم بالميراث ولا يهتم بالوارث .

وقد مر بنا ان الواجبات الوالدية لا تقف عند حد الغذاء ، وسد  
الحاجة البدنية ولكنها شاملة لتهديب الفكر ، وانماء العقلي - وبعبارة اوضح -  
ان للانسان من حيث انه حيوان وجوداً بدنياً ومن حيث انه ناطق وجوداً  
عقلياً فمن دعاه الى حيز الوجود بالفعل فقد وجب عليه حفظه في الحالتين .  
وبناء على ذلك فالتعليم فرض واجب على الوالدين بلا استثناء الى حد ما  
يستطيعون . ومن المعلوم ان الحالة المدنية قد وسعت نطاق الضروري من  
العلم بما نشأ عنها من تفرع الحاجات ، وتوسع الحالات ، حتى عز على كثير من  
الناس ان يبلغوا بولدهم حد اللازم من المعرفة والضروري من العلم ، فصار  
من الواجب على هيئة الاجتماع ان تعينهم على ذلك بانشاء المدارس المجانية .  
فقامت الدول المتقدمة بهذا الواجب فلم يبق فيها للوالدين من عذر في التناقل

عن تهذيب اولادهم ، فان فعلوا عناداً او عمى قلب ، تعين على الهيئة الحاكمة  
المختارة ارشادهم الى الواجبات الطبيعية بالدعوة ، والحش ، والاغراء ، والالزام .  
يجب عليها ذلك من وجه ان المولود ليس ملكاً للوالد يتصرف فيه كيف شاء  
وانما هو لله علة الوجود ، ثم لنفسه ، ثم لهيئة الاجتماع . وهذا هو الاصل في  
قوانين التعليم الالزامي .

ومن الناس من لا يجد للسلطة الوالدية حداً ، فيحسب الوالد حراً فيما  
يجب عليه للمولود ، يفعل من ذلك ما يشاء ، ويهمل ما يشاء ، ولا يسأل عما  
يفعل . ومنهم من يقول ان الولد ثمن الولادة ، فمن ملك الشجرة فقد ملك  
الثمر يريد تقرير استعباد المرأة ، واستبداد الوالد . ومنهم من يعد سلطة الوالد  
قبلاً من استبقائه للمولود فهو لاء جميعاً يرومون تأخير هيئة الاجتماع ، وارجاعها  
الى ما وراء قرون الظلمات الى العصر الذي كان فيه الولد ملك الوالد يبيعه  
ويتصرف في وجوده استعباداً ، وقتلاً ، وكيف شاء . الى عصر الحشونة  
والجهل ، الى زمن الاستبداد والظلم ، الى عهد الحيف والفساد ، فقل يا اهل  
الظلمات حذار . فقد جاء ملك الانوار .

وكتب في رثاء المغفور له الحاج حسين افندي بيهم احد عيون الاعيان  
المسلمين في ثغر بيروت وقد توفي ثالث وعشرين صفر سنة ١٢٩٨ و ٢٤ كانون  
الثاني سنة ١٨٨١ فقال بعنوان



### خطب عميم

لمثل هذا الخطب يعد التأبين والرثاء ، واثله يدخر النوح والبكاء . فنج بما  
يشير الحزن ، ويبعث الوجد ، ويترك في القلوب صدعاً ، وابك ما استطعت

بكاء وما وجدت في العين دمعاً . فقد رزىء الفضلُ بمن كان من اعظم اهله  
 غناء ، واحسنهم وفاة ، واكرمهم خلقاً وسمتاً ، واطيبهم حياً وميتاً  
 مات الحسينُ فيالها من نكبةٍ اضحى بها الاحسانُ منهدم الذرى  
 مات الحسينُ فتقوَّض ركنُ الفضل ، وانثُلَّ عرشُ الادب ، وافلَّ  
 نجمُ الهدى ، وانكسف بدرُ الجمال ، فناحت ارضُ بيروت باصوات الانام ،  
 وبكت سماؤها بمقل الغمام .

ولئن بكيناهُ وحق لنا ولئن تركنا ذلك للصبر  
 فلثله جرت الدموعُ دماً ولثله نفدت فلم تجر  
 وقد استأثر الله به كريماً محموداً طيب الآثار فانتشر نعيه في المدينة فارتجت  
 له دهشة واضطراباً واقبل الناس على داره مسرعين مسترجعين ، لم يبق الحزن  
 في وجوههم ماءً ، ولم يترك البكاء في عيونهم دمعاً ، فودَّعوا منه فقيداً اعضاءاً  
 لقوم ونصيراً الآخريين ، وحيبياً محسناً اليهم كلهم اجمعين .  
 وسارت المدينة في جنازته ظهر الثلاثاء يتبع الغني فيها فقيراً ، والكبيرُ  
 صغيراً ، والرئيسُ مروءساً ، والشريف مشرفاً ، والغريب بعيداً ، والنسيب  
 غريباً ، حتى تماوى به ساكن هذه الارض ، على كونهم درجات بعضهم  
 فوق بعض . كأنما نفع الملكُ بالصور ، وكأنما يومه يوم النشور . حتى وصلوا  
 به الجامع الكبير محمولاً على اكف الوجهاء من اهل الاسلام والنصرانية ممن  
 ألف بينهم الخطب ، وجمعتهم المصيبة فيه ، يخترقون الالوف ، ويمرون بين  
 الصفوف ، تتقدمهم تلامذة المدرسة الخيرية ، بالأسنة خصوصية . منهم حملة  
 القرآن الشريف ، ومنهم المعدون النائحون ، ومن ورائهم تلامذة المكاتب  
 الرشدية ، ومائتان وفوق ذلك من العساكر النظامية ، ثم رجال الشرطة جميعاً ،  
 ثم مشايخ الطرق ، واهل القراءات ، يذكرون بالله ، ويكررون لا حول ولا

قوة الأ بالله ، ومن ورائهم النعش يسمعون له صريفاً  
 وليس صريف النعش ما يسمعونه ولكنّها اصلاب قومٍ تَقَصَّفُ  
 ثمّ تلقاهُ على باب الجامع افاضل اهل العلم ، فخلوهُ الى داخل المقام  
 اجلالاً ولم يتنق ذلك لاحدٍ من قبله . ثمّ تلي بعد الصلاة عليه ما نظم  
 الشعراء في ليلتهم من الرثاء له فحصل من ذلك ديوانٌ لا يجمع غيره في شهور  
 واعوام . ثمّ خرجوا به الى المدفن فبكت السماء عليه نازعاً اليها ، ثمّ ابتسمت  
 له وافداً عليها . وواروا منه في التراب بجرّاً ، واسكنوا منه في الارض بدرّاً ،  
 والناس من حول الضريح صفوفٌ كثيرةٌ من كلّ وجيهٍ ونبيهٍ من اهل  
 الاسلام وسائر الملل منهم امراء العسكرية ، وروّساء الملكية ، وقناصل الدول ،  
 وكبار التجار ، وجماعةٌ من وجهاء الغرباء عن البلد اتوه لقضاء هذا الواجب .  
 وجملة الامر انّ مشهد الفقيد المشار اليه ، يشهد بمقدار اسف الناس  
 عليه اَلْهُمْنَا اللهُ في مصيبتِهِ صبراً ، وكتب لنا بذلك اجراً ، فانه  
 عمّت مصيبتُهُ وعمّ حدادُهُ فاناسٌ فيه كلهم مأجرو

### لمع من ترجمة حاله

وُلد رحمه الله عام ١٢٤٩ للهجرة وقرأ العلوم العقلية والنقلية على العالمين  
 الفاضلين الشهيرين الشيخ محمد الحوت والشيخ عبد الله خالد . واتجر من بعد  
 ذلك مدة يسيرة ثمّ هجر التجارة في الخامسة والعشرين من سنه الى مقامات  
 الجهد والفضل فصار عضواً في مجلس ايالة صيداء الكبير ، وتوجهت عليه من  
 لدن الدولة العلية رتبة عليّة . ثمّ كانت حادثة عام ١٨٦٠ فصار عضواً في  
 ديوان ( فوق العادة ) علاوة على عضوية المجلس الكبير وانتخب بعد التشكيلات  
 عضواً فخرياً لمحكمة التجارة فوفى هذه المناصب حقها من العدل ، والنزاهة ،

ولين الاخلاق . وسافر في خلال ذلك الى الاستانة اول مرة ولما ان عاد  
منها توجهت عليه رتبة مولوية ازميز . ثم صار عضواً في مجلس ادارة اللوا .  
ولما وضع الدستور الاساسي وفتح مجلس النواب انتخب عن سورية فتوجه الى  
الاستانة على ما فيه من نجافة البدن . ثم لم يأخذ الراتب المعين للنيابة وانما  
تركه للاعانة الحربية . وبعد ان عاد من العاصمة بقليل تألف مجلس البلدية  
فكان رحمه الله من اعضائه ثم انتخب ثانية للنيابة عن سورية فمنعه من قبول  
ذلك بموانع خصوصية لا ترد . ثم عرض عليه مقام الافتاء في بيروت وغيرها  
من المناصب السامية فتباعد عنها جميعاً .

وكان عفا عنه الله عظيم العناية بالادب ، شديد الغيرة على وطنه ،  
مقدماً عالي الهمة في كل مهمة ومهمة ، جريئاً في الحق لا يرهب فيه وعيد  
ظالم ، ولا تأخذه لومة لائم ، لين الجانب كريم الاخلاق ، مقصوداً في كل  
مأثرة ، مذكوراً في كل محمداً . انتخب مميّزاً للجمعية العلمية السورية ثم ولي  
رئاستها بعد وفاة رئيسها الاول الامير محمد ارسلان . وكان له نظم رشيق  
مطبوع ينزع فيه الى النكتة ، وحسن التضمين ، وجزالة اللفظ . وله رواية  
غراء وارجوزة وطنية اديبة تليت في الجمعية العلمية .

وكانت وفاته طيب الله ثراه ، واكرم في جواره مشواه . في الساعة  
السابعة والنصف من يوم الاثنين ثالث وعشرين صفر الخير سنة ١٢٩٨ بعد  
ان اوصى بان يطلب السماح عنه من الناس عموماً ولا سيما الذين لم يقابلهم  
من العائدين . فنودي بذلك في الجامع وكانت جنازته على ما ذكرناه في  
خبر الوفاة والمشهد .

وصار محموداً الى ربه رحماً الله واياه .

«وله في غمبتا فقيد البلاد الفرنسية من كلام له في خطاب القاه ذلك  
الرجل الشهير عام ١٨٨٠ وكان رئيس نواب الفرنسيين اذ ذلك.»

قال رحمه الله

غمبتا /

نفس عصام سوّدت عصاما وعلمته الكرك والاقداما  
صار هذا الرجل واسطة العقد، ومركز الدائرة في امته لم يرفعه الى ذلك  
المقام عهد سابق، ولا عصبية غالبية، ولا نصير قوي، ولا اتفاق عارض،  
وانما اعلاه لسان ناطق بمعجز البيان، واقدام شاهد بثبات الجنان، ودرية  
يستميل بها الالباب وحكمة تجتمع عليها الاراء. ويقول اعداؤه من الاحزاب  
الملكية، وغلاة اهل الحرية، باغ هذا الدخيل مقاما لا ينبغي لاحد في هاته  
الدولة فانتهي اليه النهي والامر، وقصر عليه النقض والابرار، وصار الملك  
الحاكم وان كانت الدولة جمهورية، والرئيس المطاع وان كانت العصبية ديمقراطية.  
وما يطعنون عليه في ذلك شيئا ولكنهم يثبتون له الفضل ولا يشعرون. فانه  
لا يؤخذ على الوجه النبهي ان يكون في القوم صدرا، ولا يلام على الراشد  
الخبير ان يكون في الركب دليلا، ولا يستدرك على مثل غمبتا ان يحصل في  
امته رئيسا، الا اذا عدت النباهة ذنبا، وحسب الرشد جرما، وكان الفضل  
شيئا ادا. وكيف لا تجتمع كلمة الاحرار على رجل يكشف عنهم النعمة، في  
كل ملة، وينهض بجمل الخدمة، في كل مهمة. على القائل للامبراطور انت  
العدو اللدود لم يخش نسه منشبا اظفاره في القلوب. حاجبا بجناحيه اشعة  
الانوار، عن البصائر والابصار. الراقي بركبة الهوا رسولا الى حامية القلاع

لم يهرب قنابل العدو موجهة اليه ، مطلقاً عليه . الصائح بالمارشال مكماهون  
وقد اراد بالجمهورية شراً لا بد من الامتثال او الاعتزال . الصادع بما تأمر  
الوطنية ابان الانتخاب . الجامع لكلمة اهل الحرية على اختلاف الشيع والاحزاب .  
القائل غير تارك ل احد مقالا . الفاعل غير مبق لناقد مجالاً . الخطيب يهتزه له  
المنبر وتقاد اليه كلمات السحر متداركة متسابقة آخذا بعضها برقاب بعض .  
يقف وقد احدثت به الابصار ، وحوّمت عليه طائفة الافكار ، تلمس منه  
مطعنا ومحل اعتراض فيجبل عينه ( الكريمة ) فيهم ويلقي على المنبر يسراه ، ويرفع  
اليهم يمناه وقد سكن المتحر كون ، وانصت المتغنمون ، فيتدفق بالكلام تدفق  
السييل ما بين الجبلين ، وقد صار المعترض مريدا ، والناظر اليقا ، والعدو صديقا  
فما سمعنا من قبله الرعد ناطقا ، ولا رأينا اليث متكلماً ، ولا شهدنا الجبل متحركاً ،  
ولا انحصر البحر في منبر نسمع حركة هياجه ، ونبصر فيه تلاطم امواجه .  
واقدم اطلنا في وصف هذه الاعجوبة الانسانية وما ندرك فيه الغاية ،  
ولا نبلغ منتصف النهاية ، والقصد ان نظهر شأن غمبتاً في أمة الفرنسيين وانه  
هو الاول فيها والآخر ، والمطاع في الباطن والظاهر ، فاذا قال فالفة الغالبة  
منهم هي الناطقة بلسانه ، المعربة عن قصدها ببيانه .

وقال رحمه الله

«عقوب المرأة»

(الجري ومقدام لا يخاف السيوف وان كن عيوناً ولا يخشى النبال وان كن جفوناً)  
مهلاً سيدي الشيخ . لا تنظرن الي شراً فلست زير نساء بروم المطارحة ،  
او المفاكة او الاغراء ، او الاطراء ، التماس الزلفي اليهن بما يرضيهن ولا يرضيك

ويا صديقي خدن الغايات لا يبرقن بصرك ارتباعاً فاني وان لم اكن مقطوعاً  
 مبتلاً فلا اريد المزامحة، ولا المداحمة، ولا المحاشرة، ولا المناظرة . ويا مولاتي  
 العجوز المبجلة ما نسيت فيما اقول جمال ماضيك ، ولا ذهت عن جلال  
 حالك . ويا اميرتي الفتاة الزهراء ما اهملت موجود حاضرك ، ولا اغفلت  
 موعود مالك .

ويا ايها الاحزاب جميعاً اني غير هازل وان هزل الزمان ، وغير هاذر  
 وان افاد فيه الهذيان .

وبعد فلا يحسبني الفاضلان اللذان تناظرا في النساء - بالكلام مجرد الكلام -  
 في منتدى المدرسة الكلية متعرضاً لشيء مما ذكره . ولكن لا يداخلنهما النظر باني  
 انقبضت عن ذلك بما اصاب تقرير التبييه البرافندي المذمور على تلك المناظرة فاني  
 معترف لهما بالمزية من قبل ذلك التقرير ومن بعد عالم علم اليقين ان كاتبه اراد  
 خيراً وانه بريء مما اخذ عليه . ولست في ذلك راجماً بالغيب ، ولا مستخرجاً من  
 القول ما لم يرد قائله . ولكن صاحب التقرير كتب الى هاتيه الصحيفة يقول  
 « نشرت في لسان الحال تقريراً وجيزاً على المباحثة التي جرت بين الادبيين  
 الفاضلين يعقوب افندي صروف وابراهيم افندي الكفروني في الرجل والمرأة  
 ثم رأيت في تلك الصحيفة ردّاً اتى فيه صاحبه من التثريب عليّ ما لم استوجب  
 منه شيئاً وما لم اكن اتوقع من ادبه ومهما يكن من الامر فليس من قصدي  
 المناقشة وتحمير الوجوه، ولكن اقول ان صاحب هذا الرد قد اخطأ مرادي فيما  
 قررت فاني لم اقصد الوضع من شأن احد المتباحثين كما ظن ، ولا التعرض  
 لتفضيل احدهما على الآخر . وانما اوردت حكمي في نفس البحث الذي كان  
 كلام السالب فيه اقوى وبرهانه اوجه لما ان الوجه نفسه اقوى واصح . ولذلك  
 جاءت براهين الموجب ضعيفة في الغالب من جانب ضعف الوجه لا من حيث

انه قصير الحجّة ، او قاصر المعرفة . واما قوله ان لا بدّ في الترجيح بين الطرفين  
من كون المرجح اعلم منهما جميعاً فمع اقراره فيه بانّي لست من اقرانهما ، ولا  
ادعي في العلم مبلغ صاحب الرد اذ كره ان المسألة التي كان فيها البحث ليست  
من المسائل العلمية التعليمية ، وانما هي من المطالب الادبية العمومية التي يتأتى  
الحكم فيها لكل احد بعد سماع براهينها من الطرفين . واقتصر من البيان على  
هذا القدر امثالاً لما نصحني الاستاذ في آخر الرد ووقوفاً عند الحد الذي رسم  
مثيراً مما نسب الي من سوء القصد «

رحماني فقد خرجت عن موضوعك الرفيع الى غير المقصود  
منه . ولكن لاجنح علي ولا تثريب فانه لا بد لمن يتجرأ على مس الكاغد  
لتزيينه باسمك الشريف ان يطهر قبل ذلك من كل شبهة ورية . فان لم  
تقبن هذا القول عذراً قلت موضوعك شامل عميم اراه في كل شيء  
وارى كل شيء فيه فالخروج عنه من جانب دخول اليه من الف جانب .  
والشغل عنه من جهة ، شغل به من سائر الجهات .

فاذا تمهد بذلك سبيل المغفرة قلت اروم بيان حقوق المرأة ايماءً وزوجاً ، واما  
لم يدعني الى ذلك داع من جانب القلب ، ولم يهدني سبيله دليل من قبل الفكر .  
ولكن رأيت فيه فصلاً شافياً جديد الوضع ، ظاهر النفع ، للفاضل ( ليكوفه )  
الفرنسوي فعربته ما استطعت وما شاء المقام ، خدمة للاباء ، ونصيحة للازواج  
وهديته لسيدات النساء جميعاً .

قال الفاضل المشار اليه ، ان مسألة النساء موضوعة في هذه الايام  
موضع البحث في (التياتر) الملاعب ، والكتب ، والجرائد ، والمنابر . وان كثيراً  
من اهل النظر والنقد في كل مكان يطلبون او يعرضون اسباباً لاصلاح شأن  
النساء حتى ان جمعية العلماء فرضت خمسة الاف فرنك جائزة لمن تحصل له

الاجادة في هذا البحث . ولذلك رأيت ان اجرد المسألة عن الابحاث المتنوعة ملتصاً وجه الحق والامكان في موضوعها الاصلي وهو المساواة فاقول .  
 اول ما يعرض في هذا البحث تعريف « ما هي المرأة ، » وهو سؤال مهم دقيق من حيث ان بقية المسألة متعلقة به ، مترتبة عليه . فلنعد الى الماضي عساه ان يعيننا على هذا التعريف .

كان في معلوم قديم ان المرأة « ملحق » لرجل « حاوي خير » ونراها عند القبائل المتوحشة تحمل الاثقال ، وتعتقل السلاح ، وتنهض بفادح الاعمال . فهي فيهم بمنزلة « خادم الرجل » . وقد سأل سائل في مجمع من الروساء في القرون المتوسطة « هل للمرأة من نفس » واذا رجعنا الى الفلاسفة والشعراء الاقدمين رأينا بعضهم يقولون المرأة ملك كريم ، وبعضاً شيطان رجيم . ولعلمهم جميعاً مصيبون ولكن ذلك لا يحصل به الحد المطلوب

وقال منتسكيو في القرن الثامن عشر ان الطبيعة ميزت الرجل بالقوة والعقل فليس لسطوته من حد سوى تلك القوة ، وذلك العقل . وخصت المرأة بالبهجة فسطوتها تزول بزوالها . وهو رأي عجيب صدره عن مثل هذا الحكيم فان المرأة تقضي ثلاثة ارباع الحياة قبل حصول تلك البهجة او بعد فقدانها فكأنما هي موجودة « لانتظار موعود وبكاء مفقود » ليس غير .

✕ وزاد في ذلك روسو على كونه من القائلين بالنفس المجردة فقال . المرأة وجدت لترضي الرجل فاذا لزمه ارضاءها فهذا دون ذلك وجوباً . ان الرجل يرضي بمجرد كونه قوياً . واقول « ما الذي يفعل الضعفاء . . » ✕

ثم بدت الثورة الفرنسية فانتصر للنساء رجالان من كبرائهما عارضهما في ذلك خطيب رهيب . عارضهما ( روبسبيار ) رسول المساواة الكبير الذي لم ينس من رسالته غير نصف النوع الانساني . ثم جاء حكم الرجعة الملكية

فقال حكيمها (بونال) الرجل والمرأة غير متساويين ولن يتساويا ابداً .  
 وخلاصة هذه الاقوال ان في السماء كواكب ثانوية توابع ليس لها من  
 شأن سوى الدوران حول الكواكب السامية على سبيل الخفارة كما هو شأن  
 القمر حول الارض ، فالمرأة على رأي القدماء قمر الرجل وقد يكون للكوكب  
 الواحد من مثل المشتري بضعة اقمار . وبعبارة اوضح ان القدماء يعرفون المرأة  
 بانها كائن عاقل منخمنض الرتبة موجود بالنسبة .

ولكن هذا التعريف لا يليق باتقرن التاسع عشر . بل نقول جهاراً ولا  
 نخاف انكاراً . ان المرأة مساوية للرجل ولكنها غير الرجل فرفعها الى المقام  
 الذي تستحق لا يكون بمائلتها للرجل فان ذلك مفسد لطبيعتها ، مغاير لخلقها .  
 وانما يحصل بانمائها وتقدمها استمراراً من جهة انها امرأة بحيث توجد المساواة  
 مع الفارق

هذا مذهبنا في المسألة وسنبعث عن وجه الحق والامكان فيه ناظرين الى  
 الاثنى من وجه كونها فتاة ايماً ، ثم زوجة ، ثم امماً ، ثم امرأة على وجه الاطلاق . ٥٠  
 (وقياماً بالوعد اعقب هذا الفصل بفصل آخر فقال )

— ❦ —

### البنات

اما ترى في الحجرة مقعداً خشناً عارياً ، وقابلة او طبيبياً متأملاً مراقباً ،  
 ورجلاً مغبر الوجه يدعوا الله فثم امرأة على وشك الولادة . او ما تسمع من  
 تلك الحجرة صوتاً غريباً يليه من جانب الحضور اهتمام وارتباك فهناك مولود  
 جديد يتسألون عنه . فيقول قائلهم بنت ولطالما اسودت الوجوه بمثل هذا  
 القول في العصور الخالية . بل سل اليوم عنه فلا حأماً ، يجيبك بما اجابني

مزارع بريتوني سأته كم ولدك فقال «آه يا سيدي لا ولد لي وليس عندي  
غير بنات»

وما حسب هاته العاطفة ناشئة مجرد احتقار واستخفاف . ولكن الابن في  
بيت الشرف والامارة هو الذي يصل النسب ، ويبقى الاسم . بل نحن  
الاوساط على اختلاف الدرجات لا نكاد نرى من سدى لحاجة الحب الوالدي  
الأ في مولد الابن . فان كنا من اهل الصناعات ، رجونا ان يكون متمماً لما  
شرعنا فيه ، او كنا من اهل التجارة ، رأينا بعين الامل متعرجنا نامياً متسع النطاق  
باسم فلان وابنه ، او كنا من الفعلة ، علمنا الابن مهنتنا وحييتنا به الاسم . ولا  
يحسبن الحرص على الاسم مقصوراً على الشرفاء فان للاوساط ايضاً نسباً عالياً  
من الاستقامة . اما مولد البنت فلا يوجد شيئاً من هذه الاماني ، بل المخاوف  
كثيرة فيه . فان كل اب بعيد النظر يتسأل يومئذ ما مصير هاته المولودة .  
فان كان فقيراً خاف عليها الشقاء ، وان كان غنياً خشي الالم المعنوي ، وان  
لم يكن لها من باب رزق سوى الشغل الذاتي فكيف تصيب الكفاف في هيئته  
اجتماع لا نكاد النساء يرتزقن فيها ما يقين الموت جوعاً . وان لم يكن عندها  
تقد ( معكوس الوضع ) فكيف يتيسر لها الزواج في هيئته قضت على النساء  
بشراء الأزواج . وان لم تنزج فكيف توفى العثار ، فان عثرت فكيف تنعش  
في مجتمع تعد في سقطاتها وتسجل . واذا شاخت ايماً بتولاً فذلك موضع  
الوحدة والحرمان والشقاء من جانبها ، ومحل الاستهزاء والانكار وسوء الظن  
من جانب سائر الناس . فانهم يلتمسون لعزبتها على الغالب سبباً غير الفقر .  
فيرمونها بالنزق وينسون موجهه . ويرشقونها بتكاف العفة ويذهلون عن انهم  
بطهارتها عابثون . على انها تكفر هاته السيئات الناشئة عن طبيعة حالتها بالف  
مظهر من الاختصاص والشفقة . فان وجدت في اهلها كانت بمنزلة الجدوة الخادمة

المديرة ، وان كانت مقطوعة الرحم انهمكت على فقرها بانماء الزهور ، وتربية  
الداجن من الحيوان ، ومساعدة صغار الفقراء تعلمهم ، والايام تلبسهم ، وتكون  
بمنزلة الام لهم جميعاً .

وانا لرى في حياة البنت ثلاث مسائل اولية الشأن « الميراث » و « التربية »  
و « التصبي » فاما الميراث فلم يبق فيه محل للخلاف عندنا ( الا فرنج ) بما حصل  
من السواء بين اناثنا والذكور فيما يرثون .

واما التربية فالعلم موضع الخلاف عينا . ولقد كادت حجة الاثويين  
تكون هي الغالبة فيها عند الغربيين . على اننا لا نزال نلتبس للنساء نقدياً ، ولا  
نعدم من انفسنا جماعة من المعارضين يقولون اذا علمت الانثى زال عنها رونق

البهجة . فانها لا تأخذ بجماع القلب الا لكونها لا تحتج ولا انها طائر يفرّد ،  
وطفل يعبت ، وقلب يحب فكيف يحصل فيها الحب اذا همت عنه بشواغل  
العلم . فنذكر لهم مدام دي سوينيه الكاتبة المشهورة مثلاً في اجتماع الامرين

فيقولون دعوها وشأنها فذهبكم ان لم يكن مفسداً لخلق الانثى فهو ناقص  
للبيئة العائلية لا محالة فانه كيف يصلح شأن الصغار ومن يعتني بامورهم اذا  
كانت الام ترصد الكواكب . فالبنات على رأيكم قد يكن عالمات ، ولكنهن

لن يصرن ازواجاً ولا امهات . فكأنما هم يحسبون شأن الزوجة والام مقصوراً  
على الطباخة ، او نظارة الطاهي والخدمة ، او مراقبة الخادمين والاهتمام بالمصلحة  
الحسية وامزجة اهل البيت . بل لا يبلغون هذا الحد فيما يرون وانما يحسبون

ذلك الشأن محصوراً في الحب والرخصة ، والتعزية ، وما يعلمون ان للزوجة  
والأم فوق ذلك شأناً اعظم من ذلك الا وهو الارشاد والتربية المستازمان  
للعرفة . وانه لا أم الا حيث يكون علم ، ولا زوجة الا حيث يكون عرفان .

على انه ليس المراد من كشف اسرار الطبيعة لافهام النساء ان تكون بناتنا جميعاً

افعال التي يتناولها

أرى حاله

أرى حاله

من علماء الفلك والطبيعة ، ولكن المقصود به اضاءة البابين بانوار العلم اعداداً  
 لمن للمشاركة في اراء الرجال وتعليم الاولاد . ويذكر هولاء المعارضون مفاسد  
 تعليم النساء ، وينسون مخاطر الجهل . وما تبتئس المرأة ضجراً الا انها جاهلة ،  
 ولا تنفق لزوجها رزق شهر في شراء حلي ، ولا تقوده عند المساء الى الملهى مريضاً  
 او مجهداً الا بذلك السبب اي لانه حجب عنها العلم ، واغلق دونها باب النباهة  
 فلم يبق لها الا سبيل البهرج والزيغ . فرب رجل هزأ بالعلم على كونه لو حصل  
 لزوجته لكان منجاة له من العار

وزاد الكاتب الفرنسي على ذلك ان لو فرض ان العلم لا يفيدنا من النساء  
 شيئاً فهو من حقوقهن الواجبة علينا . او ليست الانثى من الخلق من عباد الله  
 من ذوي النفس الباقية ، وان الحالة الزوجية والحالة الوالدية حادثتان طارئتان  
 عليهما يبطلهما الموت ، وتقطعهما الغيبة ، وتكونان في بعض النساء دون بعض .  
 وان لها فوق هاتين الحالتين صفة مقدّمة عليهما جميعاً وهي الانسانية . فهذه  
 الصفة ومن هذا الوجه يحق لها لا محالة تهذيب فكرها وفوائدها . فان حال بينها  
 وبين ذلك عارض من احكامنا اليومية ، فهي تطالبنا بنور العلم باسم الابدية .  
 واما تصبي البنات فلا نرى من حاجة لتعريب ما قال فيه ذلك القاضل  
 للفرق الذي بين حالتنا وحالة قومه في هذا الامر الخطير ، فهو عند الفرنسيين  
 موضع نظري واهتمام من وجه ان قانونهم لا يوجب على مرتكبه حداً ، ولا يلزمه  
 احصان البكر التي جرّها الى الفاحشة وان تصبأها بوعد الزواج ، خلافاً لما نص  
 عليه عندنا في الشرع والقانون ولذلك نرى الفحشاء في بناتهم اكثر منها في بنات  
 اوطاننا ، بل هي فوق الكثير عندهم ، ودون القليل في هذه الديار .

مورد  
تعليم  
النساء  
مفسد

العلم  
لنفس  
جدة  
مستحق  
مفسد  
الانسان  
العلم  
الاولاد  
مفسد

## / الزوجة

قال الفاضل ( ليكوفه ) نقول ان الزوجة ونريد الزواج فهي آياه وهذا الموضوع اوسع من ان نحيط به في مثل هذا المقام ، فلا ننس منه الا ما يتعلق بسلطة الزوج .

ونعلم ان الباحث في اصلاح شأن البنات يستميل اليه الاباء جميعاً . فاذا حاول الزيادة في حقوق النساء فقد استنفر منه جميع الأزواج . ومع ذلك فاني اسوق الحديث الى هؤلاء راجياً هدايتهم الى اصلاح قانون الزواج بما فيهم من العدل والانصاف .

ان سلطة الزوج تكون على الذات وعلى المال . فاما سلطته على الذات فقد كان موضوعها التأديب . ذكر لنا ( بومنوار ) قانوناً من العصور المتوسطة من حكمه « يحق للرجل ان يضرب زوجته على شرط الرفق » وقد أبطلت آداب الاخلاق هذا الحكم في الدرجات العالية من الناس الا انه لا يزال مرعياً في العامة يأخذون به وقد لا يحفظون الشرط . ولكن لحسن البخت صار الرجل اذا ضرب زوجته فهي ترد اليه واحدة بواحدة جزاء وهذا من علام النجاح . ومع ذلك ما برحت اذكر اني سمعت سائق مركبة يقول مشيراً الى السوط « هذا كفيل السلم في اهل بيتي » فقلت له اتضرب زوجتك قال لا شك ولا ريب قلت وفيم قال هذا فرمي اسوطه اذا لم يجز قلت ان زوجتك لا تقاس بالفرس قال وذمتي صدقت فانها اشد عناداً منه قلت ذر العناد اليس من النذالة ان ثور غضباً على امرأة ؟ قال تمهل يا سيدي اني اضربها ولا يمسنني غضب .

فمن ذا يصدق ان الفيلسوف (سنيك) اجاب بمثل ذلك صديقاً كان  
 يأخذ عليه شدة غيظه من العبيد بل لا غرابة في ذلك فان الاستبداد يرمي  
 بسهمين فيصيب العبد بالظلم ، والمالك بالفساد .

ثم ابان فاضلنا المشار اليه وجه سلطة الزوج على المال فلم ينكر ان لا بد  
 لادارة البيت من رئيس فردى يكون فيه بمنزلة المالك في الامة ، ولم ينزع هاتيه  
 الرئاسة عن الرجل ولكنه اوجب فيها التقييد وانكر الاطلاق . (فاعترض على  
 قانونهم الناطق بان للرجل حق التصرف في مال زوجته ادارة ، وبيعاً ،  
 وهبة بلا اجازة ولا استئذان . وان المرأة لا تستطيع ادخاراً ولا قرضاً  
 كائناً ما كان ذلك القرض ، ولا هبة ، ولا قبول هبة بلا رخصة سابقة  
 من الزوج في حالة كونه يأخذ من شاء ويعطي ما شاء بلا حساب - قلت  
 اعترض على هذه الاحكام - بما ينشأ عنها من المضار والماسد من حيث  
 ان الرجل قد يكون دنيء النفس ، ضعيف الهمة ، ذا مالكة مفسدة من  
 مثل القمار ، والسكر ، والفحشاء . فيبدد متاع البيت ، ويضيع مال الزوجة  
 ويجعلها والولد في اسوأ حال ، وما ذلك نادر الوجود في الرجال . ثم تصور  
 لهذا الداء دواءً يحسبه شافياً فقال اذا رأت المرأة من زوجها مثل ذلك الفساد  
 فليكن لها حق رفعه الى مجلس من اهل البيت يكون نافذ الحكم . وتتمكن ادارة  
 البيت على مثل ما قال بلوترخوس لصديقه بوليتانيوس اذ التمس بعيد زواجه  
 رأيه في معاملة العروس فقال . يا صاح ان اخترت الحكمة فاجعل حجرة الزواج  
 مكان رياضة ، وشرف ، وعرفان . فزين عقلك بكل نوع من الممارف الضرورية  
 لزوجتك من كل جانب كما تفعل النحل واجلب اليها كل ما تحسبه مفيداً فانك  
 الان بمنزلة ابها وامها . وما قول المرأة الفتاة لزوجها انت ناظري واستاذي في  
 كل شيء حسن باقل نبالة من قولها له انت الحبيب الاول : وقد يوجد من

مقدمة  
 تسمى

جهالة الفرسان من اذا ملك جواداً كريماً راضياً بدهاءه بدء على الركوع وهذا  
مثل الازواج الذين يقترنون بنساء كرائم من بيوت نبالة فلا يعنون بجعلهن  
اكثر احتشاماً واوفر علماً من ذي قبل . بل يوثرون على ذلك تذليلهن من  
حيث يجب اعلاء المهمة ، ورفع النفس كما يرتفع رأس الجواد الكريم .

قال فاضلنا . واني اعرض هاته الحكمة لجميع الرجال فانها متضمنة لكل  
ما يجب عليهم . فاذا تزوجت بنتاً فتاة فاعلم انك زوجها واستاذها معاً  
ومهد لها سبيل الادارة والحكم في الامور العمومية . فانه من مستشنع الامور  
ان تكون المرأة قاصرة في الرابعة عشرة من السنين وتكون كذلك في الثامنة  
عشرة . فعلى زوجها ان يبلغ بها حد البلوغ بما يعلمها من القوانين والاحكام .  
ولا يخاف من ذلك ضعف الميل والحنو ، فان الحب يوجب التساهل حتى  
في القانون .

وبعد فلا بد للرجل من تصور زوجته ايماً ارملة . فانه قد يفاجئه الموت  
فتصير اليها ادارة الامور . فان لم تكن معدة لذلك بعلم سابق ، واختبار  
سالف ، فلا تستطيع النهوض بهذه المهمة بخلاف ما لو كانت من العارفات  
الخبيرات . ولنا في ذلك مثال لا ننساه ان وطنينا الخالد الذكر المنقذ الوطن  
يريد تيارس - قدمات بلا عقب يحفظ له اسمه ، ويحيى مجده . ولكن مات  
عن زوجة كريمة فكان بها الغناء فانها تولت ادارة ثروته الوافرة ، وحفظ مجده  
العظيم . فنظمت بنفسها مشهداً وطنياً لميت لا يموت له ذكر ثم رفع تمثاله في  
(ننسي) فرأست في الحفلة بمهابة الملكات . واقيم له تمثال آخر في سين جرمين  
فسارت اليه فالم بها ثم داهها القاتل . ثم جمعت اشقات رسائله وخواطره  
فألفت منها سفرًا جليلاً حتى اذا فرغت منه واصلحت الصفحة الاخيرة ماتت  
مبقية عندنا ذكراً وعبرة لا تموت . ورأينا منها عظمة الارملة فعلمنا كيف ينبغي

ان تكون النساء . عصه الا ولد

ووقع في بيروت نزاع بين فئتين متضاغنتين يُعرف « بمحاذنة الميدان »  
 فقتل وجرح به نفر من الفريقين فقبض على المتنازعين وأخذ في استجوابهم واستنطاق  
 الشهود . ثم شاع ان في اعمال الاستجواب والتحقيق ما يدعو الى الظن بالانحصار  
 القضاء في جانب التعصب وتناقض الالسنه اقوالاً كثيرة في شأن ذلك . وكان  
 خبر الحادثة مما لهجت به صحف الغرب بما جزمته لها الشركات التلغرافية فكتب  
 الفقيد في هذه الحال ما يأتي بعنوان

### محل تأمل واعتبار

اثنان اهل البصيرة والبصر ، رجل يُعتبر بما يراه في ابناء جنسه ، وآخر  
 لا يعتبر حتى يرى العبرة في نفسه ، فلا تكون صاح ثالث الرجلين  
 ولقد رأينا الذين نولأم التعصب والجهل ، والذين أقيمت بينهم الاحن  
 والعداوات ، كيف طمع فيهم الاعداء ، وتجانى عنهم الاحباء ، حتى انحى الزمان  
 عليهم ، وتوجه الحيف اليهم ، وانقلب عزهم خسفاً ، وعاد حولهم ضعفاً ، وحفت  
 بهم النوائب من حيث يعلمون ولا يعلمون .

ولم نجهل ان العدو لنا بالرصاد ينتظرنا الى فرصة ينتهزها ، وريبة يظهرها  
 وعثرة يذكرها ، وثغرة يدخلها ، وعيب يجعل حرفه سرفاً ، وخطي يمثّل قطرته  
 بجرّاً ، فما بالنائم سبيله ، ونرشد دليله ، ونمكن له في ارضنا مقاماً .

ويقول بعض الوجهاء منا لاجنّاح علينا فيما تفعل السوقه وما يقترف الجاهلون  
 بل عليهم واجب الردع بالقول وبالفعل ما استطاعوا اليه سبيلاً . فان تشاقلوا  
 عنه فلا اقل من منع النفس ، وردّ الهوى ، وكف اليد عن مساعدة الجاهلين

ان الباعث والفاعل والناصر شركاء متكافلون . لا نقول ذلك اطلاقاً ولا  
نخص به احداً من الناس فمن ظن نفسه معنياً به فهو آياه ان المريب كثير  
الظنون، وان عينه لتكاد تقول خذون .

✓ وما بعثنا على هذا التعريض المؤلم، واللوم العنيف، إلا ما نعلم من دخيلة  
الامر، وما نخاف من سوء العاقبة فقد تجسم حادثنا الاخير في البلاد الاوروبية  
حتى عدت من عظام الامور فهبط به سعر قراطينا المالية هبوطاً فجائياً على كون  
سائر القراطين . في مدارج الصعود . ووردت الينا رسائل التلغرافات تباعاً  
دراكاً الى وكلاء الدول، وكبار التجار، واصحاب المقامات، يسأل فيها عن  
كنه الحادث، وتفصيل الامر، وهل هم من بعده سالمون كأنما هو فتنة عامة  
وبلية طامة .

ولا شك انه لم يكن موجب القلق والاضطراب من هذا الحادث في  
البلاد البعيدة قتل ثلاثة، وجرح نفر من الناس، وانما اوجبه ما اتصل بها من  
خبر الفتنة، وعلّة الخلاف، وانه ناشى عن تغاير المنابر، وتعصب القلوب .  
وانا وان لم نستطع دفع هذه التهمة عن كثير منا، فاننا نبرئ منها  
كثيراً من الراشدين ولكن لا بد لنوي الحل والمقد من الناظرين في هذه  
المهمة من تأييد ذلك برعاية العدل، ومقاومة هوى النفس فيما يبحثون وما يحكمون .  
نأمل ذلك فيهم ولا نعتقد بهم ما يخالفه إلا ان الذي نتناقله الاسر من  
خبر الاستنطاق يضعف ذلك الامل . فلولا العلم بعناية والينا المعظم، وحسن  
الظن بفضيلة مفتش الاحكام . لحفنا ضياع الحق، وانتصار الباطل، وبقاء  
الخلاف على قدمه، ودوام القديم على قدمه .

وكتب رحمه الله في  
القضاء والبراء

وكان قد حلّ زمن الانتخاب لمجالس بيروت فقال  
ان انفصال القوة الحاكمة عن القوة الفاعلة ، واستقلال الذين يتولون  
الاحكام فيما يرون وما يحكمون ، وحصولهم في مأمن من كل ما يفعل في  
النفوس ترغيباً او ترهيباً ، كل ذلك ليس من مستحدثات الامور في البلاد  
الغربية ولكنه قد وجد من قبل في كل زمان اذاءه العدل ، وكل مكان  
اناره العلم والحرية ، فاستقامت به الامور ، وتأيد الحق ، وضعف الاستبداد ،  
وظهرت قيم النفوس ، وعلمت اقدار الافكار .

وقد كان اهل القضاء في بلادنا على خلاف ما تقدم بيانه من  
الاستقلال ، والانفراد ، واسباب النزاهة . يصدر عن الاحكام كما يرسم ، لا  
كما يعلم وكما يجي ، لا كما يجب . ويدورون على محور الرهبة والرغبة كما تدور  
الآلة الصماء ، نير مبالين بضياح الحقوق ، وفساد الامور ، وانعكاس الاحكام  
حتى ضعفت منهم النفوس ، وفسدت القلوب ، وساءت الاخلاق ، فصار الرياء  
من شروط وجودهم ، والدهان من لوازم بقائهم ، والنفاق من اسباب تقدمهم .  
فرامت الدولة العلية استنقاذنا من هذه المنسدة رحمة بنا وحنانا . فرسمت  
باستقلال الهاكم والمجالس على امل ان تعلقوهم اعضاءها بما يحصل لهم من حرية  
الرأي فلا تأخذهم في الحق رهبة ، ولا تستميلهم عنه شهوة دنيسة ، فصارت  
مما كنا على ما نرى من الاستقلال

ولكن لا بد في اهل القضاء من ثلاثة امور متلازمة لا يغني بعضها عن  
بعض . علم يعصم عن الخطاء ، ( ما امكنت العصمة لانسان ) وادب يرد  
النفس عن الهوى ، وكفاف يوجب النزاهة . فان حصلت في الحاكم هذه

شاهد  
اهل القضاء

ترجمة المترجم

بدر  
الاصم

الخصال كان استقلاله قواماً لكل ميل ، وقصداً لكل جور ، وصلاً لكل  
فساد ، ونصفة لكل ظلم ، وقوة لكل ضعف ، وحداً لكل استبداد . والآ  
فهو عين الفساد ، والجور ، والضعف ، والظلم ، والاستبداد ، والميل .  
ففي أي الحالين يرى البصير اعضاء المحاكم والمجالس في هذه الديار  
انا لا نلّم بهم ، ولا نطعن فيهم ، ولا ننيط بانفسهم سوءاً . ففهم لاشك  
اهل علم وفضل ، وارباب ادب ونزاهة يعتقدون بما يحكمون ، ويحكمون بما  
يعلمون ، ويعلمون الحق ولا يغالطون .

ولكنهم لا يعدمون من يكون على ضد هذه الاحوال ، ومن يحكم بما لا  
يعلم ، ومن يعلم بما لا يحكم . فهؤلاء وان اساءوا الى انفسهم بما وضعوا من اقدارها  
واخطأوا الى هيئة الاجتماع بما اضاعوا من حقوقها ، فلا نوجه الملام اليهم ، ولا  
نلقي التبعة عليهم ، وانما اللوم والتبعة على المنتخبين .

ان الدولة العلية قد ساوت بيننا وبين الامم المتقدمة فيما لهم من الحقوق وما  
عليهم من الواجبات ولكنها لا تستطيع ان تعيدنا خلقاً جديداً ان الله هو المبدئي  
وهو المعيد . فمن اساء التصرف في تلك الحقوق فعلى نفسه اساءة ، ومن احسن فاليها .  
وقد حان وقت الانتخاب لبعض مجالس هذه المدينة فان كان ثم موضع  
انتقاد ومحل اعتراض ، ومظنة فساد ، فليتبذبه المنتخبون واتنشى الطوائف لجائناً  
من ذوي النقد والنزاهة يبحثون عن تلك الخصال الكريمة ، ويعرضون من  
تجتمع فيه لارباب الانتخاب لا يراعون في ذلك غير المصلحة العمومية ، ولا  
ياخذهم فيه غير الحق .

ان انتخاب المعسر ليصيب الرزق مما يحكم بين الناس هو الحيف والظلم  
واقعاً على الوفاء من الخلق .

ان انتخاب الجاهل ليكون كالألة الصماء هو الوبال العظيم ، والبلاء العميم .

الذين لا يعرفون  
الذين لا يعرفون  
الذين لا يعرفون

انّ انتخاب الغني لمجرد كونه غنياً لهو المصاب الاليم نازلاً بالاغنياء والفقراء .  
فلا يذهبن المنتخبون عن كل ذلك فان ذهلوا فلا عتب على غيرهم ولا ملامة .

وكتب في سفر الصديق الالمعي روفائيل افندي الخوري من بيروت الى  
الاسكندرية في ٢٤ اذار سنة ١٨٨١  
قال رحمت الله عليه

سار صديقه الاديب الفاضل روفائيل افندي الخوري الى ثغر الاسكندرية ،  
فشيعة الى الرفاجم غفير من الادباء والوجهاء فيهم اكثر اصحاب الجرائد ،  
وبعض كبار التجار ، واعضاء جمعية زهرة الآداب جميعاً . ورافقه كثير منهم  
الى الباخرة يتوسطهم الوجهه النبيه الموسيو ( امسار ) بمخدومه السابق كاسف  
السال ، آسفاً على فراق فتى لزمه اثنتي عشرة سنة فرأى منه كيف تكون  
الاستقامة ، وكيف يظهر الفضل ، وكيف تعلق قيم الرجال . وداروا به في  
الباخرة يذكرون آثار محاسنه وانه كان قدوة الفضل ، ونموذج الادب ، ومثال  
الكمال ، وعينه النزاهة ، فيكون فراقه . وذكروا مع الذي يذكرون ان هجرته الى  
كريم نفتخر بمودته ، ونزدحي بمزيتيه ، الى الفاضل الوجهه الهام جبرائيل افندي  
المخلع يتولى ادارة متجره الواسع فنجده من السلوى انه مفارقنا الى من يقدر ادبه ،  
ويعرف فضله ، والفضل يعرفه ذوهه .

وكان أعضاء زهرة الآداب قد اعدوا له قبيل السفر مأدبة وداع اذاعة  
لحق الثناء والشكر انه خدم الجمعية ثمانية اعوام رئيساً معظم المدّة ، وعاملاً نافع  
الاثر سائر تلك الاعوام . فودّعوه في الحضرة وداعاً طارت به النفوس شعاعاً  
وأقلوب التياحاً . وفيهم أمل التلاق ، بعد الفراق . وفيهم من ليس له من  
سبيل ، الى وادي النيل .

وما صباية مشتاق على أمل من اللقاء كمشاق بلا أمل

\*

\*\*

وكتب في جمعية خيرية تألفت من بعض السيدات المحسنات في بيروت  
فقال بعنوان

## احسان الحسان

أعارك البدر مبياه ، وحيالك الروض برياه . فسرت منك نسيات  
الربي . سحرآ تحمل شيمآ وثامآ . وتمشّت فيك ارواح الصبا . يتأرجن بانفاس  
الخرامى . ام انت مخبري بمكارم الكرائم ، ومبشري باحسان الحسان .  
أجل فصغ مما اقول لجيد الصحيفة عقداً ما تحلى بمثله جيد حسناء . فاني  
منبتك وما ينبتك مثل خبير . ان ثلّة من ذوات الايادي البيضاء قد اجتمعن  
لمحمدية يذكرها الشاكرون ، وماثرة يشكرها الذاكرون ، فرأين بنات جنسهن  
منخفضات عن المقام المعدّلن في هيئة الاجتماع ، فتألفن على السمي في  
رفعهن الى ذلك المقام ، فصرن جمعية لا يحيط بجماها الوصف ، ولا تقوى  
على وصف كالمها الاقلام .

خطر ذلك بدأة بدء الكريمة ، الخاشعة ، الزاهدة القائمة بامر الخير والعلم  
والاحسان ، سائلة الوجهاء ، الراهبة ليبية جهشان . فتقدّمت فيه للنبيهتين  
الوجيهتين السيدة الخاتون زوج المغفور له لطف الله بك سرسق والسيدة اميلي  
كريمة الوجيه خليل افندي سرسق فصادف ذلك ، عندهما قبولاً واقبالاً ،  
ورغبة واشتمالاً ، فاقبلت الثلاث عليه ، ودعون بعض الاتراب الكرائم اليه ،  
حتى تألف العقد من اربع وعشرين كريمة فريدة نزين باسمهن هاته الصحيفة .  
ثم اتى على ذكر الاسماء الى ان قال

وقد اکتبت الاعضاء العاملات براتب سنوتي من الاحسان لذلك  
 القصد فكان مبلغ ما اجتمع منهم فوق عشرة الاف غرشاً وسيأخذن في استدرار  
 البر من ذوات النعمة ، وربات اليسار ، وصاحبات النفوس الذكیة ، فيحصل  
 لاشك من ذلك ما يكفي للشروع في انشاء المدرسة فتكون هذه الجمعية اثرآ  
 حميدآ تقرُّ به كل عين ، وتنال منه الاناث حق الذكور وان حصل للذكر  
 حظ الاثنيین .

### سباق غريب

كتبه في سباق الكلاب ببلاد الانكليز

قال

جرى في هذه الايام في بلاد الانكليز سباق صيادة الارانب ، وهو عندهم  
 بمشابة سباق الخيل والقوارب يجفلون له في كل سنة . فقبل في الحلبة اربعة  
 وستون كلباً كما جرت به العادة يطلقونها زوجين وراء ارنب يرسلونه امامهما  
 والغلبة لمن امسكه . وعلى نحو ذلك يتسابق الاثنان والثلاثون ثلاثة ايام  
 متوالية ثم الستة عشر ، فالثمانية ، فالاربعة ، حتى لا يبقی في المجال سوى  
 الاثنيین الاخيرين . اما جائزة السبق فهي اثنا عشر الف فرنك والربطة الزرقاء  
 وهي وسام لهذه الكلاب لا نظنه اقل قدراً في اهلهم من وسام ربطة الساق .  
 ولعل له من مثله نظاماً لا يتقلده بوجبه غير عدد معين من الاحياء ولا ينتقل  
 في الاعقاب .

وقد كانت هذه الجائزة للكتابة ( الاميرة دغار ) ولا شك انها اهديت  
 من بعد السبق الى جلالة ملكة الانكليز وامبراطورة الهند . ان ملوك الكلاب  
 جديرة بان تكون كلاب الملوك

فالكُل همهمُ السباقِ بارضهم  
 وهنا الشقاقُ وذاكر ايامٍ مضتُ  
 حتى الكلاب لها هنالك جوائزُ  
 وعزائمٌ مثل المشيب عواجزُ  
 ان قال ناصحنا الامين تجددوا  
 حتام انتم في الشؤون عجايزُ  
 صرنا النور وما اختلفنا غير في  
 قتل النصوص اواجب ام جائزُ

وعثر رحمه الله في جريدة الديبا الفرنسية على قطعة من قطع آثارها الادبية تضمنت مدحاً واطراءً فيما هو ملائم لروح العصر من شعر الشاعر المطبوع المرحوم خليل افندي الخوري مدير المطبوعات والامور الاجنبية في الولاية السورية فعلق على تلك القطعة شرحاً اخذ باسباب الرقة وحسن البيان فكتب في ذلك بعنوان

### شاعر الدولة

عرفتم لا شك موصوفي قبل التسمية فشاعرنا الخليل صاحب الحديقة ، مدير المطبوعات والسياسة في قطرنا الشامي ، معروف بهذا الوصف من عهد صباه ، في (زهر رباه) الى ان بدت (شاديات) خياله ، عوناً لكل (سمير امين) في هذا (العصر الجديد) <sup>(١)</sup>

ولست فيما يجي ، من قولي مازحاً او مقرظاً او متذرعاً للثناء ان موصوفي غني عما استطع من ذلك بل لورمت المدح لارجعني عنه مقامه السياسي فيما اني ممن يتهيبون مدح ذوي المقامات ، وان كنت ممن لا يكاد يهولهم شيء مما يرون فيما يقولون

(١) زهر الربى والشاديات والسمير الامين والعصر الجديد اسماء لاربعة دواوين

ولكن رأيت في صحيفة (الدنيا) الفرنسية المشهورة فصلاً ادبياً في  
 حق عزتلو خليل افندي الخوري من حيث أنه شاعرٌ جديد النزعة عصري  
 الاسلوب ، فجدد في عاطفة الشعر بعد اذ فطمت عنه النفس  
 وعجيب شأن طفلٍ رام في المهدي الفطاما  
 فسكنت الى نقل قطعة من ذلك الفصل فكاهة لاجباء الادب ،  
 وافتخاراً بشرفي تسير بذكره روائد جرائد الغرب .

قال محرر الدنيا : ان الذي نراه في بيروت في هذه الاعوام الاخيرة من  
 آثار الادب العربي يعثنا على اعادة النظر فيه ، لتعيين ما صار اليه في هذا  
 العصر ، وهل بقي على مثل ما كان ، ام نشط من عقال التقاليد فبدأ في  
 المظهر الجديد المطلوب . وقد ظهر لنا ان كثيراً من اهل الادب يسعون الى  
 هاته الغاية من نحو ثلاثين عاماً ولا يصلون . على ان سعي خليل افندي الخوري  
 حقيق بالذكر . وليس هذا الشاعر بجهول في البلاد الفرنسية فقد ذكره  
 الموسيورينو في الجمعية الاسوية عام ١٨٥٧ واثني عليه ثناءً جميلاً وترجم ثم  
 من شعره قصيدة في مدح الشاعر لامرتين . ولعلها القصيدة التي يقول فيها .  
 قد قادي للشعر شعرك اذحلا ورأيتك يدعو فلم اتمنع  
 ولقد علوت بروح شعري فائق هبطت عليك من المحل الارفع  
 (عود الى كلام الدنيا) ومع ان الشاعر الخليل لم يتجاوز الاربعين من السنين  
 فديوانه كبير يشتمل على قصائد لا تحصى . منها ما نظم على طريقة القدماء ،  
 ومنها ما مال به الى الجديد وهو وان كان لا يتجرأ على قطع صلوات التقليد  
 بجملتها ، فهو جدير بالثناء على اجتهاده فقد رأينا متجافياً عن استعمال المبتذل  
 من التشبيه ما نلا الى استبدال مرثيات العصر الخالية ، بهجائب العصر الجديد .  
 وعثرنا في النبذة الاخيرة من شعره على قصيدتين يؤخذ منهما ان الشاعر لقي

دليله ، واهتدى سبيله ، ففي الاولى المسماة (جميلة) - حكاية حادثة جرت في  
قرية راشيا عام ١٨٧٤ - وهي التي مطلعها

نفرتم في الحياض عن الورود واعرضتم عن الماء الورود  
والحادثة ان فتاة ملكية الخلق شيطانية الخلق

رمتها عين جارها بسهم . اصاب فواد عاشقها الشرود  
فبعثتها العبرة على الانتقام فاغتالت لها طفلاً وحيداً ، ثم اصاب لها شقيقاً صغيراً  
صبياً لم يدق طعم التصابي ولم يعرف صفا العيش الرغيد  
بفجر العمر ادركه ظلام فلم ينظر ضيا شمس الوجود  
فتوجهت اليها شبيهة الثاكلة ، فرفعت الى الحاكم الشرعي ، فاعترفت بعد انكار  
انها قتلت الطفل ، وقطعت رأسه ، وافرغت جوفه ، وولقت الرأس في البئر  
الشائعة ، ودفنت سائر الجثة في خزانة بيتها . فخرج الرأس بالدلو لنسوة يملآن  
ماء فاستنفرن منه كما جاء في مطلع القصيد . فحكم على جميلة بالموت  
ولكن حال دون السيف امر به الخلاق يأمر بالوليد  
كانت جميلة حاملاً جنيناً برياً

وكان شاعرنا يومئذ في دمشق فاتصل به خبر الحادثة فانشأ هاتيه القصيدة  
عفواً بجاءت اثرأ باقياً مذكورا .

واماً الثانية فهي المسماة بالرمان والعناب . تخيل فيها الشاعر انه مر بالروض  
سحراً فلقي صاحب البستان مسكاً غادة حسناء .

معلقاً برداها وهو يصرخ يا اهل الحمية ان الروض قد سرقاً  
سرقته هاتيه الالصة رمانه وعنابه ذلك في صدرها من تحت حجاب ، وهذا  
في يديها على اطراف البنان . فقالت ويك هذه النهود فقال هو الله احد ،  
وهذا خضاب البنان فقل مدد الله مدد . فانكر واستنكر وقال لا يحمل الغصن

الواحد ثمرين مختلفين

ردّي اليّ ثماري لست اتركها      اولا فأرجع مالي كيفما انفقاً

فقالت ويك لا تمدد اليّ يدا

هل عندك الورد في البستان اسرقه      صباحاً وانشر منه للملا العبقاً  
فاجاب لا فاومأت الي ورد وجنتها فراح مند هشابه يقول سبحان من خلق  
فاستضحكت وسارت وهي تقول والله ما سرقت الا العقول ، ويا حسن ذلك  
الذي تقول .

قال محرر الديبا ولا يمكن في الترجمة استيفاء محاسن الاصل . صدق ان  
الترجمة لا تعدل الاصل في المرسل المنشور فما الظن بها في الشعر . ونزيده  
ان اختيار المنقول عسير . فان اختصاص هاتين القصيدتين بالذكر والترجمة  
يوهم انهما نخبة الديوان ، وخلاصة ما تيسر فيه من الاجادة والاحسان ، وليس  
الامر كذلك . فانهما من عادي شعر الشاعر الشاعر الموصوف . لهما في دواوينه  
الاربعة نظائر تذكر ، ومثائل تكاد لا تحصر ، بل الكثير من شعره فوقهما  
حسناً ، وخير منهما مبنياً ومعنى ، على انه هو العذب من حيث يورد ، والرشيقي  
من حيث يقصد ، ومن لنا بمقام نستوعب فيه ما نختار منه ، وبمجال نستكمل به  
ما نراه فيه .

ارانا الله في كل يوم لابناء الوطن نخر اجديداً ، ورد علينا بطارف مجد  
مجداً تالداً فقيداً .

وقال في

اميل ليتره

EMILE LITTRÉ

وهو احد مشاهير كتاب الفرنسيس توفي عام ١٨٨١

## التعريف

هو اللغويُّ الفرنسيُّ المدققُ الفيلسوفُ الوضعيُّ المحققُ، آية قومهِ في علم اللسان، غاية ذويه في صناعة البيان، معجزة عصره في معرفة احوال الانسان .  
 وُلد في باريس اول شهر شباط من عام ١٨٠١ في بيت نباهةٍ ، وشهامةٍ ، وهميةٍ واجتهاد . كان والدهُ من ابطال البحر خاض عبا بهُ ، وذلل صعابهُ ، وانتصر فيه بيارجةٍ ذات ٤٤ مدفعاً على الانكليز في سفينةٍ ذات خمسين فاهدى اليه ديوانُ المستعمرات سيفاً وعاد من بعد ذلك الى فرنسا . فأدخل في جمعية الحقوق المتحدة . واليه <sup>(١)</sup> اهدى برتلي سنيلر وزير الخارجية الفرنسية في هذه الايام <sup>(٢)</sup> كتابه في السياسة عام ١٨٣٧ وكانت امه واسمها صوفيا من بيت جوهانودانوناي المعروفين بالنباهة والنبالة . جهر والدها بالميل الى الثورة وولي الحكومة في ( سنت اتيان ) ثم اودع السجن في ( ليون ) بما حدث ايامئذٍ من الفتن والمفاسد فجاءته في مجبسه واقامت على مقربة منه تواسيه وتسليه . فلما زحفت جيوش الموائقة الى تلك المدينة خرجت الى الفلاحين والفعلة تدعوهم الى حمل السلاح وسارت بفريقٍ منهم متجندين مدداً لتلك الجيوش . ثم اطلق والدها بعد استيلائهم على ليون ولكنه أُعيد الى السجن هنيهة رد فعل ، وأخرج منه بحجة النقل ، فقتل طعنًا بالخناجر فالتت بنفسها عليه صارخةً منتدبةً

(١) اي اميل (٢) ايام كُتبت هذه القطعة

اهل المدينة لا دراك ثاره حتى خشى ارباب الحكم بأسها فحجروا عليها .  
 ومن هذه الشهامة وذلك الاقدام أشرب قلب اميل لثره عزّة واجتهاداً . فطلب  
 العلم الى عام ١٨١٩ وابان في ذلك عن قوّة ذهنه واثقاده ذكاه . ثم قرأ  
 الرياضيات عامّاً كاملاً وانقطع من ثم الى دراسة الطب ثمانية اعوام حتى اتى  
 على ما في النية منه . ولكنه تعنف عن طلب الاجازة ودخل المستشفيات معاون  
 طبيب يعالج المرضى اوقات العيادة ، ويصرف سائر الزمن في علم اللسان .  
 حتى تبحر في الفرنسية ادباً ، وبيانا ، ولغة ، وتضلع من اليونانية واللاتينية  
 وطلب السنسكريت - لغة الهنود المقدسة - والعربية التماس مراجع الكلم .  
 وتعلم الالمانية والايطالية والانكليزية حتى جمع منها الشوارد وقيد الاوابد  
 وتوفي والده عام ١٨٢٧ فاخذ في تدريس اليونانية وبعض سائر اللسان التي  
 تعلم توسعاً في طلب الرزق لآل بيته . واقام على ذلك الى ان كانت ثورة تموز  
 عام ١٨٣١ فاستبدل القلم بالبنادق ، وقلنسوة الطبيب بقبعة الجندي ، وسار  
 بين الجموع بزي الحرس الوطني يقاتل اعداء الحرية ، قتال من لا يخاف المنية .  
 ثم أدخل عامئذ ادارة جريدة ( نسيونال ) مترجم من الصحف الاجنبية . وبقي  
 هناك خافي المكان ، مجهول القدر ، خامل الذكر ، حتى دل على نفسه بفصل من  
 الادبيات فعرف رئيس المحررين مقامه من الفضل فادناه ورفع شأنه واتخذ  
 لنفسه رفيقاً صديقاً . فالتزم الكتابة في الصحيفة مياممة بقدر معلوم . وكان  
 مع ذلك ينشر الفصول والرسائل المطولة في خلال الفرض بترجمة تأليف  
 ابقراط . ثم اصدر من تلك الترجمة نموذجاً عديم المثال بما يدل عليه من دقة  
 النظر ، وصحة العلم باللسان المنقول اليه ، فدخل بذلك في جمعية علماء الاثار .  
 وقرأ عام ١٨٤٠ رأي ( اغست قنت ) الفيلسوف الوضعي فقال اليه وورغب  
 فيه ، ولزم الفيلسوف حتى صار من اقرب مر يديه . وكان الى الوفاة خليفته

في الفلسفة الوضعية كما سنبينه في المطلب الذي افردناه لترجمة حال لثره فيلسوفاً  
ولما عادت الثورة عام ١٨٤٨ انتُخب عضواً في بلدية باريس ولكنه اعتزل  
هذه المنصة اواخر العام وعاد الى شأنه الاول يملاً الصحف الخطيرة بالفصول  
العلمية، وارسائل الادبية، ومباحث النقد . ثم انشأ عام ١٨٥٧ جريدة الفلسفة  
الوضعية وكان مديرها الى حين الوفاة . فطار بذلك صيته واشتدَّت وطأة الاعداء  
عليه كما اشتد ميل الاحباء اليه . وكان من قبل ذلك ينفق الوقت سوادليله  
ويباض النهار في وضع كتاب للغة الفرنسيين يجمعها فيه اصولاً ، وفروعاً ،  
ويجملوها حقيقة ، واصطلاحاً على أسلوب لم يسبق اليه ، ونسق لا يماثل فيه  
كما سنبينه في المطلب الذي افردناه لترجمة حاله مؤلفاً . ثم اصدر الجزء الاول  
عام ١٨٦٣ فارتفع به مكانه ، وعظم شأنه ، وسارت بذكره الركبان فعرض  
على الاكاديمية اي جمعية العلماء فطعن الاسقف دو بنلو عليه انه كافرٌ زنديقٌ  
لا يدين بدين ولا يؤمن بالله فلم ينتخب فرجع الى شأنه العظيم يتم ذلك الاثر  
الذي جعله برأسه بمنزلة جمعية العلماء . وأقيم بعد هدنة الحرب عام ١٨٧١  
نائباً عن احد احياء باريس فجلس على مقعد اهل الشمال جمهورياً لا ضعف  
فيه ولا غلوة . ثم انتخب عامئذ عضواً في مجلس ولاية السين ، وولي الرئاسة  
فيه ، وأدخل بعد ذلك في جمعية العلماء . فعظم هذا الامر على الاسقف  
السابق الذكر فاعتزل الجمعية وجدأ عليها . ثم صار لثره عضواً دائماً في مجلس  
الشيخ الكبير ، واقام فيه الى ان اغتالته المنية ثاني الشهر الحال<sup>(١)</sup> كما جاءنا  
بالتلغراف ، فذهب فقيداً مذكوراً ، رفيع الشأن ، موسعاً له في تاريخ العصر  
ايماً مكان ، ونحن مترجمون عن حاله فيما يجيء من حيث هو ومن جهة كونه  
فيلسوفاً مؤلفاً

## الرجل

اسم شديد السمرة بالنسبة الى قومه ، غليظ الشفة السفلى ، عظيم الانف  
عريض الحاجبين ، ضعيف البصر لا تفارق النظارة عينيه ، كبير الجثة غير  
مليح الجملة . وكان في عهد صباه قوياً شديداً الاعصاب يجلس الرجل  
الضخم على الكرسي فيرفعه بينما من احدى قوائمه ، ويمسك بالرجلين يمينا  
وشمالا فلا يستطيعان حراكا ، حتى استغرق في الطلب ، واستغنى في البحث ،  
واستمت في حياة الذكر ، فوهن عزمه وذهبت قوته . بل لم تذهب ولكنها  
انحصرت في الذهن فتحوّل فيه معجز قوة اليد الى الفكر ، نصار يكتب في  
الاسبوع عفواً ما لا يستطيع مع الروية في الشهر ، حتى تكاد تألفه تعجز  
المرء في مثل حياته نسخاً . وكان ساذج المعيشة ، ظاهر القناعة ، دائم السعي  
والاجتهاد ، لا تغلبه شهوة ولا يستخفه مجد باطل ، ولا يشغله عن العلم شاغل .  
يصرف نهاره بين جمعية الطب والآثار والعلماء ومجلس الشيوخ وعيادة الفقراء ،  
ويأكل قبيل الغروب لونا من الطعام خفيفاً ، ثم يأخذ في الكتابة تأليفاً او  
ترجمة او انشاء الى الساعة الثالثة من بعد نصف الليل لا يلتمس لذلك عزلة ،  
ولا يحتاج عن آل بيته ، بل ربما استقبل المكتب للانشاء وهم في غرفته  
الصغيرة من حوله يتسامرون همساً ، فلا يشرد بذلك خاطره ، ولا يشتغل فكره ،  
ولا يتامل كأنما هو في غيبوبة التجرد عن الحس المطلق . وكان على استمساكه  
بالحرية ، وشدة ميله الى الجمهورية ، وضعف عقيدته الى حد الانحلال ،  
معتدلاً ممالكاً يحترم آراء الناس ، ولا يطعن فيما يعتقدون ، ولا يخرج في  
المناظرة عن حد الملاينة . تجند لثورة عام ١٨٣١ وحسب من رجال تموز المعدودين  
ولكنه لم يمل بعد ذلك مع هوى النفس ، بل سلك فيما كتب مسلك الاعتدال ،

وابان لقومه وبال الغلو والافراط ، لم يعمه الحب عن قلوب ذويه ، ولم ينسه  
الميل واجب النقد . ولزم اغست آخناً برأيه في الفلسفة الوضعية ، وارداً  
مشربه من الحكمة ، ولكنه لم يسلم اليه تسليم الاعمى لقائده بل انفرد عنه لما  
صار الى العمر الذي لا يعلم فيه بعد علم شيئاً ، ولما رام ان يجعل مذهبه الفلسفي  
ديناً . ولم يره احد من الناس متعصباً فيما يعتقد ، بل كان يرى زوجته  
وابنته نصليان ، فلا يعارض ولا يعترض ولا يظهر إعراضاً . وكان مع كل  
هذه الحسنات مرفوع الحجاب ، موطأ الجنب ، سهل المقابلة ، لين الجانب ،  
يسكن في باريس داراً صغيرة على الضفة اليسرى من السين في الطبقة الثانية ،  
ويتلقى الزائرين بطلاقة وجه توهم انه من اهل الفراغ ، مع نزاهة يترفع بها  
عن سفاسف القول والفعل ، وشهامة نقول المنية خير من الدنيا ، وعفة  
تقطع السنة القادحين ، وهممة لا يبق معها للنقد مجال . وجملته القول انه  
رجل ليس كالرجال ، وسنرى منه فيلسوفاً مؤلفاً مما تنبسط به هذه الخلاصة ،  
ويثفصل هذا الاجمال .

### الفيلسوف

شأننا في ما نذكر من فلسفة صاحب الترجمة ، بيانها كما وجدت لا كما  
نعقد . فهي كسائر الآراء الفلسفية لا تقدم مريداً يمدح ، ولا تفقد مخالفاً  
يذم .

وقد مر بنا ان اميل ليطره قرأ عام ١٨٤٠ فلسفة اغست قنت المسماة <sup>Kant</sup>  
بالوضعية مثال اليها وتبوات من نفسه مكانا . فاقبل على صاحبها طالباً مريداً  
ولزم مجلسه يتلقى عنه ، ويتخرج به حتى صار منه بمنزلة الولد من الوالد ، لا  
يعصي له امرأ ، ولا يخالف رأياً ، ثم انقلبت حكمة (قنت) جريزة بما

اثرت فيه السنون ، فرام ان يجعل فلسفته ديناً فاعتزله صاحب الترجمة مع بقائه على المودة له ، والسكون اليه ، حتى استأثرت به المنيّة فكان ليطره خليفته في الفلسفة الوضعية ابان مكنونها ، وكشف غامضها واطهر احكامها ، ووضع فيها الكتب ، وانشأ لها الصحف ، حتى صار هو ابن يجدها ، وسابق حليتها ، وحتى عرفت به ونُسبت اليه

وليست الفلسفة الوضعية مما يحد ويعرف في مثل هذا المقام لندعي استيعابها فيما نقول وانما هو تلخيص الخلاصة بنديه لمن شاء الوقوف عليه ، فيحصل منه في الخيلة صورة اجمالية من تلك الفلسفة . فهي مذهب من لا يسلم الا بالمادة وخواص المادة مطرحاً كل قضية لم تُبن على حقيقة بينة ، وكل رأي يتعلق بمنشأ الوجود ، ومصير الانسان . وهي مؤلفة من ستة علوم « الرياضيات . والفلك . والكيمياء اي فن التحليل والتزكيب . والطبيعة . وعلم الاجسام الحية . وعلم اجوال الهيئة الاجتماعية » فهذه العلوم على هذا الترتيب شاملة لكل ما وصلت اليه المدارك الانسانية على رأي الوضعيين نقف عند الالهيّات غير مشرّبة اليها . وهي عندهم مصيبة في هذا الوقف بخجة انه ليس من الضروري التماس علة المرئي فيما وراء الادراك على كونها ممكنة الوجود في غيره . فان سلسلة التعليل في مجمل الحوادث غير منتهية الى علة من فوق كل حيس واختبار ، وانما هي متعلقة بحادث ارفع منها جميعاً ، يسوقها متوالية فيعلم كل حادث منها بالسابق المتقدم عليه ، حتى تنتهي الى النواميس المبدعة . وهذه النواميس ممكنة الحصر في الحركة للانهاية التي هي القوة المتحددة بالمادة الابدية . وجملة القول ان اصحاب الفلسفة الوضعية يبنذون كل ما خرج عن المادة وخاصة المادة . وسنتهم في ذلك انهم لا يسلمون الا بما يتبين لهم من وجه طبيعي ولا يرفعون الى القوة الحاكمة العقلية الا ما يظهر للفكر ظهوراً

لا موضع للريب فيه . فهم في ذلك على ضد موجب الايمان ولذلك لا  
نورد رأيهم الا مجرد نقل وما على الناقل من سبيل .  
واما حال صاحب الترجمة من حيث العقيدة فقد ابانها لقراء جريدة  
الفلسفة الوضعية منذ عام حيث قال من مطلب سماه ( لآخر مرة ) كناية  
عن شعوره بقرب الوفاة « لست ممن ينكرون شرية الالم ولقد لزمني هذا الشر  
منذ شهور كثيرة حتى بلغت به اليأس ، ولي من الناس انفس ثقية بهم  
شأنني الداخلي رأوا اني لا اقاوم الدين اطلاقاً ، ولا انكر ما فيه من الحسنات ،  
فايقنوا ان له في قلبي مكاناً . فانه من بداية الايمان الا يكون في القلب  
عداوة او استخفاف بالايان الذي تولى الافكار احقاباً كثيرة ولا يزال الى  
الآن بمنزلة التعزية لقلوب المؤمنين . وحيث اني لم اشعر ولم اجهر بالنفور  
من هذه المساعي التي ذكرت وقد اندرني الداء والشيوخة بقرب الاجل ، لم  
يقنط اصحابها من رحمة الله ان تهديني السبيل الذي يرومون . ولست بمنكر  
عليهم هذا السعي ، ولكني لا او من بل لا اجد من نفسي حاجة الى الايمان .  
ولقد رجعت اليها غير مرة سائلاً مستكناً فلم اشعر بشيء مما يشعرون ، ولم  
استطع قبول الرأي الذي يعتقدون . على انني غير آسف على الخروج عن  
ايمانهم ، وغير جانح الى الرجوع اليه ، فقد اختلفت فيما ارى سماه علم اللاهوت  
وبدت سماه المعارف الانسانية مختلفتين اختلاف الليل والنهار ، فاثرت ذلك في  
الخواطر ايما تأثير . . . »

ثم قال : وكان في ذوي معرفتي من نحو خمسين عاماً خاتون لا تزال الى  
الآن في قيد الحياة ، ولكنها مصابة مثلي بداء اليم . وقد جاءني من خبرها  
على لسان من يرانا جميعاً ان الالم تغلب عليها الى حد ان تفيض بكاء  
وصياحاً ، فهي بما بها من تقوى الله تفوض امرها اليه ، وترضى بما ابتلاها ،

أما أنا فإخضع للأحكام الطبيعية التي لا تردّ ونحن في النتيجة سواء ، فلا تسليها  
يدفع الألم ، ولا خضوعي يزيل الوصب ، بل كلما حُملتُ إلى الفراش مساء  
شكوتُ وتملّلتُ مردداً في خاطري قول (مارلب الفرنسي)

ضعيفٌ تولاهُ المصابُ فما له سوى عمرٍ يومٍ لا يطبقُ اكتالهُ

على أن الفلسفة الوضعية التي هي عوني وملاذي منذ ثلاثين عاماً ، والتي  
اشربت قلبي حبّ الاحسان ، واردة الاستطلاع ، وإيثار الإنسانية ، تمنعني  
أن أكون إنكارياً محضاً وتصحّبني في هذه الاوقات العسيرة . اه .

هذه خلاصةٌ من فلسفة ليتره ولمعٌ مما كان يعتقدُ نوردها آسفين عليه  
أنه كان من اعظم الناس عقلاً ، واوسعهم علماً ، واظهرهم اجتهاداً ، واحسنهم  
سيرةً ، واكرمهم خلقاً ، واحرصهم على الإنسانية ، وانهمضهم بالخدمة النافعة  
العمومية ، وابقاهم آثاراً ، واعلام مناراً ، ولكنه لم يكن لسوء حظه من اهل  
الدين . والله يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء وهو غفورٌ رحيم .

يذكرُ صاحب هذه الترجمة بثلاثة مؤلفاتٍ ، ومذهبٍ فلسفي .  
فأما تلك المؤلفات فهي ترجمة تصانيف ابقراط ، ونصحيح قاموس الطب  
والجراحة ، وانشاء كتاب اللغة المشهور . وأما المذهب فهو الفلسفة الوضعية .  
ولنا في كلّ واحدٍ من هذه الآثار الخالدة كلامٌ لا يخرجُ فيه عن بيان  
شأن الرجل ومكانه من الحكمة والعلم .

فترجمة ابقراط كانت عنوان مزينه في حسن البيان ، ودقّة النظر ،  
والعلم بمواضع الكلم ، والوقوف على مراجع الالفاظ . اصلح بها خطأً من  
تقدّمه من المترجمين ، واوضح ما أغلق على سواه من مقاصد طبيب اليونان ،  
واجاد الى الغاية في اختيار الالفاظ ، واحسن الى النهاية في شرح المغازي ،  
حتى لُقّب من بعد هذه الترجمة بزعيم اهل البيان الفرنسي الجديد .

أما قاموس الطب والجراحة فالأصل فيه (لنستن) تولى صاحب الترجمة  
اصلاحه بقدر الحاجة على نية استبقاء الوضع الأصلي، فلما سلك هذا السبيل  
توسعت خطأه فاوغل فيه تقيحاً، وتهذيباً، وإضافةً، وحذفاً، وإتماماً،  
وشرحاً، وإيضاحاً، وتغييراً، حتى صار وجه التأليف والإنشاء فيه أظهر من  
وجه الإصلاح، وحتى صح أن ينسب إليه وإلى الموسيو (روين) معينه  
عليه. وهذا الكتاب العظيم الحجم والنفع، ناطق بفضل (لتره) في المعارف  
الطبية نطق ترجمة ابقراط بمزيتيه في علم البيان. وقد قال العلامة النقادة  
(شرر) إن جميع الذين يراجعون هذا الكتاب يحبون بما فيه من الوضوح  
والبلاغة والدقة، ولا عجب فهو نموذج الاحسان في بابيه. اهـ

وفي هذا القاموس حديث للنفس نوره تمثيلاً على علته وهو  
النفس في علم تركيب الاجسام بمجموع القوى العاقلة الادبية، منظوراً  
اليها من وجه اتحادها ومن حيث تنقسم الى التصور سواء كان من المواضيع  
الخارجية او المحسوسة. وجملة الحاجات والمواطف المسنعان بها على حفظ الذات  
والنوع والعلائق مع سائر الانواع والخواص التي ينشأ عنها التصور والنطق  
والاشارة، والقوى التي يتألف منها الفهم والارادة مقترنة بالقدرة على تحريك  
الجهاز العصبي والتأثير به في العالم الخارجي. وجملة هذه القوى انما هي  
ناتجة من حركة العصب الدماغى على مذهب اصحاب العلم الجديد الذين لا  
يسلمون بوجود خاصة او قوة بلا مادة، ولا وجود مادة بلا خاصة او قوة  
مع اعترافهم بانهم يجهلون على الاطلاق ماهية الخاصة والقوة من حيث هي،  
ولا يدرون السبب في كون الحس والفكر يظهران في المادة العصبية. اهـ  
ولم نأت بترجمة هذا الحد ذهاباً اليه ولكن ليعلم منه رأي صاحب الترجمة  
من حيث انه طيب.

وأما كتاب اللغة فهو آية (لتره) في علوم الالسنه قيد فيه اوابد  
الفرنسوية ، ونظم منها الفرائد .

في نظام من البلاغة ماشك امره انه نظام فريد  
معيناً مصادر الالفاظ ، ميديناً مخارج الكلم ، جالياً حدود المعاني ، راجعاً  
الى الاصول في الدخيل ، والاشتقاق في الاصيل ، مشيراً الى طرق الاستعارة ،  
واساليب الكناية ، مستوعباً حد اللغة وتعريف الاصطلاح ، مستوفياً صور  
المعاني باختلاف المباني ، مورداً في كل ذلك امثلاً معينه السند مما جرت  
به اقلام البلغاء من امته . فجاه كتاباً يقال فيه

ما كان احوج ذا الكمال الى عيب يوقيه من العين

عرف اهل اللسان الفرنسي قدرة ، واعترف ارباب الكتابة منهم  
مزيته وان لا غنى للكاتب عنه ، ولا بد للمحرر منه ، فتداعوا الى اقتنائه من  
كل صوب على كون ثمنه عالياً يعز على قصير باع المال . فهو كبير الحجم  
في اربعة اسفار هائلة الضخامة ، دقيقة الحرف ، لو كتبت بمثل حرفنا العربي  
لجاءت اربعين سرفاً او تزيد . ثم اختصر الموسيو بوجان هذا الكتاب في  
مجلد واحد كبير ، ولخص لهذا المختصر في سفر آخر صغير ، فصار التأليف  
ثلاثة انواع صغيراً ووسطاً وكبيراً .

واصاحب الترجمة كثير غير ما ذكر مما لا يكاد يعد ولا يوصف  
كثرة وحسناً . فمن ذلك فصول نقد في الجرائد العلمية لو جمعت لكنت  
اسفراً ، ومطالعات ادب وبيان لو نظمت لحصلت عقوداً واشعاراً ،  
وفكاهات تأخذ بالالباب رقة ، وتذهل الافكار احكاماً . فان ما ذكرناه من  
آثاره الا تقطة من بحر ، وقطعة من سفر ، ونموذج يدل عليه دلالة الجزء  
على الكل ، ومثال يشير اليه اشارة الاثر الى العين .

## الدرهم الزيف

صدي آراء مصرية

شادوا المنازل على آثار ثروتنا قصوراً ، واطلعوا في منامها من المصايح  
 انجماً وبدوراً . نقبس من قلوبنا ناراً وتبشهم نوراً . فما نرى الشهر الأ سراراً .  
 وما يرون فيه إلا سروراً . مهلاً بني الشر لقد ملأتم القطر جوراً وفجوراً .  
 عرفناكم والعهد بيننا من الصدق ما لا تعرفون ، انضاء فاقه تلتسون كسرة  
 ولا تصادفون . حتى مسختم دوداً علقاً تمصون دم الجهلاء من حيث لا  
 يشعرون . فعدتم من بعد قبلة تحملون ما كانوا من قبل يملكون . ثم اقلتم  
 في ظلال الامن تقولون لن يتبّه الراقدون

استغفر الله من قصد الوقعة في الابرار تعريضاً . واعوذ به ان اريد  
 اغراء او تحريضاً . فما هو الا النذر اخلصه لابناء جلدتي تمحيضاً ، ثم افوض  
 امرنا الى الله والى اولى الامر فيما اصابنا من وبال التزييف . خصوصاً في  
 بلاد الريف . فهي اموال معدودة . ودرهم منقودة . لا شيء معدومة  
 فتنسى ولا شيء في الواقع ونفس الامر موجودة . يعدها المرء منا كما يعدها  
 المشعوذ في يديه ، فيراها الحاضر بعيني رأسه ثم تحتجب عن عينيه . فكانها  
 منصرفه عنه وهي لديه . فهي منه ولكن لا مرد لها اليه .

كما قبض الدينار في الليل حالم واصبح لم يلق الذي كان قابضاً  
 فمن هو السارق ليحد ويقطع . ومن هو ذلك المشعوذ ليرد ويردع .  
 ومن هو ذلك المحتال ليصد ويدفع . لا تنظر الى الفقير شراً ، ولا تظن  
 بالخامل شراً . ولا تكشف عن السوقي ستراً . بل قف الخيل العتاق جارية  
 بالمركات خيباً . وعج بالقصور المشيدة عاقدة باطراف السهي سبياً . واهتك

الستور الكثيفة منقوشة موهة ذهباً . ونادى على تلك الاندية واحرباً . فهناك  
مجر رماح الشر . وثم مجرى سوابق النكر . وقل اعوذُ بربِّ الفلق . من  
شرِّ ما خلق

ولقد خاف الناسُ على الحقِّ ان تخفيه اموال المزيفين ، فلا يسمهم سوء  
بما كانوا مقترفين . فسكن رعاك الله جاش الخائفين . انا نامل في الحكومة  
املاً أكيداً ، ونعلم ان للرأي العمومي تأثيراً شديداً . وان في سويدانا  
رجالاً لا يفرهم وعد ولا يخشون وعيداً ، وبشر الظالمين بعذاب يوم العرض  
العتيد ، ان ذلك اليوم ليوم شديد .

### ضيف قليل الحياء

اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا  
موسيو شارم غبريال ، او موسيو غبريال شارم كما شئت وكما يقليبك  
الهُوى . اليك اليك يساق هذا الحديث . جئنا العام السالف زائراً ، او  
مستشفياً ومستمنحاً من جبالنا بعض ما اصبحت في وادي النيل ، فلقيت مناً  
وجوهاً صباحاً تعد البشاشة للضيف فرضاً ، ونفوساً كباراً تحسب الكرامة  
للغريب ديناً ، وقوماً يبدون الفضل ويميدون ، اكارم تحسد بهم الارض  
السماء ، وما تمثيل صفاتهم للناس الا كما مثل النجوم الماء . فحسبت البشاشة  
صغاراً ، وعددت الكرامة استعطافاً ، ورأيت الفضل براءة ما فيك من  
النقص ، فالتوى معناه عليك ، فعدت يا مواجر القلم ترمينا بدائك وتنسل  
تقابل صفو ما وردت من مائنا بكدورة اغتيابك ، وسلامة ما تنسبت من  
هوائنا باعتلال روايتك ، نقول وانت اكذب القائلين ان السور بين ارباب  
كذب ونفاق ، ودناءة اخلاق ، لا مروءة لهم ولا حياء ، ولا هممة فيهم ولا

خلاق : تولاهم الخمول والكسل ، فمن استطاع منهم للسؤال سبيلاً لم يلو  
 على عمل . . . كذبت ورب المروة . وما هي اول فريضة منك فقد رميت  
 من قبل نزلة اليونان في مصر بمثل هذا القول ، فجاءك النذر من الصديق  
 ( جوسيو ) رُدَّ ما كذبت او تكون من الخاسرين فاييت فدعاك للنزال ،  
 بحسب ان في عروقك دم الرجال . فسترت باذيال فواجر العذر ، فعلم ان  
 مثلك لا يعامل معاملة الشرفاء ، فصفعك يا ضوطار السياسة كما يصفع الاندال .  
 ونقول ما رأيت اشد من السور بين تعلقاً بالخرافات والباطيل ، فقد  
 شهدت منهم في القدس حلقة رجال من حول بائع صور ومائيل يسومونه  
 احدى الصور ، فلما اعيام الثمن المطلوب ، قطع الصورة اجزاء ، وباعها منهم  
 باثمان مختلفة فآب هذا برأس وذلك بساعد وذلك بيدي وذياك برجل مسرورين  
 جميعاً متبركين . . . فهل استهزأ بك الترجمان يا موسيوشارم ام استهزأت  
 انت بقومك ، ام رمت توفير الصنيعة ، فضربت بهذا الطبل علماً منك  
 بتهافت ذوبك على الغريب .

وتزعم ان رؤساء الدين منا اطعم الناس في الاموال ، واشدهم حرصاً  
 عليها ، وفسدهم اخلاقاً ، واميلهم الى الشهوات ، واكثرهم تهتكاً في المحارم ،  
 على خلاف ما يرى في رؤساء قومك . فهل بعينيك عمى ام تحسب الناس  
 عمياناً ، ام لم يخبرك من صحبت من ساقه الحمير وادلاء المواشي انه ما وجد  
 فينا من يظن باهل الرئاسة شراً ، ومن يميل الى اهل الشكوك الا  
 بعد اذ وبئت بلادنا بمفاسد الاجنبي ، وبعد ان رأينا من الذين تمدح ، وسمعنا  
 من اخبارهم ما يعمي ويصم ، حتى خيل لنا ان الفساد فيهم عميم ، على كوننا  
 اشد الخلق استمسكاً بما يدعون اليه .

وتذكر بعض مخدراتنا بالسوء ابتهاراً ، وتورد في ذلك حكاية حال

من سفرٍ بحريٍّ ، وصحبة فتية ، وتزلف والديه ، وغناء ولهان ، وضرب الحان .  
 وسائر ما يهذوبه اصحاب الحكايات وتعين بعد ذلك وتسمي اعتلانا بقلّة  
 الحياء . . . فهلاً ذكرت يا ابن الطاهرة مكارم الكرائم حيث دبت ، وحيث  
 شبت ، وحيث تأدبت . . . فلا تخرجنا فتخرجنا من الذود الى الاقدام ، ومن  
 الجواب الى الخطاب ، انا نعرف منكم ما لا تنكرون ، ونعلم ما لا تجهلون .  
 ✕ ثم طبعت كل هذا القول الهراء يا سقيم الطبع فاين تركت ماء الحياء ،  
 ومن اين جالبت لوجهك جلد خنزير . . .

عفواً سادتي عما ترون بي من سورة الغضب ، ولكن هو الوطن ،  
 والعرض ، والقوم ، ومن ذا الذي لا يغضب لوطنه ان يهان ، ولعرضه ان  
 ينهتك ، وتقويه ان ينالهم لسان مبتذل ساقط لئيم . فقد عرفت هذا الرجل  
 الذي جاءكم ضيفاً نزيلاً واكرمتموه فجعل اعراضكم مناديل . عرفته متلمساً  
 على ضفاف النيل . ورأيت من واجب الذمة الوطنية ان اعرفكم ما عرفت  
 لكيلا تضيعوا الفضل في غير ذويه .

فوضع الندى في موضع السيف في الوغى

مضراً كوضع السيف في موضع الندى

وان اخذتني الحدة فيما ابنت من لؤم وودناءة نفسه ، وسقم طباعه ، فهي  
 نار الغضب الموطن تثير بخاراً يدير القلم على هذا القرطاس . فقد رأيت ذلك  
 المطبوع المعكوس في صحيفة ( ريفودي دومند ) وصحيفة ( لجبت ) المطبوعة  
 في مصر نتفاً من كتاب سيرد الي فاذا ذكر لكم فخواه .

ويا موسيو غبريال شرم هذه اول رسائلي اليك تنوب عن يد يقصرها  
 بعد المسافة عنك . فطب نفساً اذك التمس الشهرة بين قومك بما اقتريت  
 على السوريين والمصريين من قبلهم ، واني لاجعل لك بين قومي ذكراً ،

يحدّده المستقيمون عصرًا فصراً .

## الاصلاح

قال رحمه الله في هذا الموضوع ✓

١

تبلغ الحاجة من المرء حدّ التعامي عن سائر الموجود ، فلا يلتبس الأها ،  
ولا يرى الأفضاها ، فهي مدار مقالة ، ومحور افعاله ، وغاية تملأ منه  
جانب التصوّر ، وتغشى دائرة الخيال ، كما ملأت شهوة الراح مخيلة الشارب  
التعليل .

فكل شيء رآه ظنه قدحاً وكل شخص رآه قال ذا الساقى  
ولا خفاء في حاجتنا الى الاصلاح وانه حديث نهارنا ، وسمر ليلنا ،  
ودليل سير الاماني ، ونجم سرى الآمال ، فلا غرو ان نعيد ذكره اعادة  
الحب لذكر الحبيب ، ولا بدع ان نلتبس قربه التماس المريض لقرب الطيب .  
ان اصلاح الاحوال ، واقامة الامور ، وازالة المفسد ، واستجلاب المنافع  
في البلاد المحروسة ، وان كان مما اوجبه عهد مؤتمر برلين فاننا نعوذ بالله ان  
نلتمس من عناية دولتنا المؤيدة العلية من هذا الوجه وبهذا الايجاب . ان  
رعية صادقون لا يداخلنا الريب في حسن مقاصد اندولة ، ولا يخامرنا الشك  
في ارتياح نفسها الى الاصلاح اختياراً ، فاذا التمسناه فما نطلب الأمانوت ،  
ولا نطمع الأفيما ارادت ، ولا نذكر الأما وعدت وما تعلم انه من لوازم  
البقاء ، واسباب النماء .

والاصلاح فيما نحن بصدد مطلق لا يكاد يقف عند حد ولا ينتهي  
الى تعريف ، فما نخص به الادارة لاحتياج المالية اليه ، ولا نحصره في المالية

طلب الاستدراج  
في الادارة  
الاصلاح  
الاصلاح  
الاصلاح

لعدم استثناء القضاء عنه ، ولا نجسه على هذه الاركان الثلاثة لظهور لزومه  
 في سائر ما تقوم به الحركة الحيوية في هياتنا المدنية والسياسية فهو كلي عميم  
 بقدر كلية الخلل ، وعموم الحاجة ، بحيث ترى نقصاً ، او ضعفاً ، او اختلالاً ،  
 او اعتلالاً ، او اعوجاجاً ، او موضعاً للكمال ، فهناك محل اصلاح .

ولا بد في الاصلاح من شروط تكون فيه بمنزلة القوّة المبقية للموجودات ،  
 وهي أخذ من الاصل ، وتمكين ، وتدرّج . وآفة الشرط الاول الرضى بانظاير  
 الموه في الباطن المشوّه . وبلاء الشرط الثاني أنصاف الوسائل . وداء الشرط  
 الثالث التهور فيما لا تلائم احوال المكان ، ولا يناسبه استعداد السكان . فاذا  
 حصل موفورة فيه هذه الشروط ، فهو المورد السائب ، والفضل السائب ،  
 والنعمة الكاملة ، والمنفعة الشاملة ، والآ فهو مجلبة للبلاء ، ومدعاة للشقاء

وما نجعل ان الدولة العلية ايدها الله لم ترجى الاصلاح المنوي اختياراً ،  
 ولم تؤجل الاخذ فيه استنفاراً منه ، او رغبة في العدول عنه ، فانها تعلم علم  
 اليقين انه اذا حصل لها موفور الاسباب ، مستكمل الشروط ، فلا يمتنع ان  
 يعود بنا الى المجد الذي اضعناه ، والسودد الذي فقدناه ، والقوّة التي استبدلناها  
 بالضعف ، والعزة التي رضينا من بعدها بالحسف . وانما صبرت عنه اضطراراً  
 الى ان يخلوها الجو من الموانع . فقد كانت ولا خفاء في ذلك بين امور  
 عظام ، ومشاكل جسام ، في موقف ضنك المقام . تدافع الاعداء ، وتجارى  
 الاحباء ، وترعى للضرورة احكامها . متقلبة بين اللين والشدة ، والبسط  
 والقبض ، والجود والامسك ، على حسب ما تقتضيه الاحوال ، لتنجو من  
 العوادي ، وتخلو من العوارض ، فتتكف على شأنها الداخلي ، انعكاف المتفرغ  
 الخلي ، حكمة لا تخفى عن ذوي الاباب .  
 وقد نجت من تلك العاديات ، وازالت تلك العوارض الا قليلاً لا

شروط  
 الموقر  
 والحق

بمورد  
 تروى

بمورد  
 بالاصلاح

يعجز ولا يرد ارادة . فقضت مسألة الجبل الاسود ، وحسبت نازلة اليونان بعد ان فضت مشكلة الهرسك وبشناق ، وقررت امر البلغار والروملي ، وازالت خلاف خوتور ، فصار امر الاصلاح في جانب الامكان فجاز لنا النظر فيه بما توجهه الوطنية ، وحب الدولة العلية . وما جادت به علينا اعزها الله من حرية الرأي فيما لا يخرج عن حد القانون . على اننا لا نطلق النظر فيه من الوجه العمومي الا لئلا تكون بمقام التمهيد لما سنحاول من بيان طرق الاصلاح فينا اختصاصاً ، فان ذلك التعميم رجلاً ظهرت لهم منه الحقائق ، ولم تخف عنهم الدقائق . وبعد فالذي يقال في جزء من البلاد المحروسة يصح في الكل الا في فروع وتفاصيل لا تمنع من هذا الاطلاق .

## ٢

ينظر الى الاصلاح المطلق من ثلاثة اوجه . السياسة ، والمدنية ، والاقتصاد الاجتماعي ، وفي الاول مالية ، وادارة ، وقضاء . وفي الثاني معارف ، ومساواة ، وحرية . وفي الثالث امن ، ووقاية اعمال ، وتوزيع اشغال . وتحت هذه الابواب فصول تجيء في عرض الكلام عليها .

فالمالية وهي قوام الملك ، وأيد الدولة ، ومفتاح الاصلاح ، وعماد الاعمال ، منوطة باطراف جميع ما يتبعها من مواضع الاصلاح . فما تنتظم امورها ، ولا تنسع مواردُها ، ولا يزول اختلالها ، الا بحسن الادارة ، واستقامة القضاء ، وعموم المعارف ، وحصول المساواة ، وظهور الحرية ، وثبوت الامن ، وتفرق الاشغال بالعدل . فالنظر في هذه الابواب عائد اليها لزوماً

اما القضاء فاول الحاجة فيه اتساق القوانين . وكفاء الحكماء . فاما القوانين فهي عندنا وافرة كثيرة الفروع ، تكاد لا تحصى ، ولا تنحصر . فمنها القديم ، ومنها الجديد ، ومنها الموقت ، ومنها المشروع ، ومنها الموضوع ، ومنها

السياسة  
المدنية  
الاقتصادية

طلب  
في  
نقد

الاوامر والملحقات ، وهي بالجملة مبدية على العدل والحكمة ، مأخوذة عن  
 احكام السابقين الى غايات الكمال السياسي فيما لا ينقض النص الشرعي ،  
 فما يلزم فيها غير الجمع والحصر ، لدفع اللبس ، ومنع الاحتيال ، وتنسيق ما  
 يبنى عليها من الاحكام فان ذلك التمدد فيما لا بد من الوحدة فيه ، موجب  
 للخلل ، وضيق الحقوق ، والجهل بمواضع الحكم . واذا لم يعلم المحظور فكل  
 مفعول جائز ، واذا لم يعرف الجائز فكل مفعول محظور . واما كفاء الحكام  
 فهو لا شك اعسر من ذلك منالاً . فان الكفاء فيهم يقتضي العلم بالاحكام ،  
 واستقلال الخاطر ، وعفة النفس ، وهي شروط قلما تجتمع في عدد كثير  
 ممن لم يدخلوا باب مدرسة قانونية ، ولم يألفوا مظاهر الحرية ، ولم يروا للعفة  
 من مزية . والعلم لا يحصل الا بتعليم ، والاستقلال لا يكمل الا بعادة ، والنزاهة  
 لا تستحكم الا بمكافاة . فلا بد لحصول الكفاء في حكامنا من انشاء المدارس  
 لعلم القوانين ، وتعويد الحكام حرية الرأي ، وتقدير ذوي العفة والنزاهة منهم .  
 ثم لا غنى مع ذلك عن تأييد تلك الحرية بصيانة اربابها عن الحيف ، وتمكين  
 هذه العفة بوقاية اصحابها من الفاقة ، بمعنى ان يؤمن القضاة الاحرار من  
 النكبة ، ويضمن للنزهاء سداد من الرزق .

واما الادارة فلا شك في صعوبة اصلاحها لتعسر الوقوف على موجب  
 الخلل ، وعلّة الفساد في كل فرع من فروعها الكثيرة ، ولأن العمال والحكام  
 والامرين والمأمورين على اختلاف درجاتهم ، لا يتبعون في اعمالهم قانوناً  
 مخصوصاً بها مرعياً ، فلا يعلم مقدار حقهم ، ولا يعرف حد واجبهم ، ولا  
 تلزمهم تبعه الا فيما يروم الرئيس . وذلك موجب لتأخر الاعمال ، وضيق  
 الحقوق ، وتبدد اموال الدولة ، واختلال السلسلة الادارية ، وضعف سطوة  
 الرؤساء من كبار المأمورين الى الوزراء . وما يفيد فيه تغيير العمال ، وتبديل

المأمورين . فطالما جرى ذلك فما زال خلافاً ، ولا اظهر نفماً . وإنما يجب  
تبديل الهيئات ، مع تغيير الذوات ، وتعيين المسؤولية ، وتحديد الواجبات في  
الفروع ، والاصل ، والاطراف ، والمركز ، بحيث يكون كل عامل مسؤولاً  
عماً يعمل من طرف السلسلة الاخير الى طرفها الاول . فتحصل بذلك وحدة  
الحكم مع حسن التوزيع وهي الغاية التي ينتهي اليها انتظام الادارات . ثم  
لا بد مع ذلك مما اشترطناه في كفاء القضاة من التأمين ، وكفاءة الحاجة  
فيما يجري على المأمورين من الارزاق . فقد افادنا الاختبار ان تقليل راتب  
المأمور الى حد ان لا يفي بالضروري من حاجاته ليس في شيء من الاقتصاد  
وانما هو داعية الفساد ، وموجب الدناءة والخيانة . او ما نرى رأي العين  
احوال ذوي الرواتب القليلة ، وان الرجل منهم ينفق على الخادم والفرس ،  
اضعاف ما يجري عليه من ظاهر الرزق ، فضلاً عما ينفق في داره ، وعلى  
حظية جاره ، وفي مجلس قماره مما يعجز عنه ذو الالوف المولفة ، وانقناطير  
المقنطرة . فهل ينزل عليه هذا المال من السماء كما أنزل المن على آل اسرائيل ،  
ام تثبته له السجادة كما تثبته لذوي الكرامات . . . كلاً وانما هو مال الدولة  
يؤخذ جزافاً ، وينفق بلا كيل

ومن أخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

٣

لا تنتهي الانفس عن غيرها ما لم يكن منها لها زاجر  
ان الصلاح المدني القائم بعموم المعارف ، وحصول المساواة والحرية من  
وجه العدل والاعتدال ، وان لزم في بعض احواله الاصلاح السياسي بما  
تمس بها الحاجة الى المال ، وما تؤثر فيها احوال الادارة والقضاء . الا انه في  
الواقع ونفس الامر علة هذا الاصلاح من وجه ترتب الثروة على المعارف

وتعين انتظام الادارة ، واستقامة الاحكام على الحرية والمساواة . فهو اجدر من  
الاصلاح السياسي بالتقديم . فان قضت الحوادث بمثل ما نراه في دولتنا  
العلية من وجوب الابتداء السياسي ، فلا اقل من جعل الاصلاح على  
وتيرة واحدة بمعنى ان يشرع فيهما معاً . فانه اذا لم يصلح الباطن ، فلا بقاء  
لصلاح الظاهر ، واذا لم يكن للنفس زاجر منها فلا يفيدها زاجر .  
والمعارف جمع يراذ به مجمل ما تمس الحاجة الى معرفته ومساقتضيه  
احوال العصر مما يهتدي به المرء سبيل السابقين الى غايات الهناء والكمال .  
فهي وان امكن تقييدها بهذا الحد فلا حد لها ولا قيد ، لوجوب اتصاها بمحركة  
العلم التي ليس لها نهاية ، ولزوم التحاقها بجارات الايام التي لا تقف عند غاية .  
فما يفيد فيها الالتزام حال ، ولا تنفع رعاية . ماض بل الحرص على الاثر المهجور  
مما كان في المعارف الخالية المذكوراً ظاهراً ضرراً بما فيه من التأخر في  
بجال التقدم . فقد كانت غاية الزارع ، والصانع ، والكاتب ، والعالم ، فيما  
سلف ان يعرف الاول اوقات الفراغ والامتلاء في القمر ، ويحسن الثاني تقليد  
استاذه في ادارة الآلة ، ويحفظ الثالث ما تيسر من منظوم الشعراء ، ومنتور  
البلغاء ، ويعلم الاخير من المنقول ما لا ينقل ، ومن المعقول ما لا يعقل . ولو  
اقتصرت الزارع الآن على معرفة امتلاء القمر لما برح فارغ الدار والجيب ، ولو  
رضي الصانع بتقليد الاستاذ في تدوير الآلة ما دارت الدوائر الا عليه ، ولو  
اجتاز الكاتب بحفظ ما سئمته الطباع ، وملتته الاسماع ، من ابيات خاويات  
واجماع ، لما وجد قراء الا بين القبور . ولو اكنفى العالم بمضغ ما تلمظ به  
الناس من عهد آدم الى ما قبل ايامه باعوام ، ما استفاد من نخالة علمه الدقيق  
رغيفاً . وما نعجز عن بلوغ القصد من المعارف ، ولا تنالنا الخيرة في طريقة  
الوصول اليه ، ففي السبيل ادلاء راشدون ، وفيه الف ركب سابقون . فما

عائنا الا اتباع اولئك فيما يدتون عليه وتأثر هولاء لما انتهوا اليه ، سالكين فيه  
مسلكهم ، راغبين في الاسلوب الذي عولوا عليه من تقسيم الدروس ، وتنظيم  
المدارس ، مجردة جميعاً مما يقيد الاذهان ، ويؤيد سلطة الاوهام ، فالتقليد في  
هذا المقام عين الاجتهاد .

اما المساواة فليس المراد بها ما يروم الغلاة من محو الطبقات ، وازالة  
الدرجات المترتبة على السعي والجدد لزوماً ، فتلك امنية لا تنال الا ان يكون  
الناس جميعاً اخواناً ، فلا تحصل ما دام الانسان انساناً . وليس المقصود منها  
ما يغالطنا به اولياء الامتياز من كوننا شرعاً فيما تجري به الاحكام فذلك لا  
يمنع من وجود التفريق ، ووقوع التمييز في نفس تلك الاحكام . وانما حقيقة  
المساواة ان تكون الاحكام سواء على من هم بالنظر اليها سواء ، بمعنى ان تجرد  
النصوص الحكمية عن كل ما يجعل بعض الناس فوق بعض ، وتزده عن كل ما يفتح  
باب النجاح لبعضهم دون الآخرين ، وتطهر من كل ما يشف عن شيء من ذلك  
ان يؤذي اليه ، فتكون امن الحائف ، وملاذ القازع ، ونصفه المظلوم ، وسداً  
سديداً في وجه الجري . واحكام دولتنا العلية ايدها الله مبنية على هذه  
المساواة الحققة ، فما يلزم فيها غير اصلاح الحاكمين . ثم لا بد من النظر في امتياز  
الاجنبي والتعويض منه بما يكفل استمرار العدل ، ويضمن دوام المساواة .

وقد وصلنا موضع تنازع الاهواء ، وتدافع الاغراض . فمهالاً سيدي  
القوي انا لا نخرج فيه عن حد الحق ولا نجاوز ما رسم به قانون دولتنا  
المؤيدة . وانت وان كنت تعادي من لا ذنب له غير مخالفة رأيك ، وتناوى  
من لم يجن من الاثم غير اعتقاد ما لا تذهب اليه ، وتصاب الشر من لم  
يرتكب من النكر غير الذهاب الى ما لست تعتقد ، فانك لا تستطيع انكار  
حرية الانسان ولكنك تحسبها قائمة فيما تريد ، مبنية على ما تتخيل ، منوطة

بما يلائم اغراضك الذاتية . فانت في ما لا تتكره صادق ، وفيما تتوهمه عن  
 الهوى ناطق ، فحرية المرء لا تنحصر في كونه بحركه اعضاءه كيف شاء ، فانه  
 موجود ناطق والناطق ذو فكر يعقل ، والفكر هو الانسان بالذات . فحرية  
 الفكر ثابتة للمرء لازمة فيه لزوم حريته في تحريك الاعضاء . فان منع من  
 اظهار ما يراه فهي العبودية ، وان أكره على القول بخلاف ما يعتقد فهو قتل  
 الحقيقة .

الأ ان الحرية عندنا معاشر المعتدلين شروطاً واحكاماً تخرج بها عن حد  
 التفريط ، ولا تبلغ جانب الافراط ، فنحن من الطالبين لحرية المطابع ،  
 الراغبين في حرية المجامع لما يترتب عليهما من تنبه النفوس ، وارتفاع المهم على  
 شرط ان لا يراد بهما الضرر ، ولا ينشأ عنهما الخلل ، ولا ينتج منهما فساد  
 الاخلاق . وهو الحد الذي لا شك في مروره بخاطر المصلحين من رجال  
 دولتنا العلية ايدينا الله ، ولا ريب في تشرفه بالقبول من لدن مولانا المعظم  
 جعل الله النصر رفيق لواه .

### عيشة الخلاء

« وفي صيف عام ١٨٨١ تردّدت الى بعض قرى لبنان طلب التنزه ، وتبديل  
 الهواء ، ورغبة في الاستشفاء مما كان ملماً به من الاعتلال فكان - واسفاه  
 عليه - يكتب فصول الجريدة ومطالبها ، واخبارها ، في ربي لبنان ويرسلها  
 الى الادارة فكتب اثناء تلك الفترة القطعة الآتية »

قال

لقد سكن الهواء ، وفتّر الماء ، ووقعت سهام الشمس ، على الرأس ،

وثقلت وطأة الليل على النفس ، فما اطلاب الهناء ، سوى الخلاء ، وما لاخوان  
 الصفاء ، غير الفضاء . فاهجر هواجر الحواضر ، وذر مفاسد المحاشد ، وسر  
 بي بسرب الآداب ، وصحب اولي الالباب ، نلتمس في الجبال نسيماً بليلاً ،  
 وفي الاودية ظلاً ظليلاً . ولا تتبع بنا العجلة سارية على عجل ، بين السهل  
 والجبل ، فانك ان ادركت آثارها ، لم تأمن غبارها . ولا تجر وراء الفرس  
 يركضه القبعي خبيباً ، فيسحب قوائمه تبعاً . فانك لم تجد ثم رقيقاً ، يكون  
 بنفسك رقيقاً . بل انفرد بالخاطر تطلقه اطلاق الجواد ، بين الربى والوهاد

واغتنم نشق نسيما السحر قبل ان تمى بانفاس البشر

وقابل الفجر قبل انفجار بركان النهار ، وقبل طلوع الغزاة على هودج  
 النار ، وتعطر بما يمر بالخزام والشيح ، من خطرآت الريح ، وسرح طرف  
 عينيك ، بجبال جمال ما بين يديك ، فقد نسقت صفوف الاشجار ، على  
 ضفاف الانهار ، وتكلمت هام الاغصان ، من لآلي النداء بتيجان ، وغرد  
 العندليب على العود ، فاذكر بانفاس اسحق على العود ، والهواء يملأ القلوب  
 حياة وهناء ، والماء يسيل في الابدان صحة وشفاء

والافق ييسم والطيور صواح

والنهر يرقص والغصون تصفق  
 ومن فوق ذلك جبال لبنان ، تستهزي بعاديات الزمان ، لزيم رؤوسها  
 الشيب فازدادت به جمالاً ، فنادى لسان حالها رب زدني كمالاً . فكان في  
 هامها الشتاء ، وفي عنقها الربيع ، وفي قلبها الخريف ، وتحت اقدامها الصيف ،  
 والبحر من وراء ذلك يمدجها بعينه الزرقاء ، فترده صخورها الصماء ، فيعود  
 راغياً وجداً ، مزبداً حقداً ، يدفع سابق موجهه اللاحق انكساراً ، كما انهزم  
 الجيش فارتدت طلائعه السابقة فراراً .

فتلك هي الحياة لا ما انفقت في الطلب ، وما صرفت في التعب ،

بين مداحٍ تدنيه وتخشاهُ ، ومفاجٍ تخاف غضبه ولا تأمن رضاهُ ، والفيرأى  
 اللوم راعه ، وسكن إذا اودعته القلب اصاعه ، وبين ذلك تمالكٌ وانقباض ،  
 وصدئ وإعراض ، ودلالٌ وهجر ، وملالٌ وغدر ، وصحبةٌ بالموادعة ، ووفاءٌ  
 بالمدافعة ، وشفاهٌ لا صلة بينها وبين الضائر ، وألسنةٌ لا علاقة لها مع السرائر ،  
 وعيونٌ لا تشف عن القلوب ، واخوانٌ فيما لا يس الجيوب ، ودهانٌ  
 واجلالٌ واعظام ، ورياءٌ واكرامٌ واحتشام .

ولقاء الانام عذبٌ ولكن كدرته مؤنة الاحتشام .

فاغنم هذه الاويقات ، قبل انهدام اللذات ، فالزمان يومان ماضٍ لا  
 يرد ، وحاضرٌ لا يعلم له غد ، فاذا كرامسك الذي فات ، ووات يومك قبل  
 الفوات .

—o—

« وقال من خطبة ألقاها في مأدبة أعدّها حضرة الوجيه المرحوم جرجس  
 التويني في قرية عاليه من جبل لبنان دعا اليها والي سورية المرحوم حمدي باشا  
 وكان الفقيه من حضورها »

فقال

لو نهجت منهج الشعراء لقلت هذه سماه طلع بها البدر محفوقاً بالنجوم ،  
 ولو نزلت منزع قدماء الحكماء لقلت هذه الحكمة من حولها الحور ، ولكنني  
 حسي المشرب فانا انظر الى هذه الحضرة بعين رأسي لا بعين الخيال ، فهي  
 حضرة آمال سورية . اجل ففيكم ياسادتي اهل الحل والعقد ، والنهي  
 والامر ، والنقض والابرام الذين يستطيعون احياء موات الهمم ، ورد فوات  
 القيم ، وفيكم اهل الفضل والعلم ، والمعرفة والذكاء ، الذين يقوون على بث  
 انوار العلوم ، ونشر ألوية العرفان ، وتبديد ظلمات الجهالة ، ورد غارات الغباوة .

اشتمل  
 على  
 سور  
 و  
 شارح  
 بالسرور

وفيكُم اهل الثروة والجاه ، والكرم والسطوة ، الذين يقدرُونَ على المساعدة  
والاسعاد ، وتغيير هيئة البلاد . وفيكُم من وجهٍ اخر فتياتٌ ملء قلوبهم  
الغيرة الوطنية وملء نفوسهم حب الانسانية ، وكهول ملء اذهانهم الحكمة وملء  
افكارهم الاختبار . فانتم لا عدتم موضع آمال سوروية . وانتم حجة قابليتها للنجاح في  
كل حال ، واذا حصلت القابلية لم يبق الا الارادة وهي حاصلة لا محال . وكيف لا  
توجد الارادة في مثل قلوبكم المضطربة بنار الغيرة ، وفي مثل نفوسكم الملتهبة  
بضرام الحمية . ( الى ان قال بخطا بالرأس الحضرة ) فبأذنك مولاي وبارادتكُم  
سادتي ابشر سوروية باصلاح قريب ، وفوزٍ مبین يخرج به من الضعف الى القوة ،  
وتنتقل من الهرم الى الفتوة ، وتعيد ماضي بهائمها وترد بهاء مائها . وعلى اعتقاد  
ما بشرت ، ووقين ما املت ، ارفع الكأس على سر آمال الوطن - على سر من تنتهي  
اليه تلك الآمال انتهاء الخطوط الى المركز - على سر مولاي حمدي باشا

قال

فتفضل ايده الله باظهار الرضى والامتنان بالفاظٍ كريمةٍ تدخل الاذان  
بلا استئذان . ثم انفضت المأدبة وخرج والي الولاية اعزّه الله بعد الاستراحة  
شاكراً لصاحب المنزل الوجيه ما لقي فيه مما لا يختلف في كماله اثنان ، ومما  
اثبتته التواتر في ثغرنا حتى صار في حد العيان .

— ✕ —

وكتب في

مصر

ما تكرر ذكر بلدي من الشرق في مجالس نوّاب الثرب ، وما كثرت تحدث  
الجرائد الاوروبية في امره ، الا داخني من الخوف عليه ما لا اعلم له سرّاً ،

ولا استطيع فيه بياناً ، كأنما أنا آخذٌ في ذلك بقول القائل  
 وخمول ذكرك في الحياة سلامةٌ ودهاك من امسى لذكرك ناشراً  
 بل سرُّ هذا الخوف اني ما سمعتُ رجالَ سياسةِ الغرب يلهجون بذكر  
 مملكةٍ شرقيةٍ سوّالاً عن احوالها ، او بياناً لشؤونها ، او اهتماماً بامورها ، الا  
 رأيتُ فيها تلوّ كلامهم نوازل تخرج الصدور ، ومشاكل تذهل الافكار ،  
 واموراً الاكاد احصرها ، اولها مزعجٌ واخرها  
 ولقد رأيتُ مصرَ في هذه الايام موضوع نظري في مجالس نواب الانكليز  
 يسألون عن احوال عسكرها موجسين خيفةً من قصد الزيادة فيه ، وتجييهم  
 الدولة بما تعود اهل السياسة من الابهام والايهام ، ثم رأيتها مكان بحث  
 وموضوع اهتمام في جرائدهم تروي حكاية ما وقع من جندها مما اوجب ابدال  
 ناظر الجهادية ، وتشفع بما يلائم المشارب على اختلافها من الشرح والتأويل .  
 ومصر — ولا حياء في السلب — بلدٌ تركت فيه زهرة ايام الشباب ، وخلفت  
 باكورة غرس الاداب ، وهزرت غصن الاماني رطيباً ، ولبست ثوب الآمال  
 قشيباً ، فما عدلت بي عن حبها النكبة ، ولا انتني عهداًها الغربية ، ولست اول  
 محب زاده البعدُ وجداً ، ولم ينكث على الصدة عهداً . فيا  
 رعى الله مصرًا والسلام على مصرٍ ويا حبذا مصرٌ على الصديق والمهجّر  
 فحذار اهل مصر ان العدو لكم بالمرصاد ، وانكم لمخوفون بالعيون والارصاد .

### نبوة جديدة

حبست عنا السماء معجزاتها الحكمة لا تصل اليها مدار كنا البشرية ،  
 فعوضتنا الارض من ذلك عوضاً غير كريم بما تخرج لنا من الغواة المضلين الدجالين

عنه  
 لا عقل  
 من الراجحي

يسطون على الباب العامة ويستميلون خواطر الجهلاء بما لا يفقهون الى ما لا يعلمون . وقد جاءنا منهم في هذه الايام جلف غفل يريد لنفسه ذكراً ، فتنبأ ان سيجري الدم في مدينتنا نهراً ، ثم تكون زلزلة تجمل بطن الارض ظهراً ، وكان مواعده في الدم الجاري يوم الثلاثاء ، وفي الزلزلة يوم امس ، وآيته في القول ابهاماً يضحك الالباء ، فادعته الشرطة فيما قيل لنا مستودعها الامين ولو سئنا في ذلك رأياً لقلنا ذروه فانكم لورتمم الحجر على كل دجال لضاقت السجون .

### رُبَّ نَظْرَةٍ

لعينيك ما اخفي المحب وما ابدى من الحب ان الحب صيره عبدا  
وما هو الا ناظر غير عامد وما الحب الا نظرة تبعث الوجدان  
سرت من بلاد الانكليز هيفاء ما قرح الغرام لها كبدا ، ولا جرح المحظ  
لها خذاً ، ولا عرفت مهجتها امي ، ولا آلت مقاتتها مهدياً . يجرس روض  
حسنها خال ، كما حرس روض الحيا خال . فلما قدمت يافاء جاء ركها  
ترجمان ، يعرب عن كلامهم بلسان ، وعن غرامه بالف لسان . اي هذا المترجم  
لا تخف انكاراً ، ولا تخش رداً ، فاني ارى لوعة بين الجوانح لا تهدا ، قال  
بشراي هذا الذي يسميه اهل الهوى وجدا .

ثم جاءوا بيروت فاقساموا والمقام كريم ، والغرام مقعد ومقيم ، والحب  
تلير الالحاظ شراره ، ونثير الالفاظ ناره ، وتوثق الالفة عهده ، ويحقق الهزل  
جده ، حتى اذا عظم الهوى ، واشتد الجوى ، قالت وفالق النوى ، صحبتني  
يا خال ، ولي بين الضلوع فواد ، فرد الفواد اودع المعاد

اصابوا فوادى وهو بعضي فما الذي يضرُّكم لو كانَ عندكم الكُلُّ  
قالوا من السارق ليقطع ، ومن الغاصب ليؤمر بالرد - قالت لا ذنب عليه  
ولكن على طرف جاوز الحد ، فان كان ثمَّ حدُّ فهو الذي يلزمه الحد . اما  
الترجمان فما زاد على ان اعرب عن سره حتى فهمنا ، فبدا لنا معنى الغرام فهمنا ،  
قال او ترضين الماهن بعلا ؟ قالت فعن لي ان اكون للماهن اهلاً ، فاحندم  
غيطاً واقسم لاقتلته او يعدل عما نواه ، قالت جعلت فداه ، واجتمع النزل  
عليهم يرومون دفع الاذى ، ورد البلا ، فراود الخال الترجمان عن قابله ، دعها  
ولك علي خمسمائة دينار ذهباً وضاحاً - قال ما تعدل الاموال ارواحاً ، ولقد  
جمعنا الحب فلن تفرقوا ما جمع ، فحتم م انتم مستمسكون بالامتياز ونحن في  
الدنيا شرع ، فلما انقطعت به الذريعة ، وامتنعت عليه الوسيلة ، لجأ الى الخديعة ،  
واخذ بالحيلة ، فحملت فتاتنا الى القارب عنوة تصيح ولا تجد سمياً ، وتستجير  
ولا تلقي شفيعاً ، ووقف الترجمان يراها ولا يموت كدا ، ولا يستميت غيطاً  
وحر دأ ، فينشده اسان الحال ، قول من قال

تسير ولا اموت عليك غيطاً وحق هواك خنتك في هواكا  
ويا نخجالي اذا قالوا محب ولم انفعك في خطب دهاكا  
وسار بها الظالمون الى الفلك ، وهي من الدمع في طوفان ، فعساها ان  
تجد في وطنها من يترجم لها بما تنسى به الترجمان .

### اميل دي جرردين

توفي في نيسان سنة ١٨٨١

انبأنا التلغراف واردة من طريق الاسكندرية بوفاة هذا الكاتب السياسي  
المشهور فرأينا ان نورد طرفاً من ترجمة حاله ليعلم كيف تعلقوا القيم بالفضل ،

منقول  
منقول  
منقول  
منقول

وكيف ترتفع الاقدار بالاجتهاد ، وكيف ينال المجد بالمعارف ، وكيف يحصل الشرف السامي ، والثراء النامي ، لاهل العلم النافع في البلاد المستنيرة ، فيتبين لنا سبب التقدم في بعض الناس ، والتأخر في بعض ، وبضدها تبين الاشياء زعم بعضهم ان اميل دي جراردين وُلد في سويسرة من والدين غير معروفين شرعاً وسُجِّل تاريخ مولده وهو هـي بن بي في ٢٢ حزيران سنة ١٨٠٦ وحقيقة الامر انه وُلد عام ١٨٠٢ وان اباه هو الجنرال الاسكندر دي جراردين كما اعترف له بذلك عام ١٨٤٧

وصرف أيامه الأولى في الخدمة الكتابية عند احد الصيارفة . ثم انصرف فكره الى حيث تميل نفسه ، فسلک طريقة الادب والعلم ، الى حقيقة المجد والثروة . فنشر عام ١٨٢٧ كتاباً سماه باسمه ، ضمنه سيرة مولده ، وایام شبابه ، ثم شفعه بكتاب آخر سماه ( قطع بلا تابع من تاريخ بلا نهاية ) فصار له بذلك شأنٌ مذكورٌ في عالم الادب ، فولي تفتيش ادارة الفنون وانفق ساعات فراغه من أيام هذه الخدمة في ثقيف يراعه ، وتهذيب بيانه ، حتى صار ينفث بما يكتب سحرًا حلالاً . فامتحن قلمه بانشاء صحيفتين متعاقبتين ثم اخذ بوسيلة تقليل الثمن لتكثير الطلب ، فانشأ عام ١٨٣١ ( صحيفة المعارف النافعة ) وجعل ثمنها في العام اربعة فرنكات . فما مر عليها بضعة اشهر حتى صار لها ١٢٠ الف مشترك . ثم نشر جريدة ( المعارف الاولى ) وجعل قيمة الاشتراك فيها فرنكاً ونصفاً وانشأ من بعدها صحيفة ( متحف البيت ) وجريدة ( تقويم فرنسا ) مبتدئاً فيها بطبع مايون من النسخ واصدر بعد ذلك خوارط جغرافية للبلاد الفرنسية ، وجعل ثمن الواحدة منها نحو عشرين بارة موهما ان هذه المنشورات القليلة الاثمان صادرة عن جمعية متألفة لاطلاق الافكار من ربة الجهل . وما كانت الجمعية الا رأيه الثاقب ، مضافاً الى اجتهاده المستمر ،

ملحقاً بعزيمته الاكيدة ، فحصل له بذلك مال كثير ، واستفاد منه الناس  
نفعاً عظيماً .

ولكنه لم ير ذلك وافياً بالمقصود ، فانشأ عام ١٨٣٦ صحيفة ( بريس )  
صادرة عن رأي المحافظة في السياسة ، قائمة على دعائم سنن التدبير ، ووفرة  
رأس المال ، ورقّة التعبير ، فغير بها حالة الجرائد في بلاد الفرنسيين . فتداعى  
اليه الحاسدون اعداء من كل جانب يخطئون ويسفهون ، ويجعلون عرضه  
منديلاً ، فيقابلهم بيراعٍ يجهل الملل ، وبيان ينكر العي ، وعزم لا يعرف  
الضعف ، وافضت به المجازرة مع محرّر صحيفة ( نسيونال ) الى المبارزة فقتله  
عام ١٨٤٤ وعظم عليه الذنب فالى لا يبارزن من بعده انساناً . وكان قد  
انتخب لمجلس النواب عام ١٨٣٤ وانهم بالاحتيال في نيل الانتخاب وأعيد  
له ذلك عام ١٨٣٩ فرُفض بدعوى انه غير فرنسوي ثم تكرر انتخابه عام  
١٨٤٢ مزدوجاً في برغانف وكستلسارازين فقبل . وفي العام ١٨٤٧ وقع في  
الوزراء ، ورفع الى الحكم القانوني ، فلم يقض عليه بحد . ثم ظهرت له علام  
الثورة فسار الى الملك لويس فيليب صباح الرابع والعشرين من شهر شباط  
عام ٤٨ ورفع اليه تقريراً يسأله فيه بكلام قاطع ماضٍ ان يتنازل عن الملك  
ويجعل دوشيس درليان وصيةً وليّ عهده عليه .

ثم تحوّلت الاحوال ، وتبدأت الاشكال ، وهو اياه لم يتحوّل ولم  
يتبدّل ، ولم تهدأ حركة خاطره ، بل سعى في تأليف القلوب على رأيه  
الجمهورية ، ويقال انه هو الذي استمال فكتور هيكو شاعر الفرنسيين وموضع  
افتخارهم الى ذلك الرأي .

وبعد ان اختلس نابوليون الثالث ملك فرنسا بخيانتته المشهورة في اليوم  
الثاني من شهر كانون الاول عام ١٨٥١ نفي اميل دي جرّدين من بلاد

الفرنسيين في جملة الذين نقام الخائن من اهل الامانة والاستقامة وحب الوطن .  
 ثم مرضت حماته واستقدمته اليها فالتمس الاذن في دخول الارض الفرنسية ،  
 فأذن له . ثم نال الرخصة في الاقامة فاستعاد ادارة جريدته المشهورة الى عام  
 ١٨٥٦ ثم باع سهمه منها بثمانمائة الف فرنك وانشأ من بعد ذلك جريدة  
 ( ابيرته ) ومعناه الحرية وجعل ثمن العدد الواحد منها عشرة سنتيمات اي نحو  
 ٢٠ بارة فحصل لها اتم النجاح وبلغ عدد مطبوعها العادي ستين الفا ، وكانت  
 من كل وجه على ضد الحكومة الامبراطورية . وفي اوائل سنة ١٨٧٠ باع  
 جريدته من ابن اخيه بمليون فرنك ورام اعتزال الجرائد فدعته اليها حوادث  
 الوحشة بين فرنسا وبروسية ، فعاد الى الكتابة في الصحيفة يؤيد جانب الحرب  
 ظناً منه ان الدولة التي انفقت على الجندية سبعة مليارات في خلال عشرين  
 عاماً لا بد ان تكون قادرة على القتال ، فكانت الحرب وجاءت الحوادث على  
 خلاف ظنه فنقل جريدته من العاصمة الى بعض الولايات . ولما انحسرت  
 الحرب انشأ صحيفة ( اونيون فرنسيز ) ثم ولي ادارة الجريدة الرسمية ، وانشأ من  
 بعد ذلك جريدة ( لافرانس ) التي رُزئت بفقده في هذه الايام . وما برح  
 مؤيداً رأي الحرية القياسية حتى كانت حادثة السادس عشر من شهر ايار عام  
 ١٨٧٧ وحاول احزاب القهقري اعادة حكم الجناية فرماهم دي جراردين بسهام  
 من يانهِ ، تشق الصدور وتدمي القلوب ، فبعدت بذلك شهرته الى منتهى  
 ما يمكن التصور ، وصار من رونساء ذوي الوطنية على كونه من قبل زعيم ارباب  
 الجرائد ، ونصير ذوي الاقلام غير معارض . وقد قيل فيه انه بث المعارف  
 النافعة في الباب العامة بما اهتدى اليه من نقالين ثمن الجرائد ، وما امتاز به من  
 سلاسة التعبير ، حتى لو عودل صنعه بمئات من المدارس لكان هو الراجح  
 فسبحان الواهب الكريم .

ورأيناه أيام الرحلة والاعتراب في مكتب جريدة لا فرانس وفي مجلس  
النواب ، فشهدنا رجلاً اشاب الزمان فؤوده ، وما شاب فؤاده بضعف ،  
قصيراً ، مكتنزاً ، عريض الجبهة ، واسع المقلة ، نافذ النظر ، عادي الانف ،  
عريض الفم ، مليح الجملة ، لين الصوت ، وقيل لنا يومئذ ان ثروته تُقدر  
بملايين كثيرة فلمنا ان حرفة الادب وان لزمتهما الفاقة في بعض البلاد ،  
فهي عند الذين ذاقوا لذة المعارف ، واهتدوا سبيل العلوم ، باب النجاح ،  
ومفتاح الفلاح ، وطريق السعادة والهناء .

### الروسية والعدمية

أخذ قلة القيصر بما كسبت ايديهم ، وتعاقب الليل والنهار على قلوب  
ذويه ومحبيه من قومه ، ومن سائر الناس ، فهدت سورة الغيظ او كادت ،  
وانطفأت جمره الحزن الا قليلاً ، فان للناقد ان ينظر في امر العدمية ، ومصير  
الروسية ، بعين زال عنها الغشاء ، وارتفع الحجاب ، فهي تبصر المرئي كما وجد  
لا تلهو عن حقيقته بوهم ولا تلمس عنها مجازاً

ولا خلاف ولا ريب في شرية العدمية فهي على طرف التناهي من  
الاطلاق ، والتناهي من حيث كان يخرج بالخلق والطبع والخاصة من جانب  
الفضيلة ، الى حد الرذيلة ، فالخلق المسمى شجاعة معدود في الكمالات ، فان  
تعدى الوسط العدل الى جانب الزيادة فصار تهوراً ، او الى جهة النقص فصار  
جبناً ، فهو من المعائب . والطبع المسمى غضباً ان بلغ حد الافراط ، فصار  
شراسة ، او حد التفريط فصار نذالة ، فهو من المفاسد . والخاصة المسماة عفة  
تكون على وجه من التناهي شرهاً ، وعلى الوجه الآخر بلادة ، وهما من القبائح

سند المصنف  
١١١١

والعدمية بعيدة من الوسط العدل الذي هو الحرية  
ولكن لا يكون في عالم الوجود كائن ، ولا يتحرك متحرك ، الأبعثات  
الكون والحركة ، واسباب الوجود والنماء ، فإن الاتفاق ممنوع الأ في مخيلات  
ذوي الاوهام .

فلا بد للعدمية من سبب اوجب وجودها ، ومن سبب يوجب بقاءها ،  
فانه لا يصح في قياس عالم ، ولا يدخل في وهم جاهل ، ان الوفا من الناس  
معظمهم من ارباب المعارف ، وذوي المقامات ، ومن الذين لا يزالون في  
نصرة الشباب يتهاكون على الموت اعتباراً . ولا يتصور عاقل ، ولا يتوهم  
غبي ان جماعة من الناس فيهم كثير من الذين لم يتعودوا الشقاء ، ومن اللواتي  
يجرح النسيم حدودهن ، يذوقون من العذاب ألواناً ، يسجنون وينفون  
ويقتلون صبراً ، ولا يعدلون عمماً في ضائرهم ، ولا يقوهون بكامة مما في سرائرهم  
اخذاً برأي غير ذي موجب ، وقياماً بامر غير ذي علة .

يقول بعض الناقدين ما وجدت العدمية إلا بما نفث الكافرون المضلون  
في قلوبهم ، وما وسوس غلاة الحرية في صدورهم ، فقد زينوا لهم الضلال ،  
وسلكوا بهم طرق الغي

ومن كان الغراب له دليلاً .....

ولا نكر فساد ما يقول الغلاة من جانب التفريط في امر الدين ،  
والافراط من جهة الحرية ، ولكننا لا تقطع بترتب الاثر العدمي على ذلك القول  
مجرداً من سائر الاسباب . فانه غير منحصر الشيوع في بلاد الروسية بل هو  
فيها اقل منه انتشاراً في سائر البلاد الاوروبية ، فلو صح انه علة العدمية للزم  
ان يكون مركز دائرتها في اميركا ، او انكلترا ، او سويسرة ، او فرنسا ، او  
بلجيكا ، او غيرها من سائر البلاد التي لا قيد فيها الاقلام ، ولا حرج على الكلام

فلا بدّ للعدمية من سبب غير اقوال المضلين

اجل فانه ما انفعل الذهن بصورة مما تسمع الاذن ، او ترى العين ، الى حدّ ان يخرج به ذلك الانفعال عن طوره العادي الا ان تكون تلك الصورة منطبقة على واقعة حال . فليست من هذا الوجه علة الخروج عن الطور وانما هي منبهة لتلك العلة فلو لم تبد للذهن لاختلق التصوّر غيرها مما يماثلها كما هو معلوم عند اطباء في كثير من الاحوال . . فصورة الميت تهيج حزن التاكل ، وصوت المطرب يثير وجد الوهّان ، وايست الصورة علة الحزن ، ولا الصوت سبب الوله ، بل لو لم ترّا اكلة ميتاً لا بكاهها ذبول الغصن ، وغياب الشمس ، كما قالت الخنساء :

يذكرني طلوع الشمس صغراً فابكيه بكلّ غروب شمس  
ولو لم يسمع الوهّان غناء مطرب ، لأشجاه حفيف الاشجار ، وصوت الحمام كما قيل :

كيف السلو وما سمعت حماماً يندبن الا كنت اول باك  
فاقوال اهل الضلال لا تعمل في الاباب ، الا بمقدار ما تجد محلاً من واقع الحال .

وكيف كان السبب في وجود العدمية فلا شك ولا ريب ان الذي ظهر من آثارها ، منكر تبرأ الانسانية منه ، ويتجاني العدل عنه ، خصوصاً وان شرّها قد نزل بالقيصر الذي ما رأت له الروسية مثيلاً منذ بدت في عالم المدينة - بالذي مهد فيها سبل المعارف ، وفتح ابواب العوارف ، وانقذ الوف الالوف من ربة الذل والعبودية .

الا ان فساد مشرب العدمية وقبح آثارها ، وضلال سبيلها ، وثبوت شرّها ، كل ذلك غير مانع من كونها فرقة راسخة القدم ، قوية الشوكة ،

جديرة بالاهتمام . بل كل ذلك مما يوجب على دولة الروم ان تبصّر في  
امرها لتعلم حقيقة الداء ، فلتتمس له ما يلائمه من الدواء ، وهو الشأن الذي  
وسد الى الاسكندر الثالث مع تاج الملك .

واقدم أخذ القيصر الجديد نفراً من العدمية بدم ابيه وما خرج بذلك  
عن حد واجب الولد ولا تجاوز حق الامير . فبقي ان ينظر في الامر بغير  
العين التي رأى بها والده قتيلاً فيأخذ فيه بما يقتضيه حفظ الملك ، وصيانة  
الراحة ، وضرورة الاحوال . ولا نرى له في ذلك غير وسيلتين ثنتين - العنف  
واللطف - اي اخذ العدمية بقوة ، واقتيادها باحسان .

اما العنف في مثل هذه الحال فهو وان اقتضاه العدل ، ومالت اليه  
الأنفس الايية ، الا ان العقل والاختبار على ضده . واقل ما فيه انه ينقل  
العدميين من وجه كونهم ظلاماً الى كونهم مظلومين ، فتزداد قلوبهم فظاظاً ،  
وتميل اليهم نفوس اهل الشكوك ، فما يهلك منهم واحد الا حل مكانه غير  
واحد حتى يكثرت عددهم ، ويشدت عضدهم ، فتكون حجبتهم هي الغلبة ولنا في  
سير الاولين الف دليل على هذا الامر .

واما اللطف بالعدمية بمعنى اقتيادها باحسان الى الوسط العدل فيمكن  
الاعتراض عليه من وجهين : الاول انه يبعث على توهم الضعف والعجز في  
جانب الدولة . والثاني انه يطمع اهل الفتنة ويزيدهم شرهاً  
والنفس كالطفل ان تمهله شب على حب الرضاع وان تفضمه ينفطم .  
فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها ان الطعام يقوي شهوة النهم .  
فاما توهم العجز فلا يحصل في مثل هذا الامر الا عند قصار النظر ، وعلى  
فرض حصوله عند غيرهم فلا معرفة في كون المرء يعجز الا عما يكون به  
مصلحة لنفسه ولسائر الناس . واما طمع اهل الفتنة بما يرون من التسامح فلا

لنفي  
المراد

لنفي  
المراد

لنفي  
المراد

يحسن ان يكون مانعاً منه لبعدها مكانه في هذا الامر بل على تقدير ان يكون  
 قريب الامكان ، فلا اقل من انه يقطع المدد ، ويجبس العون عن العدمية .  
 يرى الناس شناعة ظلمهم ، في جنب محاسن العدل ، فيخذلهم كل نبيه ،  
 ويحتنّبهم كل عاقل ، ويزدري بهم كل من لم تنزل من قلبه شعائر الانسانية .  
 واذا بقيت العدمية مقصورة على عدد من الجهلاء الاغبياء ذوي النفوس الدنيئة ،  
 والاذهان السقيمة ، والمهم السافلة ، والقيم الضائعة ، فلا خوف منهم على  
 الروسية ولا غيرها من الممالك انهم يموتون حتف انوفهم متساقطين كما تساقط  
 اوراق الشجر فصل الخريف .

تقدم  
 بهجاء  
 ليرى  
 ظلمهم  
 حسب العدل

## تاريخ بابل واشور

الاديب البارع فني النباه جميل انندي نخله مدور

قد رأى احباء الادب ، وطلاب آثاره فرائد من هذا العقد منظومة  
 في جيد المقتطف الاغر فعلموا مكانه من النفع ، ومقداره من الحسن ، فما  
 نذكر لهم محبوباً ، ولا نصف مجهولاً ، وانما نمره على خاطرهم اذكراً .  
 افتتح نبينا سفره بمقدمة يذكر فيها اختلاف المؤرخين في بيان اصل  
 البابليين والاشوريين ، وما وقع في روايات قدمائهم من الاغاليط والخرافات ،  
 وفساد الاساطير ناشئة عن التهاوت على الغريب ، والتداعي الى العجيب ،  
 ملخصاً آراءهم بايجاز ، مبيّناً اوجه ضعفها عند اهل التحقيق ، مشيراً الى انه  
 اطرح المرجوح ، ونبذ المجروح ، من تلك الاقوال ، واخذ بما هو المعتمد من  
 تاريخ بابل واشور الى هذه الايام .

ثم شرع في الموضوع مبتدئاً بالتقسيم الجغرافي منه فذكر بابل ومدنها ،  
 واشور وبلدانها ، مبيّناً حدود الخطط والآثار ، مستوفياً وصف البناء ، معيناً

مواقع المدن ، مفصلاً ما طرأ عليها من حوادث الزمان من حين كانت مواطن  
 نعمة ، ومساكن هناء ، ومراتع انس ، وورابع جمال وجلال ، الى ان صارت  
 مأوى البوم والغراب ، موقتاً كل ذلك مؤيداً روايته بالسند المشهور ، موافقاً  
 بين الاسانيد ، جامعاً بين الروايات ينظمها في سلك البيان متناسبة متقاربة ،  
 ويوردها متواليه آخذاً بعضها برقاب بعض

ثم اخذ بالقسم التاريخي فأتى على جل ما في النية منه يسائناً لاحوال  
 السكان ، واطهاراً لعاداتهم واخلاقهم ، وايضاحاً لعقائدهم ومذاهبهم ، وكشفاً  
 لرموزهم واسرارهم ، وبسطاً لامور دولهم ، وتحوُّل الاحوال عليها ، سالكاً في  
 ذلك مسلكه في القسم الجغرافي من حسن الاختيار ، وتصحيح النقل ،  
 وتعيين السند ، وتأليف الروايات

ورأينا له في عرض ذلك مواخذات واستدراكات كثيرة على قدماء  
 المؤرخين تخرج بكتابه عن خطئة الحكاية على ما ألفه المؤرخون من العرب  
 الى مقام الرواية على الصورة التي رامها ابن خلدون في مقدمته وعزت عليه في  
 التاريخ فوددنا لو عم بالملاحظة قلب الاحوال ، وتبدل الاشكال ، ومظاهر  
 الاعمال ، لتعلم اسباب العلو فيها والهبوط ، والسعادة والشقاء ، والقوة والضعف ،  
 والعزة والخسف ، وكفى بالدهر مخبراً بماضيهِ عن آتية

وليس نفع هذا الكتاب مقصوراً على الموضوع التاريخي فقد وقف  
 عليه صديقنا الفاضل المنهوي الشيخ ابراهيم اليازجي ايده الله فهذب عبارته ،  
 وصحح مبانيه ، فجاء نقياً من الكلف ، برياً من الكلف ، قريب اللفظ على  
 بعد مرامه ، كثير الفرائد على استمرار نظامه ، لا يملئه القارى لفظاً ، ولا  
 يألوه الطالب حفظاً . فما ندري ونحن بين فوائده تأليفه ، وفرائد تحريره ،  
 اهو كتاب تأريخ لبيان حوادث الزمان ، ام كتاب ادب لا يبلي جدته

الجديدان

أجل . لقد نُظمت فيه الحاشيتان ، وادركت الغايتان ، فليطلبه من  
 رام من التاريخ بيان علم ، وليلمسه من رام من الادب علم بيان .

### قتيل هواه

هو الحب فاسلم بالحشى ما الهوى سهل . فقد اصاب فتى لا نسميه  
 اجلالاً لشأن ذويه ، فسعى الى قلب من يحب . ياتمس منه للضيف زاوية  
 فرأى في المكان ساكناً قديم العهد ، راسخ القدم ، رفيع المكانة ، فراوده عن  
 مسكنه بما يستطيع فالفى له اذناً عن ذلك القول صمماً ، ثم ارسل الى  
 العشيقه يقول اينا تريدان - قالت ما الحب الا للخبيب الاول فاصاب اليأس  
 منه قلباً اضعفه الوجد ، فآثر الموت على الفوت ، وعاد الى منافسه يقول اما  
 أن تخلي لي الجرّ او

انا والله هالك آيس من سلامتي

في هوى القامة التي قد اقامت قيامتي

فقال ما انت اول عاشق رأى المنية واسمها كحل ، من السيوف واسمها

مقل . فان رمت ان تحيا سعيداً فمت به

شهيداً والافرام له اهل

فانثنى الى منزله بقرطاس من البارود والرصاص يقول بيدي لا بيد عمرو

واطلق الفرد في جوفه فاقاه على الارض صريعاً ، فدار به الآل والاحباء

وجاءه الجرّاحون والاطباء

وهيات لا يجدي دواؤك للفتى اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فقد قبض فتانا عفا الله عنه يوم السبت الماضي قتيل صباهه ينشد

لسان حاله قول سلطان العاشقين  
وعش خالياً فالحب راحته عنا      واوله سقم وآخره قتل

### الانتخاب للمحاكم

يقال دع الامور منقاداً باعنة العادات انك لن تغير سنة الزمان فينا  
حتى يشاء الله ، بل وجب القول على امثالي ما استطاعوا اليه سبيلاً . وحاش  
لله ان اقصد احداً بالذات فيما اقول فلا ينظرن الي شزراً ، ولا يأخذني الناقد  
بما يصور له الوهم ، فما هي الا نصيحة الوطني تولته الغيرة على شأن الاوطان  
ان يلم به العابثون ، فان رأى احد من نفسه ما ينصرف به كلامي الى غير  
هذه الوجهة العمومية فليصرفه حتى ينصرف معه . فقد حان ابان الانتخاب  
لمحكمة البداءة ببيروت ولا نجد من انفسنا اهتماماً بهذا الشأن الخطير ، كأنما  
نحن لا نعلم ان ذلك هو المحور الذي تدور عليه امور الجمهور . بل نعلم ذلك  
ولكننا مصابون بداء الاثرة على غير قياس . ولعلنا لا ازيد احداً علماً بهذا  
الداء ان اعراضه فيما ظهر لاطباء الانسانية قسوة في الجلد لا يشعر معها المريض  
بحرارة حتى تمسه النار ، وخمول في المعدة لا يحس معه بالجوع حتى يأكله  
الطوى ، وحبسة في اللسان لا ينطق معها حتى يعدم سبيل الكلام ، وضعف  
في المشاعر الخمسة لا يرى معه ولا يسمع ولا يشم ولا يذوق ولا يحس الا اذا  
مس المرئي عينه ، والمسموع اذنه ، والمشموم انفه ، وهلم جراً وآيته كلمة نصر  
الدين فيما كان من حول داره . . . . .

فهذا الداء العياء ملئم بكثير مناً ولا نحاشي معظم الوجهاء والكبراء ، ان  
ناره لا تمس الجلد ، وريحه لا تبلغ الانف ، وصوته لا يضرب الاذن مبادهة ،  
ولكنه متعلق في كل ذلك بالغد ومن ذا الذي يعنى بالغد قبل وصوله ويهتم

بالامر قبل حصوله . .

وهذا شأن الانتخاب يُعرض فيقول نفرٌ منا لا نبالي به انا عصبية قوية لا نخاف على حقوقنا الضياع ، ويقول جماعةٌ غيرهم نحن اوساطٌ من الناس لا نعبث بحقٍ ولا نعرض للعبث حقاً فليتول الامر من شاء ، فلا ناقة لنا فيه ولا جمل ، ويقول سائرنا نحن للسابقين تبع كاطراف خرج لا تعدل ولا تميل ، فهذا الامر يعنيننا ولا يعنيننا فيكون كل واحدٍ متوكلاً على الآخر ولا يكون احدٌ قائماً بما توكل فيه عليه ، كصحبٍ قصدوا الصبح متكلاً بعضهم على بعض في الشراب والطعام فلما اتوا الروض لم يجدوا لديهم صباية كأسٍ ، ولا كسرة خبزٍ ، فابوا جوعاً عطاشاً مجهودين . ولو عول كل مصطبحٍ منهم على نفسه لشربوا هنيئاً ، واكلوا مريئاً ، وعادوا بالهناء والسرور .

اجل ان الانتخاب مخصوصٌ بفئةٍ معلومةٍ منا ولكنه من حق كل احدٍ ان يسأل عنه ويعني به ، ويمتس اخباره ، ويعلم منه الوجهة والمصير . او ليس ان الجالس على منصة الحكم يقضي في امور الضعيف كما يقضي في امور القوي ، ويمحكم في دعوى الفقير كما يحكم في دعوى الغني .

ولقد رغبتنا الى الطوائف - ويا حبذا لو امكن الجمع ولو تيسر منع هذا التفريق بحيث تكون رغبتنا الى ذوي الانتخاب جميعاً على اختلاف العقائد ولكن الواقع لا يعارض - قلنا رغبتنا الى الطوائف ان تشكل من نبياتها لجاناً للنظر في امر الانتخاب ، وانتقاء من يصلح للحكم ، ونزيد هذا العرض ايضاحاً وان عدة بعض الناس رجاء من دونه السحاب ، واملاً كما لمع السراب ، فنقول ينبغي لهذه اللجان ان تنظر في امر المعداد للانتخاب من كل وجه لتعلم ماضيه ودخيلة حاله ، وما لديه من علم ، وما فيه من حزم ، وما به من عادة وخلق ، وما يملك من اسباب المعاش . وليس هذا الوجه الاخير باقل من تلك شأننا

حرف  
الانتخاب  
بالرغبتنا

تشكيل  
لجان  
النظر في امر  
الانتخاب

فانه لا كفاء ولا سداد في ثلاثمائة وخمسين قرشاً لمن لا يستطيع لبس العباءة  
 في منصة الحكم . . فان قيل لا يشترط في كل نبيه نزيه صالح للقضاء في  
 الحاكم ان يكون من ذوي الثروة . قلت صدقتم بل لو وسد القول في ذلك  
 الي لما رضيت بما تذكرون استدراكاً . فما ضر لو بذلتم يا اولي الثروة ويا اهل  
 المكائنت ويا سائر الناس بضعة الاف غرش في العام راتباً للعضو الذي تنتخبون  
 ممن اسعده الادب ، ولم يسعده المال ، نقيه آفة الرشوة ونصونه عن ذل  
 المداراة ، وتكون بيده سيف كفاف ينتصر به للحق ، ويضرب في وجوه  
 نصراء الباطل ، وتحفظ لملككم ماءها ، ولمروءسيكم حقوقهم ، وللوطن بجملة  
 بهاءه . . ولكني مسست بما اقول عضواً مؤثراً وكأني بروؤوس تهتز ، من  
 فوق حواجب تتقطب ، من فوق اعناق تحول ، من فوق ايدي تمتد ، مفتوحة  
 الاكف الرد ، من فوق ارجل تسعى الى المنزل يطرق بابهُ فيقول الخادم  
 سيدي يقول لكم انه ليس هنا . . . . .

### الانتخاب للمحاكم ايضاً

لا يعدم المعيد في هذا الموضوع جديداً فهو مكان الحق ، ومقام الجزاء ،  
 ومحل الروح ، ومرجع المال ، ومحور الاماني والامال ، فكيفما قلبته رأيت شيئاً  
 خطيراً ، وايمان وجهته رأيت امراً ذا بال ، فيه للناقد نظر ، وللناظر نقد ،  
 وللرأي متسع ، وللمقال مجال .

فعهد الحق والمصلحة على الحاكم في امور الناس ان يصدع بما يأمر العدل ،  
 والعدل غاية لا يدركها الا من عرف الحقيقة ، وألف الفضيلة ، وانف الدينية ،  
 فالشرط فيمن يتولاه علم يخرج به عن حد النقص ، وفضل يدخل به في  
 جانب الكمال وعزة نفس تسلك به طريقة النزاهة ، الى حقيقة التجرد عن

يخرج بيان  
 دولة القضاء  
 لتفصيل الرشوة

العدل

سفاسف الامور . فما يصلح له الامعة وان كان اوفر من ( روشلد ) مالا ، ولا  
يجدر به دنيء النفس وان كان افصح من ( لاشو ) مقالا .

ولنا فيه لنا نحن الذين قضى نكد الطاع باختلاف مشاربنا ، وتباين  
مذاهبنا ، شرط لا يلزمه في غيرنا من الاقوام ، ألا وهو التجرد من خشونة  
التعصب في امر الدين بحيث لا يكون في مقام الحكم وكيل فقة ، ونائب  
عصبة ، وحامي نخلة يدرأ عن ذويها ما يكرهون ، ويجلب اليهم ما يرومون ،  
غير مبال بطريقة ذلك الدرع ، ووسيلة هذا الجلب ، كما نراه في كثير من  
ارباب الحكم ، والعيان يغني عن البرهان .

ثم اذا توفرت هذه الشروط فيه لم يسقط عنه واجب التيسير والتجويل  
بما يمنع من التدقيق والتحقيق ، فمن اضاع الوقت فقد اضاع مالا ، وافسد حالاً ،  
وشوه مالا . ولا نختص بهذا القول هيئة الحكم في بيروت فهي من هذا  
القبيل على نحو ما يرام . وانما نشير به الى هيئة الاتهام في مركز الولاية ولا  
ننسى من مثله دائرة التمييز في الاستانة فقد ترسل اوراق الدعوى الى تلك  
الهيئة فتطرح الشهر والشهرين وما فوق ذلك الى العام في زوايا الاهمال ،  
ويرفع الحكم الى هذه الدائرة فيلقى به العام والعامين واكثر من ذلك في  
بحار النسيان ، حتى انه ليحجر على المظنون به ولا ترد التهمة حتى ينقضي اجل  
الحد بل ربما قضى الايام الكثيرة في السجن ثم برىء من التهمة رأساً .  
وانه ليحكم على المجرم بالسجن ، وتنتهي مدة الحكم ، ولا يرد الاثبات او النفي  
او الابدال من دائرة التمييز .

هذه عريضتنا لمقام العدلية الجليلة ، وتلك تذكرتنا لاصحاب الانتخاب ،  
فليقصدوا فيما يرومون حرصاً على مصلحة الكل مترفعين عن الآراب الذاتية ،  
ذاكرين تبعة الخلاف وان الرأي العام لهم بالمرصاد .

## الذات والمنصب

صاحب الخطة الحكيمية فيما يعبر عنه الاوروبيون رجل عمومي والمراد بذلك انه واقف نفسه للناس عموماً بما يقول وما يفعل فهو من هذا الوجه عرضة للنقد العمومي لا يملك من شأنه الذاتي ما يملك سائر الناس، ولا يسامح فيما لا جناح به عليهم، ولذلك نرى ارباب الامر واهل المقعد والحل حراساً على الحكمة والدقة بما يقولون جواباً او خطاباً، علماً منهم انهم في مقام النيابة عن الكافة، فلا بد لهم من اجتناب النطق بما يخالف رأي العموم، فان عرض لهم في عرض امور الخطة شأن ذاتي فهم يحتزون فيما يصدر عنهم فيه بكونه متعلقاً بالارادة الذاتية، منحصرأ بالصفة الخصوصية، بمعنى انهم يتجردون فيه عن شأن المنصب، وصفة الوظيفة، بل ربما استدرك عليهم في ذلك ايضاً ولم يكن هذا الاحتراز مانعاً من مواخزتهم فيه لصعوبة الفصل بين الذات والمنصب، ولان العامة لا تدرك الا الظاهر من الامر، ولا ترى من حقيقة المنصب الا الصورة التي هي عين الذات. فالامر والعامل والمأمور وسائر ذوي الخطط العمومية؛ لا يخرجون من مكان النقد بحال من الاحوال ما لم يتجردوا عن حقيقة المنصب فعلاً.

وليست الاخلاق والحاصل الذاتية بخارجة عن هذا الحد المطلق في ذوي المراتب، بل هي من اركان الاختيار، وقواعد الحكم في احوالهم للصلة التي بينها وبين شرف المنصب وآثاره، فقد اشترط في صاحب الخطة العمومية ان يكون عفيف الذيل، ظاهر اللسان، متأنياً متبصراً ليناً في غير ضعف، متمكناً في غير كبر، بعيداً من النزق والغضب، شديد القلب، قوي النفس في غير

عنف ، لثبوت ان خلوة عن هذه الصفات او وجودها معكوسة فيه يضع من قدر المنصب ، ويفسد ما يترتب عليه من الاثر . ولا يصح القول باستواء الرجل العمومي وغيره من سائر الناس في هذا الامر ، فان الشراة وان كانت ذميمة على الاطلاق ، فهي في اهل المراتب اشنع وانقطع آثاراً بما فيهم من القدرة على نيل ما تدفعهم اليه . والتبذل وان كان مكروهاً في جميع الخلق ، الا انه في ذوي المناصب اقبح واوضح اضراراً بما لهم من القوة على الاخذ بما يعشهم عليه . والكبر وان كان منكراً في كل ذات فهو في اهل الخطط اظهر انكاراً واوفر شراً بما لديهم من اسباب التعامل به على كثير من سائر الناس وهلم جراً . فسطرة المنصب تعين الشره من ذويه على ارضاء الشهوة بما يغضب الناس ، وتسعف التبذل في اصابة الاعراض بما تنفر منه النفوس ، وتزيد المتكبر ثقلاً وتأثيراً وبيلاً في القلوب ، وتصونه في كل ذلك عن ان يقابل بمثل ما يفعل وما يقول . فيكون من وراء حد العدل على كونه منتدباً لاقامة هذا الحد

وجملة القول ان الاحوال والحاصل المنكرة او المكروهة في صاحب المنصب ، حاصلة في مقام المواخذة والنقد من وجهين - وجه الذات ووجه المنصب - فهي مزدوجة الكراهية مضاعفة الانكار من هذا القبيل . بل هي فوق الازدواج والمضاعفة بما يلزم عنها من عموم سوء الاثر . ومعلوم ان مغايرة القانون ينظر اليها اولاً من حيث هي هي ، ثم من وجه ما يتعين عليها من الاثر ويكون جزاؤها من اي نوع كان بقدر ما يحصل في ميزان الحكم من مجموع الوجهين .

### فضيلة الجود

فضل الوجود وحسن الظن بالمعبود . فما اوضحها مظهر اللهم وما اعد لها

قسطاساً للقيم

فات انتم اوغرتم فتعففوا وان كان فضل المال فيكم فأفضلوا  
 اذوا وزبعة الانسانية ، وفريضة المدنية ، فهي التي اتكم هذه النعمة  
 من حيث تعلمون ولا تعلمون . والا كنتم كالصفر من وراء الارقام تسودون  
 صحيفة الوجود ولا تفيدون فيه خيراً ، فتتفر منكم القلوب ، وتميل عنكم  
 الانظار ، فتصبحون من قصوركم في محابس لا يمر بها نسيم القبول ، ولا تعطف  
 عليها غصون الاقبال ، فتموتون وانتم في الاحياء غير مأسوف عليكم وغير  
 مذكورين . لم تدركوا من اللذة الا ما يدرك سائر الحيوان ، ولم تشعروا بما  
 يلازم النفوس الذكية من هناء المعروف والاحسان ، فما انتم من الانسانية في  
 شيء وان كنتم في الصورة الظاهرة من نوع الانسان .

انت للمال اذا امسكته واذا انفقته فهو لك

روت لنا جرائدهم ان قد مات في لوندريه « السرجوزف مازون » بالفا  
 من العمر ثمانين عاماً عن مال كثير ، وشأن رفيع ، واحدوثه طيبة يذكرها  
 له الناس ، وهو ابن سعيه كما يقولون لم يرث من ابيه مالاً ، ولم يصب الثروة  
 اتفاقاً ، بل كان اول الامر من المهنة ثم اخترع الاقلام الفولاذية ، فصادفت  
 عند الناس حسن قبول واقبال ، فاتسع بها مورد رزقه ايما اتساع ، فانشأ لها  
 عدة معامل في برمنغام ، واقام على السعي والاجتهاد حتى نمت ثروته ووسعت  
 دنياه ، فقاء نفسه الى المحامد وصرف خاطره الى المكارم ، فانشأ في برمنغام  
 من المدارس والملاجىء والمستشفيات وسائر المنافع العمومية ، ما كان مبلغ  
 النفقة عليه اربعين مليوناً

وقد كان لهذا الجواد مشهد عظيم لم يشهده الناس تزلفاً لآله ، او

تقرباً من الوارثين ، فانه رضى قبل وفاته بزوجه وولده وحيد ثم مات بلا

خلف ولا اهل يرثون ، وانما خرج الناس في مشهدهِ إعظاماً لشأن المكارم ،  
واجلالاً لقدر المآثر ، واعلاءً لمنار الانسانية .

ان الحياة مزارعٌ فازرع بها ماشئت تحصد  
والناس لا يبقى سوى آثارهم والعينُ تفقدُ

وكتب رحمه الله بعنوان

### عيد ١٤ تموز في باريس

لقد وجدتُ مجال القول ذا سعةٍ فان وجدتُ لساناً قائللاً فقل  
فهو المعجب لا يوم هناء النعمان ، وهو المدهش لا النوروز ولا المهرجان .  
وهو مجلى النفوس الذكية ، وهو مظهر الوحدة الوطنية وليس الخبر كالعيان .  
ولقد رأيتهم فيه الوفاً صنوفاً مندققين في المسالك والساحات ، فما البحرُ  
هائجاً رهيباً باعظم مما رأيت . وسمعتهم فيه ينادون باسم الوطن والحرية  
متفانين صياحاً فما الرعدُ محلول النطاق باشد مما سمعت . وشهدتُ فيه  
باريس مزدهرة المنازل مزدانة الابواب والجدران في الروضُ بدت شقائقه  
الحمراء بين غصون آسه الخضراء تلي زهور ياسمينه البيضاء بابهي مما شهدت .  
وعاينت ثم افواس الانتصار ، وسهام النار ، معقودة الاطراف بعقود الانوار ، في الافق  
تبددت عنه النجوم وتجلت فيه النجوم . دائرة بدارة البدر الأمثال ما عاينت .  
ولا تتهمني بالغلوت فان ما اقول الا كما رسم المصورون الروض ، ووصف  
الفلكيون الافق ، وكما مثل الماء النجوم . وتخيل ان كنت في ريب مما اقول  
عشرين مائة الف من اذكى الخلق نفوساً ، واحب الناس لاوطانهم ،  
احد من خلق الله افكاراً ، في فسطاط من اعظم المدن فناً ، واحكم البلدان  
بناً ، واكثر ما بنى الانسان آثاراً ، يوم عيد يعيد اليهم النجاة من الذل ،

والوصول الى العز والسلامة من البلاء تذكراً ، وتصوراً لتلك المدينة شوارع  
 مغروسة الجانبين اشجاراً ، منسوقة الرصيفين انواراً . وساحات رفع فيها الجد  
 لكل ذي فضل لواء ، واعلى الفضل لكل ذي جدٍ مناراً . وتمثل في تلك  
 الشوارع والساحات مئات الف كباراً وصغاراً . يتسابقون فيها الى مجالي  
 الهناء ويتواردون على مظاهر السرور قطاراً . وقد ركل كل منزل صحبة الوبة ،  
 ولكل نافذة وباب عقد اضواء ، ولكل ناطق لساناً يهني فيه بالعيد جهاراً .  
 ثم تأمل جملة ما تصوّرت ، تر الحقيقة من فوق ما ذكرت . ولا تمر  
 على الخيلة من بعد هذه الغرائب ، وما يتخللها من مظاهر الحسن ، وتجليات  
 الانس ، ومطالع الجمال والكمال ، فاني اخاف اثر الفتنة مما ترى من فائزات  
 الاجفان ، ودهشة الطرب مما تسمع من مطربات الاحسان ، فثم الوف من  
 كل من

بدت بدرأ ومالت غصن بان وفاحت عنبراً ورنت غزالا  
 يتبارين الى اللهو كما تبارت غزلانُ بيرين في المراتع ، وتجلين في الصفوف  
 كما تجلت بدور الافق في المطالع ، وصفوف من كل من  
 اذا ما هزه ذكر المعالي تدفق كالجواد رأى مجالا  
 يسرون على نسق ، تشق حراهم فواد العسق ، وبين ايديهم ارباب  
 الاحان ، ينشدون على الآلات اغاني الاوطان . وهناك ما لا رأت العيون  
 ولا سمعت الآذان .

### مصر

خلاصة اخبار ورسائل

اذا سرت نارُ الغيرة في القلوب ، وارتفع منار الحمية في النفوس ، وانقدت

انوار العرفان في الاذهان ، وطلعت اثمار الحرية في آفاق الالباب ، فبشر  
الاطوان بحصول الاوطار .

ولقد سرّت هاتيك النار ، وارتفع ذلك المنار ، وانقادت تلك الانوار ،  
في قلوب نقّلت من قبل على جمر الاصطبار ، فلورأيتها والسماكدون ما تروم  
ارتفاعاً ، وجبهة الليث اقل ما تلتمس امتناعاً ، واعالي المعالي اقرب ما تسعى  
اليه ، ونجد المجد ادنى ما تحوم عليه ، لما سفت على زمان انفقته في احياء  
الهمم ، ومساع بذلتها في اعلاء القيم ، بحجة غرّ ميامين

من كل ذي حكمة ومحمدة بيضاء يجلو ضياؤها القسقا

وكل ذي همّة تهّم بها يدني الامان وبعد الفرقا

وكل ساع الى العلى عنقا غير طريق الصلاح ما طرقا

وكل داع للفضل حجته فعل يعزّ الذي به نطقا

فرحبا بالغيرة من عائد عادت به صلة الحمد ، واهلا بالهمة من خاتمة خير  
فتحت بها فاتحة الحمد ، ولا سقى الله اياما ، كان بها نور القلوب ظلما ، ولا  
رعى الله عهدا ، كانت بها حركة الافكار ربودا ، فقل ما اردت انك لا تعدم  
الآن مجيبا ، واسأل الله وايانا عوننا كريما ونصرنا قريبا .

### الاصلاح

ليس ما نورده تحت هذا العنوان تابعا للمطلب السابق وانما هو استطراد  
اجنبي منه ، وان لم يكن بعيدا عنه ، فقد رأينا في الجريدة الرسمية بدءا فصل  
في ادب المأمورين فحسن لدينا ايراد مؤداه ، وما يحتمل مقتضاه ، في عرض  
ابحاثنا الاصلاحية تأييدا للرأينا الضعيف بالكلمة الرسمية .

قالت الصحيفة المومنا اليها ان الدين يرتكبون القبائح والجنايات يرتبونها

على صورةٍ يحسبونها خافيةً على كلِّ انسانٍ، ولذلك لا يبالون بما يرتكبون ٥٠  
 صدقت وبالحق نطقت أو ما نراهم بينون القصور على الديار التي خربوا،  
 في جوار البيوت التي نكبوا، بريع الاملاك التي سلبوا، ودخل الارزاق التي  
 غصبوا، ثم يمشون مرحاً على اعناق الرجال، بين عويل النساء ونوح الاطفال،  
 ثم تظلم نفوسهم في المراتب العالية، والمقامات السامية، ثم يدور بهم المنافقون  
 دورة القيود بارجل السارقين، فبعداً للخونة وبعداً للمنافقين

ثم قالت على انه ثبت بالوقائع والتواريخ الكثيرة انه لا يوجد بين الافعال  
 البشرية ما يبقى في عالم الخفاء بدون جزاء ٥٠  
 فيا حقيق الله ظنّها بكشف الستور، عن اهل الفجور، وان كان في  
 الامر نظر من نحو قول الشاعر:

معلّاتي باقرب والموت دونه اذا مت عطشاناً فلا نزل القطر  
 فبئذا الكشف العاجل، وحبذا الجلاء القريب، يوم تسود وجوه  
 الظالمين بما قدمت ايديهم، وتغل ايدي لصوص الحقوق بما كانوا معتدين،  
 فويل يومئذ للكاذبين، وويل للظالمين .

واوردت بعد ذلك ما شاء الله من الترغيب والترهيب، والانذار بعذاب  
 يوم رهيب، وهو كلامٌ روحاني يؤثر ولا شك في بعض القلوب فيهدى به من  
 ضلّ اغتراراً، ويتوب من انقصاد للشر اضطراراً، الا ان الذين يتزلفون الى  
 اهل الصلاح رياءً . واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا بهم مستهزئون، والذين  
 استحكمت صبغة الخيانة في قلوبهم فهي فيها من الملكات، والذين غرهم  
 الاغضاء عما يجترمون فقالوا العدل فات، والحق مات، كل هولاء لهم آذان  
 عن النذر الروحاني صماء، فلا بد في امرهم من عاجل العقاب، وسريع العذاب،  
 ولكم في القصص حياة يا اولي الالباب .

ثم قالت ما نوردهُ بنصه . انا نرى الذين يطلبون الانتظام في سلك  
 المأموريات والكتابات كثيرين على اننا لا نرى عدداً كثيراً ممن هم اهل  
 للمأموريات يراعون الاستقامة والامانة ، ويحافظون على خير الامة والوطن ،  
 ويعلمون ان ذلك خير ثروة يحصلون او يفتخروا بقصدون ، ألا ترى كثيراً من  
 الذين يعينون لاحدى المأموريات ، وربما لكتابة لا اهمية لها يحسبون انفسهم  
 مكلفين لوضع خادم ، وامتلاك دابة ، وفعل عظيمة ، يساوون فيها العناء  
 والاغنياء ، فيتهافتون على الارتكاب تهافت الذباب على الطعام فيصيبون قسماً  
 مما يأملون ولكن ذلك يعود عليهم بالوبال . ٥١ .

وهي حقيقة رهيبه كلما بعد منها الرب دناء اليأس من قلوب احباء  
 الوطن . فان الكثير ممن يترشحون للمناصب والخدم ، لا يدخلون مجال الامتحان  
 بسابق من العلم والاستحقاق وانما يتسورون خطة المنصب على حبال الاحتيال ،  
 وهم الا النذر القليل ممن ينطبق عليهم قول حكيم الشعراء

اني لا غمض عيني ثم افتحها على كثير ولكن لا ارى احداً

وان كثيراً من اولي الخطط على اختلاف مقاديرها ، لا يرضون بالعطاء  
 والاغنياء انداداً فيما يستكملون من اسباب الابهة والاجلال ، فاتبعت تحت  
 السوابغ في حمير ، ولا دارا ولا كسرى ولا قيصر ، باطمع نفساً في المعالي ،  
 واشد ميلاً الى التعالي ، من كويتب منهم يجري على خادمه من الرزق مقدار  
 راتبه الصحيح وهناك رتب منيفة ، والقاب شريفة .

القاب مملكة في غير موضعها كاهر يحكي انتفاخاً صوراً لاسد

وما يؤثر في هولاء الذئاب ، تمثيلهم بالذباب في التهافت على الطعام ، الا  
 ان يدس فيه سم العقاب ، فيضرمه في بطون الآكلين ناراً . وما يخيفهم  
 التهويل بعود الوبال عليهم الا ان يكون الفعل تلوا الوعيد .

فجزى الله صحيفتنا الرسمية خيراً ، ان بحثها في ادب المأمورين على ما  
لكلامها من القوة قد احيا ميت الرجاء ، وحفظ بقية الامل ، فهي صادرة  
عن رأي من اذا قال فعل ، ولا زالت مويّدة بالصواب فيما تظهر من مقاصد  
ملجأ الولاية الهام ، التي هي غرّة في جبين الايام بظل ولي النعمة سلطان هذه  
الامة اعزّه الله ، ووقفه لما يرضاه .

### الشرطة والبوليس

اذا اراد الله بقوم خيراً جعلهم على رشدي من احوالهم ، وبيّنة من  
امورهم ، وصفاء في نياتهم ، ونبالة في غاياتهم ، فتألف قلوبهم ، وتجتمع كلمتهم ،  
ويعنى كل واحد منهم بما يكون فيه مصلحة للكل فتشملهم النعمة ، وتعمهم  
السعادة ، فينالون الحسنى وزيادة .

ولا نقول ذلك تعريضاً بعكسه فيما رأيناه من اختلاف الكلمة ، وتفرق  
الرأي ، وتنافر النفوس بين رجال الشرطة والبوليس في هذا الثغر . فان  
القلوب لا تزال تحدثنا بان الذي جعلنا في اخصب ارض ، تحت اصفى سما ،  
على اعذب ماء ، تبارك وتعالى لم يرد بنا الا الخير ولكنها تذكركم لقوم يتبصرون .  
وقد المعنا من قبل بما كان واقعاً بين فريق خفارتنا ووقايتنا ، وصيانة  
ارواحنا واموالنا من الشقاق والعداوة ، اذ اقتصر كل فريق منهم على معاكسة  
الآخرين فيما ينتدبون له من الاعمال ، فوقفت بذلك ارجلهم جميعاً الا عن  
السعي فيما تدعوهم العداوة اليه ، وانقبضت ايديهم الا عن التناول الى ما  
تحملهم الشحنة عليه ، فاشتغلوا بانفسهم عن كل شغل لم يبالوا بضياح الحقوق ،  
ولم يعبأوا باعمال الواجبات . ولو كان ذلك منهم او من بعضهم مجرد حرص  
على المصلحة العمومية او رغبة في تأدية الواجب ، او نفور من التناضي ، او

استنفاً من الحياة ، لكان في الامر وجه توجيه الى الخير . ولكنه ناشى عن  
البغضاء والعداوة الذاتية محضاً بل قال قوم انه مترتب على التعصب في امر  
العقيدة وهو البلاء الذي نموذ بالله منه .

وكان في ما مولنا ان رئاسة الضبط في ولايتنا تضع هذا الامر الخطير  
موضع النظر والتحقيق لتكون على علم بالخيلة فتعاقب اهل الفساد بما يستحقون  
ثم علمنا الآن ان قد صدر الامر من جانب الاي الضبطية مبنيّاً على انهاء  
رئيسها في بيروت بنقل رجال بوليسها جميعاً الى دمشق واستبدالهم بمثل عددهم  
من بوليس دمشق غير اننا لم نعلم سرّ هذا الامر ، وهل نشأ عن ظهور قصور  
البوليس بالبحث والمحاكمة ، ام ترتب على كمال الاقتناع بقول جناب الرئيس .  
فان كان الأوّل فلا اعتراض لنا ولا امنية الا الوقوف على نتائج ذلك البحث  
ليكون في بيانها عبرة لقوم آخرين . وان كان الثاني ففيه لا شك نظر .

وكيف كانت الحال فان ابدال رجال الدرك جملة في بلد من مثل  
بيروت حقيق بمزيد الاهتمام والدقة . ان البوليس القدماء عارفون باحوال  
المدينة ، خبيرون بعبادات اهلها ، قادرين على كشف الغوامض ، واقفون على  
اسرار الحوادث ، بخلاف من يجيء مكلّهم جديداً غريباً لا يعرف شيئاً من  
تلك الاحوال والعادات ، والغريب اعى وان كان بصيراً . ولسنا نروم بهذا  
القول دفاعاً عن البوليس المستبدلين ولكن شأنا بيان وجه المصلحة من حيث  
كان لا يخاف فيه ملاماً ، ولا نسال عنه اجراً ، ومأمولنا في عناية ولي امر  
الولاية الهمام اصدار ارادته الكريمة بما يلائم الحال ، وما يؤمل منه حسن المال .

### وداع الصحفيه

«واستقدمه المرحوم شريف باشا وزير مصر المشهور من بيروت في اوائل

عام ١٨٨٢ فولاهُ وظيفة ناظر الانشاء والترجمة بديوان المعارف ثم صدر له  
الامر بالتفرغ للنظر في مهام وظيفتيه الرسميتين والانقطاع عن الجريدة فامتثل  
وعهد في ادارتها وانشائها الى جامع هذه الاثار وكان قد عاوده شي من الداء  
فودعها بالمقالة الآتية قال رحمه الله :

« فني ودعينا قبل وشك التفرق »

وان كنت ارجو الحياة الى حين نلتقي فما باعدتك اختلافاً الى سواك ،  
وما فارقتك انحرافاً عن هواك ، فاني  
خلقت اوفوا لورجعت « لصحتي » لفارقت « سقمي » موجع القلب باكياً  
فكيف وانت الحديقة التي غرست فيها غصون ادابي ، وبذلت ماء  
شبابي ، وانفقت دينار قوتي ، وصرفت مدخر صحتي ، حتى نمت هاتيك  
الاغصان ، وصار عليها من كل فاكهة زوجان .

وانت الطريقة التي ادّرت في سلوكها الليل ، وشمرت له الذيل ،  
وعودت به القدم خوض الاهوال ، وعلمت النفس اقتحام الاوجال ،  
حتى سهل الصعب عندها وهان ، فلحقت بمنزلة اهل العرفان .  
وانت الصديقة التي واستني في الضراء ، ووزادتي فرحاً في السراء ، وصرفت  
عني الضجر في الوحدة ، وازالت عني الكدر في الشدة ، حتى اجتنبتني  
صروف الحدثان ، ولم يبق للنفوس في القلب مكان .

وانت الرفيقة التي الفتها والعمر في نضرتي ، والشباب في مبتدأ قوتي ،  
فلزمتني في الاقامة ، على الهناء والكرامة ، وصحبتني في الغربة ، ايام العناء  
والنكبة ، حتى عاد لنا الزمان ، بعد البعد والمهجران .

ولكنها خدمة حبست بقيمة العزم عايتها ، والتزمت الانقطاع اليها ، وهي  
دين لازم الوفاء ، وهي حق واجب القضاء ، على انها من تجلياتك في

المقصود منها ، ومن مظاهرك في الناشء عنها ، فهي انت ولكن تغير الاسم ،  
وانت هي ولكن تبدل الرسم ، فباني يارعاك الله اولياءنا المحسنين ، ونصراءنا  
الخبرين سلام محبة يذكر نعمتهم ، ولا يهمل ان شاء الله خدمتهم ،  
وان تذكر اياماً بها سلفت يقول بالله يا ايامنا عودي

## منتخبات التقدم

للمرة الثالثة

مسلك الجريدة

من عادة ارباب الصحف من الاوروبيين انهم يتدثرون جرائد ثم بتعيين  
مسلكهم في التحرير ليتضح فيا من قراؤها التيه في مفاوز الجهول ، ويكون  
كتابها على علم يقين وبينية واضحة مما يقولون ، فلا اولئك يتلقون شيئاً  
يجهلون غايته ، ولا هولاء يتدثرون قولاً لا يعلمون نهايته ، وعلى هذا السنن  
جرينا في ايضاح مسلك التقدم كما سيجي .

وقد كانت جرائد الاوروبيين ( ايام كانوا في دور الطفولية من عمر  
النجاح ) مختلفة المواضيع ، متنوعة المطالب ، غير مقصورة على فن ، وغير  
محصورة في باب ، فكانت الجريدة الواحدة علمية وسياسية ، وادبية وصناعية ،  
وتجارية ومالية معاً ، يطلبها العالم ، ويقرأها المتعلم ، ويجد فيها كل اناس  
شيئاً مما يرتاحون اليه . وهذا وان كان في ظاهر الامر مزية في الجريدة الا  
انه مانع من استيفاء المطالب فيها ، واعطائها حقها من البحث ، فما عول الافرنج  
عليه في صدر تمدنهم الا لضعف موارد الادب عما يقتضيه تكثير الجرائد من  
سعة النفقات . وهذه حالتنا الآن الا في النادر النسي لا يقاس عليه . فان  
جرائدنا سياسية في باب السياسات ، ادبية في مطلب الادبيات ، صناعية تجارية

زراعية مالية على اختلاف الحالات ، وهي ضرورة مبرمة فن لنا بيد تقوى على  
رد الضرورات .

فمقصدنا السياسي تأييد الوحدة العثمانية من طريق التآليف بين قلوب  
العثمانيين ، والمدافعة عن مصالحهم من غير مبالاة باختلاف احوالهم وما يعتقدون .  
ولنا على وجوب ذلك حجة بالغة ، وعلى منفعتة دليل صريح .

فالوحدة العثمانية واجبة لأنه لا بد للامة المختلفة الاصول من وحدة  
تجتمع الكلمة عليها ، ورابطة تؤلف بين القلوب ، ومرکز تنتهي اليه خطوط  
القوى . وليس للامة الداخلة تحت النسبة العثمانية من جامعة ممكنة غير تلك  
الوحدة المذكورة ، فانها موجودة والموجود لا يُترك للمفقود . ثم انها متصلة  
الحاضر المنظور بتاريخ قديم مذكور ، وهي صفة لا بد منها ولا غنى عنها في  
قيام الدول

وهذه الوحدة نافعة لما يلزم عنها من بقاء الاستقلال ، والاستقلال حياة  
الامم . ولأنها اذا حصلت على الوجه الذي نتصوره من الصفاء والسواء كانت  
سبباً قريباً في زوال الإحن والعداوات ، وتآلف القلوب والافكار فيقوى بها  
جانب الامة كما يقوى جانب الدولة ، ولا قوة لها من غير هذا الباب .

فمن تأمل ما قد مناه ، وعاد الى نفسه ناظراً في العواقب ، لم يذهل عن  
احترازنا في تصور الصفاء والسواء في الوحدة كما هو المعهود والمشهود بمقاصد  
الحضرة السلطانية ، ورجال دولتها العلية ، كان ولا شك على رأينا في هذا  
المقصد السياسي الوطني محضاً

واما مقصدنا الادبي فهو تعميم التعليم بتقريب المعاني الادبية ، والقضايا  
العلمية لافهام العوام ، وايصالها لاذهانهم من طريق الصراحة المطلقة في الكلام ،  
بحيث تكون عباراتنا الادبية والعلمية قريبة المأخذ ، بعيدة من مواضع الإشكال ،

الاصول

الاصول

الاصول

الاصول

الاصول

ما لوفته تصل الازهان ، بمجرد دخولها في الاذان ، ظاهرة تكاد تلس بالايدي  
وتنال بالابصار . واكثر ما يرد في منشوراتنا من قضايا العلم وضروب الفنون  
والآداب ، يكون للعمل اقرب ، وفي الاحوال المعاشية الزم ، وبالبادي الكلية  
اخص من نحو علم الاخلاق ، واصول التدبير ، واساليب التعلم والتعليم ،  
وواجبات الافراد والجماعات . وغاية مجهودنا فيه ان يحصل نافعاً للعامة ، مقبولاً  
عند الخاصة ، بألفه الصغير ، ولا ينكره الكبير ، وينتفع منه مبتدي ، ولا  
يسأمه المنتهي . فيكون له في مكتب التاجر مكان ، ولا يعدم في قنطرة المدارس  
محلاً ، ويجد في غرفة المتنعم موضعاً ولا يفقد في خدر الغانية زاوية . ثم انا  
نجنب في كل ذلك ما يمس العقائد ، وما يجلب الخلاف ، وما يمكن ان  
يؤخذ منه تعمد الطعن في جماعة معلومة من الناس . انا نحترم الافكار بلا  
استثناء ، ولا زوم الا تأييد الحقيقة ، ورد الوهم من حيث جاء

واما مسلكنا في الرواية فهو نقل الاخبار من مظان الصحة ، ومواضع  
الرجوح ، والتثبت فيها قبل النشر ما امكن ذلك في صحف الاخبار بحيث لا  
نخطيء الا معذورين . ثم انا نتخير منها ما كان بمصلحتنا امس ، وبلادنا  
اقرب ، وباهتمامنا احق ، مبتدئين باخبار بلادنا العثمانية ، ثم باخبار سائر الممالك  
الشرقية ، ثم باخبار البلاد الاوروبية ، اقربها قبل القريب ، واهمها قبل المهم  
معتلين في كل ذلك على الصحف الخطيرة المشهورة بصدق الرواية واعتدال  
الرأي .

واما الاخبار التجارية والمالية وسائر ما يتعلق بالحوادث اليومية ، فاننا نأخذها  
من اصح المصادر ، وصدق الروايات عامدين فيها الى السرعة بقدر الامكان  
وكل ذلك وان كان فيه اجمال عمومي بقصد الجريدة ومسلكنا في  
تحريرها ، الا انه لا يوجب ارتباط محرريها جميعاً برأي واحد في المواضيع

المتنوعة فربما اختلفوا في التفاصيل بل ربما اختلفت آراؤهم في الاصول، وكل ما أخذ عليه فيما يقول . فذلك مما تقتضيه حرية الآراء وذلك هو المعول عليه في اقلام التحرير باعظم جرائد الغرب .

فهذا مسلكنا اوضحناه ، وهذا مقصدنا اظهرناه ، فمن شاء مساهمتنا فعلى هذا نحن موثقوه ، ومن رام موافقتنا فنحن ان شاء الله موافقوه ، ومن كره ذلك فنحن داعون له بالتوفيق ، لاحسن من هذا الطريق .

### تذكرة اجمالية

نحن في زمن الكهرباء والبخار ، زمن السرعة التي تحار فيها الافكار ، فربما عرض في يومه من حوادث الايام ، ما لم يكن يعرض من قبله في الشهر والعام ، وقد اتى على التقدم خمسة اشهر لم يرتفع عنه حجاب الخفاء ، ولم ينطلق منه لسان البيان ، فما نطمع في تضمين هذا العدد منه اخبار تلك الايام تفصيلاً ، ولكنها تذكرة اجمالية نمر بها على الافكار خلاصة من مهمات وقائع الامس ، تمهيداً وايضاحاً لما سيبي به الغد .

واعلم الحوادث التي مرت بعالم السياسة في هذه الايام نازلة مصر ، وما احد من القراء يجهل ما افضت اليه نازلة مصر منذ وقعت فتنة الاسكندرية ، الى يوم تهدمت قلاعها بمدافع الانكليز ، واحترقت منازلها بنيران الاغبياء ، ومنذ اقيم معسكر كفر الدوار الى يوم تساقطت حصون التل الكبير بضرب الطبول ونفخ الابواق ، كما تساقطت اسوار اريحا بمثل ذلك في العهد القديم ، ومنذ قويت شوكة العصبة العسكرية في ديار مصر الى يوم افاقت من رقدة الغفلة ، فلم تر من تلك القوة شيئاً

كما قبض الدينار في الليل حالم واصبح لم يلق الذي كان قابضاً

غير ان العلم بنتائج تلك النازلة غير العلم بأسبابها ومقدّماتها، واسرارها  
ومعدّاتها، من قبل ظهورها الاخير . بل ذلك مجال اقوال علقته باطرافها  
الاهوام ، فسترت حقائقها عن الافهام الأمّظاهر اثار تفرّ الافكار ، وظواهر  
احوال تخدع الابصار . فالنازلة المصرية قديمة الاصل ، بعيدة السبب ، متعلّقة  
من طرفها الأول بتدخل الطامعين ، ومن الاخير بجهل الفاتين ، وبين الطرفين  
حركة فكرية تقارن فيها الطمع والحسد ، فالولدا ما رأينا من الخصام والشقاق  
واللدد ، وبس الوالدان وبس الولد . فاما تدخل الطامعين فقد ابتداءً منذ  
انتشر الاجانب في الديار المصرية ، وتضاربت فيه مصالحهم السياسية والتجارية ،  
ثم امتدّ بديون اسماعيل باشا واشتدّ بالمجالس المختلطة عام ١٨٧١ وزاد على الحد  
بتوحيد الديون عام ١٨٧٦ ثم اعلاه ديوان التفتيش فظهر ، ووسعت له لجنة  
التصفية فانتشر ، وحفظته المراقبة المالية فاستقر واستمر . واما الحركة الفكرية  
فقد سرت ابتداءً من جانب الغرب على السنة الذين أرسلوا الى البلاد الاوروبية  
من اهل مصر ، والذين هبطوا مصر من الاوروبيين ، يقصدوها بالذات  
ولكنها نشأت عما ظهر من احوالهم ، واشتهر من اقوالهم ، ثم ذاعت بالخطابة  
في الجمعيات ، وشاعت بالكتابة في صحف الاخبار ، حتى انتشرت في اذهان  
العوام كغيرها من الثورات ، فانتهت فيها الرئاسة لنفر من القوم يسلموا من  
الجهل ، ولم يتنزّها عن الطمع الدنيء ، فقصرت افهامهم عن ادراك احكام  
الزمان وعواقب الامور ، فنفذت فيهم حيل الخادعين ، وضاعت صدورهم عن  
الجلد فراموا في الشهر ما لا ينال في الاعوام . ثم رأوا تهيب الامّة من عواقب  
التهور فاضرموا في القلوب نار البغضاء للاجنبي ، وهاجوا في الصدور عواصف  
التعصب للدين ، واماتوا صحف الاعتدال فقامت على مدافنها جرائد الطيش  
والغلو ، وباتت جمعيات الخير ، ومحافل الخطباء ، بمجامع الاهواء ومظاهر للبغضاء .

سبب  
الاعتدال  
الصدور

فانحصرت الكتابة في الحث على معاداة الترياء ، وانجبت الخطاب على الدعوة الى مناوأة ارباب الحقوق ، وصارت الجمعيات آلات لئيل اغراض النفوس ، حتى صحَّ من هذا الوجه اعتبار الفتنة محصورة في عصابة من الطامعين ، لم يتجاوزتم الى سائر الناس الا كما فاض الحوض قبل ما يليه ، ولم تتبعهم العامة فيها الا كما تبع الجياع حملة القصاع وما هم بمدعوين .

ولا يسع المقام ، ولا يتسع اللسان ، بتفصيل هذا الاجمال وان كان من ورائه امور تضيق بها الصدور ، فغاية الامكان في القول ان النازلة المصرية قد مرت الى الآن بخمسة اوار معلومة الحدود : الاول من التدخل الاجنبي الى الحركة الفكرية الى وقوع تلك الحركة بايدي الجهلاء والطامعين ، وهو دور الرجاء : والثاني من الحركة العسكرية التي انضت الى استعفاء عثمان باشا رفقي ناظر الجهادية المصرية - يومئذ - الى ظهور هذه الحركة بساحة عابدين في طلب تبديل الوزارة ، ونقير قانون العسكرية ، وانشاء مجلس النواب ، وهو دور الظهور بعد الخفاء : والثالث من وزارة شريف باشا الى يوم تظاهر العسكرية بالانحراف عنه ، وهو دور التقدم والبناء : والرابع من استعفاء الوزارة الشريفة ، الى انقضاء الوزارة البارودية العرايية ، وهو دور تهيج الداء : والخامس من حصول السلطة الفعلية ، بيد القوة العسكرية ، يوم فتنة الاسكندرية ، وما تلاه من انهدام حصونها بمدافع الانكليز ، وهو دور امتناع الدواء .

وبعد هذه الادوار الخمسة دور التلاشي والفاء الذي كان من مشا كل احواله وغوامض اسراره وعجائب آثاره ، ان بضعة عشر الفاً من الانكليز دكوا حصون التل الكبير واتصروا فيه على ثلاثين الفاً من الجند في عشرين دقائق معدودة ، ثم طارت فرسانهم الى الزقازيق ، الى مصر ، فاستولوا على العاصمة ، واسروا زعماء العصابة العسكرية ، ثم تفرق عسكر كفر الدوار ، وتمزق جيش

المكس ، وانتشرت سطوة الانكليز في سائر انحاء القطر ، وكل ذلك في يومين  
 فيا مصر يا ارض المعجزات ، حتمَ تجتمع فيك خوارق العادات .  
 والنازلة الآن في دور جديد ، جدير بان يسمى دور التجديد ، وهو من وراء  
 حجب السياسة الانكليزية . وما يجمل احد ان هذه السياسة لا تشف عمّا  
 وراءها حتى نتم لها معدّات الظهور ، وتأمّن فيه غير الاحوال فعسى ان يظهر  
 على الوجه الملائم لمنفعة الديار المصرية ، وان لا يداخله شيء مما يخالف مصلحة  
 الدولة العلية .

ومن الحوادث المهمة التي مرّت بالتقدّم في عطلته المذكورة ، وفاة محمد  
 الصادق باي تونس رحمه الله ، ورسوخ قدم الفرنسيين في هذه الولاية ،  
 وسعيهم في اطلاقها من قيود العهود القاضية باستقلال وكلاء الدول فيما يتعلق  
 برعاياها من الاحكام ، ليكون المرجع في ذلك الى المحاكم الوطنية ، المأخوذ في  
 تنظيمها تحت نظارة الحكومة الفرنسية .

ومن تلك الحوادث مسألة تنكين المراد بها تقرير حماية الفرنسيين في  
 تلك البلاد ، وقد انتهت بمحاول فريق من عسكريهم بها على ما جاء بالتلغراف  
 منذ بضعة ايام . ومسألة مداغسك والمراد بها ادخال هذه المملكة في  
 تلك الحماية ، ولسوف تنتهي بما يقرب من هذا القصد ولكن ليس بتكين ولا  
 بمدغسك عوض من وادي النيل .

واقرب تلك الحوادث الينا ، واحقها بالتقدّم لدينا ، استقامة امور المالية  
 العثمانية ، وانحسام الكثير من مشاكل دولتنا العلية ، وانصراف الهمة للاصلاح  
 الذي ما برج في النية ، واجازة كثير من مشروعات المنافع العمومية ، وقد كان  
 نصيبنا من هذه المنافع انشاء سكة حديد من عكا الى الناصرة ، وطريق عربات  
 من طرابلس الى حمص ، وسيلبه ان شاء الله انشاء مرفأ بيروت وهي حسنات

ان شاء الله  
 بالاصحاح

ناطقة بالدعاء للحضرة السلطانية داعية الى الثناء على حضرة صاحب الابهة والدولة  
والي الولاية السورية شكر الله سعيه واجتهاده واناله من الاصلاح مراده .

### محاورة فكاهية ✓

جاءنا في مكتب الجريدة امس قبل الظهر فتى خلق الثياب ، مقطوع  
اليد ، حافي القدمين ، في كفه شيء من الخضار والبقل والفاكهة فحياً بتردد  
وخوف ، ثم ادخلنا في المحاورة الاتية على مسمع من بعض الزائرين  
«الداخل المجهول» أخبرت يا سيدي انكم ذكرت اسمي في الجرنال ،  
وقلتم في ما انا بري منه ، فانيتكم لاقيم الحجة راجياً رد ذلك القول .

«المحرر» ومن انت وكيف ذكرت في الجرنال

«الداخل» اسمي عبد الرحمن وقد جمعتوني من ذوي الايادي السود  
ومن اعضاء عمدة الزعران ، الذين لا يخلو منهم في هذا البلد مكان  
«المحرر» غرك من اخبرك فان اسمك لم يذكر بين تلك الاسماء  
فاذهب بسلام

«عبد الرحمن» مهلاً يا سيدي انت اسمي عبد الرحمن ولكني ملقب  
عفيشة ابو اليدلاني مقطوع كما ترى وقد رأيت اسمي في جرنالكم بعيني فلست  
مخدوعاً كما تقول

«المحرر» صدقت يا عفيشة ولكن اعتراضك في غير محله فانك انما  
ذكرت في الجرنال بما نعمل وما تسحق . فانت ولا شك من الزعران والدليل  
في جيبك وفي كحك فما هدم البقول او ما هدم الفاكهة المختلفة ؟ ثم قلت  
انك تحسن القراءة انما كان الاليق بك يا عفيشة ان تطلب وجهاً آخر الرزق .

« عفيشة ابو اليد » اما القراءة فوالله يا سيدي ما يعطيني بها الجزار  
 قطعة لحم ، ولا الحباز رغيفاً ، ولا البقل جفلة ، وقد عرضتها في السوق للبيع  
 فما رأيت لها شارباً برأس مذنوف . واما الزعرانية فلست منها في شيء وانما  
 انا مسكين اغني لاخوان الانس من ابناء السبيل فمنهم من يعطيني ، ومنهم من  
 يجرمني ومن يتناقل علي حتى تبلغ روعي التراقي ، فاحتمل كل ذلك بالصبر  
 ولا اتناول شيئاً سرقة او غضباً والدليل على ذلك ان صورتي ليست في  
 الضابطة وانه لم يذكر اسمي في سجلاتها ، فكيف تنازلتم يا سيدي للاهتمام بامري  
 وامر اخواني الذين تسمونهم زعرانا .

« المحرر » يا عفيشة ان كنت كما نقول فما خرجت عن كونك عطلاً  
 كسلان ، تعترض ابناء السبيل ، وتطلب الرزق من غير سعي ، فمواخذتك  
 واجبة على اصحاب الجرنالات ، وان كنت كما ذكر لنا عنك ازعر تخطف  
 الخضار والفاكهة وما تيسر من غيرها فذكرك في الجرائد اوجب .

« عفيشة » آه آه يا سيدي ان كان خطف الليمونة ، ولف الملقوفة  
 يلزمكم بذكر امثالي في الجرنال تشيخاً عليهم ، وتقيحاً لاعمالهم ، فلا بد ان  
 يكون جرنالكم مشحوناً باخبار كبار الزعران ، الذين يسرقون الكحل من العيون ،  
 لا الفجل ولا الليمون ، ويا كلون المئات والالوف ، لا اوراق الخس ولا الملقوف ،  
 وبيبتون في اعلى غرفة ، وارفع مقام ، لا تحت جبهة الخارجية ولا في قديم  
 الحمام . . . . .

« المحرر » مه صه

« عفيشة » لاه ولا صه دعني اكمل وافعل بعد ذلك ما تختار فما بعد  
 حرق الزرع جوار . اما يكفيننا نحن المساكين تحمل الاذى من البغضاء والمتشاقلين ،  
 وان زيدا يشتمنا ، وعمراً يلكننا ، وبكراً يلطمنا ، وفوق ذلك يجرمننا ، حتى

نُلام على اكل الفضلات ، واخذ الصدقات ، وغيرنا يأكل اموال الفقراء  
والايتام ، وضعفاء الانام ، ثم لا يُعاقب ولا يؤخذ ولا يلام ا هذه دعواكم  
في الانسانية يا ابناء الزمان ، ام عندكم لاعمال الناس مكيالان وميزانان ، فمن  
كان ضعيفاً اظهرتم فيه القوة ، وسملتتم عليه بفتوة ، وجعلتموه موطئاً للاقدام ،  
وهزأةً للخاص والعام ، ومن كان قوياً رأينا المنافقين له موافقين ، واهل  
الاعتدال عنه في اشتغال ، اما ارباب الحرية ، واولياء الانسانية ، فانهم  
يغالبون في امره الخذر ، ويخافون منه الاذية والضرر ، صامتون عنه متحزون  
منه ، يعلمون ظاهره وخافيه ، ولا يقولون شيئاً فيه ، فما اجدركم يا سيدي بعد  
هذا البيان ، ان تفضوا الطرف عن اعمال الزعران —

ثم انصرف عفيشة بعد هذا الخطاب ، ولم ينتظر منا الجواب ، ولو تلبث  
لاخذتنا الحيرة فيما نرد به ذلك الكلام ، وان كان رمية من غير رام .

### وداع ولقاء

غاب عنا الشتاء ، والغائب حقيق بالكرامة ، فان ذكر مطره ووجوله ،  
ولا نوه وسيوله ، ولا كثافة غيومه ، ولا احتجاب نجومه ، ولا ظلمة ليليه ،  
ولا التزام المنزل فيه . وانما نذكر طيب المنام ، ومرور الطعام ، ولذة السهر ،  
وحلارة السمر ، وصفاء الازهان ، ونشاط الابدان ، والثام الاحباء ، وانقطاع  
البغضاء ، وان الساعي فيه لا يحرق العرق جبينه ، ولا يكحل الغبار عينه ،  
ولا تصهر الشمس رأسه ، ولا يضيق الحر انفاسه ، فاذا جلس فلا يؤذيه  
الهواء ، ولا تراخي منه الاعضاء ، ولا يتولاه الملل ، ولا يعتريه الكلال ، واذا  
نام فلا يحوم الذباب عليه ، ولا يتداعى البعوض اليه ، ولا يصيبه من الحر

أرق ، ولا تجبث منه ريح العرق ، ولا تؤلمه بشور الحرارة ، ولا يضرم الأكال  
 في بدنه ناره ، بل يغمض على الراحة جفنيه ، وينام الليل ملء عينيه . . . ولا  
 أذكر حسنات الشتاء ، بالنظر الى سيداتي النساء ، وانه الحافظ الامين للون  
 والتلون . فلا البيضاء تخاف من شمسه الاسمرار ، ولا السمراء تخشى ان  
 يفسد ما اصلح العطار ، فذلك مطلب تدق معانيه ، على غير معانيه . فسلام  
 على الشتاء من راحل اغرقنا طوفان دمع السحاب في توديعه ، واتقدنا فلك  
 صحو السماء في تشييعه ، واهلاً بالربيع من قادم تبسم لقدمه الازهار ،  
 وتقرّد في لقائه الاطيار ، وتميل فرحاً به قدود الاغصان ، فيكأل هامها من  
 نداءه بتيجان ، فقد انجبت منه دهباجة السماء ، ورقّت به حاشية الهواء ،  
 فتمنم برود الخدائق ، واحكم تدبيج الشقائق ، وزين حلة الارض ، بجملة  
 الزيات الغض ، فاختالت الفصون من الورق والاشجار ، بابهى من الزبرجد  
 والنضار ، فترنم عليها القمري ، بمثل قول البحثري

وقد نبه النوروز في غبش الدجى	اوائل ورد كن بالامس نوّما
يفتحها برد الندى فكأنه	بث حديثاً بينن مكتما
ومن شجر رد الربيع لباسه	عليه كما نشرت برداً منمنما
احل فابدى للعيون بشاشة	وكان قذى للعين اذ كان محرما

ومرحباً بطلائع صبح الامال ، في مطالع نجح الاعمال ، وبشائر حسن  
 المال ، في اشائر صلاح الحال ، ونضرة زهر الهناء ، في خضرة روض الرجاء ،  
 فهذا هو الربيع ، بمعناه البديع ، فانشده قول البهاء في لقائه ووداع الشتاء  
 ايا راحلاً غني رحات معظماً ويا نازلاً عندي نزلت مكرماً

## خَطَرَاتُ افْكَارٍ

مَنْ قَصَّرَتْ حُجَّتَهُ طَالَ لِسَانُهُ  
 مَنْ ذَمَّهُ النَّاسُ بِمَا فِيهِ لَمْ يَخْرُجِ الدَّمُّ عَنْهُ  
 ✓ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُهُ اجْتَرَأَ عَلَى ذِكْرِ الْعُيُوبِ  
 مَنْ كَدِرَتْ عَيْنُهُ لَمْ يَبْصُرِ الْأَشْبَاحَ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ  
 ✓ مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ فَوْقَ مَحَلِّهَا لَمْ يَرَ النَّاسَ إِلَّا دُونَ مَحَلِّهِمْ  
 مَنْ جَعَلَ حُجَّتَهُ شَهَادَةَ الْجَهَالِ فَهُوَ دُونَهُمْ  
 الْعِيُّ خَيْرٌ مِنَ السَّفَهِّ وَخَيْرٌ مِنْهُمَا السَّكُوتُ  
 مَا رَأَيْتُ عَجَبًا مِنَ الْعَاجِزِ يَتَحَكَّمُ بِأَرْجَالِهِ وَمَنْ ذِي الْعُيُوبِ يَتَعَرَّضُ  
 لِلْفَضَائِحِ

مَا رُمِيَ الدِّفْيُ بِمَكِيدَةٍ اعْظَمَ مِنْ رَفْعِهِ إِلَى مَقَامَاتِ الْكِرَامِ  
 مَا دَلَّ عَلَى أَصْلِ الْحُسَيْبِ مِثْلَ تَطَاوُلِهِ عَلَى مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ  
 رَبٌّ مَكْرُمَةٌ دَفَنَهَا الْوَرَعُ، وَاللُّؤْمُومُ مَوَكَّلٌ بِالْكَشْفِ عَنِ نَفْسِهِ  
 رَبٌّ عَيْبٌ سَتَرَهُ الْخَمُولُ فَفَضَحَهُ الطَّيْشُ

## الاتحاد الثلاثي

والدولة الملية

نقدّم لنا النظر في الاتحاد الثلاثي من وجه تأثيره في السياسة العمومية،  
 وما يمكن أن يحمل عليه من الخوف والامل فرجع فيما استخرجناه من ذلك  
 البحث وما استفدناه من آراء الجرائد الاخيرة انه مبعث للخوف من الحرب مؤيد

للامل في السلم بما يلزم عنه من وقوف كل دولة عند حدها تهيأ مما وراءه  
 تجاوزه من القوى المتحدة على مقاومتها . فبقي ان ننظر في المسألة من حيث  
 تأثيرها في سياسة دولتنا العلية ومصالحها الكلية في الغرب والشرق ، فلنأتمننا  
 المسائل الدولية باعتبار ما تؤثر في تلك السياسة وما تتعلق بهاته المصالح .  
 ومعلوم ان الدولة العلية مشاركة لسائر دول اوروبا في مصلحة الموازنة  
 السياسية ، مماثلة لهن في الميل الى بقاء السلم العمومية ، فذلك الاتحاد يؤثر  
 فيها من هذا الوجه بمقدار ما يؤثر في مصلحة غيرها من الدول العظام . وان  
 لها في شبه جزيرة البلقان وفي اسيا الصغرى مصالح معلومة ، وحقوقاً معروفة ،  
 تناظرها بعض الدول الشمالية في الكثير منها مناظرة الحاسد الطامع المترقب  
 للفرص فتأثير الاتحاد الثلاثي فيها من هذا الوجه تأثير خاص عظيم . وان  
 شأنها فيما يسمى الان بالمسألة الافريقية مما يلزم في نجاحه تنافر الدول الغربية ،  
 ووقوف بعضهن لبعض بالمرصاد . فاتحاد احدهن بدولتي اوستريا والمانيا  
 مقرب لذلك الغرض ولاسيما بمد وقوع الخلاف بين الاثنتين الباقيتين في  
 وادي النيل . فللاتحاد المذكور شأن عظيم عند دولتنا من هذا القبيل .  
 ونحن نفصل المقال في هذه الاوجه الثلاثة ما شاء المقام فنقول .

سبقت الاشارة الى كون الاتحاد الثلاثي مؤيداً للسلم ، مبعداً لاخطار  
 الحرب ، حافظاً للموازنة السياسية في اوروبا ، مانعاً من اختلال الاحوال  
 الحاضرة ، فصح بذلك انه ملائم لمشرب الدولة العلية ، موافق لمصالحها الكلية ،  
 فانها عظيمة الرغبة في السلم ، شديدة التجافي عن الحرب الا أن تحمل عليها  
 للذود عن الحوض شأن كل دولة ساعية الى اصلاح احوالها الداخلية . فذلك  
 الاتحاد الذي يشبه ان يكون سداً في وجه من يميل الى الحرب كائناً من كان  
 ينفع دولتنا العلية من ذلك الوجه نفعاً تشار كها فيه اكثر الدول العظام بما

هن من الحاجة الى الراحة والصفو العام .

أما الوجه الثاني اي وجه مصالحنا السياسية الكلية في اسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان فمنفعة دولتنا العلية فيه من الاتحاد الثلاثي أنه جعل بعض الدول الشمالية رقيقة على بعض في تلك البلاد فكان ضماناً رهنياً لبقائها على الحالة الحاضرة لا تطمع فيها الروسية حذراً من اوستريا والمانيا المتحدتين ، ولا تمل فيها اوستريا مع هوى النفس خوفاً من الروسية الوانفة لها بالمرصاد ، وتسلم حدود البلقان مما يخاف عليها من الصقالبة ، وتضامن تخوم هرسك والبشناق مما يطمع فيه النمساويين ، وتكون اسيا الصغرى في مأمن لا حاجة معه الى الاستعانة بالدولة الانكليزية على وقايتها من الطامعين . وهذم المنفعة العظيمة خاصة بالدولة العلية لا تشاركها فيها دولة من الدول الا باعتبار تأثيرها في الموازنة العمومية ولم تكن مقصودة بانذات في ذلك الاتحاد — حاش لارباب السياسة ان يقصدوا نفع غيرهم في شيء مما يعلمون — وانما حصلت عنه عفواً ، وترتبت عليه لزوماً ، كما حصل النفع لاطاليا والروسية من حرب الفرنسيين والامان .

وأما الوجه الثالث فمنفعة الدولة العلية فيه من الاتحاد السابق الذكر انه يشد ازر ايطاليا فتقوى على كف الدولة الفرنسية والانكليزية عما تطمعان فيه من الساطة والسيادة على بعض الممالك الافريقية . نعم ان الظاهر من سياسة الدولة الايطالية ان لها في بعض بلاد افريقيا مطمعاً من مثل ما لفرنسا وانكلترة ، ولكن وقوفها موقف المنافس لها في تلك البلاد ، يمنعها بالضرورة مما تريد منهما عنه ، فتحصل من ذلك منفعة خاصة للدولة العلية بما يتيسر لها من حفظ حقوقها المعلومة الراهنة في السواحل الافريقية من جميع الجهات .

وقد روت بعض جرائد ان الدول الثلاث المتحدات قد سعين في استجلاب الدولة العلية الى ميثاقهن ، ولم نستغرب هذا الخبر لانه من مصلحة

من اسيا الصغرى  
التي هي الوداد  
من دول البلقان  
التي هي الوداد

تلك الدول ان تكون دولتنا مظهرة لمن فيصرف نفوذها في الممالك الاسلامية ،  
 وقوتها بين الدول الاوروبية ، الى ما يلائم اغراضهن ، ويوافق مقاصدهن ،  
 ولكننا لا نجزم بقبول الدولة الدلية لتلك الدعوة لان دخولها في الميثاق الثلاثي  
 لا يزيدنا منه نفعاً ، كما ان خروجها عنه لا ينقص شيئاً مما تستفيد منه ،  
 فبقاؤها على الحياد ابقى لحريةها الذاتية ، وابق لصلاتها السياسية ، ولا شك  
 ان ذلك لا يخفى على رجال سياستنا العظام

### خطرات افكار

الكسل في الذهن اكثر منه في الجسم .  
 مهما يكن الانسان شريراً لا يجسر على مقاومة الحق جهراً فاذا اراد  
 معارضته او هم انه يحسبه باطلاً او اختلق له عيوباً ليست فيه .  
 يهون على الفلسفة مغالبة الشرور الآتية ولكن الشر الحاضر أغلب .  
 لولا نقائصنا لما داخلنا السرور بما يظهر من نقص الانام  
 لولا ما بنا من الكبر لما شكونا المتكبرين . والكبرياء مرض في العقل  
 فصاحبها بالشفقة اجدر منه باللوم  
 من انهمك في صغار الامور عز عليه النهوض بالمهمات  
 ان كنت تخاف الناس ولا تأمن نفسك فخير ما تعمله السكوت  
 تكلف الحاسن ادعى لاستهزاء الناس من وجود المساوي ،  
 الكلفة عارية تسترد ورحم الله من قال  
 واقرب مفعول فعلت تغييراً تكلف شيء في طباعك ضده  
 لا يعتب القدر الا من عدم الخير جهلاً او اهمالاً  
 العاقل من جرى مع الحظ كما يجري مع الصحة ، يتمتع بها في حال

السلامة، ويتجلد لها في حال السقم، ثم لا يلتمس الدواء إلا إذا يقن بالحاجة إليه.

كلما اكتشف المرء في أرض حبة الذات مكاناً رأى من ورائه إمكانية لم تُكتشف بعد.

لا نجود عفواً واختياراً إلا بأرأى والمشورة  
طبيعة الانسان تعد استحقاقه والقدر يخرجهُ الى عالم الظهور  
نعم الخادم الامل فانه طريق الراحة والهناء في سفر هذه الحياة

### مطارحة

جرت المطارحة الآتية بين ظريفين من اهل المجانة فوقعت الى مخبر  
التقدم في البلد فوعاها، ثم رواها لنا كما يأتي:

قال الاول (وسمه ان شئت خليلاً) ما الحيلة في هذا الافلاس، وفراغ  
الاكياس، مع اضرار الناس بالناس.

فقال الثاني (وادعه ان رمت سليماً) انا لفي خسر. وباء في مصر،  
وعطلة في كل قطر، فكيف لا يعم العسر.

قال خليل: حتام نطيل النجوى، ونجتزى بالشكوى، ولا نجد منا ولا  
سلوى، فهلم نسعى في طلب الفرج فمن جد وجد ومن لج ولج.

فقال سليم: قد عزت الوسيلة، وضافت الحيلة، حتى على خلائف  
دليلة. احوال فاسدة، وشؤون جامدة، وتجارة كاسدة، وارزاق اضيق  
من الاخلاق، وشقاق ومصانعة رفاق برباء ونفاق، فكيف العمل، لا ادراك  
الامل، واين الدرب ليقال من سار عليه وصل.

قال خليل . مه مهلاً ، اسأت قولاً ويشت جهلاً فاصح ممعاً ، ان  
رمت كسباً ونفعاً .

قال المحدث وكان على طريق الظرفين جماعة من الغوغاء متأبين على  
فقير من باعة الفاكهة سقط الطبق عن رأسه ، وتبعثر في الارض ما فيه ضاحكين  
من بكائه ضحك القردة ، وفيهم صغار اوجح من صغار همذان ، يلتقطون  
الفاكهة ويتشائمون

فقال سليم : ما هذا الذي تدعوني اليه ، وتدلني عليه ، اني لا اري غير اعمال  
وحوش من اشباه انسان ، ولا اسمع غير سب الاديان .

قال خليل : وقعت على ما اردت ، فهذا الذي قصدت ، اما اتاك ان  
الضبطية ، او الدائرة البلدية ، ضربت على من يسب الدين ريالاً وربع  
ريال جزاء نقدياً ، واصدرت بذلك حكماً ماضياً مرعياً ، وقد سرى هذا  
الداء في هذا البلد ، حتى اوشك ان لا يسلم منه من عامته احد . بل صار  
سب الدين عندهم ضرباً من الاستعانة في الكلام ، فاستبدلوا به قولهم « فهمت »  
و« يرحمك الله » و« اسمع سيدي انت » و« الحاصل » و« المرام » ، فماذا نقول  
فيمن يضمن ذلك الجزاء النقدي التزاماً من الدائرة البلدية . اني ابذل فيه  
مائة ليرة مجيدية

قال المحدث فصمت سليم ولكنه اضمح لرفيقه القدر ، وان يسبقه الى ما  
اراد او ينافسه في الضمان ، فان حصول الربح منه مما لا يختلف فيه اثنان

### تربية الصغار

لعلم الاخلاق اصول كلية ، وقواعد عامة ، عمل بها الحكماء والعقلاء في  
كل زمان ومكان ، واتفق عليها اهل الرشد وان اختلفت منهم المشارب

والاديان . ومن تلك الكليات وجوب تربية الولد صغيراً ، بمعنى تأديبه بما يدفع عنه الفساد ويضمن له الصلاح كبيراً . نعم انهم اختلفوا في كيفية التربية ، وماهية التأديب ، وموضوع التعليم وخصوصاً من جهة العقائد ، ولكنهم على رأي واحد في وجوب تهذيب الصغير وثقيف اخلاقه وابعاده عن مظان الفساد . فوجوب التربية على هذه الصورة من الحقائق التي لم يبق الوضوح فيها خلافاً ، والطرائق التي يعد الخروج عنها ضلالاً واعتسافاً ، ولذلك لسنا نعيد من قواعدها ما تكرر ، ولا نثبت من احكامها ما نقرر ، فذلك غرض ان حصلت فائدة منه ، فما نؤمن ان يضيق المقام عنه ، وانما نذكر من احوالنا امراً امراً مما نراه ونسمعه في كل يوم ، ويجب علينا ما لا يطاق من التعبير واللوم .

ففي مدينتنا صغار اقبح من شيوخ همذان يبنثون في الشوارع ، وبنيات الطرق والاسواق صباحاً ومساءً ، وما بينهما من ساعات النهار ، حفاة متعكشة شعورهم ، ملطخة وجوههم بالادران ، كأنهم نموذجات من بقايا أممة وحشية خلت ، فمنهم زمرة يلعبون بالكرات تصف لها الفلوس في الطرق المهجدة ، ثم تطلق عليها وتنطلق من ورائها أسنة الصغار ، بما تحمر له وجوه العجائز والشيوخ . وزمرة يلعبون (الدوش والصارا) باحجار تلطم احجاراً في سبيل الرجال والنساء والاطفال ، مغمشين في الكلام ، متهافتين على التفنن في السوء من الفول تهافت الذباب على الاقدار ، وشر من هولاء واقبح ، واسوأ منهم وافضح ، صبيان وجد حب الاذية في جبلتهم منذ وجدوا ، فهم لا دأب لهم الا الافساد والايذاء والاضرار عمداً لغير علة الا انهم ربوا بلا تأديب ، ونموا بلا تهذيب ، فانظبعوا على السوء . ولقد رأيت منهم من يمر بالمرأة محجة بازارها في السوق فيلطح الازار بالوحل ، او يشده بيده حتى يكاد ينزعه

نظر  
صادق

عن المرأة ، ثم يعدو فيخفيه ازدحام الناس ، فما يشك من ابصره انه من  
تنزلات الخناس . ومنهم من يسير في اسواق المدينة ، او بظاهر البلد ، وراء  
فلاح من سدج الخلق ، فينخره بعدد في رقبته ، ثم يختبئ فان لم يره  
الفلاح عاد اليه ، واعاد تحامله عليه ، حتى يبصره فيزجره او يوهم انه يروم  
ضربه فيصيح الصغير ، ويجمع الصبيان على ذلك المسكين حتى لا يدري اين  
يسير . وابصرت عفرتاً من هولاء الصغار يقف على باعة الحلواء في سوق  
البقول ، فيشوه وجهه طباقها بعدد بيده ، ثم يمر مر السهم فلا يرى ولكن  
يسمع من خلفه بائع الحلواء يدعو عليه ، ويشتم والديه .

ولابناء الزقاق غير ما ذكرناه افعال تطويها لقبج ذكرها ، وخبائث نشرها ،  
وما يجهلها الذين يخرجون الى اطراف البلد لشأن من الشؤون .

وقد اجابت الحكومة السنية ، صانها رب البرية ، داعي الجرائد والرأي  
العام بتبديد شمل الزعران ، وادخال كثير منهم الى المدارس الصناعية والادبية ،  
فانطقت السنة الخلق باثناء عالمها ، والدعاء لسيدنا ومولانا السلطان الاعظم .  
فعمسى ان تنظر الآن في امر ابناء الزقاق الذين وصفناهم رحمة بهم وباهلهم ،  
وضناً بشرف سكان المدينة ، وحفظاً للادب العمومي . فتاجي آباؤهم او  
اوصياؤهم الى ردّهم عن المفسد ، وردّهم عن الشر والاذى ، او تكون عليهم  
تبعة ما يفعلون . ثم تضرب لذلك جزاءً نقدياً او عقاباً آخر قانونياً .

ومن لنا مع ذلك ان تتألف من وجهاء مدينتنا ، واغنيائها واهل العلم  
والنباهة فيها ، جمعية يكون المقصد منها انشاء مدرسة كبيرة مجانية لاولاد  
الفقراء ، يقرأ فيها الذين لا شغل لهم النهار كله ، والمشتغلون بشيء من الحرف  
ساعات معينة من النهار . ولا ضير ان تشترك البلدية في هذا المأخذ الادبي  
النافع وتلجى ابناء اولئك الصغار الى ادخالهم في المدرسة عملاً بمقتضى قانون

على اولاد الفقراء

التعليم العثماني . فهؤلاء هم رجال الغد . فربوا للغد يا أبناء الوطن رجالاً

## حرب اقلام

وان النار بالعودين تذكي وان الحرب اولها الكلام  
 صدقت ولكن ايام كان الراي للعس ، والحجة للشهوة ، والحكم للهوى .  
 اما زماننا ولا نزيدك به علماً فلا راى فيه لغير الامكان ، ولا حجة لغير القوة ،  
 ولا حكم لغير المصلحة فلا نثق بالقول خالياً عن هذه الاركان ولا تصدق  
 كل ما يقال ، فما كل مقول حقيقة ولا كل حقيقة تُقال  
 ولقد رأينا بين جرائد الاستانة وصحف اليونان حرباً عواناً يهراق بها دم  
 المحابر ، وتغل سيف الافلام

نقول الجرائد اليونانية حصل لنا الحق بما قضت الدول العظام ، ولا  
 نعدم القوة اذا حكم الحسام ، فرجال السياسة متواطون على شد ازرناء ،  
 وتأيد حقنا ، ورجال الحرب على الحدود

فتقول الصحف العثمانية ما لكم من حق ، ولا فيكم من قوة ، فدون ما  
 تأملون خراط القتاد ، ودون ما توعدون به من القتال خوض الاهوال .  
 وتهول تلك بحشد العساكر ، وجمع الذخائر ، تأهباً للحرب تظهر الشوق اليها ،  
 والقدرة عليها ، فتقول هذه ان كنت ريباً فقد لاقيت اعصاراً . ان الحرب  
 شعارنا ، والقتال دثارنا ، حيت البنا اطفالاً ، ودعينا اليها رجالاً ، فاتحدت  
 منا بانفس لا تعرف الوجل ، وامتزجت بقلوب لا ترهب الاجل . فان كان  
 حشد العساكر مما يثبت لكم الحق فانا لنجمع منها الوفا مؤلفه تكون بالنسبة  
 الى جنديكم اضعافاً مضعفة .

ولا نخاف شيئاً من وعيد الفريقين ان رأيت الامكان ، وحكم المصلحة ،  
 على خلاف ما يقولون . بل ربما زادنا الوعيد املاً بالسلم . ان الحرب ابعد ما  
 تكون من الفعل اقرب ما تكون الى القول  
 وليس زماننا ما قيل فيه بان الحرب اولها الكلام

« وقد حدثت عام ١٨٨١ في ساقر زلزلة هائلة فكتب رحمت الله عليه  
 هذه المقالة بالعنوان الآتي »

### زلزلة ساقر

اوردنا من قبل خبر هاتمة الزلزلة ، وما اتصل بنا من تفصيله ، وخلاصة  
 ما جاء في الرسائل الواردة الى بعض نزلاء بيروت من اهل ساقر تحصيلاً  
 يقبض الصدور ارتباعاً ، وتفصيلاً يجرح القلوب التباعاً ، ونحن الآن موردون  
 الخبر مستوعب الدقائق ، مستكمل الاطراف ، معين الوقت والحال ، على ما  
 رأيناه في جرائد ازمير ، وما ورد الى الساقر بين على البريد الاخير .

#### ١

نقدم هذا الحادث الرائع مظاهر طبيعية تدل عليه كما يدل بعض الغيم  
 على المطر ، وبعض الرعد على الصاعقة ، فقد كان يوم الاحد الثالث من الشهر  
 مظلماً كبير السماء ، ثقیل الهواء ، كثيف الضباب ، مثقل الجو بالكهربائية .  
 وكان البحر هادئاً ، متهداً ، ساكناً ، ميتاً لا حراك فيه ، والريح تهب من  
 الجنوب قليلاً ، والناس يشعرون بانقباض النفوس ولا يدركون له سبباً ،  
 ومن اجل ذلك انبتوا في ضواحي البلد بعد الغداء ، التماس الرطوبة والهواء .

#### ٢

بعد الظهر بساعة وخمسين دقيقة سمع اهل ساقر دويّاً شديداً في جوف

الارض لا يوصف ولا يماثله شيء من الاصوات الهائلة ، ثم كانت الهزة  
الاولى صادرة من الارض مرتقية صعداً ، فزلزلت الجزيرة بجمعاتها ، وتلاطمت  
بها الابواب ، واخشاب النوافذ والجدران ، متحطمة متخرّبة هاوية ، تسمع لها  
هديداً يصم الآذان بين صراخ الناس وضباب التراب . وقد استمرت هاتيه  
الهزة الهائلة عشر ثوان وكانت حركتها من الشرق الى الغرب . وما كاد  
ينقطع هديد الابنية الساقطة حتى سمع من كل جانب صياح المصابين ،  
وصراخ الخائفين ، وازين الذين واراهم التراب احياء ، واستغاثة الذين دفن الهدم  
نصفهم فلا هم في الناجين ولا المالكين . وما بين كل ذلك اشباح زاهقة  
الارواح ، واحياء باوجه الاموات يسعون في طلب النجاة ظافرين من حيث  
لا يدرون الى حيث لا يعلمون .

### ٣

لا نختص بالذكر شيئاً من حوادث هذا الخطب الجسيم ، والبلاء العميم ،  
فهي عاديات ايسرها الهائلة ، واصغرها القاتلة ، لا تُحصى لتحصير ، ولا تعد  
لتحد ، ولكننا نورد منها نموذجات تكون مقياساً لها ومثالاً . هدم الزلزال على  
مقربة من مدينة ساقز ديراً منيع البناء ، قديم العهد ، توالى عليه النهار والليل  
تسعمائة عام . واسقط في ضواحي المدينة ديراً للراهبات الزاهدات على مائتي  
عابدية منهن فقتل خمسون ، وجرح خمسون ، ونجت المائة الباقيات . وسجد به  
جامع في وسط المدينة على ثلاثة واربعين من المصابين فلم ينج منهم ناج  
واطبق مكان وليمة على اربعين فتاة مسلمات عرائس ، فلم تبقى منهن باقية .  
وسقط ديراً آخر على ستين راهباً فكان لهم ضريحاً . وكم من بيوت هدمت  
على اهلها فلم ينج منهم من يخبر الناس عنهم . وكم من دفين بقي في قيد الحياة  
حتى تمنى الموت ياساً من النجاة . وكم من سلم اقامت الزلازل من حوله .

سدوداً فهو يشكو السلامة خوفاً من عذاب الجوع كما جرى لدقتر دار الولاية  
(ولاية الارخبيل) فانه لجأ بنسائه واولاده الى بستان الدار فلم يسقط عليهم  
بناء ولكن حبسهم المهذوم من حولهم عن كل احدٍ فهم في البستان ظلمة جياح  
خائفون ، يرمي اليهم بعض ذوي الهمم كسراً من الخبز من فوق الاطلال  
المدقة بهم فيدفعون بذلك بعض ألم الجوع



اقبل ظلام الليل يزيد القلوب خوفاً ، وأبلاد هولاً ، والنجاة خفاء ،  
والمصاب ظهوراً ، واهل ساقز فيه فيرقان شطراً في المدينة تحت التراب او بين  
السدود يتنون ويستغيثون ولا يجدون معيناً ، وشطراً في الضواحي وعلى  
الشاطيء بعضهم الجوع ، ويؤلمهم البرد ، ولا يعي احدٌ منهم على احدٍ ، يرفعون  
ابصارهم وايديهم الى السماء مستجيرين ، يصرخون ربنا آتنا من لدنك رحمة ،  
ولا يسمعون الا بكاء الاطفال ، وعويل النساء ، وصياح الرجال ، ودوي  
جوف الارض اثر الزلازل ، صادراً من جزيرة مقفرة كانت بها من قبل  
النازلة منار . ويدورون بالابصار ملتسقين للنجاة باباً فلا يهرون الا المدينة  
اطلالاً منقلبة عافية ، تزيدهم وحشة وانخلاع قلوب . وتتوجه انظارهم الى  
البحر آملين راجين ، فلا ينظرون الا وجهه الكالح منبسطة ساكناً كدراً يمثل  
لهم الموت بما فيه من العذاب والهول . وما مرَّ بهم يومئذٍ من سفينة الا  
الباخرة الروسية التي سارت من بيروت قبل ذلك يوم جازت على مقربة من  
الجزيرة فشعر ركبها باهتزاز فخيّل لهم اول الامر انها رطمت ببعض الصخور ،  
ثم اطلقوا النظر من جهة ساقز فرأوا علائم البلاء فعلموا ان هناك زلزالاً .  
مصاباً ووبالاً . واموراً تروع رجلاً ، وتشيب اطفالاً . واهوالاً ، تنزيل  
قلاعاً وتزلزل جبلاً .

وكما انه لا يمكن حصر المصائب ، وعدّ النوائب ، وحدّ انواع البلاء في هذا الحادث الكارث ، كذلك لا يتيسر احصاء مظاهر الهمة ، وعدّ اثار الشجاعة ، وتعيين مقادير الفداء ، فما الذي نذكر من ذلك الا نموذجات . مرة فتي يطلب لنفسه النجاة في طرُق البلد بفتاة اخذ الهدم نصفها دفناً ، فصاحت بالمرؤة فعاد اليها الفتى ناسياً ذاته يروم استنقاذها من الهلاك ، فسقط عليهما جدارٌ فدُفنا تحته ، وذهب الفتى شهيداً غيرته . ورسم صادق باشا والي الجزيرة لفتى سالم من مأموري التلغراف ان يبعث برسائله الى والي ولاية آيدين ، فسار الى اشارة التلغراف وكتب شيئاً من تلك الرسائل ، ثم عظم اهتزاز مكتبه ، وتداعى للسقوط فظن انه يستطيع وصل سلكه بالسلك الذي تحت البحر ، فخرج به على نور مصباح الى شاطئ البحر فامتنع عليه ما اراد ، فعاد المأمور الفتى الى مكتبه غير مبال بالخطر ، تساقط الابنية من حوله وتهزّة الزلازل فتلقبه على الارض ، فينهض مشبّطاً اقدامه حتى بلغ المكتب فاطاد السلك والآلة ، واتمّ كتابة الرسائل وكل شيء من حوله متزعزع متزلزل الأعمدة وثباته ، ثم سلك طريق الشاطئ وجاء دولة الوالي يقول غير متفاخري : مولاي قد نفذت اوامركم : والله دره ودر آيه .

بلغ عدد الزلازل من بعد ظهر الاحد الى يوم الخميس اسي في خلال اربعة ايام غير كاملة ٤٥٠ زلزلة منها ٣٠ او ٤٠ عنيفة شديدة بحيث تهدم امع البناء . ومن هاته الزلازل ست او سبع توالت من اول الخطب الى الساعة الرابعة من بعد الظهر فذهبت بمدينة ساقز الأبقايا ابنية تعدّ ، وبسائر الجزيرة الأقرى صغيرة على خطر . وانشقت بها الارض في اكثر الاماكن ،

وغارت عيون الماء ، وانسدَّت المسالك ، فلا الذين في ضواحي المدينة يستطيعون اليها سبيلاً ، ولا الذين بين الاطلال يجدون منها مفرًا ، ولا الذين في القرى الباقية يتجرأون على الخروج الى المصابين ، ولا هولاء يقوون على السير الى القرى . وبقي اهل الجزيرة على هاتِه الحال يسألون الله النجاة ، حتى وفدت عليهم الباخرة ( خانية ) قادمة من ازمير بامر واليها الهام ، فاتعشوا بها من عشرة اليأس ، واملوا فرجاً وسلامة . ثم جاءتهم البارجة الفرنسية ( بوفه ) واثبت الملاحون منها ومن ( خانية ) في المدينة يخرجون الناس من تحت الابنية احياء على طرف الهلاك ، وامواتاً ليس فيهم حراك ، فرادى وازواجاً على اشكال وفي احوال تجرح القلوب لهنفاً وتبرح بالنفوس اسفاً . ثم بعثوا الى الضواحي بما حملت باخرتاهم من القوت والوقاء ، فتداعى اليه الجياع والعراة يأكلون ويلبسون ويعضون بعد ذلك اصابعهم تحقيقاً للبقظة ، وخوفاً من ان يكون ما يرون اضغاث احلام . ثم توالى السفن بانواع الاعانة صادرة من كل صوب كما سيذكر بعد .

### ٧

زعم بعض المخبرين ان الذين اُصيبوا بهذا الخطب قتلاً وجرحاً يبلغون اربعة الاف عدداً ، ونقلنا ذلك عنهم اوّل الامر . ثم رأينا في جرائد ازمير اليونانية ان عدد المصابين عشرة الاف وفي بعض الرسائل انهم خمسة عشر الفا او يزيدون ، وحقيقة الامر ما ذكرناه اثر الخبر الاوّل من ان الحقيقة من تحت التراب ، فاذا تم الكشف امكن الاحصاء ، فحسبنا الان من البيان ان اهل الجزيرة يحملتهم بين ميت لقي باريسه ، وجرح لا يجد من يواسيه ، وصحيح يرثي اخاه ولا يعلم من سيرثيه . وقد كانت الزلازل عامة في الجزيرة من طرف الى طرف الا ان بعض بلادها كانت اشد من بعض .

فمدينة ساقر حاضرة الجزيرة لم يعد اعمارها اثر ، ولم يبقَ بها من حجر على حجر .  
 وليس الامر كذلك في سائر المدن والقرى . على انه قد جاء في بعض الصحف  
 ان مدن - جسمه او جسمه وكاتبو باناجينا والزانا - وغيرها قد اُصيبت بما يقرب من  
 ذلك المصاب ، فهديم من منازلها ثلاثة الاف ، وتخرّب الفان وخمسائة ،  
 وليست تلك المنازل بجملتها سوى ٦٥٠٠ منزل . وجملة القول ان الخطب  
 كان جسيماً ، والبلاء عمياً ، نسأل الله السلامة والرحمة انه كان كريماً رحيماً .

### ٨

انّ للانسانية رجالاً تظهرهم المصائب ، وتجعلهم النائبات فوق وجدانهم  
 الطبيعي ، فيرتفعون بانفسهم عن خطّة الكيان بالبقاء ، الى جانب الوجود  
 بالفناء ، فتبصرهم يتدفقون نوراً بين ظلمات البلايا ، ويزدادون ظهوراً بين  
 مخفيات الرزايا ، ويتجلّون حياة بين ضروب المنايا . فن هولاء الرجال الذين  
 تحسد الارض عليهم من ذكرنا من قبل تطارحهم على الموت ايثاراً لحياة غيرهم  
 من الناس ، ومنهم من نذكر بعضهم في هذا البند مبتدئين بملاحى الباخرة  
 ( كوفه ) الفرنسية انهم اقتحموا الاخطار ، وطافوا خلال الاطلال ، يكشفون  
 السقط عن الناس ، ويخرجونهم احياء ومعوّهين وامواتاً واشلاء ، غير مبالين  
 بانفسهم ، وغير سائلين عن ذلك عوضاً . ونذكر بحجارة الباخرة ( خانية )  
 والباخرة ( باطوم ) وسبع فتيات من راهبات الرحمة *Sœur de charité* مع  
 القس دانلي العازري ، فانهم ساروا جميعاً الى ساقر على الباخرة ( توروس )  
 وانشأوا هناك مستشفى للجرحى والمرضى يعالجونهم ويمرضونهم بين المخاطر  
 والاهوال . ولا ننسى اهل البر الذين جادوا بما وجدوا ، وعناية الدولة  
 العلية وبعض سائر الدول

لما اتصل خبر هذا الخطب الهائل بالجناب السلطاني الكريم صدر امره  
 العالي بارسال المدد الى جزيرة ساقز على جناح السرعة ، فسارت الباخرة  
 باطوم حاملة ٤ الاف اقة من الدقيق ، ومقداراً وافراً من البقسماط ، ونفراً  
 من الاطباء والجراحين والصيدلة تحت رئاسة الطيب نامق بك ، وشيئاً  
 كثيراً من الخشب والحياض والاعطية ، وقدرافياً من النقود ، وخمسين  
 رجلاً من خدم القصر الشاهاني ، ثم شرع في إعداد غير ذلك من انواع  
 الاعانة

وارسل الهام مدحت باشا من ازمير الباخرة ( خانية ) حاملة عشرة الاف  
 رغيف ، و ١٠٠ كيس من الدقيق ، و ٥٠٠٠ لوح من خشب البناء ، وعداداً  
 من الفعلة ، ودعا وجهاء المدينة الى عقد لجان منهم لجمع المدد . فتألفوا لذلك  
 متوازرين وهم الى الآن يرسلون الاعانة من القوات والمبايت في كل يوم  
 وشككت زوجته الكريمة السمبية الشأن لجنة من وجهيات نساء المسلمين ،  
 وجمعت منهن احساناً وفيراً

وسارت الباخرة ( بوفه ) الفرنسية الى ساقز بمقدار كثير من القوات ،  
 ورجال لا يخافون القوات ، ولا يرهبون الموت . وسار اليها فنصل ايطاليا  
 وقنصل اميركا ووكيل قنصلية اوستريا بما جادوا به ، وما اجتمع لهم من  
 احسان اهل البر . وورد اليها اليخت الملكي اليوناني قادماً من بيرابنفر من  
 لجنة الصليب الاحمر ، وستة اطباء من اساتذة المدرسة العالية باثينا ، وشيئاً  
 كثير من المدد . ثم جاءت الباخرة اليونانية ( ادرا ) واردة من سيرا بمقدار  
 من الاقوات والادوية

وجاء ساقز ايضاً بارجة اميركية وبارجة انكليزية من نوع الكرفيت . ثم

اتتها باخرة فرنسوية اخرى صادرة من سيرا وتلتها البارجة اليونانية (سالامينا)  
 حاملة مقداراً من القوت ومواد البناء ، وسبعة وخمسين من جند الفوؤوس  
 لكشف البناء ، فاستوقفتها حامية الجزيرة خمس ساعات لا تأذن للجند في  
 الخروج بزيتهم ولا هم يستبدلونهم . ثم غلب حب الانسانية ، على الاصول  
 الرسمية ، فتبدل الجند اليونانيون ألبستهم وخرجوا بفوؤوسهم يستنقذون  
 المصابين .

وروت بعض الجرائد اليونانية ان مدحت باشا سار الى ساقز بنفسه  
 وكذبت غيرها ذلك الخبر واننا لا نستغرب به ولا نستنكر هاته الغيرة على مدحت  
 باشا

وذكرنا بعض ما ظهر من آثار الهمة في الاسكندرية وانه أرسل منها  
 الى ساقز ٨٠٠ كيس بقسماطاً ، ونحو ١٢ الف ليرة نقوداً ، ورأينا في جرائدها  
 ما يفيد استمرار هاته الهمة العلية .

## ١٠

فبقي ان نذكر بيروت بأثر يشكر في هذه الملمة فان النفوس الكبار  
 تُعرف في الملمات الجسام . وبيروت بحمد الله لا تعدم للانسانية نصراء ،  
 وللرحمة اولياء ، وللبر احباء ، وللإحسان اكفاً تبسط ، وللإعانة قلوباً تخفق .  
 وهذا مجال الظهور ، ومقام الفخار . وموضع الهمة ، ومعرض القيم  
 وقد علمنا ان بعض اهل البر يسعون في تشكيل لجنة لجمع الاحسان  
 تحت رئاسة مدير البنك العثماني . علمنا ذلك واشرنا اليه من قبل وما برح في  
 عالم القوة لا ندرك لكمونه سبباً . فاعلة هذا التأخر . . . أليس خير البر  
 عاجله . . . اجل

ولكل طالب لذة مثززة . . . وألذ نزهة محسن احسانه

فاذا ظهرت هاتِهِ اللجنة الى حيز الفعل قبل انتشار هاتِهِ الدعوة فليجب داعيها كلُّ من ظنَّ بالله خيراً ، وكلُّ من عرف المعروف ، وكلُّ من تهزَّهُ اريحية الفضل ، والا فليقم منكم يا اهل الحمية ، من يلتمس المدد لاخوانهِ في الانسانية ، لا تأخذهُ في ذلك عزة باطلة ، ولا يرجعهُ عنه سفاسف الخلق فان الساعي في الخير كفاعله وفاعل الخير لا يعدم عليه شكراً واجراً مَنْ يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهبُ العرفُ بين الله والناس

قال في وفاة

غمبتا

هو المقدم السياسي ، الخطيب الفرنسي الذائع الصيت ليون غمبتا . وُلد بكاهور آخر تشرين الاول عام ١٨٣٨ في بيت جنوي ( ايطالي ) وقرأ علم القوانين فبلغ فيه المقام الاعلى ، وكان له في الامتحان القدر المعلى ، فقبل في مجمع المحامين بباريس عام ١٨٥٩ فظهرت هناك نجابته ، وعرفت في الخطابة فصاحته ، واشتهر بالجرأة في الهامة عن ارباب القضايا السياسية بالعاصمة والولايات . خصوصاً في دعوى دولة الامبراطور على الدين لم يخشوه في دعوة الناس الى اقامة تمثال للنائب بردن عام ١٨٦٨ ، وفي دعوى تلك الدولة على جريدة ( امنسيبسيون ) وفي غيرهما من الدعاوي السياسية ، فطارت بذلك شهرته ، وعظمت في القلوب منزلته ، واشتهر بكونه عدو الامبراطورية الالدا ، فترشح للنيابة في باريس ومرسيلية عام ١٨٦٩ وكان منافسوه فيهما من عظماء الرجال ، ومع ذلك اجتمعت له الاكثرية في المدينتين ، فظهر في باريس على الموسيو كارنو ، وفي مرسيلية على تيارس ودلسبس والماركيز دي برتلماي .

ولكن اعتل جسمه في تلك الايام فانقطع عن مجلس النواب حيناً . ثم عاودته العافية فعاد اليه والتزم معارضة الدولة في اقواله ورائه بلا اكتتام ولا حذر ، واشتهر بخطبه العنيفة في تلك المعارضة ولا سيما خطبته التي أنكر فيها الحجز على هنري رشفور في سابع شباط عام ٧٠ ( وكان رشفور عامئذ من النواب ) وخطبته التي اعترض فيها على جنوح الامبراطور الى جمع آراء الامة على الحرب في خامس نيسان من ذلك العام . ثم وقعت الحرب ولم يكن صاحب الترجمة من الراضين بها ، فالتزم العزلة ، ولم يشترك في الثورة التي نشأت وقتئذ عن اختلال الاحوال ، الى ان كان يوم سيدان المشهور الذي انثل فيه عرش الامبراطورية ، فعرف محل غمبتا في الهيئة الجمهورية ، فانتخب في رابع ايلول عضواً من اعضاء الجمعية الموقته التي سميت بحكومة الدفاع الوطني ، ومن الغد عين وزيراً للداخلية . ثم توغل الالمان في بلاد الفرنسيين حتى صارت باريس على خطر الحصار ، وتبين ان الرسل الذين بعثتهم الحكومة الى ( تور ) لتوفير اسباب الدفاع لم يكونوا كفوءاً لذلك ، فعرف انمبتا ان يسير بنفسه اليهم وكانت الطرق مأخوذة فطار في قبة الهواء ، من فوق بنادق الاعداء ، حتى وقع في ( تور ) فاخذ في احياء المهتم ، وبث روحه في تلك البلاد ، مهالكا متفانياً على السعي والاجتهاد ، ناهضاً وحده بالمهمات ، غير متهيب من التبعات ، ضابطاً بيده القوية ، زمام الداخلية والعسكرية والمالية ، مشاركاً في كل نوع من الاحكام والتدابير ، غير ذاهل عن سوق العساكر ، وحركات القتال ، متنقلاً في البلاد والقرى ، ساهراً لا يأخذ نوم ، ملتعباً بانغرة لا يعتريه فتور اربعة اعوام . وقد صدر عنه في خلال هذه المدة منشورات غراء تذكر ، واعمال عظيمة لا تكرر ، من ذلك منشوره الذي يخبر قومه فيه بتسليم قلعة متس ، وخيانة القائد بازين ، وهو

من آيات البلاغة في رثاء الوطن ، والحث على ادراك الثأر . ومنشوره الذي يطلب فيه اجتماع الحرس الوطني على نفقة الولايات لانقاذ البلاد من مخالب الفاتحين . ومن تلك الاعمال العظيمة انه افترض من تجار الانكليز (وبلاده في احوال تلك الاحوال ) مائتين وخمسين مليوناً فرنكاً . وفض مجلس الولايات مع كثرة مخالفيه في هذا الشأن ، ولم شعث العساكر وجيش من بقاياها جيوشاً . ولما قضى الجوع بتسليم باريس اصدر مرسوماً بحرمان بعض الامبراطورين من حق الانتخاب ، فعارضته حكومة الدفاع في ذلك ، وامرت بالغاء المرسوم ، فبقي على المخالفة حتى اتاه الموسيو جول سيمون وكان من اعضاء تلك الحكومة مأوراً بانفاذ الامر ، فاعتزل صاحب الترجمة مناصبه ترفعاً عن قبول ما يخالف رأيه المذكور . وحينئذ هاجت عليه الاحقاد والضغائن ، واتسعت السن الطاعنين فيه ، فاخذته العزة في التبرؤ مما كانوا يتهمونه به ، فاعرض عنهم انفة واستخفافاً ، فنطقت اراء الامة ببراءته في دوائر الانتخاب ، وكانت له الاكثريّة الغالبة في كثير من البلدان ، ولاسيما التي خيف عليها من الوقوع في يد الالمان فانتخب للنيابة عن ولاية (بارين) بأكثر من ٥٦ الف رأي ، وعن ولاية (هورين) بنحو ٥٣ الفاً ، وعن (موزيل) بنحو ٥٧ الفاً ، وعن (مررت) بأكثر من ٤٧ الفاً ، وعن (بوش دورون) بنحو ٦٣ الفاً . وانتخب ايضاً في ولاية سين اسيز) وفي الجزائر واوران فاخترت النيابة عن (بارين) على علم بان دخولها في حوزة الالمان يخرجها من مجلس النواب . فلما وقع هذا المحذور جدد له الانتخاب في ولاية السين ، وولاية وار ، وولاية بوش دورون .

وكانت الجمهورية وقتئذ في حالة الضعف بما كان محققاً بها من المشاكل الخارجية ، والنوازل الداخلية . تلحقها دولة الالمان بعين العداوة ، وتنظر اليها

سائر الدول الملكية نظرة الخوف ، و يكيدها اعداؤها من الامبراطور بين كيداً عظيماً . وكان رئيسها من الذين لم يقبلوا الحكم الجمهوري الا اضطراراً ، فتألفت دولته من بقايا الاورليانيين ، ومن ذوي التردد الذين لا يرومون استبقاء الجمهورية الا بمقدار ما يتعذر الرجوع الى الملكية ، فاشتد بذلك هياج الغلاة ، وكثرت وقود الفتنة ، فكره صاحب الترجمة اضرام نارها في النفوس ، فالتزم التجلد والاعتدال في مقاومة الدولة ، وانشأ بهذا القصد جريدته المعروفة المسماة ( لا ريبليك فرنسيز ) فصدرت على احسن وجه من الشدة في غير عنف ، والرقية في غير ضعف ، وكان صدورها في الخامس من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٧١

ثم وُمدت رئاسة الجمهورية الى المارشال مكماهون ، وكان اخصاؤه ورجال بطانته ، واهل مشورته من اولياء الامبراطورية ، فنشطوا لاجابها من كل صوب ، وسلكوا الى ذلك القصد كل سبيل ، حتى اوشكت الجمهورية ان تصير على خطر منهم ، فخرج غمبتا عن حد الاعتدال في المقال ، وبذل الجهد في معارضة ذلك الحال ، ووصاح بمكماهون - للامة الامر فلا بد من الامتثال او الاعتزال - فهاجت باقواله خواطر الجمهوريين ، وانقدت في قلوبهم نار الغضب ، وكبر الامر على المارشال ، فجعل صاحب الترجمة تحت المحاكمة ، ورسم بفض مجلس النواب على امل ان يكون الانتخاب الجديد ، محققاً لما يريد ، فسار غمبتا من العاصمة يضرب في البلاد ، ويطوف بجماع المنتخبين ، ويحيي الحمم في النفوس ، خاطباً داعياً لتأييد الجمهورية في كل مكان لا يكل له لسان ، ولا يضعف له بيان ، حتى اتحدت كلمة الجمهوريين فحصلت لها اكثرية الثلثمائة والخمسة والستين ، فاعتزل مكماهون الرئاسة ووليها الموسيو غريفي في ٣٠ كانون الثاني عام ١٨٧٩ وانتخب غمبتا لرئاسة مجلس النواب ، وولاه

حزب الاتحاد الجمهوري زعاماتهم ، وكان في الواقع هو المنقذ للجمهورية ، من مكائد الاحزاب الامبراطورية

ولما صار غمبتا رئيس النواب علت مكانته علواً كبيراً ، وبات هو المشار اليه بالبنان ، فكثير حاسدوه والخائفون من استبداده بالامر لما يعهد به من علو الهمة ، وكبر النفس ، فاخذته السنة الناقدين ، وقصدته اقلام الطاعنين انه مستأثر بالامر سرّاً وان كان الحكم في الظاهر بيد الوزراء ، وانه يتصرف في البلاد بما تقتضيه ارادته ، ويدير سياسة الدولة على محور هواه - وعاداه الغلاة من اهل الحرية كما كانت تعاديه احزاب الملكية ، ونصره الكهنوت ، ثم اتحد اعداؤه من جميع الاحزاب على الجائه للقيام بالامر جهاراً علماً منهم بان الاحكام تختلق ديباجة الرجال ، فدافعهم عن نفسه دفاعاً طويلاً ، وبقي على رئاسة النواب عزيز الجانب ، قابضاً على زمام الاكثريّة الحاكمة حتى عظمت مؤاخذه الناس له على تخوفه من القيام بالامر ، وتوالى انقلاب الوزارات الفرنسية لامتناع حصولها على الاكثريّة في مجلس النواب ، فاضطر غمبتا لقبول رئاسة الوزراء فتألفت وزارته اوائل تشرين الثاني - عام ١٨٨١ وسميت بالوزارة الكبيرة .

وكان من اعماله المذكورة وهو على رئاسة مجلس النواب خطبته سيفي شربور يوم استعراض البوارج الفرنسية ، فانه عرض في تلك الخطبة بقوة الجيش الفرنسي ، وما عليه من الواجبات ، حتي رمي باظهار الرغبة في استباحة النفوس لادراك الثأر من الالمان ، فتناقلت جرائدهم تلك الخطبة ، وهامت من تأويلها في كل واد ، فاشتغلت بها الافكار وقتاً طويلاً . ومن تلك الاعمال خطبته التي استمال بها اراء النواب الى العفو المطلق عن المحكوم عليهم بالجنايات السياسية من الاباحية وغيرهم من الغلاة بعد اذ كان الكثير منهم على

ضد ذلك الرأي . ومنها سعيه في تقرير التعليم الإلزامي المجاني ، واهتمامه بتعديل القانون العسكري ، وغير ذلك من الأمور الخطيرة . ويقال انه كان شديد الرغبة في الحملة التونسية ، وانه كان قوي الميل الى مشاركة الانكليز في الحملة على مصر .

ولما انتهت الوزارة اليه ، انفجرت براكين العداوات عليه ، واتسعت السنة اعدائه وحساديه بما ضاقت به صدورهم من الضمائم والإحسان ، ورأى من مجلس النواب فتوراً عن الاخذ بناصره ، وترددت في قبول ارائه السياسية كما وجدت ، فاراد ان يلوئم ليكون على بينة من الامر ، فيحكم قوياً ، او يعتدل سويًا ، فذاكرهم في عرض المجلس لتغيير كيفية الانتخاب ، فاجتمعت اكثريتهم على ضد هذا الرأي ايثاراً للبقاء في النيابة ، فاستقال صاحب الترجمة من الوزارة قبل مضي شهرين على انتهائها اليه ، فلم يبد من آثار سياسته في تلك المدة القصيرة غير القليل الذي لا يذكر في جنب كثرة المنوي ، على انه اجتهد في اتمام الحملة التونسية ، واصداد قانون جديد للمحاكم والجندية ، ولو اتى عليه في الوزارة شهر آخر لما انزردت انكسرة في الحملة المصرية .

ثم عاد الى مقامه بين نواب الشمال او اخر كانون الثاني عام ١٨٨٢ ملتزماً فيه التآني والاعتدال ، ساعياً في التأليف بين الاحزاب الجمهورية لتأييد آرائهم بالاتحاد ، مراقباً اعمال الدولة بعين الناقد البصير ، مدافعاً عن نفسه ، متبرئاً من مؤاخذات اعدائه بما اشتهر به من حسن البيان ، حتى اصيب منذ شهر تقريباً برصاصة مسدس (رفوثير) في احدى يديه . قيل كان يصلح الغارة محشوة فانطلقت عليه اتفاقاً ، وقيل اطلقتها يد خلية سامها بجرأ وفراقاً ، فانه ذلك الجرح ايّاماً ، وما كاد يشفي منه حتى ظهرت فيه علة التقرح في الامعاء فكانت هي القاضية .

وكان الرجل اسمر اللون ، ربة ، ديجوري الشعر الأما داخله من خيوط  
 صبح الشيب ، مكتنزاً ، عظيم الامتلاء ، قريبا من تمام السمن ( في اعوامه  
 الاخيرة ) ، مصاباً باحدى عينيهِ يجعل مكانها عيناً زجاجاً فلا تكاد تفرق عن  
 العين الصحيحة ، على انه كان في مقلته الواحدة كهرباء مئات من العيون  
 ولا سيما في مواقف الخطابة حيث يتكلم فتنبعث روحه من فيه ومن عينيهِ ،  
 وباشارات يديه . وكان فيما يقال نهماً يحب الطعام والمدام ، وما وراءهما من  
 اسرار الليل ، على ان النهمة لم تشغله البتة عن الواجبات الوطنية بل  
 كان فيها على ما قال . من استعمل وقته كله قدر على كل ما يريد . فهو في  
 ذلك مشابه لابن سيناء الذي كان مع رغبته في - الحياة العريضة القصيرة -  
 من آيات الوجود في سعة الاطلاع ، وكثرة الآثار . ووجه الشبه بينه وبين  
 ميرابو خطيب الثورة اقرب . فقد كان ميرابو يصل النهار بالليل سعياً في  
 الامور الجسام ، ثم يصل الليل بالنهار انهماكاً في الصبابة والمدام ، وكان غمبتا  
 فيما يزعمون بصرف نهاره بالجد والاهتمام ، ويميل مع هوى النفس تحت جنح  
 الظلام . وكان ذلك حريصاً على قضاء الشهوات ، مع الحرص على قضاء  
 الواجبات ، ولم يكن هذا ممن تلهيهم النهمة ، عن اداء حق الخدمة ، والاول  
 هو المظهر للثورة الفرنسية بثبات جنانه ، وطلاقة لسانه ، والثاني هو المؤيد  
 للجمهورية بحسن بيانه ، وقوة برهانه . وقد كان ميرابو خطيباً قوياً العارضة  
 في المعارضة ، جهوري الصوت جهيراً ، تلهب روحه بالكلام ، كما تذوب  
 الشمعة في الضياء ، وكانت غمبتا خطيباً شديداً البادرة في المناظرة ، هائل  
 الصوت ، عظيم الخلق ، تجسم روحه في المقال ، كما يتجسم التصور في الخيال .  
 ومات ذلك وقد ايد الثورة ، ووفي حقها عليه ، فلم يبق بها من حاجة اليه ،  
 بل كانت من قوة شوكته على خطر ، ومات هذا وقد رفع منار الجمهورية ،

وقام لها بواجب الخدمة ، فلم يعد بقاؤها متعلقاً بوجوده بل صار اولياؤها  
منه على حذر . والرجلان من آيات الله في الخلق بلاغة وعزماً ، واقداماً وحزماً ،  
فتبارك الخالق العظيم .

ولا تتوسع الآن في الكشف عن اراء صاحب الترجمة ، وبيان طريقته  
السياسية في الامور الداخلية والخارجية ، وما تم له من ذلك وما تعذر عليه ،  
وما يعز من بعده وما يمكن الوصول اليه ، فذلك مما يفرد له فصل برأسه  
بل فصول . ولا نزيد في وصفه خطيباً مقداماً على ما اورده 'النقد' من قبل  
حيث قال . هو الفائل للامبراطور انت العدو اللدود لم يخش نسه منشباً  
اظفاره في القلوب ، حاجباً بجناحيه اشعة الانوار ، عن البصائر والابصار .  
الراقي بمركمة الهواء رسولاً الى حامية القلاع لم يحذر بنادق العدو وهي موجهة  
اليه ، مطلقة عليه . الصائح بالمارشال مكماهون وقد اراد بالدولة شراً لا بد  
من الامثال او الاعتزال . الصادع بما امرته الوطنية ابان الانتخاب . الجامع  
لكلمة اهل الجمهورية على اختلاف الشيع والاحزاب ، الفائل غير تارك لاحد  
مقالاً ، الفاعل غير مبقى لناقد مجالاً . الخطيب الذي تهتز له المنابر ، وتنقاد  
اليه كلمات السحر متسابقة آخذاً بعضها برقاب بعض . يقف وقد احدقت به  
الابصار ، وحوّمت عليه الافكار ، نلتبس منه مطعناً ومحل اعتراض ، فيجبل  
عينه ( الكريمة ) فيهم ، ويلقي على المنبر يسراه ، ويرفع اليهم يمناه ، وقد سكن  
المتحركون ، وسكت المتكلمون ، وانصت المنغمفون ، فيتدفق بالكلام تدفق  
السييل ما بين الجبلين وقد صار المعترض مريداً ، والنافر اليقياً ، والعدو صديقاً ،  
فما سمعنا قبله الرعد ناطقاً ، ولا رأينا الليث متكلاً ، ولا شهدنا الجبل متحركاً ،  
ولا انحصر البحر في منبر تسمع منه حركة هياجه ، وتبصر فيه تلاطم امواجه .  
ولله في الخلق آيات

وقد توفي صاحب الترجمة أوّل العام الجديد ، وكان الاحتفال بيمينازته  
على نفقة الدولة في السادس من الشهر وذهب مأسوفاً عليه في قومه ، مذكوراً  
عند سائر الاقوام ، فانه كان في عنفوان العمر وقوة الحياة  
وكنت لو طال فيها عمره سنة اقول للمدبر ارخ مات غمبتاً

ومما كتب في غمبتا بعد ذلك قوله بعنوان

### مظاهر الرجال

ان رزة فرنسا بغمبتاً لرزة عظيم . فقد كان الرجل مقداماً نافذ الكلمة ،  
قويّ الحزب ، واسع الاطلاع على الاحوال الاورويبية ، بصيراً بامور السياسة  
الداخلية ، شديد الحب لوطنه ، يجرأ على الاعمال العظيمة ، ولا ينهيب التبعات ،  
وهي من الصفات اللازمة الضرورية في الذين يتولون امور السياسة ، فمن  
وجدت فيه كان هوّ الفعل ، ومن تجرد عنها لم يكن الا قوالاً وان جمع سائر  
ما ذكرنا لغمبتا من الصفات .

ولكن الرزة بالرجل الواحد وان كان عظيماً ، لا يؤثر في البلاد الحرّة  
التي لا تُقيد فيها الافكار ، ولا تُحجب مظاهر النفوس ، ولا ينوقف ظهور  
القدر على اقبال بعض الناس كما تؤثر في البلاد المقيدة التي تنحصر فيها قوى  
المجموع بالافراد ، وتجتمع ارادات الكلّ بالاحاد ، فان العظماء من الرجال لا  
يظهرون في مثل هذه البلاد الا مع طول الاختبار الموجب لحصول الثقة  
التامة من جانب صاحب الامر ، فلا يكون للرجل منهم ظهوراً الا اذا انعطف  
الامر اليه ولا يحصل هذا الانعطاف الا في الانحراف عن الرجل السابق الا  
في النادر الذي لا يقاس عليه ، فظهور احد الرجال في تلك البلاد لا يكون الا

بخفاء من تقدمه على حد قولهم ما نبع احد من قبيلة مجيد الا ذهب من  
كان قبله وانشدوا

اذا مقرر منّا ذرا حدّ نابه تخمط منّا ناب آخر مقرر

وليس الامر كذلك في البلاد الحرة فان الحوادث هي التي تظهر  
الرجال في تلك البلاد . وقد اتت الثورة على بلاد الفرنسيين وليس بها احد  
من الرجال المعروفين ، فظهر فيهم السياسيون الذين حيروا الافكار ، والخطباء  
الذين سحروا الالباب ، والقادة الذين ردوا ممالك اوربا المتحالفة بالدهشة  
والخذلان . ولولا تلك الثورة لما ظهر ميرابو ، ولا كاتون ، ولا روبسيار .  
ولولاها لما عرف كابر ، ولا بونابارت .

نعم ان الاختبار ومعاناة الاعمال في رجال السياسة ، الزم منه في رجال  
الخطابة والقتال ، ولكن اشتراك الامم في سياسات الملك قد وسع لافرادهم  
مجال الافكار ، ويسر لهم اسباب الاختبار ، فكثرت فيهم العارفون بالامور ،  
القادرون على النهوض باعباء السياسة ، المبصرون لما وراء حجب المواربة .  
وناهيك بما في اصحاب جرائدهم المهمة من اصالة الرأي ، وحسن النقد ، وسعة  
العلم باحوال الدول . فليست معاناة الامور لازمة في ظهور رجال السياسة  
منهم لزومها في ظهورهم بين الذين كانت السياسة فيهم طريقة لا يصل الى  
الحقيقة منها الا من تقرب من حضرة الامر ، وتم له الكشف عن غوامض  
اسرارها ، وحصل في مرتبة الفناء بوجودها ، فان لم يكن كذلك رده مقتضى  
الحال ، بمثل قول من قال

أتيت بيوتاً لم تزل من ظهورها وابوابها عن قرعٍ مثلك سدت

فموت غمبتا والحالة هذه في امة الفرنسيين لا يضعف قوة الجمهورية ،  
ولا يفسد تدابيرها السياسية ، ولا ينقص من عسكريتها جندياً ، ولا يضعف من

برناجها سنياً ، ولا يمنع من ان تكون في مقدّمة الدول الاوروبية غنى في  
الرجال والمال

نعم ان وفاة هذا الرجل تؤثر على الغالب في طريقة السياسة الفرنسية  
بالنظر الى الشرق ، فتصير ان شاء الله الى مودّة الدولة العليّة اقرب ، ومصالحها  
العمومية احفظ ، وعن ترك محالفتها ابعد ، ولكن هذا يجلب لنا السرور ولا  
يوجب الكدر بشيء للامة الفرنسية

ولقد سرّنا ما رأيناه من انصاف جريدة ( الوقت ) التركية الغراء في  
تأين غمبتا ، وذكر مناقبه السياسية بعد الاشارة الى ما سبق له من المخالفة  
للسياسة العثمانية . وهذا دليل على حصول حرية النقد لجرائدنا الخطيرة من  
مكارم سيدنا ومولانا المأمّم ، وحرية النقد مؤدّية الى العدل والانصاف .

ثم قال في

### سياسة غمبتا

السياسة عند اربابها قسمان كليان احدهما يتعلّق بالامور الداخلية وهو  
مختصّ باحوال المملكة واحكامها وتدابيرها المالية ، والعسكرية ، وما يلحق بكلّ  
ذلك من توزيع الاعمال ، وتأيد العدل ، وحفظ الثروة ، وصيانة القوة .  
والآخر يتعلّق بالامور الخارجية وهو مبني على سياسات الدول ، وتدابيرها  
العمومية ، وما يتبع ذلك من المخالفة ، والمخالفة ، والموالات ، والمعاداة والمسالمة ،  
والحاربة

ولا يسع المقام ايضاح سياسة غمبتا في القسمين جميعاً بما فيهما من الابواب  
والفصول ، فنحن لذلك نقتصر في هذا المطالب على بيان سياسته الخارجية  
من بعض الوجوه ، وموعدها في ايضاح القسم الاول سنوح الفرصة واتساع المجال

وقد كانت الغاية المقصودة بالذات في سياسة غمبتا الخارجية ، إعادة  
فرنسا الى مقامها السابق في عالم السياسة من طريق مخالفة الدول الغربية ولا  
سيما دولة انكلترا

وقد اتى على فرنسا بعد الحرب الالمانية حين من الدهر لم يكن لها في  
الدول الاوروبية نصير يستعان ، ولا خليل يؤمن في غير الزمان ، بل كانت  
الروسية ، والمانيا ، واوستريا ، على وفاق واتحاد . وكانت ايطاليا منحرفة عن  
فرنسا - كما ينحرف المستقوي بعد الضعف عن كان سبباً في قوته فراراً من  
ثقل الامتنان - وكانت انكلترا معصمة بحبال منافعها ، مستوثقة بعري  
مصالحها ، محافظة على الأثرة في كل شأن . فعدت فرنسا منفردة تحالف فيها  
الناس والزمان ، فكانوا حيث كان ، والانفراد في السياسة ضرب من الخذلان .  
فلما سقطت وزارة بيكنسفيلد في انكلترا وقامت مكانها وزارة اهل الحرية ،  
واعرضت دول الشمال عن دولة ايطاليا فلم يدخلها في المحالفة الثلاثية ، ففتح  
لفرنسا باب الامل في مخالفة هاتين الدولتين ، فانصرفت هممة غمبتا الى هذا  
القصد ، فوافق انكلترا على موافقتها في السياسة المصرية ، متوسلاً بذلك لمخالفتها  
في سائر المهمات السياسية ، وظهر لاطاليا رغبته في اتحاد دول الغرب ، فصار  
كثير من رجالها على هذا الرأي . ثم رزئت الروسية بالاسكندر الثاني  
فانتهى الامر الى القيصر المالك الآن ( وهو ذو ضلع معروف مع الامة  
الفرنسوية ) فانفتح لغمبتا باب الرجاء بنقض المعاهدة الثلاثية ، وجاءت الحوادث  
وفاق ما موله فصارت المعاهدة المذكورة مثنوية بين المانيا واوستريا ، وعدت  
الروسية منفردة عنهما ، محاذرة منهما ، فاستمالها غمبتا الى دولته ما استطاع ،  
فكان لفرنسا في اوروبا ثلاثة حلفاء اقوياء : حليف تعتقد مودته ، وآخر ترجو  
موازرتة ، وثالث تأمن معارضته ، فخرجت بذلك من هاوية الخذلان

ولا ريب ان غمبتا كان من اشد قومه رغبة في استرجاع الازناس  
 واللورين ، ومن اضعفهم صبراً عن ادراك الثأر من الالمان ، ولكن قد وهم  
 الذين رموه بالميل الى مجاهرتهم بالحرب ابتداءً ، فانه كان مجاً عاقلاً لا يذهل  
 عن عواقب الامور ، ولا يخفي عنه ان قوة فرنسا العسكرية وان كانت كافية  
 في رد هجمات العدو ، الا انها غير وافية بالهجوم عليه ، ولذلك لم يخطر  
 ببال غمبتا مهاجمة الدولة الالمانية ، وانما كان همه اضعاف قوتها ، بتبديد ثروتها ،  
 لتعجز عن تكاليف الجنود فتتقص قوتها العسكرية او تكون هي البادئة بالحرب .  
 فكان يجد في تكثير الجنود الفرنسية ، وتوفير آلات القتال معتمداً في القيام  
 بتكاليفها على ثروة الأمة ، وغنى الدولة ليتحتم على المانيا مجاراة في هذا السبيل  
 على ما بها من عجب المال ، وسوء الحال ، فتضعف من حيث تلتبس القوة ، ولا  
 تقوى على الصبر فما يمر غير زمن قليل حتى يمتنع بقاؤها على تلك الحال ، فتلتبس  
 منه مخرجاً فيكون ذلك مدخلاً للدولة الفرنسية فيما تريد  
 وكان غمبتا مناصراً لليونان فيما اقترحوه على الدولة العلية بعد حرب  
 الروس وموتمر برلين ، حتى قيل انه ارسل اليهم نفراً من قادة الفرنسيين لتعالم  
 عساكرهم اساليب الحرب ، وانه اعانهم على شراء كثير من البنادق من معامل  
 الدولة الفرنسية ( وكان ذلك موضوع جدال عنيف للغاية في مجلس نواب  
 الفرنسيين ) وقد بدا منه غير ذلك مما يشعر بخالفة الدولة العلية ولا سيما في  
 مسألة مصر ، ولكن لم تعلم حقيقة قصده بهذه المخالفة التي هي على ضد موجب  
 التقليد القديم ، والمصلحة الظاهرة في السياسة الفرنسية ، الا ان يقال انه  
 اراد بها احياء الفتنة في مسألة الشرق لتلهو بها الدول الشمالية وفيهم دولة المانيا  
 فتتوسل فرنسا بذلك لما تضم من الانتقام  
 وهنا يرد علينا ان رأي استرجاع الازناس واللورين ، وادراك الثأر من

ألمانيا ، غير مخصوص بغمبتا من دون سائر الفرنسيين فلا تصح نسبة إليه ،  
 ولكن هذا الاعتراض غير مصادف محلاً مما نحن فيه ، فأننا لم نقل بسلامة  
 الاختراع في سياسة غمبتا الخارجية ليؤخذ علينا هذا القول ، ولم نجعل عموم  
 رأي الانتقام في امة الفرنسيين ليرد على قولنا ذلك الاعتراض ، وإنما ذكرناه في  
 الكلام على سياسة غمبتا اختصاصاً لثلاثة وجوه تميزه فيه عما سواه . الاول  
 ان غمبتا كان في مقدمة المجاهدين بهذا الرأي كما تدل على ذلك اقواله ولا سيما  
 خطبته في شربور . والثاني انه كان يسلك اليه سبيلاً مخصوصاً به معلوماً .  
 والثالث انه كان على يقين من امكان اخراجه الى عالم الفعل في وقت قريب  
 على خلاف ما يظنه كثير من رجال السياسة الفرنسية . وفضلاً عن كل  
 ذلك فانه كان جريئاً ، مقداماً ، لا يبالي بظواهر الاخطار واهل الجرأة  
 والافدام الحقيقي في الناس غير كثير .

وما يجمل احد من الناظرين في المسألة المصرية ان غمبتا كان من نصراء  
 التدخل الاجنبي ، ومن اعداء الحزب الوطني في مصر ، بل كان لا يعتقد  
 بوجود هذا الحزب فيها يدل على ذلك تأييده للسياسة دبلنبار وغيره من  
 انصار التدخل ، كما يثبت سعيه في عزل البارون دي رنك وقنصل دواته  
 السابق في مصر ، ويظهره كلام اجزابه في مجلس نواب فرنسا كما توضحه اقوال  
 جريدته المعروفة ( لا ربوبليك فرنسيز ) ومن اجل ذلك بقي على موافقة انكلترا  
 في سياستها المصرية من يوم تأليف الوزارة المختلطة ، الى يوم اطلاق المدافع على  
 ثغر الاسكندرية ، فلم يتردد في امضاء البلاغ الذي اصدرته انكلترا وفرنسا  
 الى النظارة العرايية ، والعصبة العسكرية على صورة تشبه ان تكون انذاراً  
 بالحرب . قيل انه كان هو المنشى لذلك البلاغ ثم اعد فريقاً من الجيش  
 لمشاركة الانكليز في الحلول بمصر ، ولكن خالفته في ذلك آراء نواب الامة ،

فاتقضى الامر عليه وبقيت العساكر الفرنسية في مواضعها ، وانكثرتا في  
الحملة المصرية وعسى ان يكون كره شديداً وهو خير لفرنسا ومصر معاً .

## مباحث في الجرائد

المبحث الاول في الجريدة من حيث هي

( حدث وتاريخ )

الجريدة لفظ أطلق اصطلاحاً على الصحيفة المفردة او الصحائف المصحفة  
تُطبع في اوقات معينة مشتملة على انباء وارااء ومباحث من السياسة ، او  
الادب ، او العلم ، او منهن جمعا . وليس لهذا اللفظ في اصول اللغة من معنى  
يتناول ذلك المفاد او يناسبه من وجه تصح به امتعارته له ، ولكن صقلته  
الاسن بهذا فدل عليه ، واشتهر به ، حتى صار العدول عنه الى سواه خروجاً  
عن المشهور ، ومخالفة للجمهور . فما الجريدة في اللغة الا الطائفة من الخيل  
جرّدت عنها لوجه او لم يكن بها رجالة ، او السعفة الطويلة رطبة ويابسة ، ولم  
تأت بمعنى الدرّج المكتوب ، او صحيفة الحساب ، الا في اقوال بعض المؤلدين .  
فاشتهارها بالمفاد الذي تقدم ايضاحه من بعض ما بينه وبين معانيها الاصلية ،  
يدل على ان الاصطلاح غلاب ، وان وضع الاسماء للسميات الجديدة على  
نحو ما اشار اليه صاحبنا الاديب الفاضل سعيد افندي الشرتوني في البشير  
مطلب غير بعيد على اهل هذه اللغة طلبوه باسبابه ودخلوه من ابوابه

واسم الجريدة عند الافرنج « غزتا » او « جرنال » وهما كاسمهما العربي  
من حيث عدم المناسبة بين معناها في اللغة وفي الاصطلاح ، فالغزتا ضرب  
من الدراهم كانت تباع به الجريدة في البندقية فسُميت باسمه ، والجرنال معناه  
« اليومي » اي المنسوب الى اليوم ، ولا مناسبة بينه وبين مفاد الجريدة الا ان

يُقال انه اطلق اولاً على الصحف اليومية من قبيل تسمية الشيء بما هو عليه، ثم عممه الاصطلاح فعرفت به الجرائد يومية كانت او غير يومية . وقد سمي الافرنج هذه الصحف المصحفة التي تصدر على شكل الكراسة مرة في الاسبوع ، او الاسبوعين ، او الشهر ، باسم يتضمن معنى « المراجعة » ولم نضع اسماً مخصوصاً بها وإنما قلنا جريدة الجنان كما نقول جريدة الجوائب الآن ان اخواننا كتاب اللغة التركية اصطلمحوا على تسميتها «مجموعة» او «مجلة» ولا بأس من اتباعهم في هذا الاصطلاح

ولم تُعرف الجرائد الا في صدر المئة السابعة عشرة للميلاد ، ومن قال بوجودها منذ القديم في الصين او غيرها من الممالك العربية فقد حكم بلائتي . واول الجرائد المعروفة صحيفة « غزتا » وقد صدرت من البندقية بايطاليا اوائل المئة المذكورة ، وكانت النسخة تباع بدرهم يقال له غزتا ، فسُميت به . وكان هذا الدرهم يساوي سنتيمين ونصف سنتيم اي نحو خمس بارات . ثم ظهرت في فرنسا لعهد لويس الثالث عشر جريدة كان الطبيب « رينودو » يشرفها الاخبار والاحاديث اليومية لتسلية مرضاه واصحابه ، وصدرت من بعدها عام ١٦٦٣ جريدة علمية سميت « جرنال العلماء » فعظم اقبال الناس عليها ، فتلتها في فرنسا جرائد كثيرة من مثلها كجريدة « مركور » و « فيزه » و « تريفو » وغيرها . وكانت هذه الجرائد الفرنسية او اكثرها خالية عن الاخبار والاراء السياسية ، مقصورة على مباحث من العلم والادب لا يزداد فيها على استحسان كتاب ، وانتقاد آخر ، وايراد شيء من الشعرو اللطائف على سبيل المفاكة ، فلم يكن بها العامة الناس فائدة تذكر . وإنما كانت الفائدة لذلك العهد في جرائد الانكليز ، فانها كانت تنشر اخبار السياسة ، وتعلن اراء العلماء ، وتلم بكل بحث مهم ، لا تخاف دركاً ، ولا تبالي باحد فيما لا يخالف

احكام القوانين . وكانت قوانين الانكليز من ذلك الحين عادلة  
 واستمرت الجرائد الفرنسية على ما اوضحناه من حالها ، تنطق بسفساف  
 القول ، وتطلب مظان الزلفى الى ذوي المقامات العالية ، واذا ارادت نشر  
 نبأ من السياسة ، ورأي في تدبير الامور - على تقدير ان تكون مأذوناً لها في  
 ذلك - تعين عليها عرض ذلك النبأ ، او هذا الرأي لديوان المراقبة مكتوباً  
 قبل الطبع ، ومطبوعاً قبل النشر ، فان اجاز لها إذاعته فملت ، والا رمت به  
 من حلق ، الى حيث كانت ترمي الحقائق ، فكانت بذلك آلة صماء ،  
 يديرها القوي كيف شاء ، حتى انتقضت هاتيك الاحكام ، وتحولت تلك  
 الاحوال ، ووضعت للدول اوائل هذه المئة قوانين ادنى الى العدل والحرية ،  
 فنشطت الجرائد من عقالها ، وانطلقت متبارية في مجالها ، فكثر عددها ،  
 وعظم نفعها ، وتدرجت في مراتب الخطر وعلو الشأن ، حتى بلغت المقام  
 الذي نراها فيه الآن ، وصار منها في بلادنا الهروسة صحائف غير قليلة تكتب  
 بالعربية والتركية وسائر اللغات . وكانت اول الجرائد العربية جريدة الوقائع  
 المصرية . واكثر بلداننا صحائف اخبار دار السعادة العالية ، ثم بيروت ، ثم  
 الاسكندرية والقاهرة ، ثم ازمير

### البحث الثاني

#### في احوال الجرائد واثارها

تبين مما تقدم ان الجرائد كانت عند نشأتها اذاحيك هازل يلهو بها  
 امراء الناس واغنياءهم في مقامس نعيمهم ، ثم صارت اماديج واهاجي المؤمنين ،  
 وتواشيج واغاني للامراء ، وأجيز لبعضها نشر ما يتسر من اخبار البلد ، وانباء  
 السياسة ولكن على شريطة ان تعرض لديوان المراقبة ، فيحذف من انبائها ما  
 شاء غير معارض ولا معترض عليه ، فكانت الجرائد على هذه الحالة آلة

لكسب المال ، او ذريعة لنيل الآمال ، لا ياتمس بها النفع الا لكاتبها ، ولا  
 نقصد منها الفائدة الا لصاحبها ، ولا يبأ فيها بالحقيقة ما لم توافق « مقتضى  
 الحال »

ثم طلع نور العلم والعدالة على ظلمات الظلم والجهالة فبددها ، واغار جيش  
 الحقائق والنباهة على عساكر الاباطيل والبلاغة فشردها ، فجرت روائد الافكار ،  
 وانطلقت جرائد الاخبار ، تطلب مستودعات السرائر ، وتكشف اسرار  
 الضمائر ، وتجلو آراء ذوي النقد ، وتظهر آراب اهل الحل والعقد ، حتى عظم  
 شأنها وعلا ، وصارت هي الدليل على منزلة القوم من التمدن والعرفان ، بين  
 ابناء الزمان . ورأينا منها صحائف تنطق باسان الجمهور في الدعوة الى اقامة  
 الامور ، وتعين اوجه الفلاح ، وتنهج مسالك الرباح ، وتبين خفايا الفساد ،  
 وترشد الى طرق السداد ، فيخافها المعتدون واهل الخيانة ، وتطيب بها انفس  
 الصادقين وذوي الصيانة .

وما تستوي الجرائد في هذا الحد ولكنها مختلفة الشؤون والاحوال  
 باختلاف الاحكام والعادات والحالات المدنية في ممالك الارض ، فهي كالناس  
 درجات بعضها فوق بعض . على انها تتبع القوم في مسالك الترقى ( على  
 القول بانها ترجمان الآراء ) او ترشدهم الى سبل التقدم ( على القول بانها دليل  
 الخواطر ) فتكون مائة لسوادهم الاعظم فيما هم عليه من صلاح او فساد ،  
 وعلم او جهل ، وكرامة او هوان ، فلما رأيت الجرائد تعلقو بما يظهر من فضلها ،  
 وتجل بما يبدو من صدقها ، وثمر الخير لاصحابها بما يترتب عليها من دفع العميم ،  
 فثم قوم عرفوا الحقيقة ، وسلكوا في شؤنهم اقوم طريقة ، واما رأيتها تعلقو  
 وهي بالسفالة احق ، وتسفل وهي بالنبالة اولى ، ولا ينظر في شأنها الى وجه  
 الحق والفضل ، فهناك قوم باعوا الهدى بالضلال ، وانطلى عليهم الحال .

على ان الجرائد في الجملة نافعة الاثر، عظيمة الفائدة، تظهر الحقائق او تكون دليلاً، وتقرب المعارف او تهدي سبيلها، وتروي اخبار الاقطار قريبها والبعيد، وتحكي اراء الناس طائفتها والسديد، فتقرب مسافة ما بين البلدان، وتصل بين الخواطر والاذهان، فان لم تكن من اللاتي حصت لهن الحرية، او كملت فيهن المزية، فلم نقل كل ما تعلم، او لم تعلم كل ما نقول، فاقول ما فيها من النفع انها تجمع شتات الاخبار، وتعان اثار الافكار، فتكفي المطالع مؤنة البحث والاستخبار.

فان قيل ما فائدة الجرائد الناصبة للمائة، المقصورة على حكاية حال، او رواية خبر من غير نقد ولا بيان لوجه النفع والضرر، وكيف لا يترتب الضرر على الصمائم التي تهيج الانفس، وتبث الشحاء في القلوب، وتوقظ الفتن والحروب، قلت اما هذه فهي فاسدة لا محالة. على ان الضرر غير مترتب عليها بالحصص وانما هي اللسان الناطق بالمشارب الكامنة في بعض الصدور، فوجودها ينفع من هذه الحيثية اي من حيث انها تظهر تلك الموبقات الخافية، فيسهل التحرر منها ولا يضر من وجه آخر لان الكلمة لا تؤثر في النفس الا بمقدار استعدادها للانفعال، ومن كان سليم الذهن راشداً لا يستوي عنده الهدى والضلال. بل ربما كان تشفي ذوي الاحقاد والضعائن باقوال تلك الجرائد، مانعاً لهم من ارتكاب الشر فعلاً، حائلاً بينهم وبين التستر في نصب الكائد والاشراك يدل على ذلك ما نراه من الفرق بين اعمال الفنايئة في الروسية، والاباحية في فرنسا. فاولئك يقاتلون الملوك، ويفتكون بالامراء، ويملاون قلوب سائر الناس خوفاً، وليس لهم جريدة منشورة. وهؤلاء على كثرة جرائدهم نسمع منهم جمجمة ولا نرى طحناً. اما الجرائد القليلة المادة المقصورة على حكاية بعض الوقائع، ورواية شيء من الانباء، فلا تخلو من

الفائدة التي ذكرنا ترتيبها على جمع شتات الاخبار ، وهي اما ان تكون في قوم من الذين ترقوا في مراتب التمدن ، والمعارف ، والحرية فغايتها النماء ، او الخفاء ، واما ان يكون قومها من الذين يستخفون بأثار العلم ، وحاجات العقل ، ولا يقدرّون الجرائد حق قدرها ، فلا تثير عليها في القصور انها تنزل مما ينسجون ، او تنسج مما يغزلون . ولورأت منهم ما ينبغي لها من الاقبال ، وحسن الاشتغال ، لتزينت لهم زينة العيد ، وبدت كل يوم بثوب من الحسن الجديد .

### المبحث الثالث

#### « في حرية الجرائد »

تنوعت آراء الناس في حرية الفكر الشاملة لحرية اللسان والقلم ، واختلفت احكام الدول فيما اجازته وما حظرتة من مظاهر تلك الحرية ، فلم تكن الجرائد من هذه الحيشية سواء في جميع البلاد ، وانما هي في بعضها مطلقة لا حد لها الا القانون العام ، وفي البعض مقيدة باحكام مخصوصة بها تكون قريبة من الرفق ، او بعيدة عنه بمقدار بعد القوم عن الحرية المدنية والسياسية وقربهم منها

وقد كان الانكليز اسبق الناس الى الحرية على اختلاف مظاهرها وانواعها ، ففازت بها جرائدهم تامة مطلقة من غير حد الا قانونهم المتبع في جميع المعاملات ، على حين لم تكن الجرائد في سائر الاقطار الا بوقفات مدح ومزامير حمد للوجهاء والاقوياء ، ثم تلتها جرائد فرنسا بعد الثورة فانطلقت في مجال الاهواء ذات اليمين وذات الشمال ، واساء بعض اربابها استعمال الحرية ، فدعوا الى القتل والنهب وانتهاك المحارم ، فكانوا كالجحشون نقلد سيفاً ماضياً . ثم قامت الامبراطورية في فرنسا على جث حماة الجمهورية ، وانصار الحرية ،

فقيدت الجرائد بنظام بين الرفق والشدة ، وتعاقبت من بعدها الدول تارة ملكية ، وطوراً جمهورية ، وحيناً امبراطورية ، فكانت الجرائد تنتقل من طور الى طور حتى اتت عليها هذه الجمهورية الاخيرة وهي غير مطلقة الحرية ، بل كانت الى سنة ١٨٨٠ لا تصدر الا باذن من الدولة ، وضمان مالي مقداره ٥٠ الف فرنك يستودع لوفاء ما عساه ان يحكم به على الجريدة من المغارم ، ولا تأمن مع ذلك ان تحظر الحكومة بيعها جهاراً من غير محاكمة ، ثم أبطل هذا القانون ، وألغى حكم الاذن والضمان ، وحظر البيع ، ومع ذلك بقي للجرائد في فرنسا قانون مخصوص بها فلولا ان حكومتها لا تعمل بشيء من احكام هذا القانون ، لكانت اضيق حرية من جرائد الانكليز

والجرائد في الولايات الاميركية وسويسره ، مطلقة الحرية ، غير مقيدة الا بالاحكام والقوانين المرعية في محاكم المعاملات كجرائد انكلترة . وليست كذلك في ايطاليا واوستريا واسبانيا وغيرهن من الممالك الدستورية ، ولكنها بالجرائد الفرنسية اشبه من حيث انها مقيدة بنظام تهمل الحكومة احكامه في اكثر الاحيان ، كراهة اغضاب الجمهور

وما ننكر ان صحائف الاخبار لم تبلغ بعد في بلادنا المحروسة ما بلغته من الحرية التامة في بعض الاقطار الغربية ، ولكن من نظر الى احوالها بعين الانصاف ذاكراً قرب عهدنا من الحرية المدنية ، والمعارف السياسية ، غير ذاهل عن وجوب التدرج واستحالة الطفرة في كل الامور رأى قانونها بعيداً من الجور ، قريباً من الرفق ، مماثل لقوانين الجرائد في كثير من البلاد الاوروبية ، ويفضل بعضها بسعة الحرية في كثير من الاحوال . فهو يجيز لها اي للجرائد ان تنتقد الادارات ، وتبدي رأيها في المهمات الوطنية ، وتظهر سيئات العمال والمأمورين صفاراً وكباراً ، مرووسين وروساء ، من اقل الخدم الى الوزراء ، لا تخاف

في ذلك دَرَكَاً ، ولا تخشى احداً ، ولا يلزمها الا مراعاة احكام القانون من حيث المقدرة على اثبات ما نقوله في المحاكم النظامية ، وهو عين ما يلزم الجرائد في اكثر الاقطار المريقة في الحرية . وليس في قانوننا من استثناء في القاعدة التي تميز للجرائد ما ذكرناه الا ان ذات الحضرة السنية السلطانية مقدسة لا ينبغي ان تذكر الا بما يجب لمقامها الكريم العالي من الاجلال والاحترام ، وان لوكلاء الدول حرمة واجبة الرعاية ، فلا يسوغ القدح في ذواتهم وان جاز انتقاد ما يقولون وما يفعلون مما يتعلق بالسياسات . وهذا الاستثناء اي ايجاب الاحترام لذات رئيس الدولة ووكلاء سائر الدول المقيمين لديه ، مرعي معمول به لا اقول في الروسية والمانيا فقط ، بل في اوستريا وايطاليا وجمهورية فرنسا بل في انكارة وجمهورية سويسرة

فمن ظن جرائدنا معقولة مقيدة ، محظوراً عليها ما يجوز للجرائد في سائر الاقطار من النقد والتخطئة ، والمواخذة والتسوية في مكان الغلط والخطأ والسوء ، ومن ابداء رأيا وما تقف عليه من آراء الناس في مسائل الادارة ، ومشاكل السياسة ، وفي كل مبحث له في صحائف الاخبار مقام ، فقد ناله الوهم ، وفاته الصواب ، انا نستطيع جل ما تقوى الجرائد عليه في معظم البلاد الغربية كما يعلم ذلك من وقف على بعض جرائد الاستانة العالية ، فان كانت بعض صحائفنا خالية عن الآثار الدالة على الحرية او سالكة من «مدارة الخواطر» مسلك اهل الرق والعبودية . فالتصور منا والذنب لنا ، وليس العيب في القانون . وفقنا الله لحفظ نظامه ، والعمل باحكامه ، ويسر لنا القيام ببعض الواجب من خدمة الدولة والامة ، فتلك اشرف خدمة ، بل اسبغ نعمة ، ولا سيما في عهد من كتب لرعيته من الحدثن اماناً ، وملاً ارجاء بلاده عدلاً واحساناً ، سيدنا السلطان الاعظم ، ومولانا الخليفة الاشرف ، ايد الله بالعزيز

مقامه ونصر ألويته واعلامه ، ولا زال السعدُ خادمه والزمانُ غلامه .

## الآيات اليبينات

— وكتب مقرظاً كتاب «الآيات اليبينات في غرائب الارض والسموات»  
تأليف حضرة صديقنا الكاتب الالمعي البارع ابراهيم افندي الحوراني بيروت

— فقال

وقفتُ على هذا الكتاب ( وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه ) مستجلباً  
منه فرائد الفوائد والآداب ( والله من دري والله ناظمه ) فرأيتُه مختصراً موفور  
النفع ، محكم الوضع ، مليح النسق ، برى العبارة من الكلفة والقلق ، حافلاً  
بمنافع العلم ، ومحاسن الادب ، قريب المنال على قصير باع الطلب ، مرتباً على  
ديباجة وقسمين . — الديباجة في بيان الغاية من تأليفه وهي تثقيف الطلبة  
والعوام بدانيات المعارف ، تمهيداً لطريقهم الى ما فوقها من المطالب العلية ،  
وايضاح سر تسميته بالآيات اليبينات وهو ( بيان آيات القدرة الالهية والحكمة  
السرمدية . — والقسم الاول في عالم الغيب والخفاء ، والمراد به مجموع المخلوقات  
التي خفيت عن الاقدمين ، ورآها المتأخرون بالمرسكوب والتلسكوب ،  
كالحيوانات النقاعية والهوائية التي احتجبت لدقتها عن الانظار ، وحارت في  
خلقها وكثرتها الافكار ، وهو قسم مختصر تمام الاختصار . — والقسم الثاني في  
عالم الشهادة والظهور ، والمراد منه المرئي من موجودات الارض والسماء ،  
وفيه كلام على البحر وما فيه من عجائب المخلوقات ، وعلى البر وما يقل من  
الحيوان والمعدن والنبات ، وعلى الجو وما يلحق به من الريح والصاعقة والمطر  
والثلج والسحاب ، وعلى الفلك الاعلى وما يتبعه من الشمس والاقمار والكواكب  
والشهب وذوات الاذناب ، وكل ذلك بايجاز ملائم للغرض المقصود من

## الكتاب .

وفي خلال هذه المطالب العلمية فوائد من علم اللغة من نحو تسمية الاشياء  
باسماءها العربية الصحيحة ، وتييز انواعها بالمصطلحات اللغوية الفصيحة ، وتعريب  
الاسماء الجديدة بطريقة الصيغة او التقريب ، مع شرح الغامض من اللفظ ،  
وتفسير المهجور ، وبيان الغريب . وهي طريقة الاجتهاد الذي لا بد منه لاهل  
الانشاء بهذا اللسان ، وهي وسيلة النجاة من طمطمانية الاعاجم التي سرت في بعض  
كتاب الزمان .

ومن محاسن هذا الكتاب في باب الادب وصف الاودية فيه بما يحسن ان  
يكون للهاثمين في كل وادٍ عنراً ( وان من البيان لسحراً ) فمن ذلك الوصف  
قوله « يتفرق على درح ميبائها لجين الماء ، ويسم ثغر ياقوت وردتها الحمراء ،  
على عنق الزمرودة الخضراء ، وترقص غصون حدائقها الغناء ، على ألحان  
انورقاء ، فكم فيها من ماء مزاجه من تسنيم وكم في رياضها من جناتٍ ونعيم  
صحَّ فيها الماء واعتلَّ النسيم » على اني رأيت صاحب هذا الوصف الشعري  
الكلام ، الاندلسي التصوير ، يتبرأ من شأن الشعراء فيه ، ويقول انهم به  
ادري ، وباستيفائه احرى ، وان غرضه عجائب الاودية وغرائبها ، لاظباؤها  
ورباربها ، ولا مضاربها وخيامها ، ولا حدائقها وآجامها ، ولا ما فيه من غدق  
ومينٍ وسلسال ، وظللٍ وفراتٍ وزلالٍ الى آخر ما نسجه على هذا المنوال ،  
ثم وجدته يسترسل الى ما يتبرأ منه ، ويطنب فيما يؤم النجافي عنه ، حتى انه  
رام وصف وادي الموت فلم يتمالك ان نظمه شعراً فأيقت ان السليقة لا تغلب .  
ولست اعدُّ الشاعرية لصاحب هذا الكتاب وزراً ؛ فالشعر ربحانة النفوس ،  
وزهرة الادب ، والشعر ديوان العرب ، وانما اذكر له فضلاً يحاول انكاره ،  
واظهر للعيون آثاره .

وجملة القول ان كتاب الآيات البيّنات ، فيه من الأدب آيات ، وعلى  
 قضايا العلم بيّنات . فهو جدير بان تقبل انفس الالباء عليه ، حري بان  
 تبسط ايدي الطالبين اليه ، حقيق بان يكون لاوائك سميراً في المجالس ، قمين  
 بان يتخذ لهؤلاء مرشداً في المدارس .

ما ضره ان لا يكون مطوّلاً      ان كان حاصل نفعه موفوراً  
 بل زاد رونق حسنه في العين ان      كبرت منافعه وكان صغيراً  
 فانظر اليه تر المعاني غضةً      واللفظ بوضاً والبيان نضيراً  
 واحرص عليه فقد جباك فوائداً      مثل الفرائد قد نظمنا سطوراً

\*\*\*\*

### × تأيين البستاني

وقام خطيباً على ضريح العلامة الخالد الاثر وطيننا الطيب الذكر المعام  
 بطرس افندي البستاني فقال -

كذا فليجل الخطب ويلفدح الامر      وليس لعين لم يفض ماؤها عذر  
 ان هذا المصاب مصابٌ جسيم .      ان هذا الخطب خطبٌ عميم . انها  
 لمصيبةٌ وطنيةٌ يقل في مثلها بذل الدموع ، انها لنايبةٌ عموميةٌ لا يكثر في  
 نظيرها تمزيق الضلوع . اجل ان المصيبة فيك مصيبة الوطن ، يا من انفتت  
 العمر في خدمته . مقدماً ، مجتهداً ، صابراً ، متجلداً ، متعففاً ، مستقيماً . فلا  
 بدع ان تبكيك العيون ، ولا غرو ان تنفطر لفقرك القلوب . او لم تكن فينا  
 مثال الفضل والاجتهاد . ونموذج البراعة والادب . وعنوان التجلّد والثبات  
 في خدمة العلم . بذات في هذه الخدمة شبابك . ووقفت على هذا السبيل  
 اتعابك . وجعلت العلم غايتك القصوى من دنياك . فكان لروحك روحاً

وكنت لذاته قواماً

فأي أثر أدبي رأيناه ولم تكن انت البادى به او الداعي اليه . واي مشروع مفيد شهدناه ولم تكن انت الشارع فيه او المعين عليه . او لست اول من خطت على صفحات القلوب ورسم على صحف الجنان « حب الوطن من الايمان » واول من اقدم على المشروعات الجسيمة العامية بهمة لا تخاف المصاعب والعقبات . ولا تألف الا صدق العزيمة والثبات .

باي آثارك لا تذكر . وبايها اذا ذكرت لا تشكر . واية عين ترى اعمال يديك . ولا تفيض دمعاً بل دماً حزناً عليك . وما الذي نذكره من آثار اجتهادك ، في استمرار ارتيادك ، ولا نجده عظيماً . لمواظبتك على خدمة العلم والادب اربعين عاماً او تزيد . ام تأليفك وتصانيفك الغنية بشهرتها عن الوصف . أمحيط بحيطك . ام قطر محيطك . ام مدرستك الوطنية التي ملأت بها الوطن انواراً . ورفعت فيها الادب الصحيح مناراً . ام جناتك التي غرست فيها اغصاناً من العرفان ، من كل فاكهة بها زوجان . ام جناتك الزاهرة الدانية القطوف . ام دائرة المعارف التي . . . كدنا نخاف ان تدور الدائرة عليها لولا الامل فمين ابقيت لها خلفاً كريماً . يحقق رجاء المهيبين ، ويتم أمنية المستفيدين . اجل يتم الامنية ويحقق الرجاء ، فيكون به للوطن عزاء .

في الأثر المأثور يا سادتي « من علمني حرفاً كنت له عبداً » فمن منا لم يعلمه هذا الفقيه حروفاً . من منا لم يستفد منه فوائد صنوفاً . من تصانيفه في كل فن . من مدرسته الوطنية . من جرائده الزاهرة . من آثار معارفه في كل موضوع . ومن منا لم يدفع الملل في اوقات الفراغ . ويغلب الضجر في ساعات الراحة . وينزه الفكر بعد تعب الاشغال . بتلاوة ما كان فقيدنا يجي لانشائه الليالي الطوال . فكيف لا نرتبه . وكيف لا نبكيه . وكيف

لا نستعظم المصيبة فيه

أي هذا الراقد تحت ظلال الرحمة والرضوان . لقد عشت سعيداً مفيداً .  
وقضيت حميداً فقيداً . وان كان عموم الاسف ، وشمول الحزن مما يبرّد ثرى  
ويجلب غفراناً . فقد جادتك سمب الرضوان والغفران ، مسوقة الى ثراك من  
كل مكان ، مستطرة على ضربحك بكل لسان

نم سعيداً يا من قضيت فقيداً      بجميل قدّمت بين يديكا  
أنت أحسنت في الحياة الينا      أحسن الله في المات اليكا

وله مقالة في

التشبه ✓

قال

من تردّي برداء      ما رآه لايه  
وابتني ما قد تعالى      عنه مما يشتهيه  
سوف يأتيه زمان      يتنّى الموت فيه

وقد أبت لي نفسي ومشرب يعرفه الناس منها ان اكون من القائلين  
بالامتياز من غير مزية . اني أو من بالله واقر له سبحانه وتعالى بالعدل الذي  
هو عين المساواة . واظن ببني نوعي خيراً معترفاً لكل سوي منهم بقابلية  
الفلاح والارتقاء ، فما اردت بما تمثلت به من ذلك الشعر ايجاب تشبه الانسان  
بابيه وقوفاً عند حدّ التقليد، ورضاه بما وجدت يده فعل الوكيل البليد ،  
وانما قصدت الاشارة الى من يتثل بمن لا يصل اليه ، فيما يعز ادراكه عليه ،  
فيكلف نفسه ما لا تسع ، ويلقي على عاتقه ما لا يطيق ، فيني بالخيبة والذل  
صاغر النفس قبل الوصول الى منتصف الطريق ، وفي مثل الضفدع اذا انتفخ

تمثلاً بالجاموس فانشقت مرارته عبرة لاولي الالباب .

ولقد سرت هذه العلة في ديارنا بين الاكابر والاصاغر والاوساط ،  
فضاعت بها الاموال ، وساءت الاحوال ، وفسدت الاخلاق ، وضاعت  
الارزاق ، وصار اكثرنا كلقبور المكساة بيضاء الظاهر ، وليس في باطنها  
غير الدود

فيا قريني الوسط المستور بالبركة علام تعدى الغني فيما لا نخدع به  
الا انفسنا من الزخارف والباطيل . رأيت لورفلت زوجاتنا بالحرير الاطلس  
يكس باطرافه قمامة الشوارع فيغنين البلدية عن الكناسين ، ولو تختم اولادنا  
بالجوهر مستعاراً ، وتقدوا سلاسل الذهب مبتاعة بالدين تشبهاً باولاد الاغنياء ،  
ولو سكننا القصور مفروشة بالدباج بطاينا الغرماة بشمعة قبل انقضاء العام ،  
او نبذل فيه جل رأس المال - أنسدل على حقيقة امرنا حجاباً ، ونلقي في اعين  
الناس تراباً ، فلا يظهر من حالنا الا ما نريد ، ولا يرى منا الا ما نظهر ؟ بل نحن  
نسعى الى دمارنا بارجلنا ، مخربين بيوتنا بايدينا

وانت يا خليي الفاعل الآكل الخبز بعرق الجبين ، فيم تشبهه بالاوساط  
وما فوقهم من الدرجات ، رأيت لو خرجت زوجتك من بيتها الحقير ، بزيت  
امرأة جارك صاحب القصر الكبير ، على رأسها نقاب ثمين ، وفي يدها عاتة  
او مظلة من الحرير ، ولورضيت بالفول غذاء ، وباذناب الفجل عشاء ، لتلبس  
زوجتك واولادك ما يلبس الاغنياء ، وانتم في ميته لا يرضونه مرطاً لجيلهم -  
أيغير ذلك شأنك ، ويرفع بين الناس مكانك ، فلا تحسب معه حملاً او  
حمراً ، ولا تعد ما هنا او اكاراً ؟ بل انت معرض نفسك للسخرية تحرمها  
مما تحتاج اليه ، لتظهر بما يضحك الناس منه .

ساني اخبرك باحوال امثالك في بلاد المساواة المطلقة ، والاجتهاد المستمر ،

٤٢٥  
٤٢٥  
٤٢٥

فأولئك لا يتحلون بالذهب ، ولا يلبسون الجوخ الأناعم من فوق معدٍ فارغة  
تطلب المدد ، ولا تنزياً نساؤهم بازياء نساء المتمولين ، وإنما لباسهم الكتان  
صيفاً ، والصوف شتاءً ، ولنسائهم واولادهم ملابس تليق بشأنهم ، وتلائم  
احوالهم ، يخرجون بها في اوقات الفراغ راضين بما وصلوا اليه ، فرحين بما هم  
عليه ، لا يسق قلوبهم الحسد ، ولا تعرف انفسهم الذل ، فاذا انقضى زمن  
العطلة او يوم العيد ، عادوا الى شأنهم يسعون فيه . تشتغل نساؤهم كما يشتغل  
الرجال ، ولا يرى اولادهم في الازقة متمرغين في الاوحال ، واذا مر بهم  
سادة القوم من الوجهاء والاغنياء ، لم يخفضوا بين ايديهم رأساً ، ولم يخافوا لهم  
قوة وبأساً ، وانت مع ترديك بالجوخ ولبس زوجتك الحرير ، تقف على ابوابهم  
موقف الذليل الحقير ، فما ضرك لو تركت ذلك الزين ، ولم ترض هذا  
الشين ، وانت في غنى عن الحالمين

الاساءت عاقبة من جهل حده فتعداه ، ونظر الى من فوقه فتحداه ،  
فزأت به القدم ، فندم حين لا ينفع الندم . اطمع نفسه فيما تقصر يده عنه ،  
وعود اهله ما لا يستطيع الاستمرار عليه ، فطالبوه به فلم يصبه حلالاً ،  
فاحتال فلم تغن عنه الحيلة ، فسرق فامتعت عليه السرقة فاغتال فان عز  
عليه بعد ذلك خيانه في اهله عناة دائم ، وبلاية مستمر .

ونعم الرجل من تشبه بذوي الفضل واهل الاجتهاد ، فيما ادركوا به  
الامينية ، وبلغوا المراد ، فطلب فحصل ، وسعى فادرك ، وجد فنال ، وتعب  
فاستراح ، لم يقنع قناعة الوكيل ، ولم يطمع طمع المغرور ، فذلك هو المعنى  
المراد من قول من قال فاجاد .

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاح

الرفق  
بالعلم  
العلم  
العلم  
الاعتدال

العلم  
بالعلم

وكتب في وفاة السيد الشهيد الامير عبد القادر الجزائري بعنوان

### داهية دهماه

ما خلت ان عماد الدهر ينهدم      حتى قضى السيد العالي الذرى العلم  
القاصد المجد بازلت به قدم      الصاعد العزم ما انحطت له همم  
الباذل الخير ما غاضت مكارمه      الحافظ العهد ما ضاعت له ذمم  
الموقد النار يوم الروع يضرهما      حيناً ويطفئها والنار تضطرم  
فالخيل والليل والبيداء تندبه      والسيف والرمح والقرطاس والقلم  
والحزم والعزم والمجد الذي بسقت      فروعه والعلی والفضل والكرم

كيف لا وهو السيد السند ، الامير الكبير ، الحبيب النسيب ، العالم  
العامل ، الخبر البحر ، التقى النقي ، الهمام المقدم العربي الابي سيدي عبد القادر  
ابن سيدي محيي الدين الحسيني الجزائري سقى الله بغيث الرحمة ثراه ، ورضي  
عنه وارضاءه

مفرد مجدي ما لنا بعده      وللعلی غير الاسی والعويل  
والصبر ان امكن في خطبه      والمستعان الله صبر جميل  
وقد توفاه مولاه غلس يوم السبت الماضي في قصره بدمر من ارباض  
دمشق بعد تجلده لداء عياه ، فنيت فيه حيلة الاطباء ، شهراً ونصف شهر  
فكان الرزة فيه جسيماً ، والمصاب أليماً ، والخطب عظيماً ، والحزن عميماً  
فيالك وقعة جلالاً أعارت      أسي وصبابة جلد الجاليد  
ويالك ساعة اهدت غليلاً      الى اكبادنا ابد الايد  
وسرى نعيه في المدينة صباحاً ، فملاً القوم نواحياً نواحاً ، وطاروا الى  
القصر هائمين حيارى ، تحسبهم سكارى وما هم بسكارى . فداروا به صفوقاً ،

واجتمعوا من حوله الوفاء ، ناديين مسترسلين للبكاء ، ناحبين متجافين عن العزاء  
 وكلامهم اعدّ اليأس وقفاً عليه ونصّ راحلة القعود  
 ثم ساروا بنعشه الى منزله في المدينة حيث أقيمت مناسحته الى الساعة  
 الثالثة من النهار ، وكانت الطرق من ابواب المنزل الى الجامع الاوي غاصّة  
 بالناس على اختلاف مراتبهم ومذاهبهم ، حتى لو ألقى عليها التراب لما مسّ  
 الارض . ثم خرجوا به الى الجامع يتقدمه مئات من المشايخ والقراء ،  
 واصحاب الطرائق والاشائر ، مهللين مكبرين ، ورجال الشرطة ، وعدد  
 كثير من العساكر النظامية ، ويليه جمع لا يحصى من العلماء الاعلام ،  
 والامراء العظام ، والوجهاء الكرام ، فصلى عليه رحمه الله وكانت الآراء مجتمعة  
 على دفنه بجوار القطب الرباني الشيخ الاكبر محيي الدين العربي رضي الله عنه ،  
 فاجتمع مجلس ادارة الولاية للمذاكرة في هذا الامر فقرّ عليه . فساروا في  
 الجنازة على طريق الصالحية حتى بلغوا دار الحكومة ، فاستقبل النعش هناك  
 قناصل الدول جميعاً باللبسة الرسمية ، وفريق آخر من العساكر السلطانية ،  
 وجميع امراء العسكرية والملكية ، وساروا به اجمعين لا يلوي سابقهم على لاحقهم ،  
 ولا يبصر اولهم آخرهم . فقد انبأنا المكاتبون الثقات انهم كانوا زهاء ثلاثين الفاً  
 عدداً غير الواقفين بالطرق وعلى الابواب والنوافذ عجزاً عن اختراق الصفوف  
 وما نحاول استيعاب مناقب هذا الامير العليّ المكنان ، ولا نزاول استيفاء  
 مآثره التي سارت بذكرها الركبان ، فذلك ممّا تضيق دونه الاسفار ، فضلاً  
 عن صحف الاخبار . وانما نقول فيما نحدث عنه ولا حرج انا رأينا به بجرأ  
 ينظم لفظه درأ ، وعرفه الناس برأ تنثر كفه تبرأ ، وكان في السلم غيثاً ، وفي  
 الحرب ليثاً ، وفي المهمات مناراً ، وفي الملمات ناراً ، والمعافين ملاذاً ، وللخائفين  
 معاذاً ، واطلاب العلوم استاذاً . وجملة القول انه بضعة الشرف العربي

وبقية المجد الشرقي ، وصورة من صور السودد والفضل ، ومظهر من مظاهر  
 الاقدام والنبل ، وتجل من تجليات الكرم في الفرع والاصل . وهذا طرف  
 من ترجمة حاله نوثره من معجم فرنسوي في تراجم العظماء

هو السيد الحاج الامير سيدي عبد القادر بن محيي الدين أحد حماة  
 الامة العربية . وُلد نحو عام ١٨٠٧ ( للميلاد ) في ضواحي مسقرا . وكان  
 سيدي محيي الدين مرابطاً رفيع القدر في عمالة اوران ، متصل النسب بال  
 البيت النبوي الكريم . فربي صاحب الترجمة في حجره ، واخذ العلم عنه ،  
 واقتدى بالادب فيه ، وكان متوقفاً الذكاء ، يفسر على صغره آي القرآن العظيم .  
 ثم اشتهر بانفصاحة وسعة العلم بتاريخ قومه ، وبالتقوى والصلاح . ولم يكن  
 خافلاً عن واجب الرياضة للبدن . بل فاق عشيرته في الفروسية وضرب السيف ،  
 حتى خافه عامل الجزائر يومئذ فاضمر له شراً ، فسار الامير الى مصر بصحبة  
 والده ، ثم ادعى فريضة الحج فزاده ذلك رفعة عند ذويه . ولما آب من  
 سفره كانت مدينة الجزائر بيد الفرنسيين وعرب اوران على قدم الحرب ، فولوا  
 سيدي محيي الدين زعامتهم ، فاغار بهم على مسقرا ودخلها عنوة ، ثم تنازل عن  
 الامارة لابنه صاحب الترجمة ومنذ حينئذ دخل تاريخ الامير عبد القادر في  
 تاريخ حملة الفرنسيين على الجزائر ، بل صار هو آياه . فانه لما اشتد أزره  
 ببوادر النصر ، نادى في قومه بالجهاد ، واغار في عشرة الاف فارس منهم على  
 مدينة اوران عام ١٨٣٢ وكانت بيد الفرنسيين وقائد حاميتهم فيها الجنرال  
 بوير ، فخرجوا لقتاله فثبت لهم ، وابلى بلاة حسناً ثلاثة ايام متوالية ، ثم عاد  
 عن المدينة . وفي السنة التالية ولي الجنرال ديمشيل قيادة الفرنسيين في الجزائر ،  
 وظهر على الامير في بعض المناوشات ، واقام رابطتين من الجند في موقعين من  
 الساحل ، ومع ذلك لم تفر همّة صاحب الترجمة ، ولم ينخفض مكانه بين

قومه ، بل صار رئيسهم الفرد المشار اليه وتيسر له الهجوم على تلمسان . ثم  
توفي والده عام ١٨٣٤ فها دن الجنرال ديمشيل على ان يكون الشليف هو الحد  
الفاصل بينه وبين الفرنسيين فصار له بذلك امانة واسعة بين مراكش ،  
واوران ، وتيتري ، والجزائر . وصرف المهمة الى اقامة الامور ، وترتيب الشؤون ،  
واصلاح الاحوال ، وتنظيم الجند في تلك الامارة استعداداً لمعاودة القتال  
عند الحاجة . وفي خلال ذلك تنافر الجنرال فوارل والجنرال ديمشيل ، وولي  
الجنرال تريزل قيادة الفرنسيين عام ١٨٣٥ وكان الامير قد اجتاز الشليف ،  
واستولى على بلد مديية ، فخرج اليه القائد المذكور في جيش كثيف ، ونازله  
على ضفاف مقطا ، فتلقاه الامير بعشرين الفا من الخيل فجلد الفرنسيين لقتالهم  
ما استطاعوا ، واطمروا فيه عجائب من البأس والاقدام ، ولكن ظهر العرب  
عليهم فارتدوا ومدافعهم عن انفسهم ، تاركين لفرسان الامير متاعهم وذخائرهم  
ومستشفياتهم مغنياً فاشتدت بهذا النصر عزائم العربان ، وضعفت همم  
الفرنسيين . ثم عين المارشال كلانزيل عاملاً على الجزائر ، فدأب في القاء  
الفتنة بين مشايخ العرب حيناً من الدهر ، ثم حمل على مسقرا بثمانية الاف من  
الجند ، فراها خالية من الحامية ، فأمر بهدمها . ثم حل بتلمسان وكانت بينه  
وبين الامير وقائع ليست بذات بال

وما ظهر الفرنسيين على صاحب الترجمة ظهوراً حقيقياً الا على عهد  
الجنرال بوجو الذي ازال العربان عن حصار القائد ارنج . على انه جنح الى  
موادعة الامير تمهيداً لسبيل الغارة على قسطنطينة ، ووثقه على ذلك في  
الثالث من شهر ايار عام ١٨٣٧ . فصرف الامير ايام الهدنة في لم الشعث ،  
وجمع كلمة العربان ، واقامة الارصاد في البلاد التي يد الفرنسيين ، وتوفير  
الذخيرة ، واستكمال آلات القتال . ثم وقع الخلاف بينه وبين القائد

الفرنسوي علي بنود غامضة من ميثاق الهدنة ، فعاد الى الحرب عام ١٨٣٩ .  
 وحينئذ خرج الدوك دورليان والمرشال فاله لقتال العربان ، وابتدأت الحملة  
 المعروفة بحملة عام ١٨٤٠ ، وحصل الظهور للفرنسيس ، فاستولوا على مدينة  
 وميليانه ، وانتصروا على جند الامير في موزايا . ثم توالى الوقائع تباعاً ،  
 واتصل مدد كثير بعسكر الفرنسيين ، وغير قادتهم طريقة الحرب ، فاستولوا  
 على مسقرا عام ١٨٤١ ، ودانت لهم بعض القبائل . فما خاف صاحب الترجمة  
 ولا وهن بل زاد تجلداً وعزماً ، وجمع الامناء واهل النجدة من عشيرته ،  
 واقام يدافع بهم الفرنسيين حتى استولى الدوك دومال على سمالا عام ١٨٤٢ ،  
 فلاذ الامير ببلاد مراکش ، واستنجد سلطانها عبد الرحمن فانجده . ببعض الجند ،  
 ولكن ظهر الفرنسيين عليهم واطلقوا مدافعهم على موغادور وطنجر ، فخاف سلطان  
 مراکش وقعد عن نصره الامير ، فاستجاش الامير اهل مراکش على الحرب ،  
 فاقبلوا على نصرته بالرجال والمال ، فعاد الى القتال صابراً جليداً واوشك ان  
 يسترد البلاد عام ١٨٤٥ فجدد الفرنسيين عزائمهم ، وقاتلوه قتالاً مستمراً  
 عامين آخرين . وكان صاحب مراکش قد اظهر النفرة منه فضلاً عن التناقل  
 عن انجاده ، فاضطر الامير لمقاتلته ، وظهر على جنده ظهوراً ميبئاً . ثم احاطت  
 به الاعداء من كل جانب ، وحقت به الاخطار من كل صوب ، ففكر ان  
 يعرض قومه لهلاك بلا فائدة ، فرضي بالتسليم للقائد لاموريسيار على شرط  
 ان يرسل الى الاسكندرية او عكا . فحمل اولاً الى فرنسا ، وأقيم حينئذ في  
 قلعة لاملغ ، ثم في طولون ثم في قصر «بو» . وفي عام ١٨٥٢ أطلق نابوليون  
 الثالث حريته ، وبلغ في اكرامه ، فسار الى بروسة (بورسة) واقام بها الى  
 ان زلزلت عام ١٨٥٥ فسار الى الاستانة ، ومن ثم الى دمشق . وكان له في  
 هذه المدينة عام ١٨٦٠ اثر من الكرم ، والاقدام ، والتقوى ، وحماية الجار ،

تشكره له الانسانية ، ويذكره له التاريخ ابد الدهر . وفي سنة ١٨٦٣ اسار الى مصر للتفرج على خليج السويس ، واتي فرنسا فتلقته دولتها باحتفاء لا يلبق الاً بَعْظَاء الامراء ، وكبار الملوك ، واهدت اليه نيشان اللجيون دونور الاكبر . ثم عاد الى دمشق فاقام بها كريماً عزيزاً رفيع المكان ، مقصوداً في الحاجات ، محبباً الى الناس ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، يجتمع في مجلسه العلماء والوجهاء والاشراف ، ويقصد بابه الفقراء والضعفاء وذوو الحاجات ، فلا يصد ملتس فائدة من العلم ، ولا يرد طالب عون من الجاه ، ولا يمنع سائل صدقة من المال . تشرفت بلقائه منذ ثلاثة اعوام فرأيت مجلسه العالي كما وصفت ، وبابه المقصود كما عرفت

وادهشني منه التواضع والتقى قرنين للعلم الذي ماله حد  
وللامير الفقيه انجال نجباء ، اشراف امراء ، سادة كرماء ، قادة فضلاء ،  
منهم السيد الامير محمد باشا ، والسيد الامير محبي الدين باشا ، وغيرهما من اشبال  
ذلك الاسد فهم يحفظون ان شاء الله اثره الكريم ، ويجرون على سننه القويم .  
فانهم القوم الذين هم هم اذا غاب منهم سيد قام سيد

### رنّة الحزن

« واختطف الهواء الاصفر عام ١٨٨٣ صديقنا الكاتب الالمعي البارع فضل الله افندي الخوري فسار نعيه الى بيروت فتواطأ فيها خلافة ومحبوه على كتم الخبر عن والدته كما جاء بيان ذلك في الرثاء الآتي ، ثم لبث الخبر مكتوماً مدة خمسة وسبعين يوماً اي الى ان سمحت لاصدقاء الفقيه الفرصة الملائمة لنشره فاذا عوه فتمجدد البكاء عليه مرة فكتب فقيدنا في (التقدم) ما يلي بعنوان (رنّة الحزن) فقال —

نحن اليوم في موقف نوح وبكاء ، ومقام ندى ورثاء ، قصفت لنا  
ريح الوباء غصناً نضيراً ، يانعا رطيباً ، غصناً وريقاً ، ينفخ زهره طيباً . فقدنا  
منذ شهرين ونصف شهر ، صديق الفؤاد ، شقيق الروح ، فضل الله افندي  
الخورى . فتى غض الشباب ، ناصر العود ، لم يتجاوز من عمره خمسة وعشرين  
ربيعاً

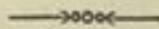
وكان خلواً من كل بائقةٍ وطيب الروح طاهر الجسد  
فبكيناه في السر الى هذه الايام رفقا بن ذلكته ان تغلب عليها لواعج  
الكمد ، ولا تجد سبيلاً الى الجلد

من لوعة لا يزال لا عجزها يقدر نار الاسى على الكبد  
وكيف لا نبكيه ، وتعظم عندنا المصيبة فيه ، ونحن اعرف الناس بمجاسن  
ماضيه وحاله ، ومخايل المجد والكمال في ماله . ازهر غصن آدابه فاجتليناه ،  
وأثمر بعد ازهاره فاجتنيناه ، فعرفنا العين ورأينا الاثر ، وحصل لنا العيان ولم  
يفتنا الخبر . وسل جريدة المحروسة عنه تويد هذا القول ان كنت في ريب  
منه ، فكم نقش في تحريرها بروداً ، وكم نظم في جيد حسنها عقوداً ، وما كان  
الآ مبتدئاً يستوضح سبيلاً ، ومستهدياً يلتمس دليلاً ، فكيف او ساعدته العناية ،  
وبلغ من الطلب النهاية

ياموته لو اقلت عثرته يا يومه لو تركته لغد  
او كنت راخيت في العنان له حاز العلى واحتوى على الامد  
وقد اغتالته المنية في القاهرة مقيماً بها غير مبال بالوباء المشتد ، والبلاء  
الممتد ، قضاء لواجب الخدمة ، واعتداداً بقوة الشباب ، وانقياداً لنفس لا  
تعرف الخوف ، ولا ترضى بترك الواجبات وان كان فيه الخلود . فقضى في  
قضاء واجبه شهيداً ، ومضى لمضاء عزيمته فقيداً ، فلن يبرح أبد الدهر

مذكوراً حميداً

واسنا نعزّي آلهُ وذويه فيه ان امكن العزاء ، فقد عمنا رزءهم فنحن فيه  
شركاء ، بل نحن واياهم سواء . فلينجدنا بالدمع كل ذي كبدٍ حرّى ،  
وليسأل الله لنا بعد ذلك صبراً



منتخبات العصر الجديد والمحروسة ومصر الاخيرة وغيرها  
« كتب رحمه الله في مقالة نشرها في العصر الجديد موجهاً بها في الخطاب  
الى مصر وذلك بعد عودته اليها من بيروت إثرّ وسود منصب رئاسة النظار  
في مصر الى دولة شريف باشا فقال —

عند الصباح يحمّدُ القومُ السرى

غبنا وكانت اليك عودتنا يا سكيناً لم يغب عن الفكر  
خيرنا الدهرُ بين بُعدك والادر فلم نرض خطّة القدر  
وزادنا البعدُ في رضاك جوى فاستحكمت منه علة الصدر  
وما برحنا في ليل حيرتنا حتى بدت منك آية الفجر  
آية فجر الحرّية ، من مجلس نور الوطنية ، ناسخة احكام الجهالة ، مبددة

ظلمات الضلالة

فاحتملتنا اليك جارية كأنها بالذي بنا تدري  
تشق جوف العباب مسرعة وقلبها مثلنا على حجر  
جرّ من الشوق اليك ، تضرمة الغيرة عليك ، بين جنبي محبٍ ولاك  
اصغريه ، وجعلك احدى غايتيه ، فصرنا الى حماك ، واقلنا تحت سماك  
وما بعد مصر للمنى متطلب وان كان اسباب الهناء كثيرا  
بل هناك امنية في القلب ، وحاجة في النفس لا ترى العين من دونها

الآية  
عمر

شيئاً ، ألا وهي كمال نعمتك ، وتمام بعثتك ، وظهور آثارك ، وعلو منارك ،  
ووصولك الغاية مما تروم ، وحصولك في المأمّن مما تخاف ، لتكون دليل الشرف  
في سبيل النجاة ، وهاديه في مسلك النجاح

فقد رأيتك منته طرف الفكرة ، من رقدة ذي الغفلة ، تؤيد أميرك  
الكريم ، وتوفيقك العزيز فيما يريد من جمع الكلمة ، وتوحيد الوجهة ، واعلاء  
شأن الفضل ، ورفع مكان العدل ، وثبتت للغرب أنك لا تزال حياً تعرف  
نفسك ما لها ، ولا تنكر ما عليها ، آخذاً في ذلك بوسائل الحكمة ، واسباب  
الدربة ، حتى كأنك عرفت السياسة طفلاً ، وألفتها يافعاً وكهلاً ، وجبتها  
حزناً وسهلاً ، ولست في شيء من ذلك وإنما هي نبالة الطبع تؤدّي الى الامل ،  
واصالة الرأي تصون من الخطل ، فاستوقفت اهل الغرب حيرة واستغراباً ،  
واهل الشرق سروراً وإعجاباً ، هؤلاء ينظرون اليك نظر المحب الآمل فيك ،  
او الداعي لك ، او المحاذر عليك ، واولئك يمدجونك بعين الغريب الطامع  
بك ، او الخائف منك ، او المرتاح اليك .

ورأيت أميرك الهام ، العليّ المقام ، راضياً عنك ، مستبشراً بك ، حريصاً  
على مجدك ، مبرماً ميثاق عهدك ، يروم منك الثبات فيما شرعت ، والحكمة فيما  
نزعت ، والاعتدال فيما سلكت ، والاحسان فيما ملكت ، وان تكون يده التي  
يدرأ بها عنك الشر ، ويحلب بها اليك الخير ، فتصلح بذلك حالك ، ويمسّن  
ان شاء الله ما لك

ورأيت وزيرك الشريف ، ذا المقام المنيف ، مؤيداً حجّتك ، ممهّداً  
محبّتك ، ناشراً بنودك ، حافظاً عهدك ، ناهضاً بما انتدبته اليه ، قائماً بما توكلت  
فيه عليه ، يصلح من شؤونك ما كان فاسداً ، ويروج من امورك ما كان  
كاسداً ، ويحلف لك قلوب المنصفين ، ويقطع عنك السنة الجائرين ، سالكاً

اول زاده  
الملك  
والتشريف  
رباهل  
صبر

سعد الدين  
قوله

الوزير  
كقولها

في ذلك مسلك الغيرة ، والاجتهاد ، والحكمة ، والتدريج ، شأن الحكيم  
 الراشد ينظر الى ما وراء الامور ، ويستشف ما تحت الستور  
 ورأيتُ نبياء قومك ، ووجهاء اهلك ، يجمعهم الاتحاد بعد الانفراد ،  
 ويضمهم الائتلاف بعد الاختلاف ، فهم في المصلحة العمومية ساعون ، وعن  
 اللغو واللغو معرضون ، علموا مزية المجد فالتسوه ، ورأوا مقام الحمد فطلبوه ،  
 وبدت لهم الحرية منيرة الطلعة ، باسمه الثغر ، باهية الجمال ، باهرة الجلال ،  
 فحنوا اليها مطيِّ الهمة وجداً ، وساقوا اليها جواهر الانفس نقداً .  
 وبين ذلك قلوبٌ واجفةٌ منك ، وانفسٌ خائفةٌ عليك ، وعيونٌ محدقةٌ  
 بك ، وافئدةٌ داعيةٌ لك ، ومحبونٌ امناءٌ يخاطبون قومك بلسان الغيرة والاخلاص ،  
 ويان الحب والاختصاص ، فيقولون

يا قومنا لقد نلتُم بالسلم والحكمة ، والرضى والقبول ، ما بذل غيركم من  
 اجله الاموال ، وارقوا في سبيله دم الرجال ، وما لا يزال كثيرٌ من الخلق  
 يطمعون فيه ولا يجدون اليه سبيلاً ، وهي نعمةٌ لله واجبة الشكر ، ويدٌ للامير  
 لازمة الذكر ، ومزيةٌ للشرق لا يطوي الزمان لها خبراً ، ومحمدٌ لمصر لا ترى  
 العين من مثلها أثراً ، وما يزيدكم علماً بما لقي اهل الغرب في هذا السبيل فقد  
 برت السنة خطبائهم ، واقلام علماءهم ، في الدعوة اليه اعصاراً ، وجرت  
 اموال اغنيائهم ، ودماء ابطالهم ، في الذود عنه انهاراً ، حتى رأوا فيه كواكب  
 الليل نهاراً . وانتم لا عدتم ادركتم الغاية منه او تكادون لم تهرقوا فيه مجماً ،  
 ولم تنفقوا ديناراً ، فخذار اخوان الاوطان ان تكونوا مصداق قول القائل

ومن اخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد  
 اعيدكم من ذلك بحكمة اميركم ، وثبات وزيركم ، وهمة نبيائكم ، واتحادكم  
 كلكم اجمعين ، كما اعيدكم بالله من غرة الآمن ، وسكرة الظافر ، وغفلة القوي

وزلة العالم، ومن حيلة المداحي، وخدعة المفاجي، ومكر العدو، وجهل المحب،  
فانكم بين الحساد والرقباء والمترددين منكم، والذين يخافون النور أن يظهر ما  
كانوا يسترون. وعليكم للاجنبي حقوق واجب الاداء، وذمة لازمة الوفاء،  
وفي الزمان احوال مفروضة الرعاية، وضرورات نافذة الاحكام

فاخطوا مع الدهر اذا ما خطا واجروا مع الدهر كما يجري  
وبعد فللحياة السياسية ادوار من مثل ادوار الحياة الطبيعية، فهي تنتقل  
من الطفولية - الى المراهقة - الى الصبا - الى الكهولة - الى الهرم - ملازمة  
في كل دور بحال، وفي كل حال بشأن لا تخطاه، وحاد لا تتعداه، ولا  
بدل للامم من المرور بهذه الادوار، وان مر عليها الصبر والانتظار. فغاية ما  
تستطيع ان تكون واسعة الخطا، تجتنب وقفات الخطا

ومعاذ الله ان اريد انكم لا تصلحون لما تريدون بعد اذ ناديتكم بهذا  
الحق سرا وجهرا، شرقا وغربا، في الباطن والظاهر، والاول والآخر، لم  
ياخذني فيه لوم ولم اخش وعيدا. ولكنني اصونكم وانزه نفسي عن الملق  
والتغريز.

ولقد رأيت الذين حرصوا على الحياة السياسية من قبلكم ياتسونها باسبابها،  
ويدخلونها من ابوابها، متدبرين متدرجين، يراعون جانب الامكان، ولا  
يذهلون عن احكام الزمان والمكان، علما منهم بما تقتضيه الاحوال، وان  
الطفرة في عالم الوجود محال. هذا مع قرب الوسائل، ووفرة الاسباب،  
وسابقة العهد، وعموم المعارف، وكمال الدربة، ووحدة القصد، وعدم  
المعارض، وتام الاستقلال.

وما ينكر ذو عينين ان مصرا لا تعدد عددا غير قليل من العلماء والفضلاء  
والنهباء، وذوي الغيرة الوطنية، والمعارف السياسية، يقيمون امورها، ويدبرون

شؤونها ، وينظمون احوالها ، فاذا حصلت لهم قوة الحرية واستقلال الرأي ،  
لم يعجزوا عما ينهض به نبهاء الناس في البلاد الحرة ، فان لم يبلغوا بادي بدء  
درجة الكمال فاللهلال اول البدر ، والفيث اوله القطر . ولكن سائر الامة في  
حاجة الى التأديب العلمي ، والتدريب السياسي ، فلا بد للوجهاء والنبهاء من  
مراقبة ذلك فيما تنزع اليه نفوسهم الذكية ، وان يجعلوا المطلوب بقدر الحاجة ،  
والمستول بقدر القوة

فما تحمل نفس فوق طاقتها ولا تجود يد الأ بما تجد

فاذا ارتقوا اول مراتب الكمال السياسي غير متزلزين ، كانت الغاية اليهم  
ادنى ، والبغية لهم أيسر ، بما يحصل في الكافة من عادة النهوض بالاعمال ، والقيام  
بالامور ، والحرص على الحق ، والعلم بالواجب ، فهذه كلها ملكات كسائر  
الملكات العلمية والصناعية والخلقية ، لا تستحکم ولا تحصل الا بعادة واستمرار ،  
بخلاف ما لو ارادوا ادراك الغاية قبل قطع المسافة ، او ارتقاء المخرج من غير  
سبيل التدرج ، فانهم في الاول يحاولون محالاً ، وفي الثاني لا يأمنون زلة القدم  
على ان التدرج لا يفيد الوقوف كما ان الثاني لا يتناول الاهمال ، فلا  
بد من الثبات والاستمرار مع الحكمة والاعتدال

وقل من جد في امره يحاوله واستصحب الصبر الأفاض بالظفر

وما تضرب لثلكم الامثال - ان الملل آفة الاعمال ، وبلية الآمال ، ومجلبة  
الخسران والوبال ، فلا تهولنكم العقبات ، ولا ترهبنكم المصاعب ، ولا تروعنكم  
الحادثات ، ولا تخيننكم المتاعب ، واذكروا انكم ساعون فيما تبرؤ به في  
القبور رمم الاباء ، وفي المهود قلوب الابناء .

وكيف تهنون ولا تثبتون وقد اسعدكم الزمان وساعدكم التوفيق ، فواثقتم  
اهل العصر على احياء الفضل ، واعلاء الحق ميثاقاً يطالبكم به الاحياء ،

ويذكركم به التاريخ

والناس لا يبقى سوى آثارهم واليمين تفقد

بل قد أمنت عليكم الوهن ، يا نبيه الوطن ، بما رأيت في مجتمعاتكم ، وما سمعت من سراتكم . رأيت آثار الغيرة ، وعلام الحمية ، وسهات النخوة الوطنية ، على وجوه مستبشرة ، من قلوب متوازرة على العزم ، متواثقة على الحزم ، متضافرة على الاتحاد ، متواقفة على الاجتهاد . وسمعت بشائر الفوز ، ووعود الثبات ، وعهود الوفاء ، بالسنة ما نظمت بغير الصدق ، من افواه ما عرفت غير الحق . فأذنوا لي أبشر الاحياء ، وانذر الاعداء ، وازيل مخاوف الصادقين ، واقطع آمال المنافقين ، وأعد مصر والناظرين الى مصر بعين الرجاء والافتداء ، انكم تتخذون الحكمة شارة ، والثبات سبيلاً ، والحزم دليلاً .  
هذه امانتي محبة ما ظهر فيكم بعلم ولا اشتهر بعرفان ، ولكن استوى فيه اصغراه فما كان في قلبه فهو على اللسان .

### الواجبات بقدر الحقوق

آية الحكمة في عالم الوجود ، وسنة العدل في هيئة الاجتماع ، ان يكون الحق والواجب متعاقبين متلازمين ، يتبع احدهما الآخر وينشأ عنه وجوباً . فاما ترى حقاً بلا واجب يعادله فلا ترج هناك عدلاً ، واما تجد واجباً بلا حق يماثله فلا تطلب ثم انصافاً

فواجبات الامم تختلف بحسب اختلاف احوالها ، ولا تكون على اي حال الا بمقدار ما لها من الحقوق . مثلها في هذا الشأن كمثل الفرد من الانسان له او عليه كمال الرجولة ، موفور قوة البدن والعقل ، ما ليس له ولا عليه يافعاً او صبيهاً ، او طفلاً لا يعي شيئاً

على  
الزوار  
ص

فكلما نقصت حقوق الأمة بالحجر ، والقهر ، والاذلال ، رفعت كلفة الواجبات عنها بمقدار ذلك النقص ، وكلما وفرت حقوقها في الحرية والسواء من طريق العدل ، كثرت واجباتها فيما يحفظ تلك الحقوق ، ويمنع من انقلاب نفعها ضرراً ، وتحوّل خيرها شراً

فان كان القوم عبيداً ارقاء يصدعون بما يؤمرون ، ويكرهون على ما يكرهون ، ويمحون الارادة من مجموعهم باثباتها لواحد منهم اطلاقاً -  
وان كانوا عمي النواظر ، موتى البصائر ، لا يرون الا ما ينعكس عليهم بضياء نار ، ولا الوهم بتعقلون الا ما كان منحصرأ في دائرة التقليد -  
وان كانوا آلات صماء يدارون فيما لا يعلمون ، لما لا يستفيدون منه نفعاً ، ولا يعلمون له قصداً -

فهؤلاء ليس عليهم من حرج ولا نثر يب فيما يبدو من ضعف عزائمهم ، والتواء قلوبهم ، وقعودهم عن واجبات ذوي الحقوق الموفورة الا بقدر ما يؤخذ الطفل على كسر الاناء ، والصبى على اثار اللهو ، لا فقد قيل ان ضعف الهمة ، والنفاق ، والاهمال ، صفات ملازمة للرق ، والخوف ، والذل . فان مرتت يقوم يظهر غير ما يضمرون ، ويقولون غير ما يعتقدون ، ويتناضون عما يجب عليهم - فاعلم وقبت السوء انهم في موضع استبداد ، ومكان استعباد . وان رأيتهم على خلاف ذلك ينطقون بالحق ، ويجهرون بالصدق ، ولا تبعد الحرية فيهم من رزق ولا تقرب اجلاً - فانت ولك الهناء في جنة عدل وفردوس انصاف .

وان كان القوم احراراً مختارين فيما يقولون ويفعلون ، مما لا يخالف حكم العدل ، ولا يخرج عن حدّ السواء -

وان كان الامر شورى بينهم ، ينفذ الحكم فيهم بهم ، ويكون الاثر منهم

لهم ، فهم الآمرون فيما يأتمرون ، وعم الحاكمون فيما يطيعون —  
 وان كان اميرهم الذي عقدت عليه القلوب ، ورئيسهم الذي اجتمعت له  
 الآراء ، وسرايتهم الذين اعلاهم الفضل —

فهؤلاء لا عذر لهم في ضعف المهتم ، وفساد النفوس ، واهمال الفروض ،  
 فان حق الحرية ملزمٌ بواجب العدل ، وحق الاختيار بواجب النزاهة ،  
 وحق الامر والحكم بواجب التدقيق والانصاف ، وجملة هذه الحقوق  
 المدنية والسياسية بواجب افتداء المصلحة العمومية بالمصلحة الذاتية .

ولقد كنتم اهل مصر في الزمن السالف على عهد الجور والاستبداد عبيداً  
 ارقاء مستضعفين ، تُسلب نعمتكم ، وتُهتك حرمتكم ، ويستحل فيكم سائر ما  
 حرم الله فلا تعرفون لانفسكم حقاً ، ولا تجدون للنجاة من الضيم سبيلاً ، فلم  
 يكن عليكم من حرج في اهمال واجبات الوطن من دفع الاذى عنه ، وجلب  
 النفع اليه ، وبذل النفائس والنفوس فيه ، لأن هذه الواجبات لا تلزم الا  
 عن حقوق معلومة من مثلها فاذا سلب الحق سقط الواجب اللازم عنه

اما وقد بدا لكم طالع التوفيق في المظهر الشريف ، فنجوتم من أسار  
 العبودية ، وحصلت لكم البعثة الوطنية ، فنلتم الحق الذي كان مسلوباً او  
 مضيعاً من قبل — فقد لزمكم الواجب المتعين على سائر ابناء الاوطان الحرة في  
 العالم الانساني لا ندحة لكم عنه ، ولا بدء لكم منه ، او ينعكس الامر ، ويلتوي  
 القصد ، وتختل الاحوال ، ويسوء المنقلب والعياذ بالله

اجل وليس الذي نلتم او كدتم تناولون من الحق يسيراً لتسامحوا في اغفال  
 الواجب اللازم عنه ، فقد اهرق الانكليز من اجله دماً عزيزاً ، واهلكوا  
 مالا كريماً ، ولم ينالوه الا بمرور الايام ، وكرور الاعوام — وتلاهم الفرنسيين  
 في طلبه او اخر المثة الماضية فتهالكوا عليه ، واستمانوا فيه ، وتبعهم سائر الاقوام

الزواجر

من بعد الى هذا العهد . فمنهم من فاز به جملة كالاميركان والهولنديين  
 والبلجيكين وغيرهم ، ومنهم من اخذ منه بنصيب كالتساويين والايطاليين  
 والالمان والعثمانيين والاسبانيين ، ومنهم من لا يزال في سبيل السعي اليه  
 كالروس والكثير من الامم الشرقية الا وهو الحكومة العادلة الحقّة الشورويّة .  
 نلتهم هذه الحكومة بلا قتال ولا جدال من مكارم امير صادق النية ،  
 بعناية وزير صحیح الوطنية ، بسعي رجال اصفياء الطيبة ، رأوا في قلوبكم  
 جذوة غيرة فاضرموها ، وأنسوا من انفسكم شعلة همّة فاقودوها ، اضرموا  
 الغيرة بالاقدام ، وواقودوا الهمة بحسن الاهتمام ، فاهتديتم بمنارهم ، وسرتم على  
 اثارهم ، فالقيتم لدى الامير جانب رضى واشتمال ، وعند الوزير مكان قبول  
 واقبال ، فانتقلتم بسرعة توشك ان تنفي ان الطفرة محال . فانتم اليوم على مراحل  
 مما كنتم فيه بالامس ، احيا الله ميت وطنيتكم من الرمس ، وصرتم في عداد  
 السعداء تحت مطلع الشمس ، فاعيدكم بالفضل ان تذهلوا عن واجبات هاته  
 السعادة وتلك الحياة

ان الوطني الحر - وقد صرتم وطنيين احراراً - مرعي الحق الذاتي  
 والحق المدني والحق السيامي ، آمن على الروح والعرض والمال ، من السلب  
 والتهتك والاغتيال ، فلا بد له من حفظ الاحكام القاضية بتلك الرعاية ،  
 والتزام الحدود المعينة في تلك الاحكام .

والوطني الحر - متأهل بقدر المستطاع للخدم والمناصب العمومية على  
 وجه الاطلاق ، جدير بحسب الاستحقاق للرتب والكمالات المدنية بلا استثناء ،  
 فلا بد له من بذل الهمة ، وصرف الاجتهاد فيما يجعله حرياً بالشرف ، قوياً  
 على خدمة الوطن ، عارفاً بحقائق احواله ، واقفاً على آثار ماضيه ، ودلائل آتية ،  
 مهذب الفكر ، مطهر القلب ، مثقف الطباع .

والوطني الحرّ - مساوٍ لجميع اخوانه في الوطنية والحرية ، معادل لهم في الحقوق المدنية والسياسية ، فلا بد له من رعاية حقّ السواء ، الى حدّ الاخاء ، بحيث لا يتولاه العجب والتبّه في الرفعة والنجاح ، ولا يناله الحسد والبغضاء في الحطّة والاختفاق ، بل يكون على حدّ ما قيل

وما انا فيما سرّني متناولٌ ولا انا فيما ساءني متقاصرٌ

فيسمى ما وصل اليه امكانه في سبيل خدمة الوطن لعلمه بانّ الامة الحرّة كآل البيت الواحد ، يسعون في طلب الرزق على اختلاف الطرق والمقادير ، ويأوي كل واحد منهم الى المنزل مساء بما رزقه الله ، فيكون سعي واحدهم للكلّ وكأهم للواحد

والوطني الحرّ - متأهلاً لانتخاب نواب الامة المنتدبين لتقرير الاحكام ، وجلب المنافع ، ودرء المفاسد ، وتنظيم الاحوال ، وصيانة الحقوق ، واعانة الحكومة على القيام بالامر العمومي - فالواجب عليه ان يكون بصيراً خبيراً على بينة مما يترتب عليه النفع ، ومعرفة بمن يصلح لهذا الامر ، ونزاهة عن الغرض الذاتي وبعدي من التقليد بلا رشد ، لا يقع اختياره الا على النبهاء البزهاء ، ولا يصدر في رأيه الا عن الرشاد والسداد ، ليأمن على وطنه ان تكون النيابة فيه لفساد يسلك طريق الشرّ ، او جاهل لا يهتدي سبيل الخير .

والوطني الحرّ - جديرٌ بالنيابة على شروط لا تتعدى كثيراً من القوم فلا بد له من استكمال صفاتها ، ونيل معدّاتها ، من العلم بشؤون الامة ، واحوال الوطن ، ومجاري الاعمال ، ومواضع الصلاح ، ومظان المنفعة ، مع التنزه عن ميل النفس ، وشهوة القلب ، والتعقّف عن غرض الذات ، وأرب الاثرة ، والاخلاص في حبّ الامة ، والاختصاص بخدمة الوطن ، فان فاته ذلك او بعض ذلك فهو نائب نفسه ، على ضدّ ابناء جنسه

وجملة القول انّ الوطنيّ المرعيّ الحقوقيّ ، الفائز بالسواء ، المؤهل  
 للانتخاب صادراً منه وموسوداً اليه - هو المأمور والأمر والمحكوم والحاكم  
 والمسوس والسائس والمسود والسائد وهو القائم بنفسه على نفسه ، والعامل  
 بذاته لذاته ، فالكلُّ به منه فيه اليه - وهي أعلى مراتب الوجود الانسانيّ  
 وارفع درجات الاجتماع المدنيّ ، فلا بدّ للترقيّ اليها من اداء حقها ، واقامة  
 واجبها سعيّاً واجتهاداً ، وجوداً بالمال والروح ، وطلباً للمعارف والعلوم ، والتماساً  
 للفضائل والكمالات ، بحيث يصادف فيها محلاً ، ويكون لها اهلاً

وقد يسرّ الله للامة المصريّة ارتقاء هذه الدرجة او قرب الوصول اليها بما  
 قيض لها من مكارم الامير ، ومظاهر الاجتهاد والغيرة والوحدة الوطنية ، فلزمها  
 القيام بالواجبات المترتبة عليها ، والتأهل لها بما تقدم بيانه من المزايا الوطنية ،  
 والفضائل المدنيّة . ولا شك انّ ذلك لا يحصل الاّ بعموم المعرفة ، وانتشار  
 العلم ، وهو ما نأمله في الحكومة السنيّة ، وما نرجوه من اهل الثروة والوجاهة  
 والحميّة .

نأمل في الحكومة توسيع نطاق المعارف بتكثير عدد المدارس ، وتمهيد  
 سبل الطلب ، واعلاء شأن العلم ، وانشاء المكاتب الابتدائية في المدن والقرى ،  
 وفتح باب المجانية في التحصيل ، وتمهيد سبيل الالزام بالتعليم ، ولا أسف على  
 أنفقة في هذا السبيل فانها كمنفقة الزارع في شراء البذر يثمر خيراً ، وتنتبت  
 الحبة منه مئة حبة .

ونرجو من ذوي الوجاهة والحميّة الاقبال على مغارس المعارف بالنجدة  
 المعنوية ، والمساعدة المالية تمثلاً بنظرائهم في الاقطار الغربية فهم اولى الناس بهذه  
 الحمدة المشكورة يميون بها آثار آبائهم ، ويسعدون احوال ابنائهم ، فيثبت  
 لهم التاريخ ذكراً لا تمحوه الاعصار ، ما تعاقب الليل والنهار .

## الحياة السياسية ✓

ان للوجود الانساني في هذه الحياة الدنيا ثلاثة ادوار متوالية يأخذ بعضها باطراف بعض - الاول دور الفطرة وهو الوجود الطبيعي - والثاني دور الاجتماع وهو الحالة المدنية - والثالث دور السياسة وهو موضوع كلامنا في هذا المقام - فالمرء يوجد ساذجاً فطرياً يلتمس الغذاء والمبيت وسائر الحاجات الطبيعية مما تصل يد امكانه اليه ، ثم يدفعه الحرص على الذات الى حفظ النوع ، وتلجئه كثرة الحاجات الى طلب الاعانة ، فيتألف ويجتمع فيصير مدنياً ، ثم يتقدم في هذه المرتبة فينظر في شؤون نفسه ، ويهتم باحوال جنسه ، فيصير سياسياً - وهو الانسان المدني الكامل الحقوق والواجبات . ولا شك في وصولنا الآن الى هذه المرتبة العالية ، وحصولنا في هذا الدور الخطير بما أطلق لنا من الحرية ، وما تقرّر لنا من الحقوق السياسية عفواً واختياراً من دون غصب يلزم فيه الرد ، ولا تغرير يحتمل النقص ، ولكننا لا نزال في دور الطفولية من هذه الحياة فلا بد من مربّ حكيم يأخذ بيدنا فيما نعانیه فلا نسقط ونحن في اول الدرجات ، ومن دليل راشد يهديننا الصواب فلا نضل ونحن في اول الطريق .

ولا يتوهمن بحب الحرية ان الحاجة الى المربي والدليل منافية لما تقتضيه حرية ، او مشعرة ببقاء الاستبداد - فان هذه الحاجة قد عرفت والفت في اظهر البلاد تمدّناً ، واحرص الامم على الحرية السياسية ، وكانت ولا تزال من لوازم النماء والبقاء في الاجتماع الانساني ، وان تبرح كذلك ما دام في الارض علماء وجهلاء وحكماء وسفهاء وخاصة وعامة ، وما دام الانسان محل خطايا ونسيان - ولكن يشترط في المربي او الدليل ان يكون ممن اجتمعت الكفاية عليهم ،

وحصلت الثقة بهم ، والآ فهو من ذوي السلطة الناشئة عن القوة في جانبه ،  
والخوف او الوهم في جانب الرعية ليس الا

وهذا الشرط حاصل ولا ريب في اولى الامر منّا فانّ الجناب الخديويّ  
المعظم ايده الله قد عرف بالرغبة في اصلاح الوطن ، والميل الى اعلاء شأن  
الامة ، والحرص على حريتهم ، حتى صار يُقال ويُنشر في عهده ، ما كان يُخشى  
بعضه من قبله - فكثرت في ايامه الجرائد وكانت نزراً قليلاً ، وتألّفت  
الجمعيات الخيرية والادبية ولم تكن شيئاً مذكوراً ، وأطلقت للناس حرية الكلمة  
وكانوا يتكلمون في ديارهم همساً ولا يأمنون .

اما النظار الكرام فهم هم الذين اختارتهم الامة بارادة ذلك الامير العليّ  
الشأن ثقة بهم ، وعلماً بانهم اصحاب الرئاسة الحقّة ، والزمامة المستحقّة بين الذين  
يرومون احياء مصر لاهل مصر ، ويريدون ان يكون الوطني في مقام الانسان  
فائزاً بمقوقه ، ناهضاً بواجباته ، مساوياً لجاره ، غير معارض في داره ، يحمّد  
ما يزرع للعيال لاهل الاغتيل ، ويحني مما يغرس للاولاد لاهل الاستبداد -  
وقد اخذ هؤلاء الادلاء الراشدون في تمهيد سبيلنا وازالة العقاب منه متوسلين  
الى ذلك بالحكمة والاعتدال ، آخذين باسباب التوؤدة ومراعاة الاحوال ، حتى  
وثق بهم الاجنبي فضلاً عن الوطني ، وبرت مقدمات سعيهم وآثار اجتهادهم  
بمظاهر حسن الادارة ، واقامة العدل ، وتقرير المساواة ، واصلاح الخلال السابق  
تدرجاً - فاستحكمت علائق الولاء بينهم وبين المتبوع الكريم ، وتأيّدت  
صلات المواالات بين حكومتهم والدول العظام كما تدلّ عليه اقوال وزرائها على  
منابر المجالس ، وكلام وكلائها في دوائر المخابرات .

فالواجب على الوطني الراشد ان لا يعبأ بعد ذلك بما تنشره بعض الجرائد  
مما لا مكان له من الصحة جهلاً منها بحقيقة الحال ، او ميلاً مع الاهواء ، او

إضلالاً لافكار ابناء الوطن المصري فإن اراجيف تلك الجرائد بديهية الفساد  
وكذلك يجب على الصحف الوطنية التي هي في مقام الارشاد والهداية ،  
الأ نقلق الخاطر عبثاً بايراد هاتيك الارجيف على علم يبعدها من الصحة، وان  
كان منها ما يلزم نقله بياناً لتفاصيل الاحوال السياسية فلا اقل من التفريق  
بينه وبين مقاصد الحكومات وآرائها كراهة ان يقع اللبس في الامور، فينشأ  
عنه النفور في محل الائتلاف ، والوحشة في مكان التقرب، والكدر في موضع  
الصفاء ، خصوصاً وان الحكومة السنية على يقين من ان الدول الهبة لا تقصد  
بنا الأ الخير ، ولا تنوي لنا الأ الموالاة ، وانها نتركنا وشأننا نصلح منه ما يحتاج  
الى الاصلاح، وننشئ ما يترتب عليه النجاة مما لا يمس حقاً مرعياً ، ولا يؤثر  
في العهود المبرمة شيئاً — ونحن في اهتمام بهذا الشأن نسأل الله فيه فوزاً قريباً .

\*\*\*

تبيين في المطب السابق ماهية هذه الحياة من طريق الاجمال وانها عبارة  
عن وصول المرء في هيئة الاجتماع الى درجة الاهتمام بامور نفسه ، والنظر في  
احوال جنسه ، فبقي ان يعلم كيفية سيره في ذلك السبيل ، وما يترتب عليه  
وما يحق له ان يكون فيه ، ليكون على بينة من الامر فيأخذ باسبابه ، ولا  
يدخله من غير ابوابه .

ان هذه الحياة توجب للوطني ان يكون حراً في رأيه ، متصرفاً في شأنه  
الى حد ان لا يضر بالهيئة المجتمعة ، ولا يمس شأن سواه — فهذه الحرية على  
شرطها المذكور تقتضي العلم بالمصلحة العمومية والحدود الشخصية وهو ما يعبر عنه  
بالادب السياسي . ووجه الضرورة في معرفة هذا الادب ان المرء اذا عرف  
مصلحة قومه سعى فيما يوجب لها البقاء والنماء ، واذا رأى حدود اخوانه اقسام  
لنفسه حداً لا يتعداه ، وخطأ لا يتخطاه ، بخلاف ما اذا جهل ذلك فانه لا

بأن حينئذٍ ان يظهر بما يخالف تلك المصلحة ، ويفسد هذه الحدود فتكون  
حرية ضرراً بلوطانته ، ووبالاً على اخوانه .

وليس هذا الادب مما يؤخذ بالمكاشفة ، ويحصل بالسليقة ، او يعرف  
بالبداهة ، بل لا بد في تحصيله من الطلب والاجتهاد ، وحين الاقتداء ، ودقة  
النظر والتبصر في احوال الناس من قبل وفي الحال ، وهيات مع ذلك ان  
يحصل بقدر اللازم ، ويتم بحسب المرام ، الا بعد توالي الاجيال وتعاقب  
الاعوام - يدل على ذلك ان الذين سعوا اليه من قبلنا بمئات من السنين سعي  
من شمر ذيله واذرع ليله ، مجدين ساهرين بياض النهار وسواد الليل لا  
يزالون على مراحل من غاية الكمالية - يرون ذلك من انفسهم ويعترفون به  
سراً وجرراً ، ولا تأخذهم عزة الانفس في الاسترشاد بالسابقين منهم ، وبآحاد  
اهل العلم السياسي ، وافراد ذوي الكمال المدني فهم يشربون باسماعهم خطاب  
الوزراء والنواب ، ويأكلون بانظارهم منشورات الجرائد الوضاعة فيردون  
من تلك الخطب سلسبيل الحكمة والاعتدال ، ويتناولون من هذه المنشورات  
غذاء الحمية والوطنية ، وفيهم بين ذلك علماء تدير ، ورجال حكمة ، وزعماء  
سياسيون ، وفضلاء رحالون يكشفون لهم حجب الاوهام عن اوجه الامور ،  
ويجولون للافهام صور الحقائق ، فلا تكاد تخفى عنهم خافية الا ما لا يعلمه غير الله .  
فاذا حصل هذا الادب للوطني السياسي وكان مع ذلك نبيل النفس ،  
طاهر الذليل ، صادق النية ، قادراً على اثار المصلحة العمومية - فله حينئذٍ  
( حينئذٍ فقط ) - ما لسائر اهل الحياة السياسية وهي حقوق كريمة مقدسة  
لا ينبغي ان يمسه الا المظهر من درن الدنيئات - حرية رأي ، وحرية  
قول ، وحرية انتخاب .

ولكل من هذه الحقوق الثلاثة حد لو تعداه لكانت الحرية فيه شراً

من القيد وأشنع من العبودية - فحدُّ حرية الرأي ان يكون مبنياً على القياس ،  
 موافقاً للحكمة ، مطابقاً للصواب - وحدُّ حرية القول ان يراد به الخير ولا  
 يجاوز فيه حدَّ المنفعة والملايمة ، ولا يسـ شرفاً مصوناً ، ولا يضرّ بريئاً أميناً ،  
 ولا ينشر عن غير علم يقين - وحدُّ حرية الانتخاب ان يراد به مصلحة الوطن  
 العزيز ليس الأ .

وقد عيت حكومتنا السنية بتقرير هذه الحقوق ، وتعيين هذه الحدود ،  
 اخذاً بما يحقُّ لها وما يجب عليها من ذلك ، وصدوراً عن الرأي العمومي الذي  
 اختارها لتكون دليله في هذا السبيل فبقي على الجرائد الوطنية ان تقتدي في  
 ذلك بآثارها ، وتهتدي بانوارها ، فتسلك بالاذهان مسلكاً سليماً من الآفات ،  
 خالياً عن العقبات ، وتشرب القلوب سياسة صافية ، سائفة زلالاً ، تفيدها  
 عافية ، ولا تزيدها اعتلالاً ، مجتنبه في كل ذلك ما يشيعه المرجفون ،  
 متجافية عما يرجف به اهل الاغراض مما لا يصحُّ التحويل عليه ولا يكون له في  
 جانب التصديق مكان ، جاعلة مصلحة الوطن نصب عينها في كل حال ، عالمة  
 انها بمنزلة المرابي للارواح والعقول ، فلا يحسن بها ان تكون من المفسدين .

وبقي على الوجهاء والنبهاء والروءساء والعلماء وسائر ذوي الكلمة النافذة -  
 ان يحسنوا السيرة ويطهروا السرائر ، وينبذوا الاغراض الذاتية نبد النواة ،  
 ويطرحوا الاهواء النفسانية طر ح القذاة ، ويسيروا بالناس في طرق السلامة ،  
 الى غايات الهناء والكرامة - فهم في الركب الاجتماعي بمقام الادلاء ، واذا لم  
 يهتد الدليل سواء السبيل فغاية الركب الضلال .

وعليك يا ايها الوطني كائناً من تكون ان تحرص على شأن اوطانك حرص  
 البخيل على درهمه ، وتخاف على منفعة قومك خوف الجبان على دمه ، وتعلم  
 انك ان احسنت فلنفسك ، وان أسأت فعليها وعلى ابناء جنسك . اذ ليس

ما تتصرف فيه بحريتك مما يعود ذاهبه أو يمكن الاعتياض منه بسواه وإنما هو المصلحة المقدسة الوطنية فحذار ان تأخذك فيه الحدة ، ريتولاك النزق اغتراراً بما وصلت اليه ، وذهولاً عما كنت بالامس عليه .

فانت في اول درجة من مرقاة السياسة ، وفي اول مرحلة من طريق الحرية فان تبلغ الدرجة العليا الا ان صعدت سائر الدرج ، ولن تدرك الغاية القصوى ما لم تقطع سائر المراحل — فان حاولت غير ذلك لم تأمن الهبوط من الدرجة التي بلغت ، والرجوع من المرحلة التي وصلت ، بل ربما صرت على مسافة اعوام ، مما كنت ترجو ادراكه بايام .

هذه نصيحة مخلص في محبتك ، ومشورة حريص على منفعتك ، لا يسألك عليها اجرا ، ولا ينتمس شكراً .

فان لم تكن لقال النصح سمياً ولا عالماً انت به

ينبهك الدهر من رقدة ال ذهول وان قلت لا اتبه

\*\*\*\*

الادب السياسي على ما عرفناه في المقالة السابقة لا يحصل لافراد الامة كلهم اجمعين ، ولا يكون في الذين يحصلونهُ سواء بمقدار واحد ، لانه من الملكات الصناعية العلية ، والملكة لا تحصل الا بتكرار العمل وان حصلت فانها تختلف استحكاماً وكالاً بحسب اختلاف التقابلية والتفرغ في الناس .

على ان الادب السياسي وان لم يتيسر عمومهُ في الامة ، الا انه قد يحصل لافراد كثيرة منهم على مقادير مختلفة ، فيمكن لمجموعهم ان يسيروا في سبيله آمنين مهتدين اقتداءً وتقليداً ، او يتدرجوا به في مراتب الحياة السياسية حتى يتوالى التكرار ، ويطول الاستمرار ، فيصير فيهم من الملكات الذوقية التي تُعرف ولا تُعرف كما كان العرب في الجاهلية بالنظر الى اللغة ينطقون بالكلام

المركب بالوضع ، ولا يعرفون له من قاعدة غير الذوق .  
 وأنا اذا تأملنا احوال الامم العريقة في التمدن والسياسة لم نر هذا الادب  
 في احد مجموعها بقدر الحاجة ، ولم نره في الافراد السابقين على حدٍ سوى ،  
 وانما هو في عددٍ كثيرٍ من ذوي رئاستهم ، وارباب الكتابة والخطابة فيهم -  
 يعتقدون له ألوية مختلفة الالوان فتسير العامة تحت ظلالها فرقا متنوعا المسالك  
 مع وحدة الغاية للجميع الا الذين احترقت اذهانهم بنيران الحدة والطيش ، وما  
 هم بكثيرٍ وان كثرا ما يضحون وما يعجبون .

ولكن مهما بلغت الامة من مبالغ السياسة وكثر عدد افرادها المتأدين  
 بذلك الادب ، فلن يكون لها نماء ولا بقاء في الحياة السياسية ما لم تكن ذات  
 وجهة معلومة ، ووحدة لا تقبل النزاع والخلاف - يدل على ذلك تقدم  
 الذين اتحدت وجهتهم ، وتأخر الذين تفرقت كلمتهم من قبلنا وفي هذه الايام .  
 فان قيل ما لنا لا نرى تفرق الامم الاوروبية اقساماً واحزاباً مانعاً من  
 تزايد ثروتهم ، وتعاضم قوتهم ، واستفحال امرهم في الحياة السياسية - قلنا ان  
 اولئك الامم لا يختلفون على غايتهم المقصودة بالذات وانما تنوع الطرق التي  
 يسلكونها الى تلك الغاية فان كان الفرنسي جمهورياً او ملكياً او امبراطورياً  
 فهو فرنسوي على كل حال وقبل كل شيء . وان كان الالماني محافظاً او  
 نجاحياً او اجتماعياً فهو الماني من وراء ذلك ، وهكذا الانكليزي والابيطالي  
 والنمسوي وسائر اهل المدينة والحياة السياسية .

وما قيّدنا الوحدة اللازمة لهذه الحياة بان لا تقبل النزاع والخلاف الا  
 احترازاً مما يحسب في الظاهر موضع ائتلاف واتحاد ، ولا يكون كذلك في  
 الواقع ونفس الامر . ومما لا يمكن ان تجتمع كلمة الامة بجملة عليها لاختلاف  
 الاراء وتنوع العقائد فيه فان هذه الجامعات وان كانت جديدة بان تحفظ

وتُصان إلا أنها بعيدة من السياسة لتعلقها بالنظر الفكري ، وتجردُها في الذهن  
 عن المحسوس ، فضلاً عن كونها غير واحدة في مجموع الأمة . فالجدير باهل  
 الحياة السياسية من ايّ الناس كانوا ان يجعلوا الوطن وحدتهم لامتناع الخلاف  
 فيه بين ذويهِ .

ومعلوم ان قدر الشيء يعلو ويسفل ويزيد وينقص بمقدار ما يكون له  
 من الشأن ، وما يتعلق به من المنافع . فاذا كان الوطن هو الوحدة التي تجمع  
 كلمة الأمة ، عظم بذلك شأنه المعنوي ، وتعلقت به المنافع الكلية ، وصار المحور  
 الذي تدور عليه المقاصد والمساعي ، فيرتفع قدره ويعلم مكانه . واذا ارتفع  
 قدر الوطن فذلك يعود بالشرف والعز على ساكنيه لانه لا حقيقة له الا بهم  
 وفيهم ، ولا رفعة فيه الا منهم ولهم ، فهم اياه وهو لفظ وجودهم معناه .

فيا ابناء الوطن العزيز لئن فرّق بينكم اختلاف الاراء ، وتوَعّ المشارب ،  
 وتلوّن التصوّرات ، فقد وجدتم في الجامعة الوطنية ما تأتلفون به ، وتجتمعون  
 عليه ، فيجعلكم عصابة خير متلاحمة الاطراف ، متوازية متضافرة كالبيضان  
 المرصوص . فهلم الى هذه الجامعة نشر لواءها ، ونرفع منارها ، ونظهر للعيان  
 آثارها باعمال تثبت التنزه عن المقاصد الدنية ، والتعفف عن المآرب الذاتية ،  
 واقوال تشف عن صحّة الابصار والبصائر ، وحسن الاسرار والسرائر ، لعلنا  
 نقطع السنة الذين يرموننا بالجهل والغباوة والبعد عن مراتب الحياة السياسية ،  
 ولعلنا نحقق آمال الذين يتمنون لنا السعادة وحسن الحال ، وبلوغ الاماني وادراك  
 الآمال ، ولعلنا بحول الله نكون من المفلحين .

وسنبين ما هو الوطن وما حقّه علينا فموعدنا قريب ، وعلى الله نتوكل

واليه ننيب .

\*\*\*\*

نقرر فيما سلف ان لا بدّ لنوي الحياة السياسية من وحدة يرجعون اليها،  
ويجتمعون عليها اجتماع دقائق الرمل حجراً صلداً، وان الوطن انما هو خير وجوه  
الوحدة لا متناع الخلاف والنزاع فيه، ونحن الآن مبدئون بعون الله ماهية هذا  
الوطن وبعض ما يجب على ذويه.

الوطن في اللغة محل الانسان مطلقاً فهو السكن بمعنى ان نقول استوطن  
القوم هذه الارض وتوطنوها اي اتخذوها سكناً وهو عند اهل السياسة  
مكانك الذي تُنسب اليه، ويحفظ حَقك فيه ويُلْم حَقه عليك، وتأمين فيه  
على نفسك وآلك ومالك. ومن اقوالهم فيه - لا وطن الا مع الحرية - وقال  
لابروير الحكيم الفرنسي - لا وطن في حالة الاستبداد. واكن هناك مصالح  
خصوصية، ومفاخر ذاتية، ومناصب سمية - وكان حدّ الوطن عند قدماء  
الرومانيين - المكان الذي فيه البرء حقوق وواجبات سياسية.

وهذا الحد الروماني الاخير لا ينقض قولهم لا وطن الا مع الحرية بل  
هما سيان. فان الحرية انما هي حق القيام بالواجب المعلوم فان لم توجد فلا  
وطن لعدم الحقوق والواجبات السياسية، وان وجدت فلا بدّ معها من الواجب  
والحق وهما شعار الاوطن التي تفتدى بالاموال والابدان، وتقدم على الاهل  
والخلائن، وبلغ حبها في النفوس الزكية مقام الوجد والهيمنان

اما السكن الذي لا حق فيه للسكان ولا هو آمن على المال والروح فغاية  
القول في تعريفه انه مأوى العاجز، ومستقر من لا يجد الى غيره سبيلاً،  
فان عظم فلا يسر وان صغر فلا يساء. قال بروير السابق الذكر ما الفائدة من  
ان يكون وطني عظيماً كبيراً، ان كنت فيه حزينا حقيراً، اعيش في الذل  
والشقاء خائفاً اسيراً.

عَلَى انَّ النسبة للوطن تَصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاكِنِ صِلَةً مَنُوطَةً بِأَهْدَابِ الشَّرَفِ الذَّاقِي فَهُوَ يَفَارِعُهُ وَيَذُودُ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ عَنِ وَالِدِهِ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ ، وَانْ كَانَ سَيِّءُ الْخَلْقِ شَدِيدًا عَلَيْهِ . وَلِذَلِكَ قِيلَ فِي هَذَا الْمَقَامِ انْ يَأْ نِسْبَةَ فِي قَوْلِنَا مِصْرِيٌّ وَأَنْكَلِيزِيٌّ وَفَرَنْسَوِيٌّ هِيَ مِنْ مَوْجِبَاتِ غَيْرَةِ الْمِصْرِيِّ عَلَى مِصْرٍ ، وَالْفَرَنْسَوِيٌّ عَلَى فَرَنْسَا ، وَالْأَنْكَلِيزِيٌّ عَلَى أَنْكَلِتْرَا ، فَانْكَرَ ذَلِكَ بَعْضُ النَّاسِ وَكَانَ الْأَمْرُ لَا شَكَّ سَوْءَ فَهْمٍ أَوْ سَوْءَ إِفْهَامٍ .

وَجَمَلَةُ الْقَوْلِ انَّ فِي الْوَطَنِ مِنْ مَوْجِبَاتِ الْحُبِّ وَالْحَرَصِ وَالْغَيْرَةِ ثَلَاثَةٌ تَشْبَهُ أَنْ تَكُونَ حُدُودًا — الْأَوَّلُ انَّهُ السَّكْنُ الَّذِي فِيهِ الْغِذَاءُ وَالْوَقَاءُ وَالْأَهْلُ وَالْوَالِدُ — وَالثَّانِي انَّهُ مَكَانُ الْحَقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ الَّتِي هِيَ مَدَارُ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ وَهِيَ حَسْبَانٌ ظَاهِرِيَّانِ — وَالثَّلَاثُ انَّهُ مَوْضِعُ النِّسْبَةِ الَّتِي يَعْلُوبُهَا الْإِنْسَانُ وَيَعَزُّ ، أَوْ يَسْفُلُ وَيَذَلُّ ، وَهُوَ مَعْنَوِيٌّ مُخَصَّصٌ .

فَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ مِمَّا قَلْنَاهُ وَجِبَ عَلَى الْمِصْرِيِّ حُبُّ الْوَطَنِ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْوُجُوهِ فَهُوَ سَكْنُهُ الَّذِي يَأْكُلُ فِيهِ هَيْئًا ، وَيَشْرَبُ مَرِيئًا ، وَيَبِيْتُ فِي الْأَهْلِ أَمِينًا ، وَهُوَ مَقَامُهُ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَلَا يَجِدُ فِي النِّسْبَةِ عَارًا وَلَا يَخَافُ تَعْيِيرًا ، وَهُوَ الْآنَ مَوْضِعُ حَقُوقِهِ وَوَاجِبَاتِهِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ بِمَا أَوْضَحْنَاهُ مِنْ دُخُولِهِ فِي دَوْرِ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ .

وَالْحُبُّ عَلَى أَهْلِهِ شَرْطٌ مَحْفُوظَةٌ عِنْدَ الْأَذْكِيَاءِ ، بِمَجْهُولَةٍ عِنْدَ الْمُدَّعِينَ الْإِغْيِيَاءِ ، فَمَا تَنْفَعُ فِيهِ الشُّكُورُ ، وَلَا تَقُومُ لِصَاحِبِهِ دَعْوَى الْإِبْيَانِ مِنَ الْوَاقِعِ ، وَشَاهِدٍ مِنَ الْفِعْلِ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ

دَلَائِلُ الْحُبِّ لَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ كَحَامِلِ الْمَسْكَ لَا يَخْلُو مِنَ الْعَبَقِ  
وَلَهُ مَرَاتِبٌ مَنَاسِبَةٌ لِمَوْضُوعِهِ ، مَوَاقِفَةٌ لِمَنْشَأِهِ فَهُوَ فِي الْكِرَامَةِ كَرِيمٌ ،  
وَفِي النِّبَالَةِ شَرِيفٌ ، وَفِي الْمَأْثَرَةِ حَمِيدٌ ، وَفِي الْعِزِّ وَالْمَجْدِ رَفِيعٌ ، وَفِي الْوَطَنِ

جامع لكل هذه الصفات - فان قيل في حب الحسان

احبك حباً لو تحبين مثله اصابك من وجد علي جنون

لطيفاً مع الاحشاء اما نهاره فدفعت واما ليله فانين

فقل في حب الاوطان

احبك حباً لو تحبين مثله اصابك منه يا ديار تغير

شديداً مع الاشواق اما نهاره فسعي واما ليله ففتكر

ولقد كان بعض الناس يحولون خلع الشعار الوطني عن ذوي الحقوق

والواجبات في مصر، ولباسهم جميعاً لباس الجهالة والذل، ولكن أبت الحوادث

الآن ان تثبت لنا وجوداً وطنياً، ورأياً عمومياً ولو كره المبطلون . على ان منهم

فئة لا يزالون يؤمنون اسماعنا بما يكررون من سفاسف القول من مثل اننا

تعوّدنا احتمال الظلم والحيف والفناء والخدمة والرق، فان يستقل لنا رأي

ولن نهتدي سبيل الحرية، كأنما هم لا يعلمون ان اهل الغرب اجمعين تعوّدوا

مثل ذلك الحيف اعصاراً، او كانوا في قديم الأيام على ضروب من الرق

وانخفاض الجناح، وان العالم بأسره كان فريقين احراراً يظلمون، وعبيداً

يطيعون، او لم يكن في بلاد الفرنسيين من قبل هذا العهد صنوف من الرقيق

يشتغلون في الارض لغيرهم، ويباعون كما تباع العجاوات، او لم يقل كاتبهم

فولير في وسط المائة السالفة - لا يزال في بلادنا ستون الفا او سبعون الفا عبيداً

للرهبان .

فما بال هذه العادة لم تمنع الفرنسيين من الوصول الى ما ادركوه من

رعة المقام، وان يروا امثال تيارس وجريفي وغامبتا في ابناء الذين كانوا من

قبل عبداناً ارقاء

ولئن كان من فضل هذه المائة ان يكتب في صدر تاريخها تحرير ارقاء

العصر السالف ، فلقد رجونا وحقَّق الله هذا الرجاء ان يُختم ذلك التاريخ  
بتحرير الذين كانوا ارقاء في هذا العصر وحسن ذلك ابتداءً وحسن ذلك  
ختاماً .

## السياسة والاخلاق

قال احد حكماء الفرنسيين : اتى على الناس الوفاء من السنين وهم  
يتصورون ويقولون فما ترك الاول ، الا آخر وجاء السلف باحسن ما يمكن ان  
يقال في - الاخلاق والسياسة - فغايتنا جمع ما نثروه ، والتقاط ما اسقطوه .  
ونحن في هذه المطالب مصداق ذلك القول فهي شذرات لبعض حكماء  
العصر ، بلحمة من خيرات الفكر تُسج على هذا المنوال ، وتُشر تحت هذا  
الضنوان

### ١

قالوا دَعِ السياسة لاهل الرئاسة فهم فيها اُحق ، وبها اعلم ، وعليها اقدر  
لا يعرف الحكم الا من يزاوله ولا السياسة الا من يعانها  
وتقول هل اتى على الناس حين من الدهر لم يروا واحداً او غير واحد  
من ذوي الاقلام والافهام ، يبحثون عن حقائق السياسة من خلف ستور  
العزلة ، وينظرون الى آداب الاخلاق من وراء حجب الحفا . ٠٠٠٠ ألف الكاتب  
الفرنسوي ( روسو ) كتاب الميثاق الاجتماعي في السياسة وشعر من اهل  
زمانه بمثل ذلك الاعتراض فاجاب : يقولون اأنت اميرام انت حاكم لتكتب  
في السياسة ؟ واقول لا ولكني من اجل هذا كتبت فاني لو كنت اميراً او  
حاكماً لما اضعت الزمان في كتابة ما ينبغي ان اُفعل بل كنت اُفعله او التزم  
السكوت .

ولكنه مقالٌ يُشفُّ عن حسن الظنِّ بالنفسِ فان قُبِلَ من مثلِ روسو  
 فلا يُقبلُ من سائرِ الناسِ ، ولذلكَ لسنا نَتَّخِذُه حُجَّةً على حقيقتِهِ خوضنا في هذا  
 البحثِ - ولكن حجتنا في ذلكَ انه لا يلزمُ الباحثُ في الاحكامِ والقوانينِ السياسيةَّةِ  
 ان يكونَ اميراً او حاكماً او وزيراً كما لا يلزمُ المؤرخُ الناقد ان يتولى كلَّ  
 واقعةٍ ، وبمضركلِّ حادثةٍ يقعُ نقدُه عليها بل من حقوقِ الانسانِ الطبيعيَّةِ ،  
 بل من واجباتِهِ ان ينظرَ فيما يمسهُ ، وما يحيطُ به من الامورِ الدنيويَّةِ والاحوالِ  
 الاجتماعيَّةِ . ولقد جاز للمرء ان يبحثَ عن اسرارِ الوجودِ ، ويستكشفَ نواميسِ  
 الطبيعةِ في حالةٍ كونه لا يستطيعُ تغييرِ شيءٍ من نظامها ، ولا يقوى على مخالفةِ  
 حرفٍ من احكامها ، ، فكيف يُحظرُ عليه النظرُ في النظامِ الذي هو جزءٌ منه  
 والاحكامِ التي هي من وضعِ الانسانِ .

نعم ان وقايةِ النظامِ ، وانفاذِ الاحكامِ ، واجراءِ ما يتعلقُ بذلكَ من  
 الامورِ منوطٌ باهلِ الحكمِ بقدرتهمِ عليه ، واستحكامِ ملكتهمِ فيه ، واختصاصهمِ  
 به من دونِ سائرِ الناسِ - الا ان تقريرِ اصولِ الاحكامِ ، وتحديدِ شروطها ،  
 وتبيينِ انواعِ الحكومةِ ، وتعيينِ الحقوقِ والواجباتِ - كلُّ ذلكَ من بابِ  
 العلمِ لا الحكومةِ فان اهلَ الحلِّ والعقدِ مشتغولون بالعملِ عن التصوُّرِ ولوراموا  
 الدخولَ في المباحثِ الخِلافيَّةِ ، والمسائلِ الخياليَّةِ ، لاهملوا الشؤونَ ، واضاعوا  
 المصالحَ التي يجبُ عليهمِ حفظها من الضياعِ . ولكن اهلَ البصيرةِ والرشدِ منهم  
 ينظرونَ الى ما يُقالُ في ذلكَ بيمينِ التأمُّلِ والاعتبارِ فيأخذونَ بالنافعِ منه ،  
 وينبذونَ ما لا نفعَ فيه ، كما هي الحالُ في رجالِ حكومتنا الحرةِ واولي امرنا  
 الراشدينَ في هذهِ الايامِ .

فاذا تبينَ ذلكَ مما ذكرناهُ ثبتَ وجودُ علمِ باصولِ تعرفِ بهِ احوالِ  
 السياسةِ والحكومةِ لاحوالِ حكومةٍ معلومةٍ مقصودةٍ بالذاتِ ، ولكن الحكومةِ

على الاطلاق بالنظر الى طبائعها وقوانينها واشكالها الاصولية، وما يجب عليها  
وما يجب لها وما ينشأ عنها من الآثار، وهو ما سماه بعضهم بالفلسفة السياسية

## ٢

على ان السياسة وان كانت - من حيث هي - علماً منفرداً بقواعد معلومة  
متعلقة بنظام امورٍ وسمط شؤون، لا ينبغي ان تختلط بغيرها في حال ما، الا  
انه من النافع اللازم الا تفصل عن العلم الذي تمسه من كل ناحية، وتتصل به  
من كل سبيل، وتبني عليه في كثير من الاحوال الا وهو علم الاخلاق  
المسمى في بعض مظاهره ادباً، وفي بعضها تربية وحكمة.

ولم يكن الاقدمون في ريب من وجوب هذا الاتصال، بل بالغوا في  
تكوينه وتقريبه حتى جعلوا السياسة والاخلاق علماً واحداً لم يفصلوا بينهما،  
ولم يميزوا احدهما من الاخر بشيء، تدل على ذلك تصانيفهم في الحكمة والسياسة  
بما بنيت عليه من وحدة الموضوع، وان كتاب السياسة منهم هم الحكماء  
الافاضل المرثون الباحثون عن آداب الاخلاق كافلاطون وارسطو وشيشرون.  
غير ان اتساع نطاق المعارف والعلوم في العصر الاخيرة بانفساح مجال  
التصور، وتوفر مادة الاختبار، واجتماع اشقات الآثار - قد اوجب اختصاص  
كل من هذين العلمين بفريق من الباحثين يقتصر على النظر فيه، غير  
مبالٍ بالذي يليه، كما حصل في كثير من الفنون التي كانت فيما سبق فروعاً  
من اصل واحد معلوم، ثم صارت الان بمنزلة الاصول يختص كل منها  
بطائفة من العلماء كالطب الذي كان يشمل الجراحة، وعلم الطبائع والامراض  
الباطنية، وعلم العيون والاسنان، وسائر ما يتعلق بعلم الابدان، وهو الان  
علوم مستقلة على نوع ما بقدر هذه الفروع ولكل علم منها رجال يقومون  
عليه فيقال لزيد فيسيولوجي، ولعمرو طبيب اسنان، ولبكر طبيب عيون،

وخلال طيب نساء وهلم جرا .

ولكن اختصاص اهل الحكمة والتربية بعلم الاخلاق تفرغاً له ، واستيفاء لما اقتضاه الاتساع ، واختصاص اهل الادارة والتدبير بعلم السياسة تجرداً له ، واستيعاباً لفروعه الكثيرة - غير مانع من تلازم العامين ، واتصال احدهما بطرف الاخر وجوباً ، كما يتصل طب النساء بالفسيولوجية ، وطب العيون بالامراض الباطنية ، والكل باصول الطب العمومي . وذلك لان السياسة تتناول حتى التربية والتثديب والتأديب لغة واصطلاحاً ، وفي واقع الامر ، وعلى اتصالها بعلم الاخلاق حجة نظرية وحجة واقعية .

الاولى ان علم الاخلاق والحكمة الادبية هو الذي تُعرف به الفلسفة السياسية ، وتعلم غايتها الحقيقية لما انه مبني على العدل الذي هو قسط الاعمال ، والفضيلة التي هي حد الكمال كما سيجي

والثانية انه لا قيام للامة ، ولا قوام للدولة الا بادب زاجر للانفس عن السوء ، واخلاق كافلة بحفظ النظام ، وتربية عمومية يتيسر معها نفوذ الاحكام ، والادب وحسن الطباع ، والتربية من فروع علم الاخلاق ، وهي من لوازم السياسة فهو وعلم السياسة متلازمان .

٣

تفصيل الحجة النظرية والحجة الواقعية على اتصال علم السياسة بعلم الاخلاق اذا صرف النظر عن التربية ، واحوال الطباع ، والحكمة التي هي البحث عن الحقيقة والعدل ، تاه الفكر في اصول الحكومة ، وعجز عن معرفة الواجب والجائز ، والمحظور والمكروه ، لامتناع العلم بذلك من التأريخ او الآثار ، ولأنه لو حصل هذا العلم الممتنع لما دل على احسن تلك الاصول ، لا يمكن وقوع الخطأ والظلم وخلاف الحق في الاصل الاول كما امكن وقوعه في الكثير مما

تفرّج عنه ، فلا بدّ والحالة هذه ان يكون الحكم في ماهية الحكومة الحقّة  
مبنياً على المقابلة بينها وبين موجب العدل ، ومقتضى الفضيلة وهو علم الاخلاق .  
فان الحكومة ليست بالآلة مركبة من اجزاء معلومة تدار على اعمال معينة غير  
قابلة للتغيير ، وانما هي جسم مؤلف من رجال ذوي طباع واخلاق فهي  
بنزلة موجود واحد له غاية اديبة ، وحقوق مدنيّة ، وعليه واجبات . فغايته  
حسن الحال ، وحقوقه اجراء الحق ، وواجباته اقامة العدل ، وكل ذلك لا  
يحصل الا بالفضيلة في جانبه وفي جانب الامة معاً ( والفضيلة غاية علم الاخلاق )  
والثانية ان الحرية التي هي غاية الحياة السياسيّة ، والكمال المدني ، لا  
تكمل ولا تحصل الا بالفضيلة . فان المملكة الحرّة ان هي الا بلاد تجوز  
فيها امور كثيرة محظورة على الناس في بلاد غير حرّة من مثل الاجتماع ، والخطابة ،  
والكتابة ، والغدو ، والرواح ، والادلاج ، واطلاق الارادة في اهواء الانفس  
المتعلّقة بها بالذات وهلم جرا . فان وجدت هذه الحرّية مع فساد الطباع ، وسفالة  
النفوس ، واستحكام الجهل ، وانتشار الرذيلة ، وضياع الفضيلة ، كانت مدرجة  
للخلل والفساد ، وذهاب الحقوق ، وقيام بعض الناس على بعض بتنافسون  
ويتقاتلون فيغلب القوي الضعيف ولا يبقى من فارق بين الانسان وسائر  
الحيوان ، اذ تغلب الشهوة على الشهامة ، ويستولي الشرّ على العفة ، ويستعلي  
حب الذات على الحق ، فتقلب الحرّية استبداداً بيد الاقوياء ، ونوب التحرّبات  
عن الراي العمومي ، فينسى الذين تولّاهم الفساد واجباتهم الذاتية والوطنية  
والانسانية ، ويبعون انفسهم ووطنهم وحقوق الانسان بشهوة القلب بنا لونها ،  
وحاجة في النفس يقضونها . والجملة ان السياسة لا تصح الا اذا بُنيت على  
الحرّية ، والحرّية لا تحصل الا بالفضيلة ( والفضيلة غاية علم الاخلاق )



تبين بالحجة النظرية والشاهد العملي ، ان علم السياسة متصل بعلم الاخلاق ، غير انه لا يلزم من ذلك الاتصال كون الفضيلة هي الغاية المقصودة بالذات من الحكومات . فالحكم لم يكن الا لحفظ الحق اما الفضيلة فهي واجبة على الافراد . وغاية الدولة العدل ولا عدل الا مع حرية الامة ولكن استعمال الحرية لا يخلو عن الضرر الا اذا اهتدى الوطني فيه سبيلا مستقيما فعرف شأن اخيه ، واعترف بحق دولته ومواطنيه ، ولم ينس واجبات الوطن . فالسياسة من هذا الوجه محتاجة الى علم الاخلاق وان لم تكن مبنية على الفضيلة . رأيت لو ذهب الامانة ، وعمدت الشجاعة ، وزالت الاستقامة ، وضاع حب الوطن ، فكيف تكون احوال الدولة والامة ، أتوجد في اهل القضاء ما يعني عن النزاهة - أتحدث للحامية ما يعوض من الاقدام - أتبدي لاهل الادارة ما ينوب عن العفاف او تدع للكافة ما يكون بديلا من المحبة الوطنية - فان قلت نقيم على اهل القضاء رقباء ، ونجعل لذوي الادارة رؤساء - قلنا اذا لم يكن رقباءك ورؤساءك من الفضلاء فما هم بمصلحين فالحاجة الى الفضيلة واقعة على كل حال . وان حسبت نظام الجند كافيا في تعويد الشجاعة ، وقانون الاحكام مغنيا عن الادب الوطني ، فاعلم ان النظام والقوانين عوامل غير محرّكة ، وحواجز غير حصينة لا تجلب حسنة معدومة ، ولا تدفع سيئة في النفوس . وانما نظام الشجاعة في القلوب وقانون الوطنية في الاحشاء فليصلح القلوب من رام من الجند الحماية ، وليطهر النفوس من رام من الامة حفظ القانون فانه

لا تنتهي النفس عن غيرها ما لم يكن منها لها زاجر

وغاية النظام في الجيش انه يحفظ البسالة الموجودة ، ولا يقوم مقام

المفقودة . واثق القانون في الامّة انه يكفّ عن بعض الاثم الظاهر ، ولا يمنع  
من ارتكاب الباطن الخفي ، فما الجند ولا الامّة باقل حاجة الى الفضيلة من ذوي  
الادارة والقضاء . فانه اذا ضاعت الشجاعة فمسير المملكة الاستعباد ، واذا فقد  
حب المصلحة العمومية فآلها الضعف ، واذا عدم الاتحاد والاخاء فنايتها التفرّق ،  
واذا أهمل السعي فحاقمتها الفقر ، واذا نبذ الاقتصاد فمآبها الخراب ، واذا ماتت  
العزّة والشهامة فعاقبتها الظلم ، وجميع تلك الفضائل داخلة في علم الاخلاق .  
ومن اجل ذلك رأى الحكماء الفضلاء الذين نستمّد من فيضهم هذه  
الاراء ، ان يجعلوا البحث في السياسة تابعاً للبحث في الاخلاق فاقتفينا اثرهم في  
ذلك ليعلم الوطني منا ما يجب عليه لنفسه ولآل بيته وللحكومة والوطن . فاذا  
حصل من هذا العلم في ذهنه صورة غير خادعة ، فانه ينظر حينئذ الى السياسة  
نظراً رايشد البصير والله وليّ التدبير .

### خطرات الباب

دع الحريري بين حارثه وهامه ، والمتنبّي لدى سيف دولته وحسامه ،  
وابا نواس عند ظيئه وجامه ، وقف بنا ندب وقتاً اضاعوه ، وذكاة في غير  
محلّه صرفوه .

فالوقت هو التبر الثمين ولكننا نلقاه غير مكترثين ، فنبدد الاعوام  
واحداً بعد واحد لا نستفيد منها نفعاً ، ولا نحسن فيها صنعاً .  
فقل لمن يصرف الايام ، بين الاوهام والاحلام ، ان كنت تجهل مقدار  
ما تضيع فقف بالقبور ملتسماً من سكانها برهة من الوقت تعلم انه العزيز الذي  
لا يملك من اضاعه واشترى به ثمناً قليلاً فاولئك هم الخاسرون .

الا ان الطبيعة لحكيم تهذب الافكار ، بدروس الاعتبار ، وانا لنموت  
في كل حين ثم نحيا ثم نعود امواتاً ، فلنا في كل يوم عمر جديد ولكن  
اكثرنا لا يشعرون

تمر بنا الاوقات سراعاً ، وتكرر الايام تباعاً ، فنذهل عن تعاقبها كالمحدث  
بالكرة الدائرة يحسبها ساكنة ، او كالمغتسل في النهر يمر به الماء جارياً ، فلا  
يميز بين منصرفه وآتيه .

والحق انا في ضلال مبين . لم يكفنا القعود عن شراء الوقت المفقود ،  
حتى نشري بكل نفيس ما يضيع به الموجود .  
نبدد كنوز الايام غير شاكرين فاذا بدا الشاغل قلنا ما ابطأ الزمان  
متحركاً ، وما اثقله نزيباً ، والتمسنا الى الفرار منه سبيلاً ، ولا نفر الا من  
انفسنا فالزمان عين الوجود .

نمل البقاء ، ونرجو النناء ، فاذا جاء نذيره ودونا لو نكون من الخالدين .  
ويتمثل لنا الوقت شيئاً ثقیلاً الوطأة فاذا تولى رأينا طائراً عظيم الجناحين فنسعى  
في طلبه فلا ندرك له اثرأ فنعود عنه آسفين .

فما سر هذا التناقض وما باننا نرى اليوم الحاضر بنيضاً فاذا انقضى بكيناؤه  
وقلنا ان الزمان بمثله لضنين . ولا يضمن الزمان بالايام وانما نحن بها مسرفون .  
وما كان ندمننا الا عقاباً على الاسراف كذلك يجزي المفرطون .

تفيض علينا الاوقات فننفق منها بغير حساب ، ثم نحتمها على المسير فاذا  
انصرفت ناديناها غير مسموعين . فنحن نسعى الى الموت ثم نفر منه كعاشقة  
حما . تقاضب من تهواه سعياً الى الهجر ، فاذا رامه انتة مستغفراً انها من  
التائبين .

ونمل الاعمال ولا راحة الا بالاعمال . فالهناء ثمرة لا تنبت الا في حقول

الاشغال ، والحياة ان لم تكن مقرونة بالهناء فهي عين العناء .  
 فقل لمن يلتمس الملاهي لصرف ما يحسبه بطيئاً من وقته السريع - اي  
 هذا المسترجل طفلاً ، المستطفل كهلاً ، القاعد عن النعمة سهواً ، نراك تحسب  
 اللهو حياة فهل تحسب الموت لهواً .

تسام ملّ عينيك على وساد الفساد ، تحت ظلال الوبال ، ولا تسمع  
 حركة الوجود كأنك ممن اجروا فاكتفتهم الانواء تجرّ سباباً يطر عذاباً فحلاً  
 دويهاً بأذانهم فهم لا يسمعون .

فنبه طرف المكورة ، من رقدة الغفلة ، واحرص على يومك حرص البخيل  
 على الدرهم ، فربما مرّت النعمة تحت جناح ساعة منه وانت لا تعلم  
 وأعد بما تعد من الفضل ما صار من وقتك منسياً ، فالماثرة تعيد مائة  
 ازم من حياً . واعلم ان من اضاع شيئاً من الوقت فقد سرق التبر ، بل سلب  
 العمر ، وكان من القتلّة الظالمين .

ن. ش.

الرسالة

### « افتتاح مجلس النواب »

وله من فصل طويل في افتتاح مجلس النواب المصري عام ١٨٨٢

قال

صفحاً لهذا الدهر عن هفواته ان كان هذا اليوم من حسناته  
 وكيف لا وهو حاجة النفس ، وامنية القلب منذ توجه الخاطر الى  
 السياسة الوطنية ، وانصرف الغرم الى احياء الهمم ، وانعقدت النية على حفظ  
 الحقوق ، واتحدت الوجهة في القيام بالواجبات  
 وهو النشأة التي كست الوطن رداء الفتوة قشيباً ، وهو البعثة التي

غرست الامة غصن الامل رطيباً ، وهو ما رجوناؤه زماناً ودافعنا الزمان فيه ،  
 وتمنيناه اعواماً وغالبنا الحدثان عليه ، الى ان بدت انوار الغيرة من جانب  
 الحمية الوطنية ، وتجلت مكارم التوفيق بمظاهر حسن النية ، فبشرنا الامل بحسن  
 الحال ، وآذنا الرجاء بصلاح المال ، فقلنا أوعده مثل ما مرّ السحاب قال بل  
 نجاح ليس به ارتياب ، قلنا متى يثبت التاريخ : قال يوم افتتاح مجلس النواب :

٩٠ ١٣٣ ٨٨٩ ٥٦ ١٣١

١٢٩٩

فيا حسنه من يوم ردّ فائت البهاء ، واحيا مائت الرجاء ، واعاد شباب  
 الامة ، وسدل ستور النعمة ، واظهر مقاصد الامير ، وايد مساعي الوزير وقضى  
 لبيانات النبهاء ، وحقق اماني النزهاء ، فلا زال مشرق الشمس ، مرفوع  
 نواء الانس ، منقوشاً على صفحات الصدر باحرف من النور ، على توالي الايام  
 والعصور .

## تاريخ الفلسفة

( تعريب )

رأيت لبعضهم - ولا اسمي - كتاباً في تاريخ الفلسفة صغير الحجم ،  
 كبير النفع ، مؤلفاً برسم العامة الذين لم يحصل لهم من العلوم والمعارف الاصولية  
 ما يستعان به على ادراك احكام الفاسفة . فدعنتني سهولة ما خذه ، ونبالة  
 المقصد فيه الى تعريبه ، فاقبلت عليه وجعلته هدية لاخواني الذين يرضون  
 لانفسهم بمنزلة المسترشدين . اما سادتي الفضلاء الراشدون فحسبهم من هذا  
 الكتاب نفعاً اني قائم في تعريبه بما كانوا يقصدون  
 على اني اعرب ولا اترجم - احفظ المعنى المقصود والفائدة الخالصة ولا

اتبع الاصل فيما تمنع منه احوال الزمان والمكان - ان مراعاة هذه الاحوال  
ضرورية وان للضرورة احكاماً -

\*\*\*\*

نزوم تعليم الفلسفة وبيان ماهية علم العلوم للضعفاء الذين لا يكاد يكون  
عندهم علم من وجود العلم، لاخواننا في الانسانية الذين وجدوا اتفاقاً محرومين  
من نعمة المعرفة العمومية - انك تحاول محالاً . . ما بعدتم عن الصواب ولكن  
ان صح ان الفلسفة هي الحكمة فبأي حق تكون مخصوصة بطائفة من الناس  
دون الآخرين .

كان الحكماء القدماء رعاة قطعان الامم يجربون الحكمة في مقادسها  
خوفاً عليها من الاحاظ فانها كانت مصدر قوتهم . وقد خرجت الامم الان  
من خطّة الغنمية فلم يبق بها من حاجة الى مثل اولئك الرعاة . فلا بد من  
رفع الحجب عن تلك المقادس ليدخلها الناس آمنين فتبصر عيونهم تلك  
الشمس التي بها يهتدون . وان كان بعض الحقيقة واجب الاخفاء عن الصغار  
فليس الامر كذلك في البالغين الراشدين . وقد انتقلت الامم من دور  
الطفولية وسئمت انفسها الغذاء من لبن الخرافات والرموز ، فلا بد لها من العلم  
بالحقائق السامية ، كما تعلم المعارف الدانية ، فقد ازف الوقت الذي يخرج فيه  
عن صفة الانسانية من لم يكن عارفاً بكل ما اكتشفه عقل الانسان

ولقد علمنا ان افلاطون وارسطو وباكون ولينز ومن تلاهم وتقدمهم من  
الحكماء ، هم الذين صرنا بهم الى ما نحن عليه وان الفلسفة هي التي جعلت السادة  
والعلمان ، اخوان اوطان ، وبددت غيوم الظلمات التي ضيقت انفس اهل  
الانسانية فكيف نسير في عالم النور والحرية الذي هو من آثارها ، غير عالمين  
بما هيته وباسماء الذين رفعوا في الارض منارها ، واوقدوا في القلوب نارها .

فلا بدّ من التعريف بذلك

لا بدّ من تعريف العامّة بسير الذين اخرجوهم من ظلمات اليأس الى انوار  
الامل ، ومن مهاوي الذل الى مقامات العزّ ، ومن منزلة الحيوان الى مقام  
الانسان .

وما سير الحكماء الا في آرائهم وخواطرهم ولكن هذه الخواطر ليست منهم  
اختصاصاً وإنما هي ايضاً نتائج لازمة عن النعمو المعنوي الذي وصل الانسان  
اليه في أيامهم . لانه لا يختص احدٌ بملكه وإنما الناس شركاء في الافعال .  
فانك ايها المشتغل بالارض اذا فلحتها فقد اعانك على ذلك صانع المحراث ومن  
دقّ حديده ، ومن قدّ خشبه من بعد . وايها الصانع اذا نسجت قماشاً فقد  
ساعدك فيه الذي زرع ، والذي جمع ، والذي جلب ، والذي اكتشف من  
قبل . فالاعمال سلاسل متواصلة الحلقات .

واذا قصصت عليك سيرة الذين زادت بهم مقادير المعارف الانسانية ،  
فقد بسطت لك تاريخ الفكر الانساني .

ولا تخش العجز عن ادراك معنى ما اقول فاني محاطبك بلسانك وبيانك لا  
بالرموز ولا بالمعربات . فاذا قرأت هذا الكتاب الصنير عجبت من كونك  
فيلسوفاً على غير علم منك ، فان كثيراً مما تراه فيه قد علمته من قبل في معمل  
صناعتك ، ومزرعة فلاحتك ، وبين ذوبك ، وفي بيت ابيك .

١

### ماهية الفلسفة

يوم وجد في الناس من يتسأل عن هذه الاسئلة : ما نحن - ومن اين  
اتينا - والى اين المصير - وما علّة وجودنا - في الارض - يومئذٍ وجدت  
الفلسفة فهي العلم الانساني بالذات من حيث از موضوعها الانسان ، وغايتها

معرفة طبيعته ، واصله والنهية التي ينتهي اليها .

وتلك الاسئلة يمكن حصرها في الاولى وهي - ما نحن - من علم حقيقة ذاته فقد علم اصله لامتناع ان لا يكون في ذاته شيء من ذلك الاصل ، وعلم مصيره لاستحالة ان لا يوجد فيه ما يدل على علة وجوده . فالفلسفة من حيث هي هي جديرة بان تسمى بعلم الانسان . والقدماء الذين قالوا بانحصارها في مبداء معرفة الذات كانوا من الصادقين

ولكن الانسان موجود من الموجودات فلا بد له قبل البحث عن ماهيته من معرفة معنى لفظ الموجود . ولهذا المسئلة درجة واحدة لا شيء فوقها ، لانه ليس من وراء الموجود سوى العدم اي اللاوجود . ولكن لا بد من التنبيه الى ان علم الموجود او الوجود هو المحرر الذي تدور الفاسفة عليه ، لانه اذا لم يكن ذلك العلم فعلم الانسان محال .

وهناك علم آخر لا تسير الفلسفة بدونه قيد اصبع وهو علم قوى الفهم ، ومسائل اكتشاف الحقيقة ، وبعبارة اوضح علم آلات ذلك العلم . فهو لازم فيه لزوم المرصد والزيج والنظارة في علم الهيئة . وذلك انا نروم معرفة ماهية الانسان والموجودات فلا بد لنا من واسطة لذلك . فان قيل ان قوانا العقلية هي الواسطة قلنا ما الذي يدلنا على خواص تلك القوى . اهتدينا الى العلم بهذه الخواص فقد وصلنا اول الفلسفة لان تلك القوى هي الانسان بذاته من حيث انه موجود عاقل .

وسنبعث عن قوى الخواص العقلية ولكن يلزمنا قبل ذلك ان نفقه معنى البحث ونعلم ان له وسائل صحيحة ، ووسائل فاسدة ، فميز بينها ونختار منها الصحيح .

فالفلسفة التي هي اولاً علم الانسان تشمل ايضاً علم الموجود ، وعلم القوى

العقلية ، وعلم وسائل البحث الذي من فروعه علم المنطق . فاذا امررنا على  
 الخاطر ضروب الفلسفة ومذاهبها فلكي يُنظر اليها باعتبار هذه الوجوه  
 ومن هنا يعلم السبب في تسمية الفلسفة بعلم العلوم او بالعلم الكلي بالذات .  
 وفي الحقيقة ان جميع العلوم متفرعة عنها ، صادرة منها ، لانها بحملتها متعلقة  
 بالموجودات من وجه او اوجه معلومة . فالمهندس ينظر الى الموجودات من  
 حيث امتدادها ، والطبيب يبحث فيها عن الاجسام من حيث صحتها واعتلالها ،  
 والكياوي يشتغل بها من حيث انفرادها واتحادها ، فكلمهم يهتمون بعلم  
 الموجودات ، وكلمهم من علم الفلسفة مستمدون .

فاذا علم ذلك - اذا علم بان الفلسفة هي الاصل الذي يتفرع سائر  
 العلوم عنه ويستمد اربابها منه - فلا عجب من ان يكون تحوّل احوالها ،  
 وتبدل اشكالها قد أثر في تلك الفروع تحويلاً وتبديلاً .

على ان تأثير علم الفلسفة غير منحصري في المعلومات الانسانية ولكنه يتجاوزها  
 الى حياة الاجتماع فتظهر فيها آثار تغيره بمظاهر من ثورات الخواطر ، وتجليات  
 الالباب . ولا بدع في ذلك فهو علم الانسان فلو قدر ان يكون من نتائج  
 الحكم بكون الناس نوعين اثنين احدهما للامر والسلطة ، والاخر للطاعة  
 والانتقاد ، للزم من ذلك ان يكون في الارض ظلام لا يرحمون ، وعبيد لا  
 يأبقون . ولو فرض ان تلك النتيجة قد هذبت فيه ولطفت فلم تقض الا  
 بان يكون في كل جمعية مدنية فريق يتدبرون الامور عن الكافة وان تكون  
 الكافة وقفاً على خدمة ذلك الفريق - لحصل من ذلك مبدأ الامتياز  
 الارستقراطي القبيح لزوماً .

فمن اين لعلم الفلسفة هذا التأثير البالغ العجيب - الجواب - ان ذلك  
 التأثير ليس قائماً بالعلم ولكن بالحقيقة التي هو مظهرها الاول فان الفياسوف

لا يؤثر بالنظر الى ذاته شيئاً فاذا بث آراءه في الالباب كان تأثيره فيها عظيماً .  
ولا يصح إطلاق هذا الوصف على السياسي او الاقتصادي او غيرها من  
ارباب سائر العلوم ، لان العالم بما دون الفلسفة وان تيسر له الاثنان بتغيير  
شيء من المعارف الانسانية ، الا ان فعله يكون محدوداً بعيداً من ان يغير نظام  
الاجتماع بجماعته وذلك لانه يصدر فيه عن حقيقة معينة الحد في حالة كون  
الفيلسوف يصدر عن جميع الحقائق التي هي روح الامم . فاذا امكن للجماعة مخالفة  
السياسي في رأيه المخصوص به فانها ما أن تخالف الرأي الفلسفي الذي تلقته  
ما لم تستبدله بسواه او تقع في التناقض ، فان الفلسفة متلازمة للقضايا لا  
يمكن نبد شيء من نتائجها الا بنقض سائرها .

وقد قلنا فيما سلف ان العلم بحقيقة الانسان من طريق علم الوجود ،  
وقوى العقل ، ووسائل استعمالها ، هو المقصود بالذات من الفلسفة الا ان  
الباحثين في هذا العلم ، والمشتغلين به ممن لا يخافون دركاً قد أحقوا بهذا  
الغرض نحو الاوهام ، وتبديد الآراء التي ذهب الجديدان بجدهما ، وانحى الزمان  
على صحتها ، فادغم ذلك الى الالمام بالعقائد حسب انهما ناشئة عن المذاهب  
الفلسفية وهو ما يجب علينا اجتنابه في هذا المقام .

## ٢

## المذاهب الفلسفية

يزعم بعض الناس ان الفلاسفة قد اختلفوا وتناقضوا ، وتغايرت آراؤهم  
في كل زمان حتى امتنع احصاء مذاهبهم ، واستقصاء مشاربهم . وسيظهر  
هذا الكتاب لمن تجلّد لتصفحه فساد هذا المقال ، وانه لم يكن قط في الفلسفة  
غير ثلاثة مذاهب .

ولكن بيان هذا الامر يضطرنا الى استعمال الاقيسة والالفاظ الفلسفية

فنحن نسأل القارئ في ذلك عذراً وصبراً :

أنا لا نعرف الأشياء إلا بقوانا العاقلة وهذه القوى المختلفة الطبائع ثلاثية المظاهر ولذلك فليس لنا الى معرفة الأشياء غير ثلاث وسائل : الحس ، والادراك ، والشعور

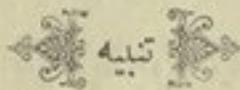
والمراد بالحس مجموع القوى التي نصل بها الى معرفة الأشياء المحسوسة كاللون والجسامة وما شاكل ذلك من الأشياء القابلة للكثرة والقلّة ، والتي يحصل عنها من هذه الحيشية تصوّر عديد او مقدار ما

أما الادراك فهو معرفة الشيء بذاته وبيان ذلك اذا رأينا شيئاً من الموجودات ، وعرفنا بالحس جسامة او لونه ادر كنا فيه ماهية معينة تميزه عن غيره ، وثبت لنا انه هو ولا سواه ، وهذه المعرفة لا تكون بواسطة الحس بدليل ان الذاتية من حيث هي غير قابلة للكثرة والقلّة كما هي الحال في التصورات الحسية ، وإنما هي بسيطة واحدة لا تجزأ ، فانا انا لا اكثر ولا اقل . والقوة المؤدية الى معرفة هذه الوحدة في الذوات ، والى تمييز بعضها من بعض ، هي الادراك

وأما الشعور فهو القوة التي نستعين بها على المقابلة والمشابهة بين الموجودات . فان المعرفة الحاصلة من الحس والادراك منحصرة في تمييز الأشياء ، وهذا التمييز غير كاف في علم الحقيقة بل لا بد معه من العلم باوجه المشابهة والصلوات التي بين الأشياء ، وذلك لا يحصل بالادراك لانه لا يدلنا الا على الاختلافات المطلقة ، ولا بالحس لانها وان ادتنا الى معرفة الأشياء مختلفة بالكثرة والقلّة ، وممكنة التماثل والتشابه من بعض الوجوه ، غير انها لا تدلنا على نفس تلك المشابهة من حيث هي لانها ليست مما يقع تحت الحس

فاذا تبين هذا مما قد مناه علم انه لو كان الناس جميعاً يتوسلون الى معرفة

الاشياء بالحس او الادراك او الشعور على حدٍ سوى للزم من ذلك ان تكون  
معارفهم من طبيعة واحدة لا تختلف حقيقةً وإنما تكثر او تقل ، وتزيد او  
تنقص ، بحسب درجاتهم من الاجتهاد ، وما حصل لقوائم العاقلة من النمو .  
ولكن ليس الامر كذلك بدليل اختلاف آرائنا في الشيء الواحد ، وإنما  
نثق بما نعرفه بواسطة بعض تلك القوى ثقة لا تحصل لنا فيما نعرفه بواسطة  
البعض الاخر ، بل ربما وثقنا بذلك البعض دون سواه . وحيث ان المذاهب  
الفلسفية ليست سوى مجموع الآراء الشخصية فلا يمكن ان تختلف الا بحسب  
الفرق الذي بين تلك الآراء ولذلك قلنا ان المذاهب الفلسفية ثلاثة ليس الا



لم نثر على البقية من تاريخ الفلسفة في الاعداد التي ظفرنا بها من  
جريدة مصر والتقدم حتى الآن

—••••—

## الشرق والغرب

وقال من فصلٍ مطوّل في احوال مصر

ان كثرة المخترعات ، وسعة المعاملات ، ووفرة حاجات المدينة ، وتماثل  
اغراض النفوس ، وانفراد كل امة بمزية وكل ارض بخاصةٍ مع رغبة الانسان  
في استكمال تلك المزايا ، وافتقاره الى هاته الخواص جميعاً — كل ذلك قد  
اوجب استحكام العلاقات ، وتقارب الصلّات بين الامم والدول ، ومنع من  
تفارزهم ونقاطهم وراء اسوارٍ منيعةٍ من مثل سور الصين . بل لو امكن هذا  
التقاطع وكانت هاتيك الاسوار جبالاً تنطح بارواقها النجوم ، لما وقفت بها  
حركة البخار ، ولا امتنع سير الكهرباء ، ولا تعذر اتصال انسان بانسان .

ولهذا كان من شأن الناقد البصير ان ينظر الى الاحوال المدنية والسياسية باعتبار واقع الامر فيقرّ هاتيك الصلات رضى بها واختياراً ، او يحتملها كرهاً واضطراً ، ثم يلتمس منها وجه المنفعة ، وطريق المصلحة ، وباب السلامة لا قرب الناس اليه ، وادنى البلاد منه ، ثم الانسانية على الاطلاق .

والشرق لا ازيدُهُ تعريفاً مغرس الكلمة ، ومنبت الجامعة ، ومركز الوحدة لكل ثابت في ارضه الذهبية ، تحت مائه الزمردية ، وهو شقيق الغرب الاكبر حنا عليه طفلاً ، وعاله يافعاً ، وايدُهُ فتى ، ثم احتاج اليه كهلاً .  
فبينهما في الاصل علاقة الاخاء ، ثم نسبة الوفاء ، ثم صلة الاحتياج . ومصر ولا احاول لها وصفاً شجرة الآمال ، ودوحة الاماني لدى كل من اقلته تربتها العسجدية ، واطالته موارها النقية ، وهي بمنزلة خط الرابطة ، وهمزة الوصل بين الغرب والشرق - بين المجد القديم والجدة الحديث ، بين الاثر التاريخي والحادث الواقعي ، بين العظمة الراقدة تحت ظلال الكفاف ، والهمة السائرة تحت لواء الطمع . فللامم فيها مصالح ، وللدول علاقات ، والمدنية مداخل لا يتيسر لاي كان من الناس محو شيء منها الا في مستقبل غير محدود . فلم يبق الا حفظ هذه العلاقات ، وردّها بالتى هي احسن الى حيث لا تزيد من جانب التداخل ، ولا تكون مانعة من تأيد استقلالنا الاداري وان يحصل الانتفاع من نتائجها بكل ما يمكن استفادته من التمدن الغربي .

واعوذ بالله ان أريد بهذا الانتفاع استعمال جالية الغرب على اختلاف مشاربهم ودرجاتهم برواتب الامراء تارة للقيام بما يعلمون ولا يعملون ، وحيناً لما يعملون ولا يعلمون ، وطوراً لما لا يعلمون ولا يعملون ، فذلك تأباه الحكمة ، ولا يرضاه اولو الامر منّا ولا يميل اليه اهل الحق حتى من الغربيين انفسهم ، وانما المراد اصلاح موثيقنا التجارية ، واحوالنا الزراعية ، واحكامنا الداخلية مع

الاستمارة بأفكار ذوي الرشد والحكمة وحب الإنسانية من رجال الغرب .  
فالعرب لا يعدم الحكماء الراشدين المحبين للإنسانية وإن كانوا في الأرض عدداً  
قليلاً .

## مجلس النوّاب

وقال في مستهل فصل رائع في مجلس النوّاب

هذه عروسنا في الحمي تبجلي بمجرّ الحرّية لا بدّ بياج خويّ خطبناها من  
الدهر ، فأغلى لها المهر ، ومانع ما استطاع ، ودافع ما أمكن الدفاع ، فبدلنا في سبيلها  
الهمة ، وجعلنا صداقها ارادة الامير والامة ، حتى زُفّت الينا فما نسيم الصبا في  
الصباح ، ولا لقاء الوجوه الصباح ، ولا الراحة بعد العناء ، ولا الورود بعد  
شدة الظما . بارق منها على الروح ، وابهج منها في العين ، ووقع منها في النفس ،  
واعذب منها على القلب .

وقد مرّت بنا ساعات الفرح بانجلائها ، وأويقات السرور بظهور بهائها ،  
وقرأنا التهانّي بها مراراً ، وتلقينا التبريك تكراراً ، وانشرحت صدورنا بابتسامات  
المحبين ، واشتفت انفسنا بتلهّفات الاعداء ، وحمدنا الله حمد المعترف بالنعاء ،  
الشاعر بالسراء .

فهي الآن في الحمي يا حماه الله فُتحت لها الصدور بدل الخدور ، وأسكنت  
العيون تحت حجاب الجفون ، ولا غرو ان ضربنا عليها الستور ، فهي فتانة  
والمحب غيور .

وما حسنها حسن الدمى والتماثيل لنرضى لها بالظهور شأنًا ، وبالصورة  
جمالًا ، وبالنظر امتاعًا .

فالحسن في الوجه قريب الزوال فلتعلم الحسناء ذات الدلال

ولكنها ربة البيت الذي وفدت عليه ، وشريكة البعيد الذي زفت اليه ،  
 ولسوف نتولى تدبيره ، ونقيم اموره ، ونصلح اخلاله ، وتداوي اعتلاله ،  
 وتحفظ مائه ، وتعيد بهائه ، وتزيد ان شاء الله نماءه بولديه من المنافع بررة  
 صالحين ، اخبار مصلحين ، يكونون لهذا الوطن الذي سميناها سعيداً اعواناً على  
 الزمان ، ونصراء على الحدثان .

ولكن كما ان البيت لا يصلح ، والاسرة لا تفلح ، الا اذا توثق الحب ،  
 واستحكم الود وصفت النيات ، وخلصت المقاصد ، وحسنت المساعي بين الزوجين  
 لتصح تربية الولد ، ويسلموا من آثار الحقد والدد ، كذلك لا بد في صلاحنا  
 ونجاحنا ، واستقامة امورنا ، وانتظام احوالنا ، وزوال مشاكلنا ، واندفاع نوازلنا ،  
 من التلاؤم والتوافق على المنافع الحقة الوطنية ، ومساعي الهيئة النيابية .

وهذا التوافق وان ظهر باديء بدء عياناً بديهياً لا حاجة فيه للبحث ، ولا مكان  
 به للاختلاف ، الا انه اخفى مكاناً ، وادق رسماً ، واصعب تحقيقاً ، مما يتوهم  
 الناظر المسرع فرُب امرٍ ظاهر النفع ، بادي اللزوم ، واضح الوجوب ، نتيته  
 قريب المنال ، سهل النوال ، فاذا دائيته رأيت غير ما ارتأيت ، وعانيت غير  
 ما ظننت ، ورب بعيد يقربه الامل ، ورب قريب يبعده الريب ، فما  
 يجلو الامور الا اختبارها ، وما تأتي الامور الا باوقاتها .

وقد عرف سادتنا النواب هذه الحقيقة ، ولم تخف عنهم من تفصيلها  
 دقيقة ، فهم الآن ينظرون في الامور نظر الناقد البصير ، العارف الخبير ، المتنبه  
 للعواقب ، المجانب للمصاعب ، الذي يخطو مع الدهر اذا ما خطا ، ولا يذهل عن  
 تبطن بعض الصواب خطأ . يعلمون ان للوطن عليهم حقاً واجب الاداء ، ولا  
 يجهلون ان للاحوال احكاماً مرعية الاجراء ، ويميلون مع الغيرة الوطنية ، ولا  
 يتغافلون عن الحكمة السياسية ، ففيهم شدة بغير عنف ، وثبات بغير عناد ،

ولينٌ يغير ضعف ، وتساهلٌ بغير ارتداد ، وهي الحكمة بما فيها من دقة وفطنة  
واصابة ، وهي السياسة بما فيها من دهاء وتدبير وخلافة .

### منتخبات اشعاره

❖ من نظمها سنة ٧٠ وهو في الرابعة عشرة من سنه ❖

ذر عنك تسيباً بحب عذاري وانظر بعين المتهام عذارا  
يا حسنه لما بدا في وجنـ كاخمر منها المقلتان سكارى  
آيات حسن في طروس الورد قد نقشت بریحان الهوى ازهارا  
رب الجمال على بلاد الشق في افق الملاحه الطلع الاقمارا  
نبيل الجفون حمى حمى الالحاظ فاكتسب الغزاة الى الربوع اسارى  
عرش الجمال على الجبين مستر بدحى الكمال ليكنتم الاسرارا  
طفل اليهام يهدو في الوجه يرضع - خرع انفاس الهوى ان ثارا  
نادى منادي الوصل نحو الصب بالروح اللقا فاستهون الاسعارا  
هذا الهوى لا ما يقال بحق ذلك الهوى في قول قوم سارا  
يا منشدي ذكر الديار وساكننا تلك الربوع اعد بهم تذكارا  
يا ساكني تلك الديار وحبهم لم يبق في دار الهوى ديارا  
ماراقتي بعد الفراق اليبس لو لم استمع عن حبيهم اخبارا  
لولا رسالات الكحيل وحكم مولد قد استغنى عن التعريف مذ  
قرء الحسود له بدون العين اذ ابدى لنا في كتبه الآثارا  
خذها اعبد الله بكرة كلما كرتها تستعذب التكرارا  
نسبك قول الاقدمين برفق قد اخضعت لسموها الاشعارا

❖ ومن نظمها في السنة المذكورة ايضاً ❖

اعددت للعناء قلبي منبرا فبري فوادى يا لقومي من برا  
كملت محاسنها وتم جمالها فانظر وسبح يا خليلي من برا  
الصد منها قلب صب مرمر فحكت سيول الدمع منه مرمر

لله قد أصبحت عبداً للشرا  
 لا تذلوني في هوى من حسنها  
 ما رامها والله عاذلٌ صبتها  
 بابي ليالٍ قد مضت في قربنا  
 ارعى بها بدري واملك ما لكي  
 واضم منها سمهرياً لدنه  
 سمح الزمان بفرقتي عنها فيما  
 والله ما كسر الفؤاد سوى النوى  
 خبري شهيرٌ مبتداه ندامتي  
 يا صاح ان جزت الشام ففج على  
 واقتر السلام على الحبيب تكرماً  
 واذا وقفت بباب ذي مجدٍ نقل  
 فهو الجليل الماجد الشهم الذي  
 مولاي قد ورد الكتاب وانه  
 اقتشكي الما وانت دواؤه  
 فوقك ربك كل ما تخشاه ما

❖ ومن نظمه في سنة ٧٠ ❖

سقام في لحاظك ام سهام  
 وورد في رضابك ام رحيق  
 وذا بدرٌ تبدى ام جبين  
 وذا سقمٌ يجسمي ام بعاد  
 ربيت بمهد عشقٍ مستهما  
 رضعت لبانه في المهد طفلاً  
 يجلٌ بجمي ذكرى حبيبي  
 قنوع من حبيبي في خيال  
 كفاني حبه شرفاً بابي  
 فذا من نال في الدنيا سمواً  
 ودرٌ من كلامك ام نظام  
 وورد في خدودك ام مدام  
 وذا شعرٌ تجددت ام ظلام  
 اذا ما طال انهنكفي السقام  
 وفي عشقي بلذ لي الهيام  
 ترعرع قبل ان خان القطام  
 ويجلو كلاً مرة النزام  
 فيكفيني ولو قصر المنام  
 بمدحته لساني لا بلام  
 ومن في مدحه ضاق الكلام

بعبد الله يعاو كل مدح  
 فريد بالمحسن رب علم  
 اتنتي منه تنو ذات حسن  
 هي ابنة فكره الحسنان في  
 اتيه بقولها عجباً بحق  
 صبا في حب منشئها فوادي  
 تذكرني رسالته حبيباً  
 صبوت لقربه مذبذبات شوقي  
 فرققاً سيدي بفتي اذا ما  
 ودم في رغد عيش مع هناء  
 وعش مادامت الافلاك تجري  
 وفي ذكراؤك ينتظم النظام  
 ورب نهي وللشعر الامام  
 نهم بها اذا رنت الآنام  
 ربي كلماتها ارج الخزام  
 لان القول ما قالت حزام  
 كما يصبو الى الورق الحمام  
 وبطربني ولو بعد السلام  
 بابعاد كما العزال راموا  
 جفوت يصيده الموت الزوام  
 لك الدهر العظيم به غلام  
 وما يحلو بذكرك الختام

❖ ومن نظمه في سنة ٧ ❖

على مسرح الارام قد صاحبي  
 صباحاً ودع عدلاً ودع قول راقب  
 دنا وقت صيد الريم بين السباب  
 طراداً لحاذر باخيلي وجانب

غزالاً اذا ما رمت تصطاده صاداً

غزال اذا ما صال في ربح قد  
 سجدت لاني لم ازل عبد عبد  
 دعاني قتيلاً بالتجني وصدته  
 تناثر ورد الوصل من صحن خده

واجفانه بالرسم تغزل او عادا

لحي الله دهرأ بالفراق لقد حكم  
 وصبراً على ما خطه في الهوى القلم  
 فوالله ما أفضى بجسدي الى العدم  
 سوى فرقة الاحباب مع عشرة (البيجم)

وبعد حبيب باللطافة قد سادا

مجيد جليل قصرت عند ذكره  
 قصائد اشعاره ولو بنت فكره  
 اتنتي على رغم الحسود لقهرو  
 بمعنى صحيح قد طوت بيكره

ورب صحيح مدنفاً زار او عادا

تشيد في قلبي له صرح وده  
 فلا يتداعى بالعدول وجده  
 ولو طال في حكم الهوى وقت بعده  
 فوادي صبور لا يضرب بجده

ولو ان دهرى حاول اليوم ابعادا

❖ من قصيدة لم نظفر بغير هذه الايات منها ❖

❖ نظمت في سنة ٨٠ ميلادية ❖

لساني لثاني الفرقدين كلمي	وقلي بصدر الرقنين كلمي
هداني لصال الخيف بان طويبع	وطيب عرار مر فيه نسيم
اذا ما حدا الحادي نغمت ركائبي	املت له سمي فآب بلوم
وهذا جزائي اذا اطعت صبايبي	فغدير مني منطلق ورسوم
اهيم وقلبي بالقيق مخيم	يئن وشوقي بالأراك مقيم
غرامي بسلمي والهيام يزيب	وقوس غرامي بالرباب كتوم
فلا انا ممن يظني والوصل نارهم	ولا انا راج ان يدوم نعيم
ففي القرب التي ذائبا في حرارتي	وفي البعد تظني عبرتي فاعوم
يسر لك سلمي ان غصنك مشمر	وغصن رجائي من جناه عقيم
دعي لي لسانا واندمي الجسم كله	ففيه خطيب الوري وحكيم
يعز على الافكار ان تعدم النهي	اذا اعدم الجسم العظيم غريم
ذكت زفرتي تحت الضلوع فاحرقت	فوادني فكلي جمرة وحميم
الى الله اشكو ما اكابد من عنا	ورجدي جسمي الصحيح سليم

❖ ومن نظمه في السنة نفسها ❖

سعة العيش عند كل انوف	في ظلال العلاء لا في الريف
لا يسام الالي بلفظ ولكن	دون نيل البلاء خوض الخثوف
فالي م السكون والعمر ماض	يا القومي بالذل والتعنيف
كيف يرضى بمنطقة الدل قوم	ويقولون نحن شم الانوف
ينقضي العمر بين شهر وعام	لالوف تسير بعد الوف
لا تسر الحدود بالشم حتى	تشكي قبح عهتها المندوف
قد تبينت حالي وانا في	ربقة الامر تحت رق العريف
نحدت اليهائم المعجم لما	لمن لعين في ظلال الكهوف
كيف يصفو عيش الفتى في ديار	ساد فيها الغبي كل ثقيف
وتولى فيها الخواطر وهم	شان اهل الرضا برأي ضعيف

الذي

الذي

فبدا الجهلُ والحقيقةُ امتٌ وهي ذاتُ السنا وراءَ السجوفِ  
 نكبةٌ ضعفتُ من الفضلِ ركنًا ورمتُ بالبلاءِ كلَّ حصيفِ  
 ومصابٌ اصابَ قوماً فاضوي منهمُ كلُّ اروعٍ غطريفِ

ومنها

يا زمانًا مضى بزٍ وعدلٍ غيرِ قلبي عليكِ غيرِ اسيفِ  
 كانَ فيكِ المعروفُ يز هو فاضحي فاقدَ الذكرَ ليسَ بالمروفِ  
 يا خليلي عرّضاً لي بذكرِ الفضلِ واستنفاً عن التعريفِ  
 واذا كراهُ وخلياني من الدهرِ وما فيه من صنوفِ الصروفِ  
 نحنُ نرجوهُ حفظاً مالٍ تليدٍ وهوَ يأبى ابقاهُ مالِ طريفِ

❖ وقال مرتجلاً مودعاً صديقهُ المرحومِ سليمِ النقّاشِ حينَ سيرهِ ❖

❖ الى مصر في جماعة المشخصين ❖

يا منْ تعدى بالنوى ما زالَ ودكِ لازماً  
 مرّ بالسلامةِ آمنًا وارجعَ سليماً غانماً

\*\*\*\*\*

وقال في السنة نفسها

مَنْ لصبٍ ديونهُ يتقاضى من اليفرِ عن الوفا يتقاضى  
 يا لطيفي ظنبي لواحظه استلّ لقتلي وهنّ كنّ راضا  
 ورأى مدمعي المتهونَ فابدى من ثناياهُ برقها ايماضا  
 ساق لي راحَ حبه وهو فاسٍ من خدودٍ يقينَ فيه بضاضا  
 يتلاهي عني ولستُ بشيءٍ عنه الهو ولم اكنّ معتاضا  
 ضنّ بالوصلِ ثمّ قال اناسُ انه كانَ في الورى فياضا  
 عرضةً للبلأ غدوتُ واني ملتقى منه في الهوى اعراضا  
 مثل اعراضِ صاحبي عن جوابي ولقد كانَ للوفا نهاضا  
 حال عندي دون القريضِ جريضٍ واعتبار القريضِ لاقى انقراضا  
 لكِ عرّضتهُ فاعرضتَ عنه يا خليلي فهل رأيتَ اعراضا  
 من ترى ناقداً لينقضَ حسناً فيه والحسن يطرد التفاضاً

ان يكن عاذلٌ فلا اختشيه  
او تكن عبته وحاشاك لكن  
قد حوى مدحك الصحيح وفيه  
ناظراً بالبديع آيات حسن  
هالك عتبي بسطته حين اضحي  
لا تقل ان ذا صغير رقيق  
اتقاضي منك الجواب وعندى  
ومنى تختشي السباع عضاضا  
مدحه ليس يختشي الدحاضا  
ليلة قد هجرت فيها الغاضا  
ان تجت دعت لها الانتهاضا  
امل الانبساط عندى انقباضا  
سترى دونه الضخام العراضا  
انك اليوم عنه لا تتغاضي

### وقال في سنة ٧٥

حقيقة الحال تنبي اني رجل  
ليت الذين سبوا قلبي وما رحموا  
بالعين الغادرات اللآ قد فتكت  
لله يوم مضى في الروض حيث به  
والعين غزاة الله والقلب غازلها  
ملك قلبي لمن اهوى على صغير  
كم ضمني ورضاني بات مرثفا  
وان يكن منكراً قولي فهاك في  
من فرط بلواي قد ضاقت بي الخيل  
ردوه فهو بنار الحب مشتعل  
في مهجتي هل جراح الحب تندمل  
نادى الغرام بنا واستاقني الامل  
حتى لبسنا غراماً حاكه الغزل  
ظبي تأيد فيه الميل والملل  
وقد جرى من ماء في في العسل  
وها يدي فيها من خصره جمل

### وقال لواقعة حال جرت عام ١٨٧٢

ان كيد النساء كان عظيماً  
ان ارين الحب لين كلام  
هن اهل الوفاء بالمهد ما دمت جليلاً قبل المشيب كرهما  
واذا ما رأين طالب حسن  
كل يوم يطلبن عهداً جديداً  
قد تحكمن بالقلوب فلا تخضع  
ومداراتهن داء عضال  
كيدهن العياذ بالله منه  
كم سليم غدا بهن سقيا  
فبهذا الكلام يفتدو كليما  
صرت بعد الجديد غمراً أذميا  
وبصير الجديد يوماً قديماً  
اذا كنت باسلاً وحكيماً  
يلتقي المرة منه ضرراً اليما  
انه كان بالعباد رحيماً

## قال لواقعة حال جرت عام ١٨٧٣

في حب بانتنا لا بانه العلم  
 نخل سلعا وسل عن حال عاشقها  
 يا بارق الليل ان جزت الجزيرة قفت  
 ويا نسيمًا سرى من روضنا سحرًا  
 وان مررت بغربي الديار على  
 فشم انفاس من احواه مغنية  
 هناك هلت براعات الغرام لنا  
 وركب الحب في قلبي قوالبه  
 حب اصاب شفاف القلب اهمه  
 لم انس انس نهار بالرياض مضى  
 دارت به الراح من كف الجيب ولم  
 وهيا الراح اسباب الغرام لنا  
 حتى اذا تم ما ابدهت اعينها  
 روت لعاشقها معنى الهوى فسلا

بديع نظمي اضحى ابي منتظم  
 فتلك نار الغضا لاحت بذى سلم  
 نشم اول عهد الوجد والالم  
 تحمان وجد صبر فاقد النسم  
 معاهد الحب والاشواق فانددم  
 عن كل ما في رياض الارض من نسيم  
 ومنه دلت دموع العين كالدميم  
 قسرًا فبان دمي فيه وما ندمي  
 فبات مغرمى متى يعذل به بهيم  
 مجانسًا لعيم الصفو والنعم  
 نخفل بهود يزيل الغم بالنعم  
 والجمر ان تاته الارواح يضطرم  
 من الجوى منذرات فيه بالسقم  
 حديث قوم قديم عهد حبهيم

## وقال في السنة نفسها

بأبي اندي لحاظًا وفنًا  
 لا تلوموني أصيحابي فمن  
 ياله شعرًا لطيفًا قد اذا — ق لسمع الصدغ تريق الشفا  
 قد صفي حتى نفي عني الاذي  
 يا خليلي فبالله صفا  
 يا مهارة الخدر لي قلب اذا  
 ما غزاه الغدر مجميه وفا  
 ايد الايمان في الحب وسن  
 سنة العشاق ما بين الورى  
 وعيون قد ابت وصل الوسن  
 فهي لا تعتبه إن هجرا

## دور

بأبي اندي التي قالت سلوا  
 هل رأى الشاق مثلي في الملا ل  
 ان يكونوا رسل الحاظي سلوا  
 فبخدي للذي بهوى بلا ل

سحرتهم لحظاتي فابتلوا بهواها ياله سحرًا حلا ل  
وجمالي كل ذي قلب فتن ولا رباب النهي قد قمر  
وسلوا في الحب شيخًا وفتى برعيان الليل في القمر

### وقال في سنة ٧٢

بروحي هيفاء اذا ما تمايلت نقول نسيم مر في دوحه العطر  
اقول لها عيناك شفاء اصابنا فوادى وهذا القدر بالطعنة الوتر  
فيا بانه بانته فيان سرورنا وبانت فيان البان في الحلل الخضر  
نصبت شباك الحب واصطدتني فلم جزمت بان بيني فوادى على الكبر  
وعهد الهوى وتد ووصل مؤمل وعهدك وعد مطله طائل العمر

### وقال وفيه سلامة الاختراع سنة ٨١

مدحتك لا املا في النوال وان كنت ممن ينيل الامل  
ولكن رأيتك فذا بأرض همى كل فضل بها للهمل  
تقول وتنعل ما قلت وما كل من قال قولاً فعل  
وشمت القريض كثير الكذاب ونجم الحقيقه عنه أقل  
نجت بمدحك اصدق فيه ارادة اصلاح هذا الخلل

### وقال في رواية عن لسان ذي فتوة سنة ٨١

كلمت افئدة الرجال بصارم تقوى به الدعوى وان لم ينطق  
واع المقاتل دره ووضاؤه حتى تمنى انه لم يخلق

### وقال في مثل ذلك سنة ٨١

ضياه الشجاع ظلام الوغى بسم الرواح وبيض الظبي  
وبرق الحسام غداة الصدام لفيث الحمام نعيم الغني  
ومجد الشجاع الذي لا يراع يوم القراع اختطاف اللوا  
اذا قدر الله موت الغني فما من مرد لذلك القضا

وَأَنَا لِقَوْمٍ نَعُدُّ الْحَيَاةَ مَعَ الذُّلِّ - دُونَ أَيْلَى وَالْفَنَى  
 نَبِيدُ الْجُمُوعِ وَنَشِي الرَّبِيعِ وَشَجَرِي دَمُوعِ الْيَوْمِ دَمًا  
 فَان لَمْ نَبَارِزْ فَمَنْ لِنَزَالِ - وَإِنْ لَمْ نَنَاجِزْ فَمَنْ لِلوَعَى

السورة وطهره عشر  
 وقال في جواب ورد إليه من عبد الله أفندي كحيل

تزييل دمشق عام ١٨٧٣

حَمَلِ الرِّيحِ سَلَامًا وَأَمَلِي الْأَرْضِ غَرَامًا  
 وَأَجْعَلِ الْأَشْوَاقَ كَأَسَاً وَأَثْرِبِ الدَّمْعَ مَدَامًا  
 وَأَصْحَبِ الذِّكْرَ نَدِيمًا إِنْ تَكُنْ تَرعى الذَّمَامَا  
 وَخَذِ النُّجْمَ سَمِيرًا وَأَمْنِعِ الْعَيْنَ مَنَامَا  
 هَجْرَ الْحُبِّ فَصَارَ النَّوْمُ وَالْأَنَسُ حَرَامَا  
 مَا نِي مَذْ بَتْ فِيهِ مُسْتَهَانَا مُسْتَهَامَا  
 أَيُّهَا الظُّبْيُ إِلَى مَا الْبَعْدُ عَنِّي وَعَلَا مَا  
 قَدْ نَسِبْتَ الْعَهْدَ وَالْوَدَّ وَغَادَرْتَ الْوَتَامَا  
 أَنْ تَكُنْ تَوَثَّرَ بَعْدِي يَا أَخَا الْحَسَنِ سَامَا  
 فَإِنَّا يَا مَالِكِي عَبْدُ عَلِيٍّ الْعَهْدِ إِتَامَا  
 زَادَنِي الْبَعْدُ عَلَى مَا فِي وَجْدَاً وَهِيَامَا  
 كَلَّمَا هَبَّ نَسِيمٌ أَسْكَبِ الدَّمْعَ سَجَامَا  
 أَمَهْرَ اللَّيْلِ كَثِيمًا وَأَرَى النَّاسَ نِيَامَا  
 وَأَنَا رَاضٍ بِمَا نَقَضِي فَلَا تَحْشَرِ الْمَلَامَا  
 قَدْ سَلَبْتَ الْبَدْرَ وَالْفَصْنَ مَحِيًّا وَقَوَامَا  
 وَتَحَذَّتِ الرَّاحَ وَالْبَرْقَ رَضَابًا وَابْتَسَامَا  
 وَجَعَلْتَ الْفَرْقَ وَالْفَرْعَ صَبَاحًا رِظَامَا  
 فَلِذَا تَهْدِي وَتَغْوِي بِمَائِيكَ الْإِنَامَا  
 أَيُّهَا الْعَازِلُ لَا تَسْتَمَطِرِ الْعَيْمَ الْجِهَامَا  
 لَمْ وَفَنَدُ وَأَمَلِي الدُّنْيَا مَلَامًا وَأَتَهَامَا  
 لَا أَرَى عَنْهُ دَوْلًا فَلْيَذْبُ مِنْ فِيهِ لِأَمَا

سائق الاطعمان يطوي اليد جدا وانتما  
 كراما بلوغ مهارة الحي عن ميت سلاما  
 واختصر في شرح حالي والشم الارض احشاما  
 يا نقومي ان وجدي اتلف الجسم وداما  
 نزعت نفسي الى حيي به الظبي اقاما  
 من يجيزي من غرام او هن الجسم مقاما  
 في سبيل الله نفس فتدت اما وعاما  
 ترجي في الحب بخلا لا يرى فيه اضطراما  
 ذلك عبد الله من قد تحذ الود وساما  
 ليس قد بات للفضل مقاما وقواما  
 جاءني منه كتاب شامه الطرف فهاما  
 اخجل الدر ابتداء وازدرى المسك ختاما  
 يا كثير الفضل قد - ذلت للشعر الكلاما  
 فرأينا لك شعرا علم السجع الحماما  
 كان لي منه سميد ومدام وندامى  
 بأبي انت قد اصحبت في الزوم اماما  
 يا صديقي والليالي تلبس اراس الثناما  
 كيف ترجوا النظم ممن زود العشق سلاما  
 وتنامى عهد ظبي سلب الرشد الاناما  
 سدل السر فقالوا اغف البدر الغاما  
 فندا يسم حتى فتق البرق الظلاما  
 قد منى عهد غرام كان في التلبه ضراما  
 وهجرت الشعر لما احتضم العمر احتضاما  
 وعجيب شأن طفل رام في المهدي الفطاما  
 فاعف عني وتقبل يا اخا الود السلاما  
 متع الله بك العلم واعلاك مقاما  
 وارانا منك بدرآ في سما المجد تماما

النظر الصافي

ومن نظمه أيضاً عام ١٨٧٣

ألا ناصر من اعين سدن بالكسر  
 عيون وفي الله القلوب سهامها  
 عيون هي السوداء إن جن عاشق  
 حمت في الحياء الثغرة وهي فواتر  
 فله من ثغره بدا في عقيقه  
 يطارحني منه التبسم لولوها  
 وما الشعر في حكم القياس نتيجة  
 يحاول فكري نظمه عفو خاطري  
 ويأني به الأ النزول عفة  
 ويبدو عليه حين ينشد كلفة  
 وكنت متى انصده يسهل فصرت إن  
 ولولاك لم ينقد إلى الأ نس نافر  
 ولولاك لم يسبق إلى الشعر خاطري  
 ولم تنسق في نظمه من سلبتي  
 وبارب يوم هممت فيه تفكراً  
 جنحت إلى روض كأن غصونه  
 وكان هدوئ الصباح يحكي ميمماً  
 فرمت بنا شكوى الجوى في نسيمه  
 وخائنا الدجى والصبح يفتق جنبه  
 فكان جمال الكون في جنب قبحه  
 ولاح لنا الانسان جيداً مقانلاً  
 فعفنا الغواني في المعاني عرائساً  
 ولذا بذيل اليأس من كل لذّة  
 فيا من غدا مستعبداً بوداده  
 تكفني هذا القريض وليس بي  
 ولكنني لما ذكرتك حاجني  
 فدونك بكراً ان تبدت لراهب

فهن اثرن الشق من حيث لا ادري  
 فكم نفذت في القلب من داخل الصدر  
 او البيض هزتها قدود من السمير  
 ولم قد شفى من غلقه بارد الثغر  
 عقود اذا اقلت قلت من الدر  
 فألقيه من دمعي واجلوه من شعري  
 لأهل الهوى الأ متدّمة الفكر  
 وتدفقه عنه معارضة الدهر  
 فان رحمت اشكولم الاق سوى الشكر  
 اذا ضمّ الكوى من الضر والعسر  
 أشانظمه لاقيت أعر من يسري  
 ولا شيد بالايان ما هدّ بالكفر  
 على جريها الأ قلام مع أنمي الشعر  
 معان حكين التقد في عنق البكر  
 فرحت طروباً بالتفكير والذكر  
 قدود هاميل السكاري بلا سكر  
 خلا قلبه من لوعة الصد والهجر  
 فرحنا نبث النذر في عشته النذري  
 فواد عدو يظهر الود عن مكر  
 وفاء مداج قد تبطن بالغدر  
 تلاطم كالأمواج في لجّة البحر  
 تجلين كالأقمار في حلال خضر  
 سوى العلم ان اللذة الصرف الثغر  
 اخلاء صدق من رقيق ومن حر  
 من الوجدي ما بدعو القريحة للشعر  
 اليه اشتياقي وانثني نحوه فكري  
 جرى خلفها جري المطهمة الضمر

تزيّنها هذي السطورُ عنِ الخلى وقد سكنت هذي الطروسُ عن الخلدِ

وقال سنة ٧١

انا ما بين مطربٍ ونديمٍ ومدامٍ صافٍ ونايٍ وعودٍ  
وسرورٍ وافٍ فوافي حمانا وعن الصدا يا مليحة عودي

وقال سنة ٧٢

هجرت وما ذنبي لذبك لتهجرا فما عفتُ معروفاً ولا جئتُ منكرا  
جرحتُ فؤادي بالصدود وهادي بجذك مسفوكاً فلا تكُ منكرا  
وبتُ وما للقلبِ من راحةٍ ولا لعيني ان جنّ الدجى فيه من كرى  
وشاهدتُ وجدتي سقمٌ جسمي ومدمي فان رمت تحقيق الشهادة منك را  
تبرأتُ من ذنبي وهجرك قد برى عظامي وعذابي بقولون من برى  
وجرت بقدر عادل كلما انثني اقول للوامي تبارك من برا  
فما ضرَّ لو كملت قلباً مكلماً وانت ترى فيه لذاتك منبرا

وقال على لسان بعضهم برسم امير افرنجي قدم بيروت عام ١٨٧٤

ضامت بك الدنيا واشرق نورها وبدت لك العليا وانت اميرها  
فتلا لآت زهر الكواكب وانجملت بمطارف الاعجاب منك بدورها  
وزهت رياض الأنس في احيائنا فترنمت فوق الفصون طيورها  
فالوقت صاف والكورس يدبرها من راحتيه ووجنتيه مديرها  
قمرٌ على غصن بطوف بانجم تخفي الشمس اذا تبدى نورها  
فاليك منا انفساً مسرورة ناجاك منها بالهناء ضميرها  
علمت بانك في المعالي مفرد لك سرها دون الملا وسريرها  
ورأتك بيروت البهية وافداً فنبتت لك بالسرور تغورها  
ولو السحاب اخبرت بك اقبلت واتاك منها بالثناء مطيرها  
يا ابن الاولى كرموا وعز نظيرهم بما اثر في الناس عز نظيرها  
حملتك اجنحة البخار وربما عرفتك فاهتزت لديك ببحورها

وسريرت في اقطارنا متنقلاً  
فأتيت أرضاً معظم التاربخ من  
تلقاك صيدون القديم بهاؤها  
والشيخ لبنان الذي ما حاله  
وتريك بيروت السرور بغيرها  
وترى القوافي الباسمات قوادماً  
وكذاك تفعل في السماء بدورها  
اخبارها قدماً وانت خبيرها  
ويراك من صور العظيمة سورها  
فيما علمت من العصور كورها  
ويريك ابهج ما رأيت سرورها  
هذا القصيد الى علاك سفيرها

—\*—\*—\*— ( آرر حطير ) —\*—\*—\*—

وقال في حل لغز ورد في الجنان سنة ١٨٧٤ بكلمة صبا وملغزاً في بحر

ابدبت لغزاً له قلب الاديب صبا  
قد حل عندي مقام الحب من كبدي  
ومذا قطعت له ذيلاً يتيه به  
فهو الصبا وبه غنى صبا وصبا  
وبعد فاكشف لنا يا من شماله  
وافصح عن اسم ثلاثي تحير في  
قلبه تلق معانيه بدت ولقد  
وان تقلب فهو الويل حيث به  
وان تقلب كل يتغيه وان  
وان سلبت حشاه قال ناظمه

يحكي برقة معناه نسيم صبا  
لمن تغنى بذكر العارفين صبا  
رأيت نعت صب للحسان صبا  
من في زمان الصبا يشكوبه وصبا  
راقت عن اسم له في العالمين نبا  
معناه فكري وابدى كنهه عجبا  
رأى اللبيب له من قلبه لقباً  
نادت جيوش من الاهوال واحربا  
قلبت فيه ذا اللغز قد كتبتا  
البر بالبحر باد وانثى طربا

—\*—\*—\*— وقال حلاً للغز في مصباح والغاز في بان

يا هلالاً بسا الاصلاح لاح  
وهاماً هم نيل العلا  
قد اجينا فأجينا ما اسم شيء  
راق لي اللغز به حين انثى  
وهو فعل صح فيه معنيا  
قلبه شبهته بالدر إذ  
وتراه دون قلب ان بدا

ماله في قوله ان لاح لاح  
لغزك الباهر بالمصباح باح  
طائر الافصاح صاح  
رمح قدر اثر الارماح صاح  
ن فقل لاح وان شئت فراح  
حل في وادي عقيق وسطراح  
دمه الاسود للشرب مباح

ثلثه وهو الثلاثي غدا للمحاجي سمكاً يا ذا الصلاح  
واقاب الباقي تجد من حقه منك أكرام مساء وصباح  
ومع المحذوف تلقى من عليه حقوق البر فانظر فيه صاح  
وهو للابيضاح بالأمر يشير نجد بالحل وانعم بالساح

وقال يرثي فقيد الادب والاجتهاد سليم افندي الخوري

احد صاحبي آثار الادهار عام ١٨٧٥

جار دعي فدمعي منه جار واصطباري ما أن يوارى أوري  
أي نذب وجيننا فيه فرض فيجعتنا به يد الانذار  
عهدنا في ديارو بأنس الاذ بس وتشدو على الغصون القاري  
ونوى الان وحشة الحزن فيها بنواح الحمام في الاسحار  
يا هلالاً في القبر ما كان قبر قبل ذا من منازل الاقمار  
لم تغب عن بصائر الناس لكن غيبتك العليا عن الابصار  
فبكتمك العيون وهي عيون فائضات عن واسمات المحاري  
بل بكتمك الطروس نظماً وثرأ فهي للتناكلات فيك تجاري  
ورثاك التاريخ فينا فأبقى في القلوب الآثار للادهار  
نحن نبيك والمعارف ترثك لك على اثرنا مدى الاعصار  
طاب فيك الشئنا نشرأ ففاحت تفحات من ذكرك المعطار  
وتولى لسان حالك عنا ذكر قول يفيد للذكور  
«ان» آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار  
فهو سفر انشأته بعد طول البحث والجهد فيه والاسفار  
وقضى الموت ان قضيت ولم تنج زه والموت حاكم ذو اقتدار  
يا صديقي سقت ثراك الغوادي او عيوني فانهن جوار  
بنت عنا فما خلا قلب خل في حماتا من حرقه وأوار  
كلنا منذ دهاه خطبك بالك نابع طول ليله والنهار  
وبك الآل والرفاق استموا في الحزن جوداً بمدمع مدرار  
لبسوا بهدك السواد ولاحت بحداد حديقة الاخبار  
ولئن أكثروا البكاء وناحوا وهم لم يلهم ذو اختبار

فلم يمثل من أضاعوه يبكي لا على درهم ولا دينار

وقال تأريخاً له

يا بني الخوري على كل الوري حكم هذا الموت جار فأصبروا  
 يوجر الصابر في المحنة ان أرخوه أو بفوز يظفر (١٨٧٥)  
 قصفت ریح الوبا من دو حکم غصنا فيه المعالي تزهرو  
 فتلونا فيه بالتأريخ ان قصفت الغصن هو الأصفى ١٨٧٥

وقال مؤرخاً لحكاية حال سنة ٧٥

لما تجددَ عهدٌ ودك بيننا من بعد ما في الليل طلقت السنة  
 أصبحت في تأريخه بك ناشدا عهد المحبة تم في رأس السنة

تاريخ

وقال يرثي المرحوم منويل فيليبس

لهذا الخطب تدخر الدموع وينفر عن نواظرنا المهجوع  
 فيما نصب اهل العلم لما دهام ذلك الويل لتدريج  
 قضى منويل فانفجرت عيون في قفوس ذلك الركن المتبع  
 أذا الافصال كيف تأيت عنا فهل يرجى لنا بعد الرجوع  
 أذا الآداب كيف تركت قوما لهم فيك التوله والولوع  
 واني لا تجيب لمن بنادي وانت لمن بناديك السميع  
 ويا من ما عصى الله امرا وكان لحكمه ابدأ بطبع  
 دهاك من المنية ما دهيينا به ورمالك قاصدا السريع  
 فواللهاه جسمك كيف يفنى وفكرتك فيه جوهره البديع  
 سنبكيك العيون وما عليها اذا فاضت على الترب الدموع  
 وتوثيك المعارف والمعالي وتبكيك المحافل والجمع  
 وتندبك الفضائل باقيات وبكيك الذكاه وهو الصريع  
 تركت بزهره الآداب ذكراً معطره بضع ولا بضيع

وكنتم لها من الاعضاء رأسا  
أست تراعهم وهم وقوف  
أست ترى لديك أخوا شقيقا  
ينادي يا أخي بلا وداع  
أخي أما لهذا الخطب رد  
فوالهفي لوالدة تغادي  
إذ اندبت صباحك بلا فتور  
لغيرك مذ مضى شقت جيوب  
فكيف بهم ورأسهم الصريع  
وكل منهم حزن صديع  
دهاء بخطبك الرزء الذريع  
تفارقنا وانت اخ وديع  
وهلا يوقف الحكم الشفيغ  
ثراك ودعمها هام هموع  
تجاوبها مع الناس الربوع  
وانت عليك قد شقت ضلوع

### وقال فيه ايضا

صاح نادى الموت في الصبح وصاح  
ودعانا خطبة عند الصباح  
ما من الموت مناص او براح  
فأرانا الويل فيما قد فعل

\*\*\*\*\*

دهمتنا يا أخوا الرشد المنون  
وأذاقتنا بلايا وشجون  
فأرتنا وبلها كيف يكون  
ورمت بالعقل في وادي الخبل

\*\*\*

لم يمدد الله في الناس احد  
جرّد الموت لنا سيفاً أحد  
دون حزن او شجون في الاحد  
ليقدّم الجسم مناً والنضن

\*\*\*

منويل بعد أوجاع قضى  
هكذا قد تم في الناس التضا  
تابعاً احكام رب قد قضى  
رام منهم اجلاً قالوا أجل

\*\*\*

أترى بعد مقاساة الألم  
شبح الموت فوا ويلي ألم  
وبلايا مرض فيه ألم  
بشفق الموت على شخص كل

\*\*\*

يارقيقاً كان بالناس رقيق  
شق والله علينا يا شقيق  
وصديقاً كان بالقول صديق  
ان ترى في رزءك الرزء الجلل

\*\*\*

اسفاً عمرُك ما بين الدروس ' قد نقضني وكذا بين الطروس'  
وكذا آلام اضلاع وسوس' مرض' من حبك العلم حصل'

\*\*\*

يا غصيناً بهوا الموت هوى وقضيباً في ربي القبر ذوى  
يا هلالاً خسف اليوم فوا عجيبي وهو هلال ما اكتمل'

\*\*\*

كم شكك الجوهر آلام المررض' ولسمهم الموت قد اضحى غرض'  
فتى الجوهر افناه العرض' يا القومي ذامصاب' قد نزل'

\*\*\*

زهرة الآداب اضحت بعد من بذل الجهد بها من غير من  
وعليها جاد بالفضل ومن تشكي الضر من الخطب الجمال

\*\*\*

يا البدر صابه نقص الخسوف' ولشمس قد اصببت بالكسوف'  
ولشمهم ذل والشهم انوف' ولنجم بعد لألاء أفل'

\*\*\*

منوبيل غبت عنا اسفا منوبيل' قد اصبنا تلفا  
منوبيل من بذقه عرفا ألم البعد عن الحب الاجل'

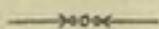
### وقال فيه ايضاً

عَلَى القَلْبِ ما المَعِينِ يَنْهَلُ ساجِمَةٌ — وما برحت نارُ المصابِ تَلْزَمُهُ  
تَنْزِيهِهِ اِحْوالُ الزمانِ فَيَلْتَقِي جِيوشاً مِنَ الاِحوالِ مِنْهُ تَصادِمُهُ  
يَرى اَنْ فِي الدُنْيا زُحاما فَيَرْتَجِي مَكَاناً بِهِ لا يَلْتَقِي مِنْ يَزاحِمُهُ  
يَرى حَيوا تَأيا كَلَّ النَّبْتَ رابِضاً عَلَيْهِ وَمِنْهُ النَّبْتُ صارتِ مَطاعِمُهُ  
ويَلْقي نَباتاً نَاميّاً مَمْتَذِياً بِجِثَّةِ حَيوانٍ مَضى وَهُوَ لاقِمُهُ  
وذاك هُوَ الدُّورُ العَجيبُ نِظامُهُ وَجوداً وَحفظاً جَلَّ مِنْهُ هُوَ نِظامُهُ  
فما حَزَنَ الاِنسانُ الا بِمَحدثِ مِنَ الطَّبِيعِ قَد لا يَسْتَطِيعُ بِقاوِمُهُ

وما هو إلا الفةٌ مدنيةٌ      وحب اجتماع كيف مال يلازمه  
وما اجتمع الانسان الأليلتي      جموعاً من الوحش النفورتها جمه  
فكان صيلاً ثم صار قبائلاً      يرد وحرشاً في الفلاة تناومه  
وزاد اثلاً صار فيه كواحد      فمنه له خيرٌ ومنه ما آثمه  
وعاش على حب الاخاء مرجياً      دواماً لما لا يرتجي معه دائماً

## ومنها

ومن خبر الدنيا رأى ان عسرَها      يسيرٌ اذا ما فات تنسى جرائمه  
بكيتٌ وما كان البكاء لاشفي      وتطفأ من قلبي الكليم ضرائمه  
ولكن قلبي ذاب حزناً وقد جرى      من العين دمع في الخدود علامته  
فيا من نأى عنا فديناك من ترى      بلحدك غير الدود الفأ تنادمه  
عهدناك ذا قلب رقيق فكيف قد      نأيت ولم ترفق بمن انت ظالمه  
سبكيك ما نأخ الحمام معارف      وبيد وعلى التار يخ حزن بلائمه  
سليك سلام الله ما حبت الصبا      وناحت على غصن الرياض حمائمته



## وقال رائيًا بعضهم عام ١٨٧٥ ايضاً

جرء الموت حساماً ماضياً      كان بالظلم علينا قاضياً  
حاضرأ مستتبلاً او ماضياً      ما احتيال الناس في هذا القضا

\*\*\*

قد قضى من كان ما بين العباد      خير قض برشاد ومداد  
لبس الفضل له ثوب الحداد      وعن الناس تراه معرضاً

\*\*\*

خطبه في الناس تأريخ اليم      فليمه رحمة الله الكريم  
سار عنأ ناحياً نحو النعيم      ولنا افتدة فوق النضا

\*\*\*

ابن من كان إمام المعرفة      إن يكن انصفه من وصفه  
قل لمن عرفه ان عرفه      إن ذا الجوهر اصبح عرضاً

\*\*\*

بل هو الجومرُ لكن المات حاكمُ فينا بتغيير الصفات  
هكذا الانسان قد يمسي نباتُ فوق قبرِ حله فيما مضى

\*\*\*

فذر الدنيا اذا رمت الهنا فارتضاه المرء في الدنيا غنى  
كلما نحسبه فيها لنا سوف نبقيه على غير رضى

\*\*\*\*

دأبنا جمعُ ثراء وحطامُ واكتسابُ من حلالٍ وحرامِ  
نبدأ الامرَ ولا ندرى الختامُ ليتنا بدأ امرأ مرضى



قال في كتاب ارسله من بيروت الى صديقه المرحوم

سليم نقاش في الاسكندرية عام ١٨٧٧

ما كان صبك يا مليح بوح بهواك لولا دمه المسفوح  
يا راكبا فرس الدلال مطوفاً هذا طريق جفاك امكره الهوى  
فهوى وقد اودى به التبريح بهواك اما الجسم منه فتلف  
سقا واما وده فتصيح برضاك كاد من التمام بطوح  
جرحى فجاورت الجروح جروح مرعى اصببت بسهم طرفك مهجة  
ورضاه وهو بما اروم شحيح يا من بذلت مدامعي في حبه  
ان التجني يا مليح قبيح ابكي وتبسم ما زحاً متجنياً  
غرا لها عندي عليك رجوح قد عاضني عنك الوفا برسالة  
مانال رائع زهره التصديح طرس عليه من الصداقة رونق  
فصبا لها التسجيع والنوشيح سمجت بلابله على غصن الوفا  
انخر فمالك سيف الوفاء كفيح يا من غنيت بوصفه عن ذكره  
فلنا الى مصر حلت بارضه نصبوا الى مصر حلت بارضه  
فيه السرور ويعد التبريح قطر يطيب به المقام وينجلي  
وينم فيها بالزام الشيخ حيث الرياض تزينها اغصانها

وغديرها ينساب كالأفعى لها  
 قد لامسته غصونها لما صفا  
 وتخلتها ظلالها حتى غدا  
 يامن تأيد وده برفائه  
 لازلت مرتفع المكانة سالماً  
 واسلم على رغم الزمان من زأ  
 واقرا على خل قد استرعيت  
 ثم السلام لسائر الصحب الأولى  
 دمت جميعاً في المسرة والهنا  
 عند الصباح تبوع ونجيج  
 وجفته لما جمعته الريح  
 كالل يحنى تارة ويلوح  
 اقسمت مالي عن ثنك نزوح  
 تبني لودك في القلوب صروح  
 ولك الميمن ما اردت يتبع  
 وذي سلاماً مازجتة الروح  
 اغدو على شوقي لهم واروح  
 ما صاح طير في الرياض صدوح



وقال في اوائل صباه من قصيدته في الحب سنة ٧٥

اصاب الهوى قلبي والهبة الجوى  
 اذ ارحت اشكو والعشق تأباه شيمتي  
 وتسكب اجفاني الدموع كأنما  
 وفي جنن من اهواه سيف مهند  
 نيا للهوى من لي بهيفاء غادق  
 شكوت لها حالي وشوقي فأعرضت  
 وذي حالة الايام لا تستقر بل  
 فيوم لبوس ثم يوم لعمرة  
 يرى المرء حيناً لباساً ثوب نعمة  
 ولعمرة احكام وللدهر حكمة  
 يقولون دع طرق الغرام فانها  
 هو السب لولا الدين صرحت انه  
 سأتبعه حتى يرى الناس اني  
 واشرب كأس الدل عزاً بحب من  
 اذيفاه اني ثابت بالغرام الا  
 اهيفاه اني لا احول عن الهوى  
 ولولا الهوى ما سال دمي ولا جرى  
 فوا حسرتي هل عاد يحسن لي حال  
 وخلفي وقد ابي وشاة وذل  
 همي من مما عيني فوق الثري خال  
 وفي اعيني غيث هتون وهطال  
 يرى القتل دلاً طرفها وهو فصال  
 وميلها عني ملال وامبال  
 تحول امور ثم تأتيك احوال  
 ويوم بهيسر وبالامس اقلال  
 وحيناً له من اقيح الفقر سر بال  
 وللبعض اقوال وللبعض افعال  
 تنيلك ذلاً قلت يابئس ما قالوا  
 الهى ومعبودي وما فيه اشكال  
 وفي بهيدي والحوادث تغثال  
 غدا بلباس التيه والصد يخال  
 تزعر عني عن مركز الحب اقوال  
 ولوقطعت مني على الطرق اوصال  
 ولا صاب قلبي والفاصل زلال

ولا أرخصت عيناى دمعاً سفاكته  
عشقتك في العشرين ثم اصابني  
بجك عشر لا يوافقها البال  
سقام وذل حسرة حرقه جوى  
بكا وبلا نوح وسهد واذلال  
يقابلها من بعض حسنك سنة  
يموت بها صب ويشقها الخال  
وكشع وقد في ربي الحب ميال  
كشيب وغصن وهوان شئت عسال  
هلال وبرد كوتر ثم نرجس



### وقال في جمعية زهرة الاحسان عام ١٨٨٠

ما كان للمسكين من تأماء في الفقر كالا حسان من حسناء  
يجلو سواد زمانه منها يد ييضا تشكر من بدر ييضا

### وقال سنة ٧٥

الى م الدلال وفي م الملال  
لقد كفت ادمي الماطلات  
وان كان ذنبي عظيماً فهذا  
هجرت المنام لقرط النرام  
فوق ادي عشيق وفيه خفوق  
وما زلت عبداً ولا خنت وداً  
نجلي المطال وعودي عن الصنة  
ذنوباً جناها حسامي المهند  
حساب الذنوب بدمعي مسدود  
وسامرت في الليل بدرأ وفرقد  
ودمعي طليقي وقلبي مقيد  
ولا سمت صداً وعهدي موبد

### وقال قدماً سنة ٧٥

جور دهر لا يالي بتلافي ووبالي  
بات جسمي منه يالي وهو بالاولجال  
قد جار بي دهرى فخرت في امري  
وما من الدهر بجور

### دور

بالدهر من اذاه طاب للجسم بلاه  
كيف انجو من بلاه وهو بالفصال سال

يا خالق الكون كن في البلا عوني  
فأنت لي خير نصير

وقال سنة ٧٥

الآن أنت كما ترضى العلي رجل  
يلقى الصروف بقلب ما به وجل  
قد نلت نصراً على نصير وخيرهما  
نصر غريمك فيه الأعين النجل

وقال

في سما الأوس لدينا قمر الإصلاح لاح  
وبما أهدى الينا طائر الافصاح صاح  
قد نأى شر العناء واذى الاتراح راح  
فسكرنا بالهناء انما الافراح راح

وقال عاقداً بتشظير بيت للمتنبى سنة ٨٠

نالت مزيد الهناء انفسنا من بعدما كاد يقطع الامل  
قدمت يا بدر يا غمامة يا — عالي الذرى يا هام يا بطل  
يا شهيم يا شهيم يا مهند يا — ليث الشرى يا حمام يا رجل

وقال وهي مما كتب في البحر عند العودة من باريس

الى بيروت عام ٨٠ ايضاً اثر الداء

غبتنا وكانت اليك اوبتنا يا وطننا لم يغب عن الفكر  
ما برحت نفسنا على وله تغالب الشوق فيك بالصبر  
يهمدنا اذ تكاد تهمده حتى بدت منه علة الصدر  
فاحتملنا اليك جارية كأنها بالذي بنا تدري  
يكاد ما انعجاب يفرقها وقلبها مثلنا على جمر

كألارض تجري ونحن نبصرها ساكنة كالعقول في مصر<sup>(١)</sup>

وقال سنة ٧٢

أصبر وقد ذاب الفؤاد من الوجد  
وكيف اصطباري والغرام محاربي  
فيا زمن اللذات هل أنت عائد  
أحبابنا لم يبق لي هجركم سوى  
الفت سقامي بعدكم فاذا نأى  
فهل عندكم اني على العهد ثابت  
وذا شرح حالي في الصباية بدمكم  
قنعت لما شاء الزمان بذكركم  
وشحذت سيف الصبر والوجد قاتلي  
وهمت بكم في القرب والبعد وحدكم  
وفي الحب ذو شان وفيه مقلد

ونوم وعين الصب وقف على السهد  
بسيف الجوى والشوق في الهجر والصد  
ويا مالكي هل انت باق على العهد  
حشاشة قلب من هواكم على وقد  
اسفت وقد عوصت بالني من رشدي  
وهل عندكم من غصة الشوق ما عندي  
فبالله قولوا كيف حالكم بعدي  
ويا ليت هذا الذكر يغني عن الوجد  
فأصبحت شحاذاً واقبت استجدي  
على انني ما همت في حبكم وحدي  
وشتان ما بين الثعالب والأمد

وقال في مشكلة سياسية وقعت بايطاليا من جراء خلاف

بين بعض السياسيين في احدى المراقص سنة ٨٢  
فياربت حتى في المراقص عندهم مشا كل فيها للانام شرور  
يدورون بالغيد الحسان رواقصاً على نغم والدائرات تدور

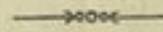
وقال خمساً سنة ٧٥

غرامي غريمي والهوى باعث الجوى . وقلبي بنار الوجد فيه قد اكتوى  
على انني والقلب نثله النوى . كتتمت الهوى حتى اضر بي الهوى  
وباحت دموعي بالغرام وما بحت

(١) وفي هذا البيت اشارة الى ارتباك الاحوال في مصر اذ ذلك لا الى عقول  
المصريين من حيث هي فقد كان رحمه الله من اشد خلق الله كلفاً بهم

## وقال في سنة ٧٥

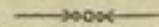
يا قلب صبراً فان الصبر محمود  
قد بت احسد من ذاق الكرى وانا  
رشدي وقلبي مما قد منبت به  
والصدر والقهر في ضيق وفي سعة  
والطرف والشوق في ماء وفي لخب  
لا ألتقي طرباً لو راح بنشدني  
كيف السرور لقلب أنه ابدأ  
وان عدمت المنى فالاجر موجود  
في ظاهر الحال عند الناس محسود  
دون الاماني مفقود ومفقود  
والصر والصر موجود ومفقود  
واليأس والانس مقبول ومردود  
لحن الزبور على الاوتار داوود  
بالهم والغم معقول ومعقود



## وقال في اوائل صباه بديها في مليحة دعيت الى المخاصرة

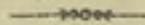
## في احدى المراقص سنة ٧١

وهيفاء تعدو الى الحرب رقصاً  
بقدر كرمح ولحظ كسهم  
على نغم العود ثم الكمنجة  
وجفن كسيف ونهد «طبنجة»



## وقال سنة ٧٥

رفقا بمهجة صب  
ثلاثة تيمته  
ثلاثة هيتمته  
يهوى وما لهواه  
فقدته الغصن فيه  
ووجهه البدر منه  
وشاهد الحسن فيه  
ابدى لنا الروض منه  
واين في الروض منها  
افاح وورد  
اضناه هجر وصد  
شوق ووجد وبعد  
نوح وذكر وسهد  
ولا لمن ودند  
طير المحاسن تشدو  
نور الملاحه يبدو  
ريق لمن ذاق شهده  
قد وثغر وخذ  
غصن اقاح وورد



## وقال سنة ٧٥

ايها السامي الى اعلى العلى ملك انت عظيم ام ملك  
 عزمك الماضي تولى الناس ام سلب الالباب منهم ام ملك  
 لجمالك المجد وافي وافي والعلى دون الملا قد ام لك  
 جئت ارجو منك ودًا ورضي لا تحيب ظن من قد امك

## وقال سنة ٧٤

احن لذكر الدار والقصد اهلبا فاشتاقتهم والحب شوق وتذكار  
 اقول اذا لاح العذول موربا عليك سلام الله ايتها الدار

## وقال سنة ٧٤

يا رسول الحبيب اهلا وسهلا ورسول الكريم عندي كريم  
 كثر الذكر فهو ما مر يجلو واعد ما حملت فهو نسيم  
 يا رسول الرضى في الحي مولا — ك على الانس والهناء مقيم  
 ام شجاه من الجوى ما شجاني فهو منه في كل واد بهيم

## وقال في سنة ٧٤

من حاجبيك مقاتل وحبيب ومن اللواظظ مستم وطيب  
 غازلني وغزون قلبي نانثي وله الصباية بالعذاب تطيب  
 وجوارحي ان لاح حسنك السن تبدي الغرام وكلهن قلوب  
 ولهن من جفنيك سهم قاتل ولهن من نصب الهيام نصيب  
 لم انس انسك يوم عقد عهدنا والوجد داع والوفاء مجيب  
 اقسمت ان لا تقسمي جمع الهوى وطرحت قلبي حين كاد يذوب  
 يا من على قلبي تولت والتوت صبري على هذا الصدود عجيب  
 لا تعدلي عنا وفينا فاعدلي فالعهد في عهد الوفاء قريب



وقال مادحاً فقيده مصر المغفور له محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب  
المصري وذاكراً هجوم ضباط الجند على منزله في خلال الفتنة العرابية  
وبعض هذه القصيدة نظم قبيل السجن والنفي وبعضها في سجن المحافظة

بالاسكندرية ١٦ ايلول سنة ١٨٨٢

هو الوجد حتى لا يخفى النواظر  
وما الوجد إلا النار قد شهبها الهوى  
فلا حل جسماً لم تذبّه صباية  
ولا درء درء الوصل فيه لطالب  
سأحمل ضميم الوجد حتى يجود لي  
وبي وأبي من لو بدا نور وجهه  
ملك جمال عز نصرأ بحسنه  
فيا ثنره أنى حمتك لحاظه  
ويا قدّه عوذ بعدلك حسنه  
خليلي والأيام لم يبق صيرفها  
أما في سبيل الله عون على الهوى  
أم الدهر آلى ان بضم كريمة  
وكيف وسلطان الوفاء محمد  
هأم إذا لاذ الضعيف ببابه  
ولورامه الثبت القوي بنظرة  
غام إذا اعطى حمام إذا سطا  
له همّة من دونها السيف ماضياً  
ورأي هدى اهل السرى بضيائه  
وما شئت من فضل نظيم وسودد  
وجدت مباري مجده فيه خاسي  
وعزم مداني نصفه عنه خائر  
اقام على تلك المحاسن حجة  
فسل عنه نواباً رأوا نور رأيه

وحنى تغيب الروح والجسم حاضر  
فما اطفأتها الدامعات المواطر  
ولا ذاقه من لم يميت وهو صابر  
يخالف منه باطن الامر ظاهر  
بخيل وحتى يأنس الحب نافر  
لعاد عدولي في الهوى وهو عاذر  
له حاجب يحمي ماءه وناظر  
وانت برود والحافظ فواتر  
أست تراه وهو في الناس جائر  
خليلاً يواسي او صديقاً يوازر  
ولا في سبيل الحب للقلب ناصر  
فدارت على اهل الوفاء الدوائر  
مويّد امر الحق بالله ظاهر  
تحاتته فيه الحادثات الدواغر  
لرد إليه طرفه وهو حاسر  
فنته يباح الدرف والعرض وافر  
مضارعه في الدهر ناه وأمر  
كما ارشدت زكبا السفين المنائر  
عظيم عليه من نقاه شعائر  
ومجد مجاري جذوه فيه خاسر  
وحزم معاتي وصفه منه خائر  
من الفعل اعياردها من يكابر  
فضاءت به ابصارهم والبصائر

وسل عنه أهل البغي اذرد كيدهم  
 ولم يألم نصيحاً ولكن اضملمهم  
 فأبوا بخسران وباؤوا بحسرة  
 ويا يوم وافوا لاجبين كأننا  
 عليهم من اليأس المبين علام  
 وجوه علتها صفرة النبط مثلما  
 فالقوه طوداً لا يبالي بعاصف  
 وقرماً بأسرار السريرة ظاهراً  
 ومستهلكاً في الله لا يهرب الردي  
 فعادوا سكارى لا يخمر سوى التي  
 ولولاه ما هلت بدمع عيونهم  
 الى هنا ما نظم قبل السجين وما يليه منظوم فيه

أمولاي هذا نظم حري وتلوه  
 اتوه بنكر وهو للعرف مرتجع  
 وما وجدوا ذنباً له غير انهم  
 أبعد ذو فضل ويدني منافق  
 ويكرم جاسوس عن الصدق حائد  
 ويرفع تمام عن الرب كاشف  
 بذات قضت الايام ما بين اهلها  
 على انني والشين تأباه همي  
 فان لم تقدني للوفاء اوائل  
 وما ارتجحي فيه من الناس نائل  
 فيا من تولاني فنلت بقربه  
 مقام اخي فضل وشهرة كامل  
 وصحبة سادات كرام يمثلم  
 سأشكو زماني شاكراً ما حبتوني  
 وما صغرت نفسي لأمره يريها  
 كفاني من الدنيا وجودك سالماً

وقد غرهم جيش لهم مثكاثر  
 ادلاء في ليل الزور عواثر  
 وكسر قلوب ماله الدهر جابر  
 قد انحل نطق البحر والبحر زاخر  
 تعلم كيف الهول من لا يحاذر  
 تفتح عن اهل القبور المقابر  
 وليثاً هصوراً لم ترعه المخاطر  
 وحرّاً باضار الضمير يجاهر  
 اذارهته في النزال العساكر  
 ادارت عليهم في الديار المحاجر  
 سوى ما اعدت يوم تأتي البشائر

كلام سجين اوثقته المآثر  
 وجازوه بالخذلان وهو مناصر  
 آثاروا عليه الدهر والدهر جائر  
 ويسجن واف حين بطلق غادر  
 ويظلم همام على الحق سائر  
 ويخفض كتأم على العيب ساتر  
 معائب قوم عند قوم مفاخر  
 لراض بعقبى ما وفيت وصابر  
 عقدت رجائي ان تفيد الاواخر  
 ولكنني للبر والعرف ذاكر  
 امانى عنها جهد غيري قاصر  
 وصيثاً له نشر من الطيب عاطر  
 اذا كثرت الاعداء بت اكثر  
 فيها انا طول الدهر شاك وشاكر  
 ولا انا مما نابها متصاغر  
 وحسي من الايام انك ظافر

وقال في السجن بالاسكندرية عام ٨٢ ايضاً

لئن حبستُ بلا ذنبٍ ولا حرجٍ فما يراعي الى غير الهدى انطلقا  
ولي فؤاد امين ان صفا ووفى ولي لسان بمحض الحق قد نطقا  
ما للمؤذنين لم يسجن بأرضكم ان كان يسجن فيها كل من صدقا

وقال

وأرخص دمعى للضعيف اذا شكنا ودمعي لنفسى في التوازل غال  
علوتُ بدم السافلين كما بدا بمظهر ما عن الناقصين كمالى

وقال وقد سماها القصيدة الحربية ٧٦

تردد يوم الحرب احزانها التكللى وياسم محزون غدا فاقدًا عقلا  
فيا ليلايلا للأنام ويا لها خطوطاً اذا حلت يحل البلاحلاً  
يحل بها قتل النفوس نعمداً ويحرم منها العدل من بعدما حلاً  
فذا هارب خوفاً وذا غارب هوى وذا فائت سلباً وذا مائت قتلاً  
وذا رافع رأساً وذا ناصب لواء وذا قائل قولاً وذا جازم فعلاً  
ولا صاحب يرعى الوداد ولا اخ هنالك لا يبدوسوى برق مرهف  
ويفدع فيه المدفع الموت في فم فلا تلتقى الا رؤوساً تطايرت  
وتزعم ان العز والفضل في الوغى وفتيان قوم يشكون مصائباً  
فذا قائل ويلاه هل من مبلغ وهذا ينادي من يسير الى ابي  
وهذا قضاء الموت يقبل طائعا وهذا قضاؤه الجرد السلاب في الوغى  
من الواقع المطعون في باحة البلى يموت وما من يستقيه من الورى  
وتلظى به البارود غيظاً على القتلى وابطل عز تشكي الضيم والذل  
فأفجع به عزاً وأفجع به فضلا وما منهم من يرتجى ان يرى كهلاً  
اهيلي كم أشقى وكم ألتقى نكلاً ويخبره عني وعماً به ابلى  
يودع ذي الدنيا ومهجته نصلى فسلبه روحاً وتودعه الرملاً  
يشل بأسياف محذبة شلاً وبصرخ لكن لا يرى شافياً غلاً

فذي آفة الدنيا وذو الويل والبلا  
فما فرحت قلباً ولا بردت لظي  
هي الحسرة الكبرى هي الحزن والاي  
رمانا بها اهل التسلط عنوة  
فأين المتادي بالعباد تنهبوا  
فقبحاً لها حالاً بها الحزن قد حلاً  
ولا أنعشت لباً ولا روعت عقلاً  
هي الفتنة العظمى هي النعمة الجلبي  
شفاء نفوس تبني الظلم لا العدل  
فذي كبرياء السيد المدعي الاصلاح

الحزن

### وقال في وداع نواب مصر عام ٨٢

ودعتهم وبنفسي من مآثرهم  
آثار حمد اقامت بعد ما رحلوا  
أكارم ان هم عن ناظري انفصلوا  
فذكرهم ابدأ بالفكر متصل  
لم منازل حبه في القلوب فهم  
بها مقيمون ان ساروا وان نزلوا  
فحبذا هم من قوم امثال في  
امثالهم بالمعالي يضرب المثل  
وحبذا القول ما قالوه عن رشده  
وحبذا الفعل في الاصلاح ما فعلوا  
ضنوا بأوطانهم وهي التي بذلوا  
في حبها النفس نعم الجود والبخل

### وقال سنة ٨٢

لعينيك ما أخفى المحب وما ابدي  
من الحب ان الحب صيره عبدا  
وما هو الا ناظر غير عامد  
وما الحب الا نظرة تبعث الوجد  
فلا عرفته مهجة تنكر الاسمى  
ولا علمته مقلة تجهل السهدا  
اطارحه الحب المقيم بأضلعي  
فيجذبني هزلاً ويدفعني جددا  
فدا حسنه من ليس يعشق حسنه  
وان رمت ما لا استطيع له وجددا  
ولو قلت يفدي به المحبون خفت ان  
يصد فلا يبقى له من به يفدي

### وقال موشحاً سنة ٧٨

لورأى الأهيف ستمي لسي  
ووفى بعد اجتناب وجفا  
ساتراً عقرب صدغ لسعا  
قلب صب ان رآه وجفا

## دور

بأبي أفديه بدرأ يسما  
ومليحاً مذناً رأني يسما  
ساء اهل الحسن قدراً وسما  
اذن وفي بعد جفاء ورعى  
واذا سامر نجماً ورعى  
وجهة الزاهر بالاشراق راق  
عن لآل حسنها العشاق شاق  
وعلى حالي بالاشفاق فاق  
عهد صب دمعته قد وكفا  
لم يقل حسبي دمعي وكفى



## دور

مذهبي في الحب هجر ووصال  
اعشق المحجب ما جال رصال  
وهو في القلب على الحالين صال  
وبه روض غرامي امرعا  
فهو روجي صدء عني رعى  
ولكل في هواه مذهب  
واذا مال فمالي مذهب  
نار وجد بصطباري تذهب  
فائقاً وصف معانيه وصفاً  
وجفاني ام وفي لي وصفاً

## وقال بعنوان

## رثاء ورجاء

وهي قصيدة طويلة نظمها بعد حوادث عام ٨٢ في وصف تلك الحوادث  
ثم رفعها الى دولتشريف باشا معرّضاً فيها بذكر بعض احوال خصوصية  
وقد اثبتت في الجزء الخامس من تاريخ مصر للمصريين بعد حذف ما لا يلائم  
منها مقام التاريخ

عج بي على تلك الطلول وناد  
هل صاد هم شرك الردي فأباد هم  
ام غادروا الاوطار في اوطانهم  
ومل الرسوم وان عفت عنهم وما  
خلفته في حيهن ميتا فهل  
ام حملوه رديف صبرى والمنى  
ام غادروه رفيق وجدي والضى  
انى تحمل اهل هذا النادى  
سرف اناخ على ثمود وعاد  
مذ حاذروا غدر الزمان النادى  
فعلوا قبيل رحيلهم بغوادى  
أحياء ام حياه اهل ودادى  
وتجلدي وتعلي ورقادى  
وتلفي وتذلي وسهادى

يا وارد الاسكندرية طامعاً  
 أقصورتها خفيت عن الانظار ام  
 ام تدمر قد دمرت وعمورة  
 هذه عروس الشرق ماتت فاكتسى  
 بالأمس كانت والبياض دثارها  
 كانت ملاذ الخائفين فأصبحت  
 كانت موارد للظماء وقد غدت  
 كانت مراتع نعمة فغدت وما  
 كانت وكان الدهر يسعد أهلها  
 كانت وكنا لا ينأم حودنا  
 كانت وما تخشى بوادر ضدها  
 قامت على اقوى العاذرين ما  
 فأبادها جهل خفي ما بدا  
 - جهل الذي رام الاماني وهي في  
 وعدا وما لقي الثعالب عمره  
 وسمى الي السوري ولكن خالها  
 \* وعلى المساواة ابني هدم الهنا  
 - وقد ادعى في عسفه حرية  
 - والى الاخاء دعا فتال بفعله  
 - شقيت برأته الجموع وطالما  
 وتلاه في سبيل الغواية معسر  
 غرسوا الجنابة في الجنون وما جنوا  
 وسعوا فساداً في البلاد كأنهم  
 خلعوا الثعالب المستعار من الحيا  
 وتخيّلوا ان الطريق خلّت لهم  
 فأتاهم رعد المدافع مبرقاً  
 وسطوا على المستأمنين خيانة  
 ورموا بنارهم الديار وبدءوا

بمنافع الاصدار والاياد  
 آثار لقصر في القفار بواد  
 ما عمّرت ام دار ذي الاوتاد  
 حزناً عليها الغرب ثوب حداد  
 واليوم صارت ارسماً بسواد  
 والخوف منها مبعد القصار  
 ما أن بها من مورد للصادي  
 فيها سوى البأساء للمرتاد  
 فأصابها بالأهل والاسعاد  
 صارت وصرنا راحة الحساد  
 فغدت ترجي رحمة الاضداد  
 تحت التي رفعت بغير عباد  
 مثل له من حاضر او باد  
 قم الجبال وكان دون الوادي  
 يبغى اقتحام عرائن الآساد  
 لياً نهتك برقع استبداد  
 لما تساوى حزبه بفساد  
 يا من رأي حرية استعباد  
 من قومه ما لم ينله العادي  
 اشقت جموعاً زلة الافراد  
 زلوا وضلوا حيث ضل الهادي  
 مما جنوه غير شوك قتاد  
 والحادثات اتوا على ميعاد  
 فتقمصوا عاراً الى الآباد  
 فسعوا فكان العدل بالمرصاد  
 فنبوا عن الابراق والارعاد  
 لم تشف منهم غلة الاحقاد  
 ما استجمعت من طارف وتلاد

نكرو عرفنا منه ان لبعضهم  
 ونقيصة يسمي بها ابناؤهم  
 اسفا على تلك التصور فانها  
 اسفا على من قاده استثنائه  
 اسفا على قوم اتاهم فجأة  
 فسارعوا طلب النجاة من الردى  
 ياهولها من ساعة مرت بما  
 كم حامل خرجت بها محمولة  
 ومصونة نفسا تقول اصحبها  
 لظننت بانثار الولاة وما درت  
 ومبأني يدميه لمس حريره  
 ومعمير لم يبق في الدنيا له  
 ومريض قوم غاب عنه طبيبه  
 خرجوا وهم لا يهتدون سبيلهم  
 ودموعهم والنار في احشائهم  
 فكانهم ابل بدوي نالها  
 تعلقو وتهبط جانحات لا ترى  
 او انهم قصدوا الصبح فجاءهم  
 شهد الوبال ولم يجد من منجد  
 فتفرقوا والهل ملء قلوبهم  
 او أنهم اهل القبور تيقظوا  
 نُسروا عراة واجفبن فيومهم  
 والنار موقدة سرت من خلفهم  
 والجند شردهم قتال عدوهم  
 ونضوا على اهل السبيل بوأترا  
 قد حدثت شفراتها لكتنها  
 ولرب عاد منهم في رعدة  
 سكنت فرائصه على نهب الحمى

بز اللصوص وبزة الاجناد  
 لمقابر الآباء والاجداد  
 كانت منى الورد والرواد  
 للفاتكين ولم يجد من فاد  
 صوت المتادي بالبلاء ينادي  
 بنفوسهم والاهل والاولاد  
 زهقت به الارواح في الاجساد  
 فوق الكواهل او على الاعواد  
 باليتني قد مت قبل ولادي  
 جسدا تضحخ قبله يجساد  
 طفل قريب العهد بالميلاد  
 غير السكينة من منى ومراد  
 وجفاه انس الاهل والعواد  
 والنائب روائح وغواد  
 حلت محل مزادهم والزاد  
 أم السغوب وحاد عنها الحادي  
 من بلفتر في انجد ووهاد  
 في فجأة منهم طريد طراد  
 فأغذ في الانهام والانبجاد  
 يقتادهم زمرا بغير قياد  
 سحرا بتفخ الصور بعد رقاد  
 يوم المعاد أتى بلا ميعاد  
 فكانها حيات بطن الوادي  
 فرقا فلم يتجلدوا لجلاد  
 في الحرب ما نصبت من الاغاد  
 كانت على الاعداء غير حداد  
 ما أن نلم بصائد الرعاد  
 من قبل تسكن رعدة الصياد

ومرأى حث الجواد وخلفه  
 عدم الرباط فشدته بنجاهه  
 فهم اللصوص وانهم قد اوهموا  
 وبلادهم قد نالها من عارهم  
 عيت فلولا السابقون ومجدهم  
 وموتيد ملك امير عادل  
 وعصابة كانت فلانند فضلهم  
 لم تلق في مصر ومصر عزيزة  
 اما وقد ولي الشريف امورها  
 مولى له في النفع رغبة طامع  
 وهو الذي يجبا ليوم كرهية  
 واذا بدا في ليل خطب رايه  
 يا حائز المجد الرفيع وجامع النضل الصديق وواحد الاحاد  
 يا جامع النعم العظام ودافع النقم الجسام وموئل التصاد  
 حاشاك ان تبقى على اغلوطه  
 فلانت من دون البرية موئلي  
 ما خلت انك قاطعي بسماية  
 حتى رأيتك معرضا متفاضيا  
 اقدحت للساعين في زنادهم  
 فاذا رأوني في جنابك اصلدوا  
 بيضت بالنعاء ايامي وما  
 وبلوتني فرأيت مني صادقا  
 وحميتني والنائب ممة  
 وظهرت فيك بكل مدح صادق  
 لا تقبل الحسنات سمحتمني  
 وقد اعتذرت وما وراه تنصلي  
 فاذا صفوت فذاك غاية مقصدي  
 يا صبح كل موئل يا نجيح كل (م) توصل يا مورد الامداد  
 مما حباه النهب حمل جواد  
 وأتى معسكراه بغير نجاد  
 أن ليس ما ارتكبه غير جهاد  
 ما لم يحق في عهدنا ببلاد  
 وبقائه من ولدوا من الامجاد  
 أربي بمفرده على الاعداد  
 أبهى من الاطواق في الاجياد  
 من قائل هذه البلاد بلادي  
 فلها بحول الله خير معاد  
 وعن المضرة عفة الزهاد  
 وسداد تغر من طريق سداد  
 أذرى بنور الكوكب الوقاد  
 يا حائز المجد الرفيع وجامع النضل الصديق وواحد الاحاد  
 يا جامع النعم العظام ودافع النقم الجسام وموئل التصاد  
 حاشاك ان تبقى على اغلوطه  
 فلانت من دون البرية موئلي  
 ما خلت انك قاطعي بسماية  
 حتى رأيتك معرضا متفاضيا  
 اقدحت للساعين في زنادهم  
 فاذا رأوني في جنابك اصلدوا  
 بيضت بالنعاء ايامي وما  
 وبلوتني فرأيت مني صادقا  
 وحميتني والنائب ممة  
 وظهرت فيك بكل مدح صادق  
 لا تقبل الحسنات سمحتمني  
 وقد اعتذرت وما وراه تنصلي  
 فاذا صفوت فذاك غاية مقصدي  
 يا صبح كل موئل يا نجيح كل (م) توصل يا مورد الامداد

انفسه  
 من غير اي  
 وهو  
 الساسل

لولاك ما حيت لي ضارباً  
وصفاً لما يجري الدموع أقله  
فلقد هجرت الشعر لما أن رمى  
واستامه من ليس بفرق بين ما  
لكن رأيتك يا نصيري جامعاً  
فنظمته نظم الفرائد مثلاً  
ورأيت حسادي عليك قد افقروا  
زعموا بان سريري قد كدرت  
فبعثت صافي الشعر يثبت صفوها  
ولو استنطعت جمعت فيه فوادي

وقال رحمه الله

في تهنئة صاحب الدولة شريف باشا بالنشان العثماني المرصع من الرتبة الاولى  
وقد ورد اليه من جانب نعم الحضرة السلطانية فقال في فصل راسل به  
جريدة المحروسة من القاهرة  
ان هذا الوسام الكريم عظيم الشان كبير المقدر مخصوص بالملوك والامراء ومن  
كان علي المصحة صادق الخدمة

نشوق اليه صدور صدور البرية من عجمها والعرب  
وما ناله غير كل عظيم وكل هام له منتخب  
ولا غرو ان زان صدر الشريف ولو لم ينله لكان العجب  
فجعل المعاني ومولى الكما - ل اولى الانام بأولى الرتب

وقال في تاريخ المرحوم اسعد كرم وقد توفي ببعليك

صبراً بني كرم لما حكم القضا لا تهلكوا فيه امي وتجدوا  
وذروا القبور على تواريخ لها فصریح اسعد في القلوب مشيد

(١٨٨٢)

وعد الحبيب حبيبكم بزيارة وبمهد السعداء كان الموعد  
فمضى اليه وليس بدعاً ارحوا ان لاح في ارض السعادة اسعد

## وقال تاريخاً آخر له

يا قبر اسعد راقٍ من بني كرمٍ ما انت روضٌ ولا افقٌ لمن نظراً  
فكيف اخفاهُ فيك الدهر عن مقلٍ رآتهُ يطلع فيك الزهرَ والزُّهرا  
وكيف وارَى بك العليا موزخةً بل كيف اودع فيك النسن والقمر

(١٨٨٢)

## وقال وفيه نوع الاكتفا والتورية سنة ٧٤

وبي رشاً عاتبته وهو معرضٌ وقلت له قد ذبت مذبت معرضاً  
الا زُرْ مشوقاً قد اضرء به الظما لريقك وانتم بعد سخطك بالرضا (ب)

## وقال ايضاً في مثل ذلك سنة ٧٤

ذكرت الصباحني اذا هبت الصبا ووافوا صباحاً زال همي بالصباح (ح)  
فقالوا أتصبو للصبا بعد ان بدت وجود صباح قلت مالي وللصباح (ح)

## ومن قوله ايضاً في هذا المعنى في السنة نفسها

يقولون لي ما شبه رقة طبعه ولطف ثناباه نقلت لهم صباح (ح)  
وقالوا اباح الرشف من راح ثغره لصادي هواه ام ابى قلت قد ابى (ح)

## ونظم هذين البيتين ارتجالاً وكتبهما على رسمه سنة ٨٢

يا من اذا غاب عني اقول للروح روجي  
اهدبك رسمي كاني اُلحقت جسمي بروحي

## وقال وقد انشدها بحضرة جمعية زهرة الآداب

عقيب خطاب تلاه فيها سنة ٧٧

العلم عاد لقطرنا رغم العدى يا علم سد قد عاد عودك أحمدنا

ما قد زهت هذي الرياض وأزهرت  
 فالعلم شخص علمه وفنونه  
 ووفي الزمان لاهله بعد الجفا  
 ما السعد إلا بالعلم فان بدت  
 عجباً لمن يرضى مقال مفيد  
 يا معشر الاعراب بل باجمع ألب  
 نادى بكم آثاركم هيا افتفوا  
 وايض وجه زمانكم من بد ما  
 هازرة الشرف التي ما شأنها  
 جدوا بحفظ نظامها كما توري  
 فبجيدها انتظمت حلّى افكاركم  
 فلكم مع الشكر الثناء مكرراً

اغصانها وبدت بشيجان الندى  
 والنقل قد تبع السبيل الى الهدى  
 فأبيت إلا ان يزر ويحمدا  
 كان الزمان لطالبيها امعدا  
 ويسر مبتهجاً بأقوال المدي  
 آدابها علم العلوم لكم بدا  
 والعلم قام بكم نذيراً مرشدا  
 قد كان في حين الظلم أسودا  
 شين ونالت بالمعلم سوددا  
 انوارها وجمالها لمن اهتدى  
 وبدت بنجر العصر عقداً نضدا  
 ما صاح طير بالرياض مغردا

وقال سنة ٧٤

خياني ومهتبي وهو ادا  
 ودعاها فقد قفت من صدور  
 قد سبتها عيون هيفاء قد  
 دون ذنب اذا رأت عاشقها  
 كل شيء من الوصال حرام  
 وانكاري اذا شكوت اليها  
 باعيون العيون اعلا وعيني  
 فاتكات فواتر فانات  
 قتلنا العيون شفعا وتورا  
 داميات بكفها مسحتها  
 فانات كواسر ناعسات  
 غادرات فواتر ظالمات  
 ان قلبي للقتل غادر وساع  
 بارعى الله يوم انس نقضى

يا خليلي فالغرام دعاها  
 انما قبل تركها ودعاها  
 تمم الله نصرها ووقاها  
 اقرنت قوس فتكها حاجباها  
 عندها والدلال اشهى منهاها  
 جردت سيف نصرها وقتلتها  
 في هوى العين لليون فداها  
 قد حمتها من يروم حماها  
 رحمة الله وازري قتلاها  
 فغضب البان بعض دماها  
 احرمت عين كل صب كراها  
 عز بالحبة عدلها ووقاها  
 برضاه ان كان فيه رضاها  
 في رياض يزرها تباها

حيث مجلي السرور زاه وباه  
 وغصون تحكي القدود طوال  
 ان هذي هي الحياة ولكن  
 رب فكر وفكرة وصفات  
 عن ابيه الذكاء والرشد يروي  
 يا خليلي اليك غادة فكر  
 ان هذي هدية الفكر وافت  
 يتجلى بزهرها ورباها  
 يذهل الفكر والنهي مرآها  
 مدح ذلك اللبيب عقد رجها  
 لاح في الكون نورها وسناها  
 وامور تشبهه قد أباه  
 جللتها ستائر من حياها  
 وعلى قدر مغرم اهداها

وقال سنة ٧٣

ايا لائماً قلباً تقطع حسرة  
 فوالله قلبي ليس يعلم ما الهوى  
 ومذراخ منصبا على الخزم والثقي  
 عيونني بمناطيسها جذبت له  
 بحقك دعه فاللام يروعه  
 ولكن قضاء الله لا شيء يدفعه  
 وراح صحيح الحال لاشي بوجعه  
 سيوقا من الاجفان فهي لتقطع

وقال سنة ٧٣

قسماً بخمرة ثغره ورضابه  
 قسماً بفيه لا اذوق مدامة  
 الا اذا كان الحبيب بديرها  
 لا ارتضي الا بما يرضى به  
 تشفي عليل الشوق من اوصابه  
 وانا مطيع كلما اوصى به

وقال

وقد كتب بها الى صديقه مصباح افندي رمضان سنة ٧٢  
 طعننا القدود وهي رماح  
 وغزتنا العيون يا مصباح  
 فافتنا في نواظر قاتلات  
 هل عطين بالجراح جناح

وقال في مثل ذلك سنة ٧٢

أفتنا هل يحل للغير شرعاً  
 قتل صب من ذنبه قد نبهنا  
 بعيون تميم عمداً وزوراً  
 تدعي حال صحوها صاح مسكراً

## وقال سنة ٧٢

اصل الغرام لواحظ وجفون<sup>و</sup> وبليني بالاثمين عيون<sup>و</sup>  
 اني لاصبر في الغرام على الاسي حتى تسيل من العيون عيون<sup>و</sup>  
 وباعيني اخفي الغرام وسره<sup>و</sup> فتذيعه وكذا العيون عيون<sup>و</sup>

## وقال سنة ٧٢

اي والذي ولاك قلب متم لا يرتضى الاك من كل البشر<sup>و</sup>  
 فلاكم أسر المصون بهجتي حتى اموت فينطوي ذاك الخبر<sup>و</sup>



## وقال سنة ٧٥

من للوداد فانه<sup>و</sup> بنظم<sup>و</sup> هل في البرية عادل لا يظلم<sup>و</sup>  
 من لم يكن يرعى الوداد وعهده<sup>و</sup> فوجوده<sup>و</sup> كوجود ما لا يلزم<sup>و</sup>  
 الدهر افصح عن غوامض سره<sup>و</sup> فندوت اعلم منه ما لا اعلم<sup>و</sup>  
 ابدى القياس نجاة بنتيجة<sup>و</sup> كبرى بها كنه الحقائق يرسم<sup>و</sup>  
 كم من جهول في البرية قد خدا<sup>و</sup> مستسماً بالعين وهو موزم<sup>و</sup>  
 ان اظهرت ابدى الخطوب عيوبه<sup>و</sup> يوماً فيخفي ما يلوح الدرهم<sup>و</sup>  
 لله من دهر تقيم بظلمه<sup>و</sup> خرس الفصيح به وقال الابكم<sup>و</sup>  
 وسطا اللئيم على الكريم به وقد<sup>و</sup> عز الجبان به وذل الضيفم<sup>و</sup>  
 سيان قرب وابتعاد عنده<sup>و</sup> والمستغيب اخو كذاب الأم<sup>و</sup>  
 ولقد خبرت بني زماني طالباً<sup>و</sup> من يرتجي فاخترت زيدا منهم<sup>و</sup>  
 الصادق الاقوال غير مخادع<sup>و</sup> والكامل الافعال والمتكرم<sup>و</sup>  
 حسد اللئيم طامعه فاذا سرى<sup>و</sup> خجلاً بازهار الربى يتلثم<sup>و</sup>  
 ان جاد تهمني السحب من راحته<sup>و</sup> او قال فالانعال عنه ترجم<sup>و</sup>  
 رضع الوداد وشب وهو رضية<sup>و</sup> ولذلك عن ضرع الوفا لا يقطع<sup>و</sup>  
 فهو الذي يري لانجب والدي<sup>و</sup> نسباً الى القوم الذين هم هم<sup>و</sup>  
 فسماهم تفني محاول وصفهم<sup>و</sup> ومسماهم قلبي عليه فينظم<sup>و</sup>  
 لي منهم بدر اذا يمخته<sup>و</sup> تلقى الثنا والفضل حيث نيم<sup>و</sup>

لي بالثناء عليه نطق شائق  
يا من له عما يشين تأخر  
قل الوفي فلا نشق بمداهن  
تلقاه ان يلقاك لين جانب  
ومخادع بيدي الوداد لبغية  
ولقد غدا طاعي الفساد وانه  
ولقد توهم انه نقض الولا  
بيني وبينك يا صديق مودة  
اني اعيدك من سماع كلامه  
لبيك اني خير واف صادق  
لبيك ثانية ولست مشاركا  
واليك بكرة نقدها حسن الرضا  
اني لاختم عن سواك فريحي

وبكل جارحة مدحته ثم  
وله الى حيث العلاء تقدم  
يخني الشرور وباللقا ينسم  
هينا رقيق القلب وهو الارقم  
وبكلم الاحشاء حين يكلم  
من طبخة لا شك يوما بطعم  
جهلا ولكن ساء ما يتوهم  
عظمى عراها لا تفك وتقصم  
او الاقتناع بما يقول وبينهم  
يرعى الوداد ولو لحاه اللوم  
بك ثالثا اولا فاني مجرم  
ثني عليك بما يقال وتعلم  
وعلى ودادك في فؤادي اختم

وقال وقد كتب بها الى من هجره لوشاية بعضهم سنة ٧٢

هو العذر لكن حيث ليس قبائح  
سعى بيننا الواشي وافسد واقترى  
أما والذي يجزي الظلوم بظلمه  
وما ناقل كذبا وواش على رضى  
فيا من به قد صفت قبلا مدائح  
احاشيك من تصديق قول الوشاة ان  
فاني مسبيل للهجاء ارومه  
وكيف اجازي الفضل بالندرو والمجا  
تعاقبني بالهجر من دون زلة  
هجرت بك الخلان علما بانني  
ولكننا الدهر الخوون محاربي  
فعدت وخذر الدهر اثخن مهجتي  
وانت بحالي دون غيرك عالم

عن الود يبدو والكريم مساح  
ليهدم ركن الحق والحق واضح  
ويخزيه ما الظلام يا قوم ناجح  
سوى ظلم تبدو لديه المطامح  
لك الله لم تعكس عليك المدائح  
دعتهم الى بث الفساد مصالح  
ومدحى غاد فيك دوما ورائح  
واني طول الدهر مثن ومادح  
تحققها والود عندك راجح  
لفضلك دون الناس مبدى وشارح  
وقد عاد عني وهو بالحرب راجح  
جراحا بسيف المكر والصبر جامع  
فان ثباتي في ودادك لانح

وتعلم اني في ودادي مخلص  
فواتح ودي لست تنكرها وقد  
وان كلاماً للوشاة حسبته  
تري أعادي من ظلمت بظلمه  
وكيف بدالي منك تصديق ما اقترى  
فديتك ما اقواله غير فريته  
وهل تهجرني بعد طول مودة  
وما لي ذنب والذي ابدع الوري  
وهبني اخا ذنب فانت لمن آتى  
صدوق واني دون غيري ناصح  
تدل على حسن الختام الفواتح  
مليحاً سيبدو فاسداً وهو مالح  
وما انا عن هذه الاماكن نازح  
علي به الواشي فهل انت مازح  
فهل قال حين الكذب هذي ناصح  
فما الكذب مصداق ولا الافك ناجح  
لاطلب عنه الصفح فيما اطرح  
يكفر بالاعتذار عنه مسامح

وقال وقد كتب بها الى من اغتابه ووشى به

الى بعض الاصحاب ثم عتبه لهجره سنة ٧٤

ارعى الدمام مع المهود فتفسخ  
واعف عن فضل فتخبث عن دها  
ياقاتل الله الزمان فانه  
ذل الكريم به رساد لثيمة  
قدك اجترأ يا زمان على الالى  
لا اختشيك وان تكن ذا صولة  
ولرب مرقال علوت سنامها  
ما ان يشبط خفها فاذا جرت  
ما زلت امزها وقد طال السرى  
حتى شكت طول المسير واوشكت  
ولقد عرفت من الحوادث كنهها  
يا من يلوم ولا سواه مذنب  
احسبت اني مثل فعلك فاعل  
ولقد فصمت عرسي الوداد جهالة  
نملاً رويت الافك كنت كناسخ  
اربت عليك من الغرور وقاحة  
واخط ايات الوداد فتفسخ  
واذل عن شان يجمل فتفسخ  
شرس جموح لا يلين ويرضخ  
اهل المكارم وهو نحي بنفخ  
لهم بعين العدل شأن ابدخ  
فتصبري ابدأ ازاءك برسخ  
سيان باع عندها والفرسخ  
وخدا تهز الراسيات وتشدخ  
نحو العلى والارض قفر مرسخ  
مما الم بها تصيح وتصرخ  
وانا لاكتناف البلاد ادوخ  
عجباً لجاني السيئات يوبخ  
بيني وبينك بالمبادى برزخ  
وغدوت من بعد الجهالة ترزخ  
يبدو له وجه الصواب فيمسخ  
فغدوت عن جهل لثيمه وتجفخ

وزعمت أنك نائل ما لم ينل  
 قدك ادعاء يا لئيم فانت في  
 ومن العجائب سالب من منطقي  
 ان صح زعمك وهو باسمك شائع  
 قتل الذكا يا قوم وانثال الهدى  
 هبوا الى زجر القلاص وغادروا  
 فلقد ارتني الحادثات صروفها  
 لا يحصد الانسان الا زرعهُ  
 نفسي تحديتني بانني ناصح  
 لكن أراني في رمادٍ انقح  
 مقداره الندب الرفيع الابذخ  
 عهدي تبيض به ولست تفرخ  
 دراً ويزعم ان دري اوسخ  
 فعيبه وشاروه تنلظخ  
 والرشد يذبجه الفساد ويسلخ  
 دار الدها واذا بعدتم فارسخوا  
 وقرأت نصاً فوقها لا ينسخ  
 والمرء حتماً آكل ما يطبخ  
 لكن أراني في رمادٍ انقح

وقد وجدت هذه الايات منها بخطه وبعضها بخط آخر  
 فاثبتناها دون القطع بنسبتها اليه رحمه الله سنة ٨١

بشر بخيل القوم بالصفور قد اهدت له ايامه ما قصد  
 وقل لسوء البلاد انقوا ولبرض كل منكم ما وجد  
 فالعيش امسى موجبا للردى والكل في معنى المماش اقتصد  
 وضافت الارض بسكانها واصبحت منبولة كل يد  
 حتى اقتضى التوفير ما بيننا قتل الكلاب اليوم من غير حد  
 وها هم يسعون في قتلها لم يرع فيها والد او ولد  
 والجوع اضحى قائلا ارضخوا بالقسم قد ماتت كلاب البلد

\*\*\*

عجبوا لمقتلة الكلاب ولا ارى عجباً لمن لم يدبر معنى بخسه  
 فأجبتهم لا تعجبوا مما جرى فلعل شيء آفة من جنسه

\*\*\*

قالوا لقد قتل الكلا - ب وذاك امر غير سار  
 فأجبتهم خلوا الكلا - م فليس في الدنيا قرار  
 والكل فان هالك لكن بعجل بالخيار

\*\*\*

قالوا لقد قتلوا الكلاب — ب ولا ملام ولا عتاب  
فأجبتهم لا خير في هذا ولا داعي ارتياب  
ما ثم امر غير أن عدت الكلاب على الكلاب

\*\*\*

فضائح تمت لخزي الفلك فهون وشدة فما الامر لك  
اظن الزمان رأى في الكلاب معاني الوفا بعد من قد هلك  
اجارهم من بني دهره بكلب تعدى وذئب فنك  
نقول لمقتل يوم الكلاب عفا الله عن عفا اذ ملك  
وقل للذي رام تأريخه بنارك ماتت كلاب السكك

وقال عن لسان بعض الاصدقاء في زفاف الخواجا خليل  
والخواجا عبد الله ابوشقرا

أرياض أنس فتحت ازهارها وشدت على اغصانها اطيوارها  
حيًا الربيع بنوره ارجاءها فتوقدت من نوره انوارها  
وغدا يطارحها الهوى مسترًا فبدت بالسنة الهوا امرازها  
ام جنة ولدانها قد غافلت رضوانها غلسًا وجد فرارها  
فسعت الينا حورها في اثرهم اذ عز من بعد البعاد قرارها  
وبه ضياء وجودها في دارنا ليلًا كما كانت تضيء ديارها  
ام نحن في افق وهذي انجم قد ضل في جنح الدجى غرارها  
هنتم فلقد اصبحت حقيقة هذي السماء وانتم اقمارها  
دم يا خليل مهنتا بعفيفة من للربيع بما يضم ازارها  
وأهنا بايملي اعبد الله ما وافاك من محب الدعا مدرارها

وقال سنة ٨١

فدتك نفسي ثبتت في مقاطعتي ان التثبت منجاة من الخطل  
ولا تدعني وليل الرب اسهره مقلب القلب بين اليأس والامل

وكن كما شئت في الخالين ممتدحا فالشمس رأد الفصحى كالشمس في الحمل

وقال لواقعة حال سنة ٨١

دردحة شوهاء لا تسمع في بغائها عذلاً ولا ملاما  
هذا وفي الدار فتى ذو نعمة فكيف لو كانت من الأيسامى

وقال في معاودة عقدت على منع بيع الرقيق سنة ٨٠

ابرموا العهد أيما ابرام وجلوه موثق الاحكام  
نقشوه بأحرف لامعات في سطور تحكي عقود نظام  
وتلوا منه للبشارة حكماً : لا يباع الانام كالانعام  
انما الناس في الوجود سواة من بني يافث وسام وحام  
كلهم من اب وحيد دعوه باسم آدم او آدم او ادام  
وحدوه كما رأيت بياناً للمساواة بين كل الانام  
او هم في اعتقاد من سوف يجزوا - ن بنار الجحيم ذات الضرام  
حيوان قد ركبته الهبولى كتلاً من مفاصل وعظام  
وتداعى الى التوالد بيني لذة او شفا من الآلام  
فتأدى الى التكاثر مما قذفته بمجامع الارحام  
وهو قول ادنى الى الفهم لكن عين هذا الدنو اوضح ذام  
ودليلي قول الكلامي ان الدين ما كان فائق الافهام  
حكمة فائق العقول سموها فدعوها لاهل علم الكلام  
ولنعذ للرقيق في السوق فالنخاس بين الاحجام والاقدام  
حظروا متجر الرقيق عليه وهو حظر يعاد في كل عام  
امروه ان لا يبيع جهاراً ودعوه بهمسمهم للسوام  
ومن الذنب افرغوا العذر درعا ليردوا بها سهام الملام  
حيث قالوا ان لم يكن من بطبع ال امر طوع التعال للاقدام  
فانبثونا من للحجاب وللباب ونقل الصحف وقت الطعام  
ولبسطة الفراش والكبس والجت وما بعده وحسو المدام

كل هذا من قبلنا حرص النور - من عليه في سالف الايام  
 فهووا منه للخصيصة فكانت غاية الرغبت اول الاعدام  
 عادة بشئ ما جنته علينا من هبوط بعد ارتفاع المقام  
 رسمت في القلوب منا وسالت في مجاري السماء قبل الفطام  
 فاذا ما سمعنا نذكر الرغبة عنها فالفعل غير الكلام  
 ذا بقيني ابدته لك عفرآ فاقى ساذجاً كهذا النظام  
 لم ازينه بالجناس ولكن زانه الصدق وهو جل مرامي  
 فاعتقد ما اقوله عن يقين انما القول ما نقول خدام

وكتب الى المنفور له محمد سلطان باشا هينته بعيد الاضحى  
 بعد انقضاء الفتنة العراقية عام ١٢٩٩ وقد جاء في مطلع  
 رسالته اثبتت في كتاب رسالته

ما العيد الا ان تكون سعيدا فيعيد مجدك كل يوم عيدا  
 لبنت للنفس الكريمة داعياً لا الوعد رام ولا اتمهال وعيدا  
 فجعلت بعدني السعادة دانياً وجعلت قرب اذى الفساد بعيدا  
 حتى اذا صنت المقام من الاذى ووقفت فيه الطائفتين شهودا  
 اضحى على عرفات عزمك كل من ضحى لفضلك مبدياً ومعيدا

وقال وارسلها الى سليم افندي شجاعه سنة ٧٦

سدل الظبي حين لحث لثامه فبدا البدر ظللته الغمامة  
 وثني كالغصن فوق كتيب تفندي ميل قدمه كل قامه  
 لست اشكو صدوده او جفاه يا عذولاً يقول عني سلامه  
 بأبي افتديه ظيباً غريباً منه ارضى كلامه او سلامه  
 مت وجداً في حبه ما احتيالي ما لاهل الغرام منه سلامه  
 مر حلوا لا شيء املح منه رافعا من جماله اعلامه  
 ورا في اسوم نحت القوافي فلحاني فقلت خل الملامه

ان وده السليم عهد فمالي  
ظن قوم ان القريض دهان  
كذبهم ظنونهم فهو عندي  
وابي الله ان اداهن فيه  
قلت ان السليم سالم خلق  
شب في الحلم وهو في العلم شيخ  
ايها اليلمع العجيب ويا من  
ان آثارك التي قد رأينا  
لو تبدت لابن الأثير لناذي  
اوراها الوردي وهو امام  
اقبل العام بالسرور فلا زلت  
وحباك الاله عمراً مديداً  
ما تشنى غصن وازهر روض  
واديب اسير ودك نادى كل  
لا افيه حقوقه والتزامه  
عند من سامه لما منه رامة  
آية الصدق في كتاب الشهامة  
لست ممن يبيع كلاً كلامه  
وسم الفضل ذاته بعلامه  
نال من رتبة الكمال وسامه  
رد في وده الوفاء الندامة  
ما رأيتها عيون اهل الامامة  
كم تركنا لمن غدونا امامه  
قال ذا العيسوي ابدى كرامه  
بمخير مستقبلاً انعامه  
شهره بالهناك نقضي وعامه  
نقط المزن ورده وبشامه  
عام وانتم في سلامه

## وقال

اضوى الغرام فواد اغاب عاذره  
الحب مصداق قول العارفين به  
واتلف الشوق جسماً عز ناصره  
السقم اوله والموت آخرة

## وقال سنة ٧٧

أصبر وما للصبر عندي وسائل  
امال الهوى عني الحبيب فمألني  
وكتم ودمع العين هام وسائل  
وقلي لحفظ الود راج وسائل  
أسائل عنه كلما لاح بارق  
فمن لي بان القاه عني وسائل

## وقال

تدامني الاحوال من كل جانب  
الى كم الاقي نكبة بعد نكبة  
فمن متقدي من داهيات التوائب  
وحتى متى يا دهر انت محاربي

## وقال

اذا رمتُ ورداً عن ظمى بنضبِ النهرِ      وان رمت نوراً في الدُجى يكسفُ البدرُ  
وان راق لي في الصيفِ حرّ هجيرِ      أرى السحبَ تنلوهُ فينهمرُ القطرُ  
سعبتُ وان السعيَ فرضُ عليّ الفتي      وليس عليه ان يساعدهُ الدهرُ

## وقال مضمناً

أيا اهل ودي قد نكثتم عهدنا      فكيف جرى هذا وانتمُ انتمُ  
احاول سلوان الغرامِ وحبكم      تولي فؤادي وهو فيه محكمُ  
وان كان خصمي في المحبة حاكمي      لمن اشكبه او لمن انتظلمُ

وقال من مقالةٍ وطنيةٍ بعد نثرٍ ينتهي : « يا اثارا الاوطان » ✓

وهما من احسن ما نظم في معناها

هو الثارُ حتى يحجب الشمسَ عشرُ      تداوى به العين الصبيحة والرمدا  
فلا وقفت اقدامنا عن طلابه      اذا لم نغم اشلاؤكم دونها سدا

## وقال

نصحتك لا ترحم من الناس ظالماً      فمن يرحم الظلام لا شك يظلمُ  
وما العدل الا في ثوابٍ لحسنِ      يرى وعقابٍ للذي راح يجرمُ  
وقد كان حكمُ الله للمرء انه      يرى معيه واللهُ اعلى واعلمُ

## وقال

هجم الضياء على الظلام بعسكرِ      من فجره فعدا يجده رجلا  
واشابه خوقاً لذلك نجومه      هجرته طالبة سواه خيلا

## وقال

بانعمة ما حيت اذكرها      ومنة للزمان اشكرها

جاء فلم يبق للفؤاد سوى بقية اللوفاء اذخرها  
ومذ وفي استحكمت على نسق دوائر الأوس وهو محورها

—\*—

وقال سنة ٨١

يقول حرّ الكلام منشجل وقد رآه عليه ممتعا  
ومثل ذا قاله تعالى في العنقود لما ألقاه مرتفعا  
فليبد ما شاء في جباله للحرّ اذن لا تسمع القذا  
وليبق كالدهاء في المربض الى أن يذهب الله عنهما الوجعا

—\*—

وقال

رأني اصوغ الكلام عقودا فقال سرقت وما كان صادق  
فقلت خمولك صانك فأهنا فليس بظن بأنك سارق

—\*—

وقال

طلبت هذا الذي القيت من ادب بلا دليل على جسر من الشعب  
فان اصبت فما لي من يقاسمني صفوي ولا كدري ان كنت لم اصب

—\*—

وله رحمه الله من المواليات قوله سنة ٧٩

في طرفه بالقوي تكمن الأجال وان دنا او تثنى او رنا او جال  
حلت بأهل الهوى من فتكه او جال يانظي واصل فقد اضنى الهوى جسدي  
وارحم وأعجل بغير البر في الإعجال

—\*—

وقال

مانلت في حبه من وصله او طار ولست اعدل عنه ان عدا او طار  
لاقيت من جفنه لما رنا اخطار فجال من طرفه بالأبيض الماضي  
وصال من قدته بالأصفر اخطار

## وقال

ظبي من الترك جافاني بلا تركِ      ذو ناظرٍ ناظرٍ الصمصام بالفتكِ  
 وقامةٍ جرحتِ قلبي بلا شكِ      ورجنةٍ وردها قد عمّ فيها الخالِ  
 بدت فدان لها في الحبِ اهل الخالِ      واشغلتِ بالهوى مفتونه والخالِ  
 فكيف استبر فيها بالجوى هنكي

## وقال

حلو الهى مرّ بي مستملح الاعطافِ      فقلت لما انشئ يا مفرد اللطافِ  
 زمزم فحول مقام الراح قلبي طافِ      فصدّ واستلّ لي من لحظه خنجرِ  
 والشبه بالشيء في امثالنا يذكرُ      فقلت يا قده الطعان يا اسمرُ  
 أعد ضعيف الجوى من طرفه السيفِ

## وقال لواقعة حال

قلت اسقني قال هاك الماء في العينِ      فقلت واصل فقال العين بالعينِ  
 فقلت والحب عندى راجح العينِ      ما لي وروحي ايا روحي فدا عينك  
 خذ ما تروم فنادى هات من عينك      فقلت يحميك ربي قال من عينك  
 فقلت خذ واعطِ وصلّا قال من عيني

## وقال من بحر السلسلة

في خدك خال يسبي المتيم والخالِ      والخصر يسيل بين تيهك والخالِ  
 يا عاذل ذر عنك الملامة والخالِ      عوده وقل الله اكبر من خالِ  
 كم حبة قلب مغرم قد سرقا  
 قدمت ظمأ وما لثغرك وردُ      بل مت جوى وما لحسك نده  
 من طرفك نرجس وخذك وردُ      ولذاك يفوح ان بدوت النده  
 فانطق ليقال بدرتم نطقا

وقال مداعباً احد الاصدقاء وقد التحي وفيه تضمين المثل السائر سنة ٧٩  
جري الماء ماء الحسن في روض وجهه ليسقي نصير الورد في صفحة الخدر  
فقال مع الورد العذار نصيبه كذلك يسقي الشوك في حجة الورد

وقال

قلت للماء وهو في ثغر جي منك ارجو بالله ياماه وردي  
قال ان كنت ذا ضنى هالك خدي يامعنى فماؤه ماه وردي

ومثله

قلت للشعر قد ظممت اشتياقاً فاشغف قلبي فنك ياماه وردي  
قال ذي خمرة فان رمت ورداً هالك خدي فماؤه ماه وردي

وقال في سفر مليحة لقبوها بام العيون سنة ٧٤

فظمت عيوننا من غير صبر فسأل الدمع منها كالعيون  
بكت كالطفل سارت عنه ام فما افساك يام العيون



موثق نظم سنة ٧٥

غرّد البلبل في روض الحما فوق بان تحت جناح الغلس  
عندما اقبل معسول اللما يتثنى في رياض السندس

دور

بأبي ظبياً علينا شفقا معرباً عن مبسم كالشفق  
وأني نحووي فلماً رمقا لم بدع للصب غير الرمي  
ذا جبين كلال اشرقا فهدي بالنور اهل المشرق  
ولحافظ كنبال حيثما زشقت كانت نذير التعس  
وخدود بعد سقياها الدما غرست بالورد ابهى مغرس

## دور

فم بنا يا صاحبي نحو الغدير      نغم اللذة من قلب القدح  
 لذة تهزم اشجان الضمير      فاطرح من لام فيها وقدح  
 ولنا ساق اذا قام بدير      كأسه ابدت لنا قوس فرح  
 اغيد لآح كبد بيسما      ضاء فانشق فواد الخندس  
 قلت لما عن لآل بسما      هوذا الثغر الشهي العس

## دور

وتلى طرف البها لما استوى      رمت الأسياف ابطال المقل  
 يا خليلي كل من لام غوى      في هوى الأهيف من افنى الحيل  
 لا تسل عن شرح حالي في الهوى      في الهوى عن شرح حالي لا تسل  
 نصب الحسن لديه علما      حوله العشاق مثل الحرس  
 فارتدى بالعجب لما علما      انه سلطان تلك الانفس

## وله قطعة من موشحة مفقودة

رسول وجدي رانت قصدي  
 ان رحت تشدو في الحى ليلا  
 ببلغ سلاماً لمن سلا من  
 روى الهوى عن مجنون ليلى

## وله قطعة من قصيدة مفقودة نظمت سنة ٧٣

نزع المشوق لمربع الفيحاء      وصبار روضة حسنه الغناء  
 وتمثل الريم النفور مغازلاً      بالأنس فيه غزاة الاحياء  
 هيفاه قد عذر العذول مجبها      لما بدت كالبدري في الظلاء  
 جليت لنا بدقائق الاعطاف تحت رقائق الاوصاف تحت قباء  
 كالورد بين شقائق النمان تحو      ت سرادق النمان تحت لواء  
 يضاها اما خدتها فمضرج      بلحاظ اهل العشق والرقباء

رقت لنا فتأثرت في خدّها وعلته منهم حمرة استحياء  
وبخدها في الخالئين نضارة تحكي شعاع الشمس فوق الماء

وقال وقد اقترحت بعضهم عليه ان يصفها وصديقة لها مرتجلاً سنة ٧٠  
واذا القريض اردت وصفكابه لم يدري ايكما بحسن تفضل  
ما فيكما عيب يشين وانما كل باعين عاشقيه اجمل

وقال واصفاً امواج البحر من ابيات كثيرة نظمت سنة ٧٩  
تدحرجت الامواج تترى كأنها جيوش سمعت للفنك والقائد الريح  
تصادم ابطال الصخور وتشتي وقد نابها منها عناء وتبريح  
تلوح اذا هاج الرغاب دروعها لها زرد ييض تحاذرها الروح

#### وقال مخمساً سنة ٧٨

هو الغرام وفيه الصبر قد فرضا فكن له غرضاً ان رمته غرضاً  
وقل لمن سامني فيما مضى وقضى للعاشقين بأحكام الغرام رضا  
فلا تكن يا فتى بالعدل معترضاً

ان مسني كل يوم في الهوى مفضّض ونالني حرق من دونه الرمض  
أقل وليس لقلبي منهم عوض روجي الفداء لأجبابي وان تقضوا  
عهد المحب الذي للعهد ما نقضا

يا من يالوم بهم قد قلت الخيل العصن مثلهم من شأنه الميل  
فان تكن جاهلاً للمحب يا رجل قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا

فراح في حبه لم يبلغ الغرضاً روى له الناس عنهم بعض ما سمعوا  
حتى اذا زاد في افكاره الطمع رأى فحبه فرام الوصل فامتنعوا  
فسام صبراً فأعيانيله نقضى

#### وقال مشطراً سنة ٧٨

قوم حفظت لهم عهدي فما حفظوا ودي ودينار حي عنهم صرفوا

أنجزت وعدي لهم لكنهم نكثوا عهدي وما انصفوني مثلاً انتصفوا  
 أنستهم نفروا أوفيتهم غدروا سألتهم أمروا أدنيتهم صرفوا  
 أمنتهم حذروا أوردتهم ضدروا قلت أعطفوا هجروا رمت اللقا انصرفوا

وقال من قصيدة سنة ٧٤

صادت فوادي بلحظ ناله الكلال غزالة في سواها يحرم الغزل  
 رنت غزالاً وماست بانه وبدت شمساً بنور سناها تبهر المقل  
 باقاطع البيد يطويها على عجل الى جماها لتصد دونه الاجل  
 حاذر في الحية من آرامه نفره تحوي المنية منهم اعين نجل  
 وثم ابطال حسن من قبيلتهم تخشى الاسود فتاعم قبل يفصل  
 كالبدرا ن سفروا والغصن ان خطرنا والظبي ان نفروا والليث ان حملوا  
 حمو حمام فلو ارسلت من شغفي مع النسيم كتاب الشوق لا يصل  
 وبي من الوجد دانه لا دواء له فليس ينفعني كتب ولا رسل

وقال سنة ٧٦

هو العلم حتى يدرك المره غامضا ولا يخشني فيما يقول معارضا  
 وما الشعر الا شائل عن مناله فهذا قريض بات للعلم قامضا  
 نسود قرطاسا بوصف وصيفة ونعلق ذا حسن ونعشق عارضا  
 وقد صرفت افكارنا نحو صرفنا وفي الخوربات الوقت والدهن غائضا  
 فذا ناصب منا يخالف رافعا وذا جازم منا يفاير خافضا  
 سفاسف اقوال تقادم عهدنا ولم تبدر مستورا ولم تجل غامضا  
 ملأنا بها الاوداق وهي فوارغ من النفع الا بارق مر وامضا  
 كما قبض الدينار في النوم حالم واصبح لم يلق الذي كان قابضا

وقال ناظماً هذه الاغلوطة السفسطائية سنة ٧٧

تركب الجسم سطوح وهي من تألف الخطوط من غير شطط  
 واخط منها ركبتة نقط فالسطح اخطاط وهذه من نقط

وعندنا النقطة لا شكل لها وهمية لا تدخل التعيين قط  
كذلك الوهمي بيدي مثله فالخط والسطح على هذا النمط  
وهكذا جسمنا إضافة موجودة في عالم الوهم فقط

وقال طيب الله ثراه سنة ٧٧

لزمت الصدود فأين الوعود واين عهد الليالي الأول  
وعقد اليمين لعقد اليمين بحفظ الوداد ورفض البدل  
حنثت واخلفت هذا وذاك — وملت وطبع الغصون الميل  
وخلفت قلبي اسيفاً عسيفاً قوي العناء ضعيف الأمل  
فانمت فيك فلست اقول — خذوا قودي من اسير الكلل  
فحسب القليل من العاشقين — بسهم الغرام رضا من قتل



وقال سنة ٧٥

✕ يخاطبنا الزمان بلا لسان ولا كذب لديه ولا مرآة  
✕ يقول اذا الم بكم بلائي فلا يبقى الوداد ولا الاخاه  
✕ وما الدنيا سوى اخفاث حلم فان جادت وان يخلت سواه  
✕ دفعت عناءها بالياس حتى تساوى البؤس عندي والهناه

بعض ابيات ملكنة

وقال عام ٧٦

اتنكر حبي والمدامع تبديه وينشره ستمي وصبري بطوبه  
اتيتك والامال مل خواطري وقلبي صاف والزمان مصائبه  
وواني بانواع الوفاء الهوى وما فهمت بواديه فهمت بواديه  
فبات الجوى نحو الجوانح جانحاً فحل بنادي القلب وهو بناديه  
وما زال قلبي وانياً في شقائه متى انت تشفيه وحتى م تشفيه

وقال سنة ٧٨

مذ تردى الافق ثوباً من رقيق الغيم لاذ

وكسا الروض قباء لؤلؤيا من رذاعة  
قلت للحب وقلبي من اذى الحب جذاعة  
خانك البدر لهذا بذبول السحب لاذة

وقال طيب الله ثراه

ومعنى البيتين الاولين مستمد من كلام فيكتور هيكو  
قتل امرىء في غابة جريمة لا تغتفر  
وتنل شعب آمن مسألة فيها نظر  
والحق للقوة لا يعطاء الأمان ظفر  
ذي حالة الدنيا فكن من شرها على حذر

وقال معارضاً بيتي ابي تمام المشهورين وهما قوله

اعوام وصل كان ينسي طولها ذكر النوى فكانها ايام  
ثم انبرت ايام هجر اردفت قلبي اسمى فكانها اعوام  
فقال سنة ٨١

لا عامنا في وصلكم يوم ولا ايامنا في هجركم اعوام  
فالمر في الخاليز برق وامض اعوامه في طولها ايام

وقال وهي ابيات ذكرت في قصة الباريسية الحسنة

التي عربها عن الافرنسية سنة ٨٢

حسب المرأة قوم آفة من بدانيها من الناس هالك  
ورأها غيرهم امنية ملك النعمة فيها من ملك  
فتمني معشر لو نبذت وظلام الليل مشد الخلك  
وتمني غيرهم لو جعلت في جبين الليث او قلب الفلك  
وصواب القول لا يجمله حاكم في مسلك الحق ملك  
انما المرأة مرأة بها كل ما تنظره منك ولك

✕ فهي شيطان إذا افسدتها وإذا اصلحتها فهي ملك

### وقال في السنة نفسها

عجبا له والجمر في احشائه  
مني يحاول بالخديعة ستره  
يفتأبني فأصونه ويريدني  
شرا فأدفع بالصنية شره  
ويحار في امري فينفد صبره  
ويبينني صبري فاكشف امره  
ويروم ضرري غير منتفع به  
وارد عني بالنتافع ضره  
فيسوده ما سرني من امرنا  
ابداً وليس يسوفي ما سره

وقال تاريخاً مولود دعي باسم توفيق واسم ابيه شاكِر سنة ١٨٧٥

لك الهناه بمولود اناك وذا  
من جو دربك فضل انت شاكِر  
الانس كانه والسعد ظلاله  
والله ارخت بالتوفيق غامره

وقال في ذيل كتاب ارسله لاحد السادة الفضلاء سنة ٨٠

يا ايها السيد الاجل  
ومن اذا ما حبا يجل  
سقتنا اليك الثناء دراً  
كل كثير به يقل  
وما يضيع الثناء فيمن  
بفضله لا يناس فضل  
فجد بنيت السؤال عنا  
فبعامنا يا غمام محل  
وعجل البرء ذاك خير  
ان لم يكن وابل فطل

### ترجمة مرثية كمال بشا

في رثاء ساكن الجنة المغفور له السلطان عبد العزيز نقيد آل عثمان كانت نشتمها  
الجرائد التركية فعرب منها الفقيد الادوار الآتية متبعاً في التعريب وزنها الاصلية محفوظة  
الالفاظ والقوافي « ما امكن الحفظ في المنظوم من الكلام » وكان قبل ذلك قد اورد  
تلك الموشحة اصلاً وتعريباً فأما الاصل التركي فهو

دين ودولت خاتني براق ملاعين يزيد  
ايشلر حضرت عبد العزيز خان شهيد

واما التعريب فهو

خانة للدين والدولة من قوم يزيد  
قتلوا عبد العزيز المرتضى فهو شهيد

ثم اتبع هذا المذهب في عدد آخر من «التقدم» بالخمس الاول من ادول الموشحة  
معربة كما ترى

جددت فينا بنار من اوار كربلا وبدا للناس امر مبهم حيننا  
لاق فيه ان عيني تسكب الدمع دما لعنة الله على من ذلك الجرم جنى

### المذهب

خانة للدين والدولة من قوم يزيد قتلوا عبد العزيز المرتضى فهو شهيد

### دور

قد مضت خمس عليه حججا دون بيان واهتدى تحققة من بعد خاقان الزمان  
ذخرنا عبدا حميدا العادل العالي المكان فانتفى الريب وصار الامر في حكم العيان  
خانة للدين والدولة الخ

### دور

بعض اهل الغرض الفاسد سرا مكروا جعلوا السلطان بين الشهدا واستمروا  
واذاعوا بعد هذا انه منتحر<sup>(١)</sup> لم يخافوا الله في بهتانهم لم يحذروا

### دور

كم مناد من جرا ما قد جرى واأسفاه بعض اهل الظلم ممن لم يفوزوا بانتباه  
قتلوا السلطان من غير جناح آه آه ويلهم قد جاءهم من ملك العدل بلاه  
خانة للدين والدولة الخ

### دور

اسف الدنيا على المظلوم سلطان الاوان الامير العدل ذي القرنين في هذا الزمان  
اسفا لم ينج ممن كان بالايمن مان فعدا عنه شهيدا ان مشواه الجنان

(١) قاتل نفسه

## مذهب

خانة للدين والدولة من قوم يزيد قتلوا عبد العزيز المرتضى فهو شهيد  
وهي اثنا عشر دوراً اكتفى منها الفقيد بهذه الخمسة الادوار

القصيدة التالية نظمت في اواخر سنة ١٨٧٠ اقترحها عليه احدهم في بيروت لواقعة  
حال خلاصتها ان احد الادباء الظرفاء نزل ضيفاً على المقترح وبعد ان اقام عنده بضعة  
عشر يوماً اضطر للسفر على حين فجأة فاستعار من مضيفه خراجاً وضع ثيابه فيه وسمن  
قرشاً استأجر بها دابة تحمله الى بيته في معلنة زحلة ثم ابطأ في الكتابة اليه ولم يعد له  
الخرج والمال فأرسلت اليه هذه الايات على سبيل المداعبة وهي

قلبي من وجدي في وهج	وانا من دمعي في ليج
فارفق يا ظبي بقلب شبي	قد هام بمنظرك البهيج
فتاك الناظر مرهفة	ورشيق القدر مهفه
بابي ما ضمن مرشفه	من در باه ذي فلج
يزهو بجاسن طلعت	وبصبح لاح بفرته
وبليل حل بطرته	يجلوه الفجر من البلج
مذا جرى الماشق ادمه	والشوق تولى اضلعه
واقاه واسدل برقه	خوفاً من عاذلنا السمج
اقبح بالعاذل انسانا	واتته البلوى ألوانا
ووقانا منه مولانا	وارانا الخل مع الخرج
خرج قد حارب به النظر	وله غرر وله طرر
وبه قصب وبه درر	تغني الانسان عن السرج
فيه الدكائف وغلتها	ورياض الشام وربوتها <sup>(١)</sup>
<sup>(٢)</sup> والمزجة فيه ونفحتها	<sup>(٣)</sup> والبهجة فيه بلا حرج
وجراب الكردي لا يذكر	ان جاء الخرج فذا اشهر
وعقود اللؤلؤ والجوهر	لا تغني عن ذلك الخرج
فابعث بالخرج على عجل	فوق الاطعان او العجل
وكذا الستين بلا مهل	وفقاً للوعد بلا عوج

(١) اسم لثمنه شهير في دمشق (٢) كذلك (٣) حديقة شهيرة في  
عكا ضمنها قصر عبد الله باشا المشهور

رواية

## اندر و مال

مأساة ذات خمسة فصول

—••••—

معربة عن الافرنسية

بقلم الفقيد رحمه الله

حقوق التمثيل والطبع محفوظة

—••••—

## \* اسماء ممثلي الرواية \*

دور	اسم	علامة
ملك	بيروس ابن اشيل	ب
سفير	اورست	و
صديق اورست	بيلاذ	د
وزير	فنكس	ف
خطيبة بيروس	هرميون	هـ
ارملة هكتور واسيرة بيروس	اندروماك	ك
سميرة هرميون	كليون	ي
سميرة اندروماك	سفيز	س
اربعة	حجاب	
اثنين	حراس	

Simoneau

Simoneau

Simoneau

## الفصل الاول

في قصر بيروس ( في حجرة منه )

## \* الجزء الاول \*

اورست بيلاد

و د

( كلاهما يدخل من جهة ويلتقيان بلا انقباض )

و د صحفاً لدهرى عما قد اتى وجنى من بعد لقياك يا كل الهناء هنا  
 و د يامن اذا غاب عني كان في خلدي لولا التقادير ما تم اللقاء لنا  
 لما قضى الدهر ظملاً بالنوى ونأى عنا الهنا ولقيتنا البؤس والحزنا  
 لبثت مكثباً اخشى عليك اذى يبدو وجيش اصطباري عنك قد وهنا  
 وقد تركتك بامولاي ذا جزع كادت تفارق فيه روحك البدنا  
 ييدي لك البأس اموالاً منمقة نحب العيش طيشاً والمنون مني  
 لكن اراك ومن لي ان تكون هنا لما يكون به الاقبال مقترنا  
 و د دعا الغرام فزادي وهو مالكم فجت كما الاتي من بها افنتنا  
 و د حمت نفسك ما يودى بها ولقد ركبت فيها فعلت المركب الخشنا  
 وجئت ترجو الوفا من مرأة غدوت فهل نسيت الشقا والحزن والشجنا  
 احذر هديت فذات الغدر ما برحت تبدي الوداد وتخفي المكر والضغنا  
 و د عرضت نفسي في سوق الهوى فاذا قضيت في الحب لا ابني لها ثمنا

و د لقد كنت اذن تخدعني بالكلام . وتزعم انك اعتزلت الغرام

و د مولاي لم اخذتك وانما كنت احاول ان اخذع ذاتي . وقد كنت تسمع انيني  
 وتلفاتي . لم تر بعد ارتباط هرميون ببيروس ما حل بنفسي . وما لقيت من حزني  
 ويأسي . حتى تركت الاوطان والاطوار . وسرت هاتماً في البحار . اصل الليل بالنهار  
 وامزج المغموم بالاكدار . وكنت احسبك لي في هذه الايام رفيقاً . وارجو مساعدتك  
 فانك كنت بي برأ رفيقاً . وانا احاول سلو هرميون والنجاة من العذاب . فلا اجد الى  
 ذلك سبيلاً . واتمس الهداية الى الصواب . فلا ارى لي دليلاً . ولما اعيايني ما افاصي .  
 ولم اجد لي من مواسي . جندت جيوش العدوان . وعقدت راية السلوان . وسرت  
 الى اليونان على امل الظفر . ولكن اذا وقع القضاء عمي البصر

د و رماذا كان بعد ذلك . التيت ما ترجوه هناك  
 و د رأيت محفلاً حشد اليه الامراء فرجوت ان يكون اجتماعهم لحرب . الهوبها  
 وينجلي عني الكرب . فكذبت ظني حقيفة الحال . وما كل مطلوب ينال . وسمعت  
 الجميع بشوعدون بيروس و يقولون انه نقض عهده . وحفظ عدو اليونان عنده . وذلك  
 ان ابن هكتور الذي نجح من عولس بحيلة امه . وقع معها في سهمه . فنجذته ارملة هكتور  
 بعينها . فمال عن هرميون اليها . وقد ساء ذلك ابا هرميون مناس اما انا فبالعكس .  
 ورب غيظ نفس فيه شفاء نفس . الا ان تلك الغادرة التي رعيت ذمامها . استرجعت  
 فوراً في قلبي مقامها . ورأيت ان غيظي كاد ينتهي . وان قلبي عن حبها لا ينتهي  
 د و من ليس يسأل عني فلست اسأل عنه  
 ومن غدا الغدر يجني لا ترجع الخير منه  
 الناس لاموا ومالوا عن شكر صاحب منه  
 ان تحسن الفعل قالوا فرض عليه وسنه

( نشيد )

د و لا تليني فلا يفيد الملام حكم الحب واستتب الغرام  
 يا اخا العدل خلى ذالعدل جوداً انما لوم من يحب حرام  
 واستمع نعمة الكلام . وهو افي دخلت ذلك المقام . فانتخبوني سفيراً الى بيروس  
 لا طلب ذلك الغلام . ومن لي بان آخذ بدلاً منه هرميون فاشتني من لواعج الغرام .  
 فاني اجارك الله ايها الصديق . سلمت الى غرامي تسليم اعمى الى رفيق . احب هرميون  
 وقد سرت اليها . فاراها واختطفها او اموت بين يديها . وانا شددك الله ان تقول لي  
 ما شأن بيروس وشأن حبه . وماذا يحدث في قصره وفي قلبه . وهل تهواه هرميون كي  
 يهواها . ام تعرض عنه جزاء ميله الى سواها  
 د و اراه يسلمك اياها . ولا يكلفه ذلك عناء جزيلاً . لانه يتعشق ارملة هكتور  
 ولا يرى الى مرضاتها سبيلاً . فانها لا تقابله الا بالرد . ولا تمن عليه ان سأل بالرد . وهو  
 تارة يتهددها . وطوراً يقتل ابنها يتوعدها . ثم يتذلل ويخضع . فلا تلبن ولا تسمع . وربما  
 غضب فتجنب . ثم يرضى فيتقرب . فكيف يتنبأ لي ان اعرف حقيقة امره . وهو عاشق  
 قد استولى الغرام على فكره

د و ارضى بهذا هرميون وتصبر وتثبت في حفظ الوداد ويندر  
 د و نسوم اصطباراً كلما زاد قدره وتخضع في كل الامور وتعذر

لما مقلته بالدع شكري ومهجة من الغدر تشكوه في اشكوه وتشكر  
وقد عورك ان اربي البلا مستجيرة فانت لمن يدعوك في الضيق تنصر  
واسروري : لييك يا من دعاني فانا والوفاء خير رفيق  
مة لقد اقبل المليك فخاذر راكم الامر  
و د و د .. .. لا تخف يا صديقي  
د و اكثر القول طالبا كل شيء واسلكن للشقاق كل طريق  
( ويندهب )

❀ الجزء الثاني ❀

اورست بيروس فنكس

و ب ف

سلام ايها الملك الهام ودام لك ارتفاع لا يرام و ب

طلوت بهمة ايسر تضاهي واجداد هم القوم الكرام

اليك يا من فتحت بجسامك ترواده • بد ان بلغ والدك الهام من هكتور مراده •  
اتيت سفيرا من امراء اليونان • احمل اليك عتبا وارجو الا يحمل علي المدوان • وذلك  
انهم يرون ان شفقة غير سديدة • حملكم علي حفظ بقية حرب شديده • اعني بذلك  
ابن هكتور الذي عداكم • الذي جعلتموه في حماكم • وان ذلك لمن العجب • فكيف نسيت  
هكتور وما حملنا من الذباب • لعمرى ان شربنا يشذكر ذلك البطل • وفي كل قلب منه  
وجل • وما من بيت الا ويطلبة بشار • وما من يوناني الا وفي قلبه منه نار • ومن يدري  
والغلام سر ابيه • ما عسى ان نعاين منه ونلاقيه • فتراه بهد حين مهاجما مراكبنا •  
كما رأينا اباه داهما مراكبنا • واني اخاف ان تكون عقبي اهتمك به واعتنائك • ملافة  
بلائك • وان الحية التي تربيهها • تجرعك السم من فيها • فدارك امر غذك قبل فوات  
يومك • وابعد عنك عدوا يستجد بك علي قومك

ب و ما خلت ان مثل هذا الاهتمام يكون لهدم النازلة الصغيرة • وان  
حضور ابن اثا ممنون الهام يكون لهدم الحاجة الحقة • وان قوما طار صيت انتصاراتهم •  
واخبار غاراتهم • يتنازلون الي طلب سي • لا يعرف الحي من اللي • وكيف يزعمون اني  
اسلمه وفي بقية • ام اي سلطان لم علي اسير حصل لي بالقسمه الشرعيه • وهل مددت  
الي ما حصل لهم يدا • ام عارضت منهم احدا • وكيف يخافون تجديد سطوة هكتور

وابنه في هذا النادي . والله لقد عزَّ الصبر عن هذا التجادي . ام كيف يزعمون ان اهل  
 ترواده يقصدون الانتقام . بعد خلوة بدم من رجال الصدام . واني اتذكر حال تلك  
 المدينة وما كانت عليه . وأرى الآن ما صارت اليه . فانها كانت سلطنة آسيا ومقام  
 صنابير الرجال . ولم يبق بها الآن سوى بقية اطلال . سقيت بدم الابطال . وصبي  
 في القيود والاعلال . وحيث كان قتل ابن هكثور ضربة لازب عند اليونان . فلماذا  
 اخروه الى الان . ولم لم يقتلوه وهو في حضن بريام . مع من قتل من ابطال قومه  
 الكرام . وكيف يطلبونه حين لم يبق من قومه غير شيوخ وغلان فقدوا الحامية والانصار .  
 وبات يروهم هدوء الليل وذكر الانتصار . واني حين الحرب لم آلُ جهداً في المقاتلة .  
 وعملت المنكسرين بما اقتضت الحال من المعاملة . ولكني لا ارتكب فوق جراثري هذا  
 الجرم الكبير . ولا الطخ يدي بدم غلام صغير ما له نصير . لا ومن يراه . فليطمع اليونان  
 في سواه . ويطلبوا في غير هذا المكان بقايا تروادة البسيرة . ويعلموا ان الذي اتقدته  
 تروادة تحميه ابيه

و ب ولكنك تعلم يا مولاي ان هذا الغلام لم ينجح الا بحيلة امه . اذ  
 ثدته بغلام دعت به باسمه . اما اليونان فلا يطلبون البقايا التروادية . وانما مطلبهم ابن من  
 الحلق بهم المصيبة والبلية . ويخافون ان يلاقوا منه هكثور ثانياً . بعد ما اورثهم هكثور  
 الاول ضرراً كافياً . والحلق بهم ما شاء الله من الدنيا . وربما حملهم طلب هذا الغلام على  
 قصده وهو هنا

ب و اهلاً بهم ليس المجال بيدي واخو البسالة لا يخاف وعيدا  
 ان يقدموا فلقد تقدم ظلمهم قبلي ابي حاميم الصنديدا  
 سعيده ظلمهم فتي متظلياً ولرب ضرر قد يكون مفيدا  
 ب و ما خلت انك من طراز الخلفين (م) وعودهم والنافضين عهودا  
 ب و لقد انتصرت لاسئد فكيف ارشى بالخضوع وما انا وعديدا  
 ب و ترضى به طوعاً لعين حليقة تنو اليك فتبلغ المتصودا  
 ب و عين بمغناطيسها لما سطت جذبت فوادك حيث كان حديدا  
 ب و هذه عيون في الغرام اطيعها لكن نفسي تكره التقييدا  
 ختم الكلام فسر اليها ذكراً ما قلت وارحل ان سئمت ربودا  
 ( اورست يذهب )

## الجزء الثالث

بيروس فنكس

ب ف

ف ب اتد احسنت اليه في معرض الاساءة . وارجمت النحل الى المياة .  
وقربته وانت تريد ان تبده . وجمت شمله وان تروم ان تشرده . فأرسلته الى من  
يحبها حباً عظيماً

ب ف يقال انه كان يعشقه تديماً

ف ب رب هوى باللقاء يتجدد . كالنار ان تعرضت للهواء تنوقد

ب ف اني اعلم يا فنكس انها لا تؤثر علي بالحب احداً . ولا تميل الى غيري  
ابدأ . مع علمها بما انا عليه من اعتزال هواها . والميل الى سواها . اما ميل ادرست اليها  
فلا يقتضي ميلها اليه . وما قيل ان من الفواد الى الفواد سبيلاً قول لا يعتمد عليه .  
على ان رجوعهما الى ما كانا عليه من التواد يوجب سروري . واذا اتفقا على الرحيل فاني  
افتح لهما جميع ثغوري

ف ب سيدي

ب ف لله يا فنكس لا تطل الكلام . في هذا المقام . فان في قلبي اموراً  
سأذكرها لك لتنظر اليها نظر بصير . وترشدني الى حل مشكلاتها ارشاد بشير . ولا  
اكتحك امرأ من الامور الخافية . . . . . دع هذا الان فان اندروماك آتية

## الجزء الرابع

بيروس فنكس اندروماك

ب ف ك

ب ك دنت وقد اثنت فونت غزالا ومالت بانة وبدت هلالا  
تلفت بها ولو حيث لا حيث تميل صباقر الف القنالا  
مهففة رأت وصلي حراماً يماف وقد رأت قلبي حلالا  
انت بعد الجفا من غير ودد تفاجثي بناظرها اغتبيالا  
نحال الدمع فيه وقد اراني حراماً قد اجاد له الصقالا  
ك ب ابكي على ولدك اليف ذذاب في السجين بات سمير كل مصاب

ولدت أراه كل يوم مرة  
 هذا بتيّة مهجة اتلفتها  
 فلبست ثوب السقم بعد تنعحي  
 وجعلت من دمع العيون خضابي  
 ب ك لكننا اليونان سوف يهيمون (م) لك البكا من غير هذا الباب  
 ب ك ماذا عسى يبغون بعد قطيعتي  
 ب ك ولداً إذا أقهم أبوه شداًداً  
 وتلفني وتألّي وعذابي

بقتاله

ك ب .. .. ..  
 .. بالله رقة لما بي  
 ما ذنب طفل في الاسار معذب  
 الف الشقا وتحمل الاتعاب  
 قد اهلكوا ابطالنا وحماتنا  
 وقضوا على اموالنا بنهب  
 ماذا اجبت رسولهم مولاي هل  
 جاريتهم فأجبت بالايجاب  
 ب ك لا قدر رفضت وقد توعدني الرسو  
 ل وما برحت مقارماً بجوابي  
 فيها صنوف مواكب الركاب  
 ورددتهم املاً بنيل طلاب  
 عادت قومي مثلما شاء الهوى  
 لما حلت جلبت مرير عذابي  
 عاديتهم حباً بذات ملاحفة  
 فامل ناظرها يقوم بنصرتي  
 يا من اذا حاربت عنها راعني  
 لعلها تشفي الجرى بخطاب  
 من لحظها الفتاك رشق حراب  
 اني اقاتل عنك لا متهيّباً  
 الا قتال تجنب ونصاب  
 هذي يدي هذا فؤادي ها انا  
 نبدي الخضوع لحسبك الغلاب

ب تجلد ولا تظهر الضعف فانك في البسالة آية . وانم باحسان مجرّد نخبير الاحسان  
 ما كان بلا غاية . أي نلبك العشق فنخضع له اضطراراً . ولا تخاف في اظهاره عاراً . وتزعم  
 ان اندروماك يطيب لها هذا الغرام . وهي على ما ترى من الاسر والحزن والسقام . واي  
 جمال يلوح لك في عينين حكمت عليهما فعالك بالبكاء . نخلهما واحترم مشهد تعاستنا  
 بعد النعمة والهناء . وانتقد غلاماً بات في اسرك ذليلاً . وكان من قبل جليلاً . وردّه  
 على والده حزينة باكية . ولا تجعلها تفديه ببقية مهجة بالية . انقذه ولو أبت امه فهو  
 جارك وجار الكرم لا يضام . فذلك عمل يليق بابن اشيل المعام  
 ب ك اعينك من البغض اللازم . والقصاص الدائم . فقد استمعتني بالتجني

والصد • واتلفتني ببدوان ما له حد • فان كنت ابكيك دمعاً يوم كانت يدي ملطخة  
بدم اقوامك • فقد ابكيته دماً لم اسفك مقداره في غرامك • وان كنت لقيت بسببي  
عذاباً فقد احتملت صنوف العذاب • فانما مطلق الدمع مقيد القلب اليك السهاد وهي  
صنوف عذاب في الغرام عذاب • فهل بلغت بظلمي غاية ظلمك • وعلى فرض ذلك ألم يكن  
من اعتذاري ما يقتضي مزيد حلمك

وان كان ذنبي كل ذنب فانه • محاذ الذنب كل المحو من جاء تائباً  
فكفانا سيدتي معاقبة متتالية نقضي باتلافنا • وليكن اعداؤنا سبباً لائتلافنا  
تجاوزت حد التهاجر والصد • تجاوز طرفك في حد الحد  
وقد كفر الدمع لما همى • ذنوباً جناها الحسام المهند  
واديت دين الوداد وهذا • حساب ذنوبي بدمعي مسدد  
هجرت منامي بنوط غرامي • وسامرت بدر احكامك وفرقت  
فيا نثر بالله فسر غرامي • فانك تروي حديث المبرد  
وياقده ما بال قلبك يقسو • وانت تكاد ليترك تعقد  
ثنيت لما جمعت الجمال • ومازلت يا جامع الحسن مفرد  
ويا من تجنت على من جنت • عليه الغرام فبات مشرد  
حنائيك ان النرام رماني • ناملقت دمعي وقلبي مقيد  
واني لاحمي الغلام بعزمي • وعزمي حتى اموت والحد  
وان طال عمري ينل بحسامي (م) • عزاً عزيزاً ومكاً موطن  
فجودي بعطف علي تسوديه • وعودي عن الظلم فالمود احمد

ك ب سيدي ان جميع هذه الوعود لا تنفي في حزني شيئاً • وكنت اعد بها  
ابني لو كان ابوه حياً •••• (التفات) فيا ايها الاطلال البالية • ويا ايها الاوطان  
النقيدة الغالية • ان في قلبنا من الشوق اليك لئلاً حامية • ومن لنا بان نراك بعد موت  
المقاتلة والحامية

عليك دموعي جرت بانسكاب • تحاكي السحاب السحاب السحاب  
فرحماك مولاي يا ذا الهمام • وأتقد غلاماً •• غلاماً •• غلاماً  
(قد على ملكتم فؤادي)

(التفات) رحماك مولاي ان دمعي الهامع لا يسألك غير الرحيل فهو غاية رجاء •  
فاسمح لي ان اذهب بابني فاخنيه وابكي اياه • وقد علمت ان ميلك الينا يورثك بغض

تلف  
دقيق  
البعد

قومك والويل . فارغب في هرميون عني فانها اجدر مني بهذا الميل  
 ب ك ياغزلاً يروم مني سلوا عنه والحب في فؤادي لا يث  
 زادني العذل في هواك باناً رُبْ عذلي اضحى على الحب باعث  
 فأجرني اجارك الله من شو في وكن لي من سهم عينيك غائث  
 بالقومي صار الحبيب عذولاً ان هذا لمن صروف الحوادث  
 بالله لا تمذلي قلباً عن هواك لا يجول . وارحمي طرفاً في غير محياك لا يجول .  
 فليس بإمكانني ان ارغب في هرميون واميل اليها . واقبل بعد الاعراض عليها . فقد  
 ملكتك قلبي ولك فيه الامر والسلطان . فكيف اهوأها وليس لي قلبان . ومن يرى  
 ما لك عندي من عظم الشأن . ورفعة المكان . ولا يظن انك الاميرة . وانها الاسيرة  
 آه . آه . اراه قول مغرم اواه . لو سمعته هرميون لنال فؤادها مناه  
 ك ب وهل تريد ان تسمعك متهداً بعد ان صارت صاحبة امرك . وولية سررك  
 وجهرك . وهل نسى ما خضت لاجلها من المهالك . ام هي تطمع في غير ذلك . ألم يكفها  
 سوء حالي . واسري واذلالني . ام تريد ان تضرم في قبر هكتور ناراً . . . اي ذكر رهيب  
 لكثور من حبا ابالك نجداً كما حيوتك بدمي اشتهاراً  
 ب ك كم ذا التجني والدلال . لقد عز الصبر ولم يبق للعفو مجال . فانا اسلوك  
 وابغضك ان امكن . فقد طال ما عاملتك بالتي هي احسن . واعلمي ان بنفي يكون كجي  
 شديداً . وان رجوعك عن غيبي بعد ذلك لا يكون مفيداً . وان الابن يؤخذ باعمال  
 امه لا مجال . فاسلمه الى اليونان وانجو من المشاكل والاهوال  
 ك ب يموت ابني . . ابني يموت ولا معين له ولا شافع الا معين دمعي الهامع . .  
 وعسى ان يتصر ذلك عذابي ويريجني مما الاقيه . فألحق به لتلتقي معاً بأبيه . .  
 ب ك اذهبي اليه ابنتها السيدة وانظريه . وقبليه وعانقيه وافتكري ان تنقديه

### الجزء الخامس

اندروماك

ك

ك ك ايا دهر مالي في العذاب ضريبُ فقد حل لي يا دهر منه ضرروبُ  
 وامرضتني لما سلبت احبتي ولبس لدائي في الدبار طيبُ  
 بكيت وكان الدمع من ذوب مهجتي وكفي بحناء الدموع خضيبُ

فان كان لي ذنب وانت مواخذة فاني من ذنبي اليك اتوب  
 جار دهرى وما من مجير ونأى بمد عزي نصيري

فقد اقلبي كئيبي بالمصائب

وجفاني طيب انسي وتولى اليأس نفسي

يا الهى انت لمجا كل طالب فاجر نفسي من هذه النوائب

دهر جور لا يبالي بثلافي ووبالي

بات جسمي منه بالي وهو بالاولجال حال

قد جار بي دهرى فخرت في امري

وما من الدهر مجير

بالدهر من اذاه طاب بالجسم بلاه

كيف انجو من بلاه وهو بالفصال سال

يا خالق الكون كن في البلا عوفي

فانت لي خير نصير

(على قد «اليون الكواسر سبوني»

او يقال بدلا منه

رمانى زمانى وشقى عواذلى منى وجار على ضعفى

بقصدى ابني

ذهوعى جرت على الخدود فاضرم في قلبي الوتود

وشمت في الحسود ياترى زمانى يعود

فيجولو لقلبي الورود واخاص من حزنى

لا تظلموني بل ارحموني وخلصوني عولوا غلامى وارعوا زمامى واشفوا اوامى

لا تظلموا الاطفال يا ايها الابطال واتقدوني

مصدق انذر زمان  
 عذرا  
 نقتل دهرى

X

## الفصل الثاني

في فصر بيروس في حجرة هرميون

## الجزء الاول

هرميون كليون

ه ي

ه ي ارضى بما رمت ارضى وليثني لست ارضى  
 اورست عما قليل يجي والامر يقضى  
 ه ي قد كان وهو بعيد لا يلتقي منك دحضا  
 فصار وهو قريب يلتقي نفارا ورفضا  
 ه ي عجبت مما اراه حب تحول بفضا  
 لا تعجبي فانقلابي عن فجي ليس بفضا  
 قابلت بالقدر حبا قد جاء بالود بفضا  
 فان رأني وحالي بثلها ليس يرضي  
 يشني القواد انتقاما وينفض الثوب نفضا  
 ه ي فلست ارضى بهذا ياليتني كنت ارضى  
 لا تنفري عن محبة بعض وذلك يرضى  
 ه ي فليس ينفوك صب ذو مهجة منك مرضى  
 يرى ودادك ديننا ويحب الصبر فرفضا  
 ه ي مناسب الان يأتي به بيلاذ . فأنيله من لقائي المراد  
 ه ي وما عسى ان تكون ارادة ايك في هذا الباب  
 ه ي لقد اتاني منه كتاب . يأمرني ان اسير الى اليونان بلا تأخير . ان ابني

بيروس ان يسلم الاسير

ه ي فانكلي اذن على اورست ليالم بيروس عاتبة الغدر كيف تكون . وتالله  
 لا يفلح الظالمون .

ه ي غادره وكفى ما قد جرى ودعيه انه قد غدرا

ي ه كيف اسلوه وقلبي في يديه ان روجي نزعته مني اليه  
ليس صبري عنه كالصبر عليه لا تلومي ان من ذاق دري

\*\*\*

ي ه غادريه انه قد غدرا ولقد ذاق ولكن مادري

\*\*\*

ي ه مهجتي من حرق شوقي تحترق وفوادي في هواه تحت رقي  
وسهام الغدر قلبي تحترق ووشاة الدمع تروي ما جري

\*\*\*

ي ه غادريه انه قد غدرا وكفى سيدتي ما قد جري

\*\*\*

ي ه لا تقولي قد كفي ما حصلنا فاهجري او فاصبري صبرا حلا  
زادني الصبر مصابا وبلا فازالني الهوى من صبرا  
على قد (باهي السنالما انثني انخ)

ي ه وهل تنتظرين منه خيانة جديدة بعد خياناته العديدة . يجب اسيرة . .  
ويحبها امام عينيك . وكل ذلك لا يجعله . . ايضا لديك . وماذا يمكن له بعد ما اجراه  
وكرر . فانه لو استطاع ان يحصلك تبغضيه لما تأخر

ي ه لماذا تريدن تنبيه مني فاني ارفض علمي بهلعي  
فقولي فديتك اني سلو ت وصوتت نحو الاصابة سهمي  
ترومين اني اسير فرارا هلعي بنا للمسير هلعي  
نسير وبقى اسير الاسيرة (م) بين يديها واترك قسي  
ولكن اذا عاد عن غدره وعامل بالحلم من بعد ظلم  
وصار الحبيب وفيها بهدي سميت القولي مطيعا لكي . . .  
ولكن اراد خونا فابقي عذوة حبة وسيلة غم  
اقابل بالغدر غدرا اتاه واستل للفتك صارم عزمي  
جنبت على الابن وبلا ومنه ساجني على الام او فر سهير

ي ه سيدتي انها لم تجن ذنبا يستحق العقاب . فانها اليفة غم ومصاب . وهل  
تظنين ان عيوننا لا تفتح الا للبكاء تروم مناظرتك في المنام . وان قلبا حزينا يميل الى  
من سبب له الآلام . وهل رأيت ان حبه اذهب عنها الاكدار والشجون . وان كانت

ذاك فلماذا ترفض محبا تسره به الخواطر وتقر العيون  
 ه ي ومن عجب الايام رؤيته عاشق تحيرت الافكار في امر حبه  
 يقرب من لا ترضي غير بعده وبعد من لا تبغني غير قربه  
 وكيف لا يذيني غمي ورجدي . بعد ان كنت اظنه لي وحدي . وكنت ارى  
 كل شيء يهينني به : قومي بعد ادراكهم الثار . اليونان بعد ان نقوا العار بالانتصار .  
 مراكبنا مشحونة بالغنائم . المجد والسرور والسعد الملازم . شهرة ابيه التي نسخت بشهرته  
 نيران شوقه ودلائل محبته . قلبي . . . وانت انت ايضا فقد كنت مدعوته من مجده  
 الكامل . وقد خدعتني قبل ان تخدعني هذه الدلائل . اما الان فلم يبق سبيل الى  
 الاحتمال . هرميون ذات انفة واورست ذو فضائل وافضال . فهو على الاقل يعرف ان  
 يجب وان لم يكن مطلوباً . وربما عرف ان يجري واسطة ليكون محبوباً . فليات لثري  
 واسطة تزبل هذه الاكدار عنا  
 ه ي سيدتي ها هو  
 ه ي لم اكن عالماً باقترابه منا

### الجزء الثاني

هرميون كليون اورست

ه ي و

ه و اهلاً بمن مسه في حبه السقم شوقاً واما مسه هجره ولا سام  
 ماذا دعاك الينا بعد فرقتنا الشوق ام رحمة في طيها نعم  
 ه و هذا انقيادي لحب حل في كبدي فجئت ابيدي على الهجر ينصرم  
 وان اتاهد نفسي بالبقاء على عهدي لمن غدروا ظلماً وما رحموا  
 قربتهم نفروا واصلمتهم هجروا امنتمهم غدروا خاطبتهم شتموا  
 صبر اعليهم فهم قصدي ولو فكوا دمي وطوعاً لما راموا ولو ظلموا  
 هم ارضعوني ثدي الحب من صغير المست عن حبهم بالصبر انقطع  
 يا من دعاني اليك الحب لا تدلي عن حال قلبه به الزيران تضطرم  
 مذسرت عني تركت الدار ناعية وخضت بجزاً به الامواج تلتطم  
 وكم فريت الفلا والليل معسكر والنيت يكي وقر البرق يتسم  
 طلبت موتاً وكان العمر بطلبي فازددت حزناً واذني قلبي الالم

بين البرابرة القوم الاولى رغبوا  
 قوم من السيت اهني صيدهم رجل  
 نجوت منهم وجئت اليوم مبتغياً  
 قضى الزمان بأن انجو بلا طلب  
 كنت الذبيحة للمعبود عندهم  
 وما نجاتي الا كي اقدم في  
 فجر دوا سيف لحظ كي يربق دمي  
 في قنلتي وانا بالصبر معتصم  
 حي واعذب شي يشربون دم  
 موتاً من الحظ فهو المالك الحكم  
 وقد سقطت على عمدة ولا أجم  
 بش الذبيحة اذ مذبوحتها عدم  
 هيا كل الحب حيث المجد ينظم  
 يا ظالمين وفي الاحشاء حبيكم

ه و سيدي خل عنك هذا الكلام . فانه مما يضيق دونه المقام . واقتكر في الملوك  
 الذين بعشوك سفيراً الى هذا المقام . ودع ذكر اعمال السيت البرابرة ومفاعيل الغرام  
 ه و قد اظهر لي بيروس النفار المحض . ورفض طلبي كل الرفض . واذن لي  
 بالرحيل والظاهر ان قوة لا يستطيع رد ما تحمله على حفظ ذلك الغلام  
 ه و بالخيانة  
 ه و وهكذا تمياً لنا تركه ولا عتب علينا ولا ملام . وقد اتيت لأستطلع افكارك  
 فاعرف كيف اتصرف . واخاف ان اسمعك تنكرين محباً بحبك بتعرف  
 ه و لا تزال تسي ظنك بي . مع انك تعلم بأنني لم آت ابيرة الا باذن ابي .  
 واقسم اني كنت اذكرك في خلواتي . واتمنى ان اراك ولو خالفت واجباتي  
 ه و لتمنين ان تربي . ان تري اورست . تأملني وامعني النظر . انك تحسطين  
 اورست المهجور المحقر  
 ه و نعم انت . انت الذي نشأ حبه مع حسنه بيلمه بادي بهد كيف يكون  
 الظفر . انت الذي كانت تحملني فضائلك على حبك واحترامك وقد جعلتني من الميل  
 اليك على شفا خطر .  
 ه و نعم . نعم . اسمع هذا الكلام . القلب لبيروس والذكر لمن اتلفه الغرام  
 ه و آه . ( نقول هذا بدلال وغنج وخيلا . وواخ ) لا تذكر بيروس فانا اكره  
 من يذكره  
 ه و بل تكرهين من ينكره او من لا يشكره . يا لهجب كيف تنظرين الي نظر  
 الموارب . تريدن ان تحبي اورست ولا ترين ما يستحق الحب فيه . ويبدو لك  
 الحب بلا سلاح وربما عصيته وانت تريدن ان تطيعيه . واقسم انك تدافعين عن  
 بيروس وربما كان ذلك بالرغم منك . وهو غير راض بذلك لان قلبه المائل عنك .

لا ...

هـ و من قال لك هذا وهل رأيت بي ما بدلٌ عليه . فان كان لا يميل اليّ فاني لا اميل اليه . فحنّامٌ تحنقرني

هـ و انا استحقّ هذا الملام . ويليق بي هذا الكلام . انا احنقرك وعيني لا تنظر اليك نظرة وداد . ولو نظر بيروس اليك بعيني لنتت المراد

هـ و سيدي سواء عندي ان اقبل او هجر . وان وفي او غدر . فاذهب واحمل عليه بجيوش اليونان . وجاهز علي ما ابدى من العصيان

هـ و سيدي هلم بنا قبل ذلك نذهب . الي حيث يكون لك في كل قلب مطلب . تعالي واحكي بالقلوب . ولنتحد لتنال المطلوب

هـ و ولكن اذا اقترن باندروماك

هـ و كيف العمل . . هدم مصيبة

هـ و ألا يلحق بنا العار اذا اقترن بفرية

هـ و ان انكر الصبّ الهوى فدموعه في وجنتيه تخطف عنه سطورا

لا تستري وجه الغرام بفرقع ان الزجاجة ليس تخفي النورا

هـ و حنّامٌ تستنج من بنفي الوداد . وتخالف من كلامي المراد . رح وقل لبيروس

ان عدو اليونان لا يكون صهرهم فاما ان يسلمك هرميون او الفلام . فليختر من الامرين

مارام

ثم نثد علي قد (يا من اسرني بالجمال)

او ان يسلمك الفلام . حالا كما صار الكلام

او انني امضي فلا ارضى البقا في ذا المقام

لم ارض ببد العز في ذلي ولا اخشى الملام

فاذهب وباشر ما عسى ينفي الي نيل المرام

### الجزء الثالث

اورست

و

و و ليس بدعا اذا غدوت مجيبا عن سؤال عنه السؤال جواب

تم ما رمت والزمان وفي لي وقد انجاب عن نهاري الضباب

كلمة واحدة تكفيني . بيروس يجيب بالايجاب . وهذا بلا ارياب . بالسرور اي  
 حظ واي انتصار مبين . فليحفظ بيروس ترواده وهكتور وارملته وابنه ومن شاء من  
 الترواديين . حسبنا هرميون عادت الينا فلا ننظر بهد ساحلك يا ابيرة ولا تشناق اليه .  
 فلتشكلم ونطلب . . ايها المحبة ظلي عينيه

الجزء الرابع

اورست بيروس فنكس حاجبان  
 و ب ف ح

( يحرمان بيروس )

ب و سيدي كنت اطلبك لا خبرك ان الغضب . جعلني ارفض ما جئت لاجله  
 من الطلب . واني بعد انفصالنا فكرت فيما قلت من الكلام . الجدير باللام . وعلمت  
 اني برفضي طلبك اقوام اليونان واني وانافض ذاتي لا محال . واحيي تروادة بعد موتها  
 او اعزها بهد الاذلال . واجعل ما صنعتها وصنعها ابي ناقصاً مع المقدرة على التمام . واني  
 لذلك اعتذر اليك وعماً قليل اسلمك الغلام

و ب الان هديت الى الصواب . ووفرت عنك وعننا معاناة الاتعاب . ومنعت حرباً  
 نقضي على الاوراح بالذهاب . وعلى الاموال بالنهب

و و وبلاه لقد فسد التدبير وساء المصير

ب و واني قد عزمت على ان از يد الرضا توطيداً . والصلح تأكيداً . بأن اقترن  
 بهرميون وانت هنا . تشاركنا في المسرة والهناء . والظاهر ان اقتراني بها كان يترقب  
 بحيثك لتكون من الشهود . على تجديد اليهود . فانت تنوب عن ابها وعن سائر رؤوس  
 اليونان . فسر اليها واخبرها بما كان

و و ما كلاً يعني المره يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن  
 ( وبذهب )

الجزء الخامس

بيروس فنكس الحاجبان  
 ب ف ح

ب ف كيف رأيت . الاتزال تزعم اني بفلبي الغرام . . لا لا . اعلم اني لا اُغلب

واني ابن اشيل الهمام

ف ب الان انت كما ترضى العلى رجل يلقى الصروف بقلب ما به وجل  
اصبت نصرأ على نصر وخبرها نصر غريمك فيه الأعين النجل

ب ف اجل هذا اول انتصاراتي . وغزوة الحب أكبر غزواتي . فقد حاربته ورجعت  
منتصراً ظافراً . وعاد منغلباً خاسراً . لقد لاح هلال سعدي . وهذا بداية مجدي .  
تأمل يا فنكس ان نظرة . كانت كافية لتورثني الف حسرة . وتبليني بعداب واضطراب .  
ومقاومة اهل واصحاب . واهمال واجبات . وارتكاب سيئات

ف ب . ولجفائها يد في هذه القضية . فهو الذي انتذك من هذه البلية

ب ف اصبت لقد تجاوزت الحدود . بالصدود . وقابلتني بما لا يحتمل . من التجني  
والملل . ومما زادني غيظاً انها حين امرتها بوداع ابنها . ذهبت وهاجت بالبكاء نار  
حزنها . فرأيتها وهي تسكب الدمع وتذريه . معانقة ولدها وقد كررت مائة مرة ذكر  
ايه . والنفتت الي . وهي تقول هذا هكتور الفريد . هذا بعلي المجيد . عيناه تشبه  
عينيه . وكل ما فيه يدل عليه . ثم عادت اليه فعانقته قائلة انت بعلي وانت ولدي .  
انت قصدي وانت عضدي . فأيقنت انها تروم ان تحمي ابنها لتثني به نفسها من الآلام .  
وتثني نفسي وتضرم فيها نار الغرام

ف ب هذه عتبي هوى الغيد . مذلل الصناديد . وجاعل الملوك كالبيد . والباسل  
كالرديد

ب ف زعمت بأني لا احول عن الوفا صدقت فاني عنه لست احول  
لكن هجرت نعم هجرت نخلها تبكي وتندب حظها وتقول  
وامر ما لاقيت في اسر البلا قرب الخلاص وما اليه سبيل  
كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

ف ب لقد تم لنا ما نتمنى . ونفي العناعنا . فسر بنا مولاي الى هرميون وابلق من  
الاقتران بها منك

ب ف وهلا يسوه ذلك اندروماك

ف ب انا لله وانا اليه راجعون . لا تزال مشغلاً بذكرها . ومهتماً بأمرها . وماذا  
عليك بعد هجرها . من غضبها او رضاها . ومن اقبالها او جفاها

ب ف لله يا فنكس ان قلبي لا يزال . . . لا اعلم ماذا حل به فهو يطلب الرجوع  
عن هذه الحال

ف ب اجزل الله عليك النعم ايها المولى الهمام  
 لا ثقل لا بعد قول نعم ليس ذا شأن الكرام  
 ب ف لا تخف يا صاح عود العنا بعد ما حاذرت  
 ان قلبي وهو قلبي انا لو جفا غادرت  
 ( بنشدان ذلك على قد « شمس خدر تنجلي فوق بان » )

كيف اعود اليها وقد هجرتني وهي اسيرة . ذليلة حقيرة . واني لو خاني طريفي  
 لقاشته . ولو جفاني قاي ما صحبته . فانا اسلم ابنها الى اليونان . واعاها بعد المودة بالعدوان  
 ( ثم ينشد فنكس مع جوقه للملك )

( على قد « العيون النرجسية » )

في سما الأانس لدينا قمر الاصلاح لاح  
 وبما احدى الينا طائر الافصاح صاح  
 قد نأى وجه العناء ودجى الانراح راح  
 فسكرنا بالهناء انما الافراح راح

\*\*\*

طاب الهناء لنا وقد نلنا المنى وبدا هلال سرورنا  
 والغم عنا قد نأى ودنا الهنا بدنو انس نصيرنا  
 ( على لحن « تلك المنازل والقصور العالية » )

( نشيد )

نالت مزيد الهناء انفسنا من بعد ما كاد يقطع الامل  
 قدمت يا بدر يا غمامة يا عالي الدرى يا همام يا بطل  
 يا شههم يا سهم يا مهند يا ليث الشرى يا همام يا رجل

الاكرك

قد بدا لنا بعد الظلام  
 ونأى العنا يا ابن الكرام  
 قدم ما انجلي بدر التمام  
 يا من علا على العلى بين الملا  
 واسلم ما حلا حسن الختام

## الفصل الثالث

## الجزء الاول

اورست بيلاذ

و د

كفالك حزناً وغماً  
قد ذبت فيه سقاماً  
مولاي فالحزن يفضي  
وكاد يخفيك عني  
كفى . . . . .

... ابيلاذ دعني  
تبعت رأيك لكن  
فالدنب منك ومني  
لشقوقتي لم يقدني  
... ابيلاذ دعني  
تبعت رأيك لكن  
مشمتم عيشي ودهري  
ولا ازال حزبتنا  
ومنيبي ذات حسن  
فاعلم صديقي اني  
ان لم انلها فاني

د و احسنت . . . تأخذها . كيف كانت الطريقة التي نتخذها . ولكن هل تبصرت  
فيما نقول . لم تو مانعاً دون ذلك يحول . تأمل ومر عيونك ان تكتم سرتك . واخف  
عن هرميون امرك . ولا تتدعك الظواهر . فقد تخالفها السرائر . انظر الى هذا القصر  
وما حوله من العساكر . هو لاه الحرس وما دون مقاومتهم من المخاطر . كلهم لبيروس  
وهرميون له ايضاً لا محال . فكيف تخطر لك هذه الافكار في مثل هذه الاحوال  
د و ان زمامي ليس بيدي وقد فقدت الرشد . من شدة الوجد . حتى كدت احجم  
عليه وعلى من تهواه . بلا مبالاه

د و وهل تكون نتيجة هذا العمل . غير الفشل  
د و ولكن اي نفس تلقى ما لقيت . وتشقى ما شقيت . ولا تخطر لها هذه الافكار .  
ولو كان دون نفوذها اخطار . فقد طالما صبرت للصبر وعانيت جزيل عنائه . وكيف  
اصبر وفي الغد يقترن بيروس بهرميون واقدمها اليه بيدي وليتها تلتطخ بدمائه

د و ولماذا . . . وهل تحسبه راضياً بهذا الاقتران  
د و لا لعمري . . . انه لا يقترن بها الا ليلسبني اباها ويضرم في قلبي النيران .

وأسنى لقد أصبتُ بالفشل . بعد ان كدتُ ابلغ الامل  
 د و ان هذا لمن الزعم . او بالاولى من الوهم . فانها تحبُّ بيروس ولو غدر . وتروم  
 قربة ولو هجر . وان اغريتها بتركه فكلمة واحدة عن عزها تشنيتها  
 و د ولذلك اريد ان اسببها

كيف ارضى بأن اسير وتبقى بسرورٍ وافٍ وقلبي يشقى  
 ضعفت همتي مصائب تترى واتاني البلاء غرباً وشرقاً  
 كم اراعي وقتاً واكظم غيظاً ومصائباً وكم من الحب ألقى  
 لا تلمني اذا رأيت اضطرابي يا أنيسي انا الذي متُّ حقاً  
 متُّ حقاً لكننا بعد موتي من به متُّ لا يعيش ويبقى  
 سوف يلقي بيروس مني فني لا يرهب الموت اي نعم سوف يلقي

د و نعم الآراء . وما تكون نتيجة سفارتك؟ لقب سفالك دم : ( يقول ذلك سائلاً  
 مستفهماً )

د و لا اعلم . . . ولكن الا تحبوني في هذه الظلمة ان عدت بالخيبة من هذه الديار .  
 فغير لي ان يتعجب اليونان من فعلي من ان اكون اضمحكة في ابيه وألبس رداء العار .  
 اني ارى الحق في يدي فأني شرع يحكم علي بائداً . ولا يتجاوز في حكمه الحد . اما  
 انت فقد تحملت في المودة تعباً . ولقيت نصباً . فدعني وكلني الى تدبير الاقدار . اذهب  
 وخفي ما بين الاخطار . رخذ الى اليونان الغلام الذي أسلمه بيروس الينا اذهب  
 د و فلنذهب سيدي ونحجر ما نرغب . فلا تغضب . اني ارافقك في الاخطار . حتى  
 تنال الاوطار . فسر بنا الى اصحابك اليونان نشطهم ونحسن التدبير . فراكبنا مجهزة  
 والريح تنادي بنا طاب المسير

د و اني شاكر لك ايها الصديق . فأنت خير من برجى في الضيق . وارجو ان  
 تغفو عن ناعس زاد بأسه . وفقد كل من يجبه فكرهته نفسه  
 د و افديك مولاي بخفف عنك الالام . وتناس خيانة هرميون . ها هي قادمة  
 الى هذا المقام

د و سر انت للتدبير وعلى الالهة التبشير

## \* الجزء الثاني \*

- اورست هرميون كليون  
 و  
 ان مسعاي قد انالك فوزاً وسعوداً لا زلت بالاسعاد  
 عاد بيروس طالباً منك قرباً فتهني بالتقرب بعد البعاد  
 بلغني ذلك وقيل لي انك تطلبني لتخبرني بالخبر  
 اراه خيراً يزيل عنك الكدر  
 لا يجلب الفرح . ولكننه لا يجلب الترح  
 لك الهناه . . . . . تهني وانا اقوم بالدعاء  
 ولا انكر انه ربما فضل مصلحته على محبه . وان لعيو في سلطنة على مهجتك  
 لا على مهجته  
 و لا ياسيدي فهو يحبك . ولولا ذلك لما طاب له قربك . ولحظك الفزال  
 لا يحوك الا ما يرضيه  
 ان الشرف يا مرفي بذلك فلا اقدر ان اعصيه  
 و اصبت فلا سوى حظي يلام ولا عتب عليك ولا ملام  
 واني لا ألومك غير اني اذوب اسي كما شاء الغرام  
 شكا قلبي عذاباً بلتقيه فقت اصب كما صبر الكرام  
 فقال وقد اصاب بسهم غدير على الدنيا وبهجتها السلام  
 ه ي اسمعت هذه الشكوى التي تحزن القواد  
 ي ه هو المعلوم فانه لولا نهازته لنال المراد . وما كان بيروس اجابه الى ما طلب .  
 مخافة ان يبلى بالمطرب  
 ه ي بيروس لا يخاف فقد سارت بشجاعته الامثال . وما له فيها مثال . فكأنك  
 لا تزين بي ما يستحق الميل . حتى حملت ميله الي على خوفه من الويل  
 ي ه لا ولكن لكل قلب جاذب . وللناس فيما يعشقون مذاهب . . . ان اندروماك  
 آتية . وهي باكية  
 ه ي لا اقدر ان امنع نفسي من الطرب . ولكن ماذا اقول لها . . احسن ما  
 اراه الحرب

## \* الجزء الثالث \*

اندروماك هرميون كليون سفيز

ك ه س

« اندروماك تدخل وهرميون تكون على عزم الخروج »

ك ه مهلاً فاني في حماك ومالي من ذلة كي تقطعي آمالي

وفقدت بعلي في القتال ومالي والدرلي كاس المذلة مالي

الله من ذل العزيز الغالي

ابكي على ولدي ودمي جاري كالغيث لكن ليس يطفي ناري

سلبوا بما طلبوا يسير قراري لا تسلبوه فان حفظ الجار

فرض على اهل المقام المالي

قد صنت لك يوم راموها بشرت ومنعتها من ان يدانيتها بشرت

فاحمي فتى ألف الكآبة والكدر حيران ما بين السلامة والخطار

حتى غدا سقماً خيال خيال

ك ه ان حزنك يحزني ولكن واجباتي تمنعني من تميم هذا الطلب . اما بيروس فلا

اعز منك لديه . وقد تسلط لحاظك مدة عليه . فدعها تكلمه ونقدّم في ذلك

( وتذهب )

اليه

## الجزء الرابع

اندروماك سفيز

ك ه س

ك ه س بقلبي من اذى دهري لهيب لدمعي فوقه اي انسكاب

فلا تطفي الدموع لهيب حزني وغير القبر لا يطفي النهائي

كربت معدني ليس يطفي بقاء وهو يطفأ بالتراب

( ثم تزد على لحن « يا بدر جنح الغياض » )

انوح نوح الثواكل والدمع جار وسائل

والقلب راج وسائل وما لصبري وسائل

في مثل هذه المسائل

( ويلبي ذلك )

ان قهري خان . واصطباري خان

خبيث المي . هذم الاحوال

من لنا بالهنا . والعنا قد دنا

غير محتمل . حمل ذي الاحوال

س ك سيدتي دعي الغم فنظرة واحدة منك تكفي فتنتني عنك الاحزان . ونفلق

هرميون وكل اليونان

ك س إي والله لا بد من هذا الامر . فأنا اجاريه وان كنت افضل على ذلك

بجاورة القبر

سأجاريه وللدهر احتكام وفؤادي فيه من حزني ضرام

مقصدي يرر لي واسطتي هكذا قال لنا بعض الانام

س ك سيدتي انه ات ها هو قد دنا

## الجزء الخامس

بيروس فنكس سفيز اندروماك

ب ف س ك

ب ف ابن الملكة ألم ثقل لي انها هنا ( معرضاً عن اندروماك )

ك س أ رأيت سطوة لحاظي

ب ف ماذا تقول

ك ك تركت بلا معين ولا مجبر

ف ب هلم بنا نتبع هرميون

س ك ما هذا الانتظار انه يسير

ك س انه وعد بتسليم ابني

س ك قد وعد بذلك ولا يخلف الوعد

ب ب يا لهجب . انها لا تزال تُعجني وتُعجب

ك س وا مصيبتاه اني از يده غضباً فلنذهب

ب ف فلنمض من هذا المكان . وتسلم ابن هكشور لليونان

ك ب لله مولاي مهلاً فأنت اعظم حلماً

ان رمت تسليم ابني سلم مع الابن أما  
مولاي كنت حلماً لم تأت من قبل ظلماً  
عذبت قلبي شديداً كأنني جئت جرماً  
فاسمع فانت كريم أباً وخالاً وعماً

\*\*\*

أمولاي رفقا فالدموع سواخ وكاسات حزني بالمصاب طواخ  
فسامح اذا ما كنت ذات جريمة فانت كريم والكريم سامح

(ثم تقول على قد: «يا من حوى الخد الاسيل»)

وأرحم فقد أضني الألم جسمي واضواه المذاب  
والحزن عندي قد ألم بمهجتي والقلب ذاب

ب ك قد وعدت به

ك ب ألت الذي كان يدعي حبي

ب ك كنت اعمى فصرت بصيراً فمصبت قلبي

ك ب ان اندر وماك تجشو لديك واني الله ان تجشو لدى غيرك من المالمين

ب ك لا تداهني من تبغضين

ب ف سر بنا يا وزير (يقول ذلك بغضب ومعرضاً عنها)

ك س وانا اسير لألحق بعلي فهو لي خير مجير ... (وتهم للذهاب)

س ك سيدتي ...

ك س وماذا افعل

ك ب مولاي رفقا بقلبي واشفق على سوء حالي

فانت تلم افي فقدت اعلي ومالي

رأيت بعلي قتيلاً يجره فوق الرمال

ووالدي الشهم ايضاً قضى بذاك القتال

لم يبق لي غير طفل من اسرتي ورجالي

مولاي قد ذاب قلبي مولاي رفقا بحالي

ب ف اذهب يا نكس وانا اتيك بعد حين (ويذهب فنكس)

شاهد على الدرر الذي هو  
برر ما به يبلغ ما اندر  
الجزء السادس

بيروس اندروماك سفيز  
ب ك س

ب ك سيدتي ابن من عليه تبكين . انا اعلم اني كلما زدتُ نقرًا با زدتُ تحببًا .  
وقد كنت احسب بغضي اعظم مما ارى . ولكن جرى حكم الغرام بما جرى . انظري الي  
اترين في عيني صورة حاكم ظالم . ألا ترين فيهما خنوا ثابتًا بانعطاف ملازم . واني اسألك  
بابنك الذي تحبينه ان تخفني بغضك وترفعيه . وارجو منك ان تحفظي ابنك وتنقديه .  
وهل يقتضي ذلك ان انطرح بين بديك . او اجثو على قدميك . وبالنتيجة انتقديه  
سيدتي وانتذي ذاتك . واحفظي بحفظه حياتي وحياتك . واعلمي اني الا في دون ذلك  
احوالاً ومهالك . ولكنني احبك فانا اترك هرميون ان رضيت بي . واقدم لك قلبي .  
والبسك من المجد اكليلًا . وارى كل ذلك بالنظر الى ما تستحقين قليلاً . ويجب ان  
املك مستبدًا فان العاجز من لا يستبد . واني في طلب ذلك مجدًا . . . . . ولا  
اخاف وهدأ ولا وعيدًا . فانا اموت ان خسرتك على اني اموت ايضا ان زدت صدودًا .  
فاعلمي اني سأذهب بك الى الهيكل فاما ان تقبلي فيه اكليل القران واما ان اسلم ابنك  
الى اليونان  
( ويذهب )

الجزء السابع

اندروماك سفيز

ب ك س

ك ك احرق الدهر بنار كيدي عند ما راموا بشرتي ولدي  
انت يا هكتور عزي عضدي سيدي ركني بعيري سندي

\*\*\*

اقصروا اللوم وكفوا العذلا لست ارضى من حبيبي بدلا  
لا وحق الحب يا هكتور لا ما قيادي يا مليكي في يدي  
( تنشد ذلك على لحن : يا غزالي كيف عني ابعدوك )

س ك فلنذهب اذا ويسلم ابنك الى اليونان

ك س وبلاه يموت ابني . ابني خايفة مكشور بقية ابطال الزمان . سفيز دعيني  
ابك عليه . او هلم نذهب الى بيروس . . . لا لا اذهبي انت اليه  
س ك وماذا اقول له

ك س قولي له ان حبها لابنها شديد . . . . . وهل تظنين ان ما قاله عن عزمه  
على قتل ابني اكيد

س ك سيدتي سيأتي الان

ك س اذهبي

س ك وماذا اقول . هل اتده عنك بالقبول

ك ك ( نقول على نم : ومن عجيبي ان الصوارم والقنا )

ايا دهر كم بالصابرين تجور وما من نصير في بلاك يجير

فسد واحتمك واظلم واذب كما تشا فان فواديه بازمان صبور

س ك ( من النعم ذاته )

مهيلاً سنقضي الامر آلهة الوري وايس عليهم في الامور عسير

ك ك لقد ذاب يا مكشور قلبي ومهجني بها من زماني لوعة وسعير

ثم نقول اندروماك مع سفيز

( الاكرك )

اما كفي ما قد جرى فالسقم بالجسم مري

قد فاز من قد صبرا فالصبر اولي ما اري

والدهر بيدي العبرا كما يروم

\*\*\*\*

لقد جنى دهري العنا وحل بالجسم الضنى

وقد نأى عنا الحنسا والنم وافي ودنا

نارفق بنا ياربنا انت الرحيم

# الفصل الرابع

## الجزء الاول

اندروماك سفيز

ك س

س ك قلبي اشتقى وبدا هلالُ هوائهِ  
انقذت طفلاً سوف يجي ذكر من  
ك س انقذته ٠٠ وبلاه ٠٠ عز تصبيري  
هيا بنا نلقاه آخر مرقة  
س ك وبلاه ما .....  
ك س ..... لا تعجبي ان كان لا  
هكتور لا تجزع فلست اخون من  
هكتور يا خير الوري هكتور يا  
هكتور انت رجلاه قلبي لا سوا  
لبيك افي مثلاً شاء القضا  
هذي يدي لقضي لبانه مهجتي

س ك مولاتي بالله ما هذا الكلام

ك س اواه با سمي رتي ٠٠٠٠ لا بد لي من شرب كأس الحمام . واترك ابني متكلمة  
عليك . وقد عهدت بتربيته واصلاح حاله اليك

س ك لا تزيد غصتي . فانا اتبعك  
واجعلي من حصتي . ان اواني معك

( على نعم اشرفت شمس الكمال )

ك س ان كنت تحبينني فابقي للاعتناء بابني الا تملكين انه خلاصة السعادة . وانه  
بقية هكتور وبطل تروادة . فانت تتولين امره وتسيرين به على سنن اجداد الكرام .  
واسألي بيروس ان يحافظ عليه كي لا يضمام . واني اقبل ايضاً ان تسألينه في ذلك عني  
واخبري ولدي في كل يوم انه من دم هكتور الجليل . الذي اجود بروحي ولا ارضى  
منه من بديل

س ك لله ما هذا المقال قد عز مني الاحتمال

ك س      من برحم الفؤاداً بين الوري  
س ك      اما كفي وزادا ما قد جرى

(نعمه تركي «بردل كوزل ياندم سنا»)

اصمعي اني اسمع حركة من هذه الناحية . . . فلنذهب هذه هرميون آتية  
(وتذهب)

### الجزء الثاني

هرميون      كليون

ه      ك

ي ه      لا اقدر ان اسكت عن تهاونك فالامر مني . وهو سيقترن باندروماك  
ويتركك تنقلبين على جمر الفضا

ه ي      آتيني باورست لتتذاكر فيما يشفيني ويشفيه

ي ه      ها هو آت فكأنه علم بما نحن فيه

### الجزء الثالث

هرميون      كليون      اورست

ه      ي      و

و ه      بلغني انك تسألين عني فأجابت ولو استطعت لسعيت على العين والرأس

ه و      طلبتك لأعلم ان كنت تحبني فأزيل عني الالتباس

و ه      تسألني ان كنت صبا بحبها يحيبك دمي وهو منك صبيب

سلي حسرتي اولوعي او تدللي فلي شاهد مما ترين يحيب

انتقم لي فاصدق بما نقول

و ه      لبيك يا سيدتي فانا عن القيام بامرک لا احول . فلهم نضرم النار ثانية في

اليونان . فانت في مكان حلين وانا في مكان ابي اغامنون ملك ملوك الزمان . ولنجلب

البلاء على هذه الديار . ونجعل اخبارنا تتناقلها الاجيال في الاعصار

ه و      لا لا فلنبتق فاني لا ارضى بهذا الكلام . كيف ارى الاهانة هنا واسير الى

اليونان منتظرة هنالك الانتقام . ولعمري فاني اريد ان ابكي كل من في ابيرة قبل ان

اسافر . فاذهب الى الهيكل ولطخ سيفك بدم هذا الغادر

و ٥ دم من

و ٥ بيروس

و ٥ بيروس سيديتي

و ٥ نعم نعم فهو غادر ولا يحسن الصبر . على اهل الغدر

و ٥ سيديتي اري ان الغيظ قد اخذ منك كل ما اخذ حتى ستر عنك الحقيقة .

نتقم . مناسب . ولكن بغير هذه الطريقة . واكون عدو بيروس ولا اكون قاتله .

فهو فعل لا يحسن ان اكون فاعله . والاولى ان نشير عليه حرباً عادلة تهلك انصاره .

وتحرب امصاره . فهل تؤثرين ان اعود الى اليونان برأسه بلا سبب . وماذا تكون

نتيجة سفارتي فاعدلي اذن عن الغضب . وافتكري انه ملك جليل . وان رأسه ذو

اكيل

و ٥ ألا تكثني بحكي عليه . والا ترضى باحتقاري ذنباً يسوجب القتل . فاقته

فاله يحسن في عيني هذا الفعل . واعلم اني كنت احبه ولا افضل عليه احداً . وان

احتقرتني اليوم فيمكن ان احبه غداً . والظاهر انك خلي البال . لا قبالي بهذه الحال

و ٥ نقول خلي البال عني وما رأيت خواني فواد حشوهن عذاب

مقام ووجدت واحتراق وانها صنوف عذاب في الغرام عذاب

و ٥ فانتقم لي ان كنت صادقاً

و ٥ سيديتي مناسب يجب قتله ولكن ما العمل وما التدبير . اتريدين ان بدأ

واحدة تقاوم مملكة ابيرو . واي سبيل الى ذلك . تأمرين بقتل ملك ولا تفسحين لي

بفرصة يتضيق بها خطر العمل . اتريدين ان اقتله بين شعبه حيث ليس بالنجاة امل .

وادنس الهيكل بهذا العمل . فانا شك الالهة ان تتأني فاني في مساء هذا اليوم اهي لقتله

امشي الاسباب وفي هذا الليل طوعاً لأمره اقتله

و ٥ ولكنه سيقترب باندروماك في هذا النهار . وماذا يعوقك عنه فهو يقدم

لك رأسه لضربه وهو بلا حرس «اورست بنفسه»

خلدت يا حبه ذكر الهم في خلدي وكابدت منك انواع العنا كبدي

فما صبري وهب الدمع يندبه حتى بكاه بكاء ام علي ولد

ما زلت تطلب صبري غير متشبه حتى تسلمته مني بدأ يبد

فليت شمسك لم تشرق على وطني وليت بدرك لم يطلع على بلدي

لكل صاب على علاته امد  
 با من أصيبت بسهم الهم مهجته  
 الا اذاك فلا يجري الى امد  
 واستوقف الدمع ان نالته نازلة  
 و و . و يلاه قد اطلت الجدال فحق لي الملل . و اراك تريد ان تشكو ابداً ولا  
 تجري شيئاً . فلا تمس اذا لم تنل شيئاً  
 و ه . لله ما يفعل الغرام  
 صبراً على كل ما قضاه  
 فلا اعتذار ولا ملام  
 طوعاً لما رمت من محبة  
 للحب يا مهجتي احتكام  
 فسوف يلقي بيروس مني  
 فانك القصد والمرام  
 واليوم تبدو سوق المنايا  
 فتي لديه طاب الحمام  
 ان لم امت في الوغى قتيلاً  
 وبيننا ينصف الحسام  
 تفديك روجي وانت روجي  
 لا ندبت فقدي الكرام  
 الي مني فلا الام  
 و ه . رح وانك السفن مياة لركوبنا في الحال  
 ( اورست يذهب )

الجزء الرابع

هرميون كليون

ه ك ل م

ي ه . سيدتي اضمت رشدي في هذه الاعمال  
 ي ه . نعم لا بد من الانتقام فليمت لأشفي من حزني . و اذهبي يا كليون واخبري  
 اورست ان يقول له عند قتله انه يقتله عني  
 ي ه . سيدتي اري الملك مقبلاً  
 ي ه . سارعي اذا وقولي لاورست ان لا يجري شيئاً قبل ان يقابلني

الجزء السادس

بيروس فنكس هرميون

ب ف ه

ب ه . اراك الان ولا ريب انك تربتني ذات استغراب . وقد رغبت في مقابلتك

لا بو عيدي او وعد كذاب . بل لاخبرك ان جرماً ارتكبته بالرغم مني يقودني اليك  
بنفس ذلها الوزر . وهي تطلب العذر . اني احب تروادية وقد عزمت على الاقتران  
بها على معرفة ما بيننا من العهود التي لم تبرم على وجه شرعي . وقد تمذّر علي ان اجعل  
هذه العهود تتغلب على ميل نفسي . وما كنت لولا ذلك لا نقض عهدي . واخلف  
وعدي . فلك الان ان تسميني خائناً او منخلع القلب اذا لم تؤثر الصبح عن قلب قيده  
الغرام فأصبح لا يستطيع منه انفكاكاً . واصبحت لا ارى له في غير هواه حراكاً .  
واني لا أخاف سكونك اكثر مما اخاف كلامك

هو الحب حتى ينفد العزم والصبر  
فلا منجد ان جار وهو محكم  
اذل فوادى وهو في العز رافع  
ومن عجبى اني اخوض الوغى ولا  
وأغشى الظبي والموت رهن مضائها  
وها اناني ذا الحب رهن احكامه  
ب ه اين المرؤة شيمة الابطال  
اين الوفا شأن الكرم واين من  
من كان لا يلويه ليث رهبة  
بطل تحاذره الاسود اذا سطا  
يا من اتاني بعد ان تنقض الولا  
أكبرت نفسك وهي صبرى بالهوى  
عار عليك عليك عار دائم

ب ه سيدتي يجب ان تسدي الآلهة شكراً على ما مهّأت لنا من سبل الانفصال .  
لانه بلوح لي ان قلبينا لم يخلقا ليكون بينهما اتصال . وقد كان علينا ان نطيل الاختبار  
قبل ابرام العهود . اما الان فلا يصح ان ينسب الى احدنا خيانه او اخلاف وعود . فان  
الخيانه انما تكون بنقض الوداد وهو امانة . فان لم يكن وداد فكيف تكون الخيانه .

وانت تعلمين اني لم افعل ما يملك على حبي . فرجما كنت بذلك تكرهين قربي

ب ه انتكر حبي والمدامع تبديه  
وينشره سقمي وصدك يطويه

اتيتك والامال مل خواطري  
وقلبي يصفو والزمان يصابيه

فعاملتي بالقدر ياساقط الوفا  
واورثتني سقماً تراه ويرويه

وما زال قلبي وافيًا وهو ذائبٌ متى انت تشفيه وحتى م تشفيه  
 علي انه اذا كان لا بد من انفاذ مرامك فاسمح لي ان يتم ذلك بعد ذهابي . ولا  
 تزدد بمرأى خيانتك عذابي . واني اعدك بسرعة المسير . فلا تجزع من التأخير . . . . .  
 ما بالاك لا تجيب . . . . . لا بأس فانك مصيب . فأنت تحسب الدقائق التي تصرفها  
 معي الان لانها تعوقك عن مشاهدة اندروماك . افرح واهناً بقربها وقدم لها قلبك في  
 الهيكل ولكن خف ايضاً من ان تراني هناك  
 ( وتذهب )

### الجزء السادس

بيروس فنكس  
 ب ف

ب ف مولاي سمعت وعيدها فلا تأمن عاشقة وقعت في اليأس وهي تطلب  
 الانتقام . فان اليونان الذين هنا يساعدونها واورست لا يزال بها ذا غرام . فافكر فيما  
 قلت وحاذر . . .

ب ف ان اندروماك تنتظرني فحافظ انت على ابنها بالعساكر

ب ف الامر اصبح يا نصري في خطر يحذر من غادر  
 ذلك ما يحظر في خاطري والامر في ذلك للامر

( على لحن « لحظك يا بدر خدا ظالمي » )

ف بنفسه ( يقول على لحن « مشرق بالحسن بدري » )

قد خدا خوفي عظيماً ايها الملك الهام

وأرى خطباً جسيماً قاضياً بالاهتمام

كن بما تبدي حكماً نال ذو الرشد المرام

فهي قد زاد جواها بمماناة الغرام

واذا زاد بلاها رغبة في الانتقام

لا ثقل عزمي وحزمي وجنودي والمقام

وذاكا عقلي وعلمي وثباتي في الصدام

كم بعوض دون عزم اسد منها بضم

فكرك السامي سليم فاذا ضل تلام

ايها المولى الكريم احسن الله الختام

الفصل الخامس

الجزء الاول

هرميون

٥

٥ لذاتها

اين رشدي.. ماذا جرى.. ما احتيالي  
 كيف انجو من البلا والوبال  
 فغرام غريم قلب كليم  
 وظلوم بنكبتي لا يبالي  
 جار ظلاما فغار قلبي وراح  
 يم يشقيه وهو ناعم بال  
 لا لعمر بي فسوف يلتقي جزاه  
 يا الهي رفقا به وبجالي  
 كيف يقضي وجهه في ضميري  
 وبه لوعتي ومنه انتحالي  
 ربما عاد عادلا بعد ظلم  
 انت ترجو يا قلب عين المحال  
 فليمت.. فليمت.. ولكن فؤادي  
 عنده قد ثوى بدون ارتحال  
 كيف اقضي بقتله وهو روجي  
 اين رشدي.. ماذا جرى.. ما احتيالي

الجزء الثاني

هرميون كليون

٥ كلاي

٥ ي ما وراءك يا كليون . ماذا فعل بيروس  
 ٥ ي رأيتُهُ ذاهبا الي الهيكل وقد لعب الطرب بعطفيه . واندروماك بين يديه  
 وهو ينظر اليها . نظر من لم يصدق بالحصول عليها . اما هي فقد رأيتها تسير وهي  
 حزينة كأن هكتور نصب عينها  
 ٥ ي بالخيانة . وهل تأملت فيه وهو على تلك الحال . ألم يخجل عند ما رآك  
 ٥ ي انه لم يسأل عن هذا الامر . فان السرور انساه القصر . وهرميون وجميع  
 البشر . وقد اقام الحرس لحفظ ابن هكتور زاعما ان الغلام وحده في خطر  
 ٥ ي وماذا قال لك اورست

ي ٥ دخل هو واصحابه اليونان الى الهيكل  
 ي ٥ وهل هو مستعد لتتيم الامر  
 ي ٥ لا اعلم  
 ي ٥ ماذا تقولين . . . اورست ايضاً يخدعني ويقابلني بالغدر  
 ي ٥ اورست عبدُ غرامك . ولا يروم الاً لتتيم مرامك  
 لكنه بين الخافة والرجا يسري ولا يدري فأصبح فاكرا  
 اضحى بطالبه الغرامُ بقتله والرشدُ بشنيه فأضحى حائرا  
 ي ٥ لا لانه جبان لا يخاف الا الموت . ألا بتذكر الساقط الهمة ان امي اثار  
 من اجله حرباً دامت عشر سنين وقتل بها عشرون ملكاً وانا اسأله وهو يدعي حيي -  
 قتلَ خائنٍ غادر فلا يجيب

يا مهجتي زاد البلا فتزلني مما جري غماً ولا لتعلمي  
 بشس الحياة فليست أوثر حفظها يا مهجتي سميت من لم يقتل  
 فلا شفين النفس ثم اميتها فاذا اشتفت فكأنني لم افعل

### الجزء الثالث

هرميون كليون اورست  
 ه ك و

( اورست يدخل وثوبه ملطخ بالدم ويده خنجر يقطر دماً )

و ٥ قد تم الامر . بيروس لاقى في الهيكل جزاء الغدر  
 و ٥ مات ( تقول ذلك سائلة بلهفة وارتعاد )  
 و ٥ اجل لقد تم امرك فاني سرت الى الهيكل باصحابي اليونان فنظر الي الخائن  
 غير مبالي بي وادنى منه اندروماك وتوجها قائلاً ملكتك نفسي وابيره واني لأحفظ  
 ابنك ولو طلبه الثقلان . فلما سمع اصحابي هذا الكلام . هاجوا وماجوا وطاب لهم شرب  
 كأس الحمام . فاخترقت بهم الجمع وبات بيروس محاطاً بهم لا يعلم من اين يأتيه البلاه  
 رأى أسداً ماراعها الموت في الوغى يروع قلوب العاشقين زئيرها  
 تدك الجبال الراسيات بعزمها وان سل سيف تلتقيه صدورها  
 واسيافا والموت رهن مضائها حداد مواض ليس بطنى سعيرها  
 احاطت به كالعاصفات فلم يكن ليدفعها رداً وعزمي بشيرها

انا ابن الذي لا يرهب الموت قلبه وتحمده الاحياء وهو نصيرها  
 و ما الذي فعلوا ( نقول ذلك بياس شديد )  
 و ارجوك المعذرة فان غيظهم افضى بهم الى العجلة واني اعلم انك توثرين ان  
 اكون انا قاتله دون غيري ليعلم وهو يلاقي الموت انه يموت عنك وبك ومنك  
 و لا كنت يا قاتل الشهم الكريم ولا لقيت اذنا ولا ذقت السرور ولا  
 لبست يا فظ عاراً لست تنزعه مدى الزمان فرح يا ابن الطنساء الى  
 و يا لهج مولاتي كيف تأمرين ثم تغضبين اذا نذ امرك  
 و وهل كان من الحزم ان تجاري عاشقة ذهبت النيرة بعقلها حتى هونت عليها ما  
 لا يهون اما كان عليك ان تراجعني مئة مرة قبل العمل . . . . . فانت المذنب انت الظالم  
 انت القاتل انت المطالب بدم ذلك البطل  
 قتلتك السماء قتل اللثام وسقتك الصروف كأس الحمام  
 رح ودعني فلم بعد من مراحي ترك هذي الديار فهي مقامي  
 ( نقول هذا وتخرج )

### الجزء الرابع

اورست

اورست لنفسه . . . . .

اما والتهى لم يبق دمري على رشدي  
 جنود الامسى قد نازلت ربيع مهجتي  
 كاني والأهوال زند ودملج  
 كأن البلا جاري وقد الف الوفا  
 كأن بنات النائبات شغفن بي  
 يترب مني الدهر من لا اروم  
 نقلص ظل الانس عني واقفرت  
 مصاب وذنوب وارتياع وحسرة  
 اثبط عزماً ضعضته نواب  
 اطعت الهوى وهو الموان معللاً  
 قتلت مليكاً ايدته يد العلى  
 فن منجد قلباً أصيب على عمد  
 فما حال فرد بين ذلكم الجندي  
 يضيق ولا ينفك عن ذلك الزند  
 وعاهدني قرباً فدام على العهد  
 فواصلني وصل المقيم على الوجد  
 ويقربني ممن يطيب له بعدي  
 ربوع سروري واقضى اجل السعد  
 تمددت البلوى على واحد فرد  
 وامنع رشداً بالضلالة يستهدي  
 بأماله نفسي تخاب به قصدي  
 وقاومت شخص العزم والحزم والمجد

وخالفت شرع الملك والوطن الذي  
 وذلك طوعاً للغرام وانه  
 لك الله يا من ذدت عنها فاعرضت  
 رويدك ما هذا الصدود وانني  
 قمت المنايا والظبي اترع الظبي  
 فيا زمن الاحوال حسبك ما جرى  
 ويا موت ما اشقى بعادك عن فتى  
 حنائيك جد لي باللقاء وانني  
 اليف عنك يبق دهري على رشدي ...  
 (يقول ذلك كمن سلب عقله)

## الجزء الخامس

اورست بيلا

و د

(بيلا يدخل مسرعاً مرتد الفرائص ومعه بضعة رجال من اتباع اورست)

د و سيدي يجب ان نخرج من هذا المقام . او نستعد لملاقاة الحمام . فان اصحابنا  
 اليونان . يمتعون الباب الان . وقد اجتمع الشعب وسارت فيه اندروماك طالبة للانقمام .  
 فانها اصحت بعد مقتل بيروس ارملة الحقيقية ونائبته في الاحكام . وربما كانت ترغب في  
 الجميع ادراك ثأره وثأر بلها فلنخرج ما دام القوم منشغلين عنا بامر هرميون فنبلغ السفن  
 قبل فوات الفرصة

و د لا لا نقد الف البلابل خاطري يا نفس لا تخشي البلابل خاطري

اني لاتبع هرميون فسر ولا تنقد اخا جرم اليف جرائر

د و دع ذكرها مولايس واعلم انها قتلت فصارت مثل امس الغابر

و د ماتت .....

د و ... اجل مذ عابنت محبوبها صاحت رويداً بالمليك السائر

وماذا دهاه فدته نفسي هل قضى ويعيش قلبي ليس عنه بصابر

وتسنت صخرًا ونادت قد دنا يوم اللقاء بذي صدود نافر

وبخنجر طعنت حشاها طعنة فحرت دماها كالغدير لناظر

وتنهدت والموت ارعش جسمها فعدت جوارحها كخنجر الطائر

و بنفسه

امطري ايتها السماوات سحب غضبك ..... ولا تبقي ..... ولا تذري .....  
 وارميني بسهام النواذب عن قوس الانتقام ..... واجعلي لي في وهددة اليأس مقاماً .....  
 أليس انا ..... من اوجدت لنظري به مثال غضبك ..... ليكون اتمودجاً للتعاسة .....  
 نعم وقد استحكمت علاقات المصائب ..... وبانت نفسي في دائرة اليأس ..... فلا يخرجني  
 منها غير الموت ..... نعم الموت ..... نعم الموت

ارشدوني اين جسم العاشقين      لست اطوي بيننا شقة بين  
 واجمعوا ائفدة لم تأتلف      بوداد واقتلوا عيننا بعين  
 يا القوي قد سجا ليل البلا      بين بلبال واهوال وبين  
 ما احتيالي خائني الصبر وقد      بات عزمي اثرًا من بعد عين  
 لا اري غير دم حولي جرى      اين رشدي يا اخا الارشاد اين

د و سيدي .....

و بنفسه

ماذا أرى .. بيروس عدت فكيف قد      انقذت نفسك كي تراني حيثما .....  
 هذا هو الجرح الاخير .. اجل وذا      دمك الذي يجري .. فيا لله ما ..  
 ذي هرميون لدي ضمت جسمه      لتذود عنه ..... وهي تصرخ كما ..  
 تنو الي بلحظ منتقم كما      حاج المقاتل عند ما نظر الدما  
 وتفود من جنس الالباس عسكرياً      وراقماً تسي وتنفث عند ما  
 ( هنا يذهب بيلاد )

مهلاً بنيات الجحيم فاني      رجل الى هذا العذاب تقدمت ما  
 لمن الارام ..... فهي فوق رؤوسكن      فهل سمعت سعيًا لتلسعني كما ..  
 بادرن نحوي لا تحنن ممانعاً ..      اتلفن جسمًا للعذاب مسلاً  
 وافتحن لي باب الجحيم .. كفي كفي ..      عابنته سجنًا مخيفًا مظلمًا  
 ( يقول كفي كفي .. كمن رأي شيئًا مخيفًا بقوله افتحن لي باب الجحيم )  
 ( ثم بصرخ قائلاً )

سرحن لي هذي الارام عليها      نقضي بقتلي فهي فاغرة فما  
 لا لا ..... فهذي هرميون تقدمت      ترمي فوادي من لظاها اسهما  
 لا تجفلي .....

.....ها مهجتي لا ترجعي فلقد وفيت قبل الفراق وبعد ما

( بقوله لا تجفلي ) يخاطب هرميون كأنه يتصور وجودها ويقول البيت الأخير بصوت  
 متقطع من اليأس ويستطسق من لابي علي شيء واذا ذلك يحضر بيلاذ ومعه اصحاب  
 اورست اليونان فبوصولهم الى المرسى ومشاهدتهم اورست بذلك الحالة ترتد فرائصهم  
 و يصفقون الجميع صفقة اليأس ثم يتقدم بيلاذ نحو اورست فيراه قد قضى نجه وهكذا  
 يسدل الستار وتختتم هذه الرواية )

ن ل م ا ل ش

رواية

# شارلمان

وهي ذات اربعة فصول

معربة عن الافرنسية

بقلم الفقيد رحمه الله

حقوق التمثيل والطبع محفوظة

## الادوار واسماء المشخصين

ملك فرنسا	شارلمان
ابنة شقيقة شارلمان وابنة رولان وحبيبة جرال	برت
كانلون متكرراً وصهر شارلمان	الكونت اموري
ابنه	جرال
شيخ مقرب الى الملك وهو من اعيان فرنسا	الدوك نعيم
اسير سكسوني	رجنهار
منقذ اموري	روبر
شيوخ	ريشار . هراري . جوفروا
	عدد ٢ خفراه الملك
	عدد ٢ حرس

## الفصل الاول الجزء الاول

روبر

روبر بذاته — ابي منشرح الصدر في هذا اليوم لما بلغني من قدوم الكونت بعد غيابه  
شهرين . وارجو ان اراه صافي الخاطر قري العين . فانه حسن الطوية . وذو نفس ايبة . على انه  
مقيد بسلاسل احزانه . وغيوم الغموم متكاثفة في افق جنانه . فلا تراه صافي البال الا  
اذا كان ابته بين يديه . فيا لله من سر عجيب وقفت عليه

### الجزء الثاني

روبر مملوك

م ر

م ر سيدي انناراً بنا الكونت قادماً من بعيد فامرعت لاسخبرك بالخبر علماً بانك  
تسر به . اما انا فقد شملني السرور لان فضل مولاي وحلمه يقضيان علي بحبته . واني  
اكاد اذوب غيظاً كما رايت في كدره . ومما يحملي على العجب اني لا اراه متكدر البتة حين  
يكون لديه سيدي ولده جرال وبالحقيقة يا سيدي ان مرأى جرال يزيل الاكدار  
م ر مناسب . عد الى عملك

### الجزء الثالث

روبر اموري ( بلباس السفر )

ر ي

ر ي السلام بالاحترام يا سيدي

ر ي اصلح الله احوالنا

ر ي ولدي ولدي اين ولدي

ر ي لا خطر عليه بعون الله وقد سار بجماعة من الابطال للصيد والقنص

ر ي لا تلمني اذا خفت عليه المصائب ، فاني ارى ما احتملته من العذاب غير كاف

لتكفير ذنوبي ، ولذلك اخاف ان تنزل بي التوائب نزول الضيوف بدار الكريم واخشى ان

يكون لابني منها نصيب

ر ي خفف روعك وازل عن فكري هذه التصورات ، فاني اراك من يتربح حلول المصيبة

ي ر كيف كانت المصيبة فاني استقبلها رجلاً واقبلها مذنباً  
ري مذنباً . نعم لقد كنت من قبل مذنباً وكان في ذنبك قصاصك حتى اشتهرت  
بالغادر الخائن ، اما انا فقد انقذت جسمك بعد ان كاد يدركه الفناء ، وشفيت نفسك بعد  
ما اشفت من الذنوب فلقيت جزاء عملي باني لم ابق فيك اثراً من ماضيك . واما انت فقد  
محوت بالتوبة ذنوبك الكثيرة فتغير خلقك كما تغيرت اخلاقك ، حتى غدوت حين اراك  
او اسمعك احسب ماضيك امراً محالاً فارتاب فيه ولا ارى فيك الان يا اموري ذلك  
الرجل الذي اتلفه شارلمان الان ان تذكره كما تذكر غير بآدات الى ذكره شجون الحديث  
ي ر . ان ذنوبي يا سيدي وان برئت جراحها لن تزول آثارها وانك تعلم بكل ما  
بي ولذلك لم تقدرني حق قدري وصفا . فاسمع

ري قل يا صاح

ي ر ان غابة سفسية في السياحة الاخيرة لا تخفى عنك . ذلك اني شعرت بل  
ايقت اني اذا عاينت الاماكن الشاهدة بفظائي اتمكن من ندب آثامي ، فاستغفرتني ذلك  
الى قصد تلك النواحي ذات الجبال الشاهقة والوادي العميق ، حيثما هلك رولان بخيانة  
كانلون ، فشاهدت تلك الغابة الكثيفة ، والصخور النائمة الحادة الرؤس ، فرايت النبت الاخضر  
في بعض تلك البقاع الخصب من ذي قبل وذلك انها قد سقيت بدم رفاقي اولئك الابطال  
الشهداء بالدفاع عن الملك وعن مجد فرنسا . واني اذا فحست تلك الاراضي برأس  
حسامي اجد في ثراها لا محالة بايا رقيق منهم ، واري تحت تلك الصخور كثيراً من جثثهم  
الطعينة بسهام العدى

فاقت في ذلك المكان ثلثة اتلو صحيفة ما ارتكبت واندب

وغدا لسان الحال فيه قائلاً . اذكر ذنوبك وابكها يا مذنب

وقد ذكرت شراسقي الماضية والمار الذي ارتكبت بتسليمي اربعة وعشرين بطلاً  
من رجالنا للعدى ، وبفضي لرولان وغدري بشارلمان ، حال كوني نسيبه ، تصورت ابطالنا  
وقوعاً تحت المواضي ورولان . . . رولان يستقبل الموت باسماً ويزلزل الجبال بصوت نفيده

ري اموري رويدك

ي ر انا . . . . انا لست اموري . . . انا كانلون كانلون . . الخائن . . كانلون  
الغادر . . . فلبث هنالك وحدي منكساً رأسى وانا بين صلاح و نواح ، والليل يهبط من  
حولي فيملاء قلبي رهبة وخوفاً والرتد يلعلع فيذكري قصفه صياح شارلمان قائلاً بالثرات  
رولان . . . تلك ذكرى ضعفت همتي فسقطت وعفرت بالثرى جيبي ، وناديت عفواً

وسلاماً قبل المات اي هذا الخيال فهل قضى بعذابي الى الابد . . . الى الابد كان الجواب  
 فرفعت رأسي فخيّل لي بل رايت تحت عجاج النوء بين تلك الصخور فارساً منتصباً بلا حراك  
 وقد ستره الكفن الى اخمصيه غير انه شرف عن درسه ولا مته وكان صوته شديداً كصوت  
 الفوارس تحت العجاج . . . رحماك هتفت رحماك يا رولان الشهير . . . اما من مغفرة  
 لي الى الابد . . . الى الابد كان الجواب . . . فتناقلته الجبال وتواتر به رجوع  
 الصدى . . . الى الابد . . . ثم خفضت رأسي الى الحضيض وقد فعلت بي الدهشة فعل  
 العقار . فرأيت كأن الارض قد انشقت وخرج من جوفها صور مختلفة الاشكال ، واشباح  
 هائلة قد احتاطت بي ذات اليمين وذات الشمال ، وجميعها فاغرة افواهها كأنها تريد ان  
 تبتلعني ، وصاح بصيح امامها يا لثارات رولان فنشف لهذا الهول ربيقي ، وجمد الدم في عروقي  
 وناديت عفواً عن شقائي وذلتي وصفحاً عن الذنب الذي اوجب النكد  
 وقلت الى مَ ذا العذاب وذا العنا فصاحت بي الانبياح هذا الى الابد  
 اما انا فصعقت من هذا الجواب وسقطت على الارض سقوط قتيل ولبثت لا  
 استطاع حراكاً

حتى بدا ملك الصباح براية بيضاء بين مواكب وكتائب  
 فنهضت ونزلت من الجبال بصمت وسكون وسوءت لي نفسي ان ادفن ذاتي حياً  
 بين هاتيك القبور . . . غير اني ذكرت نصائحك لي فعلمت اني مطالب بكثير من  
 الامور وان لي ولداً

ري ابعده عن فكرك هذه المغائل فان الصدى كان يجيبك لا خيال رولان فهو  
 اكرم مما ذكرت لان الاحياء تهيجهم البنفاء ، فيرفضون الرجاء . واما الاموات فهم اوفر  
 حلاً فاقصر اذن على الاهتمام بولدك ، وانهج طريق الصلاح فاني متموم فيه الفلاح لما  
 حواه من البسالة والاستقامة وارجو ان يبلغ من المجد ارفع مقام  
 ي ر آه . . . روبر . . . اذا احاط علماً بذنبي او درى بحقيقة امري وعلم اسمي  
 ري عليك بحمد الله وان حلت بك النعمة . وارضى بما يتضي واحسب قصاصه  
 نعمة . لان النفس الملتطحة بالقبائح والذنوب لا يغسلها غير الدموع  
 ي ر ولكن ناشدتك الله الا ما قلت لي : الم يداخل ولدي ريب في حقيقة ولادته ،  
 والم يتضح له شيء من ماضي امري ام كان ما اتخذناه من الوسائل لذلك كافياً

( ١ ) هذان البيتان ليسا موجودين في الاصل وانما اضافهما الى الرواية جوق حضرة  
 الاديب يوسف افندي خياط في الاسكندرية

ري لا تخف فالامر على ما تريد  
 ري ر الا يسألكم عن امه فان من كان في سنه يكون متياحا بتطلب معرفة كل شيء  
 ري يسألني فأموه عليه لانسبه تذكراته الصبانية، وهو لا يصدق عن حاله الا ما  
 اقول له او نقوله انت، فلا يعرف لذلك مصابه وتعاسته وحقيقة اسمه فكن مني على ثقة . .  
 ري ر ان الوثوق بك واجب، ولكني ارى ان ذنوبي تربو على ما لقيت من القصاص،  
 فاذا اردت ان افكر في عاربي الابدني ذكرت يوم قدت الى الهيكل ارملة ميلون دويش  
 اميرة بريطانيا والدة رولان اخت شارلمان، وذكرت شارلمان قائلاً لي وهو بأبهة الملك . .  
 يا اخي كن عادلاً، ورولان باسطاً يده لزوج امه وهو غير مضطرب بالغيرة . . آه آه . . لم  
 نجوت يا ترى ولم لم اسقط قتيلاً في ذلك اليوم يوم كبريائي . . وانت يا روبرت لم لم  
 تركني فاموت يوم شتائي، ذلك عين العدالة . . لقد كان يجب عليك ان تهمل هذا  
 الجسد الفظ الدامي المتلف الطمين ليكون طعاماً للذئاب والمقبان، فتريحني من احتمال ما  
 لا يعبر عنه بلان . واعظم مصيبة عندي هي ابني جرال فان قلبي يكاد ينخلع خفوقاً كلما  
 فكرت انه يقدر ان يقول لي ذات يوم امي هي ام رولان فماذا فعلت يا اخي، وكما خطر لي  
 انه ربما وقع عليه يوماً ما ثقل خطائي، آه اي اضطراب حل بي . . . . . اسمع هذا صوت  
 نغير . . . . . اسمع ما هذا نعم صيد . ان هو الا نتم قتال

ري ر (مطلين من الكوه)

ري هذا هو . . . لكن معه غريبة . . . وغريب . . هذا اسير مسكوني

### الجزء الرابع

روبر أموري جرال برت رجنهار

ر ي ج بر ه

ج ي أبي

ي ج ابني جرال . . هل اصبت بجرح (وبعائقة)

ج ي لا لسوء حظي فانك قد ذكرت لي ان اول جرح يصاب به المرء حين قضاء

الواجبات يطيب له، ولم يكن احسن من هذا اليوم للحصول على ذلك (الى برت) غير

ان الاعداء لم يتركوا لي غير فرصة قليلة لاحارب عنك

بر ي .....

ان كان يرفض ما استحقى من الثنا كرمًا فما منع الكلام إلا سنا  
لم يهزم الاعداء الا بعدما لعبت بجمعهم الصوارم والقنا  
ي بر هذا الثناء احله واجله عندي محلاً في الجنان وموطنا  
فثبت نفسك في كلامك شف عن صدق ودل عليه فيك وبرهنا  
فرحياً بك يا سيدتي انك لا تعرفين هذا المكان لبعده من محافل الناس، ولا انفصاله  
عنها بغابات متصلة بغاباته، فكيف كان قدومك الى هذه الارض المقفرة، وهل حلت بها  
من زمن مديد

بر ي اتي قادمة من شطوط وزر من فرز لاند هنالك مقام كثيراً ما تحججه اترابي لزيارة  
ترب الشهداء، فلما وصلنا النابة سمعنا ضجيجاً تردده صدى الاردية. ودهمتنا جماعة من  
الرجال كالذئاب الخاطفة. ففرقوا جماعتي ودنا مني واحداً منهم يريد القبض علي وقد اسود  
وجهه، واحمرت عيناه... فسمعنا اذ ذاك ضججة وكان السبب في تلك الضججة قدوم ولدك  
هذا فرأيتته وقد كرم علي الاعداء باسماء ورجل لي من حسامه حرزاً منيعاً فاركنوا الى  
الفرار فتحبهم ضارباً في اعناقهم، حتى اذا اختفت اثارهم عاد الي وقال سيدي بنا فقد  
صدت اليوم خير صيد

ي ج احسنت يا جرال

ج ي واني لم افعل غير ما وجب علي وقد علمتني الا اعد اعدائي الا بعد وقوعهم في  
ساحة القتال، وقد تبعت ذلك على اني اشكو اليك نفسي فاقول: انه لما تمزق ليف السكسون  
ورأيت لأول مرة يدي مخضبة بالدم خلت ان كل شيء في تغير من قلبي وشعوري وعيني  
وصوتي، وابتغيت ان للقتيل على القاتل سطوة وان القتل لا يخلو من الفظاعة ولو كان عدلاً  
فانما في كل من الناس بقية من قاييل

جزت الصفوف وقرت الالوف وأر	غمت الانوف وجيش الموت بصطدم
افنيت اجسام اقوام مركبة	مثلى واقدمت والارواح تنهزم
وعدت والنصر يزهبني برونقه	نبكي الفوارس من فعلي فأبتسم
وقد رأيت فتاة الحمد ناظرة	ترنو الي بلحظه حشوه كلم
تري انتصاري بعين نارها حزن	ومهجة نالها من حزنها الم
وتسأل الله عفواً للذين قضا	في ساحته قد سقاها كالغدير دم
كانها بلسان الحال قائلة	معنى القتال بعبه السامع الفهم

شأن المقاتل جهد في القتال وان  
 وكان في آخر الاعدار رئيسهم  
 لا يزدهديد انتصار سمنه ورم  
 هذا الاسير . . . . .  
 . . . . . سيجزي كالاولى ظموا  
 مخافة ان تداب كما تدب  
 . . . . .  
 فما اسمك يا غلام ومن تكون

ي ه اسمي رجنهار

ي ه وما منك

ي ه ثلاثون سنة . . تاريخ وقوع بلادي في العبودية

ي ه وما نسبك

ي ه عمي وتكند

ي ه وابوك

ي ه كان ملكاً حين قدم شارلمان

ي ه انت ابن ملكٍ وتهجم كاذنياه اللصوص على حمولة سيده

ه (بذاته) كاللصوص . .

ي ه ما برح الغالب بنعت المذلوب بما شاء . . . فانت يا من يستطيع قتلي لماذا تهينني

ي ه ان للحرب آية ناسخة . . ان عمك وتكند وشيوخ قبائله الاثني عشر تنصروا

خاضعين فسلموا

ي ه خضع الآباء واما الابناء فلا . . ومع هذا فان ابني قد قُتل وعلي ان ادرك ثاره .

لا ان اقني آثاره . . وقد رأيت الفرنك يقتلونه غير راحمين وكنت حينئذ صبياً غير ابي

لم انس من ذلك شيئاً

ي ه ان السكسون جميعاً لهم على التليس مقدره عظيمه بما لهم من سرعه الخاطر . اني ارى

فيك من الجراءة ما يدل عليه كلامك الخشن وعيناك البرأنتان . فانت تستحق الموت

ي ه اتحسبني اجهل ذلك . اني انما اتيت لأقتل فاقتلني

ي ه ان التي اردت الابقاع بها بدناءة هي التي شفعت فيك عندي فيمكنني لذلك

ان اعفو ولكن عليك ان تتخذ للخلاص سبيلاً ذلك انت تنصر وتقيم هنا . . . تكلم

أجب . . . ان نصيبك في يدك

ي ه لعل الله في مقصد اجهله . . اذا لا استطيع ان ارفض فاعرض علي

النصرانية ولو اردت ذلك مني امس لما فعلت

ي ه ارى ان شعاع الهدى قد اخترق ظلمات قلبك فاثبت واقم هنا  
بر ي جزاك الهك خير الجزا ولا زلت تلقى جزيل الهنا  
فان هداية هذا الاسير اسير بها بالهنا من هنا

ه بر كيف سيدتي اتسافرين

بر ه على الفور . . . وما شأنك انت

ه بر اعل معك حرماً كافياً

بر ه لا . ولكنني اذمل ان يكون لي من يحميني

ج بر نعم ان الحامية متهيئون

ه بر لا ترحلي يا سيدتي

بر ه ولماذا

ه بر لقد صار علي من الواجب ان اخلص لك النصح جزاء شفاعتك في . . . ان  
قبائل السكسون يتخللون هذه الغابات في هذا الليل وهم بعدد غفير . فاصبري حيناً ضمن  
هذه الاسوار فاني اقدر ان انجيك ولا اخذعهم . وهذا جزاء وفاق صنيعه بصنيعه من  
مثلها

ه (لجميع) واعلموا ان السكسون جميعاً على امية القتال وقد هاجهم حب الانتقام  
وسيكون القتال شديداً فانهم لم ينسوا ما مضى . . . ان شارلمان قد امر قديماً بقتل كل  
سكسوني زاد طولاً على الخسام . . . فحاذروا ايها المنتصرون ان الندم قريب منكم . . .  
حاذروا اولاد الشهداء . . . ( ويخرج )

### الجزء الخامس

اموري روبر برت جرال

ي ر ر بر ج

بر ر اني لديك اسيرة فانعم بما ارجوه يا مولاي منك تكررهما  
كيف السبيل الى النجاة من العدى يا سيدي ان سرت من هذا الحى

ي بر سيدتي لا سبيل الى ذلك

بر (لجميع) اتوا كدون لي

ي بر نعم سيدتي ابقي هنا فلربما كنت انت التي تنقذين الحى وحامييه

بري ألبستي ثوب الفخار تفضلاً وشمكتني بالفضل يا شمس العلي  
فتلوت في صحف الثنا بين الملا آيات فضل منك لن تتأوا ولا  
واحب يا سيدي الكونت ان لا اجعل كلامك في غير موقعه . او بالاولى احب ان  
اريك في اهلية لموانسك واسمي وحده كاف لذلك فانه ليذكرك بما تتأثر منه الرجال  
حال كونك فارس فرنسا الامين

ي بر وما اسمك يا سيدي

بري انا ابنة اخت شارلمان اما والدي فهو رولان

ج (بذاته) ابنة رولان

ي (بذاته) ابنة رولان

بر (لجميع) وانا بثيمة من يوم رنشقو الشهير .

( هنا اموري بيدي علام الرعدة والخوف )

ري حذار يا مولاي فانك ترتعد . . . . . وتمالك فان ابنتك ينظر اليك

بر (لجميع)

انا ابنة من اذا طلبوه نادى انا ابن جلا وطلاع الثنايا

ابي رولان لا يخني وامي شقيقة من تطيع له البرايا

ي بر سيدي اعذريني عن اضطرابي وقلتي فان اسم رولان لا يمر بسمع جندي الا  
وتضطرب نفسه وقد اثرت الى ذلك فاعذريني

بري اصلحت يا بن الكرام بالفضل حالي

فجل في ذا المقام قدرتي وحالي

لا زلت عالي المقام في كل حال

ولا عدا لمدى - هذا المكانا انس الهنا والثنا - ما البدر بانا

( تشد ذلك على نعم « اصل افتضاحي خدا » )

واعلم اني لا اريد ان اكون هنا الا برت . . .

برت هذا هو اسمي

ي ج جرال ان الاسير اكد لنا . . . . . ولكن لا فخرائد السكسون بقدرتون - كيف كانت

الحال - ان يهاجموا ايضاً اسوارنا واحب ان اكون الاول في خوض هذا الخطر فان نوبتي

جاءت فلا تهتم بامري . واصرف اهتمامك الى برت وحدها وخف عليها كل اذى فاذا تم

لي ذلك المطلب المجيد . اذا وقعت بين يديها فتيلاً لا تبكيني يا ولدي . ولتتقدم الان

جنودنا الى المتاريس منتظرين اول صوت يسمع . ليحي الحراس الليل على انتباه لكل حركة . ضعف عددهم بل اجعلهم من خيار جنودنا . لا لا فهذا متعلق بي وانت ابق هنا فهذا هو مقام الشرف

ج ي شكر آلك يا والدي نلعل الله يمن علي بقضاء ما وجب لفرنسا ولاسم رولان العظيم ولي بذلك امل واني في حال طفوليتي لم اكن اسمك — وارجوك المعذرة — تذكر هذا الاسم الا قليلا على اني كنت اكرر ذكره الف مرة بنفسي واري . . . . . واشعر اليوم بكبريائي ان في شبتا يقربني اليه . حتى كنت اظنه في تصوراتي الصبانية يحيا في واحبي فيه . وكان يحيل لي اني اراه واحبه واتبعه في مجده اللامع . وعمله النافع . وظلما تصورت نفسي ساقطاً نظيره في ساحة القتال في رونفو . ذلك نتيجة تعلقي به على غير معرفة عمله . اما ابنته فحميمها كما اشرت وتكون في آلتنا وبين رجالنا ولن ترى بيننا كاذبون كما رآه ابوها

ي ر سر بنا يا روبر فهذا مما يميزق الاحشاء هلم نذهب  
ج ي استودعك الله يا والدي وانا ابق هنا الى مطلع الفجر متربصاً للاعداء وحامياً ابنة رولان ( اموري وروبر بندهبان )

### المظهر السادس

جرال برت

ج بر

بر ج من لي بان ابدى الثنا — عليك يا بادي . السننا  
دافعت عني محسنا واعدت لي روح المتى  
اصححت لك العليا وسام يا صاحب الخلق الوسيم  
قدمت يا عين الكرام في نعمة الرب الكريم

ج بر اني احسب خدمتك فوزاً عظيماً

بر ج لقد زدت فضلاً وملاطفة حتى اعجزتني عن الشكر . وانا اودعك الآن لاني في حاجة الى الراحة . وارجو ان يصل — عما قليل — الفرسان الذين انتظر وفودهم من جانب الامبراطور

ج بر لماذا تفتين ان يا تواتوا بسرعة

بر ج لا كون آمنة من مكائد الاعداء استودعك الله الآب وافارقك مذكورة

فضلك وانتظر وفود الفرسان لا سير بهم (وتخرج)

المهضر السابع

جرال

ج

ج ج لا سير بهم . . . آه . . . تسافر . . . كيف افارقها وقلبي يرافقها . . . بالسر في قلبي لا يذاع . . . اي نخجل يعتريني عند التفكير فيه . . . أأكتمه ولو اذاني . كيف لا ولكل امرء سريرة والله اعلم بالسرائر . . . لا ابوح به نعم فان شيمتي الصبر ومن كان مثلي لا يذاع له سر . . . ولكن اي ضرر يكشف هذا السر . . . لا لان النفس الاية لا ترضى الاستنار ولا اقدر ان اكتب ذلك السر فاذن سأخبر ابي بكل شيء . ولكن لماذا احزنه واسلمه بيدي الى الكآبة والكدر . فالاولى ان اخفي امري \* لا لا \* من اين تعلمت يا جرال هذا الفن . فن المواربة والمخاتلة كيف اسلك هذه الطرق التي لا اعرفها . ارى نفسي حزينة فكيف يرقص فؤادي . لعمرى انه لا يرقص طرباً فالطير يرقص مذبحاً من الالم \* انا الحب \* انا اعشق \* لقد انبت شعاع الحب في ظلام قلبي فاراني ما لم ار \* ولكنها تسافر \* فهل اسافر معها \* وما السبيل \* اذا قلت الحقيقة لا يؤذني والدي بالسفر \* اذا قلت له اني اسافر معها ولاجلها يرفض فما القيل \* ما الرأي \* ما التدبير \* ما العمل \* آه عبثاً اطلب الطريق ولا اهتدي \* فهل اكتب ام ابوح

اقول لقلب ذاب في الحب شطره أليف اصطبار لا يذاع له سر  
أأكتب اشواقاً به ام ابثها فقال هما امران احلاهما مر

المهضر الثامن

جرال اموري

ج ي

ي ج قد رقت الحراس على الاسوار وهيأت اسباب الدفاع . وبينما كنت اعني الجنود رأيت من اعالي الاسوار غباراً ارتفع ثم انكشف عن جريدة من الفرسان فتأملناهم وقتاً كدناهم انهم من جند الامبراطور

ج ي لعلمهم الذين تنتظرهم السيدة برت

ي ج انهم في الغالب آتون من جانب الملك لحمايتها في الطريق

ج ي سيدي  
 ي ج ماذا  
 ج ي قد احببت برت  
 ي ج جرال  
 ج ي تجلّى الامر واتضح الخفاة فلا كان التلبس والرياء  
 فتننت بحبها  
 ي ج ولدي  
 ج ي وقلبي يحلُّ به لذكرها الهناة  
 يظلمها الكمال اذا ثننت وان جليت بكلها الهياه  
 على قلب الخليم لها ولاء وفوق الناظرين لها لواء  
 نكلم من نكلمه بلحظه هو الداء المحاذر والدواء  
 ولو علمت بما في القلب منها اذا رقت له فدنا الرجاء

ي ج وهلا تعلم برت بذلك

ج ي لا . . . اما انا فحيث قد تمهيا لي ان اتقد حياتها وهي على ما ذكرت . . . فهل  
 استطيع . . .

ي ج جرال \* يجب ان تنبذ للساعة هذه المحبة كذا ينبغي بل كذا اريد . . . وماذا  
 بطعمك في ذلك اعلو رتبك . ام شرف القلب . ام ارتفاع النسب ؟ افنكر . . . افنكر في كل  
 شيء

ج ي لقد افنكرت يا سيدي وقست هذا المرئقي قبل الصمود اليه فرأيت بل لا ازال  
 ارى في تصوؤري المتقد رولان شهيد الحرب الفارس المنشعب الذي جاد بروحه حبا  
 بفرنسا . ورأيت اولا ازال ارى ذلك الملك العظيم الذي يمتد ملكه من بلاد يسانه الى  
 بلاد الغالين الملك الذي يقول عنه من يراه ما هذا ملكا هذا ملك على صورة انسان .  
 يحمل بيده الكرة الذهبية ولا بداخله اضطراب . ومع هذا احب برت وازيد بها كلفا  
 واشعر ان في قلبي — وهو نقي امين — كبرا بوهلني لها وشيئا لا اقدر على وصفه بطمعي في  
 الحصول عليها وبدل على رفعة قدرتي

ي ج لا انك لست اهلا لها فلا تتبعها وقد امرت فكن مطيعا . . . او بالحري اقسم  
 عليك بجنوتي الوالدي . . . ولقد اخطأت اذ خاطبتك بكلام امر . . . واني لا اتقدم في ذلك  
 الى قلبك فاعذرنى . افي حزين يا جرال واتجنبك احيانا مع افي احبك يا ولدي . وانت مجدي

وانت فضيلتي . وانت انت سعادتي . ولكني اخاف ان يبعث ظلام الكدر من نفسي الى  
 قلبك النقي

ج ي والدي

ي ج فاحكم اذن يا ولدي على حزني . . . ان قلبي قلب جندي صلب ومع ذلك انظر  
 دموعي

ج ي والدي

ي ج جرال اسمع ان محبتك لبرت هي عين خسارتك واني مؤكّد ذلك . . . يطعمك  
 اليوم الرجاء . وغداً يداهمك الكدر . ثمّ العذاب . وبعد الحسد . ثمّ الاعداء ومكائدهم . ثمّ  
 الخجل من ان يخطى . السهم الغرض ولا سيما استخفاف المحبوب بالمحب

ج ي بارباه

ي ج سافر يا ولدي ولكن كن متيقناً اني اموت

ج ي ابي

ي ج سافر اذا شئت

ج ي وانت

ي ج اموت

ج ي ابي

ي ج فاحلف اذن ان لا تسافر

ج ي يمين الله

### المظهر التاسع

اموري جرال روير

ي ج ر

ر ج ان الارصاد قد رأوا من اعلى الاسوار جماعة من الفرسان مقبلين وهم فرسان  
 الملك الذين تنتظرهم السيدة برت . ورأينا انهم يسلكون الطريق المؤدية الى هنا وتحت  
 ألويتهم الدوك نعيم وهم بأبهة الملك

ي (بذاته) الدوك نعيم — آه — لا يلزم ان اظهر لابني شيئاً (ويذهب)

## المظهر العاشر

روبر جرال

ر ج

( على نغم « طرّز الريحان حلة الورد » )

ج ر ياروبر الآن ساعة الحجر مدمعي هتان والهوى عذري  
 وابي ما كان قابلاً عذري فانا حيران قد وهي صبري  
 يرت منها سهدي زائد في الحد وابي من وجدني عامل بالفضد  
 آه لو يرضاه لزاها وقتي والنا يزداد من صفا يرت  
 عنك دع باصاح حالة الوجد فالهوى فضأح قط لا يجدي  
 ج ر لا تحاول لومي لا تغير عزمي قد جفاني نومي لا تضاعف ستمي  
 ان بي اشجان حيرت فكري واصطباري بان آه لو تدري

( الاثنان )

جفاني رشدي فتأى سعدي واضحى قصدي  
 على الضد  
 فاذا ابدى وماذا يجدي هموما عندي  
 بلا حد  
 هي الاحزان تزيد الاشجان وحشى الوهان  
 منها في اتلاف

## الفصل الثاني

## المظهر الاول

روبر اموري

ر ي

ي ر قد تمت تعاستي... الدوك نعيم... هذا الشيخ المهاب بين الف من  
 الشيخ... هذا... نسطور النصارى يأتي داري... دار كاتلون... وان عرفني  
 ر ي هذا لا ينفق فانهم بظنون كاتلون ميتا... على ان شعرك الذي ألبسته السنون

حلة بيضاء والمجاري التي فتحها سيول الدموع في خديك تخفي عنهم حقيقة امرك  
 ي ر اصبحت ولكن الانسنان كيفما ثقلت به الاحوال يحفظ علام في هيئته لا  
 تزول . فما الفعل ان لفظ الدوك باسمي الحقيقي امام جرال  
 ر ي تشجع يا صاحبي الى النهاية ولاقي الخطر الجديد . بقلب من حديد وثبت نظرك  
 بحيث لا يبقى موضع للشك . وقابله بشبات وسكون وعينين مرتفتين . فيذهب للحل  
 اضطرارك ما في سماع حركة وانظنه قد دنا من هنا . فكن كما عهدتك باسلا يصادم النواب  
 بقلب تعودها . . هاهم قد اقبلوا فحاذر  
 ( يدخل الدوك نعم واتباعه ومعهم جرال وفي اخرهم رجنيهار وهذا )  
 ( يجلس متجايداً عنهم )

المظهر الثاني

اموري روبر جرال الدوك نعم رجنيهار  
 ي ر ج ن ه  
 ن ج نعم نعم . اخبر السيدة برت بقدمي . ( جرال يهمس لاحد الخدمة بذلك )  
 ولا شك ان والدك هنا فسرني اليه  
 ج ن ها هو يا سيدي ( مشيراً الى ابيه )  
 ي ر الدوك نعم  
 ر ي تشجع  
 ن ي باسم شارلمان ملك الفرنك وامبراطور المانيا اسلم عليك ايها الكونت واقدم لك  
 مع رفاقي هولاء وافر الاحترام  
 ي ن اهلاً بكم جميعاً يا سادتي  
 ي ر عرفتهم فهل يعرفونني  
 ر ي تشجع  
 ن ي لا اراني اعرفك من قبل هذا اللقاء يا سيدي الكونت علي افي اتوسم فيك بسالة  
 رجل حرب تعود القتال فكيف انت . . .  
 ي ن ان لقب الكونت حصل لي اتفاقاً فانعم يا سيدي افي لم اكن سوى ركبدار  
 الكونت اموري الاكيتيني وقد انقذته ذات يوم من خطر فرعي لي ذلك . ولما دنت منه  
 الوفاة واحتضر منخي لقبه واسمه

ن ي اعظم به لقباً قد زدته شرفاً والسرُّ بالمرء ليس السرُّ باللقب  
لا يبلغ المجد الأكل مجتهد المجد بالجد ليس المجد بالنسب  
واني منشرح الصدر اليوم لكوني ضيفك فان ولدك فعل فعل الابطال الكرام . ولا  
ينسى له هذا الاقدام . تعال يا جرال . . . يا للعجب لمن يشبه هذا الفتي  
ي (بذاته) يا الله

ن ي لا اذكر . ادن مني يا جرال كلما تأملتُه اتضح لي . . . نعم . . . نعم . . .  
انه اشبه الناس برولان

ج (بذاته) رولان رولان

ي ر بأخيه رولان

ي ن سيدي انت مؤانستك وما حركت في من الافتخار الوالدي انساني حقوق  
المضيف فتأخرت عن قضائها فتنفضل بالجلوس لثقال شيئاً من المشروب  
ن ي حباً وكرامة

ي (الغلام) فليحضر يا غلام شيء من المشروب

(الغلام يخرج ويتبادر الحاضرون الى الجلوس وفي خلال ذلك يحضر الغلام)

(الطاولة والمشروب والاقداح)

ن ق يسرني يا سيدي الكونت ان اكون قبل مسيري من هنا مع رفاقي هولاء  
بين يديك . على اني احب ان ترتفع من هذه الحضرة الكلفة . اشارة الى حصول الالفه .  
فلنشرب معاً

(يشرب اموري والدوك نعيم معاً)

الجميع -- (يشدون ما يأتي على نعم اصله نعم « في رياض الجنار » ولكن المطرب  
المنشد الشيخ سلامه حجازي لحنه بغيره مما هو اطرب واحسن وقعاً في الاذان وذلك على  
عهد الجوق الذي تألف اخيراً برئاسة حضرة مديرو البارع يوسف افندي خياط )

المذهب

طالع الاسعاد عاد والانس زاد للناظرين

خمرة من عهد عاد فيها المراد للشاربين

واني الهنا نلتنا المنى

فاملاً كؤوس تحكي شمس هي المرام هي المرام

(وهنا يشربون جميعاً الأرجنهار ثم يشدون على النغم ذاته)

دور

راحة الارواح راح  
والانشراح فيها كمين  
نورها في الكأس لاح  
مثل الصباح للناظرين

لا جناح فذا مباح

فاجل المدام يا ابن الكرام  
فلا ملام فلا ملام

نعم ( يقول على نغم « قده المياس زود وجدي » )

روض الافراح ابدى انسي فاغنم يا صاح طيب الغرس  
في كأس الزاح نور الشمس والسعد لاح بصفا النفس

دور

صوت الانغام يجلو سمعي حسن الالخان ابهى صنع  
فيه للناس كل الخير ورحيق الكأس منه مسكري

ن ي لا ينقص سرورنا الا شي واحد . اما بيننا شاعر او راوية بنشدنا شيئاً من  
الاشعار رباحين النفوس

ي ن ليس ما بيننا شاعر غير ان ولدي هذا كان ذا عناية بالشعر ( ثم يلتفت الى  
جرال ويقول له ) انشدنا يا جرال شيئاً من ذلك طوعاً لا امر الدوك  
ج ي عفواً فاني لا اراني قادراً على ذلك فان قريحتي في جمود واخاف ان لا  
يفتح علي

ر ج لا بد من الاجابة الى ما طلب فانشدنا يا ولدي منظومتك في السيفين فاني  
اعدتها من المقبول

الجميع لبيكم واني ارجوكم المذرة فلا جود الا من الموجود  
ج  
السيف اصدق من تنبا وادعى واعز من لبي الكمي واسرعا  
قد كان في هذا الزمان الملكنا سيفان االباب الفوارس روعا  
سيف لرولان الشهير مهند ان هز امن من يشاه وافزعا  
هذا درندال الذي اصبحت له في ارض اندلس الاعادي خضعا

(١) « ان هذا القدر لم يكن موجوداً في الاصل وانما زاده على الرواية حضرة  
الاديب السليم الذوق محمود افندي واصف وهو الذي اضاف ايضاً الى كلام « كانلون »  
البيثين الواردين قبلاً واشير اليهما في محله مدعواً الى هذه الاضافة من قبل حضرة  
مدير الجوق السوري المصري يوسف افندي الموما اليه »

سيفٌ إذا عاينته يوم الوغى      تلقى له في كل هام مرتعا  
 وحسامنا الثاني بقبضة شارلما      ن يجيبه يوم القتال اذا دعا  
 هذا جوليس الباتر الماضي الذي      لو مس اجرام السماء لزعزعا  
 ان رامة او فر منه مسرع      كانت منيته اليه اسرعا  
 نزع العدى منا درندالا وقد      ابقوا ابى بقلوبنا ان بنزعا  
 فعمى الزمان كما نريد يعيده      كي يلمع السيفان في وقت معا  
 ن ج احسنت وأطربت ..... فاملا واواشربوا جميعا بسر شارلمان ( يشربون هنا  
 الأرجنهار)

ن (بذاته) (يقول منشداً)

ملك يسير المجد تحت لوائه      ويخدمه الاقبال والفتح والنصر  
 مطالبه العليا وفكرته الهدى      وحضرتة الدنيا وفائله الغمر  
 (ثم يقول الجميع على قد «قل للحيب طف ووال» )

اعد حديث الكرام      فالقلب بهواه  
 واملا كؤوس المدام      واستغفر الله  
 يشفي غليل النفوس      ذكر الكرامات  
 وخمرة في كؤوس      منها الكرى مات

ن (للجميع) ثم فلنشرب على ذكر رولان ( يشربون الأرجنهار )  
 ينشدون على نعم ( شربت الكاس من اجفانك )

مذهب

شجاع ماجد دانت له العليا  
 كريم جوده عمأ  
 سجاياه قد ازدانت بها الدنيا  
 هام مجده نأ

دور

هلموا نشرب الراحة بتكرار  
 على ذكر له اسنى  
 فنجم الانس قد لاحا بأنوار  
 حك اخلاقه الحسنى

ج ٥ ما بالك يا رجنهار اني اراك مكثباً فلعل كأسك فارغة

ج ٥ لا يا سيدي

ج ٥ فاشرب اذا معنا بسر البطلين الفرنسيين

٥ (الجميع) لو كنتم يا سادتي في مثل حالتي لما فعلتم غير ما فعلت . فان شيوخكم قد علموني احترام السلف فافهموا مسبب تمنني من الشرب على ذكرها وانا اشرب على ذكر وتكشد على ذكر الكس على ذكر المنلوبين ( ويشرب )

ج ٥ تنبه يا رجل ( ويهجم عليه ) حذار ايها السكوفي

ن ج جرال . . .

ج ن هذه جراءة لا تطاق

ن ج فلنعذره فقد دعتهُ الى ذلك عزّة النفس

٥ ن شكراً لك ايها الدوك فانك قد رأيت ان جرال حملته الكبرياء على ستر عيوبكم فيما انشد مع ان لنا كما لكم من المفاخر والانتصارات ولكم كما لنا من المدايب والانتكسارات فانتم تفاخرون ببولان . ولكن كانلون ( بذاته ) بالله

ن ٥ صه ايها السكوفي ولا تذكر هذا الاسم القبيح . . . . اي كدر جئت تهبج في نفوسنا . . . كانلون . . ان ذكره يرعش صوتي فهو الذي يعيد الينا ماني نجلنا وقد جاء ذكره يكدر هذه الساعة التي تجمعنا . . اذا فلترفع الايدي لنلمنه جميعاً ولتهبط عليه اللعنة الى اعماق الجحيم

( الحاضرون جميعاً « الأ روبر واموري » يرفعون الايدي امتثالاً للدوك )

### المظهر الثالث

الجميع يرت

ير :

ن ير تقدمي يا يرت تقدمي فان لك الحق الاول بلعنه

ير ن بلعن من يا سيدي

ن ير كانلون

ير ن شهد الله يا سيدي ان هذا الاسم كان بعيداً من فكري . . . وقد امرني شارلمان بمساحة اعدائي جميعاً كما امر الله الأ كانلون فلانا اشارك بلعنه

ج (الجميع) هو عدل لا محالة وانا ايضا ارفع يدي لألعن هذا الاسم القبيح  
 ر ج اسكت يا جرال اسكت . اني كاهن ولي ان انبهمكم الى كل شي  
 من مات نال جزاءه من ربه عدلاً فدعه يا بني تأدبا  
 هيات يجدي الميت رحمة راحم ان كان مغضوباً عليه معذبا  
 او تمريه تعاسة من لعنة ان كان في دار النعيم مقربا  
 بر ر صدقت يا سيدي الكاهن

ن (الجميع) ربما كان كلامي شديداً ولكني لم املك من ذلك فاني قد اتقذت كانلون  
 من الموت مرة . نعم وذلك في ورددن مساء القتال فان ملكاً سكسونياً يقال له مركولان  
 لا ازال متصوراً قامته المرتفعة قبض على كانلون وجعل رأسه على ركبته وهم يقتله  
 ذبحاً فإكان اسرع من ان هجمت عليه فحوالت حسابه عن عنقه  
 ي (بذاته) نعم ان هذا لا ريب فيه

ن (الجميع) فنقض كانلون مسترجعاً قواه وهجم على قرنيه الذي كان قد وطد على  
 النصرامله وضربه فصاح غلام من الاعداء رحماًكم لا تقتلوا ابي (منا رجنهار يهتز  
 مضطرباً) فنظر الى الغلام شزراً فرجع القهقري وقتل الاب . فامضى على ذلك غير يرهه  
 بسيرة حتى غدر كانلون برولان ومنذ ذلك اليوم لا يمتفني ضميري الا بانقاذي كانلون من  
 الموت

ي (بذاته) آه آه آه

ه (بذاته) يا للعجب كيف قد اكد وجه الكونت . هذا شي غريب . واره  
 يتجنب الحاظ الدوك . فلماذا يا ترى فلندن فلناحظ

ي ه ماذا تريد . . . . رجنهار

ه (بذاته) لم يخطي ظني . . . هذا هو لحظة

ه ن سيدي الدوك اجز لي ان اقول كلمة

ن ه تكلم

ه ن قلت ان الملك الذي قتله كانلون كان يقال له مركولان

ن ه نعم وكل الافرنج يعرفون هذا السكسوني الباسل ولكن ما الذي دعاك الى  
 السؤال عنه

ه ن ان الملك مركولان هو ابي

ه ي يا سيدي الكونت انك قد دعوتني الى النصرانية فأجبت فهل انا من بعد

ذلك حرة

ي ه لا ريب في ان القانون يمنك من الرجوع الى الكس واذا كنت ترجوه ٠٠٠  
 ه ي لا ٠٠٠٠ فانه يجب علي ان ابقي مدة في فرنسا  
 ي ه وما قصدك بذلك  
 ه ي مسترفة ٠٠ الان اودعك ايها الكونت  
 ه (بذاته) هذا هو نظره بميته (ويخرج)

### المظهر الرابع

(المذكورون انفسهم)

ن ه ارعني الان سمعك يا سيدي الكونت ان شارلمان يريد ان ابك يرانقي الى  
 حضرته ليكافئه على اتقاده ابنة اخته من الخطر  
 ج ي آه يا ابي  
 ي ج جرال ٠٠٠٠ دع عنك هذه الآمال ٠ لقد حلفت فيجب ان لا تتبع برت ٠٠  
 تذكر اليهود التي عاهدتني بها واعلم ان برت لا تنازل الى محبتك حال كونك تحبها ٠  
 فارفض اذا

ن ي ماذا تقول يا سيدي الكونت  
 ي ن ليس لي ما اقوله فان ذلك متعلق بابني  
 ج بذاته (ملتفتا الى برت)  
 ي ج آه يا ولدي  
 ج ي لقد تبصرت يا سيدي فرأيت اني لا اقدر  
 ي (بذاته) آه واشفقنا ٠٠٠٠ انا السبب في انكسار قلبك  
 ن ج اذن نسا فرنحن (ثم الى برت) فأنهي ابنتها السيدة للسفر  
 بر ن اني سألحق بك على الاثر  
 بر (بذاتها) هذا غريب ٠٠ جرال يتردد ٠٠ فلماذا ٠٠ انه بلا ريب يجيني  
 (نعيم يودع جرال ويخرج فيتمه امور جرال يجلس مطرنا فنقف برت بين  
 يديه شاخصة اليه)

## المظهر الخامس

جرال برت

ج بر

ج بر ج انا احبك يا جرال

ج بر آه .. برت ..

ج بر نعم وحيث كان عظم منزلي واسمي في فؤادك منعك عن بث غرامك، بدأت  
بشرح الحب اولاً منشخرة باني اقدم لك قلبي

اخفيت سرّك في الفؤاد فلاح لي	ومن الفؤاد الى الفؤاد سبيل
فأشرح غرامك كي ابث صباي	ان اللسان على الفؤاد دليل
ج بر يا من تناجيني بمضمرة سرها	شرح الغرام كما علمت طويلاً
قد اطمعتني النفس وهي ابيه	في مطلب مالي اليه وصول
فكتمت حتى لا يقال مملق	وصبرت حتى لا يقال ملول
ج بر كتمت وفي فؤادك نار وجد	يلوح لها ولو سترت ضرام
فلا يبقى مع الحب اصطبار	ولا يجدي مع الوجد اكتنام
فما الشكري وما بك مثل ما بي	فدعها ان يضيق بنا المقام
فهاك يدي لتبرم عهد حب	وثيق لا يكون له انفصام

ج (بذاته)

ج بر ج انا احبك يا جرال	اعاندها وبني للحب قلب
ج بر شكاي قلبي غرامك وهو غض	ويطربني اللقا فأذوب حزناً
ج بر شكاي قلبي غرامك وهو غض	فقلت اصبر كما صبر الكرام
ج بر شكاي قلبي غرامك وهو غض	فان الحب سلطان مطاع

وكيف استطيع الا احبك ام كيف لا يعشق من ينظر جمالك . نسيم قد ملكت  
يا برت قلباً لم يدكر بخمر الغرام قبل الان . وقلبي يباركك في حالتي الصفو والبدر وكلمة  
واحدة منك تذهب عني الاحزان . وقد قلت لي يا برت ويا برت ما قلت لي كيدي . . .  
احبك يا جرال . . . اما انا فلم يعد لي بعد ذلك ما اتناه . . وصرت اري كل شيء حسناً  
ولكن لبيتك تعلمين . . . ان ابني من هنيهة قال لي . . لا . لا . فانا احب وارجو . .  
وقد رد علي ما فقدت من السعادة

بر ج وماذا قال لك ابوك

ج بر دعينا من هذا فاني لا اقدر ان اعرب لك عما لم ي من الخجل حين قلت له  
اني محبك

بسطت له امري فقال معافاً لقد رمتها جهلاً ولست لها اهلا  
فعدت الى نفسي وقلت مراجعاً بحق الهوى مهلاً فقد رمتها جهلاً  
سيعلم ان الحب اعظم قدرنا فخل بقلبيننا وألسنا فضلاً  
وان لنا مستقبلاً ان بدا له يرى جنبنا عدلاً فلا يؤثر العذلا  
(ثم يقول على قد «خليك عن الدلال وتنازل»)

ياكارها ظلماً هوانا والامر عنه سترنا  
تخاف ان تلتقى هوانا بالحب لكن سترى

دور

بر ج لا تخشى يا مولاي لائم اللوم يمضي بالهوى  
وكن على عهدي ملازم شرط الهوى حفظ الهوى

### المظهر السادس

جرال برت اموري

ج بر ي

بر ي سيدي الكونت انا احب جرال وجرال يحبني وقد اخبرني بما دار بينك وبينه  
من الكلام في هذا الشأن ولي الامل . . .

ي (بذاته) قاوماني فكيف اطلب فوزاً وضعيفان يغلبان قوياً  
كان خوفي عليهما من مصاب ولعمري ما جئت شيئاً قريباً  
ي (لها) قد تولى النرام قلبيكما من بعد ما كان ذاك امراً قصياً  
والي شارلمان مرجع هذا ليس يعني عنه كلامي شيئاً

بر ي اني قد انكرت في ذلك فاعلم ان شارلمان لا يعارضني حيث انه يعلم بحقيقة  
حالي . وانا طالما تطلبنا معاً رجلاً يكون لي اهلاً فيتخذني اهلاً حتى رأيت جرال وهو  
وحده يمثل لي قدماء الابنال . ولكنني طامعة في اكثر من ذلك وهو ان يأتي بما لم تستطع  
الاوائل وان كان الاخير زمانه . فليتبني الى البلاط لاني احب ان ينال بزمه ما اريد

ان انيله فيكون مساوياً لروساننا . ولا ارى ذلك ايضاً كافيًا ( وتلفت الى جرال ) فسرت  
يا جرال على اثر ابطال فرنسا القدماء الذين بنوا في ذروة الجبل مقامًا . وتجول في البلاد  
واطلب الشرف الرفيع . ومهد سبل الجبل لتبلغ الدرجة القصوى . وعد الينا فترى فيلثرولان  
ثانياً . ( ثم الى الكونت ) فهل تلوني بعد هذا ايها الكونت ام في فؤادك مخاوف لا  
اعرفها . . . افي آخذ ابنك ولكني اسلمه الى فرنسا وشارلمان الكبير واستودعه الله

ي بر لا هذا لا يمكن لا

ج ي كيف لا يمكن . . . اهد كل هذا لاتزال مصر على الرفض . فما لي والحالة هذه  
الآن اخضع واحمل رفضك على امر لا اعلمه

ي ج لا لا . . . لا اقدر

ج ي آه يا والدي . . .

مولاي صانك ربي طرحت في اليأس قلبي

هل كان والفرض دين قضا فرضي ذنبي

قد زاد في اضطرابي وتاه بالغيظ لبي

هل كان غيظك مني

ي ج

( بذاته )

ي

الغيظ من ظلم دهرني

ارضى ولو عيل صبري

وفرط غمي وقهرني

ما بين موت ونشر

الآن يجي بشري

والحب مالك امري

ان شئت من غير نكر

بجهر قلبي وكسري

واحيرتي ضاق صدري

اني بما انت قاضي

لكن تأمل عذابي

اضحى رجاء فؤادي

ولست افعل خيراً

حظي وانسي وسعدي

ذا كله مستطاع

وكلمة منك تقضي

ولست ترضى بهذا

ي ج

ي ج ولدي . . . ولدي . . . لعلي كنت مخطئاً فان الوهم يئلب علي احياناً فلا  
استطيع دفعه . ولكني قد اخذت ان افهم فرايت ان اعظم ما احاذره هو وقوعك في  
اليأس الذي اكاد ان اقع فيه . فانض يا بني واجباتك كما تأمرك برت وانا اسأل الله لي  
المغفرة ان كان في قبولي هذا خطأ وانكسر يا بني يوماً وانت في حال السعادة ان خوئي  
لم يكن الا عن حبه والدي

ج ي والدي  
 ج ي رح يا ولدي فذلك عدل  
 بر ي اليك مني جزيل شكر  
 قارنه المدح والثناء  
 قضيت بالعدل واجباتي  
 والله يقضي بما يشاء  
 ( وتلثفت الى جرال )

أما انت يا جرال فافتكر في كل زمان فيما وعدتك وفيما انتظر منك  
 ج بر يمين الله يا برت اني انفق ايامي في الاجتهاد فلا اتقياً ظلال الراحة ولا يشغلني  
 عن طلب العلى شاعل . فأطرح كل شيء يوخرني حتى ذكرك وانا اسير هذا المساء كيلا  
 ارى الصبح الا متمماً امرك . . اسير اسيراً في وداك حتى اذا صرت اهلاً للانتماء لايبك  
 . . اعود

### المظهر السابع

جرال برت اموري الدوك نعيم  
 ج بر ي ن

ن بر سيدتي قد جاءت الساعة وركب فرسانك للسير  
 بر ن اني ذاهبة للحال ( تسير قليلاً ثم تقف ملتفتة الى جرال )  
 بر ( بذاتها ) آه . . . كنت اظنني اقوى على الفراق ( وتلثفت الى جرال ) للملثقي  
 بر ي استودعك الله يا سيدي الكونت  
 ي بر اني ازودك الدعاء

ج ( بذاته ) رحلوا فلولا انني ارجو اللقاء قضيت نجبي  
 والله ما فارقتهم لكنتي فارقت قلبي

ثم تقول برت على قد « اشكو وابكي وما لي معين »

اسير وقلبي لديه اسير ودمعي طليق وجفني كسير  
 اتاني الرحيل وجسمي نخيل ورسمي محيل وصبري غسير  
 بر ي ارجوك يا سيدي الكونت ان تمنحني البركة الوالدية

ي بر سيدتي

ي ( بذاته ) آه . . وربما كان ابوها رولان ناظراً اليها من اعالي مقامه

ج ي وانا اسير منكلاً على الرب القدير وارجو ان تمنحني البركة وتزودني الدعاء. واني  
اسأل الله ان يسهل لي نيل المجد لا كون جديراً بالانساب اليك

### الفصل الثالث

#### المظهر الاول

جيو فورا رجنهار ريشار هردي

ف ه ش د

ف د دعونا من هذه الاحاديث التي لا طائل تحتها فانه عما قليل يأتي الفارس  
الاندلسي ساحة النزاع فهل تنصرون عليه بغير الكلام  
ه ش ارجوك عفواً فانك عظيم الاهتمام بامر رولان  
ش ه نعم فاني كنت اولاً تابعه ثم صرت ركبداره  
ه (بذاته) لعله ذلك الشيخ فلندقق النظر فيه  
ه ش بالحقيقة ان موت رولان خطب عظيم واني لا احب ان اعلم كل ما يتعلق به  
فهل ادرك يا صاح ثاره  
ش ه نعم ولكن قليلاً  
ه ش وهل عوقب كانلون  
ش ه لم يعاقب كما يستحق  
ه ش وهل كنت انت هنالك  
ش ه نعم واني آسف  
ه ش لماذا

ش ه ما من يجهل الامر هنا ايها السيد السكسوني ذلك انه بعد ان قبض على كانلون  
وربط وهو في حالة الضعف بجواد واطلق الجواد في الغابات تالاً ذاك الغادر قصد اتلانه  
تبعته انا آثاره لأرى ماذا يكون من امره وما زلت مقتنياً منه الاثر حتى وصلت الى  
ضفة ندير فرأيت ثم الجواد وحده فنظرت يمناً ويسرة ولم ار الجسم ثم رأيت رهباناً  
يصعدون الى دير هناك فتبعتهم ورأيتهم يحملون جسد كانلون وهو في حالة الموت  
فأسفت لانه فاتني معظم الانتقام من ترك جسده تتناوشه الذئاب والعقبان وتمنيت لو  
كنت ذئباً فانهبته او عقاباً فانشب فيه مخالي

ه ش يقولون انه كان لكانلون ولد  
 ش ه نعم وقد ستروا هذا الولد وكان اولى استئصال الشافة واتلاف بيضة الحية  
 بعد هلاكها ولكن من ستر الولد . ومتى . واين . فهذا لست اعلمه  
 ه (الجميع) كفى كفى . . . افي اعلم ما لا تعلمون وقد اتفقت لي الحقيقة شيئاً بعد شيء  
 (بذاته) ان نظر اموري . . . هو اول دليل والدليل الثاني هو ان كانلون حملته  
 الرهبان وروبر رهاب . . . قد اتضح الخفاء . . . اموري هو لا محالة كانلون مثلبساً وقد  
 ستر الرهاب بحذقه جميع ذلك . اما الولد الذي ستروه فقد غيروا اسمه وهو جرال .  
 نعم . . . اموري هو كانلون . وجرال هو ابنه . . . يجب ان يثبت كل ذلك فلنتظر  
 الى النهاية

(ريشار جيوفروا يتناكران في خلال كلام رجنهار)

ش ف آه من لي بان انا لاه انا . . . انازل ذلك الاندلسي فاخلص منه درندال حسام  
 رولان المشهور . ويعلم الناس انه لا يزال فينا شيوخ يحق لهم ان يقرعوا جرس النضة متى  
 شاهوا . ولا تحسبن ثلج المشيب . فمنا نار همي فانه لعمرك لم يزدنا الا اشتعالاً  
 ف ش و امفاه ان هذا الجرس الذي كان شجيمان فرنسا يقرعونه عند الملآت للدخول  
 على الملك لم يقرع منذ عشر سنين . فلعل ارباب ذلك قد ذهبوا ام صار الناس يخافون ان  
 يقرعوه لعلمهم ان من يقرعه على غير استحقاق يقاص نصاصاً شديداً  
 ش ف لا نقل قد ذهبت اربابه كل من سار على الدرب وصل  
 اما انا فاكاد اتميز من النيط كما ذكرت هذا الاندلسي فانه في كل يوم يبارز الابطال  
 ويقهرهم وقد حمى ذلك الحسام الذي يتوقف شرف فرنسا الان على تخلصه منه . والحق  
 اولى ما يقال ان هذا الاندلسي شجاع مجرب توود القتال وهو لا يبالي بالجمام ولا يرهب  
 وقع الحسام (روجنهار يدنو منهما في خلال ذلك فيسمع مذاكرتهما)  
 ه ش وما سبب هذه المبارزة وقدم هذا الاندلسي بحسام رولان المشهور  
 ش ه ان هذا الاندلسي ورد علينا في جماعة من اصحابه منذ ثلاثين يوماً ودخل على  
 شارلمان وهو جالس يوماً فقال ايها الملك افي حضرت يوم رانسفو صبياً واخذت عن  
 جسد رولان حسامه درندال المشهور وقد اتيت لارده على فرنسا ولكني لا اعطيه الا  
 لمن يستطيع ان يأخذه وهكذا فتح باب المبارزة فتبادر فرساننا الى مبارزته وجملة ما  
 قتل منهم الى الان ثلاثون بطلاً . وصرت اخاف ان يبرح الاندلسي هذا المقام قبل ان  
 نأخذ منه الحسام . على انه في كل يوم يركب الى ساحة النزال فيأتي الملك متوكئاً على

السيدة برت ابنة رولان فانها وحدها ترافقه فيدخل هذه الحجرة رافعاً جبينه الذي  
جمدته السنون . ويترأى للناس من هذه الكوة بالهدوء والسكينة ناظراً نظرة اضطراب  
بين المخافة والرجاء ليري من من الابطال يقدم على القتال لانقاذ درندال فيبقى الى آخر  
النزال وان ضعف امله بالنصر . ثم يشرف من الكوة على ساحة القتال وان شئت فقل على مدفن  
الابطال فيبارك بيده مرتجفة ذلك الفارس الذي يسقط في الساحة . ثم يدخل وقد ازداد  
اضطرابه ووجهه وهو يردد اسم رولان

ف (لجميع) الامبراطور . . . الامبراطور آت مع السيدة برت  
(الجميع يتفرقون)

### المظهر الثاني

شارلمان برت

ل بر

( نقول برت علي نعم « عيونك سود حوارية » )

تولت فكرك الاحوال

وسامت عندك الاحوال

وهذا مشهد قاس

يزيد الحزن والبلاء

\*\*\*\*

فدعنا اليوم منه ولا

تزد في قلبنا الوجلا

وكن مولاي في البوى

على الرحمن متكلا

بر ل سيدي ان هذا المشهد محزن فقلنا منه اليوم

ل بر هذا فرض علي ولقد تعودت ان ارى مثله كثيراً فطالما توارد علي شجيمان  
الرجال من الاندلس وغيرها يريدون منا ان ابطلنا فيتصدى لهم كل اروع صنديد لا  
يروعه الصدام ولا يرهبه الحمام مثل اوليفيه اورنو اوزولان

وما كان اسرع من بروز احد من لقرنه الا رجوعه برأسه وسلبه وكنت اذ ذاك  
اشعر بكبرياء ملكية لا استطيع وصفها . آه تلك ايام لا يطمع في رجوعها . . . . . لند

احبت المجد فيجب ان اصبر للذل ٠٠٠ رولان رولان اي عار علي اعظم من ان ارى  
حسامك درندال في يد المدوة

بر ل لاتيأس باميدي

ل بر الامر لله ولا حول الا بالله . لقد نزعنا من القوة الى عدونا واني اعلم انه ما من  
احد بين رجالنا يغلب هذا الاندلسي

بر ل ربما ٠٠٠

ل بر من ٠٠٠

بر ل جرال ٠٠٠

ل بر ولكنك يا بنية لا ترفين في اي ارض هو ولقد بعثت الى ابيه ان يحضر الي  
سرعاً ليقدم حساباً عن اقطاعه رجاء ان اعرف شيئاً عن حال جرال . وقد مضى على ذلك  
شهران ولم يرد لي من الكونت اموري جواب فالظاهر ان الاقدار تعاكسنا

بر ل سيدي قلبي يتبثني ان جرال يأتي قبل هذا المساء

ل بر لقد كانت لي ايضاً هذا الامل فاني كنت كلما سرحت نظري في هذا البلاط  
اخفالي اغال والامل يطعم في كل شيء ان جرس الفضة قرع وان جرال قدم فكان ذلك  
البرق خلباً وذلك الغيم جهاماً

بر ل سيدي جرال سيأتي عن قريب ويقرع جرس الفضة وانا اعرف ذلك وانتظره  
ل (بذاته) لقد عرفنا ابنتك يا رولان بهذا الثبات والاقدام وهذه العيون بتلاً لا بها

نظرك

ل بر فبارك الله فيك يا برت فلقد حفظ لي بك تذكار مجدي . وقد علمت وحدك  
باحزاني وعلى جبينك هذا جرت دموعي . ولك وحدك انكشف فؤادي واري ان اكرامك  
لي في حال الحزن اكثر منه في حال السرور فقرّب الله مجي . حبيبك جرال لاني اريد  
ان اجمع بينكما قبل موتي ٠٠٠٠ ولكن الموت لا يمهني

بر ل سيدي ماذا نقول

ل بر الموت لا يمهني وكل ما اراه بدلني على ذلك وهذا نسيم المساء يمر على وجهي  
ل بر لماذا تبكين يا ابنتي تشددي واسمعي ما اقول ان اعظم شاغل للانسان في حال  
حياته هو معرفة نفسه وما من يعرف قدر نفسه ما دام حياً

الموت يكشف ما استتر . ذي عبرة لمن اعتبر

اني لأجهل حالي بل لست ادري ما الخبز

وانا المليك اخا العلا      سامي الذرى بين البشر  
 كم قد شقيت وكم نعمت      وكم لقيت من الخطر  
 دميت اخلاق البرابر      وهي اقسى من حجر  
 وفتحت اوروبا فدا      نت لي واسعدني القدر

لكن أليس بين اعالي الماضية ما ألام عليه نعم قد اسرفت في تذليل اولئك الشعوب  
 ارادة ان اضم بمضمهم الى بعض . . . لعمري ان الملك لا يعرف هذا الا بعد سقوطه  
 وشجرة الحقيقة لا تنبت الا على قبره  
 بر ل سيدي ان شعب الفرنك ومثله العالم بأسره قد سمأك الملك العادل وشارلمان  
 الكبير

ل بر ان المداهنة تتبع الملوك ما داموا احياء . سميت بالعدل الكبير ولكن ماذا يكون  
 اسمي بعد الموت سيصرف ذلك عن قريب

لو كان يعلم من يعلمون البشر      مصيره هجر الدنيا بلا كدر  
 الدهر يهبط رغماً كل مرتفع      لا تقصف الرياح الا عالي الشجر  
 شاب الزمان على صدر الانام لذا      تراه يفجع بعد العين بالاثر

فاين الملوك الذين سادوا وشادوا الحصون . هل نجتهم حصونهم من المنون . اين اولاد  
 ميراف واولاد كليوفيس وما تكون حالة اولادك من بعدك يا شارلمان . ابقى لهم الملك قرناً  
 واحداً من الزمان سأعرف ذلك عن قريب اعرفه حيناً تأخذني سنة الوفاة فانك هدم  
 الارض لأرى المستقبل بلا حجاب واتلوثم في كتاب الازمنة نبأ مجدك اواه يا فرنسا  
 اواه . هل ارجو ان يتصف مجدك في الايام الآتية كما تتصف حلقات السلسلة وتمتد  
 ظلالك على العالم بأسره وتكوني مصدراً للتمدن حتى يقال يوماً ما ان لكل من الناس بلده  
 وفرنسا . . .

(ثم بسمع صوت حركة فتقول برت للملك اسمع)

ل (بذاته) لقد جاء . . . هذا هو البطل العزيز المنتصر . رويدك فوادي كفاك خفوقاً  
 ما اقبح ما ختم لي . يغلبني هذا الاندلسي انا شارل انا الذي صرت . . بل انا الذي هو  
 شارل الكبير . . لا لالم تعد الكبير فاخفض رأسك ايها الملك لان الله مبتعد عنك (يسير  
 فيستوي على العرش ويدخل الاندلسي ويجلس بين يديه)

## المظهر الثالث

الامير الاندلسي شارلمان جوقه

ل س

س ل انا انا الامير الاندلسي ادعوك يا شحجان فرنسا للبراز فهل منكم من مبارز فهل  
من متاجز بالسيف او الرمح او الرماية . وسيفنح باب القتال فمن منكم يبرز للحمام ايها الابطال

ج س انا انا انا

ل ج مهلاً مهلاً قد كفانا ما سفك من الدم اما انت فارجع الى قومك

س ل طوعاً لك ايها الامبراطور ولكن تذكر يوم كنت في اعظم من هذا المجد . يوم  
كان لك معظم اسبانيا ولم يكن لنا بها غير سراغوسا . وقد ورد عليك في قرطبة من قبل  
ملكنا الرسل الشرة فرأوك في حديقة غناء مستويًا على عرشك وبين يديك رولان  
واوليفيه والدوك هانس وانت في عظمة وسكوت والشيب يزبدك عيبة ووقاراً فابتمت  
حين رأيت رؤوسنا منخفضة . وزاد لديك السفير خضوعاً طالباً منك المسامحة وجعلني  
عندك رهناً فاجبته ولكن بنون العظمة . فاعلم ايها الملك ان الزمان تبدل وان لكل زمان  
دولة . ولكل دولة صولة . وقد استرجعنا الان الاندلس فنحن الان في طرب وطرفك  
يدمع . فانا الان اعود حسب امرك وقد تم نصري وما من يتهمني باحتيال فيه . اعود  
بدرندال حسام ابن اختك رولان فاني قد حفظته حقاً حفظه (يستل السيف) هاهو  
فانظروه آخر نظرة

ل س رويدك ما انا بلوم اذا بخلت بدم قومي وقد ساعدك السعد عليهم واني وهر  
العظم مني واشتعل الرأس شيباً وقد انصفت سني على السنين على ان هذه البقية تكفي  
للقاء رجال هذا الزمان فانا انا ذلك واذا ساعدتك الاقدار على شارلمان فحسي اني بنظرة  
اخيرة املاً قلبك خوفاً ووجلاً فهل للقتال

س ل سيدي الامبراطور لا تفعل كرمًا

بر ل والدي والدي لا تجلب بيدك الموت

ل (الجميع) لا لا فانا افضل ذلك واني اذا عشت ايضاً يكون عذابي اشد

الشهم ان لاقى الهوان (م) بعيشه لا يرتضي

لا خير في عيش باكناف (م) المذلة بنقضي

فهل ايها الفارس لتقتل او تُقتل

بر ل سيدي جرس الفضة يقرع

ل بر جوال

بر ل نعم يا سيدي هو بيني

ج ل سيدي اني قد تجرأت علي قرع جرس الفضة استناداً الى ادنك في ذلك لكل رجل حرب فان كنت قد اخطأت فاني اقبل ما يتمين علي من التصاص

ل ج لا اني اعرف ايها البطل حقا واقدرك حقاً قدرك فلك ان تفرع الجرس وتتمنى الان ما تروم

ج ل حيث منحنتني يا مولاي هذا الحق فجل ما اتمني ان انازل لي هذا البطل واني قد وصلت متأخراً على ان الوقت الباقي لي يكفي بحول الله فأسألك يا سيدي ان تبيحني ذلك لانتصر بعزمك او اموت من اجلك

ل ج تقدم ايها البطل فتد حسن عندي اقدامك يا ابن الكونت اموري لقد ذكرت لي بسالتك فانك قد حفظت حياة ابنة اختي ولكن كني علي حذر فان من تطلب مبارزته رجل شديد العزم ثبت الجنان وتأمل بجثته تعلم مقدار قوته

ج ل جثته هذه اقسبها بعد ما اطرحها في ساحة القتال

ايبت اللعن ان الحرب سوق تباع وتشترى فيه النفوس

سيعلم من ينزلنا بأنا لنا في الحرب تخفض الرووس

نكرت علي الخسيس ولا نبالي ونلقاه فينهزم الخسيس

ل ج مثلت لي رولان فانه لو كان حياً لما قال احسن من هذا فاننا راض بما طلبت

ج ل ان هذا المطلب الذي يجعل قوتي بمقدار واجباتي يشغل فكري منذ سنة حتى اذا رجعت من سفر طويل في افر بيقية بعد وقائع جيدة العاقبة اخبرت بامر هذا الاندلسي وما نابك وناب فرنسا من الاضطراب فهزنتي الحمية واستفزتني الى قصد لاطرب عنك ايها الامبراطور فاستأذنت في ذلك والذي فأذن لي وتبعني الى هنا ايضاً وانا انتظره وارجو . . .

ل ج ان هذا النظر النافذ وهذا الكلام البليغ يبعثان الي الرجاء غير اني لا ازال متردداً في الحكم . . . فهل تحسن يا بني الرماية فانك تعلم ان الاندلسيين ارمى منا

ج ل سيدي اني اترك هذا السلاح للبيد والغلمان واتكل على الحسام فهو سلاح الشجعان ولا جرم ان الذي اخترع القوس كان جباناً او يخاف من اللثام عند الصدام

ل ج انك لتكلم بعزة اجدادي فسر اذا وادرك ثأرنا وانتقم من عدونا واسترجع

درندال حسام رولان الذي بهزه هذا العدو يمينه . وحيث انك توثر القتال بالفضال فخذ  
 حسامي خذ جو ليس فهو لائق بملك واعلم اني لم اسلمه الي احد من قبلك  
 ج ل تقلدني هذا الحسام تكررماً وذي نعمة طالت وزادت على الأمل  
 فأقسم يا مولاي اني اردته اليك وقد رويت من دم البطل  
 الجميع ل (على قد خالك الند)

يا هماماً ساد فينا وملك

ملك أنت مهاب ام ملك

فاز من بين الملا قد املك

والهنا بعد العنا قد ام لك

(ثم الى جرال) سر بحفظ الله يا هذا الهمام

وابلغ الامال وارجع بسلام

وانقذن من خصمتنا ذاك الحسام

سر اليه واسقه كأس الحمام

ج (الجميع) ان قدر لي النصر فقد نذنا المرام واسترجعنا الحسام والآن فلا يرد قضاء الله  
 فانه كان على كل شي مقديراً . ولقد اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً  
 بر ج جرال انظر الي هالك يدي فابسط لي يدك فانهما لا ترجفان اذهب يا حاميتي  
 روح يا جرال

س ج لله انت ما اعظم اقدامك ايها الفارس فهلم بنا  
 الاثنان الى القتال الى القتال

### المشهد الخامس

برت شارلمان

بر ل

ل بر هل يمين الله علينا بالنصر فانا عليه متوكلون . هلمي يا برت نضرع اليه نغساة  
 ان يمدحه لنا ( برت نجشو وشارلمان بسط يديه والاثنان يدعوان ) اللهم يسا اله يوسف  
 ويهوديت ودانيال اليك نضرع وانت السميع البصير يا من يقضي على الظالمين بعذاب اليم  
 ويطهر الدين يملون الصالحات ان لهم اجر كبيراً أعين جرال على دوننا كما أعنت داود  
 على جالوت وهب له اللهم نصراً ميبناً

ل بر ( سائرًا نحو الكوة ) ابقي هنا يا برت سأذكر لك حركات هذا القتال

بر ل ( وهي تتبعه ) اني اريد ان اعين ذلك بنفسني ( بطلاً من الكوة فيسمهان  
 علامة الحرب )

ل بر هذه علامة النزال قد برز جرال

- بر ل آه قد خفت الان يا المني انتقد جرال  
 ل بر قد برز الآخر والثقيا  
 بر ل قد تدانيا  
 ل بر وقع السلاح على السلاح  
 بر ل لمع السيفان  
 ل بر قد هجم المدوء  
 بر ل ثقهمر يا لسرور  
 ل بر لا لقد عاد  
 بر ل درندال يتلوى كالأفعى وا مصيبتاه لمع على جبين جرال  
 ل بر آه اراه يوتغش ما اشد هذا القتال  
 بر ل وا حبيباه قد انشق المنفر وانكشف رأسه فنجري دمه وخضب الارض  
 ل بر لله عره انه لم يرجع هوذا جوليس يلعب في يده  
 بر ل والحناء قد لمع درندال على رأسه ثانية  
 ل بر خلا عنه هذه المرة  
 بر ل وثب  
 ل بر مر من تحت درندال  
 بر ل نهض  
 ل بر قد اصاب مقتله  
 بر ل هلك المدء وا طرباه  
 ل بر سقط مرتجفا وتمفر جسده بالتراب  
 بر ل يا لسرور جرال انتصر  
 ل بر يا لمجدك يا فرنسا (وللجميع) اضربوا الطبول ما من يهتف بمجدك يا فرنسا  
 لا زالت قوتك بازدياد ولا يرح عزمك في نفوذ  
 (الجميع) جرال قد نال المني  
 وقد نقي عنا العنا  
 جاء النصر وافي الاقبال  
 زال العسر نلنا الآمال  
 فليحي جرال البطل

من نال بالحرب الامل  
فقد نفي عنا الخجل  
ولم يخف وقع الاجل  
جاء النصر واني الاقبال  
زال العسر نلنا الآمال

ج ل ( حاملاً السيفين ) سيدي هذا جوليس وهذا درندال  
ل ج بُورك فيك ايها البطل ( ويعانقه ) هات درندال ( يأخذه و يقبله ) خلصت  
اخيراً يا درندال هذا انت هذا فرندك واعرف فولاذك هدم قبضتك الذهبية المتضمنة  
الدخائر الثمينة . . هذه الدخائر لم تنزل موجودة . آه دعني اضع شفتي على حدك ايها السيف  
الشهير سيف رولان بطل فرنسا كم احتملت في اسر الاعداء فتعزاً وألمع فرحاً انك سيف  
قبضة شارلمان . ان رولان ينظرك في لدمه ونحن نضعك عليه لتحصل له المسرة وهو  
في دار البقاء . أما الان فابق على الرش واسطع تحت الراية الفرنسية . وأما انت يا جرال  
فهذا جزاك ان ابنة رولان تكون من الغد زوجتك فإلم بنا الان الى الهيكل لنقدم لله  
الشكر على ما وهب لنا من النصر ( يخرجون جميعاً )

### المظهر السادس

كانلون ( هو اموري )

كانلون ( بذاته ) لا لا لا اسير فاني غير مستحق ان اشارك ابني في مجده بل ربما  
رشقتني الاحاظ فانكشف امري . لقد اتيت هنا مكرهاً ولو تمنعت لاستغرب ذلك جرال  
وقد حاولت ان اجد لي عذراً فأمتنع من الحضور غير اني خفت ان افتتح له باباً للشك . .  
فيا بلاط شارلمان يا ايها المقام الذي ولجته اقدمي المرتجفة . والجدران العالية التي يرفرف  
عليها النسر الذهبي باسماً جناحيه كأنه يمدّها على العالم بأسره . ويا ابنتها الحجر والمجالس  
انك جميعاً ممتلئة بشروري وقبائحي وكما نظرت اليك ذكرتني على اني وحدي اعرفها  
هنا . يا لسر يزداد ثقله يوماً فيوماً على عاتقي . . . ما من احدٍ هنا يعرفني وقد خفيت  
عن ركبدار رولان كما خفيت عن الدوك نيم

### المظهر السابع

شارلمان كانلون ( اموري )

ل ك

ل ك كانلون

كانلون ( بذاته ) يا رباه

ل ( بذاته ) نعم هذا هو كانلون رجل رانسفو الغادر . فهل خرج من الجحيم لارتكاب  
فظائع جديدة

ك ل سيدي

ل ك مه

ك ل سيدي

ل ك اسكت ايها الغادر كيف اُقد نجا هذا الخائن بمجزرة فيبيحة فعاد اليثا يوم عاد  
بجدنا . نعم هو نعم هو بعينه لقد نجا من الاولى فلا ينجون من الثانية . فان رولان حري  
بان يدرك ثاره مرتين . نعم كانلون ستهلك ايها الخائن في هذا المكان الذي يتلقه  
صوتك في . هذا المكان الذي ماتت به اخي زوجتك اثر ما بلغها من خيانتك القبيحة في  
قتلة زوجها الاول رولان فسقطت بين يدينا مائتة تحت هذه الجدران . نعم ستهلك ايها  
الغادر الذي كان لي اخا

### المظهر الثامن

شارلمان اموري جرال

ل ي ج

ج ي كنت اسأل عنك يا ابي

ل ( بذاته ) ابوه ابوه

ي ج اني كنت اسأل الملك نعمة جديدة واخاف ان يشوش علينا حضورك

ج ي اني اخرج يا ابي

ي ج ولكن لا تباعد فر بما دعت الحاجة اليك

ج ي سمما وطاعة يا ابي

### المظهر التاسع

شارلمان اموري

ل ي

ل ( بذاته ) جرال ابنة . جرال منقذ ابن اخي . جرال مدرك ثار رولان . جرال فخر

شيخوختي هذا البطل الباسل هو ابن اختي ابن كانلون  
 ي ل نعم سيدي هو ابني وانا اسألك الرحمة له 'وحده' فانه يموت لا محالة ان عرف  
 حقيقة اسمي

ل (بذاته) ابنه ابنه ابن كانلون وفيه مثل هذه الشهامة كيف يثفق هذا  
 ل ي ولكنك نسبت امه يا للعجب العجيب امذا هو الانسان الذي كرهته 'نفسه' اكثر  
 من كل الناس . انت كانلون الذي كنت الان تشكلم فانت اذا تركي رولان كما ابكيه  
 انا . انت غدرت برولان وابنتك ادرك ثاره فاذا نسيمك الان اموري ام كانلون .  
 انصفح عن الاب بفعل الابن ام نقاب الابن بفعل الاب . هل اخلف وعدي له بدون ان  
 يعرف سببه . . . . . وبرت . . . . . برت تجبه 'ياله' من مشكل اعياني حله . من جهة كانلون  
 ومن الثانية رولان . من جهة اعظم الشرف ومن الثانية اقبج العار وكيف التوفيق بينهما .  
 الليل يهبط وقد رصعت برده النجوم . هذا هو كتابي وهذه احرفه المتلاثة التي طالما  
 ابتأنتي بارادة الله فعلت منها مجي . السعادة وحلول الشقاء فانتستخيرها الان . . . . . ايها  
 السماء التي تنظر اليك عين الشقي بخوف اهدني سبيل الهدى وابعدني عني غيوم  
 الاضطرابات ( يجلس هنيهة ناظراً الى النجوم )

ل ي نادر ابنتك

ي ج جرال

### المظفر العاشر

شارلمان اموري جرال

ل ي ج

ل ج قد خفنا ان نزعج فؤادك الرقيق بما نخبرك به وهو ان والدك حين رأى اشتداد  
 القتال نذر ان يهاجر الى بلاد فلسطين مجاوراً

ج ي ماذا . . . . . ابني . . . . . تسافر حين ابتم ثغر سعدي

ي ج نعم فقد وجب النذر

ج ي ا يكون ذلك بعد خطبتي

ي ج لا بل قبل . . . . . لماذا تضطرب . . . . . اي فكر خطر لك . افكر فذا نذر

وقد عاهدت الله ان اترهب

ج ي كيف تسافر بعد ان حل لي ان اقدم النقد حسب العادة واقود برت الى الهيكل

وانت وحدك لا تحضر هذا الاحتفال  
 ل ي لا ايها الكونت ٠٠٠٠ أبي الله ان يكون هذا فانا اجيب جرال الي ما طلب  
 فابق الى غد  
 ج (بذاته) هذا غريب

### الفصل الرابع

جرال برت نعيم رجنهار اموري جفروا هردي  
 ج بر ن ه ي ف د  
 ن ج بر نقدا ايها الفتى وايها الفتاة فقد ولاني الامبراطور انا الدوك نعيم ان اعتقد  
 بينكما اليهود فتقدما وتبادلا حسب العادة تقديم الواجبات . وعلي ان اسأل كلاً منك  
 عن مطلق ارادته كي تكونا علي هدي . جرال ٠٠ كان رجل في عصر الابطال من  
 اعظم العظماء واكبر الرجال هذا هو رولان وهذه ابنته امامك فقبل ان تتحدث بها راجع  
 ففكر فهل فيك ما يمنع من ان تكون اهلاً لها  
 ج ن لا ٠٠ ولذلك اقدر ان اقدم لها التقد على هذا الترس ( يقدمه لبرت فتأخذه  
 وتعطيه لتابعها )  
 ن بر وانت ايها السيدة قدي له حسب العادة الرداء والسيف  
 بر ن سيدي اني اقدمها له ( تعطيه ايها فيأخذها )  
 ن (بذاته) والان يجب ان يصادق الاب على ذلك ٠٠ تقدم ايها الكونت ٠٠ هوذا  
 العروسان فلا يرتبطان بلا مصادقتك فقل كلمتك  
 ي ن سيدي الدوك اعذرتني . فانا اريد في هذا اليوم الذي بنال فيه ابني كل ما  
 يستحق من المجد ان يكون ذكري منسياً فان ابني بعد ما فعل وما سيفعل هو رئيس البيت  
 الحقيقي اما انا فلم أعد شيئاً مذكوراً فافعلوا ما يريد  
 ج ي آه يا والدي ان جل مجدي هو اقتفائي اترك  
 ي ج اني ثابت يا جرال فيما قلت وما انا الا الماضي فسر انت نحو الاستقبال  
 ن (بذاته) فاذن بقي علينا ان نسأل الحاضرين فلعل منهم من يكون له في ذلك كلام  
 ه ن انا  
 ج بر رجنهار  
 ي (بذاته) السكسوفي

ن ه قد فهمت ان بغض المغلوب شبت ناره ثانية . . . تكلم ايها السكسوفي  
 ه ( بذاته ) بغض المغلوب صدقت فاني قد قاسيت و بغضت ولم يكن من دأبي سوى  
 البغض اما الان فقد صار شأني العدل . فانت ايها السيدة برت وانت ايها السيد جرال  
 انتما فرنساويان وانا سكسوفي ولو كنت مبغضاً لكما لما تكلمت ولكن لا اسكت بل اتقذ كما معاً  
 قبل وقوعكما في المصاب

ن ه اشرح ما تقول

ي ن لا تسمعوا هذا الرجل فهو عدونا

ه ي احترز انت يا من يسمونه اموري

ي ه كيف تجرأ ان تقاوم ابني وتناقض مجده وفضيلته

ه ي انا لا اقاومه بل احامي عنه

ي ه ومن تحامي عنه

ه ي احميه منك

ن ه تكلم

ي ن لا . لا تسمعوا فهو كاذب واني نادم لاني ابقيته حياً ( يدنو من الدرك نعيم )

ه ي انت نادم ( هامساً في اذنه ) أليس لك ما يبعث على الندامة غير هذا

ه ن ان هذا الرجل الذي يتجرأ ان يلمس يدك انا اعرف ماضي امره واسمه الحقيقي

وها انا ذا اذكره لكم جميعاً

ي ه انت تكذب ايها السكسوفي انت كاذب

ه ي قل ماشئت فاني ابث صدقي لدى الامبراطور . . ان هذا الرجل يقال له . . .

ي ه اسكت لا تقل . هنا لا تقل امامه . . امام ابني

ه ي ايها الكونت انا اكرم منك . انت قتلت ابني امام ابني اما انا فلا البسك العار امام

ابنتك وكان بودي ان ادفع هذا الامر عن جرال غير اني اخاف ان تلوح لي اشباح

الشهداء في منامي . فمعظم ما اقدر ان افعله هو ان اسمح لك ان تخبر ابنتك بما كان من

قصدي ان اقوله

ي ه مناسب

ي ج ابق هنا يا جرال

ي ( للجميع ) اسمحوا لنا بخلوة

بر ( بذاتها ) ما هذا الامر يا رباه ما هذا الحادث المدهش

٥ (بذاته) انظر كيف قد علت وجهه صفرة الوجع

—oooo—

### المظهر الثاني

اموري جرال

ي ج

ج ي والدي اني اري هذا السكوفي مختل الشعور

ي ج لا

ج ي ولكن كيف بكذرك هكذا وهو لا يعرفك

ي ج انه يعرفني

ج ي أمثل هذه الاهانة . . .

ي ج ذلك عدل

ج ي آه يارباه اي اضطراب اعتراني

ي ج جرال . ثبت جاشك . . كيف عرف هذا الرجل الحقيقة ذا لا بهم فاسمع .

ليس اسمي الحقيقي اموري بل هو اسم مكروه وماون عند الجميع . وقد ظنوا المسمى به

ميتاً من زمن طويل مع انه لا يزال حياً . وهذا السر لا يعرفه غير السكوفي والملك . ان

كانلون لم يمت

ج ي ومن هو كانلون

ي ج انا هو

ج ي آه يرت

ي ج آه بالعزة النفس والشهامة لقد خالف ظني فلم يفتح كلامه بلمني

ج ي بلعنك . هذا لا يكون ولا في مثل هذا الوقت فاني احتمل كما احتملت

ي ج آه كلمني على الاقل بكلام جاف فاني ظمان للاهانة . صرح بها ان كانت تخفف

أملك

ج ي الاهانة هذا لا يكون . فاني لا اريد ان اعلم ما علمني وهو القيام بمقوق الشرف

والطاعة وعزة النفس والشهامة . . . وكل ما في من حسن فهو مستمد منك وكيف كانت

ذلتك فاننا انا ابنك ولكن دعني ابكي . . آه . . هكذا كانت امي تبكي حين علمت بما علمت

الآن

ي ج جرال

ج ي لا تشكلم

لا تنزع النصل دعه في مهجتي فهي جرحي  
 فليست اسطيع صبرا وليست اسمع نصيحا  
 وقد بدا لي امري وسوء ظني صمياً  
 عرفت دائي وسراً به فوادى اوحى

فيا للارث الذي لا بد من انتقاله الى الابناء ولعل وصوله الى ابي كان بالارث  
 ايضاً . . نعم نعم قد عرفت الان ذلك السر الخفي الذي كان يجعلني اظنه انا واظنني  
 هو وكان يخال لي ان تكلمت فبصوته وان مشيت فبقدمه آه يا للنعاسة . . . لا لا  
 هذا محال . . هذا فوق الاحتمال

ي ج ج ج . . ولكن لا يحق لي ان اعارضك ونظرة منك واحدة تكفي لخجلي . .  
 فقد كان امس عفو شارلمان كبيراً اما الله فلم يشأ ان يعفو . . . وحسي قصاصاً ما ارى  
 الان من حزنك

ج ي حزني . . أصبت فقد كانت الصدمة شديدة حتى ارتعدت لها بل بكيت كالصبي  
 وكان علي ان اخفي في قلبي حزني واكن يجب علي ان اكفر عن ذنبي فان كان لا يزال  
 لجرحي دواء فاني ارضى به ولو كان شديداً

ي ج اعانك الله يا جرال فاني لا استطيع بعد الان ان اخالفك بشيء فانا خاضع لما  
 تريد وقد انتهى عملي فانا اسافر . هكذا يجب فان المانع الذي طرأ عليك وهو وجودي  
 سيزول . ولكن اسمح لي قبل انطلاقي من هنا ان امزج بدموع الخجل دموع الفخار . آه  
 ان جريمتي قد افعمتكم اضطراباً على انك بحكم الخنوة تقول هذا هو ابي اما انا فبالفخار لا  
 يعرف اقول وارجوكم عفواً يا جرال هذا ابني

ج ي ابي

ي ج استودعك الله يا جرال

ج ي ابي

ي ج واذا تم لي ما ارجوه من انتهاء ايام عذابي قريباً ولم يعد لي سوى مجرد الذكر  
 افكر يا جرال رغماً عن ذنبي الجسيم ان هذا القلب الشقي كان يحبك واني قد لقيت قصاصاً  
 شديداً بأن ارى ذراعيك غير منفتحتين لي عند وداعنا هذا الاخير

ج ي (فاتحاً ذراعيه) ابي (وبتعانقان)

ي ج ابي فارقك الان واستودعك الله فاني اخاف ان يقوى علي الضعف فيمنعني من

المسير . . . اسمع حركة قدومهم فاتوارى فان نخلي يزداد اذا كان لديهم الاب والابن معا  
( يخرج )

ج ( بذاته ) هاهم هوذا الملك خالي اخوامي . . . الدوك نعيم . وكل الذين كانوا  
يشنون علي . . . ويرت . يرت . آه يا ربي هل سخطت علي

### المظهر الثالث

جرال	شارلمان	برت	نعيم	هردزي	جفروا
ج	ل	بر	ن	د	ف
	ريشار	خدم	عدد		
	ش	خ	٢		

ل ج جرال قد كشف لنا السكوفي الامر . . . ان التوفيق خالفك وانت في اول  
الرجاء . وكان ينقص مجدك يا جرال الصبر والاحتمال . واني قد عرفت الامر منذ امس  
ووازنت بين الجريمة والاستحقاق فرأيت ان احساناتك رجحت علي سيئات ايك . وكفالك فخراً  
انك اعدت مجد فرنسا وادركت ثار رولان الذي رأيت انك انا تحت ظلال الاشجار الضخمة  
في ساحة رونسفو فضممته وهو ملطخ بدمه واقسمت ان ابقيه ما حييت . ثم طلبت حسامه  
فلم اجده واشتد علي ذلك لان رولان كان قد عهد ان يدفن سيفه معه . وقد استولى  
علي العدو واعيانا تخليصه ولك وحدك الفضل في استرجاعه . وسيودع هذا الحسام في  
ضريحه فانخر اذا ايها الهام وتبوا المنزلة التي انت لها اهل بين اولادي وانت يا برت  
اصيلة المجد تكفي فذلك حق لك

بر ل وما الداعي الي ذلك يا سيدي كلمة واحدة تكفي . الهيكل معد وانا مستعدة .  
هلم جرال هلم . لماذا تخنض رأسك . لماذا تحول نظرك . جرال ما هذا السكوت . انشدك  
في ودادي ريب . اتريد ان ارفع صوتي مصرحة . . . سيدي انا احب جرال بمقدار ما  
اجله وقد زدت فيه حباً لأن هذه النائبة التي حلت به لم تنقص من عزمه فهلم الآن  
يا جرال

ل ج هلم جرال واقبل يد برت ثانية

ج ل سيدي اني شاكر لك في نفسي ولكني ارفض هذه النعمة الاخيرة

بر ل يا ربه . . . جرال

ج بر اسمحي ان ابسط سربرقي لديك في حضرة الملك نعم يا سيدي اني لا اكون

مستحقاً لهذه النعمة الجسيمة ان لم ارفضها . فاني اسمع في نفسي هذا الصوت الذي لا يكذب  
 انا ابن الذنوب لا ابن التوبة واحب ان يكون القصاص اكبر من الذنب وان يقاص  
 الابن البري نفسه ليكون العفو عن الاب احق . . . وخير لي ان اجرح بيدي قلبي وان لم  
 فعل يقال اني لم اكفر عن ذنوب ابي كما ان ابي بهاجر وانا ارافقه . ومن العدل ان نكون  
 دائماً معاً

فليعتبر من كان ذا نظيرٍ      ولينتبه من نومه من رقد  
 ومن له وسوس ابليس ان      يعذر فلينظر بعقبى الولد  
 ان ذنوب الوالدين الى      ابناهم تنتقل يا ذا الرشد

بر ج      انت راحل يا جرال

ج بر      نعم برت

بر ج      آه ان كنت تحبني لا تكن قاسياً

ج بر      انا لا اجسر ان احبك

بر ج      وانا . . . جرال . . . انا . . . ما ذنبي لتعاملني بهذه القساوة

ج بر      ما خصمنا الا القدر

بر ج      لا تجارو علي ظلمه واحرص على السعادة

ج بر      ايجلواك نخجلي

بر ج      انظر الى المستقبل

ج بر      الماضي نصب عيني

بر ج      ما من ينظر اليه غيرك . الا يكفيك عفو الملك ام تريد ان تسمع صوت ابي من

اعماق قبره او من اعالي مقامه في السماء مصرحاً بالعفو والرضا . استخلفك يا جرال باسم ابي

رولان .

ج بر      اخفضي صوتك او يسمعك ابي كانلون

بر ج      ( سافطة بين ذراعي تابعتها ) آه قطع الرجاء

من لم يذق في الناس كأس فراق      لم يدر كيف مصارع العشاق

قد كان في كأس الغرام بقية      فشربت وحدي كل ذلك الباقي

يا من يلوم على الاسمي ان الهوى      يومان يوم نوى ويوم تلاق

وافى النوى فخرت بوادى ادعني      ومن الوداع فضيحة المشتاق

لا تحسب اني من اعيني      هذا فوادى سال من آماقي

ج ل سيدي خذ يدي فيكأوها اعياني . كنت آملاً ان اتال ابنة رولان واما الان  
فهذا الامل قد كرهني بنفسي لكوفي ابن . . . . . يارباه' لا لا هذا لا يكون اليوم تراني  
بعين الشفقة ولكن غداً

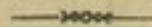
ل ج أصبت يا جرال افي لا الومك على هذه الشهامة ولكن هذا قضائي الملكي النهائي .  
امس سملك جوليس لتسرجع درندال واليوم اصنع فوق ذلك فان بسالك تقتضي جزاء  
اعظم . فاريد ان يكون درندال لك ولو كان رولان حياً لسلمك اياه فهو ظمان لورود  
دم الاعداء فانت اهل له فاسقه نهلته من دمهم حتى اذا بلنت فيه . منانا وطردت به  
عدوتنا من المغرب الى المشرق تعيده الى قبر رولان

ج ل نعم الى قبره الى كتبتنا ثم اذهب لالتقي المنية في مكان اقصى  
بر ج واذا باعدتك المنية

ج بر اجده في طلبها حتى ادركها

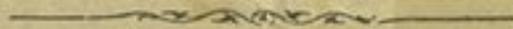
بر ج ( بعد سكوت طويل ) كن كما شئت فان من تحبك تماثلك وقد خلق الله قلبينا  
متشابهين وهو وحده يجمع بينهما استودعك الله يا جرال  
ل ( الجميع ) ايها الامراء والابطال اخفضوا رؤوسكم لديه فهو اعظم منا

تمت رواية شارلمان



تنبيه

لقد وقع في هذه المنتخبات من الاغلاط المطبعية ما لا يخلو منه كتاب مطبوع .  
ولما كانت قليلة جداً لم نضع لها اصلاحاً مخصوصاً بها اعتماداً على نباهة قرائها الادباء .





[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

Handwritten Arabic text, possibly a signature or a note, located in the lower right quadrant of the page. The text is faint and difficult to read, but appears to be a name or a short phrase.



مكتبة لسنة العرب

